مُعجمُ مَشاهير النّساء

الطبعة الأولى
1441 هـ
2020 م

اسم الكتاب: مُعجمُ مشاهيرِ النساء
تصنيف: محمد ذهني
ترجمة وتقديم: د. محمد حرب
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
موضوع الكتاب: أدب
عدد الصفحات: 672 صفحة
عدد الملازم: 42 ملزمة
مقاس الكتاب: 24x17
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2019 /22136
الترقيم الدولي: 978-977-278-765-4

مركز طروس للنشر والتوزيع
متخصصون في دراسات الشرق الأوسط

torousq8@gmail.com
@Torous_ME
+96522020190
+96590933279
الكويت-الري- قطعة ١ - قسيمة ١٥٧٣
مقابل مجمع الأفنيوز

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

مُعْجَمُ مَشَاهِيرِ النِّسَاءِ

تصنيف

محمد ذهني

ترجمة وتقديم

د/ محمد حرب

إهداء

إلى المبجّل السّيد: إسماعيل قهرمان..

يسعدني أنْ أهديكم هذا الكتابَ بكلّ حبٍّ وتقديرٍ لأصالتكم وحبّكم للأصالة..

ولخَدَماتكم الجليلة، وحبّكم للإنسانِ والإنسانيّة، وتواضعكم الطّبيعي..

ولسَمْتكم الحلو، وحسنِ استقبالكم لي.

زادكُم الله من علمِه وفضله.

مُحبّكم

محمّد حرب

إهداء



إلى الدكتور/ طيار آلطى قولاج

الاسم العَلم في دنيا الثقافة الإسلامية.

والاسم المتوهج في؛ أصول الإدارة الراشدة النافع للمسلمين، وقيادة أكبر المؤسسات العلمية الخيرية تطوعًا.

مُحبكم

محمد حرب

٢٠١٩/٩/٩

مقدمة

عرفتِ الحضارةُ العربيّة الإسلاميّة كتبَ التراجم منذ مطلعِ القرن الثّالث الهجري، فمِن أقْدم هذه المؤلّفات التي وصلت إلينا كتابُ «الطّبقات الكبرى» لمحمد بن سعد، وكذلك كتابُ «الأعلام» لمؤلّفه خير الدين الزّركلي، الذي يعدّ أوّلَ كتابٍ يترجم لشهيراتِ نساءِ العرب والمسلمين، وقد رتّب المؤلّفُ تراجمَ الكتاب على حروفِ الهجاء، ومزجَ فيه بين النّساء العربيّات ونساء الأمم الأخرى.

وهناك كتبٌ أخرى تكلّمت عن شهيراتِ النّساء، ومنْها كتاب «الدّرّ المنثور في طبقاتِ ربّات الخدور» لزينب بنت فواز العاملي (١٨٦٠- ١٩١٤)، وكتاب مُعْجم شهيراتِ النّساء في سوريا للدّكتور نزار أباظة.

ويعدّ كتابُ معجم مشاهيرِ النّساء لمحمّد ذهني المكتوب باللّغة التركيّة من الكتبِ المهمّة التي تتكلّم عن أشْهر النساء، فقد أشارَ محمّد ذهني أنّ هذا الكتابَ لم يقتصرْ على الشّاعرات أو الصّالحات فحسب؛ بل شمل أيضًا كلّ مشاهيرِ النّساء من جوارٍ ومُغنّيات وفقيهات ومحدّثات وصحابيّات، وممّنْ اشتهرنَ بعلوّ جاههِنّ أو اشتهرنَ بحماقتهنّ. وقد تناولَ في هذا المعْجم ترتيبَ النّساء المذكورة فيه أبجديًّا، وقدِ استعان فيه بالشّعر، وحرص أنْ يكون أسلوبُه سهلًا للقرّاء.

ومحمّد ذهني لم يكتفِ بكتابة كتبه باللغة العربيّة فحسب؛ بل ذهبَ إلى أكثر من ذلك؛ حيث إنّه يكتب بمنهجٍ جديدٍ وأسلوب حديث يتماشى مع روح العصر، الذي يتطلّب السّرعة واستغلال الوقت؛ لذلك كثّف جهودَه في إبداعِ منهجٍ جديد بعيدٍ عن المناقشات الطّويلة والتّفصيلات التي لا داعيَ لها.

ومحمّد ذهني فقيهٌ حنفي، أديب بالعربية، تركي من أهل استانبول، وُلد عام ١٨٤٦م، وتُوفّي عام ١٩١٣، وبعد أنْ تلقى تعليمه في المدارس عُيّن مدرسًا للغة

العربيّة والعلوم الإسلاميّة في مدارس رفيعة المستوى باستانبول، ودخل عالمَ الصحافة في سنّ مبكّرة، وتابع عملَه مدرّسًا في أرقى المدارس باستانبول. كان يعطي- بجانبِ موادّ اللغة العربيّة- دروسًا في الفقه وسائرِ العلوم الإسلامية. وقام بجولاتٍ عديدةٍ إلى معظم الدّول العربية، وله عضويّةٌ في عدّة لجانٍ تابعة لوزارة التربيّة والتعليم.

وكان من أعضاء مجلسِ المعارفِ العثماني، ومِن المدرّسين بالمكتب السّلطاني، وقد بذل محمّد كلّ جهده في أنْ يكتبَ تصانيفه في العلوم الإسلاميّة باللّغة التركيّة، كما فعل في مؤلّفاته عن اللغة العربيّة، وذلك حتّى يصلَ العلم إلى سواء الناس، ولا يبقى حكرًا على فئةٍ معيّنة ممّنْ التحق بالمدارس.

وقد تفوّق محمّد ذهني خاصّة في علم اللّغة العربيّة وآدابها، وأصبحَ من أقطاب هذا العلمِ في زمانه، وهو مدينٌ في تفوّقه هذا لأسفارِه الكثيرة إلى الأقطار العربية، ولصداقتِه الحميمة مع عدّة أدباء عرب أمثال عبد الرحمن ناجم ومحمّد الشنقيطي وأحمد فارس الشّدياق.

يعتبر محمّد ذهني من علماء العصر الأخير للعهد العثماني، قد عاشَ في فترةٍ كثرت فيها مناقشاتٌ طويلة حولَ كيفيّة تعليم اللّغة العربيّة، ومدى ضرورتها في المدارس، وطريقة إصلاح المناهج الدراسيّة، خاصّة ما يتعلّق منها باللّغة العربيّة وآدابها، إذْ عليها قوامُ الدّراسة، ولا يصلح التعليم في المدارس العثمانيّة إلّا بصلاحها.

ولم يكنِ الوضعُ في العالم العربيّ يختلفُ بكثيرٍ عمّا كان في استانبول؛ فقد كان المفكّرون واللغويّون العرب يناقشون الأمرَ فيما بينهم في العالم العربي، خاصّة وأنّ اللّغة العربيّة كانت تنتقضُ من قِبل بعض أبنائها ممّن تأثّروا بالاستعمارِ الإنجليزي والفرنسي، وانخلعوا عنْ هويّتهم، وانكبّوا على نقدِ كلّ ما هو

عربي إسلامي، بما فيه اللغة العربيّة وآدابها، وادّعوا عدمَ صلاحية الأبجديّة العربيّة لأداء الأحرف المستعملة عالميًا، في حين أنّ محمّد ذهني وبابانزاده أحمد نعيم، وأمثالهما في استانبول، كانوا يُعْلنون على الملأ وجوبَ تعلّم اللّغة العربية، وضرورة تيسير طرقِ تعلّمها، وفتح كلّ الفرص المتاحةِ لذلك أمام الرّاغبين فيها، وإيجاد مناهجَ جديدةٍ للحثّ على تعلّمها وتعليمها. فقد كانَ من المؤمنين باللّغة العربيّة إيمانًا تامًّا لدرجة القداسة، ويؤكّد على ذلك كلّما سنح له، فنجده يذكرُ هذا الحديث الذي يروَى عنْ رسول الله - ﷺ - في مقدّمة كتابه المنتخب: (أحبّوا العربَ لثلاث: لأنّني عربي، والقرآن عربي، وكلامُ أهل الجنة عربي).

ومن أهمّ كتب محمّد ذهني تتجلّى فيه غزارةُ علمه بالعربيّة، وعمق معرفته بأصولها وقواعدها، وتحكّمه بزمام بلاغتها وآدابها؛ هو كتابه القيّم المسمّى بـ«القول الجيد». فقد انكبَّ محمد ذهني في كتابه هذا على الأبيات المُسْتَشهد بها في كتاب التّلخيص للقزويني وشروحه، وأفرغ ما في وسْعه من الجهد في بيان أوزان الأبيات وقائليها، وذلك بعد ترجمتها إلى التركيّة سادًّا بذلك فراغًا كبيرًا.

وقد ألّف محمد ذهني - مثلَ كثيرٍ من زملائه العثمانيّين - كتبًا عديدة في مجالات مختلفة في الفقه والحديث وغيرها، ومن أهمّ مؤلّفاته: مشاهير النّساء (جزءان) - تعليق على شرح المنار - اقتباس الأنوار في ترجمة المنار - الألغاز الفقهيّة - القول السّديد في علم التجويد - شرح تسهيل التحصيل - شرح أبيات الأصفهندي - تعليق على الجامع الصحيح للبخاري - رسالة عن الإسلام - الصّرف العربي - نعمة الإسلام - كتاب التراجم.

البحرين: ٢٠٠٤

محمّد حرب

لم يبقَ شيء من الدّهر تسرّ به إلّا الدّفاتر فيها الشّعر والسّمر
وما أبرّئ نفسي أنّني بشر أسْهو وأخطئ ما لم يحمني القدر

لقد غرسوا حتّى أكلنا وإنّنا لنغرس حتّى يأكل الناس بعدنا

مُعْجَمُ مَشاهِير النِّساء

تصنيف

محمّد ذهني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على أشرفِ المخلوقات وسيّد المرسلين، وبعد، فعندما كنتُ أعمل بالفقهيّات، أي بأصولِ الفقه، وكنت منشغلًا بكتابة شرحٍ وافٍ باللّغة التركيّة لكتاب المنار في أصول الفقه، كُلّفت من جانبِ نظارة المعارف بتدوين كتابٍ يندرج فيه تراجمُ أحوال، ومآثرُ علم وعرفان مشاهير النّساء في العلم والأدب ليدرّس في (دار المعلّمات) لتقتدي هؤلاء الفتياتُ بأسلافهنّ. ونظرًا لأنه لم يُؤلّف بلغتنا شيء من هذا القبيلِ من قبل، أو حتّى في اللّغة العربيّة التي هي معدنُ جواهر الأدب؛ كان يلزمُ التّفتيش والتّمحيص في المكتبات وتتبّع الكتبِ المختلفة، وكانت ثمرةُ اطّلاعي في تلك الكتب هو هذا الكتاب، ولكنْ نظرًا لأنّ حجمَه كان أكبر مما طلبتْه نظارةُ المعارف؛ فقد تغيّر الهدف منه أيضًا، وأصبحت لديَّ الرغبة لأنْ يكون كتابًا عامًّا، وأنْ تختار المعارف منه ما يصلحُ لأنْ يكون دروسًا في دار المعلّمات.

ولم يقتصرِ الكتابُ على الشّاعرات أو الصّالحات فحسب، بل شمل الكتاب- أيضًا- كلّ مشاهيرِ النساء من جوارٍ ومغنّيات وفقيهات ومحدّثات وصحابيّات، وممّن اشتهرنَ بعلوّ جاههنّ، أو اشتهرنَ بحماقتهنّ. وقد نقلت الأشعارَ الموجودة كما هي بنصّها وترجمتها إلى لغتنا العثمانيّة، كما أضفتُ بعضَ المسائل الشرعيّة والوقائع التاريخيّة والأدبيّة عندما اقتضتِ الحاجةُ ذكرها. وبخلاف الصّحابيات اللاتي ذكرتُ ترجماتٍ لهنّ، ذكرت- أيضًا- أسماء بعضِ الصّحابيات الأخريات

نقلًا عن ابن الأثير تبرّكًا بذكر أسمائهنّ. وكان ترتيبُ الأسماء على حسب الحروف الأبجديّة، وكانت معظمُ النّسوة اللاتي ذكرتهنّ في الكتاب من العرب والعجم والروم؛ أصحابَ فضل، وقد قيل:

وما التّأنيث لاسم الشّمس عيبٌ	وما التّذكير فخرٌ للهلال
ولوْ كان النّساء كمَن فقدنا	لفضّلت النساءُ على الرجال

ونظرًا لأنّ تصحيحَ بعض الظّنون الواهية بخصوص مخدّرات الإسلام سيكون أحد منافع هذا الكتاب، فإنّني أرجو أنْ يلاقي الكتابُ القبولَ، بخاصّة وأنّه أوّلُ ما دوّن في هذا المجال، وأنْ يُغفر لي خطئي، سواء كان كبيرًا أمّ صغيرًا.

والنّصرة والهداية من الله

محمّد ذهني





صورتان ضوئيتان من كتاب (مشاهير النّساء)

حرف الألف

نكتة

الألفُ هو اسم الحرف العادي العمودي الشّكل، العاري من الحركة.

ويُطلق على المتحرّك منه همزة. ولأنّ جميع الأسماء الواردة في هذا الباب كانت من جنس الألف المتحرّك؛ كانَ يلزم علينا أنْ نسمّيه باب حرف الهمزة، إلّا أنّ الهمزة للتّفريق بين السّاكن والمتحرّك، ولهذا لم تكنْ أصلًا في الاسم، ولهذا فإنّه لا يوجد في حروف الهجاء حرفٌ باسْم الهمزة، ومادّة الهمز في اللغة العربيّة تعني الإمساكَ بالشيء، والإحكام عليه.

وذُكر في كتبِ المعاجم أنّ أعرابيًا سُئل (أتهمز الفأر) فقال (السّنور يهمزُها)؛ أي القطّة تمسكُها، وذلك لأنه لم يعرف سوى المعنى اللّغوي لها فقط.

١ - آذر همايون:

ساحرةٌ من أهل الفرس القدامى، وهي من نسْل سام على حسبِ ما أورده

البرهانُ القاطع. كانت خادمةً في معبد النّار في أصفهان، ولمّا تزوّجت الحكيمَ بليناس الذي كان أنيسًا للإسكندر علّمها السّحر.

٢- آرام جان:

كانت مِن طائفة لوليان الهنديّة، أيْ من طائفة النّسوة اللاتي كنّ يرقصنَ مكشوفاتِ الوجه والجسم. لم يكنْ اسمها آرام جان؛ بل كان آفت جان، وهي مذكورةٌ في وقائع الهند لعام ٩٦٦ بكتابِ صحائف الأخبار.

٣- آزاد:

سيدةُ حسنَةُ السّيرة، كانت زوجة شهر بن باذان، وابنة عمّ الصّحابي الجليل فيروز الدّيلمي. كان لها دورٌ في إعدام الخبيث الأسْود العنسي الذي ادّعى النبوّة في أواخر عهد النّبيﷺ ؛ لذا ظلّ ذكرُها باقيًا في الكتب.

وتوردها بعضُ الكتب باسم مرزبان، ولأنّ هذا الاسمَ هو الراجحُ نقلًا عن ابن الأثير سنشير إليه في ترجمة مرزبان في حرف الميم بمشيئة الله تعالى.

كان فيروزُ الدّيلمي وشهر بن باذان في الأصل من أهالي الفرس، كانا من رؤساء الجيش الذي أرسله كسرى لطرد الحبشيّين الذين استولوا لفترةٍ على اليمن. توطّنَا في اليمن واستقرّا بها، أدركا عهدَ الرّسول وأسلما، كان باذان والدُ شهر المذكور شخصًا شريفًا، فقد كان واليًا على اليمن من قِبل كسرى الفرس، ولمّا أرسل الرسولُ رسائله إلى الملوك المجاورين يدعوهم إلى الإسلام في العام السّابع الهجري، أرسل رسالةَ إلى كسرى (خسرو برويز) فقام كسرى بتمزيق الرّسالة، وأرسل أمرًا إلى باذان عاملِه في اليمن بأنْ يُحضر إليه هذا الرجلَ الذي ادّعى النبوّة في الحجاز، فأرسل باذان من قِبَله رجليْن إلى المدينة المنوّرة ليجلبا الرّسول، ولمّا عرضَا الرسالة على الرّسولِ أخبرَهما قائلًا: إنّ الله تعالى سيسلّط على كسرى ابنه شيرويه وسيقتلُه، وإنّ الإسلام سيدخل قريبًا بلادَ الفرس، وستكون ضمنِ الممالك الإسلاميّة، وقال لهما الرّسولُ إنّي أعرض الإسلام على باذان فأخبِراه

بذلك، ولمّا وصل الرّسولان إلى باذان في اليمن أخبراه بما حدث. وبعد عدّة أيّام أعدم شيرويه كسرى، فأدركَ باذان أنّ هذه معجزة من الرّسول وأسْلم، وظلّ هناك واليًا على اليمن من قبل الرّسول، وأسلم معه كلّ الإيرانيّين الموجودين في اليمن.

ويذكرُ صاحبُ كتاب الكامل أنّ بلاد اليمن كلّها كانت تحت إمرته، ثمّ أحيلتْ كلّ منطقةٍ منها إلى حاكم بعد وفاته. وكان ابنُه شهر حاكمًا على صنعاء، أمّا فيروزَ الدّيلمي فكانَ إسلامُه أقدمَ من تلك الواقعة، فقد أُرسل من قبل إلى المدينة من قِبلِ كسرى ليستعلم عن أحوالِ الرّسول، ولمّا قابلَ الرّسولَ أسلم.

استطراد

كان الرّجلان اللّذان أرسلهما باذان إلى الرّسول- ﷺ- حليقي اللّحية، فلما رآهما الرّسولُ- ﷺ- على ذلك أعرضَ عنهما، وقال لهما «مَن أمركما بهذا؟» فقالا أمرَنا بذلك ربّنا- يقصدون كسرى-، فقال لهما الرّسول إنّ ربّي أمرني بأنْ أطلق لحيتي، وأحلق شاربي».

أمّا الأسود العنسيُّ فهو رجلٌ مشعوذٌ يدعى عبهلة بن كعب بن عوف، من عشيرة عنس التابعة لقبيلة مذحج، إحدى قبائل اليمن. أسلم، ثمّ ارتدّ عن الإسلام بعد حجّة الوداع.

ولأنّه كان ماهرًا في أمور الكهانة والسّحر، وله تأثيرٌ في الكلام؛ فقد ادّعى النبوّةَ على مجموعةٍ من السّفهاء والبلهاء، فأضلّهم بذلك. ولأنّه كان مستترَ الوجه دائمًا؛ فقد أطلقَ عليه لقب (ذو الخمار)، والخمارُ في اللغة العربيّة يعني غطاءَ الوجه، وكان يلقّب- أيضًا- بـ (ذو الحمار) لأنّه كان يملك حمارًا، عندما يقول له اسجدْ يسجد، أو تغوّط يتغوّط (مثل مُلاعب الحمير). وكانت النّسوة اللاتي يتبعْنه يتعطّرن بروثِ هذا الحمار، أي كنّ يعدّدْنَه عطرًا، فيضعْنَه على رءوسهنّ وفوق أجسامهن.

آمنتْ به في البداية قبيلةُ مذحج، ثمّ تبعها أهل نجران، ولما سار الأسودُ إلى

نجران، أخرج منها عمرو بن حازم والي الرّسول-ﷺ- في نجران، ثمّ سار إلى صنعاء واستولى عليها أيضًا وقتلَ شهرَ بنَ باذان وحماه، وزادت بذلك دائرة فسادِه لدرجةٍ أنّ الولاةَ المسلمين في اليمن أصبحوا مشتّتين أمامه، حتّى أنّ معاذ بن جبل الذي أرسله الرّسول- ﷺ- إلى اليمن لتعليم أهلِها أحكامَ الدّين المبين خرجَ من هناك، وذهب إلى بلدةِ مأرب، واتّحد هناك مع أبي موسى الأشعري، وتقاتلَ الفريقان في حضرموت. وبعد أنْ قتل الأسودُ العنسي شهرَ بن باذان حاكمَ صنعاء تزوّج بامرأته آزاد- صاحبة التّرجمة- قهرًا، ولمّا علمت أنّها ستصبحُ زوجةً لرجل قتل زوجَها ووالدَها؛ أرسلت الأخبارَ إلى النبي - ﷺ- في المدينة المنوّرة بأنّ أمرَ الأسود العنسي قد استفحل، واستولى على اليمن كلّها؛ فصدر الأمرُ النّبوي بقتله على الفوْر، وبناءً على هذا الأمر النّبوي قُتل الأسودُ العنسيّ على يد فيروز الديلمي بمعرفة السيدة آزاد. كان المذكورُ خبيثًا يشربُ الخمر، ولا يغتسل من الجنابة، وسيرتُه وأحوالُه مذكورةٌ ومشروحة في كتب السّيرِ والتواريخ.

تتمّة

وقد وردَ في تفسيرِ الكشاف، والتّفاسير التي أخذت منه كتفسير فخر الرازي والقاضي البيضاوي وأبو السعود العماري في تفسير آية الرّدة أنّ أهلَ الرّدة المفسدين كانوا في أواخر عهد النبوّة، وبعد ذلك؛ إحدى عشرة فرقة، ثلاثٌ منها كانت في عهد النبوّة وهي (بنو مدلج)، و(بنو حنيفة)، و(بنو أسد). وكان الأسود العنسي رئيس بني مدلج. كان كاهنًا، ادّعى النبوّة في اليمن، واستولى على كافّة أقطارها وأمصارها، وأخرج منها عمّالَ رسول الله ﷺ؛ لذا كتب الرّسولُ رسائل إلى معاذ بن جبل- رضي الله عنه- وإلى جميع الصّحابة الآخرين الموجودين باليمن بضرورةِ قتله بأيّة صورة، فقتله فيروزُ الدّيلمي بيده. وقد بشّر النبي- ﷺ- صحابتَه

الكرام في المدينة بمقتل هذا الملعون في تلك الليلة فابتهجوا جميعًا، وفي اليوم التالي توفي النبي ﷺ، ووردت الأخبار إلى المدينة بمقتل الأسود.

أمّا بنو حنيفة فكان رئيسهم (مسيلمة الكذّاب)، ادّعى مسيلمةُ النبوّة، وأرسل رسالة إلى النبي- ﷺ- قال فيها (مِن مسيلمة رسولِ الله إلى محمّد رسول الله، أمّا بعد، فإنّ الأرض نصفُها لي، ونصفُها لك)، فردّ النبي- ﷺ- برسالةٍ قال فيها: (مِن محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب، أمّا بعد، فإنّ الأرض لله يورثها مَن يشاء مِن عباده والعاقبة للمتقين). وقد انهزمَ مسيلمة أمامَ الجيش الذي أرسله سيدنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، حيث قتله وحشيّ الذي قتل حمزة بن عبد المطلب في غزوةِ أحد من قبل، لذلك كان وحشيٌ يقول: (قتلتُ وأنا في الجاهليّة خيرَ الناس، وقتلتُ وأنا في الإسلام أشرَّ الناس). أمّا بنو أسد فكان رئيسُهم طليحة بن خويلد، ادّعى النبوّة أيضًا، فأرسل له أبو بكر الصديق جيشًا بقيادة خالد بن الوليد فهزمه، وفرّ طليحة إلى الشام، وتاب وعاد للإسلام مرّة أخرى وحَسُن إسلامه. أمّا السبع فرق الأخرى من المرتدّين فقد ظهرت في خلافة أبي بكر الصّديق، وهي: فزارة قوم عيينة بن حصن، وغطفان قوم قرة بن سلمة القترى، وبنو سليم قوم فجاءة بن عبد الليل، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة، وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة، وكندة قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل قوم حطم بن زيد. وقد أتمّ الله تعالى أمرَهم على يد أبي بكر الصّديق رضي الله عنه. كما ظهرت فرقةٌ أخرى في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي غسان قوم جبلة بن أيهم. وقد كان المشارُ إليه مسلمًا وارتدّ عن الإسلام، وارتحل إلى بلاد الروم. انتهى.

ويُفهَم من تلك الإفادة أنّ الأسود العنسي كان من بني مدلج، وبنو مدلج كانت قبيلة من كنانة، وقد جاء في تاريخ الكامل أنّه كان من عشائر قبيلة بني

مذحج في اليمن. وقد حرّر صاحب الكشاف تلك الإفادةَ على صيغة التّمريض، ونقل عنه الآخرون دونَ بصيرة. وممّا يدلّ على غفلتهم في النقل أيضًا أنّهم ذكروا أنّ الرّسول- ﷺ- هو الذي أرسل خالد بن الوليد إلى طليحة زعيم قبيلة بني أسد، والصّواب أنّ هذه الحادثة وقعت في عهد الصّديق رضي الله عنه، ولم يصحّح أحدٌ منهم تلك المعلومة سوى أبي السعود فقط.

أمّا (سجاح بنت المنذر) فهي متنبّئة، تزوّجت بمسيلمة الكذّاب، وسوف نوردُها بالتفصيل في حرف السّين إنْ شاء الله تعالى. أمّا المرتدّ جبلة بن أيهم فهو آخرُ ملوك الغساسنة، والغساسنة هُم ملوك بني جفنة، ولم يكونوا في الحقيقة ملوكًا، ولكنّهم كانوا ولاةً يحكمون في الشّام تابعين لقياصرة روما، وجبلة المذكورُ آخرُ هؤلاء الولاة، وسمّي على اسم قصبة (جبلة) الواقعة بين اللاذقيّة وطرابلس الشام، وقد دخلت البلدان التي يحكمها الإسلامَ في عهد الفاروق رضي الله عنه، وأسلمَ هو الآخر، ووفد إلى المدينة المنورة لمقابلة عمر بن الخطاب، ولكنّه وجده يعتزم الذّهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فذهبا معًا إلى هناك، وفي أثناء الطّواف وقع إزار أحد أفراد بني فرزاة سهوًا، فاحتدّ جبلة ولطمه لطمة شديدةً على وجهه، فأدمى أنفَه، فذهب الرجل إلى عمر بن الخطاب شاكيًا، فطلب عمر حضورَ جبلة، وقال له إنْ لم يعفُ عنك الرّجل فسأقتصّ منك، فقال جبلة: أنا من الملوك، كيف تساوي بيني وبين رجلٍ من رعاع النّاس، فردّ عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد جمع بينكما الإسلامُ، وساوى بينكما. فقال جبلة: لتكنْ عزّتي في الإسلام أكثر من عزّتي في الجاهلية، فردّ عمر: هو كذلك الإسلام أعزّه، لم يطقْ جبلة أنْ يُقلّل من شأنِه بهذه الدرجة فخرج من عند الفاروق، وفرّ ليلًا مع ٢٥٠ من أتباعه إلى الشام، ومنها إلى استانبول، حيث ارتدّ هناك، ثمّ ندمَ لفترة على ردّته تلك، ونظَمَ هذه الأبيات:

تنصّرت بعد الحق عار اللطمة

ولم يكُ فيها لو صبرت لها ضرر

وأدركني فيها لجاج حمية

فبعت بها العين الصّحيحة بالعور

فيا ليت أمّي لم تلدني

ويا ليتني صبرتُ على القول الذي قاله عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة

وكنت أسيرًا في ربيعة أو مضر

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة

أجالس قومي ذاهب السّمع والبصر

أدين بما دانوا به من شريعة

وقد يحبس العود الضّجور على الدّبر

ومن شواهد الكشاف في تفسير الآيتين الكريمتين (اشتروا الضّلالة بالهدى) و(ولا تشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا) من سورة البقرة، أنّ الاشتراء هنا استعارةٌ عن الاستبدال. وقيل إنّ جبلة هو المقصود من هاتين الآيتيْن اللّتين ورد فيهما لفظ اشترى بمعنى الاستبدال:

أخذت باجمة رأسًا أزعرا

وبالثنايا الواضحات الدّردرا

وبالطويل العمر عمرًا جيدرا

كما اشترى المسلم إذا تنصترا.

٤- آسيا امرأة فرعون:

آسيا زوجةُ فرعون، أثنى عليها اللهُ تعالى في قرآنه، والرّسول- ﷺ- في أحاديثه. ولأنّها آمنت بالحقّ تعالى، وبرسله الكرام، وخالفت دعوةَ زوجها للألوهيّة؛ عاقبها فرعون، ولكنّها نجت في النّهاية بعد عذابٍ أليم، وهي التي أنجت سيدنا موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- من شرّ فرعون، وكانت سببًا في ترَعْرعه بإذن الله. فقد أخبر أحدُ الكهنة فرعونَ بأنّه سيولد طفلٌ من بني إسرائيل سيكون سببًا في زوال ملكه؛ لذا أرسل فرعون الجلّادين إلى كلّ الأطراف والأكناف بحثًا عن أيّ طفلٍ يولد من بني إسرائيل، فيقومون بقتله، وبينما كان هؤلاء الجلّادون

يبحثون في كلّ المنازل عن أطفال ذكورٍ من بني إسرائيل ولدوا حديثًا، ولدتْ أمّ موسى سيّدنا موسى عليه السّلام، وأخفتْ خبرَ ولادته لفترة، وبوحيٍ إلهي وضعته في صندوقٍ وألقته في نهر النّيل، وطاف الصّندوق حتّى رسًا أمام قصر فرعون فرأته آسيا امرأة فرعون فأمرتْ بإحضاره وفتحه، ولما عثرتْ على الطّفل أحبّته كثيرًا، وقالت لزوجها فرعون: لا تقتله عسى أنْ ينفعنا أو نتّخذه ولدًا، وقد جلبتْ آسيا الكثيرَ من المرضِعات ليرضعن موسى، ولكنّه- والحكمةِ إلهيّة- لم يقبلْ ثدي أيّة واحدةٍ منهن، حتّى يلحق بأمّه من جديد، فعندما ألقت والدة موسى موسى في اليمّ قالت لأخته: قصّيه؛ أي اقتفي أثرَه، وأخبرتها بأنّ الصندوق توقّف عند قصر فرعون، فذهبت أمّه إلى قصر فرعون وعرضت عليهم أنْ ترضع الطّفل، وبمجرّد أنْ أعطتْ ثديها لموسى رضعَ منها، وظلّت أمّه معه في قصر فرعون كمرضعةٍ له، ونشأ وترعرع في حضن أمّه دون أنْ يشعر أحدٌ من أتباع فرعون. وينقل لنا سيّد المرتضى شارح القاموس تلك القصّةَ الغريبة أيضًا، وهي ولادة المنافق المسمّى (السّامري)- الذي صنع للنّاس عجلًا جسدًا من الذّهب، له خوار؛ ليعبدوه من دون الله، وذلك عندما ذهب موسى- عليه السلام- لمناجاة الله ليوحي له بالتّوراة، في نفس السّنة التي قام فيها فرعون بقتل أطفال بني إسرائيل، وأنّ أمّه أيضًا خافت عليه فأخفته في مغارةٍ جبلية، وأنّ اسمه الأصلي موسى، أمّا السّامري فهو لقبُه، ولكي يقضي الله قدرَه فيه أمرَ جبريلَ بأنْ يعاونه فيما يفعل لإنفاذ قدَر الله، ويشير بعضُ الأساتذة إلى أنّ الأبيات التّالية تشير إلى هذا المعنى.

إذا الطّفل لم يكتب نجيبًا
تخلف اجتهاد مربيه وخاب المؤمل
فموسى الذي ربّاه جبريل كافر
وموسى الذي ربّاه فرعون مرسَل

ومذكورٌ في فصل الأجوبة المسْكِتة في كتاب المستطرف، كهامشٍ على موضوع اتّخاذ العجل؛ أنّ أحدَ يهودِ العرب قال

لعلي بن أبي طالب: «ماذا حدث لكم أيها المسلمون، تقاتلون بعضكم البعض بعد وفاة النّبي بخمسة عشر عامًا؟ فأجابه سيدنا علي: «وماذا حدثَ لكم أنتم أيضًا، قلتُم لموسى (اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) قبل أنْ تجفّ أرجلكم من عبور بحر السّويس»، فبعد أنْ أنجاهم موسى من مصر، مرّوا بديار قوم من العمالقة، وهم قاصدونَ كنعان، ولما رأوهم يعبدون الأصنامَ عبدوها معهم؛ لأنّهم كان لديهم ميلٌ طبيعي لتلك العبادة لعبادتهم الثّور من قبل. وبالتّالي كانت تلك الحادثة مقدّمة تمهيديّة لمادة اتّخاذ العجل التي أحدثها السامري بعد ذلك.

٥- آسيا:

وهي من حفّاظ الحديث، وهي أخت ضياء الدّين المقدسي، وكان أيضًا محدثًا.

آسيا بنت جار الله بن صالح بن أبي المنصور، وهي أيضًا من المحدّثات. كانت من مشايخ الإمام السّيوطي، فقد أخذَ عنها الإمام السيوطي علمَ الحديث، ولدتْ في مكّة عام ٧٩٧هـ، وهي والدة الجمال محمد بن الضياء قاضي مكّة.

٦- آسيا بنت الفرج الجرهمية:

هي سيدةٌ من نساء مكّة في عهد النبوّة، كما أخبرَ بذلك ابنُ الأثير.

٧- آفاقي:

من شاعراتِ الفرس القدامَى. وردت عنها تلك المعلوماتُ في ترجمة السّيدة عائشة حبي بتذكرة عاشق جلبي «كانت شاعرةً قديمة كالشّمس التي سطعتْ في سماء البلاغة والشّعر»، ولم يذكر عنها عاشقٌ جلبي سوى تلك المعلومات فقط.

٨- آلانقو:

وردَ اسمُها في تاريخ منجم باشى صحائف الأخبار، عندما كان يتحدّث عن دول ما قبل الإسلام. كانت من ملوك المغول، وتشتهر بالجمال والحسن، توفّي زوجُها فأصبحت أرملة، ولم يكن لها أبناء، ولأنّه لم يبقَ أحدٌ في الأسرة الحاكمة غيرها تولّتِ الحكومة،

وكانت فترة حكومتِها جيدة. وقد حملتْ وزوجها متوفَّى فشكّ الأهالي فيها، فجمعتهم وأقسمتْ لهم بيمينٍ يقدّرونه بأنّها لم تزنِ، ولم يختلِ بها أحدٌ، وكلّ ما حصل أنّ نورًا هبط من سقف أوطاقها- أي خيمتها- ودخل فمَها، ثمّ إلى بطنها وحينئذٍ زال الشكّ من عند الأهالي، ولما انقضت مدّة الحمل أنجبت ثلاثةَ أبناء، جلس أكبرهم على العرش بعد وفاتها، وكان يدعَى (يوزنجر خان)، وكان معاصرًا لأبي مسلم مؤسّس الدولة العباسية. (ص ٧٢٣. المجلد الأوّل).

٩- آمنة بنت وهب:

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة سيّد بني زهرة، من قبيلة قريش. وهي والدةُ سيّدنا رسول الله ﷺ، كانت تجمع بين فضائل النّسب والأدب بين نساء قبائل قريش. والدتها هي (بره) بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. ووالدة بره (أمّ حبيب) بنت أسد بن عبد العزّى بن قصي، ووالدة أمّ حبيب (بره) بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب. أمّا جدها الأعلى من ناحية الأب فهو زهرة، ولأنّه كان أخًا لقصي بن كلاب جدّ آل هاشم الذين يعدّون من أشراف قريش، فيتّضح بذلك أنّها تشترك مع الرّسول- ﷺ- في النّسب في ثلاثة بطون. ولذلك زوّجها عبدُ المطلب لابنه عبد الله، وزوّج نفسه بهالة بنت وهيب ابنة عمه، وقد أنجبت هالة سيّدنا حمزة، أمّا آمنة فقد أنجبت سيّدنا محمدًا ﷺ. وقد كان عبد الله بن عبد المطلب حسيبًا نسيبًا في قومه، فكان حسنَ المظهر والهيئة، وفوقَ ذلك كان بجبينه نورٌ إلهي، هو ذلك النّور المحمّدي، الذي سيخرج من صلبه، فزاده هذا النّور الذي في جبينه حلاوةً في المنظر لدرجة أنّ نساء قريش كنّ جميعًا يرغبنَه زوجًا لهنّ، بل أنّ منهنّ مَن كنّ يعرضنَ أنفسهنّ عليه، ولأنّه لم يتعلّق سوى بآمنة بنت وهب، لم يتزوّج إلّا بها. وبعد الزفاف انتقل النّورُ

الموجود في جبينِ عبد الله بحكمةٍ إلهيّة إلى جبين آمنة بنت وهب، وقد تكدّرت نساء قريش في ليلة الزّفاف تلك، ومرضْنَ لهذا. ولأنّ (رقيقة) أو (قتيلة) أمّ قتال بنت نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل سمعتْ من أخيها من قبْلُ أنّ نبي آخر الزمانِ سيولَد، وسيكون في جبينِ أبيه نورٌ ملحوظ؛ اشتاقت أمّ قتال لأنْ تكون هي تلك المرأة التي تنجب نبيّ آخر الزمان، فطافتْ بين القبائل والعشائر تبحث عن هذا الرّجل ذي النّور في جبينه بغرض الزّواج منه، ولمّا رأت عبدَ الله بن عبد المطلب علمتْ من العلامة النّورانيّة الموجودة في جبينه أنّه هو المقصود؛ فعرضتْ نفسَها عليه، وفي رواية أخرى أنّ (فاطمة بنت مر الخثعمية) هي التي قامت بعرضِ نفسها على عبدِ الله، وفي كلتا الروايتيْن لم يستجبْ عبدُ الله لها، وقال (إنّ الموت عند أهل العرض والشّرف أهون من فعْلِ الحرام) ونظَمَ تلك الأبيات التي تؤدّي نفس المعنى:

أمّا الحرام فالحمام دونه والحلّ لا حلّ فأستبينه

لكم سعدتْ آمنة بنت وهب بإحرازها هذه المفخرة والميزة التي لم تنلْها أقرانُها وأمثالها. وحملت السّيدة آمنة بسيّد العالمين، وتوفّيت بعد ولادة النّبي ﷺ بستّة أعوام. وكان عمرها عشرينَ عامًا تقريبًا؛ حيث أنّ لفظَ الفتاة المذكور في المرثيّة المنسوبة لطائفةِ الجن التّالية تدلّ على أنّها توفّيت شابّة:

نبكي الفتاة البرّة الأمينة
ذات الجمال العفّة الرّزينة
زوجة عبد الله والقرينة
أمّ نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة
صارت لدى حفرتها رهينة

أمّا عبد الله والدُ النّبي- ﷺ- فقد توفّي وهو في الخامسة والعشرين من عمْره، وكانت آمنة حاملًا في النّبي في شهرها الثاني أو السّادس، ومذكورٌ في

كتاب المواهب اللدنيّة أنّ السّيدة آمنة عند وفاتها أتتْ بالنّبي ﷺ، وأخذتْ تنظرُ إلى وجهه، ونظمت تلك الأبيات:

بارك فيك الله من غلاميا ابن الذي من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام إنصح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث في الأنام تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث في التحقيق والإسلام دين أبيك البر إبراهام

فالله أنهاك عن الأصنام أنت لا تواليها مع الأصنام

و(من) الموجودة في من حومة الحمام متعلقة بالفعل التّالي لها (نجا)، و(حومة) تعني أعظم الشيء وأشدّه خطرًا، و(الحمام) بكسر الحاء الموت، و(المنعام) بكسر الميم صيغةُ مبالغة- أي كثير الإنعام، و(فودى) ماضٍ مجهول من مفاداة، أي العوض والفداء، و(السّهام) المذكورة في الأبيات ليست معناها السّهام الحربيّة، بل هي السّهام التي كانت تُضرب في القداح، وهي المعروفة بالأزلام أي القرعة، و(سوامى) جمع سائمة وهي الإبل التائهة، وهي جمع مقلوب، وأصلُها سوائم. وقد أخبرت في هذا البيت بأنّ الله تعالى أنجا عبدَ الله والدَ النّبي- ﷺ- من الموت بمائةٍ من الإبل، وذلك لأنّ جدّ النبي عبد المطلب رأى في رؤية مكانَ بئر زمزم التي غارتْ منذ فترةٍ طويلة واختفت، وعثر على البئر بالفعل، ولما أراد أنْ يتولّى أمرها بنفسه منفردًا، مانعتْ قريشٌ في ذلك، فنذر لله أنّه لو وفّقه الله في ذلك الأمر فإنّه سيقدّم أحد أبنائه العشرة الذين أحسنَ الله بهم إليه قربانًا لله، ولأنّ أبناءه العشرة كانوا مُطيعين له في ذلك الأمر، فقد استهمَ عليهم، ولما خرج السّهم على عبد الله والدِ النبي اقترح عقلاءُ قريش على عبد المطلب أنْ يفدي ابنَه بعشرةٍ من الإبل، واستهمَ عبد الطلب بين الإبل وابنه فخرج السّهم على ابنه، فزاد عشرةَ إبل، فخرج السّهم على عبد الله، وظلّ يزيد حتّى وصل العدد إلى مائةِ إبل، وحينئذ خرج السّهم على الإبل، ومن ذلك الحين اعتبرت دية الدّم مائةً من الإبل، ولذلك كان يُقال للنّبي- ﷺ- (يا ابن الذّبيحين) أي عبد

الله وإسماعيل، وكلاهما كانا سيُذبحان، ولكنّ الله فداهما. وقصّة ذبح إسماعيل معروفة، وهي من الأدلّة القاطعة على مَن يقولون بأنّ الذّبيح كان إسحاق وليس إسماعيل. انتهى. وبعد أنْ نظمت السّيدة آمنة تلك الأبياتِ قالت لسيّدنا محمد «كلّ حيّ ميّت، وكلّ جديد بالٍ، وكلّ كثيرٍ يفنى، وأنا ميتة وذكري باقٍ، وقد تركتُ خيرًا وولدت طهرًا» ثمّ أسلمتِ الرّوح، وقيل إنّها نظمت مرثيّة عند وفاة زوجها عبد الله قالت فيها:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم
وجاور لحدًا خارجًا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها
وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشيّة راحوا يحملون سريره
تعاوره أصحابه في التزاحم
فإنْ تك غالته المنون وريبها
فقد كان معطاءً كثير التراحم

وبالرّغم من أنّ كلمة (عفا) الموجودة في أوّل بيتٍ تعني الشّيء المندرس، إلّا أنّ وجود قرينة (من) جعلتها بمعنى خال. (البطحاء) هي بطحاء مكة وسمّيت بذلك لوقوعها بين الأخشبين، أي جبل أبي قبيس وجبل الأحمر، ويسكن في هذا الوادي أشرافُ قوم قريش، ويطلقون عليهم لذلك (قريش البطاح)، أمّا القرشيون الذي يقيمون في الخارج فيطلق عليهم (قريش الظواهر)، وقصدت السيدة آمنة من قولها (عفا جانب البطحاء من آل هاشم) أنّ زوجها عبد الله جمع بين شرف الهواشم وشرف البطحاء معًا، وبوفاته خلَتْ ناحية البطحاء من هذا الشّرف، لله درّها.

للشّهاب الخفاجي:

لوالدي طه مقام علي في جنة الخلد ودار الثواب
فقطرة من فضلات له في الجوف تنجي من أليم العذاب
فكيف أرحام له قد غدت حاملة تصلى بنار العقاب

١٠- آمنة امرأة بنت الدمينة:

زوجةُ الشّاعر ابن الدّمينة. كانت من أرباب الشّعر والفصاحة، ولأنّها كانت تحبّ زوجها قبل زواجِها منه، فقد

دارت بينهما محاوراتٌ شعرية، والأبياتُ التّالية نظمتها آمنة لابن دمينة في أحد المجالس:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني
وأشمتّ بي مَن كان فيك يلوم
وأبرزتني للنّاس ثمّ تركتني
لهم غرضـًا أُرمى وأنت سليم
فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا
بجسمي من قول الوشاة كلوم

ولها بخلاف ذلك أبياتٌ أخرى في كتاب (تزيين الأسواق) و(الأغاني) من أجملها تلك الأبيات:

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي
فهلّا صرمت الحبل إذا أنا أبصر
ولي من قوّة الحبل الذي قد قطعته
نصيب ولي رأي وعقل موفر
ولكنما أذنت بالصرم بغتة ولست
على مثل الذي جئت أقدر

وابنُ الدّمينة شاعرٌ مشهور يدْعَى عبد الله بن عبيد الله، من شعراء صدر الإسلام، أمّا دمينة فهو اسمُ والدته، كانت زوجتُه القديمة امرأة باغية تدعَى (حماة)، ولأنّ آمنة تزوّجت ابن دمينة وأخذته منها، فقد تقاتلتِ الاثنتان عليه بعد ذلك، وسيستدلّ على ذلك من ترجمة (أما ابان) الواردة فيما بعد. وتُظهر بعض الكتب آمنة تلك باسم (أميمة).

١١- آمنة بنت الدمهوجي المحلي:

ابنة شرف الدين موسى بن أحمد بن محمد الأنصاري الدمهوجي المحلي، من أعيان العلماء، من المحدّثات، وهي من مشايخ الإمام السّيوطي؛ حيث أخذَ عنها علمَ الحديث، وقد ورد ذكرُها في كتاب المنجم في المعجم، والمحلّة التي تنتسب إليها بلدةٌ من بلدان مصر.

١٢- آمنة الرملية:

كانت من نساء عام ٢٠٠ هـ، اشتهرت بالصّلاح والتقوى والفيوضات والكرامات، وكان بِشْر بن الحارث- وهو من الأولياء الكرام- يذهب لزيارتها، ومذكورٌ في كتاب طبقات الشعراني أنّ بشر بن الحارث كان قد

أصابه المرض فذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل لعيادته، وصادف هناك آمنة المذكورة وكانت قد ذهبت أيضًا لعيادة بشر، فدعا لها الإمام أحمدُ بالخير. والرّملة التي تنتسب إليها إحدى إيالات الشّام.

وبخلاف ذلك توجد عدّة نساء باسم آمنة هنّ: آمنة بنت الأرقم، وآمنة بنت خلف الأسلمية، وآمنة بنت رقيش، وآمنة بنت سعد، وآمنة بنت أبي الصّلت، وآمنة بنت عفان، وآمنة بنت قيس، وكلهنّ صحابيّات. وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني أنّ اسمَ السيدة سكينة الآتية الترجمة هو آمنة أيضًا.

١٣- آنى فاطمة خاتون:

من أديبات استانبول، من آل حسن جان، شاعرة معروفة من نسْل خوجه سعد الدين حسن جان صاحب كتاب تاج التّواريخ. ساقها القدر للزّواج من شخص يدعَى أمير أغا، أنجبت منه ابنها الّذي لازمته في التّعليم حتّى وصل إلى درجة التّدريس، ثمّ رقّي في المناصب حتّى وصل إلى درجة القضاء، وأصبح قاضيًا على يكيشهر، ولأنّه حمل والدته معه إلى يكيشهر فقد توفّيت المشارُ إليها هناك عام ١١٢٢، ومذكورٌ في تذاكر الشّعراء أنّ لها ديوانًا مرتّبًا، وقد نقل أصحابُ التّذاكر بعض الأبيات من أشعارها ننقل منها هذا البيت:

رأيت خيالك في صحن بستاني
فتفتّحت زهور الأرغوان في صدري

ومذكورٌ في كتب التّذاكر أنه يوجد العديد من شعراء الرّوم الذكور باسْم آنى أيضًا.

١٤- ابسال:

هي امرأةٌ خياليّة قصّتُها مصطنعة أشارَ إليها ابنُ سينا في فصل (مقامات العارفين) في أواخر كتابه (الإشارات) تحتَ اسم (قصّة سلامان وابسال) وقد شرحها المحقّق الطوسي، وذكر أنّها من الحكايات المصْطنعة. والقصّة المذكورة من رموز الأوائل أي من إشارات الحكماء القدامى، ولها حلّ في مادة (م ر ت) في ترجمة القاموس، وبمشيئةِ الله

تعالى سيفصّل القول فيها تحت عنوان (زهرة).

١٥- ابنة الخس:

ابنةُ الخسّ بن حابس الأيادي بضمّ الخاء المعجمة، وتشديد السّين. من دواهي وحكيمات فتيات العرب في الجاهلية، ويُنقل عنها الكثير من الكلماتِ المسجوعة والمعقولة التي تُقال على سبيل ضرب الأمثال، اسمُها الأصلي هند، وسنتناولها بإذن الله تعالى في حرف الهاء، وسنورد بعضَ كلماتها المسجوعة التي لا تخالف الأدب، وقد وردت عبارة لها في رسالةِ ابن زيدون، وهي (ومتى كثر تلاقينا واتّصل ترائينا فيدعوني إليك ما دعا ابنة الخس إلى عبدها من طول السّواد وقرب الوساد)، وسببُ قولها تلك العبارة أنّ أباها منعَها من الزواج، فأحبّت المرأةُ عبدَها، وفعلت معه الفاحشة، ولما سألوها لماذا ارتكبتِ تلك الفاحشة مع عبدِك؟ أجابت (قرب الوساد وطول السّواد وحبّ الفساد).

وقد وردت الآيةُ الكريمة في سورة الأحزاب بمنع تكلّم النّساء بلا داعٍ مع الرّجال الأجانب، وإنْ دعتِ الحاجةُ إلى ذلك فليكنْ ذلك من وراء حجاب وبخفْضِ الصّوت حتّى لا يطمع الذي في قلبه مرض. وعلى هذا المنوال كان لابنة الخُس الكثير من الأسجاع، والقليلُ من الأشعار، ومن أشعارها التي نظمتْها تتحسّر فيها من العزوبة وعدم زواجها:

أشم كنصل السيف جعد مرجل
شغفت به لو كان شيء مدانيا
وأقسم لو خيّرت بين لقائه
وبين أبي لاخترت أنْ لا أبا ليا

وقد كان لها ذكاءٌ فطريّ جعلها تتجرأ على محاورة الرّجال ومحاجاتهم في الشّعر، أي تدخلِ معهم فيما يشبه المسابقة في الشّعر، وذُكر في كتاب (سرح العيون) أنّه ذات يوم طلب منها أحدُ الرّجال أنْ تنظم مبتدئة بكلمة (عجبت)، فقالت ابنةُ الخُس (عجبت للسبخة لا يجفّ ثراها ولا ينبت مرعاها)، وفي

الثانية قالت (عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها)، ولما همّت بقول الثالثة (عجبت) أدركها الرجل، وقال لها (عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يملأ حفرها ولا يدرك قعرها). ولم تستطعْ ابنة الخسّ أنْ تتكلّم، ومن بعدها لم تُنازِل الرّجالَ في السّجع أو الشّعر مرّة أخرى. والبعض يقول بأنّها كانت معاصرةً لعهد النّعمان بن المنذر مستدلّين ببيت الفرزدق:

وفـيـت بعـهد كان منـك تـكرمًا
كما لابـنة الـخـسّ الأيادي وفت هند

وادّعوا أنّها كانت مظهرًا لكرم هند ابنة النّعمان بن المنذر، إلّا أنّ ابن نباتة المصري ذكر في شرح العيون لرسالة ابن زيدون أنّها عاشت في عهد الجاهليّة القديمة، وأنّها كانت معاصرة لقلمس؛ أحدِ حكماء العرب القدامى، حتّى أنّها ذهبت إلى قلمس لمناقشة أدبيّة بينها وبين أخته (جمعه) وامتدحته بعدّة أبياتٍ نورد منها:

إذا الله جـــازى محـــسنًـــا بوفائـه
فجازاك عنّـي يـا قـلـمـس بالكــرم

أمّا هند المذكورة في بيت الفرزدق فلم يقصد بها هند ابنة النعمان بن المنذر، بل قُصدَ بها هند بنت الخسّ صاحبة التّرجمة لوفائها لجمعه أخت قلمس. انتهى. وما يلفت الانتباه هنا أنّ جمعه ليست أخت ابنة الخُس؛ لأنّه ورد في القاموس أنّ جمعه ليست ابنة الخسّ بل هي ابنة حابس الأيادي، وعلى رأي آخر أنّها إمّا أنْ تكون منتسبةً للعمالقة أو تكون إيادية.

على أيّ حال بقي أنْ نقول إنّ كلمة (ابنة) المذكورة في تلك المادّة، أو المذكورة في عدّة أسماء بعد ذلك هي المؤنّث لكلمة ابن، حتّى أنّها تستخدم على سبيل الكناية للجواري بكثرة، فيقال للبنت (اقعدي أو قومي يا ابنة). وقد غلب لفظُ ابنة على الاسم الأصلي لصاحبةِ التّرجمة. وقد وردَ هذا الاسم خطأً في النسخ المطبوعةِ من محاضرات راغب باسم (ابنة الحسن).

١٦- ابنة السلام:

هي السّيدة المحدّثة أمّ الفتح، من مشاهير نساء القرن السّادس، ستأتي ترجمتُها لاحقًا.

١٧- ابنة عقيل:

ابنةُ عقيل بن أبي طالب، الأخ الأكبر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، من فُصَحاء نساء آل هاشم. وتتّضح فصاحتُها ودرجةُ فضلها من تلك الأبيات التي نظمتها في هجاءِ يزيد وأعوانه عندما خرجت مع نساء بني هاشم من المدينة لاستقبال السّادات العائدين إلى المدينة في حالةٍ يرثى لها بعد حادثة كربلاء:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم
أساري وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
إنْ تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقالت أيضًا على سبيل التقريع:

أترجو أمّة قتلت حسينًا
شفاعة جدّه يوم الحساب

وقد ذُكرتْ تلك الأبيات المذكورة كما هي في تاريخ الكامل والمختصر وتتمّة المختصر وبعض الكتب المعْتَبرة الأخرى ونُسبت إلى ابنة عقيل. أمّا تاريخ الطبري فينسبها إلى أمّ كلثوم بنت حسينة، أمّا طبقات الشّعراني فينسبُها إلى الستّ زينب أخت الحسين الآتية التّرجمة فيما بعد، وبعض الكتّاب ينسبونها إلى الستّ سكينة.

١٨- ابنة غيلان:

هي الصّحابيّة (بادية بنت غيلان) الآتية التّرجمة، ابنة شخص يدْعى غيلان بن سلمة من قبيلة بني ثقيف. اشتهرت بين صحابيّات عصر النبوة بالسّمنة والجمال والتزيّن، ولم تكنْ في تلك الأوقات من تلك النّسوة من هي أكثر زينة من فارعة بنت عقيل الثّقفية. فقد كانت كلّ النساء تحسدهنّ وتغبطهنّ على زينتهن. وقد اشتهرتْ صاحبةُ التّرجمة ابنة غيلان بالسّمنة المفرطة، وكان يُقال لها (إذا جلستْ تبنّت) أي كانت كالبناء المبنيّ. وعلى حسب تعْبير المرحوم عاصم مترجم القاموس التّركي أنّها كانت تشبه خيمةَ القبة إذا جلست، (لفرط سمنتها وكبر

حجم أردافها وفخذيها). وهي أيضًا ابنة غيلان التي قصدتها أمّ المؤمنين أمّ سلمة في حديثها لأخيها عبد الله بن أميّة لحثّه على الزّواج بها، عندما همّ المخنّث (هيت) بفتح الطائف، حيث قالت له (إذا فتحتُمُ الطائف فعليك بابنةِ غيلان إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثماني). وقد كان هيت المذكور مخنّثًا، وأصبح مضربَ الأمثال في التصرّفات غير الرّجوليّة، فيُقال (أخنث من هيت). وقد ذُكر في تاريخ الكامل نصّ إفادة أمّ المؤمنين لعبد الله بن أميّة وكان على ما يلي «إنْ فتح اللهُ عليكم الطائف فسَلْ رسولَ الله أنْ ينفلك بادية بنت غيلان فإنّها هيفاء شموع نجلاء، إنْ تكلّمت تغنّت وإنْ قامت تثنّت، وإنْ مشت ارتجّت، وإنْ قعدت تبنّت، تقبل بأربع وتدبر بثماني، بثغر الأقحوان بين رجليها كالقعب المكفاء» انتهى. شموع هي اللّطيفة الطّبع والمشرب، قعب أي القدر، المكفاء أي المكفي وهي صفة للقدر، والمقصود أنها ذكرت لأخيها صفات ابنة غيلان الحسنة لكي يطلب من رسول الله أنْ يجعلها في حصّته من الغنيمة.

١٩ - ابنة كلمن:

سيدةٌ مجهولة الاسم، صاحبة فصاحة عربيّة فطريّة. والدها اسمه (كلمن) وهي الكلمة الرابعة من الكلمات التي تحوي حروف الأبجديّة العربية. ومسطورٌ في القاموس أنّ تلك الكلمات وهي أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرشت؛ إنّها كانت في الأصل أسماء ستّة حكام من أهل مدين من قوم شعيب عليه السّلام، وكان كلمن رئيسَهم جميعًا، وعندما حلّ العذاب بقوم شعيب وهلكوا جميعًا، نظمتْ ابنة كلمن هذه مرثيّةً في وفاة والدها، فقالت:

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه الحيف نارًا وسط ظلّه

جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة

أمّا صاحب كتاب (ألف باء) فقد أورد أنّ السّيدة المذكورة لم تكنْ ابنة كلمن؛ بل هي أخته، وذكر الأبيات المذكورة على شكل (ابن أمّي هدم ركني).

وقد وضع الأسلاف في بادئ الأمر حروفَ الكتابة العربيّة على عددِ حروف أسماء حكّام مدين. ولمّا وضعت (ثخذ) و(ضظغ) بعد ذلك سمّيت تلك الأحرف السّتة أحرف الرديف.

ومذكورٌ في كتاب تاج العروس لشرح القاموس أنّ عمر بن الخطاب صادف أعرابيًا ذات يوم فسأله هل تقرأ القرآن الكريم جيدًا، فأجاب الأعرابي نعم، فقال عمر إذًا اقرأ فاتحةَ الكتاب، فقال الأعرابي: «والله ما أحسن البنات فكيف الأمّ» وأظهر بذلك جهلَه وعدم معرفته بالقراءة والكتابة، فوبّخه عمر بن الخطاب، وأرسله إلى مَن يعرفون القراءة والكتابة ليتعلّم منهم، وبعد أنْ ظلّ عندهم فترةً نظم تلك الأبيات موضّحًا بها حالَه:

أتيت مهاجرين فعلّموني
ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رق صحيح
وآيات القرآن مفصّلات
فخطوا لي أبا جاد وقالوا
تعلّم سعفصا وقريشات
وما أنا والكتابة والتهجّي
وما حظ البنين من البنات

وأبا جاد المذكور اسمٌ مختصر من أبي جاد التي يعبّر بها عن الأبجديّة العربية.

٢٠- أخت حازوق:

أختُ حازوق الخارجي، كانت لها قريحة صحيحةٌ في نظم الشّعر، وقد نظمت مرثيّة في وفاة أخيها، غيّرت فيها اسمه من حازوق إلى حزاق للضّرورة الشّعرية:

أقلب عيني في الفوارس لا أرى
حزاقًا وعيني كالحجاة من القطر
حجاة بمعنى الأحباب

٢١- أخت المقصص الباهلية:

فتاةٌ عربيّة شاعرة، أختُ شخصٍ يدعى مقصص من قبيلة باهلة العربية، وتعتبر مرثيّتها التي نظمتْها في وفاة أخيها من مُنتخبات باب المراثي في ديوان الحماسة:

يا طول يومي بالكليب فلم تكد
شمس الظهيرة تتقى بحجاب
ومرجم عنك الظّنون رأيته
وراك قبل تأمل المرتاب
قافأت ادما كالهضاب وجاملا

قد عدن مثل علائف المقضاب
لكم المقصص لا لنا إنّ أنتم
لم يأتكم قوم ذوو أحساب
فكه إلى جنب الخوان إذا غدت
نكباء تقلع ثابت الأطناب
وأبو اليتامى يبتون ببابه
نبت الفراخ بكالئ معشاب

ويستدلّ من تلك الأبيات على أنّ أخاها المقصص قُتل على يدِ جماعة بني منقذ أيام ابن الزبير.

(ديوان الحماسة) هو ديوان بلاغيّ مرتّب على عشرة أبواب يضمّ منتخبات أبي تمام حبيب بن أوس الطّائي من مشاهير شعراء أوائل عام ٢٠٠ هـ. وقد اشتهرَ هذا الدّيوان باسم باب الأولى، والباب الأوّل به عبارةٌ عن أشعار عربيّة تتعلّق بالحماسة والشجاعة. وبالرّغم من وجود ديوان مماثلٍ لهذا الديوان في الاسْم والمنتخبات للبحتري، إلّا أنّه لم يشتهر مثل ديوان الطّائي، وذلك لأنّ البحتري قلّد الطائي، ولذلك عندما يقال (بيت حماسي) أو (كقول الحماسي) يتبادر إلى الذّهن على الفور المجموعة التي تنسبَ إلى أبي تمام الطائي. وعندما يقال (حماسي) فقط يُفهم أنّ هذا المقصود به واحدٌ من الشعراء الذين لهم أشعار في المجموعة، أمّا (البيت الحماسي) فيعبّر به عن أحد الأبيات التي تشتمل عليها المجموعة المذكورة.

٢٢- أرسلان خاتون:

هي خديجة السّلجوقيّة الآتية التّرجمة لاحقًا، ابنةُ أخ ركن الدّولة طغرل بك من سلاجقة العراق، تزوّجت عام ٤٤٨هـ في بغداد بالخليفة العباسي السّادس والعشرين القائم بأمر الله بن القادر بالله العباسي. وسيفصل فيها القول بإذن الله في حرف الخاء.

٢٣- أرنواز:

هي أختُ جمشيد شاه من ملوك الفرس القُدامى، وكان لها أختٌ أخرى تسمّى (شهر ناز)، تزوّجت الأختان برجل يدْعى الضّحاك، وبعد وفاته انتقلتا إلى فريدون شاه.

وقد كان الجمعُ بين الأختين جاريًا في السّلف، ولكنّه حرّم في الإسلام بالنّص القرآني (وأن تجمعوا بين الأختين)، فبالرّغم من أنّ ديننا الحنيف سمحَ للرّجل بتزوّج أربع من النساء إلّا أنّه لا يحلّ له الجمعُ بين الأختين، وبالرّغم من أنّه يمكن له الجمع بين الأختين من الجواري، إلّا أنه لا يحلّ له أنْ يجمع بينهما في غرفةٍ واحدة. تلك حدود الله فلا تقربوها.

٢٤- أروى بنت الحارث:

ابنةُ الحارث بن عبد المطلب، صحابيّة، ابنة عمّ الرّسول ﷺ. وقد أورد أبو الفدا في تاريخه ما يلي عندما كان يتحدّث عن حلم معاوية: «كانت أروى بنت الحارث عجوزًا مسنًّا، وذهبت إلى معاوية، ولمّا دخلت عليه قال لها معاوية مرحبًا يا خالة، كيف حالك؟ فأجابت أروى: بخير والحمد لله يا ابنَ أخت، ولكنّك كفرت نعمتك، وأسأت لابن عمّك، وسمّيت الخلافة باسمِك وأنتَ لست أهلًا لها، واغتصبتَ ما ليس لك، ونحن آل البيت شرّفنا اللهُ ورفع منزلتَنا على سائر الناس بسعي النّبي ومنزلته الرّفيعة وتحمُّلنا للبلاء، ومنذ أنْ قُبض النّبي- ﷺ- هجمتْ علينا تيمُ وعدي وأميّة، وانتزعوا منّا حقوقنا، وأصبحتم ولاةً علينا، وأصبحْنا فيكم كبني إسرائيل في آل فرعون، أمّا عليٌّ- كرم الله وجهه- فقد أصبح بعد وفاة النّبي كمنزلة موسى لهارون عليهما السّلام. وحينئذ قاطعَها عمرو بن العاص قائلًا لها «كفّي عن الكلام أيّها العجوز الضّالة. فلم يعدْ عندك عقل»، فقالت له أروى: أنتَ الذي تتكلّم يا ابنَ النّابغة، لقد كانت أمّك من أشهر النّساء في مكّة، وأرخصهم أجرًا»، وعندما ولدتْ أتى خمسةُ نفرٍ من قريش وادّعى كلّ واحدٍ منهم أنّكَ ابنه، فلما سُئلت والدتُك عن ذلك، قالت بأنّ الخمسة جامعوها، وهي لا تعرف مَن والدك، وقالت انظروا إلى الولدِ أيّهما أقرب شبهٍ له من الرّجال فيكون أباه، فلمّا غلب شبهُك على العاص بن وائل؛ ألحقْتَ به»، فقال لها معاوية «عفا اللهُ عمّا سلف يا خالة، ما

حاجتُك؟ فقالت: أريد ألفي دينار ذهبٍ لأشتري بها عينَ خراره في أرض خواره لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب، وأريد ألفَيْن مثلهما لأزوّج فقراء بني الحارث بن عبد المطلب، وأريد مثلهما لأستعينَ بهما على حاجاتي»، فأعطاها معاوية ما طلبت، وذهب.

وهذا هو ما ذكره أبو الفدا في تاريخه، أمّا المرحوم لبيب أفندي فذكر في كتابه (الجواهر الملتقطة) أنّ مروانَ بن الحكم كان حاضرًا في هذا المجلس، واحتدّ بعد أنْ سمع كلامَ أروى بنت الحارث، وقال لها «ويْحك أيّها العجوز، كفّي عن هذا الكلام، وقولي ماذا تريدين؟ فقالت له أروى: أنت أيضًا يا ابنَ الزّرقاء تريد التكلّم مثل عمرو بن العاص، إنّ الزّرقة التي في عينيْك والحمرةَ التي في شَعْرك وقامتك القصيرة وشكلك يقول إنّك ابنُ عبد الحارث بن كلدة لأنّك تشبهه، ولا تشبه الحكَمَ بالمرّة، فأنا أعرفُ الحكَم كان مبسوطَ الشّعْر ظاهرَ الأدمة مديدَ القامة، اذهبْ أنت أيضًا إلى والدتك واسألها مَن والدك فستخبرُك. ثمّ التفت إلى معاوية وقال له «والله يا معاوية أنتَ الذي جرأتني على قول هذا الكلام لهم، فعندما قتلتْ أمّك هند ابن عمّي حمزة- رضي الله عنه- نظمتُ بعضَ الأبيات، فردّت عليها خالتي أروى بنت عبد المطلب بهذا الجواب، وسنذكرُ تلك الأبيات كاملة في ترجمتنا لهند بنت أثاثة، ثمّ قال لها معاوية: عفا الله عمّا سلف يا خالة، ما حاجتك؟ فقالت أروى: ليست لي حاجة. ثمّ نهضت من المجلس، وعندما همّت بالرّحيل نظرت إلى معاوية وعمرو ومروان، وقالت لهم «أفّ لكم، لقد كنتم سببًا في أنْ أسمعكم هذا الكلام»، فأحضرها معاوية إلى المجلس مرّة أخرى، وقال لها: يا خالة، ما حاجتك؟ فقالت له: أريد ألفي دينار ذهب،... إلخ»، وعندما أعطاها معاوية المال قال لها «لو أنّ عليًا مكاني الآن لما أعطاك هذا المال»، فبكتْ أروى بكاءً شديدًا، وقالت له: لقد ذكرتني بعلي، وقالت الأبيات التي تبدأ ببيت (ألا يا عين ويحك أسعدينا) فقال لها معاوية:

والله علي كما مدحته بل وأزيد، كان سيُعطي أروى ما تطلبه». والأبياتُ المذكورة المنسوبة إلى أروى بنت عبد المطلب إنّما هي منسوبةٌ لهند بنت أثاثة، كما ورد في كتاب (أسد الغابة)، وكما سنرى في المجلّد الثّاني في الكلام عن هند بنت أثاثة، أمّا البيت الذي يقول ألا يا عين ويحك أسْعدينا؛ فالصّحيح أنه لأبي الأسود الدّؤلي، وسنورد تلك الأبيات بأكملها في ترجمة أمّ الهيثم لاحقًا. وتوجد حكاية مماثلة لتلك الحكاية سنوردها في ترجمة (نابغة بنت حرملة) في حرف النون.

٢٥- أروى بنت عبد المطلب:

ابنةُ عبد المطلب جدّ النّبي ﷺ، وعمّة الرسول، صاحبة طبيعة شعريّة. نظمتْ تلك الأبيات كمرثيّة لوالدها عبدالمطلب:

بكت عيني وحق لها البكاء
على سمح سجية الحياء
على سهل الخليقة أبطحي
كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي
أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي
أغرّ كأنّ غرته ضياء
أقب الكشح أروع ذي فضول
له المجد المقدم والثناء
أبي الضيم أبلج هبزري
قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر
وفاصلها إذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرمًا وجودًا
وبأسًا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى
كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدمًا بذي رأي
حسيب عليه حين تبصره البهاء

ووردَ في سيرة ابن هشام ومسامرات محيي الدّين أنّ تلك المرثيّة نظمتها أروى قبل وفاة أبيها، لأنّ عبد المطلب وهو في مرض الموت دعا بناته، وكنّ: أروى وأم حكيم البيضاء وأميمة وبره

وصفيّة وعاتكة، وقال لهنّ: أريد أنْ أسمع منكنّ المرثيّات التي ستنظمْنَها بعد وفاتي، فقالت أروى تلك الأبيات المذكورة، أمّا المرثيات التي نظمتها بقيّة أخواتها فسنذكرها في مواضعها بمشيئة الله تعالى:

ويذكرُ ابنُ الأثير أنّ أروى كان اسم أربع من الصّحابيات، أوّلهنّ أروى بنت كريز وهي والدة سيدنا عثمان بن عفان والصّحابي وليد بن عقبة، لذا كانَ يُقال للمشار إليها (ابن أروى)، ثانيهنّ أروى بنت أمّ حكيم البيضاء ابنة عبد المطلب، وأروى صاحبة الترجمة خالتها، ثالثهنّ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب، وهي ابنة عمّ أروى صاحبة الترجمة، ورابعهنّ أروى بنت أنيس الصّحابيّة، وورد في الصّفحة رقم ٦٠٠ في كتاب الجواهر الملتقطة أنّها عميتْ بدعاء سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، وسقطت في بئر وتوفّيت. والبيت القائل:

داينت أروى والدّيون تقضى فطالت بعضها
وأدّت بعضـه الرؤيـة بـنت العـجاج

كما ذُكر اسمُ امرأة أخرى تدْعى أبيلى في بيت آخر:

وضحكت مني إبيلى عجبًا لما رأتني بعد لين جابا

وأروى هو الاسمُ الصّريح أيضًا لأمّ موسى الآتية الترجمة.

٢٦- أزرميد خد:

ابنةُ الخبيث المسمّى خسرو برويز، من أكاسرة العجم القدامى، وقد أرسلَ له الرسول- ﷺ- رسالةً يدعوه فيها إلى التوحيد والإسلام، ولكنّه رفضها. تولّت الحكم ستة أشهر ثمّ قُتلت، وكما كانت ملكة على إقليم إيران، كانت أيضًا ملكةً على الجميلات، وقد أرسل لها والي خراسان في ذلك الوقت (فرخ هرمز) يطلب منها الزّواج، فأعدّت حيلة للقضاء عليه فأرسلت إليه تقول لن يتزوّجني أحدٌ إلّا بعد أنْ يقضي معي ليلة، وعندما ذهب إليها الرّجلُ قتلته، ولمّا سمع ابنه رستم- وكان نائبًا لأبيه في خراسان- بمقتل أبيه جهّز الجنود وسارَ إلى أزرميد خد، وقضى عليها.

ورستم هذا هو الحاكمُ الذي تحارب مع جيش المسلمين في معركة القادسيّة في عهد عمر بن الخطاب، وقُتل على يد الصّحابي هلال بن علفة رضي الله عنه؛ حيث أمسكَ به من قدمِه وألقى به على الأرض فمات، فصعدَ هلال إلى عرشه ونادى «قتلت رستم وحقّ ربّ الكعبة».

٢٧- أسماء بنت أبي بكر:

هي أسماءُ بنت أبي بكر الصّديق-رضي الله عنهما-، ذاتُ النّطاقين، الابنة الكبرى لأبي بكر، وأخت السيدة عائشة لأبيها، والدتها هي قيلة، وعلى رواية قتيلة بنت عبد العزّى، كانت متزوّجة من الزبير بن العوّام أحدِ المبشّرين بالجنّة، وهي التي أنجبت البطلَ الشّهيد سعيد عبد الله بن الزبير الذي استشهد في مكّة عام ٧٣هـ بعد هزيمته على يد الحجّاج الظالم، حيث ذهب الحَجّاجُ الظّالم إلى مكّة المكرمة للتنكيل بسعيد عبد الله بن الزبير بأمرٍ من عبد الملك بن مروان الذي تولّى الخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية، واستمرّت خلافته ٩ سنوات، حاصر الحجّاج مكة وضربَ البيت الحرام بالمنجنيق من فوقِ جبل أبي قُبيس، وقد ذهب إليها ابنُها سعيد ليستشيرها في قبول الأمانِ أمْ لا، فأجابت عليه بإجابةٍ تدلّ على متانة عقلِها وقوّة قلبها وصبرها وصلاحها وتدينها رضي الله عنها؛ لذا رأينا من المناسب درجُ هذا الرّد هنا.

حاصر الحجّاج مكة، واحتمى ابنُ الزبير وأهل البيت وما يقرب من عشرة آلاف من أهالي مكة في البيتِ الحرام، واشتدّ الحصار وانتشرت المجاعة، وضاق النّاسُ ذرعًا بهذا الحصار، فذهب كثيرٌ من النّاس إلى الحجاج يطلبون منه الأمان، حتّى أنّ اثنين من أبناء عبد الله بن الزبير وهما (حمزة) و(خبيب) اضطرّا لترك والدِهما وذهبا إلى الحجّاج يطلبان منه الأمان، ولم يبقَ مع عبد الله بن الزبير سوى ولدٍ له يدعَى الزّبير، وأمّه أسماء، وشرذمة قليلة من الناس، فذهب ابنُ الزبير إلى أمّه، وقال لها: «يا أمّ.. خذلني النّاسُ حتّى ولدي وأهلي فلم يبقَ معي إلّا اليسير.

ومن ليس عنده من الدّفع أكثر من صبر ساعة.. والقومُ يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت:

أنت والله يا بنيّ أعلمُ بنفسك، إنْ كنت تعلمُ أنّك على حقّ، وإليه تدعو؛ فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابُك، ولا تمكّنَ من رقبتك تلعب بها غلمان بني أميّة، وإنْ كنت إنّما أردتَ الدنيا؛ فبئس العبدُ أنت، أهلكتَ نفسك، وأهلكت مَن قُتل معك، وإنْ قلت كنتُ على حقّ، فلما وهنَ أصحابي ضعفت؛ فهذا ليس فعلَ الأحرار ولا أهل الدّين، وكم خلودُك في الدّنيا، القتل أحسن. فقال لها: يا أمّ، أخاف أنْ يعذبّني الشاميّون ويصلبوني، فقالت له أمّه: يا بني «وهلْ يضيرُ الشّاةَ سلخُها بعد ذبحها» يا بني استعنْ بالله. فدنا ابنُ الزبير فقبّل رأسَها وقال: هذا والله رأيي، ولكنّي أحببتُ أنْ أعلم رأيك، فزدْتني بصيرة مع بصيرتي. فانظري يا أمّ فإنّي مقتولٌ من يومي هذا، فلا يشتدّ حزنك.

وسلّمي الأمرَ لله، فإنّ ابنك لم يتعمّد إتيانَ منكر.. ولا عمل بفاحشة.. ولم يجُرْ في حكم الله.. ولم يغدرْ في أمان.. ولم يتعمّد ظلمَ مُسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلمٌ عن عمّالي فرضيتُ به.. بل أنكرتُه ولم يكنْ شيء آثر عندي من رضا ربي. اللّهم إنّي لا أقول هذا تزكية منّي لنفسي، أنتِ أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمّي لتسلو عنّي. قالت أمّه: إنّي لأرجو من الله أنْ يكون عزائي فيك حسنًا إنْ تقدّمتني، وإن تقدّمتك ففي نفسي، اخرج حتّى أنظرَ إلى ما يصير أمرُك. قال: جزاكِ الله يا أمّ خيرًا.. فلا تَدَعي الدّعاء لي.. قبلُ وبعد، قالت: لا أدعُه أبدًا فمَن قتل على باطل.. فقد قتلت على حقّ، ثمّ قالت: اللّهم ارحم طولَ ذلك القيام في اللّيل الطويل وذلك النّحيب والظّمأ في هواجر المدينة ومكّة وبرّه بأبيه وأمّه، اللّهم قد سلّمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيت فأثبني في عبد الله ثوابَ الصابرين الشّاكرين. دخل ابن الزبير على أمّه وعليه الدّرع والمغفر، فوقف فسلّم.. ثمّ دنا فتناول يدَها فقبّلها، فقالت: هذا وداعٌ فلا تبعد. قال: جئت مودّعًا، إنّي لأرى

هذا آخرَ يوم من الدنيا يمرّ بي، واعلمي يا أمّ.. إنّني إنْ قُتلت فإنّما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي. قالت: صدقتَ يا بني أتمم على بصيرتك.. ولا تمكّن ابنَ أبي عقيل منك، وادنُ منّي أودّعك. فدنا منها فقبّلها وعانقها، قالت حيث مسّت الدّرع: ما هذا صنيعُ مَن يريد ما تريد: قال: ما لبست هذا الدرع إلّا لأشدّ منك. قالت أسماء: فإنّه لا يشدّ منّي، فنزعها.. ثمّ أدرج كمّيه.. وشدّ أسفل قميصه وجبة خزّ تحتَ القميص فأدخل أسفلها في المنطقة، وأمّه تقول: البسْ ثيابك مشمّرة. ثمّ انصرف ابنُ الزبير وهو يقول: إنّي إذًا أعرف يومي أصبر، وإنّما يعرف يومه الحرّ إذ بعضهم يعرف ثمّ ينكر. فسمعتْ أسماء قوله فقالت «تصبرّ والله إنْ شاء الله، أبوك أبو بكر والزّبير، وأمّك صفيّة بنت عبد المطلب»، وبعد قتالٍ عنيف عاد ابنُ الزبير وصلّى ركعتين في مقام إبراهيم، ثمّ استُشهد في هذا اليوم، وكان الثلاثاء من شهر جمادى الآخرة، وكان عمره ٧٣ عامًا، وقد ابتهج الشّاميون لمقتله وكبّروا، فقال عبد الله بن عمرو «انظروا إلى هؤلاء الرّجال فرحوا وكبّروا عند ميلاد هذا الرّجل، وفرحوا وكبروا عند مقتله»، وذلك لأنّ المشار إليه كان أوّل ذريّة المسلمين المهاجرين، وقد ابتهجَ المؤمنون بمولده؛ لأنّ اليهود كانوا يقولون لن يكونَ للمسلمين ذريّة في المدينة، وقد أرسل الحجّاج رأسه إلى عبد الملك في الشام، أمّا جسدُه فدُفن في مقابر حجون على يمين جبل مكّة، وبالرّغم من أنّ أسماء طلبت جثّته لتدفنها إلّا أنّ الحجّاج لم يوافق، فقد كان الظّالم ينتظر منها أنْ ترجوه، ولكنّها- رضي الله عنها- لم تفعل ذلك. وقد وصل الأمر من عبد الملك بأنْ يمتثل الحجّاجُ لطلب أسماء فأعطاها جثّةَ ابن الزبير، فغسّلتها ودفنتها في مقابر حجون بمكة. ثمّ توفّيت أسماء بعدها عن عمْر يناهز المائة عام، وبالرّغم من أنّه قيل أنّ جثمان ابن الزّبير صُلب عامين إلّا أنّ هذا يعدّ من قبيل الأكاذيب لمن طالعَ كتبَ التاريخ والسير. وورد في صحيح مسلم أنّ جسدَ ابن الزبير ألقيَ في مقابر

اليهود، وأنّ أمّه لم تعش كثيرًا بعد تلك الحادثة».

٢٨- أسماء بنت عبد الله:

هي أسماء قائلةُ (لا عطرَ بعد عروس) الذي يعدّ من ضروب الأمثال العربية. من نساء قبيلة بني عذره على حسب ما أورده أبو الفضل الميداني صاحب كتاب (مجمع الأمثال)، وسببُ قولها لتلك العبارة التي تعدّ مثلًا أنّها تزوّجت بأحد أبناء عمومتها ويُدْعى عروس، وبعد وفاة المذكور، زوّجوها بشخصٍ من قبيلة أخرى بخيلٍ كريهِ المنظر، وعندما همّ زوجُها الجديد بأخذها استأذنته في أنْ تذهبَ إلى قبر زوْجها الأوّل عروس لترثيه عند قبره على عادةِ العرب، فأذنَ لها زوجها بذلك، ووقفت عند قبره تنظُم مرثيّة بدأتْها بقول (أبكيك يا عروس الأعراس، يا ثعلبًا في أهله وأسدًا عند الباس، مع أشياء لا يعلمُها الناس)، فقال لها زوجها الجديد وما هي تلك الأشياء التي لا يعلمها الناس؟ فقالت مُنْشدة (كان عند الهمّة غير نعّاس، ويعمل السيف صبيحات أبناس) ثمّ أردفت تقول (يا عرس الأغر الأزهر، الطّيب الخيم الكريم المحضر، مع أشياء له لا تُذكّر)، فقال لها زوجها: وما تلك الأشياء؟ فقالت: (كان عيوفًا للخنا والمنكر، طيّب النكهة غير أبخر، أيْسر غير أعسر)، وعندما همّا بالانصراف تركتْ أسماء زجاجةَ عطرها عند قبر عروس، فقال لها زوجها: هلّا أخذت عطرَكِ، فقالت له: (لا عطر بعد عروس).

ويقول البعضُ أنّ أصلَ هذا المثل (لا مخبأ لعطر بعد عروس) وحكايته أنّ رجلًا اشتمّ رائحة كريهة من زوجته ليلةَ عرسه، فسألها ألا يوجد عندك عطر؟ فأجابت: عندي وخبّأته، وبعد أنْ خرجت قال الرجل: (لا مخبأ لعطر بعد عروس).

٢٩- أسماء بنت عميس:

هي أسماء بنت عُميس بن معد، مِن الصحابة، مِن مشاهير الصّحابيات اللائي مدحهنّ الرسول، وشهد بإيمانهنّ، فقال (الأخواتُ مؤمنات)، وعددهنّ

عشرة، وعلى قولٍ تسعة، والدتها هند بنت عوف، آتية التّرجمة، تزوّجت من جعفر الطّيار، وهاجرا معًا في بداية الإسلام إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، عندما استشهد زوجُها جعفر الطيار، تزوّجها بعده أبو بكر الصّديق[1]، وبعده سيدنا علي أخو زوجها الأوّل جعفر.

عندما كانت في الحبشة أنجبتْ من سيدنا جعفر عبد الله وعون ومحمد، كما أنجبتْ من سيدنا أبي بكر محمدًا، ومن سيدنا علي يحيى. وقد كان لها بخلاف شرف التزوّج بالمذكورين شرفُ صهري أيضًا، فقد كانت إحدى أخواتها (ميمونة بنت الحارث) من الزّوجات المطهّرات، والثانية (أمّ الفضل لبابة) زوجة العبّاس، والثّالثة وهي أختها لأبيها وأمّها (سلمى بنت عميس) وكانت زوجة لحمزة. وكان يقال على أسماء (وهي أكرم الناس أصهارًا).

وعُميس بضمّ الميم على وزن زبير.

(١) مذكور في أبي الفدا أنّ أبا بكر هو الذي قام بتغسيل المذكور بعد شهادته.

٣٠- أسماء بنت محمد:

هي أسماء بنت محمد بن صصرى، من أعيان الشّام، وهي المحدّثة الجليلة التي يطلقون عليها (أمّ محمّد أسماء)، قرأت عدّةَ كتبِ أحاديث على يد المحدّث مكي بن علان، ثمّ جعلها تقرؤها عدّة مرّات بنفسها، وكان لها التفرّد في ذلك، كانت سيدة مباركةً من أهل البصيرة، كما كانت محبّةً للخير في سبيل الله، حجّت عدّة مرّات، وأوقفت أشياء كثيرة، ولدتْ أواخر عام ٦٣٨هـ، وتوفّيت في ذي الحجة عام ٧٣٣هـ، لم يبقَ في المدينة في زمانها من الأعيان ورواة الحديث مَن هو أكبر منها سنًّا، رحمة الله عليها، وقد كانت المذكورة أختًا لقاضي القضاة نجم الدين الشّافعي، الذي توفّي في الشّام قبلها بعشر سنوات، قامتْ بشرح كتابه المسمّى (اللاميّة)، وقد قمت بعمل ترجمة لهذا الشّرح. وقد نظم المرحوم ابن الوردي تلك الأبيات في حقّ المشار إليها:

كذلك فلتكن أخت ابن صصرى
تفوق على النساء صبى وشيبا
طراز القوم أنثى مثل هذا
وما التأنيث لاسم الشمس عيبا

٣١- أسماء بنت يزيد الأنصارية:

هي أسماء بنت يزيد بن السّكن الأشهلي، مِن الصّحابة الكرام، من الصّحابيات الفصيحات. ذهبت ذاتَ يوم إلى النبي- ﷺ- مُرسَلة من سائر نساء الصحابة، وقالت له: يا رسول الله (بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أنا وافدة النّساء إليك.. إنّ الله بعثك إلى الرّجال والنّساء كافّة فآمنّا بك، وبإلهك، وإنّا معشر النساء محصورات مقصورات قواعدُ بيوتكم ومقضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضّلتم علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز والحجّ بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ، وإنّ الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدًا، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أولادكم؛ أفنشارككم في هذا الأجرِ والخير؟) وعندما سمعَ النّبي- ﷺ- منها ذلك التفتَ إلى صحابته الكرام، وسألهم: هل سمعتُم مِن امرأة قبلُ ما هو أبلغ من ذلك؟ فقالوا: لم نسمعْ يا رسول الله. فقال لها النبي صلّى الله عليه وسلم: اسْمعي يا أمَةَ الله، وأبلغي الأخريات، إنّ معاملة الزّوجة لزوجها ومعاشرتها له بشكلٍ حسن، ورضاءَ زوجها عنها يعادلُ كلّ الفضائل المذكورة». ويذكر ابنُ الأثير أنّ ثمّة صحابيّة أخرى كانت تُدعى أسماء بنت يزيد، كانت ابنة خالة معاذ بن جبل، اتّصفت بالشجاعة، حيث قتلت وحدها في موقعةِ اليرموك تسعةً من الكفار بعامود خيمتها. رضي الله عنها.

٣٢- أسماء العامرية:

من أدبياتِ الأندلس، سيدة شاعرةٌ وكاتبة من بني آل عامر من أشبيليّة، وقد كتبت أسماء المذكورة استرحامًا لأمير الموحّدين عبد المؤمن بن علي

تطلب منه أنْ يحافظ على مالها ودارِها لقرابتها لها من ناحية النّسب، ومدحتْه بقصيدةٍ قالت في مطلعها:

عرفنـــا النـــصر والفتـــح المبينـا
لســـيدنا أمـــيـــر المؤمنينـــا
إذا كان الحديـــث عـــن المعـــالي
رأيـــت حديثكـــم فيهـــا شـــجونا

ويذكر ابنُ الأثير أنّ هناك إحدى عشرة صحابيّة باسم أسماء. وأسماء بنت عوف هي معشوقة الشّاعر عمرو بن سعد، المشهور بين العرب باسم (المرقش)، وهي ابنة عمّه، وقصّتها محرّرة في كتاب تزيين الأسواق. والسببُ في لقبه بـ(المرقش) أنّه كان يزيّن الشّعر، ويعطيه ألوانًا مختلفة. فالرّقشُ في اللغة العربيّة هو تزيينُ الشيء بالألوان. ومن ذلك أيضًا تسمية عمرو ابن أخي الشّاعر عمرو المعروف بحرملة باسم (المرقش الصغير) وذلك لأنّه كان يشبه عمّه كثيرًا. ويذكر البعضُ أنّ سبب تسمية المذكور بالمرقش البيتُ التالي:

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الديم قلم

وهذا الرّأي أيضًا ليس ببعيد؛ لأنّ بعضَ شعراء العرب كانوا يلقّبون ببعض تعبيرات أشعارهم. وقد خصّص الإمام السّيوطي فصلًا لهم في آخر كتابه (المزهر)، إلّا أنّ الحكاية المذكورة في كتاب تزيين الأسواق عن سببِ تسمية داود الأنطاكي مستبعدة.

وتوجد أسماءُ أخرى تغزّل فيها الحارث بن حلزة اليشكري أحدُ شعراء الجاهلية، حيث ذكر في مطلع معلّقته، فقال:

آذنتنـــا ببينهـــا أســـماء
رب ثـــاو يمـــل منهـــا الثـــواء

وثمّة أسماء أخرى ذكرها الشّاعر زهير بن شريك الكلبي، من شعراء بني كلب، حيث قال:

ألا أصبحا أسماء في الخمر تعذل وتزعم أنّي بالسفاه مؤكل
فقلت لها كفّي عتابك نصطبح وإلّا فبيني فالتغرب أمثل

والغريب أنّ بعضَ الرجال- أيضًا- كان يُطلق عليهم اسم أسماء، ومنهم أسماء بن الحارث، وأسماء بن ربان، وهُما من الصحابة، وأسماء بن خارجة

الفزاري وهو من التّابعين، ومن نظمه ما قاله لزوجته ليلة الزفاف:

خذي العفو منّي تستديمي مودّتي
ولا تنطقي في ثورتـي حين أغضب
فإنّي رأيت الحبّ في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبـث الحب يذهب

والبيتُ الأوّل من البيتين المذكورين مُستشهد به في كتاب الكشاف، في آية خذ العفو.

ادعـى بأسماء نبـزا في قبائلها
كان أسماء أضحت بـعـض أسمائي

٣٣- اعتماد:

من أديباتِ الأندلس، كانت جارية وأمّ ولد عند الأمير (معتمد بن عباد) من ملوك أشبيلية، وهي أمّ بثينة بنت المعتمد المشهورة برميكية، وسنذكرها في حرف الراء.

٣٤- أعرابية:

الأعرابيّة تعني المرأة من الأعراب، ويستدلّ من الأبيات التالية أنها كانت من نجد، وقد وردت قصّتها في كتاب المسامرات للشّيخ محيي الدّين بن عربي، نقلًا عن خدية بنت عبد الوهاب بن هبة الله أحدِ الأولياء، أنّ أحد الخلفاء العباسيّين عشق تلك الأعرابيّة، وتزوّجها، ونقلها معه إلى بغداد، ولكنّها لم تألفْ حياةَ الرّغد في القصر، وكانت تشتاق في كلّ وقتٍ وزمان إلى البادية ورعي الأغنام في الكلأ، ومرضت من جرّاء حزنها، وكان مرضُها يزداد يومًا بعد يوم، وعندما سألها الخليفة ذاتَ يوم عن سبب حزنها وكدَرِها وهوانها يومًا بعد يوم، أجابت بأنّها تشتاق إلى حياة البادية التي ألفتها، وإلى رعي الأغنام في الكلأ، فأمرَ الخليفة ببناءِ قصرٍ لها على ضفاف نهر دجلة في آخر المدينة، كان يسمّى قصر المعشوقة، ودعا بأغنام ترعى حوله، لكي يهيّئ لها حياة تشبهُ حياتها الماضية، ولكنّها لما كانت ترى تلك الأغنام ترعى في الكلأ حولها كانت تتذكّر أهلها وعشيرتها والبادية فكانت تزداد حزنًا وألمًا، وتبكي بالليل، وذاتَ يوم حضر الخليفةُ إلى قصر المعشوقة

ليلًا، وسمعها تقول تلك الأبيات وهي تبكي متحسّرة على حياتها الفائتة:

وما ذنب أعرابيّة قذفت بها
صروف النّوى من حيث لم تك ظنّت

تمنّت أحاليب الرّعاة وخيمة
بنجد فلم يُقضَ لها ما تمنّت

إذ ذكرت ماء العذيب وطيبه
وبرد حصاه آخر الليل أنّت

لها أنّة عند العشاء وأنّة
سحيرًا ولولا أنّتاه لجنّت

ولما سمع الخليفةُ تلك الأبيات منها تأسّف على حالها، وأمرَ بنقلها وكلّ الأشياء الموجودة في قصر المعشوقة إلى نجد، وكان يمرّ عليها كلما مرّ من هناك، ولأنّ الأبيات المذكورة مذكورةٌ مع زيادة في ديوان مجنون عامر؛ فإنّ الأعرابيّة المذكورة أخذتها مع تغييرٍ بسيط فيها، إلّا أنّ البيت الأخير من نظمها هي وليس من نظم مجنون عامر.

٣٥- اغتباط:

هي جاريةٌ معروفة أطلقوا عليها (قلم الصّالحية) كانت من المغنّيات العباسيات، كانت في الأصل جارية لصالح بن عبد الوهاب أحدِ رجال الدّولة العباسية، ثمّ انتقلت مؤخّرًا إلى ملك الخليفة العباسي الواثق بالله، وهو الذي أطلق عليها لقب اغتباط، وسنبيّنها بمشيئة الله تعالى في حرف القاف، وردَ اسمها خطأ (احتياط) في بعض النّسخ المطبوعة.

٣٦- ألف بنت الجمال:

هي ألف بنت جمال الكناني، ابنة الجمال بن عبد الله بن علي العسقلاني الكناني الحنبلي، من مشاهير الحنابلة، كانت أستاذةً للإمام السيوطي، حيث أخذَ عنها ثلاثيّات المسند في علم الحديث، حيث أخذت هي- أيضًا- هذا العلم عن والدها.

٣٧- ألف بنت حسام الدين:

هي ألف ابنة العلّامة حسام الدين الحسن، المعروف بشريف النّسب، سيدةٌ

من أهل العلم، من نسْلِ حسن المثنّى من أبناء الحسن بن علي، كانت- أيضًا- من أساتذة الإمام السّيوطي، أخذت الإجازة في علمِ الحديث على يد عائشة بنت الشرايحي ومحمد بن محمد بن محمد بن المحب، وقد ذكرها الإمام السّيوطي في كتاب المنجم.

٣٨- ألفية:

سيدةٌ خياليّة، ذكرها الشاعر الفارسي الحكيم الأزرقي في كتابه (ألفيّة وشلفية) الذي ألّفه لتقوية القدرة الجنسيّة عند طوغان شاه حاكم نيسابور السّلجوقي، ويتضمّن الكتاب حكايات خياليّة جنسيّة، ومنها حكاية تلك المرأة التي زنا بها ألفُ رجل؛ لذا سمّيت بالألفيّة نسبة للألف رجل. وكلمة شلفيّة المذكورة في اسم الكتاب مأخوذة من كلمة شلاقه الفارسيّة التي تعني الزّانية.

٣٩- أمامة بنت أبي العاص:

هي ابنةُ أبي العاص بن الربيع بن عبد العزّى، صهر النّبيّ ﷺ، وهي حفيدة النّبيّ التي أنجبتها السيدةُ زينب، أكبرُ بنات الرّسول ﷺ، وقد أوصت خالتها السيدة فاطمة زوجَها علي بن أبي طالب أنْ يتزوّجها بعد وفاتها، لذا تزوّجها علي بن أبي طالب بعد وفاة السيدة فاطمة، وبعد استشهادِ عليّ تزوّجها المغيرة بن نوفل، كانت لها محبّة عند رسول الله في طفولتها، حتّى أنّه- ﷺ- لم يمنعها من ركوبِ ظهره وهو ساجدٌ عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

٤٠- أمامة بنت الحارث:

زوجةُ عوف بن محلم الشيباني، من أشراف قبيلة ربيعة، عندما تزوّجت ابنتها أمّ إناس بالحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرارة) من ملوك كندة؛ أوصتْها أمّها قائلة لها: «بنيّتي إنْ كان يلزم ترك التّوصية استنادًا على شرف الشخص وتربيته وأدبه، فلا حاجةَ لكِ في نصيحتي تلك، ولكنْ إذا كانت النّصيحة إخطارًا لِمَن يعرف، وتذكرةً لمن لا يعرف فإنّها حينئذٍ تنفع. بنيّتي لو كانت المرأة تستغني بمال أبيها وثروته عن زوْجها لكنتِ أنتِ أحقّ بذلك من

كلّ النساء، ولكنّ الرّجال خلقوا من أجلنا، ونحن أيضًا خُلقنا من أجلهم. بنيّتي إنْ خرجتِ من دار أبيك وأمّك ومن وطنك، وذهبت إلى دار زوجك ووطنٍ لا تألّيفه؛ فكوني مطيعةً لزوجك كجاريته، يكنْ عبدًا لك، أي سيحبّك ويلتزم بما يسعدك، وسأنصحك بعشرِ نصائحَ إنْ عملت بها فستوفّقين في حُسن معاشرة زوجك: الأولى اقبلي بكلّ ترحابٍ ما يجلبُه لك من طعامٍ ولباس، الثانية يجب عليك أنْ تنفّذي ما يأمرُك به، وتنتهي عمّا ينهاك عنه، الثالثة والرّابعة حافظي على نظافتك الداخليّة والخارجية، وتجنّبي ما يكرهُ رؤيته وما يكره شمّه، ولا يرى منك إلّا ما يحبّ. الخامسة موافقتُه، السّادسة عليك أنْ تعرفي مواعيدَ طعامه وراحته فتعدّي له مأكله وفراشه في تلك الأوقات؛ لأنّ الإنسان يحترق من الجوع، ويغضبُ من عدم النّوم. السابعة والثامنة يجبُ عليكِ أنْ تحافظي على مال زوجك ولا تسرقي فيه، وأنْ ترعي كلّ ما يخصّه، التاسعة والعاشرة عليكِ ألّا تخالفيه في أيّ شيء، ولا تُفشي بسرّه لأحد، لأنّك إذا عصيتِه فإنّك بذلك تبذرين بذور الشّر عنده، وإذا فشيتِ سرّه فإنّك لن تأمني من غدره وجفاه. بنيّتي انتبهي ألّا تفرحي وزوجُك حزين، وألّا تحزني وزوجُك فرحان». وقد ذكر صاحب كتاب المستطرف تلك النّصائح في الباب الثالث والسّبعين، ولكنّه أخطأ في مسألة أنّ مَن تزوّج البنت هو عمرو بن حجر الكندي، مع أنّ عمرو بن حجر هو والدُ الحارث زوج البنت، وأخطأ أيضًا في اسم البنتِ حيث قال أمّ إياس، وسنورد فيما بعد سبب تسمية البنت المذكورة بأمّ إناس من خلال النقل الذي نقلناه من كتاب الكامل لابن الأثير.

وقد اتّخذ صديقي سعيد أفندي- سلّمه الله- تلك النّصائح العشرة موضوعًا لمقالات تناول فيها آدابَ الإناث وتربية الأطفال وحقوق الزوجية، جمعَها في كتاب أسماه (وظائف الإناث) فكان سعيُه مشكورًا، وفعله للخير مأجورًا.

٤١- أمامة بنت الخزرج:

سيدة، صاحبةُ طبيعة شعريّة، من نساء العرب، هي قائلة الأبياتِ التالية:

إذا شئت أنْ تلقى فتى لو وزنته بكلّ معدى وكل يماني
وفى بهما فضلًا وجودًا وسددًا وزيًّا فذاك الأسود بن فنان
فتى لا يرى في ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طعان

وقد قالت أمامة بنت الخزرج تلك الأبيات في مدح الأسود بن فنان. روى محيي الدّين في كتابه المسامرات، أنّ شخصًا يدّعى وهي أو محمد بن ناجية الرّصافي قال اتهمتُ في عهد الخليفة الواثق بالله في أموال مصر، وأمر الخليفة بتشديد البحث عنّي في كلّ مكان، وضاقت بي الرّصافة وما حولها، فخرجت إلى البادية أبحث عن ملجأ أحتمي به، وإذا بي وأنا أجول في البادية رأيتُ على بُعد خيمة، فذهبت إليها فوجدت صاريًا مضروبًا أمامها، مربوطًا به جواد، فسلمت فوجدتُ مجموعة من النّسوة تردّ السلام من وراء حجاب، وقالت واحدةٌ منهنّ (اطمئنّ يا حضري فنعمَ مناخ الضّيفان، بواك القدر ومهدك السفر)، وبالرّغم من أنّها هدّأت من روْعي بكلماتها الكريمة إلّا أنّني خشيت على نفسي؛ فقلت لها (وأنّى يطمئنّ المطلوب، أو يأمن المرعوبُ من دون أنْ يأوي إلى جبل يعصمُه أو مأمن أو مفزع يمنعه، وقلّما ينجو من السّلطان طالبُه والخوف غالبه)، فردّت عليه المرأة قائلة (لقد ترجم لسانك عن ذنبٍ كبير وقلب صغير) ثمّ قالت لتهدّئ من روعي (وأيمُ الله، لقد حللت بفناءِ رجلٍ لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع بساحته كبد، هذا الأسود بن فنان أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في فعاله، صدوقُ الجوار وقود النار) ثمّ أنشدت تلك الأبيات المذكورة في مدح الأسود بن فنان.

٤٢- أمامة بنت ذوى الأصبع:

ابنةُ ذوى الأصبع العدواني، من فحول شعراء الجاهلية، وكانت أيضًا شاعرة، والأبيات التالية في ترجمة حال والدها مذكورةٌ في المجلد الثالث من كتاب الأغاني:

كم من فتى كانت له ميعة
أبلج مثل القمر الزاهر
قد مرّت الخيل بحافاتهم
كمرّ غيث لجب ماطر
قد لقيت فهم وعدوانها
قتلًا وهلكًا آخر الغابر
كانوا ملوكًا سادة في الورى
دهر لها الفخر على الفاخر
حتى تساقوا كأسهم بينهم
بغيًا فيا للشارب الخاسر
بادوا فمن يحلل بأوطانهم
يحلل برسم مقفر داثر

(ميعة) عنفوان الشباب، (أبلج) صبيح الوجه، (حافات) جانب وناحية، (كمر) الكاف حرف تشبيه، ومرّ بفتح الميم وتشديد الراء المرور، (غيث) المطر، (لجب) كثير الصوت، (فهم وعدوان) قبيلتان، (غابر) ماضي، (رسم) أي آثارهم الباقية، (داثر) خراب، نظمت أمامة تلك الأبيات في رثاء قومها، حيث أفنوا بعضهم البعض بسبب الثأر ودعوى الجاهلية.

وأمامة المذكورة في البيت التالي:

جزعت أمامة أنْ مشيت على العصا
وتذكرت إذ نحن ملفتيان

هي ابنة ذوى الأصبع المذكور. وكان لذوى الأصبع أربعُ بنات أصغرهنّ مَن قالت (زوج من عودٍ خير من قعود) الذي يعدّ من ضروب الأمثال عند العرب. ويمكن مراجعة ذلك في بداية الجزء الثالث من كتاب الأغاني.

وكلمة ملفتيان الواردة في البيت المقصود منها من الفتيان، فإذا جاء

بعد من كلمة ابدأ بال التعريف تُحذف ال التعريف وهذا ليس قياسًا. ومن ذلك قول (بلعنبر) المقصود منها (بني العنبر)، وملجن الواردة في بيت المتنبي:

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال. إنما هي من الجن.

٤٣- أمامة المريدية:

وقيل أسامة المريديّة نسبة لعشيرة مريد، وهي صحابيّة، هي التي نظمت الأبيات التّالية:

تكـــذب دين الله والمــرأ أحمد لعمر
الذي أمنــاك أن يمّس ما يــمنـــي
حيّاك حنيف آخر الــدهر طعـنــة
أبا عفك خذها على كــبر السـنّ

وقد نظمت تلك الأبيات في حقّ أبي عفك أحد منافقي اليهود الملاعين، ذلك الملعون الذي جاوز المائة وعشرين سنة، ولم يمنعه كبرُ سنّه من عداوة رسول الله الرّحمة المهداة، ولما قُتل هذا الملعون على يد الصحابي سالم بن عمير نظمت أمامةُ المريديّة تلك الأبيات. وقد ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنيّة أنّ (لعمر الذي حياك) المقصود بها أي وحياة الذي أنشأك، وحباك أي أعطاك، وحنيف بمعنى مسلم. وبخلاف أمامة المذكورة وأمامة بنت أبي العاص سابقة الترجمة توجد ستّ صحابيات أخريات باسم أمامة، ومنهنّ أمامة بنت حزة.

٤٤- أمة الله:

هي صدقى أمة الله، ابنة قامتي زاده أحد علماء عصر السّلطان محمد خان الرابع، من أديبات استانبول، لها ديوانٌ وإلهيات مرتّبة، والبيت التالي لها مذكور في تذاكر الشّعراء:

أنت الذي تخدمني ولا يمرّ الأسبوع وربما
أنت الذي تبكيني كلّ ليلة حتّى الصباح

فهل يُمزق ثوب الفراق بيد التدبير
فأنت الذي حيرتني في حسن جمالك

توفّيت المشارُ إليها في عام ١١١٥هـ، وكان ملخّصها في الشّعر صدقي، لذا ستتعرّض لها مرّة أخرى في حرف الصّاد.

وتذكر كتب التّواريخ الخاصّة وقائع

عام ١٢٢٠هـ تقريبًا أنّ شاعرةً بنفس الاسم كانت من عائلةٍ مشهورة من بروسه تسمّى خراججى زاده، كانت تلك المرأة متوليّة وقْفَ أجدادها، ولأنّها كانت لا تثق في أيّ شخص كانت تتولى تحرير وضبط السّجّلات والدفاتر بنفسها.

٤٥- كلثوش أو أمّ كلثوم:

(أمة الله) زوجةُ السلطان محمد الرابع، ووالدة السّلطان أحمد الثالث والسّلطان مصطفى الثاني. وهي الوالدة سلطان التي أطلقوا عليها لقب الوالدة الجديدة. وهي بانية الجامع يكي جامع الموجود في غلطه، كما بنا لها ابنُها السّلطان أحمد الجامع الجديد الموجود في أسكدار، ودفنت في قبر مستقلّ في فنائه.

وبخلاف هؤلاء توجد- أيضًا- أمامة بنت أبي بكرة الثّقفية. وأمامة الله بنت رزينة أو التابعيّة الثّانية. وكلمة أمة الله تعادل عبد الله في أسماء الرّجال.

٤٦- أمة بنت عدوان:

وتعني جارية بني عدوان، كان هذا الاسم يُطلق على الجارية المتعارف عليها سوءُ النصح، اسمُها شوله، وستتناولها إنْ شاء الله في حرف الشّين، وقد ذكر الزمخشري في آخر المقالة الخامسة والتسعين لكتابه أطواق الذّهب هذا البيت:

هذا لعمري ظلم منك وعدوان
ونصح كنصح أمة بني عدوان

٤٧- أمة الجليل:

من صالحاتِ نساء العرب، عدّها الإمام الشّعراني في كتابه الطّبقات من الوليات، وقد اختلف أتقياءُ عصرها في تعريف الولاية، وذهب كلّ واحد برأي، وفي النهاية رجعوا إليها فقالت «إنّ الولي هو الذي يعرض عن الدّنيا في كلّ لحظة، ويشتغل بالحقّ، وليس للولي في قلبه شيء قطّ من الدّنيا، بل قلبه كلّه مشغولٌ بالله»، ثمّ قالت لهم «إنْ قال واحدٌ منكم إنّه ولي من أولياء الله وقلبُه مشتغل بغير الله؛ فاعلموا أنه كذّاب» قدّس الله سرّها.

٤٨- أمة الخالق:

هي أمة عبد اللطيف بن صدقة بن عوض المناوي العقبي، محدّثة معروفة،

ولدت عام ٨١٣هـ كانت تحضر دروس الجمال الحنبلي والد ألف بنت الجمال، السابقة الترجمة، وقرأتْ عليه أجزاء من مسند الإمام أحمد، وجزءًا من المعجم الصّغير للطّبراني، وجزءًا من سيرة ابن هشام، وأخذت الإجازةَ من محدّثين مشهورين. حفظت ألفيّة ابن مالك ومنهاجَ العابدين، وكتبتها، عمّرت كثيرًا، فلم يكنْ موجودًا مَن يعرف الأساتذة التي نقلت عنهم سواها، وبذلك تفرّدت بالنّقل عنهم، توفيت يوم الثّلاثاء الموافق الثّالث من شهر ذي القعدة لعام ٩٠٢هـ ولأنّها كانت من مشايخ الإمام السيوطي فلذلك ذكرها في كتابه المنجم، وذكر لها الأبيات التّالية:

هـي المقاديـر فدعنـي أو فـذر
إنْ كنـت أخطـأت فـما أخطـأ القـدر
إذا أراد الله أمـرًا بامـرئ
وكـان ذا عقـل وسـمع وبـصر
أصـمّ أذنيـه وأعمـى قلبـه
وسلـه مـن عقلـه سـلّ الشـعر
حتـى إذا أنـفـذ فيـه حكمـه
ردّ إليـه عقلـه ليعتـبر

٤٩- أمة العزيز شريفة:

مِن أديبات الأندلس. وبالرّغم من أنّ البيتين التّاليين ينتسبان لولّادة الآتية الترجمة، إلّا أنّهما نُسبا في كتاب نفح الطّيب لأمة العزيز المذكورة:

لحاظكـم تجرحنـا في الحشـا
ولحظنـا يجرحكـم في الخـدود
جـرح بجـرح فاجعلـوا ذا بـذا
فـما الـذي أوجـب جـرح الصـدود

وقد ردّ عليها بعضُ الأدباء بالبيتيْن التّاليين:

أوجبـه منـي يا سيدي جرح لخدليس فيه الجحود
وأنـت فيما قلته مدّعٍ فأين مـا قلـت وأيـن الشهود

٥٠- أمة العزيز البغدادية:

هي السّيدةُ التي يطلقون عليها بنتُ القيم، مِن مشاهير نساءِ القرن السّادس في الشام، بغداديّة الأصل، كانت واعظة متفقّهة، ولأنّ اسمها خديجة؛ فسنوردها في حرف الخاء بمشيئة الله تعالى.

٥١- أمة العزيز:

وهي - أيضًا - محدّثة مشهورة، عرفت بمسندة الشّام، كانت ابنة المحدّث نجم الدين، وقد أطلقَ عليها لقب مسندة الشام نظرًا لتفرّدها في علم إسناد الحديث في بلاد الشّام في زمانها.

وتوجد سيدةٌ أخرى باسم أمة العزيز من أساتذة الإمام السيوطي، وهي ابنة الشيخ محمد ابن الشّيخ يونس ابن الشيخ إسماعيل الأنبابي. وقد ذكرها الإمام السيوطي في كتابه المنجم، وأوضح أنّه قرأ عليها ثلاثيات البخاري، وجزء الأنبوسي.

٥٢- أمّ إيان:

هي والدة الشّاعر مزاحم بن عمرو، كانت شاعرة، قيل إنّها خثعميّة، وقيل تميمية. ولما وجد ابنُها مزاحم زوجتَه عند الشّاعر ابن دمينة قتله ابن دمينة بحجر، فنظمت أمّ إيان الأبيات التالية ونهضتْ للأخذ بالثأر:

بأهلي ومالي بل بجلّ عشيرتي
قتيل بني تميم بغير سلاح

فهلّا قتلتم بالسلاح ابن أختكم
فتظهر فيه للشهود جراح

فلا تطمعوا في الصلح ما دمت حيّة
وما دام حيًّا مصعب وجناح

ألم تعلموا أنّ الدوائر بيننا
تدور وأنّ الطالبين شحاح

وبالبيت الأوّل- وما بعده- عيبٌ يسمّى عيب القوافي (وقد يقال له عيب الأصراف على حسب المسمّيات)، وهو عيبٌ معلوم لأهله.

استطراد

كان للشّاعر المعروف دعبل صديق متشاعر، لا تخلو الأبيات التي ينظمها من الخطأ أبدًا، وذات مرةٍ نظمَ البيت التالي:

إنّ ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار
ونجا من كان لا يعشق من ذل المخازي

ولما عرضه على دعبل، قال له دعبل إنّ البيت التي نظمته ليس مقفّى، فقافية

المصراع الأوّل راء، وقافية المصراع الثاني زاي، ويلزم أنْ تكون القافية واحدة، إنّ هذا العيب سنجدُ له حلًّا، ولكنّ المصراع الأوّل مرفوع، والثّاني مجرور، فماذا ستفعل فيهما؟، فقال له دعبل: يا هذا، هل أنتَ أحمق! أنا أكلّمك في القافية، وأنت تتحدّث عن الإعراب، يا لك من أحمق. وهي من الطّرائف المذكورة في المحيط.

٥٣- أمّ إيان بنت عتبة:

مِن الصّحابيات، بنت عتبة بن ربيعة، وخالة معاوية، وهي أختُ هند بنت عتبة، الآتية الترجمة، وقد طلبها سيدُنا عمر للزّواج، فقالت «يغلق بابه ويمنع خيره، ويدخل عابسًا ويخرج عابسًا»، وامتنعتْ عن الزّواج منه لطبعِه. وتوجد ابنة لسيدنا عثمان بن عفان بنفس الاسم.

٥٤- أمّ إناس:

هي ابنةُ عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، من أشراف قبيلةِ ربيعة، أمّها أمامة السّابقة الترجمة، تزوّجت بحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرارة) من ملوكِ كندة، كانت تُعرف بالحسن والعقل والعرفان، وسنبيّن حالها في حرف العين في اسم عصام، وعن سبب تسميتِها بأمّ إناس فقد ذكر الكاملُ في تاريخه أثناءَ حديثه عن يوم البردان وهو يومٌ من أيّام الحروب عند العرب أنّ ملك الشام زياد بن هوله أغار على بلدان كندة، فسقطت في يده هند الهنود (الآتية الترجمة) وأمامة أمّ إناس، ولما عادت أمامةُ إلى زوْجها عوف وجدَها حاملًا، ولما أنجبت كانت المولودةُ أنثى، فأراد أنْ يئدَها كما كانت العادة في الجاهلية، فمنعَه صديق له يدعَى عمرو بن أبي ربيعة، وقال له (لعلّها تلد إناس) فسمّيت أمّ إناس، حتّى أنّ ابنها عمرو الذي أنجبته من حارث بن عمرو كان يسمّى (ابن أمّ إناس). وبعض الكتب يُظهر خطأً أنّ القصّة المذكورة لأم إياس. انتهى.

ويذكرُ صاحبُ القاموس أنّ هناك بعض النساء الأخرياتِ اسمهنّ أمّ إناس، هنّ: ابنة أبي موسى الأشعري الصّحابي، كما كان لقبُ قرط جدّة عبد

المطلب بن هاشم، كما كان كنية لجدّة أبي بكر الصّديق.

٥٥- أمّ أنوك:

هي أمّ أنوك التي تنتسبُ إليها (خانقاه أمّ أنوك)، أحد الآثار المصريّة المذكورة في خطط المقريزي. كانت زوجة للملك النّاصر محمد بن قلاوون، وهي التي أنجبت الأمير أنوك من الملك المذكور، وهي- أيضًا- بانية الخانقاه المذكورة، كانت تتصف بالحسن والجمال، كان اسمُها طغاي، وسنوردها إنْ شاء الله في حرف الطّاء.

٥٦- أمّ أيمن:

هي بركة بنت ثعلبة الصّحابيّة الجليلة، والدة الصّحابي أسامة بن زيد، ومربّية الرّسول ﷺ، كانت في الأصل جارية حبشيّة مملوكة لوالد الرّسول ﷺ، ومتزوّجة من شخصٍ يدْعَى عبيد الحبشي. اشتهرت باسم أمّ أيمن على اسم أوّل مولود يولَد لها، ويقال لها- أيضًا- أمّ الظّباء، وبعد عبيد الحبشي تزوّجت بزيد بن حارثة الذي كان يعملُ عند السيّدة خديجة، وأنجبت منه ابنَها زيدًا، ويقول البعض: إنّ الرّسول هو الذي أعتقها. وقد ذهبت السيدة آمنة بنت وهب لزيارة أبناء خالها في المدينة المنورة، وأثناء عودتها توفّيت في مكان يسمّى (إيواء)، ومنذ ذلك الوقت ذهبَ النّبي- ﷺ- إلى جوار أمّ أيمن لتقوم على رعايته، لذلك كان النّبي- ﷺ- يقول لها (أمّ أيمن أمّي بعد أمّي)، وكان يزورها ويرعاها، كانت وفاتها بعد وفاة الرّسول ﷺ، وقد بكتْ كثيرًا عند وفاةِ النّبيّ ﷺ، وسألها النّاسُ ما الذي أبكاك إلى هذا الحدّ؟ فأجابت أنا واحدةٌ من الذين يعلمون بأنّ النّبيّ سيرحل عنّا يومًا ما، ولكنّني أبكي على انقطاع الوحي، رضي الله عنها.

٥٧- أمّ أيوب الأنصارية:

هي أمّ أيوب ابنة قيس بن عمرو بن امرئ القيس، من قبيلة الخزرج التي كانت تمثّل القبيلة الثّانية بعد الأوس في المدينة، وهُم الذين أطلق عليهم الأنصار، كانت زوجةَ الصّحابي أبي

أيوب الأنصاري. خرج زوجُها مجاهدًا في سبيل الله مع الجيش الذي خرج في عهد معاوية لفتح استانبول، ولكنّه توفّي متأثرًا بمرض الإسهال في المنطقة المسماة الآن باسمه، وقبرُه مَزار الآن في خالد، ومذكور في صحائف الأخبار أنّه حتّى النّصارى أنفسهم كانوا يتبرّكون بهذا المكان فيأتونَ إليه للدّعاء بنزول المطر. وقد أقام النّبي ﷺ في منزله عندما وفدَ إلى المدينة، وذلك حتّى يتمّ اكتمال بناء المسجد ومنزلِ رسول الله. ويروي أبو أيوب الأنصاري أنّه عندما نزل النّبي- ﷺ- في منزله أقامَ أبو أيوب في الطّابق العلوي، والرّسول في الطّابق السفلي، فقال أبو أيوب لزوجته: والله لا يحقّ لنا أنْ نكون فوق رسول الله الذي يهبط عليه الوحي من السّماء، فصدّقت زوجته على كلامه، ولم يتمكّنا من النّوم في تلك الليلة، وفي الصباح ذهبا إلى رسول الله واعتذرا له، وأقسم عليه أبو أيوب الأنصاريّ بأنّه إنْ لم يبتْ هو في الطّابق العلويّ ويترك له الطّابق السفلي فإنّه سيرحل إلى ثقيفة، فوافقَ النّبي ﷺ على مطلبه.

٥٨- أمّ بسطام:

هي والدة أبي الصّهباء بسطام بن قيس سيد بني شيبان. ابنها هو بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين، قُتل في غزوته على ضبان، وصُلب في مكانٍ يسمّى شقيقة يقع بين هضبتيْن، وهي الوقعة المعروفة بين العرب باسم يوم الشّقيقة نسبةً لصلبه في هذا المكان، وقد نظّمت والدته تلك المرثيّة في وفاته:

لبيك ابن ذي الجدين بكر بن وائل
فقد بان منها زينها وجمالها
إذا ما غدا فيهم غدوا وكلهم
نجوم سماء بينهن هلالها
فله عينا من رأى مثله فتى
إذا الخيل يوم الروع شب إنزالها
عزيز المكر لا يهد جناحه
وليث إذا الفتيان زلت نعالها
سيبكيك عان لم يجد من يفكه

ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم
وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك
ال حروب إذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك فجعت
تميم به أرماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة
وتلك لعمري عثرة لا تقالها

٥٩- أمّ البنين:

هي المرأةُ التي افتخرَ بها الشّاعر الصّحابي لبيد بن ربيعة بقوله:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة
ومن خيار عامر بن صعصعة
المطعمون الجفنة المدعدعة
والضاربون الهام تحت الخيضعة

كانت من السّيدات المشتهرات بالنّجابة والشّرف، وكان يُضرب بها المثلُ بين العرب بالنجابة فيُقال (أنجب من أمّ البنين). هي ابنة عمرو بن عامر، من أعيان العرب، الملقّب بفارس الضحياء، وزوجة مالك بن جعفر بن كلاب، جدّة الشّاعر لبيد المذكور، كان لها خمسةُ أبناء، هم: عامر وطفيل وربيعة وسلمى ومعاوية، وكلّهم كانوا من مشاهير العرب، وقد اشتهرَ كلّ واحد منهم بلقب بين العرب؛ فالأوّل اشتهر بلقب (ملاعب الأسنة) إشارةً إلى بسالته وجلادته، وكان يُذكر أحيانًا في الشّعر بملاعب الرّماح للضّرورة الشّعرية، أمّا الثاني فكان يشتهرُ بفرسه قرزل (فارس قرزل)، وأحيانًا (طفيل الخيل)، أمّا الثّالث (ربيع المقترين)، والرّابع (نزال المضيف)، وكان لقبُ ربيعة والد الشّاعر المذكور، وهو يدلّ على كرمه وجوده، أمّا الخامس فكان يشتهرُ بلقب (معود الحكماء) وعلى رواية السّيوطي (معود الحكام). وذُكر في القاموس وفي كتاب مُزهر اللّغة أنّ البيت المذكور هو الباعث على تلقيبه بهذا اللّقب. وقد وردت في بعض النسخ المطبوعة خطأ بالذّال (معوذ)، وبالرّغم من أنّ هؤلاء الأبناء كانوا خمسةَ نفر، إلّا أنّ لبيد ذكرهم في البيت أربعة حينما قال (نحن بنو أمّ البنين الأربعة)، وكان هذا

بالطّبع للضّرورة الشعرية، وقد شُرح ذلك في كتاب مجمع الأمثال أثناء شرحِ المثل (قد قيل ذلك إنْ حقًا وإنْ كذبًا).

٦٠- أمّ البنين بنت عبد العزيز:

ابنةُ عبد العزيز الأموي، وأخت الخليفة المشهور عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك، اشتهرتْ بالفطنة والفصاحة والصلاح والسّماحة، كانت صوّامة قوّامة، دائمة الإحسان تتصدّق كثيرًا، وكانت تعتقُ كلّ أسبوع عبدًا، وقد أتى إليها ذاتَ يوم الشّاعر كثير عاشقُ عزّة، ونظم لها البيت التّالي:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت أمّ البنين لعزّة: ماذا سيأخذُ منك هذا الرّجل؟ فأجابت عزّة: لقد وعدتُه بقُبلة ولكنّي لم أوفِ بوعدي. فقالت أمّ البنين: طالما وعدتِ فأوْفي، ثمّ قالت إنّ الذنبَ ذنبي، وأعتقت ٤٠ عبدًا، وندمتْ فترةً طويلة على ذلك، وقالت: يا ليتني كنتُ بلا لسان، ولم يصدرْ منّي ذلك.

وقد ذُكر في كتاب الأغاني وكتاب فوات الوفيات نقلًا عنه قصّة توضّح سبب وفاة الشاعر المشهور عبد الرحمن بن إسماعيل الذي كان يلقّب بوضاح اليمن، ودور أمّ البنين المذكورة فيها، ولسْنا متأكّدين من صحّة الرواية، ولكنّنا سنذكر ملخّصها هنا:

يقال: إنّ أمّ البنين نوَتْ في سنة من السنين الحجّ، فأخبرت زوجَها وخليفة عصرها الوليد، فنبّه الوليد بشدّة على الشّعراء بعدم التّعريض باسم زوجته أو إحدى الجاريات التي معها بأيّ أشعار، ولما ذهبت أمّ البنين إلى مكّة وتوافد عليها الناس للسّلام، رآها شاعرٌ يدّعى وضاح اليمن، فافتتن بها وأخبرَ كثير عزّة، فنظم الاثنان أبياتًا يعرّضان بها، ولخوفِ كثيرِ عزّة من بطش الوليد أعدى أنّ تلك الأبيات التي نظمها كانت لمحبوبته، أمّا وضاح اليمن فلم يخشَ بطشَ الوليد، ونظم البيت التّالي مصرّحًا باسمها فيه:

صدع البينُ والتفرق قلبي

وتولّت أمّ البنين بلبّي

ولما وصل الخبرُ إلى الوليد أمرَ بقتله. وتقول رواية أخرى إنّه- أي الشاعر- أتى في صندوق مع أمّ البنين بعد موسم الحجّ إلى قصر الوليد، وقُتل في القصر. وكان يشتهر بوضاح اليمن لشدّة بياضه وجماله، ويقال: إنّه هو ومقنع الكندي كانا يسيران في الأسواق، وفي مواسم الحج، وعلى وجهيهما نقاب حتّى لا تفتتنَ النساء بجمالهما.

أمّا كثير فسنذكره بالتّفصيل في ترجمة عزة في المجلّد الثّاني، وكان يشتهر بقصر القامة وقباحة المنظر. ويا تُرى هل أعجب واحد بأمّ البنين وأرسل الخبر لآخر لكي ينظم له البيت.

٦١- أمّ البنين بنت حزام الكلابية:

مِن زوجات سيّدنا علي، وهي أوّل زوجة تزوّجها سيدنا علي بعد فاطمة، وأنجبت منه أربعة أشخاص هم: عباس وجعفر وعبد الله وعثمان. وقد استشهدوا جميعًا مع أخيهم الحسين في واقعة كربلاء. وكانت أروى، أو سمانة، جارية موسى الكاظم وأمّ ولدِه تلقب- أيضًا- بأمّ البنين، وقد أنجبت منه حميدة التي أنجبتْ علي الرضا، وسنذكرها في حرف الحاء بمشيئة الله تعالى.

ويُطلق لقب أمّ البنين أيضًا على الأرض التي بها أناس وجنودٌ كثير، وقد ذكر ذلك عبد الرءوف المناوي في كتاب له يسمّى (عماد البلاغة)، وأورد بيتًا يدلّ على نفس المعنى:

بــــأمّ بنـين مرجعهــــم إليهـــا
ومـــا ولـــدت ومـــا حملـــت جنينـــا

٦٢- أمّ جعفر:

هي أمّ جعفر التي نظمَ فيها الشّاعر الأحوص بن محمد الأنصاري هذا البيت:

لقـــد منعـــت معروفهـــا أمّ جعفـــر
وإنّي إلى معروفهــــا لفقــــير

وهي سيدةٌ من نساء الأنصار من بني خطمة، اشتهرتْ بالصّلاح والعقل والدراية والعفّة، ذات يوم أتتْ إلى الأحوص، وقالت له مقاضية إيّاه (أعطني ثمنَ تلك الأغنام)، فقال له الأحوص: لم آخذ منك شيئًا، أنا لا

أعرفك ولم أرك قبلَ الآن، فصرخت المرأة، فأقسم الخوص بأنّها ليست المرأة التي يعرفها، فقالت: له يا عدوّ الله طالما أنّك لا تعرفني، فلماذا ذكرتني في شعْرك، فأنا أمّ جعفر التي هجوتها في أشعارك. وبذلك أعلنتْ براءتها على ملأ من الناس، وأخجلت الأخوص.

٦٣- أمّ جعفر:

كنية زبيدة زوجة هارون الرشيد من أشراف النّساء، وسنذكرُها بالتفصيل في حرف الزّاي.

٦٤- أمّ جميل:

هي أمّ جميل المضروب بها المثل عند العرب في الفداء والوفاء، يقال (أوفى من أمّ جميل)، وروي عنْ أبي الفضل الميداني أنّها من قبيلة أبي هريرة، وسببُ شهرتها بالشّجاعة والفدائيّة أنّها قامت بحماية شخصٍ من المظلومين يدّعى ضرار بن الخطّاب، ولأنّها كانت تظنّ أنّ المذكور أخٌ لعمر بن الخطاب، ذهبت إلى المدينة المنورة في عهد عمر، وأخبرته أنّها دافعت عن أخيه ضرار، وكان عمر يعلم بالحادثة من قبل، فقال لها إنّه أخي في الإسلام، وليس أخي لأبي أو لأمّي، ثمّ أعطاها بعضَ المال من بيت المال نظرًا لأنّها كانت على سفر أيّ من أبناء السبيل.

ويذكرُ ابنُ الأثير أنّ هناك ثماني صحابيّات كنيتهنّ أمّ جميل، واحدة منهنّ فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر، كما كانت كنية زوجة أبي لهب (حمّالة الحطب) الملعونة الآتية الترجمة أمّ جميل أيضًا. وأمّ جميل بنت الأرقم، وكانت من نساء البصرة اتّهمتْ بالزّنا مع المغيرة بن شعبة والي البصرة في عهد عمر بن الخطاب، فعُزل من منصبه، وشهد أربعة على ذلك، وهُم: أبو بكرة الثقفي مولى النّبيّ ﷺ، وأخوه لأمّه زياد بن أبيه، ونافع بن كلدة، وشبل بن معبد، ولأنّ شهادة زياد بن أبيه سقطت سقط الحدّ عنهما.

٦٥- أمّ جندب:

كانت زوجة الشّاعر امرئ القيس، تزوّجها المذكور من قبيلة طيئ، ولكنّها

كرهته بعد ذلك فطلّقها، وتذكر روايةٌ أخرى أنّها طُلّقت لسبب آخر وهو أنّها عُيّنت حكمًا في مناظرةٍ شعريّة وقعت بين زوْجها امرئ القيس وعلقمة بن عبدة المشهور بعلْقَمة الفحل، وقد رجّحت شعر علقمة على شعر زوْجها فبغضها وطلّقها. فقد اتّفقا الشّاعران أنْ ينظمَ كلّ واحد منهما قصيدةَ بائيّة، فنظم امرؤ القيس قصيدةَ مدحٍ في مطلعها فرسه، فقال:

خليلي مرّ بي عــلــى أمّ جـنـدب
لنقضي لبـانات الفـؤاد الـمـعـذب
فـللساق الهوب ولـلـسـوط درة
وللزجـر منه وقع أهوج مـتـعـب

فردّ عليه علقمة بقصيدة مطلعها:

فأقبل يهوى ثانيـًا مـن عـنـانـه
يمرّ كمرّ الـرّيـح الـمـتـحـلـب

ولما رجّحت شعر علقمة على شعره بغضها وطلّقها، وشاعت غلبة علقمة على امرئ القيس فعُدّ من فحول الشّعراء.

وأمّ جندب اسمُ ثلاثٍ من الصّحابيات، واحدةٌ منهنّ رملة بنت الوقيعة والدة أبي ذر الغفاري، واشتهرت بهذا الاسم نسبةً لاسم ابنها جندب.

٦٦- أمّ حبيبة بنت أبي سفيان:

ابنةُ أبي سفيان الأموي من رؤساء قريش، ومن زوجات النّبيّ ﷺ، كانت متزوّجة بشخص يدعَى عبيد الله بن جحش، ولأنّها تشرّفت بالإسلام في بدايات الإسلام هاجرت الهجرةَ الأولى إلى الحبشة، ووضعت هناك ابنتها حبيبة التي حملتْ بها من صلب عبيد الله، وبالرغم من أنّ اسمَها الأصلي رملة إلّا أنها لُقّبت بأمّ حبيبة نسبة لابنتها. وقد ارتدّ زوجها- والعياذ بالله- وهو في الحبشة، أمّا هي فثبتت على الإسلام، ومات زوْجها على النّصرانيّة، أمّا هي فظلّت على إسلامها، تزوّجت بالنّبيﷺ، وقد عُقد قرانها على النّبيﷺ بمعرفة ملك الحبشة النجاشي، ووكالة خالد بن سعيد، وعلى رواية عثمان؛ حيث ينقل عنها ما يلي «كنت في الحبشة ولا أعلم أيّ شيء»، وجاءتني جارية من

جواري النّجاشي تزفّ إليَّ البشرى بأنّ النّبيّ أرسل وكيلًا من عنده ليعقدَ قراني على النّبيﷺ وينقلني معه إلى الرّسول، ولفرط فرحتي بالخبر أهديت الجاريةَ سوارَيْن من الفضّة كانا في يدي، وخاتمَيْن كانا في أصبعي. وقد فرحتُ جدًّا بالأمر لأنّ أمرَ زواجي وأنا في الغربة كان أمرًا صعبًا، فعندما أرسل النّبي ﷺ الرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، أرسل رسالة أيضًا إلى ملك الحبشة أصحمة بن بحر، مع عمرو بن أميّة الضّخر، وكلّفه النّبيّ بمهمّة أخرى مع الرسالة، وهي أنْ يعقد قراني على الرّسول بالوكالة عنه، وعندما وصل رسولُ رسول الله إلى النجاشي وعرض عليه رسالة النّبيّ قبلها النجاشي بكلّ طاعة، وأعلنَ إسلامه في حضور جعفر الطيّار، كما عقد قران أمّ حبيبة على النّبيّ بعد أنْ أدّى لها المهر الذي أرسله الرّسول، وكان يبلغ ٤٠٠ درهم، ثمّ أقام الولائم، وبعد أنْ أطعم الطّعام، أرسل كافّة المهاجرين ومعهم زوجة رسول الله بسفينتين خاصّتين إلى بلاد العرب.

كانت أمّ حبيبة متديّنة للغاية فيروى أنّ أباها أبا سفيان قدمَ إلى المدينة المنورة ليجدّد المعاهدة التي نقضتها قريش مع خزاعة بسبب هجوم قريش عليها، ولما دخلَ بيت النّبيّ أراد أنْ يجلس على فراش النّبيّ فمنعتْه أمّ حبيبة، وقالت له إنّك مشرك، ولا يصحّ أنْ تجلسَ على فراش رسول الله».

٦٧- أمّ حبيبة بنت جحش:

صحابيّة أخت أمّ المؤمنين زينب بنت جحش، وهي حمنة بنت جحش التي كانت موجودة في حادثة الإفك التي حدثت للسيدة عائشة.

٦٨- أمّ حبيبة زينب:

سيدةٌ محدّثة من مشايخ الإمام السيوطي، وستحدّث عنها مرّة أخرى في حرف الزّاي في اسم زينب بنت الشويكي.

٦٩- أمّ حسن:

من المتصوّفات الوارد اسمهنّ في كتاب النّفحات، كانت تشتهرُ بالزّهد

والورع بين أهالي الكوفة، كانت معاصرة لسفيان الثوري، وكان يذهب لزيارتها، وفي إحدى زياراته لها تعجّب لمّا لم يرَ في المنزل سوى حصيرٍ قديم بالٍ، قال لها: يا أمّ حسن هلّا كتبنا رسالةً إلى أبناء عمومتك ليعتنوا بك. فقالت له: يا سفيان، أنا لا أطلب شيئًا في هذه الدّنيا سوى الله مالك الدّنيا وما عليها. فكيف أطلب شيئًا بعدَ ذلك من أناس كلّهم فقراء إلى الله؟ والله لا أريد أنْ تمرّ عليّ لحظة في هذه الدّنيا أنشغل فيها عن الله.

وتوجد صحابيّة أخرى بنفس هذا الاسم.

٧٠- أمّ حكيم البيضاء:

هي أمّ حكيم ابنة عبد المطلب التي مرّ ذكرها في مادّة أروى، وهي خالة الرّسول ﷺ، كانت تشتهر بالبيضاء وبقبّة الديباج لجمالها وحسنها.

وقد نظمت مرثيّة في وفاة والدها عبد المطلب قالت فيها:

ألا يا عين جودي وأسهلي وبكّي ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين ويحك أسعليني بدمع من دموع هاطلات
وبكي من ركب خير المطايا أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبه ذي المعالي كريم الخيم محمود الحيات
وصولًا للقرابة هبرزيا وغياثًا في السنين المجملات
وليثا حين تشتجر العوالي تروق له عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى إذا ما الدّهر أقبل بالهنات
ومفزعها إذا ما هاج هيج بداهية وخصم المعضلات
فابكيه ولا تسمّي لحزن وأبكي ما بقيت الباكيات

٧١- أمّ حكيم الخارجية:

هي زوجةُ الخائن المسمّى نافع بن الأزرق الذي يتبعه جماعة الأزرقيّة، أحد مغالاة الخوارج. وهي السّبب الرئيسي في واقعة دولاب التي وقعت عام ٦٥ هـ في عهد ابن الزبير. كانت تشتهر بالجمال، وقيل فيها:

إذا قلت تسلوا النفس أو ينتهي المنى أبي القلب الأحب أمّ حكيم

وقد رويَ في الأغاني أنها رأت زوجها نافع اعتزل المذهبَ وجماعته بعد أنْ ظهرت اختلافات ومشكلاتٌ بين أتباعه، ولما شعرت بأنه سيعتزل عنهم، ولن يتدخّل في أمر الجماعة، قالت له: «لقد كفرت بعد إيمانك، إنْ كنت تشكّ في مذهبك، فاترك هذا الدّين وهذه الدعوة، ولا تدّعي أنّك من الخوارج، أمّا إنْ كنت من المؤمنين حقًّا فاقتل الكفار (تقصد المؤمنين حقًّا) أينما تجدهم، فقد دعا نوح بأنْ لا يذر اللهُ على الأرض من الكافرين ديّارًا، وأنت أيضًا يجبُ عليك قتل أهل الكفر نسائهم وأطفالهم، وقد أُعجبَ نافع بكلام زوجته، ووجد في تلك الكلماتِ الدّافعَ الذي يحثّه على القتال، فأحدث حرب الأزارقة التي عُرفت باسم واقعة دولاب نسبةً لقرية دولاب التي وقعت بها، وقد قُتل نافع في تلك الحرب، وتوجد تفصيلاتٌ عن هذا الموضوع في تاريخ الكامل، والأغاني المجلد ٦.

٧٢- أمّ حكيم المخزومية:

هي أمّ حكيم ابنة الحارث بن هشام المخزومي من رؤساء قريش. ومن كبار الصّحابيات، ويُنسب لها الجسر المعروف باسْم (قنطرة أمّ حكيم) الواقع بالقرب من الشّام من ناحية الحجاز، كانت في الأصل متزوّجة من ابن عمّها عكرمة بن أبي جهل، وجاءتْ يومَ الفتح إلى الرّسول وطلبت الأمان لزوْجها عكرمة، فقد كان المذكورُ من أشدّ أعداء المسلمين كأبيه، ولأنّه كان يعلم أنّه سيتمّ الفتك به يومَ فتح مكّة فرّ هاربًا إلى اليمن، ولحقت به زوجته أمّ حكيم وهو على وشكِ ركوب إحدى السفن، وقالت له: إنّي آتيك بالأمان من رسول الله، وأحضرته إلى الرّسول، وكانت سببًا في إسلامه.

وبعد استشهاد عكرمة يوم اليرموك، تزوّجت أمّ حكيم من الصّحابي خالد بن سعيد، وبعدها وقعتْ واقعة أجنادين، ولأنّ أمّ حكيم كانت زوجة خالد اصطحبَها معه في المعركة، ووصل

الجيش إلى منطقةٍ مرج الصّفرة، ولأنّ خالد كان لم يدخل بها، طلبَ منها أنْ يدخل بها، فقالت له لترجئ هذا الأمر إلى ما بعد المعركة وهزيمة الكفّار، فقال له: ولكنّي قد أُقتل في مجاهدة نفسي فوافقت على طلبه، وأسّست لها خيمة عند أحد الجسور الواقعة في الجوار، لذا عُرف هذا الجسر باسْم قنطرة أمّ حكيم، وتمّ إعداد الطّعام الذي أكل منه الجميع، ولما وقعت المعركة استشهد خالد، فقتلت أمّ حكيم بصاري خيمتها سبعة من الكفار، رضي الله عنها وعن زوجها.

٧٣- أمّ حكيم الواصلة:

مذكور في كتاب الأغاني أنّها زوجة عبد العزيز الأموي، كانت من أشراف نساء قريش، ولأنّها جمعت بين الحسب والنّسب والجمال أطلق عليها الواصلة، كما كانت ابنتُها زينب تلقّب أيضًا بلقب الواصلة، ولعدم اللّبس كان يطلق على ابنتها الواصلة بنت الواصلة، وسنوردها إنْ شاء الله تعالى في حرف الزّاي، عقد عبد العزيز الأموي قرانَه عليها في عهد جدّه عبد الملك بن مروان، وكان حفل زفاف كبير دُعيَ فيه أكابر الشّعراء ليهنئوا وينظّموا القصائد بتلك المناسبة، ومنهم جرير وعدي بن الرقاع، وقد أعطي لكلّ منهما ١٠ آلاف درهم (٤٠ ألف قرش)، وعلى حسب ما أورده صاحب كتاب الأغاني أنّها- أي أمّ حكيم- كانت مولعة بشرب الخمر، وكان لها قدحٌ نفيس، وهو الكأس المشهورة بين الشّعراء بكأس أمّ حكيم، وقد ظلّت هذه الكأس محفوظة لفترةٍ في خزائن السّلاطين، وتوجد عدّة أشعار عنها في المجلّد الخامس عشر من كتاب الأغاني، منها هذا النّظم للوليد بن يزيد:

علّلاني بعاتقات الكروم
وأسقياني بكأس أمّ حكيم
إنّها تشرب المدامة صرفًا
في إناء من الزجاج العظيم

(وبالرّغم من أنّ شربَ الخمر محرّم

في الإسلام، إلّا أنّه لا يستبعد شرب أمّ حكيم لها، لأنّ شربَ الخمر كان شائعًا بين رجال الدّولة الأموية).

وبخلاف أمّ حكيم المخزوميّة توجد خمس صحابيّات بهذا الاسم، رضي الله عنهنّ.

٧٤- أمّ الحياء الأنبارية:

محدّثة مشهورة اسمها زهرة، كانت متبحّرة في علم الحديث، لم نعثرْ على ترجمة لها.

٧٥- أمّ خارجة:

كانت من نساءِ العرب في العهد الجاهلي، تزوّجت كثيرًا من الرجال، فقد كان كلّ مَن يأتي إليها ليخطبها، كانت تعدّ الخطوبة زواجًا، وتسلمه نفسَها، فاشتهرت بسرعة النّكاح، حتّى أنها أصبحت مضربًا للمثل عند العرب، يقال (أسرع من نكاح أمّ خارجة)، اسمها الأصلي عمرة، وأمّ خارجة نسبة لولدِها الذي لا يُعرف له نسب، ، وتوجد صحابيّتان بنفس الاسم.

٧٦- أمّ الخيار:

زوجةُ أبي النّجم الشّاعر المشهور الذي قال (أنا أبو النّجم، وشعر شعري) وهو من مشاهير شعراء العصر الأموي، ومن الأبيات التي نظمها المذكور في زوجته:

قد أصبحت أمّ الخيار تدعي على ذنبٍ كلّه لم أصنع.

٧٧- أمّ الخير البغدادية:

سيدةٌ محدّثة من مشاهير النساء في بغداد في القرن السّادس، كانت تُعرف بجمال النّساء، أخذت علم الفقه والحديث بطريق السّماع عن العلماء المتبحّرين فيهما أمثال ابن البطي وأبي المظفر الكاغدي وشجاع الحربي، ثمّ قامت بنشر هذا العلم الذي تلقّته، بعدما تلقّت العلم على يد مجموعةٍ كبيرة من العلماء الكبار المحدّثين أمثال إسماعيل بن عساكر وفاطمة بنت سليمان والقاضي تقي الدين سليمان وابن سعدة وابن شحنة، وحصلت منهم على الإجازة، كان لها نصيبٌ من الزّهد والفضل يعادل نصيبَها من العلم، حجّت عدّة مرّات، وتوفيت عام ٦٤٠هـ. رحمها الله.

٧٨- أمّ الخير خديجة:

هي السيدةُ التي أطلقوا عليها ضوء الصباح، كانت محدّثة أيضًا، توفّيت عام ٧٣٤هـ. كما كانت تمتلك حسنَ الخطّ وملكة الإنشاء، كانت تكتب إجازاتها بنفسها.

٧٩- أمّ الخير بنت يوسف:

محدّثة من مشايخ الإمام السيوطي، وقد ذكرَها الإمام في كتابه المنجم في المعجم. وأمّ الخير رابعة، وسنذكرها في حرف الرّاء، وأمّ الخير هاجر سنذكرها في حرف الهاء، وأمّ الخير زينب سنذكرها في حرف الزّاي.

٨٠- أمّ الخير بنت الحريش:

تابعيّة من أهالي الكوفة، لم ترَ الرّسولَ ﷺ، ولكنّها قابلت أصحابه، وكانت من أنصار عليّ بن أبي طالب في موقعة صفّين، وقد روى في كتاب المحاضرات عن حلم معاوية تلك الحكاية: «أرسل معاوية رسالة إلى واليه في الكوفة، يقول له فيها: اذهبْ إلى أمّ الخير بنت حريش، وأحضرها إليّ معزّزة مكرّمة، فإنّني سأسألها عن تصرّفاتك في الكوفة، فإنْ أجابت بخير كان خيرًا، وإن أجابت بشر عاقبتك». تسلّم الوالي الرّسالةَ وسلّمها إلى أمّ الخير فقالت له: لن أعصى أمرَ أمير المؤمنين، ولن أكذبَ عليه في شيء، لاسيّما أنا أريد مقابلتَه من فترة لأخبرَه ببعض الأمور التي تجول بصدري منذ فترة. وحينما ودّعها الوالي قال لها: يا أمّ الخير، إنّ أمير المؤمنين سيسألك عن حالي، فإنْ أجبته بخير عاملني بخير، وإنْ أجبته بشرّ فسيعاقبني، فقالت له أمّ الخير: يا هذا، لن أقابلَ إحسانك بالإساءة، وسأخبر عنك الحقيقةَ ولن أكذب، وأوصى الوالي بأنْ تعامل في الطّريق معاملةً حسنة، ولما وصلت عاصمة معاوية نزلتْ في قصره، وفي اليوم الرّابع دعيت إلى مجلس معاوية، وكان يجلس فيه أصحابه، وعندما دخلت ألقتِ السّلام على أمير المؤمنين، فردّ عليها السلام، وقال لها: يا خالة، هل وجدت مشقّة في قدومك من الكوفة إلى

هنا، فقالت له: لا يا أمير المؤمنين، لقد أتيت بالرّاحة، فقال لها: يا أمّ الخير، لقد منحتك الأمان وحسن النّية، عندما قُتل عمار بن ياسر في موقعة صفّين مَن كنت تقصدين بكلامك الذي قلته، بالتّأكيد كنت تقصدينني، فقالت له: يا أمير المؤمنين لقد نسيت هذا الكلام لأنني لم أذكره لأحدٍ من يومها، وعلى أيّة حال لو كنت تريد سماعه منّي الآن لن يثمرَ بشيء، لأنني وقتها كنت منفعلةً من هول المشهد فقلته، أمّا الآن وأنا في هذا المجلس فسيكون كلامي حسنًا، فقال معاوية للحاضرين: هل منكم مَن يحفظ شيئًا ممّا قالته؟ فأجاب أحد الحاضرين: نعم، أنا أتذكّر بعضًا منه، فقال له معاوية: هيّا قلْ لنا، قال الرّجل: رأيتُ في ذلك اليوم أمّ الخير تركب ناقة وفي يدها سوط، وكانت تقول للناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ثمّ سألتهم بشكلٍ يدعو إلى إيضاح الطّريق لهم والوصول بهم إلى برّ الأمان، إلى أين تذهبون رحمكم الله؟ هل تفرّون من أمير المؤمنين علي؟ أمْ تفرّون من الجهاد؟ أمْ أنكم أعرضتم عن الإسلام؟ ألم تسمعوا قولَ الله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ثمّ رفعتْ رأسَها إلى السماء وقالت (اللّهم قد عيل صبري، وضعف اليقين، وبيدك يا رب أزمّة القلوب فاجمع اللّهم بها الكلمة على التقوى وألّفَ القلوب على الهدى) فشجّعت بتلك الكلمات جنودَ علي وحثّتهم على قتلك، فقال لها معاوية: يا أمّ الخير، لقد قلت تلك الكلمات تريدين بها قتلي، وأنا الآنَ لو قتلتك لن أعيّر بذلك. فقالت له: لن يضرّني هذا بشيء، لأنّ قتلي سيكون على يد شخص سيحسن علي بالسعادة في سبيل شقاوته، فقال لها معاوية: هيْهات يا كثيرةَ الفضول، وماذا تقولين في حقّ عثمان؟ فقالت: وماذا أقول في حقّه، لقد رضي الناس عنه فولوه، ثمّ رفضوه فقتلوه، فقال لها أهذا فقط رأيك في عثمان؟ فقالت: يشهد الله أنني لا أنقص من شأنه فهو سابقٌ إلى الخيرات رفيع الدّرجات

يوم القيامة، فقال لها: وماذا تقولين في طلحة؟ قالت: لقد بشّره النّبيّ بالجنّة، فقال: وماذا تقولين في الزّبير؟ فقالت: وماذا أقولُ في شخص كان ابن خالة النّبيّ ﷺ، وشهد له النّبيّ أنّه من أهل الجنّة، ثمّ قالت: يا معاوية، اعفُ عنّي لله حتّى تقول عنك قريش إنّك حليم، ولا تسألني شيئًا من تلك الأسئلة مجدّدًا. فعفا عنها معاوية وأجزلَ لها العطاء، وأعادها إلى بلدتها.

٨١- أمّ الخير بنت صخر:

مِن الصّحابيات، والدة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عمرت كثيرًا لدرجة أنّها ورثت زوجها أبا قحافة وابنها الصّديق رضي الله عنه، وعندما ولدت أبا بكر أخذتْها في حضنها وذهبتْ به إلى الكعبة، وقالت (يا ربّ أعتقْ هذا من الموت فهبْه لي)، فسمع الحاضرون صوتًا يأتي من أحدِ أركان البيت العتيق يقول:

يا أمة الرحمن بالتحقيق فزت بحمل الوليد العتيق يعــرف في الــتــوراة بالصديــق

ولهذا لُقّب أبو بكر بالعتيق، وهذا ما سُرد في كتب اللّغة والسير.

٨٢- أمّ الدرداء:

صحابيّة من أهل الزّهد، كانت تسمّى خيرة، هي سيّدة الصّحابي الجليل أبي الدرداء، ولقوّة حفظها روتْ أحاديث كثيرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، وعن زوْجها أبي الدّرداء، ويذكر ابنُ الأثير أنّها من فضلياتِ الصّحابيات، كانت تشتهر برجاحة العقل، كما كان زوْجُها أبو الدرداء عاقلًا حكيمًا، ولأنّ زوجها كان يسمّى عويمر، فقد مدحه النّبي ﷺ قائلًا (عويمر حكيم أمّتي)، وقد تولّى قضاء الشّام عندما فتحت للإسلام، ويقال إنّه توفّي عام ٣٢ هـ، ودُفن في الباب الصّغير، ويقول البعض بأنّه عاد إلى المدينة. أمّا القبر الموجود في أسكدار لأبي الدرداء فهو لا أصل له، أو ربّما يكون لشخص يكنى بنفس الكُنْية، لاسيّما أنّه يقال إنّ باستانبول قبور الكثير من الصّحابة، ولا يُعرف منها ولم يثبت سوى قبر أبي أيوب الأنصاري فقط،

ولكن هذا لا يمنع من أنْ نقرأ لأرْواحهم جميعًا الفاتحة، فستصلُهم أينما كانوا، فلا وجودَ للتعصّب. انتهى القاموس.

ولأبي الدّرداء زوجةٌ أخرى تكنّى بأمّ الدّرداء، ولكنّها تزوّجت أبا الدرداء بعد وفاة الرّسول، لذا يقال لها الصّغرى، أمّا أمّ الدرداء صاحبة التّرجمة فيُقال لها الكبرى، واسمها خيره بنت حدرد الأسلميّة، أمّا الصّغرى فاسمها هجيمة.

٨٣- أمّ رعلة القشيرية:

سيّدةٌ من أرباب الفصاحة والبلاغة من نساء العرب، ويذكر إمامُ المستغفرين أنّها من الصّحابيات. فقد أتتْ للرّسول- ﷺ- وقالت له: السّلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته، إنا ذوات الخدور ومحلّ إزر البعول، ومربّيات الأولاد وممهّدات المهاد، ولا حظّ لنا في الجيش أعظم، فعلمنا شيئًا يقرّبنا إلى الله عزّ وجلّ، وهي تشبه بذلك خطاب أسماء الأنصاريّة السّابقة الترجمة للرسول، فقد ذهبتْ إليه هي الأخرى وطلبت منه نفس الطّلب.

ويُذكر في الإصابة أنّه بعد وفاة النّبي ﷺ كانت المشار إليها تأخذ الحسنَين على حمار، وتلفّ بهما في شوارع المدينة، وكانت تنشد معهما عندما يصلون إلى منزل السّيدة فاطمة:

يا دار فاطمة المعمـــورة ساحتـــها
هيّجـت لي حزنًا حـيـيــت من دار

كانت- رضي الله عنها- سليمةَ الصّدر مليحة الشّعر.

٨٤- أمّ رومان:

زوجةُ سيّدنا أبي بكر، وهي والدة السيدة عائشة وعبد الرحمن، ويكفيها فخرًا أنّها كانت حماة الرّسول، توفّيت عام ٧ هـ، وقد دفنَها النّبي ﷺ بيده الشّريفة، وبشّرها بأنّها من أهل الجنّة، فقال: مَن سرّه أنْ ينظر لواحدةٍ من حواري الجنّة فلينظر إلى أمّ رومان، رضي الله عنها.

٨٥- أمّ زرع:

هي أمّ زرع الواردة في الحديث الشريف (كنت لك كأبي زرع لأمّ

زرع) الذي قاله النّبي- ﷺ- للسيدة عائشة رضي الله عنها. هي سيدة تسمّى عاتكة من اليمن، وقيل إنّها من قرى مكّة، ويُستدلّ مما ورد في كتاب المشارق الشّريفة أنّ الحديث المذكور صحيحٌ متّفق عليه في البخاري ومسلم، فذاتَ يوم كانت السيدة عائشة عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، وافتخرت بمال أبيها عندما كان في الجاهلية، فقال لها النّبيّ اصمتي يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأمّ زرع.

وحكاية أمّ زرع على النّحو التالي:

اتّفقت إحدى عشرة امرأة من نساء العرب أنْ تتحدّث كلّ واحدةٍ منهنّ عن زوجها، ولا تُخفي شيئًا عنه، ولأنّهنّ كنّ أهل فصاحة، ابتدأت واحدةٌ منهنّ الكلام، فقالت (زوجي لحم جمل غثّ على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى) فأوضحت أنّ زوجها قليلُ النّفع شبّهته بلحم الإبل المتعسر هضمه. وقالت الثّانية (زوجي لا أبثّ خبره إنّي أخاف ألّا أذره أنْ أذكره أذكر عجره وبجره) أي أنّي أخافُ أنْ أذكر عيوبَ زوجي فأنسى بعضها، وأخشى إنْ قلتها أنْ أذكرها كلّها. وقالت الثّالثة (زوجي العشنق إنْ أنطق أطلق وإنْ أسكت أعلق) ولفظ العشنق يعني الطّويل، وهو هنا على غير معناه فهي أرادت به الأحمق، وقصدت بذلك أنّ زوجها إنْ تكلّم طلق، وإنْ سكت علّقها بين الزواج والطّلاق، فلا نفع منه، وقالت الرّابعة (زوجي كليل تهامة لا حرّ ولا قرّ ولا مخافة ولا سامة). أمّا الخامسة فقالت (زوجي إنْ دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عمّا عهد)، وقالت السّادسة (زوجي إنْ أكل لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليعلم البث)، أمّا السّابعة فقالت (زوجي عياياء طباقاء، كلّ داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلا لك)، أمّا الثّامنة فقالت (زوجي المس مس أرنب والرح ريح زرنب) وزاد بعضهم (وأغلبه والناس يغلب)، وقالت التّاسعة (زوجي رفيع العماد، طويل النّجاد، عظيم الرماد، قريب

البيت من النادي)، وقالت العاشرة (زوجي مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك، إبل كثيرة المبارك، قليلة المسارح، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهنّ هوالك) والمزهر تعني صوت المزمار، أي أنّه كان يعزفُ المزمار عند قدوم أحد الضّيوف ابتهاجًا، فتعلم الإبل أنهنّ سيُذبحن، أمّا الحادية عشرة فقالت (زوجي أبو زرع فما أبو زرع أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي، ويحبحني فبحبحت إلى نفسي وجدني في أهل غنيمة بشقّ فجعلني في أهل صهيل وأطيد ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبّح وأشرب فأتنقح). وأرادت بذلك مدح زوجها أبي زرع فتقول هو الذي جعلها في صحة وحالة جيدة، فبعد أنْ كانت تعيش في ضيق في قومها بين الرّعي وغيره، جلبها إلى بحبوحة العيش ورغدها، وأنّها مهْما قالت كان لا يقبح قولها، وكان يتركها تنام للصّباح، وإذا ما شربت تشرب حتّى ترتوي، ثمّ أردفت أمّ زرع بعد ذلك تمدح أبناءه وبناته وجواريه، ولكنْ نظرًا لأنّ هذا ليس في موضوعنا اكتفينا بنقل الكلام الخاصّ بزوجها فقط.

وللقاضي عياض صاحب الشّفاء شرح مستقلّ لحديث أمّ زرع هذا.

٨٦- أمّ سعد:

هي بنتُ عصام الحميرية، من أديبات الأندلس، ولأنّ اسمها سعدونة سنوردها في حرف السّين. وتوجد سبعُ صحابيّات أخريات باسم أمّ سعد، منهنّ كبشه أمّ سعد والدة سعد بن معاذ، وقد ناحتْ على ابنها، فقالت (ويل أمّ سعد سعدًا، صرامة وجدًا، سدّ به مسدًا) فقال النّبي ﷺ (كلّ نائحة تكذب إلّا أمّ سعد).

وقال المناوي في التّفسير، ومن خصائص المصطفى أنْ يخصّ مَن شاء بما شاء.

٨٧- أمّ السلطان:

هي أمّ السّلطان المضاف إليها الأثر المسمّى (مدرسة أمّ السّلطان)، وهو من الآثار المصريّة المذكورة في خطط

المقريزي. والدة السلطان شعبان أحد السلاطين الأتراك الذين حكموا في مصر كفرع من الدولة الأيوبية في الفترة من أواسط عام ٦٠٠هـ إلى أواخر عام ٧٠٠هـ، ويذكر المقريزي عن تلك المدرسة أنها من الأبنية العالية والمدارس الجليلة، بنتها المشار إليها خارج باب زويلة في قرافة أهل القاهرة بالقرب من قلعة الجبل، وكانت بنايتها عام ٧٧٠ه، كان بها قاعات لدروس المذهب الحنفي وأخرى للمذهب الشافعي، كما أمرت ببناء سبيل أمام المدرسة ليكون وقفًا لها.

ولأنّ المذكورة اسمها بركة فسنوردها بمشيئة الله تعالى في حرف الباء.

٨٨- أمّ سلمة:

بنت أبي أميّة بن المغيرة المخزومية، من الزّوجات المطهرات، اسمُها الأصلي هند، وتكنّت بأمّ سلمة نسبةً لابنها سلمة، الذي أنجبته من زوجها الأوّل أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي. ولأنّها كانتْ من أرباب الفصاحة والبلاغة فقد روت عن رسولِ الله ﷺ ٣٧٨ حديثًا. وعندما تولّى عثمان الخلافة وجّهت إليه هذا النصح البليغ «يا بني، ما لي أرى رعيّتك عنك نافرين، وعن جناحك ناقرين، لا تعفّ طريقًا كان رسول الله ﷺ يحبّها، ولا تقتدح بزند كان عليه الصّلاة والسّلام أكباه وتوخ حيث توخ صاحباك، فإنّهما ثكما الأمر ثكمًا، ولم يظلما هذا حقّ أمومتي قضيته إليك، وإنّ عليك حقّ الطّاعة». فأجابها عثمان بإجابةٍ فيها الصّواب حيث قال (هو كأبي الزّند وصلود الزند) وأصبح هذا القول مضربًا للمثلِ عند العرب، وهذا مسطورٌ في كتاب مجمع الأمثال.

وعندما توفّي ابنُ عمّها الصّحابي الجليل الوليد بن الوليد بن المغيرة نظمت تلك الأبيات في رثائه:

يا عين فابكي للوليد بن الوليد بن المغيرة
قد كان غيثًا في السنين ورحمة فينا وميرة
ضخم الدسيعة ماجدًا يسمو إلى طلب الوتيرة
مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيرة

وسنورد في حرف الخاء تحت اسم خيرة فيوضاتها الرّوحانيّة للحسن البصري.

أمّ سلمة خديجة، وهي المحدثة خديجة بنت بدران، من أساتذة الإمام السيوطي.

٨٩- أمّ سليم:

هي أمّ سليم بنت ملحان بن خالد، من قبيلة بني الخزرج، والدة أنس بن مالك، واحدة من الصّحابيات القانطات الصّالحات، كانت متزوجة في زمن الجاهليّة بمالك بن النضر، وهو والد أنس بن مالك الصّحابى الجليل الذي خدم النّبيّ ﷺ، سافر مالك بن النضر في العهد الجاهلي إلى الشّام ومات هناك، فظلّت أمّ سليم فترة بلا زواج، ولما ظهر الإسلام وتشرّفت بنوره، أتاها أبو طلحة الأنصاري أحدُ شجعان المدينة ليطلبها للزّواج، وبالرّغم من أنّ المذكور كان ثريًا وشريفًا في قومه، إلّا أنّها ردّته لأنه لم يكن قد أسلم بعد، وقالت له إنّ أسلم فستهبُ نفسَها له، وأوضحت له حقيقة الإسلام، وإنّ ما يسيرون فيه من عبادة للأصنام إنّما هي شرك بالله، ثمّ قالت له ألا تخجل من أنّك تعبد حجرًا، أو قطعة من الخشب لا تضرّ ولا تنفع ؟ ففكّر الرجل في كلامِها فوجده صحيحًا، وأعلن إسلامه وتزوّجها.

ولما هاجر النّبي ﷺ إلى المدينة وأقام في منزل أبي أيوب الأنصاري أتاه المسلمون كلّ على حسب مقدرته بالهدايا والعطايا، وتقول أمّ سلمة لم يكن في يدي شيء لأقدّمه للرّسول، فأخذت ابني أنس وكان ابن اثنتي عشرة سنة، وقلت له: يا رسولَ الله، هذا ابني أنس ليكن خادمَك، فادعُ له. فدعا النّبي ﷺ بطول العمر وزيادة الرّزق والأولاد، فعاش أنس بن مالك- رضي الله عنه- مائة وثلاث سنوات، وكان له ٨٠ ابنًا، كلّهم ذكور ما عدا بنتين، كما كان له حوائط كثيرة خارج المدينة دلالة على ثرائه، ولما ذهب أنس بن مالك- رضي الله عنه- إلى الشّام ليعلم النّاس الفقه، توفّي هناك عام ٩١ هـ- رضي الله عنه- وعن أمّه.

وكانت لأمّ سلمة أختٌ تسمّى أمّ حرام من الصّحابيات التي لها مكانة في بيت النبوة، فقد اعتاد الرّسول ﷺ أنْ ينام وقت القيلولة، وفي إحدى المرّات، استيقظ من نومه وكانت أمّ حرام في منزله، فابتسم الرسول وقال لها: لقد عُرضت عليّ طائفةٌ من أمّتي رأيتهم يركبون البحر على الألواح كالسّلاطين؛ فقالت له أمّ حرام: ادعُ لي يا رسولَ الله بأنْ أكون معهم، فقال لها النّبيّ: أنت معهم يا أمّ حرام، حقيقة لقد كانت تلك الرؤية مبشّرة بفتح جزيرة قبرص، حيث فتحت في عهد خلافة عثمان بإغراء من معاوية، وقد ذهبت أمّ حرام في تلك الغزوة مع زوجها عبادة بن الصامت، وعندما نزلوا إلى الجزيرة سقطت أمّ حرام من الدابة فماتت شهيدة، رضي الله عنها.

٩٠- أمّ سليم بنت سحيم:

وهذه- أيضًا- واحدةٌ من الصّحابيات.

٩١- أمّ سنان:

زوجة مكدم بن عامر، من أبناء ثعلبة بن مالك بن كنانة من عرب مُضر، ووالدة ربيعة ابن مكدم أحد مشاهير شجعان العرب، وفي إحدى الوقعات جُرح ابنُها جرحًا كبيرًا، فأتى أمّه يقول لها ستفقدين شجاعًا مثلي، فقالت له:

إنّا بنو ثعلبة بن مالك
مرور أخبار لنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك
ولا يكون الرزء إلّا ذلك

فشجّعت ابنها بتلك الكلمات الحماسيّة وحثّته على الثّبات في المعركة فقرّر أنْ يدافع عن النساء التي معه إلى آخر رمقٍ في حياته، فتحامل على نفسه، وقال لهنّ: اركبنَ إبلكنّ وأسرعنَ وأنا سأظلّ هنا على فرسي متكئًا على رمحي، وإذا ما رآني الأعداء على فرسي فلن يجرؤ على الاقتراب منكنّ، فهربت النّسوة، ومات ربيعة على فرسه، ولم يتجرّأ أحد من الأعداء على ملاحقة النّساء؛ لأنّهم كانوا يظنّون أنّه حيّ، ولما طال مكوثُه على الفرس، أدرك الأعداء أنّه مات، وبذلك رويَ أنّ مقتولًا أو ميتًا حمى

النساء، وله مرثية قالتها أخته أمّ عمرو، سنوردها فيما بعد.

٩٢- أمّ شريك:

سيدةٌ من نساء عصر النّبوة، اسمها الأصلي غزيه، وبالرّغم من أنّها وهبت نفسها للرسول ليتزوّجها بلا مهر، إلّا أنّه لم يحدث بينهما زواج.

٩٣- أمّ الصريع الكندية:

من فصيحات نساء قبيلة كندة العربية، والأبياتُ التّالية من منتخبات باب التعازي والمراثي في ديوان الحماسة من نظمها:

هوت أمّهم ماذا بهم يوم صرعوا
بجيشان من أسباب مجد تصرما
أبو أنْ يفرّوا والقنا في نحورهم
ولم يرتقوا من خشية الموت سلما
ولو أنّهم فرّوا لكانوا أعزّة ولكن
رأوا صبرًا على الموت أكرما

وقدْ نظمت المذكورة تلك الأبيات في إخوانها، عندما هلكوا في موقعةٍ حدثت بمنطقة تسمّى جيشان.

٩٤- أمّ طويس:

والدةُ طويس المغنّي، كان ابنها مخنّثًا، وبالرغم من أنّها كانت من نساء عهد النبوّة، والنّبي يقول: خيرُ القرون قرني، ثمّ الذي يليه، ألا أنّها كانت ذات سمات وصفاتٍ تتّسم بالخسّة والدناءة، وكانت تسير بالنميمة بين نساء الأنصار وتوقعُ بينهم. ولد ابنها طويس يوم وفاةِ الرّسولﷺ، وفُطم عن الرضاع يومَ وفاة الصديق، ويُنقل عن طويس هذا أنّه نادى في أهل المدينة قائلًا: يا أهلَ المدينة، ترقّبوا خروج الدجال عليكم مادمت حيًّا فيكم، فقد ولدت يوم وفاة الرّسول، وفُطمت يوم وفاةِ الصّديق، وبلغت يوم استشهادِ عمر، وتزوّجت يوم استشهاد عثمان، وأنجبتُ يوم استشهاد علي، كان المذكور اسمه طاوس، ولمّا أصبح مخنثًا حُقّر بتصغير اسمه فسمّي طويس.

ويُحكى في كتب المحاضرات أنّ سليمان بن عبد الملك الأموي أراد أنْ يحصي عددَ المختثين وينفيهم إلى مكانٍ بعيد، وذلك

من كثرة الشّكوى من هيت المخنث - المذكور في ترجمة ابنة غيلان السّابقة- فكتب الخليفة المشار إليه رسالةً إلى والي المدينة يقول له فيها (أحْصِ المختثين) أي أحْصِهم عددًا لنعرف أينَ سننفيهم، وبحكمة الله تعالى سقطت نقطةٌ من الحبر على الورقة فصارت أخص المخنثين، ولما وصل الأمر إلى والي المدينة قام بخصي كلّ المختثين، وجعلهم خدّامًا، وعندما قطعوا آلة طويس قال لهم (أفّ لكم ما سلبتموني إلّا ميزاب بولي).

٩٥- أمّ عاصم:

هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح الأنصارية، أخت الصّحابي عاصم بن ثابت، وزوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان اسمُها قبل الإسلام عاصية، ولمّا أسلمت أسماها الرّسول جميلة، ولقّبت بأمّ عاصم نسبةً لولدها عاصم بن الفاروق.

٩٦- أمّ عاصم:

والدةُ عمر بن عبد العزيز، أحد خلفاء بني أميّة الذين اشتهروا بالعدل والصّلاح، ويذكر معظم أهلِ التّواريخ، وخاصّة الشيخ في المسامرات أنّ عمر بن عبد العزيز هذا كان حفيدَ الفاروق، فيروى أنّه في عهد عمر الفاروق، وفي إحدى الليالي خرج عمر إلى الطّرقات يتحسّس أحوال الرّعية، وإذا به يسمع صوت امرأة تقول لابنته: هيّا ضعي اللّبن في الماء، تريد بذلك غشّ اللّبن، فقالت لها البنت: يا أمّاه، لقد نهانا أميرُ المؤمنين عمر عن الغشّ فكيف نفعل ذلك، فقالت لها أمّها في إصرار منها على المعصية: ومَن سيدري عمرًا، إنّه لا يرانا، سنتظاهر بطاعته، ولكن يجبُ علينا أنْ نعصاه في الخفاء، ولما سمع الفاروق هذا الحوار بين المرأة وابنتها أعجبته البنتُ جدًّا لأخلاقها ودينها، فزوّجها لابنه عاصم، وأنجبت منه أمّ عاصم، التي أنجبت عمر بن عبد العزيز.

وعلى حسبِ ما أورده أبو الفضل الميداني أنّ أمّ عاصم المذكورة في المثل (ليتَ حفصة من رجال أمّ عاصم) هي أمّ عاصم المذكورة. وكانت حفصة

أختها غير الشّقيقة، حيث تزوّجها عبد العزيز الأموي بعد وفاة أمّ عاصم، ولكنها لم تكن بأخلاق أمّ عاصم فلم تعجبْ أقارب زوجها، فأطلقوا عليها المثل السّابق.

٩٧- أمّ عباس:

هي والدةُ عبّاس بن أبي الفتوح الصنهاجي، ومِن آثارها مسجد أمّ عباس المذكور في خطط المقريزي، فقد أمرت ببنائه عام ٥٤٧هـ في عهد السّلطان الظّافر بالله الفاطمي، وقد انهدم المسجد مؤخّرًا، وعلى حسب ما أورده المقريزي أنّ تلك المرأة كانت مغربيّة اسمُها بلاوه، ويذكر أبو الفدا أنّها تزوّجت برجلٍ يُدْعى عادل بن سلار بعد وفاة ابن أبي الفتوح، ولما قوت شوكة عادل المذكور أصبح وزيرًا للدّولة، وظلّ فترةً وزيرًا، إلى أنْ تغلّب عليه ابنه عباس فأصبح وزيرًا مكانه، لذلك كان يقال لأمّ عباس أمّ الوزير أيضًا.

٩٨- أمّ عباس:

اسمُ واحدة من بناتِ الهادي العباس، كانت تُلقّب بنونة.

٩٩- أمّ عقبة:

على حسبِ ما ورد في آخر المجلّد الأوّل من الكتاب المسمّى (تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشّاق) لداود الأنطاكي صاحب كتاب التذكرة، أنّها كانت زوجة وحبيبة وفيّة لرجلٍ يدْعى غسّان بن جهضم، كان زوجُها مفتونًا بها، لأنّها كانت من أجمل النّساء وأحسنهم خلقًا، وعندما حانَ أجل غسان نظر إلى وجْه زوجته وأخذ يبكي، وقال لها سأقرأ عليك بعضَ الأبيات، وأرجو منك أنْ تصْدُقيني القول فيما سأسلُك فيه، فأقسمتِ المرأة على أنها ستُصْدقه القول، فقال:

أخـبري بـالذي تريديـن بعـدي
مـا الذي تضمريـن يـا أمّ عـقبـة
تحفظيـني من بعد موتـي لـما قد كان
مني من حسن خـلـق وصحـبـة
أم تريديـن ذا جمـال ومـال
وأنا في التـراب في سجـن غـربـة

فأجابت أمّ عقبة بتلك الأبيات:

قد سمعنا الذي تقول وما قد
خفته يا خليل من أمّ عقبة
أنا من أحفظ النساء وأرعاها
هنّ ما قد أوليت من حسن صحبة
سوف أبكيك ما حييت
بشجو ومراث أقولها وبندبة

ثمّ قال لها زوجُها وهو يحتضر إنّه بالرّغم من أنّه يثقُ فيها جيدًا إلّا أنّه يخشى عليها من عدم الوفاء التي تصابُ به النّساء بعد وفاة أزواجهنّ، وطلب منها أنْ تحافظ على وعدِها معه بالوفاء له، بعد ذلك أسلم روحه.

وبالرّغم من أنّ الأزواجَ توافدوا على أمّ عقبة بعد وفاة زوجها كثيرًا يطلبون منها الزّواج، إلّا أنّها رفضتْ محافظة على عهدها مع زوجها، وأنشدت تلكَ الأبيات:

سأحفظ غسانا على بعد داره
وأرعاه حتّى نلتقي يوم محشر
وإنّي لفي شغل عن النّاس
كلّهم فكفوا فمثلي من النّاس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة
تجول على الخدّين منّي فتكثر

ولكنّها بعد فترةٍ ليست بالقصيرة أجابت دعوة أحدِ طلّابها، سائرة على القول القائل (مَن مات فقد فات)، وفي يوم الزّفاف ظهر لها غسّان في الرؤيا وأخبرها بأنّها لم تفِ بوعدها معه، ونظم عليها تلك الأبيات:

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة
ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدًا
لم تصبري حولًا حفاظًا لصاحب
حلفت له يومًا ولم تنجزي وعدًا
غدرت به لما ثوى في ضريحه
كذلك يُنسى كلّ من سكن اللحد

فاستيقظتْ من نومها خائفة، واستيقظت النّسوة الأخريات، وقلن لها ماذا بك، فروت لهم الرّؤيا، فحاولوا بشتّى الطّرق أنْ يوضّحوا لها أنّ هذه أضغاثُ أحلام، ولكنّها صمّمت على

رأيها بعدم الزّواج، واللحاق بزوجها، وغافلتهم وضربت نفسَها بسكّين فماتت، وقد رويت تلك القصة في مجلس هشام بن عبد الملك الأموي عندما كان الكلامُ يدور عن عدم الوفاء بين النّساء، فتعجّب هشام جدًّا من وفاء تلك المرأة.

١٠٠- أمّ عقيل:

والدةُ عقيل بن أبي طالب، وهي فاطمة بنت أسد، الآتية التّرجمة في حرف الفاء، والبيت الذي يستشهدُ به في باب كان في كتب النّحو:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمأل بليل

من أبياتها التي كانت تقولها لملاعبة ولدها عقيل عندما كان طفلًا، والبيت من شواهد كان حيث أتت به مضارع في حكم المبتدأ، وهذا شاذّ، وشمأل أي ريح الشمال.

١٠١- أمّ العلا:

مِن أديبات الأندلس، من نساء القرن الخامس الهجري، وهي ابنةُ تاجر يدعَى يوسف بمدينة تسمّى وادي الحجارة، كانت صاحبةَ فطنة، وفصاحيّة وبلاغة، والأبيات التّالية المذكورة في كتاب نفح الطّيب من أبياتها:

كلّ ما يصدر عنكم حسن وبعلياكم تحلى الزمن

تعطف العين على منظركم وبذكراكم تلذ الأذن

مَن يعشْ من دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يغبن.

ويذكر ابنُ الأثير أنّ هناك صحابيتيْن كنيتهما أمّ العلا.

١٠٢- أمّ علقمة الخارجية:

امرأةٌ من الخوارج، كانت تشتهر بحُسن الخطاب، لما أسرها جنود الحجّاج الظالم وساقوها إليه، قال لها أتباعُها من فرقة الخوارج أطيعه ظاهرًا، فالشّرك في حالة الخطر جائز، فردّت عليهم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ودخلت على الحجاج بلا خوف، فقال لها الحجّاج «يا عدوّة الله، قد قتلت عباد الله بالسّيف كناقة عمياء»، فردّت عليه «لقد خشيت الله تعالى لدرجة أنّه حقّرك في نظري أكثر ممّا أحقر الحجر»، ولأنّ اقتراف الكبائر عند الخوارج كفر؛ ولأنّ أمّ علقمة كانت متشدّدة للغاية،

فكانت لا تنظر إلى الحجّاج أثناء حديثها معه، بل كانت تنظر إلى الأرض، فقال لها الحجّاج: انظري إليّ وأنت تحدّثينني، فقالت له: كيف أنظرُ لرجلٍ لن ينظر الله إليه، فقال الحجّاج لأعوانه ماذا تقولون في تلك المرأة؟ فقالوا: دمُها حلال، فقالت له: إنّ أعوانَ أخيك فرعون كانوا خيرًا مِن أعوانك، فعندما استشارهم في أمر موسى قالوا تُمْهله لنرى، فأمرَ بقتلها لقولها هذا.

١٠٣- أمّ علي:

من المتصوّفات المذكورات في كتاب النّفحات، زوجة أحمد الخضروي من أتقياء الأمّة، ويروَى عن الشّيخ أبي حفص أنّه قال كنت قبل أنْ أقابل أمّ علي زوجة الخضروي أحقر النساء، وأكره خطابهم، ولكنّي بعد أنْ قابلتها علمت أنّ الله تعالى ينعم بمعلمه ومعرفته على مَن يشاء مِن عباده.

١٠٤- أمّ علي النقية:

وسنوردها في حرف النّاء إنْ شاء الله تعالى.

١٠٥- أمّ عمارة:

سيدةٌ من مشاهير الصّحابيات، ابنة كعب من أبناء مازن بن النجار، وزوجة زيد بن عاصم من الأنصار، وبالرّغم من أنّها مدنيّة إلّا أنّها آمنت قبل الهجرة، حيث وفدتْ إلى مكّة، وكانت من الذين بايعوا الرّسول بيعة العقبة. وبالرّغم من أنّها امرأة إلّا أنّها اشتركت في غزوة أحد وجرحتْ بها، ولأنّ اسمَها الأصلي نسيبة ستوردُها في حرف النون بمشيئة الله تعالى.

١٠٦- أمّ عمر أخت ربيعة:

هي أمّ عمرو أخت ربيعة بن مكدم، السّابق ذكره في ترجمة أمّ سنان، من شاعرات نساء العرب، نظمت الأبيات التّالية في رثاء أخيها ربيعة:

مـا بـال عينـك منهـا لدمـع مهـراق
سـحا ولا عـارب لالا ولا راقـي
أبكـي عـلى هالـك أودى فأودنـي
بعـد التفـرّق حزنًـا بعـده باقـي
لـو كان يرجـع ميتًـا وجـد ذي رحـم
أديـم لي سـالمًا وجـدي وإشـفاق
لـو كان يفـدى لـكان الأهـل كلهـم
ومـا أثمـر مـن مـال لـه واقي

لكــن ســهام المنايا مــن تصــير لــه
لم يغنــه طــب ذي طــب ولا راقــي
فاذهــب فــلا يبعدنــك الله مــن رجــل
لاقــى الــذي كلّ حــي مثلــه لاقــي
فســوف أبكيــك مــا ناحــت مطوقــة
ومــا سريــت مــع الســاري عــلى ســاقي
أبكــي لذكرتــه عــبرى مفجعــة
مــا إن يجــف لهــا مــن ذكــره ماقــي

١٠٧- أمّ عمرو بنت وقدان:

من مشاهير نساء العرب، وهي شاعرة معروفة، والأبيات التالية من أبياتها المسجّلة في ديوان الحماسة:

فــإنْ أنتــم لــم تطلبــوا بأخيكــم
فــذروا الســلاح وحشــوا بالإبريــق
وخــذوا المكاحــل والمجامــد والبســوا
نقــب النســاء فبئــس رهــط المرهــق
الهاكــم أنْ تطلبــوا بأخيــكم
أكــل الخزيــر ولعــق أجــرد أمحــق

والمرادُ من تلك الأبيات التي نظمتها التوبيخ لَمن لا يثأر لأخيه من قاتله. ولفظ وحشوا في البيت الأوّل إنّما هو فعل أمرٍ من فعل التّوحيش. أبرق اسم مكانٍ بعينه. وقد نظمت تلك الأبيات لتحثّ على الثّأر للأخ، وتوبّخ مَن لم يقم بذلك، وكلمة الخزير الواردة في البيت الثّالث معناها كما أوردها المرحوم عاصم في القاموس المحيط هي لحم العصيدة. ويروى عن السّخاوي شارح ألفيّة العراقي أنّها الأكلة التي تسمّم بها أبو بكر الصديق.

وأم عمرو كنيةُ ستّة من الصحابيات، وكنية محبوبة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة، وقد ذكرها عمرو في مطلع قصيدته المعلّقة فقال:

صــددت الــكأس عنّــا أمّ عمــرو
وكأنّ الــكأس مجراهــا اليمينــا
ومــا شرّ الثلثــة أمّ عمــرو
بصاحبــك الــذي لا تصبحينــا

أمّ عمرو، وهي امرأةٌ أخرى ذكرت في تاريخ الكامل لابن الأثير وفي الطبري،

ورد ذكرها في قصّة عمرو بن عدي ابن أخت امرأة تدعى جُذيمة الأبرش المعروفة برقاش، سنبيّنها لاحقًا، وأمّ عمرو هذه هي أوّل مَن تفوّه بالمثل القائل (لا تعطِ العبد الكراع فيطمع في الذّراع). وسبب قولها هذا المثل أنّها كانت مدعوّة للطّعام عند جذيمة المذكورة مع شخصٍ يُدْعى عقيل وشخصٍ يدْعى مالك من أصدقاء جُذيمة، وبينما هُم يأكلون دخل عليهم عمرو بن عدي المذكور ابن أخت جذيمة -وكان غائبًا منذ فترة- رثّ الثياب، فنزل على الطّعام فأعطته جذيمة كارعًا، فأكلَها وطلب أخرى، فقالت أمّ عمرو هذا القول الذي أصبح مضربًا للمثل (لا تعطِ العبدَ الكراع فيطمع في الذّراع)، وتستمرّ الحكاية في الكتابيْن المذكورين على النّحو التالي، أنهم بعد إتمام الطّعام، قامت أمّ عمرو بتوزيع الشراب على الحضور، وأخّرت عمرو بن عدي إلى الآخر، فقال البيت المشهور (صددت الكأس عنّا أمّ عمرو) وهذا بالتأكيد ليس بصحيح؛ لأنّ هذا البيت مطّلع إحدى المعلّقات السّبع المشهورة، أمّا القصيدة فهي من الأشعار التي نظمت في عهد عمرو بن هند كما سنبيّن ذلك لاحقًا تحت عنوان (ليلى بنت المهلهل)، وعمرو بن هند متأخّر جدًّا عن جُذيمة المذكورة.

ولم يُر قيد في شروح المعلقات يتضمّن شيئًا بذلك الخصوص.

وبالصّفحة ٦٣٨ بكتاب الجواهر الملتقطة توجد حكاية أخرى لسيّدة تدْعَى أمّ عمرو، كانت امرأة بغداديّة زانية، ولأنّ قصّتها الفجوريّة طويلة لم نوردها هنا.

١٠٨- أمّ عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة الدوسية:

كانتْ من زوجات سيّدنا عثمان بن عفان، اشتهرتْ بالحماقة لدرجة أنّها كانت تضع الخنفساء في فمها، وتغلقه، وتقول (حاجيتك ما في فمّي؟) أي خمّن ماذا في فمي؟

١٠٩- أمّ عيسى:

كنية ثلاثِ نساء من مشاهير العرب، واحدة منهنّ صحابيّة والأخرى فقيهة، وهي ابنة الإمام إبراهيم بن إسحاق

الحربي، توفّيت عام ٣٢٨هـ والثّالثة ابنة الخليفة العباسي الهادي، وزوجها بالخليفة المأمون، أمّا أمّ عيسى ابنة الإمام إبراهيم فهي فقيهة، كانت لديْها ملكة الإقناع، وكان الناس يعتمدون عليها. رحم الله الجميع.

١١٠ - أمّ الفتى:

والدةُ أحد الأبطال الذين كانوا مع سيدنا علي في موْقعة الجمل، تعهّد هذا البطل برفع المصحف الشّريف أمام الجيش الذي يقاتل سيدنا علي، ولما قطعتْ يدُه اليمنى رفعه باليسرى، ولما قطعت رفعه على صدْرِه، حتّى قتل، فقالت فيه أمّه تلك الأرجوزة:

لاهم إنّ مسلماً دعاهم تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

يتلو كتــاب الله لا يخشاهم قد خضبت

من علــو لحاهم وأمّهم قائمة تراهم

١١١ - أمّ الفتح:

هي أمّ الفتح بنت أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منظور الشجري البغدادية، وهي المحدثة المشْهورة التي أطلقوا عليها ابنة السّلام، عمّرت كثيرًا، وقرأت الكثيرَ من الأحاديث ودرستها، توفّيت عام ٦٨٠هـ رحمها الله تعالى.

١١٢ - أمّ الفضل:

هي أمّ الفضل لبابة، المذكورة سابقًا في ترجمة أسماء بنت عميس. صحابيّة، زوجة ابن عباس، وهي أختٌ شقيقة لميمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين، أنجبتْ من العباس ستّة ذكور هم: فضل وعبد الله ومعبد والقثم وعبيد الله وعبد الرحمن، وتكنّت بأمّ فضل على أوّل أولادها، ويقال لزوجها العباس أيضًا أبو الفضل، والابن الثّاني لها هو عبد الله بن عباس المشْهور ترجمان القرآن، وقد لقّب بأبي الخلفاء، وابن سيّد الناس، ولأنّ أمّ الفضل امتازت عن نساء أشراف قريش الأخريات بأنّها أنجبت ستة ذكور فقد كانت لها مكانة خاصّة، وقد قيل في حقّها:

ما ولدت نجيبة من فحل كستّة من بطن أمّ الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل عمّ النّبيّ المصطفى ذي الفضل

وخاتم الرســـل وخير الرســـل تتمة

وقد أنجبتْ من رجلٍ آخر غير العباس أربعة أبناء هم: الحارث وكثير وعون

وتمام، فصاروا بذلك عشرةَ ذكور، فكانت تحتضنُ أصغرهم وهو تمّام، وتلفّ به وتقول:

تموا بتمام فصاروا عشـرة يا رب فاجعلهم
كرامًا بررة واجعـل لهم ذكرًا وأنمِ الثمرة

وتوجد صحابيّتان أخريان باسم أمّ الفضل إحداهما كريمة العباس، والأخرى كريمة أخيه حمزة.

١١٣- أمّ الفضل:

ابنةُ الخليفة العباسي المأمون، ولكمال علمها وحسبها ونسبها زوّجها بمحمّد التقي من أحفاد الرّسول، وأرسلها إلى المدينة المنورة، وقد أنجبت أمّ الفضل منه علي النقي، وبعد وفاة زوجها وابنها وفدتْ إلى بغداد، ودخلت قصر المعتصم.

١١٤- أمّ الفضل بيبي:

هي بيبا صاحبة جزء بيبي، محدثة مشهورة، سنوردها في حرف الباء. وأمّ الفضل خديجة محدّثة مصريّة سنوردها في حرف الخاء، وأمّ الفضل مريم من مشايخ الإمام السيوطي، وسنوردها في حرف الميم.

١١٥- أمّ قرفة:

سيدةٌ مشهورة من قبيلة فزارة العربية، صاحبة المثل القائل (أعزّ من أمّ قرفة)، كانت في منعة من قومها، وعزّة كبيرة فقد كان لها من محارمها خمسون نفرًا مسلّحون، لذا ضُرب بها المثل في الشوكة والمناعة، فيقال (أعزّ من أمّ قرفة) أو (أمنع من أمّ قرفة). كانت المشار إليها تدّعَى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت رئيسة بني فزارة، أمّا أمّ قرفة فهو كنيتها باسم ابنها، ولأنّها خالفت النّبي ﷺ أرسل إليها في العام السّادس من الهجرة النبويّة سارية بقيادة زيد بن حارثة فقضت عليها.

١١٦- أمّ قيس الضبية:

من مشاهير نساء قبيلة بني ضبّ العربية، ومن مشاهير الشّاعرات في ديوان الحماسة، وقد نقلنا لها تلك الأبيات من ديوان الحماسة، وكانت قد نظمتها في رثاء شخص يدّعى ابن سعد:

مَـن للخصـوم إذا جـدّ الضجـاج بهـم
بعـد ابـن سـعد ومـن للضمـر القـود
ومشـهد قـد كفيـت الغائبـين بـه

في مجمع من نواصي الناس مشهود
فرجته بلسان غير ملتبس
عند الحفاظ وقلب غير مزؤد
إذا قناة امرئ أزرى بها خورا
هزّ ابن سعد قناة صلبة العود

وبخلاف تلك المرأة توجد ثلاثُ صحابيّات باسْم أمّ قيس، إحداهنّ أسدية، والأخرى هذلية، والثالثة لا نعرف نسبها.

١١٧- أمّ كحة:

صحابيّة نزلت فيها آية الفرائض، كانت زوجة الصّحابي أوس بن ثابت الأنصاري، ولما استشهدَ زوجُها في غزوة أحد قام أبناء عمومته بأخذ كلّ ميراثه وحرموا أمّ كحة وبناتها الثلاث من حقّهم، وذلك على عادةِ العرب في الجاهلية، فنزل قولُ الله تعالى (وللنّساء نصيب) فأخذ النّبيّ كلّ الأموال التي أخذها أبناء عمّه، ثمّ نزلت آية توزيع حصص الميراث (يوصيكم الله)، فقام النّبيّ بإعطاء المرأة الثمن، والثّلثين للبنات، والباقي لأبناء عمومته. وقد وردَ اسم المشار إليها في كتاب أسد الغابة المطبوع، بالجيم (أم كجة) خطأ مطبعيًّا.

١١٨- أمّ الكرام:

ابنةُ المعتصم بن صمادح ملك مرية، كانت من أديبات الأندلس، اشتهرت بين الأدباء بمَلَكتها على النّظم والنثر، وبخلافها توجد أمّ الكرام السلميّة وهي صحابيّة، وأمّ الكرام وهي ابنة سيدنا علي. كما كانت زوجة الإمام ابن حجر العسقلاني أيضًا تسمّى أمّ الكرام، وكانت محدّثة.

١١٩- أمّ كلثوم:

اسمٌ لعدّة نسوة من مشاهير نساء العرب، وأشهرُهم بالطّبع أمّ كلثوم بنت النّبيّ ﷺ، فقد كان للنّبيﷺ أربع بناتٍ هنّ: زينب ورقيّة وأم كلثوم وفاطمة، وقد زوّج النّبيّ رقيّة إلى سيدنا عثمان، وبعد وفاتها زوّجه بأمّ كلثوم، وهذا هو سببُ تلقيبه بلقب ذي النّورين، فقد أصبح صاحبَ نورَيْن بزواجه من كريمتي الرّسول ﷺ، وقد تزوّج عثمان بأمّ كلثوم في السّنة السّادسة من الهجرة، وتوفيت في السّنة التاسعة من دون ذرية، رضي الله عنها.

١٢٠- أمّ كلثوم:

وهي- أيضًا- ابنةُ سيدنا علي وفاطمة بنت الرّسول، وهي التي يطلقون عليها

أمّ كلثوم الكبرى، تزوّجت في بادئ الأمر بعمر بن الخطاب، وأنجبت منه زيدًا ورقيّة، وقد لقب زيد بذي الهلالين باعتبار جدّيه الأمجدين، وعندما توفّي عمر بن الخطاب زوّجها والدُها علي بن أبي طالب إلى ابن عمّه عون بن جعفر الطّيار. ولسيدنا علي ابنةٌ أخرى باسم أمّ كلثوم، وكانت تلقّب بأمّ كلثوم الصّغرى، وقد تزوّجت بعبد الله الأصغر بن عقيل، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

١٢١- أمّ كلثوم بنت عبدود:

أختُ عمرو بن عبدود من مشاهير فرسان وشجعان العرب المعروف بالطّامة الكبرى، كانت من أرباب الشّعر والفصاحة، وعلى حسب ما روي في كتب السّير والغزوات، إنّ أخاها عمرو قُتل على يد علي بن أبي طالب في غزوة الخندق، فنظمت فيه تلك المرثيّة:

أسدان في ضيق المكر تجاولا
وكلاهما كفؤٌ كريم باسل
فتخالسا سلب النّفوس كلاهما
وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهما حسر القناعة حفيظة
لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فأظفرت بمثله
قول سديد ليس فيه تحامل
لو كان قاتل عمر غير قاتله
لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به من
كان يدعى قديمًا بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة
إلى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى اللهُ إلّا يكون لهم
مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا أمّ كلثوم ابكيه ولا تدعي
بكاء معولة حرى على ولد

وكلمةُ بيضة البلد الموجودة في الأبيات تستخدم كناية عن العزّة والمذلّة، ويقال في المثل (أذلّ من بيضة البلد)، ويقول الشّاعر:

تأبى قضاعة أنْ تعرف لكم نسبًا
وأبنا نزار فأنتم بيضة البلد

ويقول شاعر آخر:

كانـت قريـش بيضـة فانفلقـت
فالمـدح خالصـة لعبـد منـاف

وقُصد بها هنا العزّة، وتقال تلك الكلمة للرّجل الذي له مكانة بين قومه، وقد تمّ تفصيل ذلك في المقالة الثّانية والثلاثين في أطواق الذهب.

استطراد

لأنّ البيضة بيضاء فهي تسمّى عند العرب بيضة. والبيضةُ للطائر بمثابة الولد بالنسبة للإنسان. وقد فصّل الجاحظ الكلام في فصلٍ عن الحيوانات التي تلد، والطّيور التي تبيض، فقال له أعرابي إنّ كلّ هذه التّفصيلات التي ذكرتها يمكن جمعُها في كلمتين (كلّ أذون ولود، وكلّ صموخ بيوض).

وعبدُ ودّ المذكور في الأبيات مضاف، وود بضمّ وفتح الواو اسمُ صنم، ومذكور في القرآن (ودًّا ولا سواعًا)، وقد قال لي الشيخ محمد الشنقيطي وهو من مجاوري المدينة المنورة إنّه لم يزَ بين أبناء العرب الذين قابلهم مَن هو أعلم مِن مولانا الشيخ يوسف الأسير الصيداوي باللغة العربيّة وفنونها والأنساب. ولما قابلته في مكتبة عاشر أفندي في شهر جمادى الآخر لعام ٩٢، وكان مشغولًا بنسخ كتاب، وعرضت عليه الاسمَ المارّ (ودّ) قال إنّ قراءة ورش والمغاربة يقرءونها بضمّ الواو.

وتوجد خمسُ صحابيّات باسم أمّ كلثوم، منهنّ أمّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق، ولسيدنا الحسين ابنة باسم أمّ كلثوم، وأمّ كلثوم الواردة في الأبيات التّالية هي أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر، زوجة الكندي.

ففي عام ٤٩هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان جيشًا كبيرًا لفتح بلاد الرّوم بقيادة سفيان بن عوف، وقد طلب من ابنه يزيد أنْ يخرج مع الجيش، ولكنه تعلّل بالمرض فقعد، ولمّا لاقى هذا الجيش الشدائد والأوجاع والجوع نظمَ أحدُهم هذا البيت:

مـا أن أبـالي بـما لقيـت جموعهـم
بالفرقدونـة مـن حمـى ومـن مـوم
إذا اتـكأت عـلى الأنـماط مرتفقـا
بديـر مـران عنـدي أمّ كلثـوم

ولما وصلتْ تلك الأبيات إلى مسامع والده أخذته الحميّة، وأقسم على أنْ يلحق يزيد بسفيان في أرض الرّوم، وأنْ يُصاب هو الآخر بنفس الشدائد التي تعرّض لها الجيش، وخرج ابنه في حلة للّحاق بسفيان بن عوف، وكان بها أبو أيوب الأنصاري. وكلمة سام الواردة في الأبيات الطّعام الغليظ الذي يصيبُ بوجع البطن، وفرقدونه ودير مران اسم مكان.

أمّ كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعي كانت من زوْجات عمر الفاروق، ولأنّها كانت مشركة طلّقها عمر بعد نزول آية (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فتزوّجها من بعده أبو جهم بن حذيفة بن غانم.

١٢٢- أمّ مالك:

توجد مجموعةٌ كبيرة من نساء العرب تكنّى بهذا الاسم، ومنهنّ صحابيّتان، ومنهنّ أيضًا أمّ مالك نعم بنت ذؤيب الخزاعى أمّ ليلى العامريّة الآتية الترجمة.

١٢٣- أمّ محمد:

من النّساء المتصوّفات المذكورات في كتاب النّفحات، وهي خالة الشيخ عبد القادر الكيلاني. وتوجد أمّ محمد أخرى وهي والدة الشيخ أبي عبد الله بن خفيف، وكانت- أيضًا- من الصّالحات والعارفات- قدّس الله سرّهما- وبخلاف المذكرين توجد الكثيرُ من النّساء اللاتي تكنين بهذا الاسم، ومنهنّ أسماء بنت محمد سابقة الترجمة، وغيرها الكثير من المحدّثات، كما تكنّى ثلاث صحابيات بهذا الاسم، وتوجد- أيضًا- أمّ محمد الثّقفية، وهي ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكانت زوجة سلم بن زياد بن أبيه، ومذكور في كتاب تاريخ الكامل أنّ سلم هذا كان واليًا على سجستان وخراسان في عهد يزيد بن معاوية، وقد نقل معه زوجته أمّ هذه إلى هناك.

أمّ محمد بنت صالح المسكين، إحدى زوجات هارون الرّشيد، وكان لها ابنتان بنفس الكنية واحدة منهنّ اسمها حدونة، والأخرى بنت صالح المسكين.

١٢٤- أمّ المساكين:

هي زينبُ الهلاليّة، من زوجات النّبيّ ﷺ، اشتهرت باسم أمّ المساكين،

لأنّها كانت تعطفُ على الفقراء، وسنذكرها بالتّفصيل في حرف الزّاي.

١٢٥- أمّ معبد:

من الصّحابيّات المشهورات، بنت الصحابي خالد الخزاعي، وزوجة أبي معبد الخزاعي، اسمها عاتكة الخزاعية. وقد وردت قصّتُها في الهجرة النّبوية. فعندما كان النّبيﷺ مهاجرًا إلى المدينة المنورة مع أبي بكر الصديق وعبده عامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الليثي دليلهم إلى المدينة مرّوا بخيمة في الصّحراء كانوا يطلقون عليها خيمة أمّ معبد، فرأى النّبيﷺ شاةً ضعيفة هزيلة ترقد في أحدِ أركان الخيمة، فمسح النّبيﷺ على ضرعها ففاض باللّبن فشرب وشرب أصحابُه حتّى ارتووا، وكان ضرعُها لا يزال كثيرَ اللبن. وتذكر أمّ معبد أنّ تلك الشّاة ظلّت تدرّ اللّبن بغزارة حتّى عهد الجفاف الذي حلّ في عهد عمر، وتقول إنّ الأغنام كلها كانت جافة إلّا هي فكانت تفيض باللبن منذ أنّ مسح النّبيﷺ عليها. ومذكور في المواهب أنه بعد أنّ رحل النّبيّ وصحابته من هناك حضر زوج أمّ معبد ورأى اللبن في الخيمة كثيرًا على خلاف المعهود فسألها (ما هذا يا أمّ معبد أنى لك هذا والشاه عازب حيال ولا حلوب في البيت) فقصت عليه أمّ معبد الحكايّة ووصفت النّبيّ لزوجها فقالت (رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، مبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجله ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينه دعج، وفي أشغاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظمتن يتحدرون حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هزل، أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ربعة لا تشنأة من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادرون إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند» وبعد أنّ سمع أبو معبد تلك الأوصاف من زوجته قال إنّ هذا الرجل هو ذلك الرجل الذي ظهر في قريش، وأقسم إنّه لو كان موجودًا

في الخيمة وقتها لاتبعه، وقد أسلم أبو معبد وأمّ معبد بعد ذلك، ونالا شرف المصاحبة.

وأمّ معبد هو كنية ثلاثة من الصّحابيات أيضًا.

١٢٦- أمّ معمر:

هي لبنى بنت الحباب، معشوقة قيس بن زريح، ستوردُها بمشيئة الله تعالى في حرف اللام. كما يطلق على أمّ مالك ليلى العامريّة الواردة في أشعار المجنون كنية أمّ معمر أيضًا.

١٢٧- أمّ موسى:

هي أمّ موسى كهرمانة، أمّ ولد الخليفة العباسي المُقتدر بالله، كانت جارية متسلطة متحكمة في شئون الحكم، ترك له الخليفة كلّ شئون الخلافة من عزلٍ وتصب ورفض وقبول، حتّى أنّ وزيره علي بن عيسى اضطرّ لاعتزال منصبه لحدوث مشادات كثيرة بينه وبينها.

١٢٨- أمّ موسى بنت منصور:

هي أخت يزيد بن منصور، ووالدة محمد المهدي من الخلفاء العباسيّين، ومن زوجات منصور الدّاونقي، وهي- أيضًا- أمّ جعفر الأكبر والدة زبيْدة زوجة هارون الرشيد، وكان اسمها الأصلي أروى.

وأمّ موسى هو اسم والدة سيدنا موسى عليه السّلام، كما ورد اسمها في القرآن، وتذكر بعضُ الكتب أنّ اسمَها كان يوخابذ، أمّا أمّ موسى فهو كنيتها.

١٢٩- أمّ النحيف:

مِن شاعرات ديوان الحماسة، ولأنّ شعرها نالَ قبولَ الشّعراء والأدباء، فقد أدرج في الديوان المذكور، والأبيات التّالية لها مأخوذة من باب الملحّن في الدّيوان المذكور:

لعمري لقد أخلفت ظنّي وسؤتني
فخرت بعصياني الندامة فاصبر
فلا تك مطلاقًا ملومًا وسامح
أل قرينة وأفعل فعل حر مشهر
فقد حزت بالورهاء أخبث خبثة فدع
عنك ما قد قلت يا سعد وأحذر
تربص بها الأيام عل صروفها

ستـرمي بهـا في جاحـم متعسـر

فكـم مـن كريــم قـد منــاه إلهـه

بمذمومــة الأخــلاق واسـعة الحـر

فطاولهـا حتّـى أتتــها منيــة

فصـــارت سفـــاة جثـوة بـين أقـبر

فأعقــب لمـا كــان بالصبر معصـاً

فتـــاة تمشي بـين أتـــب ومئـزر

مهفهفــة الكشــحين مخطوطــة المطـا

كهـم الفتـى في كلّ مبــدى ومحـضر

لهـا كفـل كالدعـص لبـده النـدى

وثغــر نقـي كالأقاحــي المنــور

ويذكر شارحُ الحماسة أنّ المذكورة كانت والدة سعد بن قرط بن جذيمة، وأنّه تزوّج بفتاة لم تكنْ أمّه راغبة فيها وغير راضية عنها، ولما ضاق الابنُ بهذه الزّوجة أراد تطليقها فنظمت أمّه تلك الأبيات لتوبّخه بها.

مطلاق أيِ الرّجل الكثير الطّلاق للنساء، ملوم اسم مفعول من اللّوم لفظ تعييب، قرينه اسم للزّوجة، ورهاء أي الزّوجة الحمقاء، أخبث خبثة أي الزّوجة المتّصفة بالفجور، تربّص فعل أمر أي انتظر، صروفها أي الأيام، جاحم النار الشّديدة، طاولها من المماطلة في الأمر، منية أي موت، سفاة أي المقدار من التراب. جثوة أي التّراب المنثور. فتاة أي البنت البكر، أتب بكسر الهمز وسكون التّاء نوع من ألبسة النّساء عند العرب، مهفهفة الكشْحين صفة للفتاة أي ممشوقة القوام، مخطوطة المطا أي مستقيمة الظهر، مبدى ومحضر أي البادية والحضر، كفل دعص لبدة النّدى أي ممتلئة القوام، الأقاحي أي البابونج.

١٣٠ - أمّ النساء:

بنتُ عبد المؤمن، التّاجر الفاسي، شاعرة مشهورةٌ من نساء عرب المغرب، والأبيات التّالية مأخوذةٌ من كتاب المسامرات لمحيي الدين:

جــاء البشــير بوعــد كان ينتظــر

فأصبـح الحـقّ مــا في صفــوه كــدر

مــن خيرهــا رغــد بالخــير يأمرنــا

وفي أوامــره التشــديد والنظــر.

ويُفهم من مطلع القصيدة أنّها قيلت إمّا في مناسبة نصر، أو في مناسبة جلوسِ حاكمٍ على العرش، لا سيّما وأنّها في بيتٍ من الأبيات التّالية وصفت ممدوحها بالشّجاعة والبطولة تقول:

ليــث إذا اقتحـــم الأبطـــال حومتـــه
يفنـــي الكتائـــب لا يبقـــي ولا يـــذر

١٣١ - أمّ الورد العجلانية:

سيدةٌ من نساء بني عجلان، وحكايتها مذكورةٌ في ترجمة ذات النّحيين الواردة الترجمة فيما يلي، وحكاية تلك المرأة على حسب ما ورد في قصّة ذات النّحيين، أنّها كانت تسير في البادية مع جواريها ورأوا بدويًّا يحمل قربةً بها سمن، فسألته هل هذا السّمن للبيع؟ فأجاب نعم، فقالت له افتح قربة لنراها، ففتحها فنظرتْ، فقالت: حسنًا لتمسك بها في يدِك، ونرى الأخرى ففتح الثّانية فنظرت إليها فقالت: حسنًا، أمسكْ بها فأمسكها في يده الأخرى، فأصبحتِ القربتان مفتوحتيْن في يد الرّجل، ولو تحرّك إلى أيّةِ ناحيةٍ لانسكبَ السّمن كلّه على الأرض، فأمرتِ المرأة الجواري بفكّ لباسه وتعرّى، فالتفت إليه هي والجواري، وضربوه على إليته ونادتْ (يا ثارت ذات النحيين)، أي اثأروا لذات النّحيين. وقد ذُكر في كتاب الجواهر الملتقطة نقلًا عن كتابِ الأغاني أنّ تلك الحكايةَ وردت في حقّ (عاتكة بنت الملا)، ويُقال بين العرب ثارت وتارت، وهي على تقدير حذف المضاف، أي يا أهل ثارات، وتعني يا كلّ مَن يريد الانتقام والثّأر ليأتِ، أمّا بالتاء فيقال (يا أهل أوتارها) ومفردها تارة أي حقد.

١٣٢ - أمّ هارون:

من المتصوّفات المذكورات في كتاب طبقات الشّعراني، كانت لا تهتمّ بزينة الدنيا قط، ولا تأخذ منها إلّا الخبز الذي يعينُها على الحياة، ظلّت عشرين سنة لا تمشط شعْرها، وبالرّغم من ذلك كان شعرها أفضلَ مِن شعر كلّ النّساء، وذات يوم صادفت أسدًا في البراري، فقالت له إنْ كان لك رزق في فالتهمني، فخافَ الأسد وهرب. قدّس الله سرّها.

١٣٣ - أمّ هاشم:

هي أمّ هاشم زوجةُ يزيد، وكانت تكنى أيضًا بأمّ خالد نسبةً لابنها خالد بن يزيد،

وبعد وفاة يزيد تزوّجت بمروان أملًا منها في استقرار السّلطنة، وذات مرّة دعا مروان ابنها خالد وعيّره قائلًا (يا ابنَ الرّطبة الأست)، ولما أخبر خالد والدته بذلك غضبت وتبهت عليه بألّا يقول ذلك لأحد، وألّا يعلم أحد بأنّه قال لها، ولما وجدتْ مروان نائمًا أجهزت عليه بالوسادة على وجهه هي والجواري فقتلْنَه.

أمّ هاشم الأنصارية، صحابيّة، وعلى قول ابن هشام من ثقاتِ الصّحابيات كانت كثيرة العلم، روى عنها جماعةٌ من المحدّثين، وكان قولها راجحًا بين الفقهاء، توفّيت عام ٩٨ هـ. وهي ابنة حارثة بن النّعمان من الأنصار، ومذكورة في أسد الغابة أمّ هاشم، أمّا في كتاب الوفيات فذكرت أمّ هشام.

١٣٤ - أمّ هانئ:

هي أمّ هانئ بنت عمّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بنت أبي طالب، وأخت علي رضي الله عنه، مختلَفٌ في اسمها؛ فقيل فاطمة، وقيل هند، وقيل فاخته، كانت متزوّجة من هبيرة بن عمرو المخزومي، أنجبت منه ولدها هانئ، لذا كنيت به، كان زوجها من عتاد المشركين، فرّ هاربًا يوم فتح مكّة، ونظم تلك الأبيات:

لعمـرك مـا وليـت ظهـري محمـدًا
وأصحابـه جبنًـا ولا خيفـة القتـل
ولكننـي قلبـت أمـري فلـم أجـد
لسـيفي غنـاء أن ضربـت ولا نبـلي
وقفـت فلـمّا خفـت ضيقـة موقفـي
رجعـت لعـود كالهزبـر إلى الشـبل

أمّا أمّ هانئ فقد أعلنت إسلامَها، وروت عن النّبيّ ﷺ ٤٦ حديثًا.

وتوجد بخلاف أبيات هبيرة التي نظمها في معرض الاعتذار عن فرارِه من المعركة، أبيات أخرى نظمها الحارثُ بن هشام أخو أبي جهل، نظمها أيضًا في معرض الاعتذار عن الفرار من المعركة، يقول:

الله يعلـم مـا تركـت قتالهـم
حتّـى علـوا فرسي بأشـقر مزبـد
ووجـدت ريـح المـوت مـن تلقائهـم

في مــــــآزق والخيــــــل لم تتبـــــدد
وعلمـــــت أني إن أقاتـــــل واحـــدًا
أقتــل ولا يــضرر عــدوي مشــهدي
فصــددت عنهــم والأحبــة فيهــم
طمعًـــا لهــم بعقــاب يــوم مرصــد

ويقال إنّه لم تُنظم أبيات أبلغ من تلك الأبيات، أمّا ابن الأثير (خلف الأحمر) فيرجّح أبيات هبيرة على أبيات الحارث، أمّا الأصمعي فيقول إنّ أحسنَ ما قيل من أشعار في باب الاعتذار من الفرار أبيات الحارث، وقد روى أنّ كثرة سيلان الدم وعدم تجلطه إنّما هي دليل على الشجاعة وقوة القلب، واستشهدوا بذلك يوم أنْ قتل الحجاج سعيد بن جبير رضي الله عنه، وبالرّغم من أنّ هناك بيتًا يقول:

ولــو أنّــا عــلى حجــر ذبحنــا
جــرى الدميــان بالخــبر اليقــين

إلّا أنّ حمرة الدم وسيلانه بشدة ليست دليلًا على قوة القلب.

١٣٥- أمّ هانئ بنت أبي الفوارس:

هي أمّ هانئ ابنة القاضي شرف الدين أبو القاسم من أحفاد أبي الفوارس بن سيف الإسلام، وهي محدّثة من أساتذة الإمام السيوطي، حصلت على الإجازة من الشّيخ أبي اليسر أحمد بن عبد الله بن الصنعان، ومن عشرة علماء معروفين آخرين في عام ٨٠٧هـ.

١٣٦- أمّ هانئ بنت فهد:

أمّ هانئ ابنة الحافظ تقيّ الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي، من أساتذة الإمام السّيوطي، ولدت في مكّة يوم الخميس ١٨ ذي القعدة لعام ٨١٧هـ.

١٣٧- أمّ هانئ مريم:

ابنةُ الشّيخ نور الدين أبي الحسن علي بن قاضي القضاة، تقي الدّين عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني الشّافعي، محدّثة مشهورة، والدة العلامة سيف الدين الحنفي- من أساتذة الإمام السيوطي-، ولدتْ في شعبان عام ٧٧٨هـ، حفظت القرآن الكريم وكتاب الملحة، وكتاب

مختصر أبي شجاع في الفقه، بعد ذلك اعتنى بها جدّها لأمّها فخر الدين القاياتي، وجعلها تتلقى وتستمع للكثير من مشاهير المحدثين، حصلتْ على الإجازة وهي في الثّامنة من عمرها، وأفنتْ حياتها في العلم ونشره، توفّيت ليلة السبت الموافق سلخ صفر لعام ٨٧١هـ. وقد ذكرها السّيوطي في كتابه المنجم في المعجم، وقد ذكر جمال الدّين يوسف حفيد الحافظ بن حجر العسقلاني هذا البيت لها:

إذا كنت لا تدري وغيرك لا يدري
إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر

وذيّله بالأبيات التالية:

فكـــنْ حامـــدًا لله شـــاكرًا فضلـــه
عـلى سـائر الأحـوال في السـر والجهـر
وكـــنْ ســـاجدًا لله مادمـــت قـــادرًا
لعلــك تحظــى بالســيادة والفخــر
فيهــا أيهــا الإنســان لأنــك جاهــل
واعلـم بـأنّ الله هـو الكاشـف الـضر
حليـم كريـم خالـق الخلـق كلهـم
ورازقهـم مـن غـير مـل ولا ضجـر
وصـل عـلى المختـار أشرف خلقـه
عليـه سـلام الله في الليـل والفجـر

وأمّا هانئ اسم واحدة من بنات سيدنا علي، تزوّجت من عبد الرحمن بن عقيل.

١٣٨ - أمّ الهناء:

من أديبات الأندلس، ابنةُ القاضي أبي محمد عبد الحقّ بن عطية، كانت فتاة من أهل الرويّة والبداهة. ولمّا وليَ أبوها قضاء مريه، انهمرت الدموع من عينيها على فراقِه لأهله وأولاده، ونظمت البيت الآتي:

يـا عـين صـار الدمـع عنـدك عـادة
تبكـين في فـــرح وفي أحـــزان

ومحرّر في نفح الطيب أنّها نظمته عند القبر، وأمّ الهناء الصّالحة، وهي صالحة بنت الملقن المحدّثة، من مشايخ الإمام السيوطي، سنذكرها في حرف الصّاد.

١٣٩ - أمّ الهيثم:

ذكر الإمامُ السيوطي في أواخر كتابه المزهر نقلًا عن أمالي القالي أنّها كانت عجوز فصيحة من قبيلة بني منقر العربيّة،

مرضت ولما سألوها عن سببِ مرضها؛ قالت «كنتُ وحى بالدّكة، فشهدت مأدبة، فأكلت جبجبة، من صفيف هلعة، فاعترتني زلخة»، فقالوا لها: ماذا تقولين لا نفهم، فقالت: سبحانَ الله، ما تحدّثت إلّا العربيّة الفصحى. والجبجبة هي أمعاءُ الدّابة يأتي بها العربان فينظفونها ويحشونها بقطع اللّحوم ويأكلونها، صفيف اللحوم، هِلعة بكسر الهاء وفتح وتشديد اللّام ذكَرُ الغنم، زلخة بضمّ الزّاي وفتح وتشديد اللّام الألم.

١٤٠- أمّ الهيثم:

ذكرَ ابنُ حجر في كتابه الإصابة أنّها من الصّحابيات، وقد نظمت الأبياتِ التّالية في وفاة مغيرة بن نوفل، الزّوج الثّاني لأمامة بنت أبي العاص:

أشـاب ذوائبـي وأذل ركنـي
أمامـة حـين فارقـت القرينـا
تطيـف بـه لحاجتهـا إليـه
ولمـا استيأسـت رفعـت رنينـا

وأمّ هيثم المذكورة هي أمّ هيثم بنت العريان النّحية، وينسب البعض الأبيات التّالية التي نظمها أبو الأسود الدّؤلي في رثاء علي، لها:

ألَا يـا عـين ويحـك أسـعدينا
ألَا تبكـي أمـير المؤمنينـا
تبكـي أمّ كلثـوم عليـه
بعبرتهـا وقـد رأت اليقينـا
ألا قـلْ للخـوارج حيـث كانـوا
فـلا قـرّت عيـون الشـامتينا
أفي الشـهر الحـرام فجعتمونـا
بخـير النـاس طـرًّا أجمعينـا
قتلتـم خـيرَ مَـن ركـب المطايـا
فذللهـا ومَـن ركـب السـفينا
ومَـن لبـس النعـال ومَـن حذاهـا
ومَـن قـرأ المثـاني والمبينـا
وكلّ مناقـب الخـيرات فيـه
وحـبّ رسـول ربّ العالمـين
لقـد علمـت قريـش حيـث كانـوا
بأنّـك خيرهـا حسـبًا ودينـا

إذا استقبلت وجه أبي الحسين
رأيت البدر راق الناظرين
وكنّا قبل مقتله بخير
نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحقّ لا يرتاب فيه
ويعدل في العدا والأقربين
وليس بكاتم علماً لديه
ولم يخلق من المتجبرينا
كأنّ الناس إذا فقدوا عليّاً
نعام حار في بلد سنينا
فلا تشمت معاوية بن حرب
فإنّ بقيّة الخلفاء فينا

ولأنّ تلك الأبيات تتّفق من حيث العروض والقافية مع الأبيات المذكورة في كتاب الإصابة لابن حجر، فإنّها منها، وبالتّالي لم يصبِ ابنُ حجر في نسب تلك الأبيات إلى رثاه المغيرة زوج أمامة.

١٤١ - أمّ هيثم:

من مشاهير شاعرات العرب في العهد الجاهلي، وهي عبلة معشوقة عنترة العبسي، وأمّ هيثم كنيتها والله أعلم، تظم عنترةُ في عبلة:

حييت من طللٍ تقادم عهدُه
أقوى وأقفر بعد أمّ الهيثم

١٤٢ - أمّهات المؤمنين:

وهنّ زوجات النّبيّ ﷺ وعددُهنّ ١١ زوجة، وهنّ: السيدة خديجة وعائشة وحفصة بنت عمر وأم حبيبة وأم سلمة وسودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وزينب الهلالية، وميمونة وجويريه، وصفيّة رضي الله تعالى عنهنّ أجمعين. ستّة منهنّ من قبيلة قريش أشرف أقوام العرب، وأربعة منهنّ عرب ليسوا من قريش، وواحدة وهي الأخيرة إسرائيلية، كانت من أهل خيبر، توفّيت اثنتان منهنّ وهُنّ السيدة خديجة وزينب الهلاليّة في حياة الرسول، أمّا التّسعة الباقيات فعشنَ إلى ما بعد وفاة الرّسول، وقد نظم الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسي الأبياتِ التّالية:

توفّي رسول الله عن تسع نسوة إليهنّ تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفيّة وحفصة يتلوهنّ هند وزينب

جويريه مع رملة ثم سودة ثلاث وست ذكرهن مهذب

وهند هي أمّ سلمة، ورملة هي أمّ حبيبة، وقد أطلق عليهنّ أمّ المؤمنين بالنّص القرآني، لأنهنّ حُرِمن على الزّواج بعد رسول الله، أو أنهنّ كنّ لا يتستّرن من الموحّدين، وهذا ما نصّ عليه العلامة القسطلاني في المواهب.

١٤٣- أميمة بنت عبد شمس:

ابنةُ عبد شمس بن عبد مناف، جدّ بني أمية، من شاعرات قريش، وقد نظمت مرثيّة في رثاء المقتولين من قريش في حرب الفَجار الرّابعة قالت فيها:

أبى ليلك أنْ يذهب ونيط الطرف بالكوكب
ونجم دونه الأهوال بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي ولا يدنو ولا يقرب
بعقر عشيرة منا كرام الخيم والمنصب
أحال عليهم دهر حديد الناب والمخلب
فحلّ بهم وقد أمنوا ولم يقصر ولم يشغب
وما عنه إذا ما حلّ من منجى ولا مهرب
ألا يا عين فأبكيهم بدمع منك مستغرب
فإنْ أبك فهم عزّي وهُم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي إذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي وهم حصني إذا أرهب
وهم رمحي وهم ترسي وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائل منهم إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطق فيهم خطيب مصقع معرب
وكم من فارس منهم كمى معلم محرب
وكم من مدرة فيهم أريب حوله مغلب
وكم من جحفل فيهم عظيم النار والموكب
وكم من خضرم فيهم نجيب ماجد منجب

وحربُ الفجار كانت أربعَ حروب في الجاهليّة سمّيت بذلك لوقوعها في الأشهر الحرم، كانت الأولى منها بعد ميلاد النّبي ﷺ بعشر سنوات، والثّانية باثنتي عشرة سنة، والثّالثة بثلاث عشرة سنة، والرابعة بعشرين سنة.

١٤٤- أميمة بنت عبد المطلب:

ابنةُ عبد الملطب بن هاشم، وأخت أروى، وأمّ حكيم، وخالة النّبيّ ﷺ. والقصيدة التّالية هي القصيدة التي نظمتها

في وفاة والدِها، وقد صحّحتها من سيرة ابن هشام، لأنّها وردتْ في كتاب المسامرات لمحيي الدّين بأخطاء مطبعيّة:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد
وساقي الحجيج والمحامي عن المجد

ومن يولف الضيف الغريب بيوته
إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

كسبت وليدًا خير ما يكسب الفتى
فلم تنفك تزداد يا شيبة الحمد

أبو الحارث الفياض خلى مكانه
ولا يبعدن فكلّ حيّ إلى بعد

فاني لباك وما بقيت وموجع
وسوف أبكيه وإن كان في اللحد

فقد كان زينا للعشيرة كلها
وكان حميدًا حيثما كان من حمد

وتوجد ثلاثُ عشرة صحابيّة أخرى باسم أميمة، ومنهنّ أميمة بنت رقيقة بنت أبي صيفي، الآتية الترّجمة، والبيت القائل:

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

للنابغة الذبياني، وقد نظمه كمثال على تأسيس العروض، وآمنة امرأة ابن الدمينة، السّابقة الترجمة، اسمُها أميمة كما ورد في المجلد الخامس عشر من الأغاني، وكتاب معاهد التّنصيص، وتزيين الأسواق. أمّا اسمُ آمنة فيستند إلى المجلد الأوّل من الأغاني.

١٤٥- أميمة الغفاريّة:

صحابيّة من قبيلة أبي ذر الغفاري، عندما همّ النّبيﷺ للخروج إلى غزوة خيبر، أتته مع رهطٍ من النساء وقلنَ للرّسول «إنا نريد أنْ نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا».

ومؤخّرًا نهيت النّساء عن الخروج للغزو، وهذا إذا كان الغزو في بلاد الكفار، أمّا إذا دخل الكفار بلاد المسلمين فلا تمنع النساء من الجهاد.

١٤٦- إيساع:

مِن النّساء المقدّسة عند بني إسرائيل، زوجة زكريا عليه السّلام، وأخت حنة آتية الترجمة، وخالة مريم عليها السّلام.

حرف الباء

١٤٧ - بادشاه خاتون:

سيدةٌ من قوم القره خطاى، تولّت الحكم خلفًا لزوجها السّلطان جلال الدين الذين تسلطنَ في كرمان في الفترة من ٦٢٠ إلى ٧٠٥هـ، وكانت تلك الدّولة فرعًا من فروع الدولة الخوارزمية. وورد بهامش كتاب صحائف الأخبار (ص ٥٩٨ المجلد الثّاني) اسم سيّدة أخرى باسم بادشاه خاتون من سلالة أتابكة الخورشيديّة الذين حكموا في خرم آباد.

١٤٨ - باديّة بنت غيلان:

ابنةُ غيلان ابن سلمة الثقفي، من الصّحابيات، وردت في حرف الألف باسم ابنة غيلان.

١٤٩ - بانة:

وردَ هذا الاسمُ في بيت لامرئ القيس كما يلي:

بر هرهة رودة رخصة كخرعوبة البانه المنفطر

وهي في البيت تدلّ على أنّها اسم نبات،

واتخذ هذا الاسم ليكون علماً للنساء، ومن النسوة اللاتي تسمّين باسم بانة: بانة بنت بهز بن حكيم، وبانة بنت أبي العاص زوجة المحدّث عبد الوهاب الثقفي، وبانة بنت قتادة بن دعامة، روتِ الحديثَ من والدها. وبانة والدة عمرو بن بانة الذي روى عنه مجموعةً مشهورة من النوادر والغرائب.

١٥٠- بانوى بهشت:

وردَ هذا الاسم في بعض المرثيّات المنظومة باللّغة الفارسية، وهو إشارةٌ إلى السيدة فاطمة، وذلك لأنّ السّيدة فاطمة وردت في عدّة أحاديث بأنّها سيدة نساء أهل الجنة.

١٥١- بانو كشسب:

ابنةُ رستم الحاكم الإيراني المشهور، وزوجة الحاكم الإيراني كيو بن كودرزك، ووالدة بيجهماشق منيجه، الآتية الترجمة فيما بعد.

١٥٢- بَتول:

بفتح الباء، هي مَن انقطعت عن الرجال كليّة، وتُقال للسيدة مريم للدّلالة على طهارتها وعفّتها وعدم حاجتها إلى الرّجال، وتقال للسيدة فاطمة للدّلالة على علمها وأدبها ودينها وحسبها، ويُقال للحسنين (أمّها البتول وأبوهما القبول)، وقبولُ هنا معناها الحسن والبشاشة والجمال.

١٥٣- بثينة بنت الحياء:

وعلى قول الأنطاكي بثينة بنت يحيى، وهي بثينة المشهورة من قبيلة عذرة التي عُرفت بغرامها بيْن العرب، وهي معشوقة جميل، وقد نظمت هذين البيْتين في معشوقها جميل:

وإنّ سلوى عن جميل لساعة
من الدّهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر
إذا مت بأساء الحياء ولينه

ويذكر داود الأنطاكي في كتابه تزيين الأسواق أنّها نظمت هذه الأبيات حينما أتاها خبرُ وفاة جميل، فنظمتها وغُشي عليها.

١٥٤- بثينة بنت معتمد:

هي بثينة بنتُ معتمد بن عباد أمير أشبيلية، من أديبات الأندلس. والدتُها هي

رميكيّة الشاعرة الحسنة، المشارُ إليها من قبل باسم (اعتماد)، اشتهرت بثينة تلك بالحُسن والفصاحة، والدُها المعتمد، وجدّها عباد المعتضد، وجدّها الأكبر أبو القاسم القاضي محمد، وإخوانها رشيد ومأمون وراضي، وكلّهم من العلماء والشّعراء، وتمتلئ كتب المحاضرات بلطائفهم، ولما وقعت الكارثة في قصر المعتمد والدها، قُبض عليه هو وزوجته رميكيّة وحُبسا في قلعة أغمات، أمّا بثينة فقد أصبحت أسيرة وبيعتْ في السّوق لرجل صالح، وكانت بثينة في واد تتجرّع الألم والحزن على والديها لفراقهما، وهما يذوقان المرارّ لعدم ورود أخبار عن ابنتهما، ولما أراد هذا الرجلُ الذي اشترى بثينة أنْ يجعلها ملك يمين لابنه، قالت له إنّها تريد أنْ تكون زوجة شرعيّة له، وبالتّالي يلزم عليهما أنْ يطلباها من والدها؛ لأنه يشترط في الزّواج الشّرعي أنْ يستأذن الأب، فأرسلت بثينة خطابًا إلى والديها تطلب منه الإذن في الزّواج، وتطلب من أمّها أنْ تدعو لها بالخير، وكان ذلك على هيئة خطابٍ منظوم نورده فيما يلي:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي فهي السلوك بدت من الأجياد
لا تنكروا أنّي سبيت وأنّني بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولّى عصره وكذا الزمان يئول للإفساد
لما أراد الله فرقةَ شملنا وأذاقنا طعم الأسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في أعجاله بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمّني من صانني إلّا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا
ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبت تعرفني بهإنْ كان ممن يرتجي لوداد
عسى رميكيّة الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن والإسعاد

والحقّ أنّها منظومة قلّما رأينا مثلها في أشعار الفحول، فقد علم أبواها من الخطاب أنّها بخير وأخبراها في الردّ بأنّهما موافقان على الزواج، وأوصتها أمّها بمعاملته معاملة حسنة، وكان ردّهما في هذا البيت:

بنيّتي كوني به برة فقد قضى الدهر بإسعافه

ويذكر بعضُ مؤرّخي الأندلس النصارى أنّ المعتمد كان له ابنةٌ باسم سيدة، وأنّه أرسلها إلى الملك ألفونسو ملك قشتالة لتطلب المدد في حربه مع المرابطين، وأنّه زوجها للملك ألفونسو لذا ارتدّت البنتُ عن الإسلام، وتسمّت باسم مارية، وهذه الرّواية بعيدة تمامًا عن الصّحة؛ لأنّ هؤلاء المؤرخين لا يعلمون الاسم الأصلي لتلك الفتاة، كما أنّ ما ورد في كتبنا عن تاريخ الأندلس أنّ تلك الفتاة أسرت في الحروبِ مع المرابطين، وأنّها انتقلت ليد النصارى ولكنّها لم ترتد.

١٥٥- بثينة بنت الضحاك:

سيدةٌ من الصّحابيات، أخت الصّحابي ثابت بن الضّحاك النصاري، وقيل إنّ اسمها ثبينة بتقديم الثّاء على الباء.

١٥٦- بحيّة المدينة:

سيدةٌ من مشاهير نساء المدينة القُدامى، سألت يومًا «ما الجرح الذي لا يندمل؟» فقالت هو خيبة حاجة الكريم إلى اللّئيم، وسألت «ما الذّل والشّرف؟» فقالت الذّلُ أنْ يقف رجلٌ صاحب شرفٍ ومكانة على باب أحد، فلا يأذن له بالدخول. أمّا الشّرف فهو الاعتقاد بأنّ فعل الخير سيظلّ في عنق الإنسان إلى الأبد، أي يعرف الرجلُ عارَ المنة ولا يطلب شيئًا من أحد، يقول ناي

لا طلب حاجة من أحد للمنة
فصاحب الحرص والطمع ذليل
وغيره من يستغني بالشرف
فعل همتك ولا تتذل ولا تطلب ما تراه

بحيّة وهو اسمُ محدّثة أخرى، روت الحديث عن شيبة الحجبي، وروى عنها ثابت الشمالي، وحديثها مذكورٌ في معجم الطبراني.

١٥٧- بدوية:

فصيحةٌ، صاحبةُ سجيّة، كانت محبوبة وزوجة الآمر بأحكام الله من الملوك الفاطميّة الروافض اللذين تسلّطنوا في مصر لفترة، غلبت نسبتها على اسمِها لأنّها كانت من فتيات قرويّة من جنوب مصر اشتهرتْ بجمالها، وفصاحتها؛ لذا تزوّجها السلطان، وبالرّغم من ذلك لم تترك بدويّتها التي

نشأت عليها لذا سمِّيت بدويّة، وقد ذكر في نفح الطيب وخطط المقريزي أنّ البدو اعتادوا على حياة البداوة والبراري، ولم يألفوا حياةَ الحضارة والتمدّن، لذا لما تزوّجها الآمرُ بأحكام الله ونقلها إلى قصره لم تألف حياةَ القصر واضجرت منه، فأمر لها ببناءِ قصر جميل يسمّى الهودج على ضفاف نهر النيل، كانت تعيش فيه، كما كان الفاطميّون يتنزهون فيه أيضًا، وعلم الآمرُ بأحكام الله أنها تحبّ ابن عمّها ابن مياح، وتذكُرُه ليلًا ونهارًا، وقد نظمت تلك الأبيات وأرسلتها له من قصر الهودج:

يـا ابـن ميـاح إليـك المشـتكى
مالـك مـن بعـد قـد ملـكا
كنـت في حيـي طليقًـا آمـرًا
نائـلًا مـا شئت منكـم مـدركًا
فأنـا الآن بقـصر موصـد
لا أرى إلّا خبيثًـا ممسـكًا

فكتب إليها ابن مياح هذا الرّد:

بنـت عمّـي والتـي غذيتهـا
بالهـوى حتّى عـلا واحتبـكا
نحـت بالشـكوى وعنـد ضعفهـا
لو غـدا ينفـع منـا المشتكى
مالـك الأمـر إليـه يشتكي
مالـك وهـو الـذي قـد ملـكا

وذكر في نفح الطيب وخطط المقريزي أنّ قصّة بدويّة وابن مياح اشتهرتْ بين الناس كشهرة قصّة بطّال غازي وألف ليلة وليلة.

١٥٨- بذل:

سيدةٌ من نساء العصر العباسي، كانت مغنيّة مشهورة، موصوفة بكثرة الرّواية والمهارة وعلم الموسيقى والحلاوة، وهي في الأصل من جنس الجواري، حيث كانت جارية لعبد الله بن موسى الهادي، وكانت تغنّي أكثر ما تغنّي للخليفة المأمون، تعلّمت الموسيقى على يدِ فليح وابن جامع وإبراهيم وإسحاق الموصلي، وقد علمت دنانير، الآتية ترجمتها، وصنّفت كتابًا في المقامات الموسيقيّة يحتوي على ١٢ ألف مقام، وتفصيلُ أحوالها مذكور في المجلّد الخامس عشر من كتاب الأغاني.

وبذل اسم جارية أيضًا كانت صديقة

حيمة لنيم الهاشميّة، الآتية ترجمتها، وكانت مغنّية أيضًا، لذا كان يُقال لبذل السابقة بذل الكبيرة، وهذه بذل الصّغيرة، وسنبيّن حالها بأكثر تفصيلًا أثناء الحديث عن وشيكة.

١٥٩- براقش:

هي السّيدةُ التي أطلقت المثلَ القائل (على أهلها تجني براقش) الذي يُقال للشخص الذي يقترفُ عملًا يجلب له الضّرر. وسبب قول هذا المثل قولان: الأوّل أنّ براقش هذه كانت زوجةً للقمان بن عاد من العرب الأقدمين، وكان لقمان المذكور ملك زمانه، وعندما يخرج إلى أيّ مكان كانت براقش تجلسُ مكانه على العرش لحين عودته، وكان لهذا الملكِ عادةٌ بأنْ يجمع الجنود بالدّخان الذي يصدره في مكان مخصّص لذلك، فيراه الجنود فيتجمّعون على الفوْر، وفي مرّة كان لقمان في الخارج وكانت براقش مكانَه، وقامت جواريها بإشعال النيران لهوًا في هذا المكان المخصّص للدّخان، ولما رأى الجنود الدخان، هُرعوا وتجمّعوا عند براقش، فأخبرها رجالُ الدّولة بأنّ في هذا الأمر خطورة كبيرة إذا ما فرّقت الجنود وقالت لهم إنّ هذا كان مجرّد لهو وتسلية للجوارى، لأنّه قد يظنّ الجنود بعد ذلك أنّ الدّخان ما هو إلّا لهوٌ للجواري فلا يتجمّعون، وأشاروا عليها بأنّ الأفضل أنْ تفكّر في أمر تُشغل به الجنود، فأمرتهم بإنشاءِ بناءٍ في مكان ما، ولما عاد لقمان ورأى البناء سألَ عنه، فأخبروه بالقصّة، فقال على أهلها تجني براقش.

أمّا الرّواية الثّانية فتقول بأنّ الملك لقمان كان لا يأكل لحم الإبل أبدًا، وذاتَ يوم ذهب ابنه مع والدتِه براقش لزيارة أخواله، وكانوا يأكلون لحم الإبل، فنَحَروا لهُم ناقة، وقدّموا منها لبراقش والولد، فأكل منها فأعجبته، فأخذ قطعةً منها لوالده وعندما تذوّقها قال لم أذقْ في حياتي لحمًا طيبًا كهذا، ما هذا؟ فقالوا له لحم الإبل، فقال (جل فاجتمل) أي أمر زوجته بأنْ يكون طعامه كلّه بلحم الإبل، فأخذ ما عند براقش وما عند إخوتها وما عند كلّ عشيرتِها من إبل، فقيل على أهلها تجني براقش. وقيل إنّ براقش هذا اسمُ سيّدة يونس بن حبيب

على قول أبي الفضل الميداني.

وقيل إنّ براقش هذا اسم كلبة، وقد أتى لصوصٌ إلى منزل صاحبها ليسرقوه، ولما تعثّروا في الظلام ولم يجدوا البيت عادوا، وبينما هم عائدون، إذا بالكلبة تنبح فيتبيّن اللصوصُ البيتَ فيعودون ويسرقونه، فقيل على أهلِها جنت براقش، قال حمزة بن بيض:

لم تكن عن جناة لحقتني لا يساري ولا يميني رمتني
بل جناها أخ على كريم وعلى أهلها براقش تجني

١٦٠- بركة الست الجليلة:

هي والدةُ الملك الأشرف شعبان بن حسين، سلطان مصر، كما أوضح في عنوان (أمّ السّلطان) فيما سبق، ورغم أنّها كانت جارية أمّ ولد، إلّا أنّ شأنها عظمَ وارتفعَ بجلوس ابنها على العرش. كانت صاحبةَ خيرات، كثيرة التصدّق والإحسان على الفقراء والمحتاجين، ذهبتْ إلى الحج عام ٧٧١ه وكانت سنة مشهودةً ظلّ الناس يتذكرونها لفترة طويلة من كثرة الإحسان الذي تصدّقت به على الفقراء والحجاج في تلك السّنة، فقد حملت معها في الطريق الإبلَ الخاصّة لحمْل صناديق واسعة مملوءة بالطّين والتراب زرعت فيها الخضراوات طوالَ الطّريق لتضمن للحجاج الخضراوات الطّازجة طوال طريق الحج، ولما عادت من الحجّ في السنة التالية خرج ابنها السّلطان شعبان بالجنود لاستقبالها عند قرية بويب.

تزوّجت بالأمير اليوسفي، فعَلَا شأنُه بتلك الزّيجة، توفّيت في الثّامن والعشرين من شهر ذي القعدة لعام ٧٧٤هـ ودفنت في قبرها الخاصّ الذي بنتْه في فناء مدرستها (مدرسة أمّ السّلطان) وقد حزن السّلطان شعبان لوفاتها حزنًا شديدًا. وقد نظم الأديبُ شهاب الدين أحمد بن يحيى الأعرج السعدي البيتيْن التّاليين في وفاتها:

في ثامن العشرين من ذي قعدة كانت صبيحة موت أمّ الأشرف
فالله يرحمها ويعظم أجرها ويكون في عاشوراء موت اليوسفي

وقد توفّي اليوسفي يوم عاشوراء كما قال الشّاعر، وهذه من الغرائب المتفق

عليها.

وتوجد ثلاثُ صحابيّات باسم بركة، هنّ: بركة بنت ثعلبة وبركة الحبشية، وبركة بنت يسار. وبركة بنت ثعلبة هي أمّ أيمن السّابقة التّرجمة، وبركة الحبشيّة امرأةٌ من الحبشة وفدتْ من الحبشة مع أمّ حبيبة، وقد ذكرتْ في حديث أميمة بنت رقيقة (شربت بول النبي) أمّا بركة بنت يسار فهي زوجة قيس بن عبد الله الأسدي، معتوقة أبي سفيان. رضي الله عنهنّ.

١٦١- برّة بنت عبدالمطلب:

برّة بنت عبد المطلب جدّ النّبيّ ﷺ، وأخت أمّ حكيم وأروى وأميمة السّابقات التّرجمة، وعمّة الرّسولﷺ، وقد نظمت مرثيّة في وفاة والدها قالت فيها:

أعيني جودًا بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر

على ماجد الجود واري الزّناد جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذي المكرمات وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الحلم والفضل في النائبات كثير المكارم جم الفجر

له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر

أتته المنايا فلم تشوه بصرف الليالي وريب القدر

خِيم بكسر الخاء تعني طبيعة، منيع المعتصر أي منيع الملجأ، واري الزّناد أي معين، شيبة الحمد أي عبد المطلب، نائبات أي حادثات، جم الفجر أي كثير الكرم، منايا مفردُها منيّة أي الموت، لم تشوّه أيّ سهام الموت لم تصبه، مضارع منفي من أشوا أي المرور والعبور، والضّمير المرفوع مستكنى للمنايا، والضّمير البارز المتّصل عائدٌ إلى عبدالمطلب، وقد وردتْ تلك الكلمة بالسّين كخطأ مطبعي في طبعة المسامرات لمحيى الدين.

وتوجد ثلاثُ صحابيّات باسم برة، واحدة منهنّ برّة بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله ﷺ، بنت أمّ سلمة زوج النّبيّﷺ، وقد أسماها النّبيّ زينب لذا اشتهرت باسم زينب بنت أبي سلمة، عمّرت طويلًا، وكانت أفقه نساء عصرها.

١٦٢- برة بنت مر:

أختُ تميم بن مرّ، من أعيان عرب الجاهلية. كانت زوجة جزيمة بن مدركة

بن إلياس بن مضر الآتي الذّكر في عنوان خندف الآتية الترجمة فيما بعد. وبعد وفاته تزوّجت بابنه كنانة على عادة العرب في الجاهليّة بأنْ يتزوّج الولد زوجة أبيه من بعده، وأنجبت منه النّضر وعبد مناة، وهذا ما ذكره ابنُ قتيبة في كتابه المعارف، وقد كان زواج الابن بزوجة أبيه جاريًا في الجاهليّة مع الكراهة، ولكنّ الإسلام حرّمه بالآية الكريمة (ولا تنكحوا ما نكحَ آباؤكم)، وكان العرب يعيّرون مَن يقوم بهذا ويسمّونه (ضيزن).

١٦٣- برتوبيال:

والدةُ المرحوم السّلطان عبد العزيز عمّ سلطاننا حميد الشّيم السّلطان عبد الحميد الثّاني، ولأنّها تنتسب إلى الأسرة العثمانيّة، تعيش حاليًا في القصر الهمايوني الساحلي المنير، والأبيات التّالية قيلت في حقّها عندما كانت زوجةً للسّلطان:

أنــت أمّ العزيــز وعــزة الدنيــا
وأنــت ســلطانة الدنيــا ومــا فيهــا
غرقــت في أمــواج مــددك
وأنــت قابعــة في قعــر بحــر المــروءة

كانت أكليلة المخدرات ودرّة تاج المستورات، وعندما احترق جامع الكاتب في آقسراي، قامت المذكورةُ في عام ١٢٨٨هـ ببناء جامع مزين، ملحق به مكتبةٌ صغيرة وسبيلٌ ومكتب وغرف للخدم والمؤذنين ومزولة، وقبر لها وغرفة لخادم القبر.

ويقوم فارابي العصر المعلم عبد الكريم أفندي بالتّدريس في هذا المكتب الملحق بالجامع.

١٦٤- بريدخت:

ابنةُ خاقان الصّين قديمًا، تقرّبت إلى سام بن نريمان المشهور باسم رستم، وتزوّجته وأنجبتْ منه زال زمان الذي يطلقون عليه (زال زر).

١٦٥- بريرة:

معتوقةُ السّيدة عائشة، صحابية، مُنحت لعبدٍ يُدْعى مغيث، ولما أُعتقت أرسلت إلى الرسول تستفْتيه في مسألة هل تظلّ منكوحة لزوجها العبد بعد أنْ حصلت

هي على حريتها أم لا، فخيّرها النبيّ ﷺ. وهذه المسألة مذكورة في كتب الحديث وكتب الفقه في باب (نكاح الرقيق) وفي كتب الأصول في باب (تعارض الحجج)، وعندنا في مذهبنا ثبوت الخيار في الفسخ بعد تحريرها، سواء كان زوجُها حرًّا أمّ عبدًا، أمّا الشافعيّة فيقولون بعدم ثبوتِ خيار الفسخ إذا كان زوجُها حرًّا، وهذا ما يسمّونه خيار العتاقة، وقد كان تخيير النبيّ بوقوع العِتق مبنيًّا على روايات كون الزّوج حرًّا أو عبدًا.

وينقل عن عبد الملك بن مروان الأموي أنّه قال كنتُ أجلس مع بريرة في المدينة نتحدّث في أمور الدّين (وذلك لأنّ عبد الملك قبل أنْ يتولّى الملك كان ورِعًا صالحًا يحافظ على تلاوة القرآن ومصاحبة العلماء والصّلحاء) فقالت لي بريرة يا عبد الملك أنت إنسانٌ ذو خصال حميدة تصلح لأنْ تكون خليفة على المسلمين، فإنْ تولّيت أمر المسلمين فاحذرْ سفكَ الدّماء؛ لأنّي سمعت رسولَ الله يقول بأنّ الرجل يذهبُ إلى باب الجنة، وينظر إليها، ويُطرد منها؛ لأنّه سفك في الدّنيا ولو مقدار كأس الحجامة من دم مؤمن بغير حقّ. وبذلك أشارت- رضي الله عنها- في كرامةٍ منها بالأحوال الآتية لعبد الملك بن مروان، الذي لم ينصح لنصيحتها وسفَكَ الكثيرَ من الدماء على يد وزيره الحجاج.

١٦٦- بريكة:

سيدةٌ من أهلِ الكرم والظّرف، من معاتيق بني زهرة العرب، تزوّجت من مكارم قريش، وكانت لها مضيفة مستقلّة في المدينة المنورة، نزل بها قيس بن زريح عاشق البنى، وقد أكرمته بريكة، وحكايتُها مفصّلة في المجلّد الثّامن من الأغاني.

١٦٧- بزم عالم:

والدةُ السّلطان عبد المجيد خان، كانت من نساءِ السّلطان محمود خان الثّاني، كان لها آثار خيريّة كثيرة منها ما أنشأته بنفسها ومنها ما جدّدته، أشهرها مستشفى الغرباء الواقعة بحي يكي باغجه، وقد أوقفتْ لها الكثير من الأوقاف لتقديم الطعام والشّراب للمرضى وتقديم الدواء لهم،

لكَمْ هو جميل مداواةُ المرضى الفقراء.

وعلى مَن يريد الاطّلاع على جودة طقس المستشفى المذكور وانتظام أحوالها وجَمال حديقتها فليذهبْ ويُعاين ذلك بنفسه، رحمة الله عليها.

١٦٨- بسوس:

سيدةٌ من العرب اشتهرت بالشّؤم، فكان يُقال (أشأم من البسوس)، والقصّة التي تدلّ على شأمها أنّها في يومٍ خرجت لزيارة أختها المتوفّاة وابنها المُدّعو جساس بن مرّة، وكان يرافقها في تلك الزيارة جارُها سعد بن شمس الجرمي، وكان سعد قد ذهب معها بناقةٍ له تدعى سراب، ولما وصلا إلى منزل جساس أرسلوا ناقةَ سعد مع إبل جساس للرعي في مراعي كليبين ربيعة نسيب جساس، ولما رأى كليب ناقة سعد ترعى ولم يعرفها ضربَها بسهم؛ فأصابها في ضَرّتها، فذهبتْ إلى منزل جساس وهي تنزف دمًا مختلطًا باللّبن، ولما رأتها بسوس على تلك الحالة ناحتْ وقالتْ أهكذا يُفعل في ناقةِ الجار، وأنشدت عدّة أبيات تحثّ على القتال، فهاج ابنُ أختها جساس وقال لها لا تحزني يا خالة سأقتلُ في مقابل ناقة جارك أحسن إبل كليب، ولمّا وصل هذا الخبر إلى كليب وقعَ في نفسه أنّه سيقتل جمله الجيّد عليان، فقال (دون عليان خرط القتاد)؛ مما أغضب جساس، وقام بقتلِ الجمل المذكور، ولهذا وقعتْ حربٌ طويلة استمرّت لعدّة سنوات بين تغلب بن وائل وبكر بن وائل، وعدوا بسوس نذيرَ شؤم لهذا السبب. وحرب البسوس من الحروب المشهورة عند العرب، وقصتها مشروحةٌ بالتفصيل في كتب التّواريخ والأمثال، وقد ذكرَ أبو الفضل الميداني في كتابه مجمع الأمثال عليان بالغَين، ورغم أنّ جميعَ الكتب أوردتها على هذه الحالة إلّا أنّ المعرّي ذكرها في ديوانه بالعين (عليان):

إذا أنا عاليت القتود لرحلة
فدون عليان القتاد والخرط

أمّا تاريخ الكامل فقد ذكر اسمَ هذا الجمل بأنّه غلال، في شكل يخالف كلّ الآراء.

وقد ورد اسمُها في تاريخ أبي الفدا غلطًا سبوس.

١٦٩ - بصبص:

سيدةٌ مغنّية من مغنّيات العصر العباسي، ولدتْ في المدينة المنورة، وكانت جارية ليحيى بن النّفيس من رجال الدّولة العباسية، ثمّ تملكها الخليفة المهدي بعد ذلك بعد أنِ اشتراها بالكثير من الأموال، وقيل فيها:

بصبص أنت الشمس مزدانة فإن تبدلت فأنت الهلال

سبحانك اللهم ما هكذا فيا مضى كان يكون الجمال

إذا دعت بالعود في مشهد وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناء يستفز الفتى حذقًا وزان الحذق منها الدلال

١٧٠ - بغداد خاتون:

سيدةٌ من نسْل هلاكو خان حفيد جنكيز خان، ابنةُ الأمير جوبان الذي كان أمير أمراء في عهد أبي سعيد بهادر خان من أحفاد جنكيز خان الذين أسْلموا، وقد أسّس جوبان هذا حكومة مستقلّة باسمه استمرّت لأربعين سنة، وكانت تعدّ فرعًا من فروعِ الدّولة الجنكيزية. كانت تشتهر بالحسن والملاحة، عشقَها السّلطان أبو سعيد، وتزوّجها بعد أنْ طُلّقت من زوجها الشيخ أبي حسن الكبير، وفوّض لها كافّة أموره من فرط محبّته لها، كانت المذْكورة تلقّب في بعض الأحيان بلقب (خنكار)، وبعد وفاة زوجها السّلطان أبي سعيد، قامت بإعدام (آربا خان) الذي جلس على العرش خلفًا له بتهمة قتله لزوجها بالسم.

١٧١ - بلبل:

سيدةٌ شاميّة، من نساء أواخر عام ٦٠٠هـ، كانت من أرباب الفضل والعلم، سنذكرها بالتّفصيل في حرف السّين باسم (ستّ العلماء).

وتوجد سيّدة أخرى باسم بلبلة كانت من المغنّيات، ومن المغنّيات المشهورات في عهد المغنّية المشْهورة جميلة، وردتْ بعضُ ألحانها في ترجمة المغنّية جميلة في المجلد السّابع من الأغاني، كما وردت بعضُ ألحانها في بعض المواضع الأخرى إذا جاءت مناسبتها.

١٧٢ - بلقيس:

سيدةٌ كانت تعبدُ الشّمس، من ملوك اليمن القُدامى الذين كانوا من آل حمير من ملوك التبابعة، ولأنّ عصرها كان

يتصادف مع عصر سيدنا سليمان أرسلَ لها رسالة يعرض عليها أنْ تسلم وقومها لله، وأنْ يتّبعوه، فعرضت الأمرَ على وزرائها ورجال دولتها فقبلوا وأعلنوا إسلامَهم، وأصبحوا تابعين لسيّدنا سليمان، كان لها قصرٌ عظيم، ويقال: إنّ سيدنا سليمان تزوّجها، وأنجب منها ابنَه داود، والبعض يقول بأنّ سيدنا سليمان زوّجها برجل، وأرسلها إلى ديارها، والله تعالى أعلم، وقد سُرد في تاريخ الكامل مقالٌ مطوّل ومفصّل عن اسم ونسب بلقيس.

١٧٣- بنات أعنق:

يُفهَم من كتاب القاموس أنهنّ كنّ بنات ثرى من السّلف القدامى يدْعَى أعنق، وكان يردُ ذكرهنّ في الأشعار العربيّة لحسنهنّ ودلالهن.

وإليها تنسبُ الخيولُ الأعنقيّة الجيدة، فيُقال في الشعر:

تظــلّ بنــات أعنـــق مسرجـــات
لرؤيتهـــا يرحـــن ويغتدينـــا

وتُفسّر على الوجهين، فعلى المعنى الأوّل لفظ مسرجات اسم فاعل، وعلى المعنى الثّاني بفتح الراء فتكون اسم مفعول.

١٧٤- بنات طارق:

طبقًا لما ورد في شرح النّخبة للفاضل، وما ورد في باب ما يعول عليه للمولى محبي صاحب كتاب خلاصة الأثر، أنهنّ بنات علاء بن طارق بن الحارث بن أميّة بن عبد شمس من قوم قريش، كنّ يمتزن عن الأقوام الآخرين بعلوّ النّسب والحسب والشرف والجَمال، وقد كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان إحدى تلك البنات، وكانت تفتخرُ بذلك يوم أحُد، وتقول نحن بناتُ طارق نمشي على النمارق. وفيه نظر.

ولأنّ لفظ طارق في مختار الصّحاح معناه نجم الثّريا اللامع، فإنّ بنات طارق الواردة في فخريّة هند إنّما هي على سبيل الاستعارة.

١٧٥- بنات همام:

هنّ بناتُ همّام بن مرّة، من مشاهير بنات العرب، كنّ ثلاث إخوات، والثلاث كنّ صاحبات فطنة ودهاء، ظللنَ فترةً طويلة بغير زواج، ولما آلمتهنّ حياةُ العزوبة اشتكينَ

والدّهن، ونظمت كلّ واحدة منهنّ بيتًا تتظلّم فيه لوالدها، فقالت الكبرى:

أهمّام بن مرّة إنّ همّي
لفي اللاتي يكون مع الرجال

فحمل والدها المعنى على السيف وأعطاها سيفًا، أمّا الوسطى فوبّخت أختها بأنّها لم تتمكّن من إيضاح المقصود لوالدها فنظمت:

أهمّام بن مرّة إنّ همّي
لفي قنفاء مشرفة القذال

فحمل والدُها لفظَ قنفاء على الأذن الكبيرة والصّغيرة المتدلّية، فأعطاها أذنًا كبيرة، وكبش ماعز، فوبّختهنّ أختُهم الصّغرى، وقالت لهنّ لم توضّح المقصود، فأنشدت تقول:

أهمّام بن مرّة إنّ همّي
لفي عرد أسدّ به مبالي

ففهِمَ أبوها بشكلٍ صريح أنهنّ يردن آلةً يسدّدن بها شهوتهنّ، فقال لهنّ «أخزاكنّ الله» وزوّجهن. وقد أسمعت بنات الشاعر ذوي الأصبع المذكور في عنوان أمامة السّابق تلك الأبيات لأبيهنّ تشتكينَ له العزوبة، لا سيّما وأنّه قد شُرح المثل القائل (زوج من عود خيرٌ من قعود) ووردَ أيضًا في الأغاني، وورَدَ في رسالة ابن زيدون أنّ هذا المثل كان مِن قول بنات همّام.

١٧٦- بنان:

طبقًا لما يُفهم من كتابِ ابن ظافر أنّها كانت صديقةً حميمة للشّاعرة فضل الآتية الترجمة، وكانت الاثنتان من جواري الخليفة العباسي المتوكل، وكانت لديهنّ قوّةٌ قريحة ظاهرة حتّى أنّ المتوكل ذات يوم نظمَ بيتًا قال فيه:

تعلّمت أسباب الرّضا خوف سخطه
وعلمه حبّي له كيف يغضب

وأمر كلّ واحدة منهنّ أنْ تنظم بيتًا مناسبًا، فقال فضل:

يصد وأدنوا بالمودة جاهدًا
ويبعد عنّي بالوصال وأقرب

ونظمت بنان أيضًا:

وعندي له العتبى على كلّ حالة
فما منه لي ولا عنه مذهب

وهذه الأبياتُ من روائع الأبيات التي نظمت بالبداهة.

١٧٧- بنت البغدادية:

هي زينبُ بنت أبي البركات البغدادية، من نساء أواخر عام ٦٠٠هـ كانت من الصّالحات العابدات، صاحبةُ فضل، والخانقاه المسمّاة رباط البغداديّة التي أمرتْ ببنائها تذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس من ملوك مصر، بني باسمها، كانت تعلم النساء الوعظ والنّصيحة والفقه والأدب.

١٧٨- بنت الجودي:

هي ليلى بنتُ الجودي، ابنة جودي بن عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني من الغساسنة الذين حكموا في الشّام من جانب قياصرة روما، كانت تشتهرُ بالجمال والحُسن، ولما ذهب عبد الرحمن بن أبي بكر الصّديق إلى الشّام للتجارة رآها هناك وأعجب بها، وقد نظم فيها أبياتًا كثيرة، ولما فتحت دمشق، كانتْ من نصيبه في الغنيمة، وبعد أنْ تزوّجها لفترة، نفرَ منها وأعادها إلى أهلها مرّة أخرى.

كما توجد سيدةٌ أخرى باسم بنت الجويراتي وهي من مشاهير طائفة النّساء، كانت محدّثة، سنذكرُها في عنوان زين العرب الآتي فيما بعد.

١٧٩- بنت خداويردى:

طبقًا لما أورده بعض كتّاب الوقائع لعام ٦٢٤هـ أنّها ظهرت في الإسكندرية، ولدت بلا أذرع، وكان ثديها أشبهَ ما يكون بثدي الرّجال، كانت تمسك القلمَ بقدمها وتكتب به ما تريده، حتّى أنّ واحدًا من وزراء مصر أمرَ باستدعائها ووظّفها، ويقع قبرها الآن في الإسكندرية، ولها أوقاف معروفة.

١٨٠- بنت الدوامي:

سيدةٌ من بغداد، من نساء أواخر عام ٥٠٠هـ، كانت من أهل العلم والورع، تلقنُ النّساء دروسَ الوعظ والإرشاد الدّيني، ولأنّ اسمها الأصلي جوهرة فسنوردها في حرف الجيم.

ومِن النّساء المتفقّهات أيضًا بنت القيم (أمّة العزيز) وقد وعدنا بأنّنا سنبيّنها في حرف الخاء لأنّ اسمَها خديجة.

١٨١- بوران:

هي بوران، زوجةُ الخليفة المأمون، ابنة الوزير العباسي المشهور حسن بن سهل،

سيّدةٌ عاقلة وأديبة، وعندما تزوّجها المأمون أعدّ لها والدها حفلًا عظيمًا ليس من السّهولة بمكانٍ وصفه، فقد أُشعلت في ليلةِ الزفاف فقط أربعين شمعة (وإنْ لم يبالغ المؤرّخ) كانت مصنوعة من أربعين بطمانًا من العنبر، وفُرش للعروس حصيرة كانت منسوجة من الصرمه ومزيّنة باللؤلؤ، وعندما شاهد المأمون الحصيرةَ تذكر بيتَ أبي نواس الذي نظمه فيها:

كأنّ صغري وكبري من فواقعها حصباء
در على أرض من الذهب

فقال قاتلَ اللهُ أبا نواس، وفرش بوران المذكور في مقامات الحريري (وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها) هي بوران المقصودة هنا، وكلمة قاتلَ الله أبا نواس قيلتْ هنا على سبيل التعجّب، وليس المقصود منها المعنى الحقيقي للهلاك، وتُروى تلك الطَرفةُ الأدبية عن بوران أنها ليلة زفافها أتاها الحيضُ قدرًا، وقالت للمأمون «أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه»، فنظَمَ المأمون تلك الأبيات:

فارس مضى بحربته عارف بالطعن في الظلم
رام أنْ يدمي فريسته فاتقته من دم بدم

وهذا من أحسن ما قيل في الكناية، ومن الأشعار التي نظمت في هذا المعنى تلك الرباعيّة للشّاعر محمد بن حازم الباهلي:

بـارك الله للحسن ولبـــوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن ببنت من

كانت ولادة بوران في ١٩٢هـ ووفاتها في ٢٧١هـ وعقد المأمون قرانه عليها في عام ٢٠٢هـ وزفّت إليه في شهر رمضان لعام ٢١٠هـ. وتوفّي المأمون عام ٢١٨هـ.

وطعام البوراني العربي منسوب إليها، ورغم وجود قصّة تدعى قصّة الزنبيل عن زواجها بالمأمون وردتْ في شرح المقامات للشرشي، إلّا أنّني لم أنقلها لعدم عقلانيتها.

١٨٢- بوراندخت:

هي أختُ أزرميدخت السّابقة الترجمة، وهي الابنةُ الكبرى للخبيث المسمّى خسرو برفيزمن ملوك العجم، ولأنّ نوبة السّلطنة أتتها بعدابن عمّها أردشير، تولّت السلطنة عامًا وأربعة شهور.

وكانت فترةُ حكمها جيدة، وتولّت أختها أزرميدخت السّلطنة بعد وفاتها بشهر، وكان يجلس على العرشِ في هذا الشّهر ابن عمّ لها يدعى خشنبشد ابن برفيز، ولأنّ عهد تسلطنِ بوراندخت كان يتصادفُ مع عهد النّبيّ ﷺ، قال النّبيّ (لا يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة)، ولما تجرّأ خسرو برفيز على تمزيق الرّسالة التي أرسلها النّبيﷺ والتي تحمل هذا المضمون، دعا النّبيّ عليه وعلى دولته، فانهارت دولة الأكاسرة بعد فترةٍ قصيرة.

وبروان- أيضًا- اسمُ زوجة أبي الجيش خمارويه، من ملوك بني طولون الذين تسلّطَنوا في مصر، وقد بنى خمارويه بيتَ الذّهب الذي يدلّ على سفاهته من أجل بوران المذكورة، وهذا مذكورٌ في خطط المقريزي.

١٨٣- به آفرين:

ابنةُ كشتاسب بن لهراس من ملوك الفرس القُدامى، وقعتْ في الأسر هي وأختها همايانو في يد أرجاسب حاكم أرض توران (أي تركستان) وتمكّن أخوهُما إسفنديار بن كشتاسب من تخليصها من الأسْرِ بعد ذلك، وقصّتها مفصّلة في كتب التواريخ.

١٨٤- بهروزه خاتون:

زوجةُ الشّاه إسماعيل الأردبيلي مؤسّس الدّولة الصفويّة التي تأسّست في إيران في القرن العاشر الهجري، وقد انتقلت إلى ملك السلطان سليم هي والكثيرُ من نساء أعيان العجم وأهل السنّة أثناءَ حرب السّلطان سليم مع الشّاه إسماعيل الصّفوي، وزوّجها السّلطان سليم بفتوى من العلماء بتاجي زاده جعفر جلبي. وذلك لأنّ الإيرانيّين كانوا يجلبون النساءَ معهم في الحرب ليزيدوا من حماستهم وجرأتهم على القتال، ولما هُزم الصفويّون على يد السّلطان سليم، اغتنم العثمانيّون الحريم ضمن الغنائم، فكانت بهروزه من نصيب جعفر جلبي المذكور، حتّى أنّ الشّاه إسماعيل أرسل رسولًا من عنده إلى السّلطان سليم يطلب الصّلح، وأن يعيد له

زوجته، ولكنّ السّلطان سليم أخبره بأنّ زوجته تزوّجت بفتوى شرعية.

ورغمَ أنّ كلّ شخص يعلم بأنّ زوجة الشاه إسماعيل كان اسمها تاجلي خانم، إلّا أنه على حسب تحقيق صاحب كتاب صحائف الأخبار لم تكنْ تاجلي خانم زوجته، بل معشوقته.

١٨٥- بهيّة البكرية:

هي بهيّةُ بنت عبد الله، من قبيلة بكر بن وائل، وفدت مع أبيها وقومِها إلى الرّسولﷺ وبايعوه على الإسلام، وصافح النّبيّ الرجال فقطْ على البيعة، أمّا النّساء ومنهنّ المرأة المذكورة لم يصافحهنّ، بل بايعهنّ من دون مصافحة، وتقول بهيّة إنّ النّبيّ دعا لها وذريّتها بالبركة والخير، فكان لها أربعون ابنًا وعشرون بنتًا، واستشهد لها في سبيل الله عشرون، وهو من العجائبِ رضي الله عنها. وتوجد صحابيّة أخرى باسم بهيّة وهي مشهورة بالصّماء.

١٨٦- بيبى:

سيّدةٌ محدّثة تُعرف بأمّ الفضل بيبى، بنت عبد الصمد بن علي بن محمد الهرمثي، ولها جزء مشهور في الحديث باسم (جزء بيبى)، روى عنها المحدّث أبو العلا صاعد بن أبي الفضل الشّعبي، وغيره. رحمها الله تعالى.

وبيبى على وزن ضيزى المذكورة في الآية الكريمة «تلك إذًا قسمة ضيزا».

١٨٧- بيلك:

وردَ في كتاب النّفحات أنّها سيدة من المتصوّفات من أهل مدينة مروْ بخراسان.

حرف التاء

١٨٨ - تاجة بنت ذي الشفر:

وَرَدَ في القاموس أنّها ابنة أمير يدعى (ذو الشّفر) من ملوك (أزواء) الذين حكموا في اليمن لفترة، وقد وردتْ في حقّها قصّة غريبة، وهي: وقع سيلٌ كبير في اليمن في وقتٍ من الأوقات، ظهر على إثْرِه قبرٌ قديم، وجدوا بداخل هذا القبر جثّةً لامرأة مزيّنة أوّلها عنْ آخرها بالذّهب واللؤلؤ والمرجان، ووجدوا بجوارها لوحةً مكتوبٌ عليها «باسمك اللّهم إلهَ حِمْيَر، أنا تاجة بنت ذي شفر بعثت مائرنا إلى يوسف فأبطأ علينا فبعثت لاذتي بمدّ من ورق ليأتيني بمدّ من طحين فلم تجده، فبعثت بمدّ من ذهب فلم تجده فبعثت بمدّ من بحري فلم تجده فأمرت به فطحن فلم أنتفع به فاقتفلت فمَن سمع بي فليرحمني وأيّة امرأة لبست حليًا من حليتي فلا ماتت إلّا ميتتي»، ويُفهم من هذه العبارة أنها ماتت من الجوع، حفظنا الله تعالى.

ويذكرُ صاحبُ القاموس أنّ إمام أهل السّير ابن هشام الكلبي، هو الذي نقل تلك الحكاية.

وقد ذكرَ السّيوطي في كتاب حسن المحاضرة نقلًا عن صاحب المرآة أنّه وقع في مصر قحطٌ وغلاء عظيم عام ٤٦٠هـ لدرجة أنّ السيدة كانت تخرج من بيتها، وفي يدها مثقالٌ من مجوهرات وتنادي هل مِن آخذٍ له ويعطيني بدلًا منه قمحًا، فلم يكنْ أحد يلتفت إليها، ويقول سيد المرتضى أنّه لم يقع قحطٌ كهذا في مصر منذ عهد يوسف عليه السّلام.

١٨٩ - تاجلي خانم:

معشوقةُ الشّاه إسماعيل الصفوي التي أشرنا إليها في عنوان بهروزه خاتون، فعندما تعرّض الشاه إسماعيل للهزيمة على يد السّلطان سليم، فرّت من أرض المعركة، فقبض عليها مسيح باشا زاده، وظلّت في خيمته يومين، وتمكّنت من إعتاق نفسها بعد أنْ أعطته حلية من حليّها النفيسة، والقصة بتفصيلها مذكورةٌ في كتاب هشت بهشت لإدريس البتليسي.

١٩٠ - تحفة:

من المتصوّفات العارفات المذكورات في كتاب النّفحات، كانت جارية تجيد العزف على العود، استولى عليها العشقُ، فبدأت تأنُّ ليلَها ونهارَها، وتوقظُ أهلَ البيت في الليل من هذا الأنين، فظنّ سيدُها أنّها جُنّت فأرسلها إلى المشفى، ولكنها تمكّنت من الخروج من هناك بواسطة سري السقطي، كما أعتقها بماله، وقد نظّمت أبياتًا في العشق كثيرة، منها تلك الأبيات التي نقلناها من كتاب النفحات، وهي أبياتٌ نظمتها عندما كانت في المشفى:

معشر الناس ما جننت ولكن أنا سكرانة وقلبي صاح
أغللتم يدي ولم آت ذنبًا غير جهدي في حبّه وافتضاحي
أنا مفتونة بحبّ حبيب لست أبغي عن بابه من براح
فصلاحي الذي زعمتم فسادي وفساد الذي زعمتم صلاحي
ما على مَن أحبّ مولى الموالي وارتضاه لنفسه من جناح

١٩١ - تحية:

يذكرُ سيّد المرتضى في كتابه تاج العروس إنّ هناك امرأتيْن محدّثتين باسم تحية؛ الأولى تحيّة الراسبيّة والأخرى تحيّة بنت سليمان، كانت تحيّة الراسبيّة أستاذةً للمحدّث مسلم.

ابن إبراهيم رحمهما الله تعالى.

١٩٢- تذكار باي خاتون:

هي تذكار باي ابنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، الذين تولّى سلطنة مصر كفرعٍ من فروع الدولة الأيوبيّة، وهي بنت البغداديّة المارّة الذّكر فيما سبق. ورد في خططِ المقريزي أنّها مؤسّسة رباط البغداديّة وهو من الآثار المصريّة المشهورة. كان الرباط المذكور خانقاه عظيمة تمّ بناؤها عام ٦٨٤هـ وكان يقيم فيه بنت البغداديّة المذكورة وبعض النّسوة الصالحات.

كانت الخانقاه المذكورة من الزّوايا الخاصّة بالنّساء، حيث كان يوجد بها دائمًا امرأة من أهلها تشتغل رئيسةً عليها، وكانت مهمّتها الوعظ والإرشاد للنّسوة الموجودات فيها، ويذكر المقريزي أيضًا أنّ من سكّان تلك الخانقاه أيضًا أمّ زينب فاطمة بنت عباس البغداديّة الآتية الترجمة، وكانت فقيهةً عالمة عالية الجناب، غزيرة العلم، تعلّم على يديها الكثيرُ من نساء مصر والشّام. كان لها محبّة ووقارٌ في قلوب الجميع، توفّيت عام ٧١٤هـ عن عمرٍ يناهز الثّمانين، لذا سمّيت كلّ امرأة تولّت المشيخة بعدها بلقب البغداديّة نسبة لها.

يقول المقريزي عنْ أحوال تلك الخانقاة أنّها كانت مقرًّا ومأوًى للنّسوة اللاتي هجرهنّ أزواجهنّ، أو طلقهنّ أزواجُهنّ، ويقضين فترة العدّة، وذلك لأنّه كان المعروفُ عنها- أي الخانقاه- أنّها كانت مقرًّا للعبادة والإصلاحِ والتّربية. ظلّت الخانقاه المذكورة تعملُ على قدمٍ وساق في غاية الانتظام والاحكام حتّى اعتراها الخللُ، وذلك بعد حالة الفوضى الكبرى التي اعترتْ نظامَ مصر بعد عام ٨٠٦هـ.

١٩٣- ترخان خديجة سلطان:

هي خديجةُ سلطان زوجةُ السلطان إبراهيم، ووالدة السّلطان محمد الرّابع، المشهور بالصّياد، وصاحبة جامع يكى جامع وأوقافه، وقد كان الجامع المذكورُ في الأساس من أعمال ماه بيكر كوسم سلطان، فهي التي شرعتْ في بنائه، ولكن بعد استشهادِها أكملته خديجة سلطان، وأضافت له مكتبًا وعمارة وسبيلًا، وقبرًا لها، دُفنت به عندما توفّيت عام ١٠٩١هـ. كانت المشار إليها صاحبة زهدٍ وورعٍ في عهدها، ويقول صاحب تاريخ راشد إنّها

كانت رابعة مريم وآسيا وفاطمة الزهراء، كانت تميل دائماً إلى التصدّق والإحسان، رحمها الله تعالى. وكان يُطلق عليها (الوالدة الصّغرى) لأنّها كانت معاصرةً لكوسم سلطان.

١٩٤- تقيّة الأرمنازية:

أشرنا إليها في حرف الألف تحت عنوان (أمّ علي التقية)، شاعرةٌ بديعةُ النّظم، من شاعرات سوريا في القرن السّادس الهجري، وأرمناز قرية قديمة من قرى برّ الشّام، ابنة أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السّلام الصوري، من أعيان علماء الشّام، وعُرفت بأمّ علي نسبة لابنها تاج الدين أبو الحسن علي بن فاضل.

كان لها علمٌ وفضلٌ في الشّعر، ظلّت لفترة ملازمةً لأبي طاهر السلفي من حفّاظ الحديث في مدينة الإسكندرية، وكان المشار إليه يثني عليها في بعض تعليقاته، وقد كتب المشار إليه ذات يوم في ورقة «جرحت قدمي في الغرفة التي كنت أقيم فيها فشققت خمار البنت الصّغيرة وربطت به قدمي المجروحة». ولما قرأت تقيّة تلك العبارة نظمت تلك الأبيات بالبداهة:

لـو وجـدت السـبيل جـدت بخـدي
عوضًـا عـن خمـار تلـك الوليـدة
كيـف لي أنْ أقبـل اليـوم رجـلاً
سـلطت دهرهـا الطريـق الحميـدة

وقد قال القاضي بن خلكان في هذا المقام (لقد ناظرت تقيّة بأبياتها تلك قولَ هارون بن يحيى المنجم:

كيـف نـال العثـار مَـن لم يـزل
منـه مقيـاً في كلّ خطـب جسـيم
أو ترقـة الأذى إلى قـدم
لم تخـط إلّا مقـام كريـم

وللمذكورة أشياء أخرى جميلة بخلاف ذلك، فقد حكى لي الحافظ ذكي الدّين أبو محمد عبد العظيم المنذري- رحمه الله- تلك الحكاية نظمت تقيّة تلك قصيدةً في الملك المظفّر تقي الدّين عمر ابن أخي السّلطان صلاح الدين الأيوبي، وصفته فيها بأوصافٍ تدلّ على اللّهو والمرح، فقال «إنّ تلك المرأة تعلمُ كلّ تلك الأحوال منذ عهد الطفولة» ولما وصلتْ تلك الكلمات إلى مسامع تقيّة نظمت قصيدة أخرى فيه تصفُه

فيها بالبطولة والشّجاعة والإقدام. كانت ولادتُها في الشام في عام ٥٠٥هـ ووفاتها في أوّل شوال عام ٥٧٩هـ وتوفّي والدُها أبو الفرج في أواخر صَفَر لعام عام ٥٠٩هـ، وتوفّي جدّها علي بن عبد السلام في وقت العصر ليوم الأحد الموافق التّاسع من شهر ربيع الآخر لعام ٤٧٨هـ. أمّا ابنها أبو الحسن علي فقد عمّر كثيرًا، حيث توفّي في الإسكندريّة في ١٥ صفر عام ٦٠٣هـ. كان رجلًا فاضلًا في علم النّحو والقراءات، وقد ولد والده أيضًا في دمشق في شهر شوال عام ٤٩٠هـ وتوفّي في الإسكندريّة في أوّل ربيع الأولى عام ٥٦٨هـ. ويقول ابن خلكان إنّ تواريخ الوفاة المذكورة كلّها مضبوطة بخطّ أبي طاهر السّلفي، ما عدا تاريخ وفاته هو فمحرّر بخطّ ابنه أبي الحسن».

ومن النّساء المسمّيات تقيّة أيضًا (تقيّة بنت أحمد) و(تقيّة بنت أموسان) وهما محدّثتان معروفتان، الأولى روتِ الحديث بإجازة من ابن بيان، والثّانية أخذتْ عن حسين بن عبد الملك الخلال، وتقيّة بنت فهد وهي أخت أمّ هاني بنت فهد من مشايخ الإمام السّيوطي. والمذكورة أيضًا من مشايخ الإمام السّيوطي، وقد ذكرها الإمام المذكور في كتابه المنجم في المعجم بأنّها ولدت في جمادى الأولى عام ٨٠٣هـ، وقال عنها إنّها أمّ ريم ستّ الأهل.

١٩٥- تكريت:

ابنةُ كليب وائل، من رؤساء العرب في الجاهلية، وهي مؤسّسة مدينة تكريت، وكانت تلك المدينة مدينةً عظيمة عامرة بين الموصل وبغداد. ولأنّ أخاها بكر بن وائل هو الذي أسّس مدينة ديار بكر الحالية فإنّها تسمّت على اسمه أيضًا.

١٩٦- تماضر:

بنتُ عمرو بن الشّريد السّلمية، صحابيّة شاعرةٌ مشهورة، ولأنّها اشتهرت بلقب الخنساء فإننا سنذكرُها في حرف الخاء. وتماضر بن منظور بن ريان، وهي زوجة عبد الله بن الزّبير، أتت إليها نوار زوجة الشّاعر الفرزدق لتخلّصها من حملها من الفرزدق، وطلبتْ شفاعتها، فنظم زوجُها الفرزدق هذا البيت:

ليس الشَّفيع الَّذي يأتيك مؤتزرًا
مثلَ الشَّفيع الَّذي يأتيك عريانًا

وطلب تدخّل عبد الله بن الزبير بنفسه، ومن هنا أصبحتْ كلمة شفيع عريًا بمثابة المثل.

كما ذُكرت تلك المرأة في كتاب ابن خلكان في ترجمة أبي الفضل ربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة حاجب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أولًا ووزيره بعد ذلك، حيث روى أنّ الخليفة المنصور كان يعتمد على ربيع اعتمادًا كبيرًا في كلّ الأمور، فقال له ذاتَ يوم: يا ربيع، اطلبْ ماشئتَ نحقّقه لك، فقال الربيع: أرجو محبّة مولاي أمير المؤمنين لابني فضل، فقال المنصور: ولكنّ المحبّة ليست بيدي، فقال ربيع: نعم أعلمُ يا مولاي ولكنّ الله أعطاك من الأسباب ما تستطيع به أنْ تهيّئ للمحبّة، فإنّ أحسنت على ولدي الفضل، فإنّ هذا سيجعله يتفانى في إخلاصه لك، وبالتّالي ستنشأ أواصرُ المحبّة بينكما، وعندما تقوى روابط المحبة بينكما فإنّ جرائمه وأفعاله القبيحة ستكون في نظركم كجرائم الأطفال، وتكون شفاعته كشفاعة الشفيع العريان. ورغم أنّ تلك الحكاية وردت في صحائف الأخبار نقلًا عن ابن خلكان أنّها من وقائع عهد الخليفة العباسي الهادي؛ إلّا أنّه أظهر خطأً أنّ الوزير المذكورَ هو الوزير أبو القاسم. وشفيع عريان يضرب بها المثلُ في باب مَن لا تردّ شفاعتُه، كما يوجد في الأمثال العربيّة أيضًا (نذير عريان)، ويستعمل في باب الإتيان بأخبار غيرِ سارة، وسببها أنّ رجلًا باسم الزّبير من قبيلة بني خثعم، أتى بخبر الغارة وهو عريان فأصبح مضربًا للمثل عن الأخبار السّيئة، فإذا ما أراد شخص أنْ ينذر قبيلته بقدوم غارةٍ عليها يصيح فيهم (أنا النّذير العريان).

وتوجد تماضر أخرى وهي بنتُ إصبغ بن عمرو الكلبي، كانت رئيسةً في قومها، وقد أرسل لها النّبي ﷺ سريّة عرفت باسم سريّة دومة الجندل بقيادة عبد الرحمن بن عوف، فتغلّب عليهم، وأسلموا، وتزوّجت من عبد الرحمن بن عوف. من الصحائف.

١٩٧- تنوسة:

كانت جاريةً في منزل عليّة أو عباسة بنت المهدي. قيل في حقّها:

لم تطلب اللذّات إلّا لمن طابتْ له لذّة تنوسه

غنّت بصوت أطلق عبرة
كانت بحسن الصبر محبوسة

وكيف أصبر النفس عن غادة
تظلمها إنْ قلت طاووسة

وجُرتُ أنْ شبّهتها بانة
في جنة الفردوس مغروسة

وحكايتها مشروحةٌ في الكتاب المسمّى (بدائع البداية) لابن ظفر.

حرف الثاء

١٩٨- ثبية بنت يعار:

سيدةٌ من فُضليات الصّحابيات، زوجة الصّحابي الجليل أبي حذيفة، اشتهر الزّوج والزوجة بالفضل والعلم، ولأنّ حذيفة بن عتبة بن ربيعة من زعماء قريش، وأخته هي هند بنت عتبه الآتية الترجمة فإنّه قديمٌ في الإسلام، هاجر الهجرتين، وغزا مع النّبيﷺ كلّ الغزوات، واستشهد يومَ اليمامة، ويوم بدر أراد أنْ يخرج للكفار بمفرده ويحاربهم، ولكنّ النّبيّ منعه من ذلك، وكانت أخته هند في ذلك الوقت كافرة، وتصرّ على كفرِها، نظمت تلك الأبيات التي زمّت فيها أخاها أبا حذيفة حيث قالت:

فأشكرت أبا رباك من صغر
حتى شبيت شبابًا غير محجون
الأحول الأثعم المشئوم طائره
أبو حذيفة شر الناس في الدين

والأثعم أيْ كثير الأسنان، والطائر تستخدم عند العرب في بعض الأحيان بأنّها نفس الإنسان. وبخلاف ثبيّة تلك

توجد أربعُ صحابيّات أخريات باسم ثبيّة هنّ: ثبيّة بنت الربيع وثبيّة بنت سليط، وثبيّة بنت الضحاك، وثبيّة بنت النعمان.

وثبيّة بنت حنظلة الأسلميّة تابعية.

١٩٩- ثويبة:

جاريةُ أبي لهب عمّ النّبيّ ﷺ، أعتقها أبو لهب لأنّها أخبرته بخبر ميلاد النّبي، وهي أوّل مَن أرضعت النّبيّ ﷺ، ثمّ تبعتها السّيدة حليمة، كما أنّها هي التي أرضعتْ سيّدنا حمزة سيدَ الشهداء. ولأنّ سيدها أبا لهب ارتحلَ عن الدّنيا وهو كافر، رآه أخوه العباس في المنام فسأله عن حاله فقال له « أنا في النار أتعذّب، والشّيء الوحيد الذي يخفّف عنّي عذابي هو قيامي بعتقِ ثويبة حينما بشّرتني بميلاد محمد» وإسلام المذكورة مختلَفٌ فيه.

ج

حرف الجيم

٢٠٠- جانفدا قادين:

هي جانفدا التي اشتهرتْ بأنّها كتخدا الحريم في عهد السّلطان مراد الثالث. كانت من أركان الدّولة، فقد كان أركانُ الدولة في ذلك الوقت هُم: شمس أحمد باشا نديم السلطان، وغضنفر أغا أغا دار السعادة، وخوجه سعد الدين أفندي معلم السلطان وصاحب كتاب تاج التواريخ، وجانفدا قادين كتخدا حريم السلطان. وكان زمام إدارة الدولة في أيدي المذكورين، كانت المذكورة نافذةَ الكلمة أكثرَ من المذكورين معها جميعًا، حتّى أنّ غضنفر أغا أغا دار السّعادة كان يوسّطها أحيانًا في بعض المسائل التي لا يستطيعُ أنْ يُحيلها إلى السّلطان مباشرة.

كانت المذكورة من أهل القصر، ولأنّها كانت من أهل العقل والتّدبير، فقد أوصت السيدة نوربانو والدة السّلطان، السّلطانَ بجانفدا قادين، لذا كانت محطّ رعاية وعناية السّلطان، فعيّنها كتخدا للحريم، وبتدبيرها ودرايتها علمتْ كلّ شئونِ الحرم

الهمايوني، وكان تقرّبها يزدادُ يومًا بعد يوم، وبعد وفاة السلطان المذكور كُلفت بمهمّة استيفاء التعيينات الخاصّة ببعض الجواري اللاتي سيخرجن من القصر، وأنْ تقوم بتزوجيهنّ بالرّجال المناسبين، وبعد فترة خُصّص لها راتبًا، وتعيينات هي الأخرى، وخرجت من القصر، ولها بعضُ الآثار الخيريّة في استانبول والأماكن الأخرى كالمساجد والأسبلة، وهي مذكورةٌ في الصّحائف والحدائق، وأكبر عمل خيري قامتْ به، هو عدمُ مصاحبتها لأخيها دلي إبراهيم باشا، فلمّا سمعتْ بتجاوز أخيها الحدّ في الظلم والتّعسف، تخلّت عن حمايته، وسعتْ في حبسه وقتله، رضي الله عن الذين لا يعينون على الظلم.

٢٠١- جرادة:

سيدةٌ من زوجات سيدنا سليمان، وعلى حسبِ قول بعض كتب المواعظ، وعلى اختلاف الرّوايات أنّ المشار إليها كانت السببَ في زوال ملكه، إلّا أنّ تلك الحكايات كلّها ليس لها أصل عند كافّة المفسّرين والمحقّقين؛ لذا يجب اجتنابها.

٢٠٢- جرادتان:

هُما مغنّيتان مشهورتان، ضُرب بهما المثلُ (ألحنُ من جرادتين)، كانتا على حسب قول أبي الفرج الأصفهاني- صاحب كتاب الأغاني- من جواري عبد الله بن جدعان، أحد كرماء العرب في الجاهلية، وقد أهداهما ابنُ جدعان إلى الشّاعر المشهور أميّة بن أبي الصّلت الثقفي، كانتا تجيدان اللّحن، وهو ما كان سببًا في إطلاق المثل عليهما. أمّا أبو الفضل فيذكر في كتابه مجمع الأمثال أنّهما كانتا جاريتيْن مغنّيتين من جواري معاوية بن أبي بكر العمليقي رئيس العمالقة في الحجاز، وكان اسمهما يماد ويعاد، وكانتا منتسبتين إلى قوم عاد، وهذا ما ذكره ابنُ الأثير أيضًا في الكامل، أمّا شهاب فقد أورد في حاشية تفسير البيضاوي أنّ واحدةً منهنّ اسمها وردة والأخرى اسمها جرادة، وأطلق عليهما جرادتان تغلّبًا. ويوجد قولٌ آخر في القاموس بأنّهما كانتا من جواري النّعمان بن المنذر.

٢٠٣- جرباء بنت قسامة:

حماة سيّدنا الحسن، وهي والدة زوجته أمّ إسحاق بنت طلحة، كانت فريدةَ عصرها في الحسن والجمال، ولفظ جرباء يُطلق في

اللغة العربيّة على المؤنّث، كما يطلق - أيضًا على المؤنث- السّاعي كالسّاء، كانت النّسوة تحترز من الذهاب إليها أو المكث عندها من شدّة جمالها وفرط حسنها، لأنّ المرأة غير الجميلة إذا وقفتْ أو أقامت عند امرأة جميلةٍ فإنّها تشعر بقبحها، لذا كانت النّساء لا تذهب أو تسير معها، ولهذا أُطلق عليها الجرباء، تشبيهًا بمن يُصيبهم مرضُ الجرب الذي كان منتشرًا في تلك الأثناء.

ويذكر سيد المرتضى في شرح القاموس أنّ هناك امرأةً أخرى بنفس الاسم، وهي ابنة عقيل بن علفة المري.

٢٠٤- جريرة:

مِن رؤساء نساء الفرس القدامى، ابنة بيران بن ويسه، قائد جيش أفرسياب، وزوجة سياوش بن كيكاوس، وأنجبت منه فرود أخا كيخسرو الهمايوني من أسرة شاهات إيران.

٢٠٥- جعدة:

اسمُ صحابيّتين من صحابيّات الرّسول، من الأنصار. وجعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي وهي زوجة الحسن، فكّرت في أنّها ستتّفق مع معاوية أو ابنه يزيد، فقتلت الحسنَ بالسّم، ولكنّها لم تتّفق معهما فتحسّرت في دنياها وآخرتها.

٢٠٦- جعرانة:

هي ريطةُ بنت سعد، الآتية الترجمة، سيدة مشهورةٌ بالحماقة بين العرب، اشتهرت بأنّها تنسج الصّوف ثمّ تحلّه، لذا ضُرب بها المثل في الحماقة، وسنذكرها في عنوان (خرقاء).

٢٠٧- جلابي:

سيدةٌ فصيحة اشتهرتْ بصفاء الطّبع وجلاء الذّهن من شاعراتِ نساء العجم، كما هو محرّر في ترجمة حال (عائشة حبي) في تذكرة عاشق جلبي، وعلى حدّ تعبير عاشق جلبي أنّها تركت وطنها خوفًا من عائشة حبي. والشاعرة الفارسيّة آفاقي أيضًا والتي ماتت مع بزوغ شمس الإسلام، لم نعثرْ لها على ترجمة.

٢٠٨- جليلة بنت مرّة:

ابنةُ مرّة بن شيبان بن ثعلبة، أخت جساس بن مرّة، المذكورة في حكاية بسوس، وزوجة كليب بن ربيعة، ولأنّ كليب قُتل على يد جسّاس، فقد أرادت النّسوة المجتمعات في المأتم إخراجَ جليلة

المذكورة من المأتم لأنّها أخت القاتل، حيث قالت لها فاطمة أمّ امرئ القيس «إنّ وجودك هنا يوجب الشماتة، فأنتِ أختُ القاتل، ولا يجب أنْ تكوني هنا بيننا»، ونظمت تقول:

رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا
لآل مرّة من الكرة بعد الكرة

ولما سمعتْ جليلة تلك الأبيات التي تقلّل مِن شأنها نظمت الأبياتِ التّالية:

يا ابنة الأقوام إنْ شئتِ فلا تعجلي باللّوم حتّى تسألي
فإنْ ما أنت سئمت الذي يوجب اللوم فلومي واعزلي
إنْ تكن أخت امرئ ليمت على شفق منها عليها فافعلي
جلّ عندي فعل جسّاس فيا حسرتا قي انجلت أو تنجلي
فعل جسّاس على وجدي به قاطع ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعين فقئت عين سوى أختها فانفقت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما تحمل الأم أذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوّض الدّهر به سقف بيتي جميعًا من عل
هدم البيت الذي استحدثه وانثنى في هدم بيت الأوّل
ورماني قتله من كثب رميّة المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكنّ اليوم قد خصّني الدهر برزء معضل
خصّني قتل كليب بلظى من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليومه كمَن إنما يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي دركي ثأري ثكل المثكل
ليته كان دمًا فاحتلبوا دررًا منه دمي من أكحلي
إنّني قاتلة مقتولة ولعلّ الله أنْ يرتاح لي

٢٠٩- الجليلة السّلطانية:

ابنةُ الملك العادل أبي بكر بن أيوب، من ملوك الدّولة الأيوبية، سيّدة محدِّثة، اسمُها الأصلي مؤنسة، ولجلّ قدرها وعلمها أطلقَ عليها جليلة السّلطان. رحمها الله تعالى.

٢١٠- جماعة:

جماعة ابنةُ عوف بن محلم الشيباني المذكور في عنوان أمامه وأمّ أناس، سيّدة اشتهرت بالوفاء والتّضحية، ضُرب بها مثل (أوفى من جماعة) في الوفاء، وبوالدها (لا حرّ بوادي عوف) في الرئاسة.

وللمذكورِ ابنةٌ أخرى من أمّ أناس، كانت زوجةً لليث بن مالك الملقّب بالمنزوف ضرطا.

٢١١- جمال النساء:

هي أمّ الخير البغداديّة المذكورة فيما سبق، سيّدة بغداديّة من العلماء العابدات، من نساء أواخر عام ٦٠٠هـ لقبت بجمال النساء لعلمها وجمالها، حصلتْ على إجازاتٍ من المحدّث ابن عساكر وفاطمة بنت سليمان والقاضي بن الخوى والقاضي تقي الدين سليمان وأبي بكر بن عبد الله الدائم، وابن سعدة وابن شحنة، وقد أوردناها في حرف الهمزة.

٢١٢- جمانة:

أي الحبّة، وهي أختُ أمّ هانئ، ابنة أبي طالب، وأخت سيدنا علي، فقد كان لأبي طالب ثلاثة أبناءٍ هُم: علي وعقيل وجعفر، وبنتان هما: جمانة وأمّ هانئ، كان الفرقُ بين كلّ واحدٍ منهم في العمر ١٥ سنة، وكان علي أصغرَهم سنًّا، ويقول ابن الأثير إنّها كانت متزوّجة من أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمّ الرّسول، وأنجبت منه عبد الله بن أبي سفيان، كان المشار إليه من الصّحابة الكرام الفُصحاء. وله مرثيّات في الرّسولﷺ رضي الله عنه- وعن ابنته ونجله.

٢١٣- جمعة:

هي جمعةُ بنت حابس الأيادي من حكيمات العرب، ستوردُها في حرف الحاء تحت عنوان حكيمات، هي جمعة بنت الخس أخت ابنة الخس سابقة التّرجمة على حسب ما أورده ابن نباتة، أمّا القول الذي يزعم بأنّها جمعة بنت حابس فيقول بأنّها خالة ابنة الخس، ويوجد رأي في القاموس بأنّه لا توجد قرابةٌ قطّ بين ابنة الخس وبين جمعة المذكورة؛ لأنّ الأولى من العمالقة، أمّا الأخرى فمِن قبيلة الأيادي.

استطراد: الاسمُ العربي القديم ليوم الجمعة الذي يعدّ عيدَ المسلمين هو عروبة، أمّا إطلاقُ اسم الجمعة عليه فكان من أهالي المدينة وذلك لأنّ المسلمين كانوا يجتمعون فيه للصلاة، وسورةُ الجمعة مدنيّة، وكانت أوّل صلاة جمعة في السّنة الأولى من الهجرة في المسجد النبوي، وكان العربُ في الجاهليّة يطلقون على يوم الأحد أول، وعلى الاثنين أهون، والثلاثاء جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسبت شيار، وقد جمعها شاعر في بيتين فقال:

أؤمل أنْ أعيش وإنّ يومي بأول أو أهون أو جبار

أو التّالي دبار فإنْ يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار

ومعنى وإنّ يومي أي يوم موتي.

٢١٤- جميلة:

هي جميلة صاحبةُ المثل (عام جميلة) المضروب للعام الذي فيه بركة، ابنةُ ناصر الدّين، من ملوك بني حمدان، كانت امرأةً صاحبةً مروءة، وعلى حسب ما وردَ في كتاب (ما يعول عليه) وكتاب شرح النخبة لبابا كوبلي الفاضل، الذي أخذ منه أنها ذهبت للحجّ عام ٣٦٦هـ وقد وزّعت على كافّة الحجاج الشربات المصنوع من نبات السّكر، وأنفقت ١٠ آلاف قطعة ذهبيّة في الحرم تعظيماً للبيت العتيق، وأعتقت ٣٠٠ عبد، و٢٠٠ جارية، وجهزت ٥٠٠ رأس لنقل الحجّاج، ولأنّها كانت سابقة على أمّ جعفر زبيدة الآتية الترجمة؛ فقد اشتهرت بين النّاس بالخير، ولم ينسَ النّاسُ عامَها الذي حجّت فيه، وضربوا به المثل في الجود والخير؛ فقالوا عام جميلة.

٢١٥- جميلة المغنية:

مغنّية مشهورةٌ من مغنّيات أوائل العصر الأموي، وتعدّ من أركان علم الموسيقى العربية، والأبياتُ التّالية في وصف حالها:

إنّ الـدّلال والحسن والغنا
وسط بيوت بني الخزرج
وتلكم جميلة زينُ النسا
إذ هي تزدان للمخرج
إذا جئتها بذلت ودّها
بوجه منير لها أبلج

ولأنّ زوجها كان من معاتيق بني الحارث بن الخزرج؛ فقد نسب المشار إليها إلى تلك الأسرة، وإلّا فإنّه من معاتيق قبيلة بني بهز التي تعدّ بطنًا من بطون بني سليم، وقد تعلّم على يديها مشاهير أساتذة الموسيقى العربيّة أمثال معبد وابن عائشة من الرجال، وحبابة وسلامة القسّ وعقيلة وخليدة وربيحة من النساء. وقصّتها بالتفصيل واردةٌ في المجلد السّابع من الأغاني.

٢١٦- جميلة بنت وائل:

وعلى رواية جميلة بنت أميل، وهي فتاةٌ معروفة، معشوقةُ عامر بن سعيد من مشاهير عشاق العرب، وقد نظمت أبياتًا في وفاة معشوقها موجودة في كتاب تزيين الأسواق ص ١٢٢.

وجميلة اسمُ ١٢ صحابية، منهنّ جميلة بنت ثابت، وهي أمّ عاصم السّالفة الذكر، وجميلة بنت عبد الله بن أبي ثابت بن قيس بن شماس، وهي أوّل امرأةٍ تخلع نفسها في الإسلام، وذلك على حسب ما وردَ في الكشاف في سورة البقرة.

٢١٧- جنان:

جاريةٌ، جميلةٌ وأديبة، معشوقةُ أبي نواس، كانت تنتسبُ إلى أسرة المحدّث عبد الوهاب الثقفي في البصرة، كانت معروفة، وردت في كتاب أخبار العرب، وقد نقل الكتابُ المذكور أشعارها، أحبّها أبو نواس، ونظمَ فيها أبياتًا كثيرة، خرجت إلى الحجّ في سنة فعزم أبو نواس على الخروج للحجّ هو الآخر لعلّه يلقاها في الطريق، ونظم تلك الأبيات:

ألم تــر أنّنــي أفنيــت عمــري
بمطلبهـــا ومطلبهـــا عسيــــر
فلــمّا لم أجــد سببًا إليهـــا
يقرّبنـــي وأعيتنـــي الأمـــور
حججــتُ وقلــت قــد حجّــت جنــان
فيجمعنـــي وإيّاهـــا المســـير

والقصيدةُ التّالية أيضًا من نظم أبي نواس، ولأنّها من الأشعار المستحسنة المقبولة أدرجتُها هنا للتبرّك:

إلهنا ما أعد لك مليك كلّ من ملك
لبيك قد لبّيت لك لبيك إنّ الحمد لك
والملك لا شريك لك والليل لما أنْ حلك
والسّابحات في الفلك على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أمّلك أنت له حيث سلك
لـــولاك يا ربّ هلك كـــلّ نبي ومـــلك
وكـــلّ مـــن أهل لك سبح أو لبّى فلك
يا مخطئًا ما أغفلك عجّل وبـــادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك إنّ الملك لـــك
والحمد والنّعمة لك والعز لا شريك لك

وروى أنّ أبا نواس لم يحبّ امرأة من قلبه كما أحبّ جنان، ولها مشاعرات مع عنان (الآتية الترجمة) جارية النّاطفي، منقولة من كتاب الأغاني.

٢١٨- جنوب:

هي جنوبُ ابنةُ قيس بن إصبغ الجعدي، وهي معشوقةُ مالك بن الحارث الجعدي، ومحرّر قصّتها في كتاب تزيين الأسواق.

جنوبُ بنتُ عجلان، وهي ابنة عجلان الهزلي، وأخت الشّاعر عمرو بن عجلان المعروف بذي الكلب، وجنوب الواردة في بيت ذي الكلب:

أباكية بعدي جنوب صبابة على وأختاها بماء عيون

هذه جنوبُ المذكورة، ولها أختٌ اسمها ريطة سنذكرُها في حرف الراء.

ورَدَ في كتاب عنوان المرقصات والمطربات، إنّ جنوب هذه ابنة عمرو ذي الكلب، والبيت التّالي من الأبيات التي نظمتها ريطة في حقّ أخيها عمرو:

تمشي النسور إليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهنّ الجلاليب

ورغم أنّ الكتابَ المذكور نسب هذا البيت إليها إلّا أنّ هذا مخالفٌ لما ورد في كتاب الأغاني، نعم فقد ذُكر في عنوان المرقصات أنّ الأبيات التّالية أيضًا يجب أنْ تكونَ لجنوب، ولعدم وجود دليل يثبت خلافَ ذلك فقد نقلتها كما هي دون النّظر إلى تصحيحِ مسألة قائل الأبيات؛ لأنّني لست متخصّصًا في علم الشّعر:

وأقسم يا عمرو لو نبهاك إذا نبها منك داء عضال

إذا نبها ليث عريسة مبيدًا مفيدًا نفوسًا ومالا

فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

٢١٩- جوهرة:

ابنةُ هبة الله بن الحسن بن علي بن الحسن بن الدّوامي، أشرنا إليها من قبل تحت عنوان (بنت الدّوامي) كانت من نساء أواخر عام ٥٠٠هـ سيدة من أهلِ العلم والأدب، نسبت إلى جدّها الكبير الدّوامي، ابنة الشيخ أبي الحسن بن الدوامي، كانت صالحة وصادقة، دائمة الاشتغال بالعلم والعبادة، فكانت تعطي دروس الوعظ والنّصح للنساء، تعلّمت الحديث على يد الشيخ أبي النجيب والشيخ أبي الوقت، وقد زوّجها شيخها أبو النجيب لابنه عبد الرحيم، وأنجبت منه سيدة بنت عبد الرحيم الآتية الترجمة، كانت وفاتُها عام ٦٠٤هـ حيث توضّأت وصلّت العشاء ثمّ توفيت.

٢٢٠- جوهرة:

وهي جارية الستّ نفيسة الآتية الترجمة.

وجوهرة هي جارية الخليفة المهدي

العبّاسي، وكانت جارية متسلّطة متحكّمة في الخليفة، قيل فيها:

فـلا والله مـا المهـدي أولى منـك بالمنـبر

وإنْ شـئتِ في هنـك خلـع ابـن جعفـر

ومَفادُ الأبيات أنها كانت متحكمة لدرجة كبيرةٍ في الخليفة المهدي، وابن جعفر هو الخليفة المهدي، وهو ابن الخليفة أبي جعفر المنصور، وقد لقّب بلقب الدّوانقي لشدّة بخله.

٢٢١- جويرية:

زوجةُ رسول الله ﷺ، ابنة الحارثِ بن ضرار، سيّد عشيرة بني المصطلق من قبيلة خزاعة، اغتنمَها المسلمون يوم غزوة بني المصطلق، وكانت من نصيب الصّحابي ثابت بن قيس، وقد كتبت على نفسها مبلغًا من المال لتخليص نفسها من الرّق، وذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت له «يا رسولَ الله، أنا جويريّة بنت الحارث، سيّد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، وقد كاتبتُ على نفسي فأعنّي على كتابتي»، فأدّى النّبيّ ما عليها من دين، وأعتقها وتزوّجها، وقد أعتق الصّحابة الكرام كلّ العبيد والجواري الذين اغتنموهم من قومِها كرامة لزواجها من رسولِ الله، ويقول ابن الأثير بعد أنْ روت السّيدة عائشة تلك الحكاية قالت: لا أعرف امرأةً أخيَرُ منها لقومها». وقد ذكر محيي الدّين في كتابه المسامرات (ج٢ ص ١٤٢) أنّها روت عن النّبي ﷺ ٧ أحاديث فقط.

وتوجد صحابيّتان أخريان باسم جويرية، واحدةٌ منهما ابنةُ أبي جهل، وزوجة عتاب بن أسيد، وقد أسلمت بعد فتح مكة، وقد أراد أنْ يتزوّجها علي ابن أبي طالب على السيّدة فاطمة، ولما وصل ذلك إلى مسامع الرّسول؛ قال له «لا تجتمع ابنةُ نبيّ الله وابنة عدوّ الله تحت رَجُلٍ واحد» فترك عليّ الأمر، ولما سمعتْ بلالًا يؤذّن على ظهر الكعبة يوم فتح مكة قالت «يا لسعد روح أبي لم يرَ صياحَ بلال على الكعبة».

٢٢٢- جهان خاتون:

شاعرةٌ عذبةُ اللّسان، من شاعرات العجم، تستحقّ أنْ يوضع التّاج على رأسها، ورد اسمها في كتاب (آتشك) على شكل (نور جهان بكم)، لذا سنوردها في حرف النون.

وجهان اسمُ زوجة الشاه إسماعيل، وكانت شاعرة أيضًا.

٢٢٣- جهيزة:

سيّدةٌ من حمقاوات نساء العرب، وقد أطلق مثل (قطعت جهيزة قول كلّ خطيب) عليها، وقصّة المثل أنّه كانت هناك دعوى دم ودية بين قبيلتين، فذهب رهطٌ من قبيلة القاتل إلى قبيلة المقتول لتقدم لها الدية، وترجوها في قبول الصّلح، وإذا بهم يخطبون الخطب التي تدلّ على الصّلح وقبول الدّية، إذا بجهيزة تقول (إذا ظفر ولي المقتول بالقاتل فليقتله)؛ وحينئذٍ قطعت الكلام على كلّ الخطباء الموجودين، فأطلقوا المثلَ القائل.

وتوجد امرأةٌ أخرى باسم جهيزة، وهي أيضًا من حمقاوات نساءِ العرب، وكانت والدة شبيب الخارجي، ولأنها كانت مسترقة أي مأخوذة عن طريق الرّقّ اشتراها والدُ شبيب واستفرشها، ولما بدأ شبيبُ يدبّ في بطنها، قالت لأقربائها أشعر بشيء يتحرّك في بطني، أريد أنْ أثقب بطني، وأرى ما هو، فأطلقوا عليها المثل القائل (أحمق من جهيزة)، وصار مثلًا عند العرب.

ح

حرف الحاء

٢٢٤- حاجي قادين:

هي حاجي مهر شاه ابنةُ إسكندر باشا، أحد وزراء السّلطان بايزيد، ومذكور في كتاب حديقة الجوامع أنّ لها جامعًا وتكيّة بالقرب من قوجه مصطفى باشا، ولها محلّة في صماتية، ومحلة حاجي قادين التي تقيم بها منذ مائتي سنة تقع بالقرب من زيرك، وليست لها علاقة بحاجي قادين صاحبة التّرجمة، فالجامع لجراب العلم (خضر بك) الذي كان أوّلَ قاضٍ لإستانبول في عهد الفاتح، كما أنّ الحي مسجّلٌ باسمه، ولكنْ نظرًا لأنّ المذكورة صاحبة التّرجمة قامت ببناء حمّام مزدوج خلف الجامع المذكور فقد أطلق على الجامع وعلى المحلّة اسم حاجي قادين لهذا السّبب، ويقع قبرُها بجوار جامعها بالقرب من قوجه مصطفى باشا، أمّا قبر خضر بك فيقع أمام بوستان قره كوز الواقع على مقربة من زيرك.

والياءُ الموجودة في كلمة حاجي بدل من الجيم؛ لأنّها مصحفة، واستبدال الحرف

المضعف بالياء كثيرٌ عند العرب، لذا يطلق على الشخص الذي حجّ حاج، وعلى الأنثى حاجّة، وهذا من ناحية اللغة العربية، أمّا في لغتنا فنظرًا لعدم وجود تفرقة بين المذكّر والمؤنّث فقد قلنا حاجي للتّسهيل، وبالتالي لن يخطّئنا أحدٌ عندما نقول كاتب خانم، وحاجي خانم.

٢٢٥- حبى:

سيّدةٌ من المدينة، تزوّجت برجال كثيرين، ويُقال في المثل (أشبق من حبى)، وهو مذكور في مجمعِ الأمثال، ويُقال لكثرة الشّبق والشهوة، وحكاية هذا المثل كما وردت في مجمع الأمثال أنّ تلك المرأة تزوجت في عهد ولاية مروان بن الحكم للمدينة المنورة برجلٍ يدعى ابن أمّ كلام، وكان شابًا قويًا جَلدًا، وكان لها ابن يتراوح عمره بين ٣٠-٤٠، ذهب ابنُها إلى مروان بن الحكم يشتكي له أمّه، ولمّا استدعاها مروان، تفوّهت بكلماتٍ وقحة عن الشّهوة والشبق، فقيل (أشبق من حبى) لشدّة توقانها وشهوتها للرّجال، وقد أومأ إليها هدبة بن الخشرم العذري في الأبيات التّالية:

فما وجدت بها وجدى أمّ واحد
ولا وجد حبى بابن أمّ كلاب
رأته طويل السّاعدين عنطنطا
كما ابتغت من قوة وشباب

وقد استعمل هدبة بعضَ الألفاظ التي استخدمتها حبى أمام مروان بن الحكم، فقد قالت حبي لابنها أمام مروان «يا برذعة الحمار أمّا رأيت ذلك الشابّ المقدود العنطنط والله ليصرعنّ أمّك بين الباب والطّاق، فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه، ولوددت أنّه ضبّ وأنّي ضبية، وقد وجدنا خلاء».

وقد كانت النّسوة في المدينة يسمّونها حوا، حيث كنّ يعدّونها أمّ البشر في نظرهنّ؛ لأنّها كانت تعلمهنّ الأشكال المختلفة للجِماع من قبع وغربلة ونخير ورهز.

وحبى المذكورة غير حبى بنت السّود من بني بحتر بن عتود، عشقها شاعرٌ يُدْعى حريث بن عتاب الطّائي، وطلبها للزواج، ولكنّها رفضت لأنّها كانت تحبّ شاعرًا آخر من بني ثعل، الأمرُ الذي جعل حريث يهجو بني ثعل بعد ذلك في أشعاره.

٢٢٦- حبي بنت مالك:

ابنةُ مالك بن عمرو العدواني، قائلة المثل (لا تعدم الحسناء ذامًا)، كانت من جميلات عصرِها، وطلبها أميرٌ للزواج ووكلت والدها في تعيينِ المهْر، وطلب الأمير منه تعجيل تجهيز العروس، وبينما كانوا يعجلون بتجهيزها قالت والدتُها للموجودين بجوارها «إنّ في عرقنا رائحة، ويجبُ علينا أنْ نطيب ابنتنا كما يليق إذا ما أرسلناها إلى عريسها»، ولأنّهم كانوا متعجلين نسيوا أنْ يطيبوها ليلة الزفاف، وفي اليوم التالي سألَ صهرها زوجها كيف كانت ليلتك؟، فاجاب لقد رأيتُ ليلةً بالأمس لم أرَ مثلها، ولكنّي شممت رائحةً لا أستطيع وصفها، ولمّا سمعته حبي قالت (لا تعدم الحسناء ذامًا)، وأصبح من ضروب الأمثال عند العرب.

٢٢٧- حبي قادين:

نديمةُ السّلطان سليم الثّاني، شاعرة من أديبات إستانبول، سنتناولها إنْ شاء الله تعالى في حرفِ العين تحت عنوان عائشة حبي. ورد لفظ حبي في الكتب العربيّة على وزن حبلى، ولكن عطائي أورد في كتابه ذيل الشقائق أنّ مولا جلبي باني جامع فنديقلي في عهد مراد الثالث اشتهر بحيى ملاصي إياه بأنّه ارتقى بعد أنْ أصبح صهرًا لعائشة حبي المذكورة، وقد نُظم هذا البيت العربي ليبين سببَ فيض حبي قادين:

وإنّ رحم الوسائط للمحبّ
فما لي مُشفق من غير حبي

وقد ذكر حبي بالياء، وهذا من العجائب.

٢٢٨- حبابة:

هي حبابة، محبوبةُ يزيد بن عبد الملك الأموي، من مغنّيات العرب المشاهير، اشتهرت هي والمغنّية سلّامة باسم (قينتي يزيد)، وقد كانتا ماهرتيْن في العزف والغناء، وضرب بهما المثل في ذلك، يقال (الحسن من قينتي يزيد)، ورغم أنّهما كانتا جاريتيْن، إلّا أنّهما كانتا من الجاريات المستحكيات.

وحبابةُ من مواليد المدينة المنورة، كانت محبوبةً لشخص يدّعى ابن رمانة أو ابن ميناء، كان اسمُها عالية، تعلّمت الموسيقى

والألحان على يد مَهَرة الموسيقى والغناء في زمانه، أمثال ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزة الميلاء، يبعث إلى يزيد بن عبد الملك.

وذكرَ في الأغاني أنّ يزيد تزوّج في عهد خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك بسعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بمهرٍ بلغ ألف قطعة ذهبيّة، وتزوّج بربيحة بنت محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفري؛ على نفس المهر، ثمّ اشترى عالية المذكورة بألف قطعة ذهبية. ولمّا بلغه أنّ أخاه سليمان سيقوم بالحجر عليه لسفاهته تلك أعادَ عالية، ولكنّها كانت في باله وفكره دائمًا، ولمّا تولّى الخلافة قال لزوجته سعدة إنّه يريد أنْ يعيد عالية إليه، وكلّفها أنْ تبحث له عنها، وفعلت سعدةُ ذلك وعثرتْ عليها، وأحضرتها، وغيّر يزيد اسمَها من عالية إلى حبابة.

شغفَ يزيدُ بها وأحبّها حبًّا جمًّا، وأصبح يقضي وقته كلّه في شرب الخمر والاستماع إلى الألحان والغناء منها، ويروى أنّه ذات مرّة كانت تغني له فهاج شوقًا وطربًا، وأخذ يرفرف بيديه قائلًا: سأطير سأطير، فقالت له حبابة: ولِمَن ستترك الخلافةَ؟ فأجابها: لكِ.

وينقل جار الله الزمخشري في شرح المقامة الزهديّة في كتابه نصائح الكبار أنّ يزيد هذا جمعَ ندماءه ذاتَ يوم في حديقته، وقال لهم إنّي أكذّب مَن يقول بأنّ الدنيا بها كدر للإنسان، ودعا حبابة ومجلس الطرب الذي اعتاده، وبينما هُم يشربون وحبابة تشدو كعادتها، وهو يرفرف بيديه كأنّه يطير كعادته، إذا بحبة رمان تنحشر في حلق حبابة، ولا تستطيع إخراجها فتلفظ أنفاسَها وتموت في الحال، وتبدّل حال يزيد من فرح إلى ترح، ومات هو الآخر بعدها بسبعة أيّام. والعبارة المذكورة في مقدمة تلك المقامة وهي (اذكر المرواني وما مني به من خطة على رأسه مصبوبة. حين غصّت بحبّة الرمان حبابته المحبوبة) إنّما هي إشارة لتلك القصّة.

ومحرّر في صحائف الأخبار أنّ يزيد أمر بعدم دفنها لمدّة ثلاثة أيام، ظلّ بجوارها لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدًا، وورد في

الكامل لابن الأثير حباية بالباء المخففة، وهي محدّثة، وهي عالمة وأستاذة أمّ سلمة التبوزكي، وورد اللفظ في المحيط بالتّشديد مخالفًا للقاموس، وأمّ حبابة وحباية الواليّة من التابعيات.

٢٢٩- حبة:

هي امرأةٌ عربيّة على حسب ما قاله صاحبُ القاموس آخذًا من ابن جنب، عشقها جني يدّعى منظور، وكانا يتقابلان، وقد علمها الجني الطبّ، وقد أشار ابن جني لهذا في هذا البيت حيث قال:

أعيني ساء الله من كان الله سرّه
بكاؤكما أو من يحبّ أذاكما
ولو أنّ منظور وحبة أسلما
لنزع القذى لم يبرئا لي قذاكما

وأغلبُ الظنّ أنّ هذا من الأساطير العربية. وتوجد سيّدة أخرى باسم حبة هي والدة منظور بن حبة، وهو شاعر راجز مشهور، وقد نسب إلى أمّه غلطًا ممّن نسبوه، حيث ظنّوا أنّ حبة اسم رجل لأنّ والده اسمه مرثد، وهذا ما وردَ في القاموس. وحبة بنت عبد المطلب بن وداعة السّهمي، وهي تابعية.

٢٣٠- حبرة:

بنتُ أبي ضيغم البلوية، شاعرة تابعية، وقد ذكرها صاحبُ القاموس بالجيم (جبرة بنت محمد بن ثابت) وقال إنّها كانت راوية حديث من تابعي التابعين.

٢٣١- حبيبة:

بنتُ عبد العزّى العوراء، من شاعرات ديوانِ الحماسة، والأبيات التّالية من أشعارها في ديوان الحماسة، باب المدائح:

ألِلى الفتى برّ تلكأ ناقتي
فكنا منا سمها البخيع الأسود
أنى وربّ الراقصات إلى منى
بجنوب مكّة هديهن مقلد
أولى على هلك الطعام إليه
أبدًا ولكنّي أبين وأنشد
وصّى بها جدّي وعلّمني أبي
نفض الوعاء وكلّ زاد ينفد
فاحفظ حيتك لا أبا لك واحترس
لا تخرقنّه فارة أو جدجد

٢٣٢- حبيبة بنت عبد الرحمن:

هي حبيبةُ ابنةُ زين الدين عبد الرحمن بن الإمام جمال الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، وهي المحدّثة التي يطلقون عليها أمّ عبد الرحمن حبيبة، كانت سيّدة من أهل العفة والصّلاح، ولها مهارة خاصّة في إيصال الحديث بروايته المتعدّدة إلى النبيّ ﷺ، تلقّت العلمَ على يد الشيخ المحدّث تقيّ الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني، والخطيب مردان، كما استمعت- أيضًا- إلى إبراهيم بن خليل، حصلت على الإجازة من سبط محدّث الإسكندريّة المشهور الحافظ السلفي، وإبراهيم ابن أبي بكر الزعبي من محدّثي بغداد، وفضل الله بن عبد الرزاق وغيرهم من المحدّثين. كانت وفاتُها في شعبان عام ٧٣٣هـ، وقد ذكر صلاح الصّفدي، الذي حصل منها على الإجازة عام ٧٢٨هـ قصّتها في كتابه عنوان النصر، الذي جمع فيه كلّ مشاهير عصره. رحمها الله تعالى.

٢٣٣- حبيبة هانم:

حبيبةُ ابنة علي باشا الهرسكي، من أديبات وشاعرات استانبول، ولدتْ في الهرسك عام ١٢٦٢هـ وهو تاريخ ميلاد العاجز، وهي الآن متزوّجة من رجل يدعَى محمد أفندي، من الكتاب. والغزليّة التّالية من نظمها:

عندما يُضرب بسيف نظرتك في القلب
فلا تطلق السهم فالحاجب الهلالي يكفي
لقد رأينا الأغيار الذين يستحقون الروح
وقد فتحت الجروح الجديدة بسيف هجرانك
لقد أصبحت نديمًا لهذا الغافل الجاهل
وحولتنا عن وصالك، إن لك إحسان
فطلب الرّحمة منك أيها الكافر عبث
فأنت بلاد من منذ الأذل
وحبيبة بلا دواء وحينئذ سيكون شفاؤها من ألمها مشكل
وأسرى الألم لا يرجون سوى العلاج

وتوجد ثلاثُ صحابيّات باسم حبيبة. كما توجد حبيبةٌ أخرى مذكورة في كتاب تزيين الأسواق، وهي حبيبة الحفرية، وهي

شاعرة. وحبيبة بنت عتيق تابعيّة، كان والدها شاعرًا في عهد سيدنا علي.

٢٣٤- حبيشة:

حبيشة ابنةُ خبيش بن جذيمة بن عامر بن عبد مناة، من أولاد بني كنانة. معشوقة عبد الله بن علقمة الجذمي، ذُكرت في كتاب تزيين الأسواق بشكلٍ مخالف لما ورد في كتاب الأغاني، كان العاشق والمعشوقة من أهل الفصاحة في عهدهما، ولأنّها كانا معاصرين للنبيﷺ، أرسل النّبيّ لقبيلتهم خالد بن الوليد على رأس فرقة تتكوّن من بني سليم والمهاجرين والأنصار ضمن الفرق التي كان يرسلها النّبيّ إلى الأطراف والأكناف بعد فتح مكّة لدعوتهم إلى الإسلام، وقد قُتل معشوقها عبد الله في تلك الحركة، ثمّ قتلت حبيشة نفسها من بعده، وحينما قُتل عبد الله نُظمت تلك الأبيات مخاطبة حبيشة:

إنْ يقتلـوني يـا حبيش فلـم يـدع
هـواك لهـم منّـي سـوى غلّـة الصـدر
وأنـت التـي أخليـت لحمي مـن دمي
وعظمـي وأسبلت الدمـوع عـلى نحـري

وتوجد رواية (فأنت التي قفلت جلدي على دمي). فنظمت حبيشة أمام تلك الأبيات هذه الأبيات:

ونحـن بكينـا مـن فراقـك مـرّة
وأخـرى وآسـيناك في العسـر واليسـر
وأنـت فـلا تبعـد فنعـم فتـى الهـوى
جميـل العفـاف في المـودة والسـتر

ووردت رواية أخرى (جميل المحيّا في المروءة والبشر). وتفصيلُ تلك القصة موجود في الصّفحات من ٢٥-٢٨ من المجلد السّابع بكتاب الأغاني.

٢٣٥- حجناء:

حجناءُ ابنةُ الشّاعر العباسي نصيب، شاعرةٌ بنت شاعر، نُسب والدها إليها فكان يُقال له (أبو الحجناء)، وأوّل مَن أطلق عليه هذا الاسم الخليفة المهدي، وذلك لأنّ المذكور كان من جنس العبيد، نشأ في اليمامة، وبيع إلى المهدي، ولمّا سمع المهدي شعرَه أعتقه، وكنّاه بأبي الحجناء، وهو ما كان باعثًا على علوّ شأنه لأنّ الكنية عند العرب كانت تُعطى لمَن قدره

عالٍ، كما كان أيضًا باعثًا على اشتهار ابنته، والأبيات التالية من نظم الحجناء، أنشدتها هي ووالدها لمّا حضر أمامَ الخليفة المهدي عندما كان يتنزه في مكانٍ يسمّى (عيسى باذ):

ربّ عيش ولـذّة ونعيم وبهاء بمشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط من بهار وزاهر الحوذان
ثمّ من ناضر من العشب الأخضر يزهي شقائق النعمان
مدّه الله بالتّحاسين حتّى قصرت دون طوله العينان
حففت حافتاه حيث تناهى بخيام في العين كالظلمان
زينوا وسطها بطارمة مثل الثريا يحفّها النّسران
ثمّ حشوا الخيام بيض كأمثال المهى في صرائم الكثبان
يتجارين في غناء شجي أسعداني يا نخلتي حلوان
فبقصر الســلام مَن سلم الله وأبقى خليفة الرحمن
ولديه الغزلان بل هنّ أبهى عنده من شوارد الغزلان
يا له منظرًا ويوم سرور شهدت لذّته كلّ حصان

ولأنّ الأبيات المذكورة أعجبت الخليفة أعطى البنت وأباها ٢٠ ألف درهم (٣٠ ألف قرش). وقد ذهبت حجناء يومًا ما إلى عباسة ابنة الخليفة المهدي تشتكي لها القحط والغلاء، وتتوسّل لها أنْ تنعم عليها بما تجود به عليها، فأنشدت تلك الأبيات:

أتينــــاك يـــا عبّاســة الخير لي حة
وقـــد عجفـت أمّ المهـاري وكلـت
ومـا تركـت منـا السـنون بقيّـة سـوى
رمـــة منـــا مـــن الجهـد رمـت
فقـال لنـا مــن ينصـح الـرأي نفسـه
وقـد ولــت الأمــوال عنـا فقلـت
عليـــك ابنـة المهـدي عـوذي ببابهـا
فـإنّ محـــل الخيـــر حيــث حلـت

فأعطتها عباسة عدّة أثواب وعطور و٣٠٠٠ درهم، فنظمت حجناء تلك الأبيات شكرًا لها:

أغنيتنــي يـــا ابنــة المهـدي أيّ غنـى
يـــا عجريـــن كثير فيهـما الـورق
مـن ضـــرب تسـع وتسـعين محككـة
مثــل المصابيـح في الظلمـاء تأتلـق
أمّـا الحســود فقـد أمسـى تغيظـه
غمـاً وكـــاد برجـع الريـق يختنـق
وذو الصّــداقة مسرور لنـا فـرح
بـادي البشـارة ضـاح وجهـه شرق

وكلمة الأعجرين المذكورة مثنى أعجر أي الكيس الممتلئ، وورِق بكسر الراء هي العملات الفضية.

٢٣٦- حذافة:

أختُ النبيﷺ في الرّضاعة، وهي حذافةُ بنت الحارث السعديّة، وشهرتُها الشّيماء، لذا سنذكرها في حرف الشين، وقد ذكرها ابن قتيبة في كتاب المعارف (جديمة بنت الحارث).

٢٣٧- حذام:

هي المشهورةُ بالبيت القائل:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإنّ القول ما قالت حذام

سيدةٌ من عشيرة عنزة العربية، كانت معروفةً بإصابة الرّأي واستقامة الكلام، زوجها لجيم على حسبِ ما أورده أبو الفضل الميداني، وكان لهذا الرجل زوجتان؛ حذام وزوجة أخرى باسم صفيّة، وكان إذا ما وقع خلاف أو شجار بين الزّوجتين كان الزّوج يقول البيت السابق، والبيتُ المذكور مشهور لدرجة أنّه أصبح من ضروبِ الأمثال. وهناك رواية تبدل فصدقوها إلى فأنصتوها، وأصبحت تُقال فأنصتوا لها، وهذا ما قاله الميداني.

٢٣٨- حرة:

هي زينبُ أمّ المؤيّد الآتية الترجمة فيما بعد، من نساء القرن السّادس الهجري، كانت من أرباب الفضل والعلم، ويُطلق عليها أيضًا زينب الشّعرية.

٢٣٩- حرة:

وهي سيدةٌ أخرى على حسب ما ورد في صحائفِ الأخبار، زوجة الأمير عبد النبي أحد أمراء الدّولة الأيوبية، سقطت هي وزوجُها أسرى في يد الملك المعظّم توران شاه الأيوبي، كانت سيدةً من أهل الخير، ولها خيرات كثيرة في الحرمين.

٢٤٠- حرقة:

ابنةُ الأمير العربي، أو على الأصحّ الوالي العراقي من قِبَل أكاسرة العجم النعمان بن المنذر، دخل الإسلام العراق في عهد أخيها المنذر بن النعمان على يد خالد بن الوليد، ولمّا انطفأت شعلةُ دولتهم إلى الأبد، انزوت في أحد الأديار تعيش حياة الرهبان.

ويحكى في كتاب المسامرات لمحيي الدّين أنّ سعد بن أبي وقاص عندما كان في القادسيّة أتته حرقةُ هي ومجموعة من النساء في زي الرّاهبات، وبعد أنْ سلّمن عليه، ولم يستطع سعدُ أنْ يميّز حرقة من بينهنّ لأنهنّ كنّ يرتدين ملابس واحدة، فسألهن: «هل حرقة معكن؟» فأجابت: نعم، أنا هنا. فقال لها: هل أنت حرقة؟ متعجّبًا من حالها، فأجابته: وما العجبِ في ذلك أيّها الأمير، إنّ الدنيا دار وقلعة وزوال فما تدوم على حال، وتنتقل بأهلها انتقال، وتعقبهم حالًا بعد حال، وإنّا كنّا ملوكَ هذه الأرض، يجبى إلينا خراجُها، ويطيعنا أهلها، فدنا مدى المدّة وزوال الدّولة، فلمّا أدبر الأمر وصاح بنا صائحُ الدّهر فصدع عصانا وشتّت ملانا، وكذا الدّهر يا سعد، إنّه ليس من قوم أتحفهم بفرحه إلّا أعقبهم بترحه».

ثمّ نظمت تلك الأبيات:

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا
إذا نحن فيهم سوقة تتنصف
فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلّب تارة بنا وتصرف

وأثناءَ خطاب حرقة لسعد بن أبي وقاص دخلَ عليهما الصّحابي الجليل عمرو بن معد يكرب، وسألها أأنت حرقة التي كنت تخرجين من قصرك فتفرش الأرضُ لك بساطًا حتّى الكنيسة؟، فقالت نعم، فسألها متعجّبًا لما آل إليها حالها، «ما الذي دهمك، وأذهب محمود شيمك، وغوّر ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمك» فقالت له يا عمرو «إنّ للدهر عثراتٍ تلحق السيد من المملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة، وتذلّ ذا النعمة، وإنّ هذا أمر كنّا ننتظره فلمّا حلّ بنا لم ننكره»، وبعد أنْ علم سعد سبب مجيئها، لبّى لها طلبها وأعادها سعيدة، ولمّا سئلت عن معاملة سعد لها قالت:

صان لي ذمتي وأكرم وجهي إنّما يكرم الكريمُ الكريمَ

كان والدُها النعمان مثل بقيّة العرب مشركًا، ولكنّه تنصّر، وتنصّرت معه أيضًا حرقة.

وسببُ تنصّر والدها النّعمان على حسب ما جاء في المسامرات لمحيي الدّين أنه كان يوجد يومان عند النّعمان بن المنذر يسميان يوم البؤس ويوم النعيم، كان

الناس يتهادون الهدايا يومَ النعيم، وإذا ما قابل أحدٌ أحدًا يهديه هدية، أمّا يومُ البؤس فكان يوم شقاء، إذا ما صادف أحدٌ أحدًا يقتله، وكان اليوم يوم بؤس وصادف النعمان أعرابيًا من قبيلة طي، ولمّا همّ بقتله على حسب عاداتهم قال له الأعرابي: يا مولاي، إنّك ملك عظيم، وأنا رجل فقير، لي أطفال صغار ليس لهم مَن يكفلهم، أمهلني حتّى أذهب إليهم فأعهد بهم إلى مَن يرعاهم وأعود إليك لتقتلني. رقّ قلب النّعمان لحال الرجل، ولكنّه طلب منه أنْ يكون له كفيلٌ يضمنه، فقام شريك بن عمرو بن شرحبيل وزير النعمان بكفالة الرجل، فقال له النعمان إنْ لم يعدِ الأعرابي ستُقتل بدلًا منه، فوافق شريك، ولمّا ذهب الرجل إلى أولاده واطمأنّ على أحوالهم، عاد إلى النعمان، فتعجّب النعمان أشدّ العجب من تصرّف الرجل ومن وفائه بالعهد، وتعجّب أكثر مِن كفالة وزيره له وهو لا يعرفه، فسأل وزيره «ما الذي حملك على هذه الكفالة الخطيرة؟ فقال الوزير حتّى لا يُقال ضاعت المروءة من الوزراء. فسأل الأعرابي: وأنتَ، ما الذي جعلك تفي بوعدك وتأتي لتُقتل؟ فأجاب: حتّى لا يُقال ضاع الوفاء بالعهد بين الناس، وتُعيّر قبيلتي بذلك. فاندهش النّعمان من هذا الأمر، وعفا عن الرجل حتّى لا يكون أقلّ منهما، وقال: عفوت عنك حتّى لا يُقال زالت الرّحمة من الملوك، وألغى النعمان عادةَ يوم البؤس المذكورة، فقال الأعرابي:

ولقد دعتني للخلا جماعة فأبيت عند تجهم الأقوال
إنّي امرؤ منّي الوفاء خليقة وفعال كلّ مهذب مبذال

فسأله النعمان عن سبب تواجد هذه الصفة الجيّدة فيه، فأجاب الرجل إنّها من ديني، فسأله النّعمان: وما دينك؟ فقال: النصرانيّة، فقال له: علّمني إيّاها، فشرحها له، فتنصّر النعمان.

تذكرة: إنّ وفاء الأعرابي لعهده ليست ثمرةَ النّصرانية، إنّما هي صفة كانت مملوكة لكلّ العرب، وتفوّقت بها العرب على سائر الأقوام الأخرى، وما قام به اليهودي سموئل بن عاديا لا يقلّ أبدًا عمّا قام به هذا الأعرابي من وفاءٍ بالعهد، وهو ليس نصرانيًا، إذًا فالقضيّة كلّها أنّ هذه

الصّفة كانت مجبولة في العرب كلّهم، ولو أنّ تلك الصّفة كانت من طباع النّصرانية، لاستوجبَ هذا قيام ملك إسبانيا بحماية عرب إقليم الأندلس، ولكنّه لم يفِ بعهده الذي أقسم عليه هو وملوك إسبانيا بأنّهم سيحفظون حقوقَ الكبير والصّغير في الإقليم، ولن يفرقوا بين ديانةِ أحد، ولكنّهم- ومع ذلك- خالفوا وعدَهم وقسَمَهم، وفعلوا ما فعلوا بالمسلمين وغيرهم في الأندلس عام ١٤٩٢م.

إنّ العرب قوم شرفاء يوفون بالعهد، حتّى وإنّ كان ما رهنوه صغيرًا فإنّهم يوفون بوعدهم، وخيرُ دليل وبرهانٍ على ذلك قصّة ذي القوس، وهو الحاجب بن زرارة سيد بني تميم الذي أصابه وقومَه القحطُ والغلاء بدعاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فذهب المذكور إلى كسرى العجم يطلب منه أنْ يسمح لهم بالإقامة مؤقتًا في أيّة ناحية يحدّدها في بلاد العجم إلى أنْ تنتهي أزمة الغلاء والقحط التي أصابت قومَه، فقال له كسرى «أنتم معشر العرب غدّارون، وطامعون، وتنهبون أموال الناس»، ورفض مطلب الحاجب، فقال له الحاجب: أنا كفيلٌ بأنْ أضمن لك عدم وقوع أيّ شيء من هذا القبيل، فطلب الشاه رهنًا من الحاجب بن زرارة على وفائه بعهده، فأعطاه الحاجب قوسَه الذي معه، فسخر الحاضرون منه على صغر ما أعطى للشّاه، ولكن الشاه كان يدرك أنّ العربي إذا ما عاهد عهدًا فلن يخالفه أبدًا، وقبل درعَ الرّجل، وحدّد له وقومه مكانًا يقيمون فيه، ولّما انقضى القحطُ والغلاء من ديار بني تميم بدعوةٍ من النّبيّ صلى الله عليه وسلم، همّ بنو تميم على العودة إلى بلادهم، وكان حاجبُ بن زرارة قد مات، فجاء ابنه، وكان يدعَى عطارد إلى كسرى وطلب منه قوسَ أبيه، لأنّهم راحلون، وأوفوا بعهدهم إلى آخر يوم، فأعطاه كسرى قوسَ والده، وزادَه من الهدايا، جزاءً له على أنّهم أوفوا بعهدهم، والبيت القائل:

ناهت علينا بقوس حاجبها تبه تميم بقوس حاجبها

يدلّ على تلك القصة.

وقصّة سموئل أيضًا على النّحو التالي: كان المذكور شاعرًا صاحبَ سليقة من

اليهود الذين يقيمون في نواحي المدينة في عهد الجاهلية، ولمّا قُتل والد الشاعر الجاهلي امرؤ القيس ترك امرؤ القيس سلاحه وأماناته كأمانة عند سموئل المذكور، وذهب إلى بلاد الروم للانتقام من أعدائه، وشاء القدر أنْ يموت في آنا موريه، وجاء عدوّه الأمير حارث بن شمر الغساني على رأس الجيش يطالب سموئل بأمانة امرئ القيس التي عنده، فرفض سموئل، فقال له حارث بن شمر إنّ ابنك أسيرٌ معي، وإن لم تعطني الأمانة التي عندك سأقتله، فرفض سموئل، فقتله الحارث بن شمر أمام عينيه، ومع ذلك رفض سموئل أنْ يعطيه الأمانة التي عنده. رغمَ أنّه يهودي وامرؤ القيس مشرك بلا دين. وبالتّالي يتّضح أنّ الوفاء بالعهد والأمانة كانتا من الصّفات المجبولة عليها العرب بصرف النّظر عن دياناتهم.

ولشدّة وفاء سموئل بالعهد أصبح يقال (أوفى من سموئل) وأصبح مضربًا للمثل في الوفاء بالعهد.

٢٤١- حسانة التميمية:

ابنةُ الشاعر أبي الحسين الأندلسي، من أديبات الأندلس، ولأنّها كانت لا تزال بكرًا لم تتزوّج عند وفاة أبيها، نظمت الأبيات التالية وقدّمتها إلى السلطان الحكم:

أتـى إليـك أبـا العـاصي موجعـة
أبـا الحسين سـقته وأكـف الديـم
قـد كنـت أرتـع في نعـماه عاكفـة
فاليـوم آوي إلى نعـماك يـا حكـم
أنـت الأمـام الـذي انقـاد الأنـام لـه
وملكتـه مقاليـد النّهـى الأمـم
لا شيء أخشـى إذا مـا كنـت لي
كنفًـا آوي إليـه ولا يعـرو لي العـدم
مازلـت بالعـزة القعسـاء مرتديًـا
حتّـى تـذل إليـك العـرب والعجـم

٢٤٢- حسانة المزنية:

صحابيّةٌ، كانت من صديقات السيدة خديجة، كان اسمها جثامة، فأطلق النّبيّ عليها حسانة.

٢٤٣- حسن:

من باب التّسمية بالمصدر. جارية أمّ ولد للإمام أحمد بن حنبل. روت عنه الفقه والحديث.

٢٤٤- حسن المغنية:

من أهالي البصرة، عازفة مشهورة، والبيتُ التّالي يشتمل على وصفها:

وسوف يرونه في بيت حسن
مقيماً للشراب والسماع

وتوجد حسنة أخرى من مشاهير الجواري، كانت من جواري الخليفة المهدي العباسي، وقد ذكرتها كتبُ التواريخ أنّها كانت السّبب في وفاة الخليفة، وذلك لأنّها كانت قد ضاقتْ بجارية أخرى من جواري الخليفة فوضعت لها السمَّ في اللبن، وقيل الكمثري، وأرسلتها مع جارية إليها، وبينما كانت الجارية تحملُ هذا الطّعام المسموم تسير به إلى الجارية المقصودة، إذا بها تصادف الخليفة فتناول ممّا معها من طعام فمات، فصرخت حسنةُ وقالت: واهِ أميرَ المؤمنين، أنا السّبب في موتك.

٢٤٥- حسينة:

بنتُ المعرور، ابنةُ معرور بن سويد، روتِ الحديث عن والدها. وتوجد حسينة أخرى كانت جارية لعبد الملك بن مروان.

٢٤٦- حفصة:

حفصةُ زوجةُ النّبيّ ﷺ، ابنةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانت متزوّجةً من الصّحابي خنيس بن حذافة السهمي، ولمّا مات زوجها، كره عمر أنْ تبقى ابنته أرملة فعرضَها على أبي بكر ولكنّه رفض، فعرضها على عثمان فرفض لأنّ زوجته رقيّة بنت رسول الله كانت متوفّية حديثة، فذهب عمر إلى رسول الله يشتكي له عثمان، فقال له النّبيﷺ سيتزوّج حفصة مَن هو أفضل مِن عثمان، وسيتزوّج عثمان مَن هي أفضل مِن حفصة. وتزوّجها النّبيّﷺ، وزوّج عثمان بابنته أمّ كلثوم.

ولمّا علم أبو بكر بذلك قابل عمر، وقال له: يا عمر لا تسأم منّي، فقد صارحني رسول الله بأنّه سيتزوّج ابنتك، ولكنّي لم أرغب أنْ أفشي سرّ رسول الله، وإنْ لم يرغب فيها النّبيﷺ سأتزوّجها أنا». كان زواج رسولِ اللهﷺ منها في السنة الثّالثة من الهجرة على قول أكثر العلماء، وقد فارقَها لفترة مؤقّتة لقصّة رويت في سورة التّحريم. كانت صوّامة قوّامة، توفّيت

عام ٤١ وعلى قول ٤٦ هـ الموافق ٦٦٥م، روتْ عن رسول الله ٦٠ حديثًا.

٢٤٧- حفصة بنت الحاج الراقونية:

هي حفصةُ التي أطلقوا عليها شاعرة الأندلس. من أديبات الأندلس، كانت سيّدةَ ذات جَمالٍ ومالٍ من أعيان غرناطة.

لقّبت بشاعرة الأندلس لشهرة أشعارها جدًّا في نواحي الأندلس، وكأنّ الشّعر في تلك النّواحي كان مخصوصًا لها.

والأبياتُ التّالية من أشعارها التي نظمتها ارتجالًا أمام عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين في الأندلس:

يا سيّد النّاس يا مَن يؤمّل النّاس رفده
تمُطّ بمناك فيه أمنّ على بطرس
يكون للدهر عده الحمد لله وحده

وجُملة الحمد لله وحده أي طلب ممهور بخاتم أمير المؤمنين؛ لأنّه جرت العادة عند دولة الموحّدين بأنْ يخرج الفرمان من عند الأمير مخطوطًا عليه بخطّ يد الأمير بخطّ غليظ (الحمد لله وحده) فكانت بمثابة الخاتم للأمير. والرّباعيّة التّالية- أيضًا- نظمتها وأرسلتها إلى سيدة من كبار نساء غرناطة في زمانها:

يا ربّة الحسن بل يا ربّة الكرم
غضّي جفونك عمّا خطه قلمي
تصفّحيه بلحظ الودّ منعمة
لا تحفلي برديء الخطّ والكلم

وينسب البعضُ القطعة التّالية إليها:

أغار عليك من عيني رقيبتي
ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنّي خبأتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

كانت بينها وبين الوزير أبي جعفر من أدباء عصرها علاقةُ حبٍّ، وكانت طبيعة حفصة قويّة ظاهرة في ردودها، حتّى أنّ أبا جعفر المذكور قال فيها (لم أسمعْ ولم أرَ بشاعر مثل حفصة). والأبيات الأربعة التّالية من أبياتها التي نظمتها وأرسلتها إلى بعض معارفها:

أزورك أمْ أزور فإنّ قلبي
إلى ما تشتهي أبدًا يميل

فثغري مورد عذبٌ زلال
وفرع ذؤابتي ظلّ ظليل

وقد أمّلت أنْ تظمأ وتضحى
إذا وافى إليك بي المقيل

فعجل بالجواب فما جميلٌ
إباؤك عن بثينة يا جميل

٢٤٨- حفصة بنت حمدون:

من أديبات الأندلس، ابنةُ رجل يدعى حمدون من أهالي البلدة العظيمة المسمّاة في وقتها (وادي الحجارة). كانت من مشاهير القرن الخامس الهجري، كانت معروفة بالعلم والشعر، والقطعة التالية من نظمها في ذمّ أحد عبيدها:

يا ربّ إنّي من عبيدي على جمر
الغضا ما فيهم من نجيب

إمّا جهول إبله متعب
أو فطن من كيده لا يجيب

ولها أيضًا:

لي حبيب لا ينثني لعتاب
وإذا ما تركته زاد تيها

قال لي هل رأيت لي من شبيه قلت
أيضًا وهل ترى لي من شبيها

٢٤٩- حفصة بنت سيرين:

أخت شيخ المفسرين محمد بن سيرين. من النّساء الصّالحات، ومن المتصوفات المذكورات في كتاب النّفحات، وحفصة بنت خاطب وهي من الصّحابيات، وحفصة سلطان حليلة السلطان سليم الأوّل، ووالدة السّلطان سليمان القانوني. دفنت في قبر السّلطان سليم الخاص، ووالدات السلاطين حتّى نوربانو سلطان كنّ لا يتدخّلن في شئون السلطنة.

٢٥٠- حكيمات العرب:

ومنّ النّساء العربيات المتصفات بالحكمة ورجاحة العقل، ومنّ: صحر بنت لقمان، وهند بنت الخس، وجمعة بنت حابس، وعمرة بنت عامر بن الظرب، كنّ معدودات من عقلاء نساء العرب في الجاهلية.

٢٥١- الحكيمة الدمشقية:

سيدةٌ متصوّفة من كبار سيدات الشام، وهي أستاذةُ رابعة الشاميّة الآتية الترجمة، ومذكورٌ في كتاب النفحات نقلاً عن رابعة الشاميّة المذكورة أنّها قالت: ذهبتُ ذاتَ يوم إلى حكيمة الدمشقيّة وقالت لي يا رابعة إنّ زوجك يريد أنْ يتزوج عليك فقلت لها نعم، فقالت كيف يقبل رجل عاقل أنْ يشغل قلبه وعقله بامرأتين من دون الله، ثمّ أوضحت بعض الخواطر عن تفسير آية (إلا من أتى الله بقلب سليم).

وتوجد صحابيّة أخرى باسم حكيمة، ولكنْ بضمّ الحاء وفتح الكاف.

٢٥٢- حلفاء:

وتعني المرأة الصّارخة المتأوّهة، وهو مذكور في المثل القائل (ليلة الحلفاء) الذي يطلق كناية عن ليلة الفسق والفجور، وأصل هذا المثل أنّ الشّاعر العربي الفرزدق كان ينزل ضيفًا هو وبعضُ الفسّاق في منزل إحدى الراهبات، ويقضون هناك وطرهم، وفي إحدى المرّات، ارتدى الفرزدق لباسَ فتاة راهبة، ودخل على الرّاهبة المذكورة، وأمسك بها ليفجر بها فظلّت تصرخ وتقول له (هذا حرام عند المسلمين) ولكنّه لم يستمع إليها، وبعد أنْ قضى منها وطرًا، شاع هذا الأمر، فأطلق العرب على الليالي التي تشبه تلك الليلة (ليلة الحلفاء) أو (ليلة الفرزدق).

كان فسقُ الفرزدق معلومًا، حتّى أنه صرح بذلك بنفسه عندما خرج في جنازة كان بها الحسن البصري، فقال (إنّ مَن سيرونني بجانبك سيقولون اجتمع أصلح الناس مع أفسق الناس). ورغم فسق الفرزدق، إلّا أنّه أسلم وحسن إسلامه، ولم ينكر عنه احترامه وتبجيله لآل البيت، فقد روي أنّ هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي كان يحجّ في سنة من السنين، وأراد أنْ يستلم الحجر الأسود بعد الطّواف، ولكنه لم يتمكّن من شدّة الزحام، فاكتفى بمشاهدته عن بعد، وإذا به يرى رجلًا يتزحزح النّاس ليفسحوا له الطّريق ليصل إلى الحجر الأسود، فاستلمه وقبّله وكان زين العابدين، فسأل هشام مَن حوله: مَن هذا؟ فقال الفرزدق وكان واقفًا برهطٍ بجانبه مادحًا زينَ العابدين:

هــذا الــذي تعــرف البطحــاء وطأتــه
والبيــت يعرفــه والحــلّ والحــرم

ونظم قصيدةً من ٢٦ بيتًا مدحَ فيها زين العابدين، ومنها أيضًا:

وليــس قولــك مَــن هــذا بضائــره
العــرب تعــرف مَــن أنكــرت والعجــم

وبها بيتٌ آخر قال فيه:

مــا قـــال لا قــطّ إلّا في تشــهده
لــولا التّشــهد كانــت لاؤه نعــم

وهو مُقتبس من البيت الذي نظمه حسان في حضور النّبيّ ﷺ:

مــا قـــال لا قــط إلّا في تشــهده
لــولا التّشــهد لم يســمع لـــه لاء

ولّما سمع هشام تلك الأبيات من الفرزدق اغتاظَ منه، وأمر بحبسه، وقد أرسل زين العابدين بعطيّة إليه في محْبسه، وطلب منه أنْ يقبَلَها، فرفض الفرزدق العطيّة، وقال: «إنّ ما قلتُه من أشعار في حقّ أهل البيت لا أرجو منه إلّا كفارة ذنوبي».

٢٥٣- حليمة بنت أبي ذؤيب:

هي حليمةُ السّعديّة، مرضعةُ الرسول صلّى الله عليه وسلم، من نساء قبيلة بني سعد بن بكر، وقد أصبحت حياةُ حليمة السعديّة كلّها سعادة منذ أنْ أخذت سيدنا محمدًا للرضاعة، بل ويُمكن القول أنّ حياة قبيلتها كلّها أصبحت هناءً، ويدلّ على ذلك قول الشاعر:

لقــد بلغـــت بالهاشــمي حليـــمة
مقامًـــا عـــلا في ذروة العـــزّ والمجــد
وزادت مواشـــيها وأخصـــب ربعهـــا
وقــد عــمّ هــذا الســعد كلّ بنــي ســعد

وهذا مشروحٌ في كتب السير، كانت تحبّه من كلّ قلبها، وتحميه حتّى من النّسمة، وكانت تهدهده قائلة:

يــا ربّ إذا أعطيتــه فأبقــه وأعلــه إلى العــلا
وارْقـــه وادحــض أباطيــل العــدا بحقّــه

٢٥٤- حليمة بنت الحارث:

حليمةُ ابنة الحارث بن أبي شمر الغسّاني، المعروف بالأعرج، وهي منشأة المثل القائل (أعزّ من حليمة) و(ما يوم حليمة بسر).

فقد كانت هناك خصومةٌ بين العرب وبين أمير العراق (المنذر ابن ماء السّماء)، وحدثت بينهم محاربةٌ عظيمة، قُتل فيها المنذر، وقد أطلق على هذا اليوم يوم حليمة، فقد نُسب هذا اليوم إلى حليمة لأنّها كانت موجودة مع الجنود في المعركة تحثّهم على القتال، واليوم المذكور من الأيّام المشهورة بين العرب، ويبالغون في وصفِه كثيرًا، وقد نظم الشّاعر النابغة تلك الأبياتِ في وصف هذه المعركة:

تخيّرن من أزمان عهد حليمة
إلى اليوم قد جربن كلّ التجارب
تقد السلوقي المضاعف نسجه
ويوقدن بالصّفاح نار الحباحب

ورغم أنّ أبا الفضل الميداني أوضح في كتابه مجمع الأمثال أنّ المنذر ابن ماء السماء قُتل في يوم حليمة، إلّا أنّ المستفاد من كتب التّواريخ أنّ تلك المعركة كانت بين الحارث الأعرج والأسود بن المنذر ابن ماء السماء، وأنّ قتلَ المنذر كان يوم عين اباغ قبل تلك الواقعة المسمّاة يوم حليمة.

٢٥٥- حليمة المزنية:

مذكورةٌ في كتب السِّيَر أنّها سيدة كانت بمثابة الدّليل في ديار جموم لسريّة زيد بن حارثة.

٢٥٦- حمّالة الحطب:

أمّ جميل، أختُ أبي سفيان بن حرب، وامرأةُ أبي لهب، كانت تحمل الحطب، وتضعه ليلًا في طريق النّبيّ ﷺ، لذا سمّيت في القرآن بحمّالة الحطب، ويقول صاحب الكشّاف إنّ إطلاق حمّالة الحطب على أبي لهب وزوجته أمّ جميل في القرآن رغم أنهما كانا من علية القوم في قريش إنّما يدلّ على إذلالهما وتحقيرهما، ورغم سعْيها لإيقاع الضّرر بالنّبي إلّا أنّه لم تضرّه قط، وقد باعت مفتاح الكعبة وهي ثملةٌ بشربة خمر، ثمّ ندمتْ بعد ذلك على فعلتها تلك كأبي غبشان، وأصبح يقال (أخسر من حمّالة الحطب) التي أصبحت مِن ضروب الأمثال عند العرب.

وقد عبّر الشّاعر عن ندامتها وخسرانها بقوله:

جمعت شتى وقد فرقتها
لأنت أخسر من حمّالة الحطب

ومن الأبيات التي تهجوها أيضًا:

مـا ذات حبـل يراهـا النّـاس كلّهـم
وسـط الجحيـم ولا تخفـى عـلى أحـد
تـرى حبـال جميـع النـاس مـن شـعر
وحبلهـا وسـط أهـل النـار مـن مسـد

وفي لفظ حمّالة الحطب معنى آخر كنائي، وهو كناية عن كونها كانت تمشي بالغمز واللمز بين النّاس فتوقعُ بينهم، وكأنّها كانت تشعل النّيران بينهم بحطب لسانها. ويدلّ على ذلك قول الشّاعر الذي نظم الأبيات التالية في مدح سيدة لم تكنْ تمشي بالنميمة:

مـن البيـض لم تصطـد عـلى ظهـر لامـة
ولم تمـش بـين الحـي بالحطـب الرطـب

٢٥٧- حمدة:

هي حمدةُ بنت واثق، ويقال لها أيضًا حمدةُ الهيتينية، سيدةٌ بغداديّة، من نساء أواخر القرن الخامس الهجري، كانت تشتغل بالوعظ، وتقيمُ في باب المراتي في بغداد، وكانت تعقد مجلسَ وعظ خاصّ بها، ورد في كتاب الوافي بالوفيات أنّها كانت تستمع لعلم الحديث من أبي بكر أحمد بن علي بن بدران الحلواني، وأخذ عنها أيضًا ابن سمعاني الفقه والحديث. رحمها الله تعالى.

٢٥٨- حمدونة:

هي حمدونةُ المشهورة، من أديبات الأندلس، ابنةُ شخصٍ يدْعَى زياد من أهالي مدينة وادي آش بغرناطة، كانت فريدة عصرها في الرّواية والشّعر والفصاحة. كان يقال لها أيضًا حمدة، ويستدلّ من الأبيات التّالية على قدرها في نظم الشّعر:

ولمّـا أبـى الواشـون إلاّ فراقنـا
ومـا لهـم عنـدي وعنـدك مـن ثـار
وشـنّوا عـلى أسـماعنا كلّ غـارة
وقـلّ حُمـاتي عنـد ذاك وأنصـاري
غزوتهـم مـن مقلتيـك وأدمعـي
ومـن نفسـي بالسـيف والسـيل والنـار

كما نظمت بعضَ الأبيات الأخرى التي وصفتْ فيها حالها عندما احتمت بشجر كبير في وادٍ فسيح والمطرُ ينهمر والجوُّ حار، وجمال الوادي بعد نزل المطر عليه وشربهم ماءً رغدًا هناك:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه
مضعف الغيث العميم
حللنا دوحة فحنا علينا حنوّ
المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً
ألذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنى وجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

ورغم أنّ تلك الأبيات تُنسب إلى أبي النصر المنازي، إلّا أنّ صاحب كتاب نفح الطّيب يذكر أنّها لحمدونة، وذلك لأنّ تاريخ نظمها كان قبل ولادة المنازي.

تحفة: ذهب المنازي ذاتَ يوم إلى المعرّي، وقال له: سأنشد عليك بعض أشعاري، فأنشدَ الأبياتِ المذكورة، ولأنّ المعرّي كان يحفظُها، كان يكملُ المصراع الثّاني من كلّ بيت، فقال له المنازي في البيت الذي ينتهي بكلمةِ على الفطيم، أنا لم أقلها على الفطيم بل على اليتيم، وذلك ليثبت أنّها مِن إنشاده، فقال له المعرّي: لا.. لا، إنّ على الفطيم أبلغ، وهو ما يطلبُه رءوس النظم، فخجل المنازي.

وكان لحمدونة أختٌ تسمّى زينب كانت هي الأخرى صاحبةَ علمٍ وفضلٍ، اشتهرت في وادي آشك بغرناطةَ بأنّها من النّسوة ذات الحسب والعلم، وكانت تعلم المشتهرات بالعلم والأدب معاني العربية، لذا أطلق عليها- وعلى أختها- (عربيّات)، لقد ذاع صيتُها- وأختِها- كثيرًا في بلاد الأندلس، وهذا ما قيل في نفح الطّيب.

وحمدونة- أيضًا- اسمُ ابنة هارون الرشيد، واسمُ جاريته أمّ ولده. وحمدونة بنت زرياب، وكانت ابنة المغني المشهور أبي الحسن زرياب، وزوجة هشام بن عبد العزيز من وزراء الأندلس. وحمدونة بنت عيسى بن موسى، وكانت من المنتسبات إلى الخليفة المتوكل العباسي.

٢٥٩- حمراء بنت ضمرة:

هي حمراءُ بنت ضمرة بن جابر من رؤساء بني تميم. وهي قائلةُ المثل (صارت الفتيان حمًا)، وأصل المثل أنّ قومها بني تميم قتلوا

سعدًا أخا عمرو بن هند أمير الحيرة، لذا نذرَ عمرو أنْ يقتل مائة شخص من بني تميم، وجمعَ جيشه، ولمّا همّ بالذّهاب إليهم وصل الخبر إلى بني تميم ففرّوا هاربين، ولمّا وصل عمرو بن هند لم يجدْ هناك إلّا عجوزًا هي حمراء المذكورة، ولمّا نظر إليها عمرو بن هند ووجد في وجهها بياضًا ظنّ أنّها أعجميّة الأصل، فسألها: هل أنت أعجمية؟ فقالت: (لا والذي أسأله أنْ يخفض جناحك ويهدّ عمادك ويضع وسادك ويسلبك بلادك؛ ما أنا بأعجميّة)، فقال لها عمرو بن هند: مَن أنت؟ فقالت: حمراء بنت كابر عن كابر، رئيس قوم معد ضمرة بن جابر، وأختي ضمرة بن ضمرة. فسألها عمرو: ومَن زوجك؟ فقالت: زوجي هوزة بن جرول، فقال لها: وأين هو؟ فقالت: يا له من سؤال أحق، لو كنت أعرفُ مكانه لكان معي الآن يحول بيني وبينك، أي يخلّصني منك. فقال لها عمرو: وكيف هوزة؟ فقالت: سؤال أحق ممّا قبله، أهناك حاجة للسّؤال عن هوزة، والله العظيم إنّ عرقه طاهر ومكرّم ومدبر، لا يرقد في الليلة التي فيها خوف، ولا تشبع بطنه وعنده ضيف، إذا وجد ما يأكله أكلَه، وإنْ لم يجد لم يسأل، فقال لها عمرو: لولا خوفي من أبيك وأخيك وزوجك لقتلتك، فقالت له: وهل تقتل النّساء؟، فأمر عمرو بإحراقها، فقالت: (ألا فتًى مكانَ عجوز) ولمّا لم تجد أحدًا ينجدها، قالت: (هيهات صارت الفتيان حمًا). ومن الغريب أنّه عندما أضرمت النيران لتلقى فيها، رآها شخصٌ يدْعَى عمار، فظنّ أنّ هناك شخصًا يطهو الطعام، فذهب إلى هناك، ولمّا رآه عمرو بن هند سأله: من أنت؟ فقال: إنا عمّار، من عشيرة بني براجم، جائع منذ عدّة أيام، ولمّا رأيت النّيران من بعيد ظننتُ أنّ أحدًا يطهو فجئت ليضيفني، فقال عمرو إشعارًا بسوء حظّ عمار: (إنّ الشّقي وافد البراجم) وقد صارت تلك العبارة مؤخّرًا من ضروب الأمثال أيضًا. وقد هجا جرير بني تميم على ذلك فقال:

وأخزاكم عمرو كما قد أخزيتم
وأدرك عمار شقي البراجم

والحُممُ المذكورة في قول حمراء بضمّ الحاء وفتح الميم بمعنى الفحم، ومفردها

حمة، وقد وردت في رسالة معاوية بن أبي سفيان إلى قيصر الرّوم، فعندما انشغل معاوية في موقعة صفّين مع سيدنا علي بلغه خبر بأنّ قيصر الروم يستعدّ لفتح دمشق، فأرسل له معاوية رسالة قال فيها (لأنْ تمّمت على ما بلغني من عزمك لأصالحنّ صاحبي، ولأكوننّ مقدمته إليك. ولأجعلنّ القسطنطينيّة البخراء حمة سوداء، ولأنتزعنّك من الملك انتزاع الأصطفلينه، ولأردنّك أريسًا من الأرارسة ترعى الدوابل) وبخراء أي كثيرة البخار، والمقصود بها وصف لإستانبول لأنها ساحليّة وبها ضباب كثير، والرّسالة المذكورة محرّرة في القاموس في مادة (أصل) والأصطفلينه الجزر.

٢٦٠- حمنة المعذبة:

وهي حمنةُ المعذبة في سبيل الله، من الصّحابيات الأول، كانت جارية عند أحد الكفار، ولّما أسلمت وكان إسلامُها في بداية صدر الإسلام أخذ سيدُها يعذّبها عذابًا شديدًا، ولّما علم أبو بكر بحالها اشتراها وأعتقها.

حمنةُ بنت جحش، وحمنةُ بنت أبي سفيان صحابيّتان، والأولى منهما كانت من الزّمرة التي اخترعت حادثة الإفك، وهُم: حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش. أمّا حمنة بنت سفيان بن أميّة بن عبد شمس فهي والدةُ سعد بن أبي وقاص.

٢٦١- حميدة البربرية:

هي حميدةُ المذكورة في فصل (أمّ البنين) والدةُ الإمام موسى الكاظم، كانت في الأصل جارية من البربر أعتقتها سيّدتُها أمّ البنين بإشارة تلقّتها من الرّسول في الرؤيا للإمام موسى الكاظم.

٢٦٢- حميدة بنت النعمان:

ابنةُ الصّحابي الجليل النعمان بن بشير، كانت صاحبةَ طبيعة شعريّة، كانت تهجو أزواجها، فقد كانت متزوّجة من الحارث بن خالد المخزومي، وعلى قول مهاجر بن عبد الله بن خالد، قالت فيه:

كهول دمشق وشبانها أحبّ إليّ من الجالية
صنانهم كصنان التيوس أعيا على المسك والغالية
وقمل يدبّ دبيب الجراد أعيا على الفال والفالية

وقد طلّقها زوجها بسبب ذلك، وتزوّجت بعده روح زنباع الجذامي (نديم عبد الملك الأموي) فقالت فيه أيضًا:

بكى الخزّ من روح وجلده وعجت
عجيجًا من جذام المطارف
وقال العبا بل نحن كنّا ثيابهم
وأكسية كرديّة وقطائف

فطلّقها زوجها روح لذلك أيضًا، ودعى عليها قائلًا «سلّط الله عليك زوجًا يشرب الخمر ويضمّك إلى صدره مخمورًا». ثمّ تزوّجت بعده فيض بن أبي عقيل، حقيقة كان المذكورُ يشرب الخمر، وكان كلّما احتضنها وهو مخمور تقول: لقد تحقّقت دعوة روح فيّ، وهجتْ زوجها بهذا البيت:

سمّيت فيضًا وما شيء تفيض به إلّا بسلحك بين الباب والدار

ويقولون إنّ البيتين التاليين:

وهل أنا إلّا مهرة عربيّة
سليلة أفراس تحلّلها بغل
فإنْ نتجت مهرًا كريمًا فبالحرى
وإن كان أقرافًا فمن قِبَل الفحل

نظمتها حميدة في حقّ زوجها فيض، ولكنّ الشّائع أنّ تلك القطعة إنّما هي لمالك بن أسماء، قالتها هند أخت حميدة عندما تزوّجت الحجّاج، وهذا مسطورٌ في المجلّد الرّابع عشر من الأغاني. ولكنْ نظرًا لأنّ الأبيات التي نظمتها حميدة في زوجها الأوّل موجودة في صدر باب الملحي بديوان الحماسة وهي قطعةٌ من ستّة أبيات، ونظرًا لأنّ بعض نسخ ديوان الحماسة أوردت سهوًا بالهامش أنّ تلك الأبيات لحميدة ابنة النعمان بن المنذر، فقد أوردتها هنا إتمامًا للفائدة:

فقدت الشيوخ وأشياعهم وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشّيخ مغمومة وتمسي لصحبته قاليه
فلا بارك الله في عرده ولا في غضون إسته البالية
لعمرى دمشق وفتيانها أحبّ إليّ من الجالية
نكحت المديني إذ جاءني فيا لك من نكحة غالية
له ظفرٌ كصنان التّيوس أعيا على المسك والغالية

فقدت الشّيوخ جملة دعائية، أشياع معناها أتباع، وذلك وما بعدها صفات ذمّ في الشيوخ أي الكهول، الهاء في أقواليه

هاء سكوت، قاليه مُبغضة، عرد آلة الرجل، جالية اسم بلد على حسب ما قاله المرزوقي، فيا لك نداء بمعنى التعجّب، ظفر رائحة كريهة.

والبيتُ الأخير المذكور في الأغاني غير موجودٍ في نسخ ديوان الحماسة، أمّا أبيات (وهل إنا إلّا مُهْرة عربية) سنتناولها بالشّرح في ترجمة هند في حرف الهاء بمشيئة الله تعالى. فقد ذُكر في المستطرف أنّ تلك الأبيات من نظمها.

٢٦٣- حميراء:

لقبُ أمّ المؤمنين عائشة، فقد لقّبها النبيﷺ بهذا اللقب؛ لأنّها كانت ذات بشرة بيضاء، فقد قال (خذوا شطرَ دينكم من الحُميراء)، وسنفصّل ذلك فيما بعد.

وحميراءُ لفظ تصغير لحمراء، ورغم أنّ معناه يفيد الحُمرة إلّا أنّه هنا يدلّ على البياض، وذلك لأنّ الحمرة تأتي بمعنى البيض لكونها من الأضداد، أو على رأي أنّ العربان كانوا يستعملون كلمة أبيض للرّجل النقي الطّاهر الخالي من العيوب، ولأنّهم كانوا يعبّرون عن البياض بالحمرة فقد أطلق على السيدة عائشة حميراء، وورد عن العرب والعجم الأسود والأحمر.

ونحنُ نطلق على الزّنوج (الأذن الحمراء) من هذا القبيل.

٢٦٤- حنة:

والدةُ السيدة مريم العذراء والدة عيسى، من أشراف نساء بني إسرائيل، عُرفت في القرآن باسم (امرأة عمران) كانت أختًا لإيساع سابقة الترجمة، وكانت واحدةٌ منهنّ زوجة عمران، والأخرى زوجة زكريا.

٢٦٥- حنيفة بنت القمني:

ابنةُ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر بن عرفات القمني، سيدة محدّثة، من مشايخ الإمام السّيوطي، أعطاها المحدّث كمال بن خير وغيره الإجازة.

٢٦٦- حواء:

هي حواءُ أمّ البشر، والدةُ بني آدم، خلق اللهُ تعالى زوجها آدم أبا البشر من تراب، ثمّ خلق حواءَ من ضلعه، وجعلها زوجةً له، للتناسل والمحبّة فيما بينهما، ورغبة كلّ

شخص في الزّواج إنّما هي من ميل آدمَ لحوّاء، وإن لم يمِلْ آدمُ إليها لما مال أحدٌ من البشر إلى امرأة قط، وانقطع بذلك النّسل، ويوجد في القاموس المحيط عدّة نسوة باسم حواء وهنّ صحابيات.

وقد كان نساء المدينة يطلقنَ اسم حواء على حبى سابقة الترجمة.

٢٦٧- حوأب:

بنتُ كلب بن وبرة، سيدة معروفة من نساءِ العرب، وسمّيت ناحية حوأب المجاورة للبصرة على اسمها، وقد نزلت السيدة عائشة في حوأب في واقعة الجَمل، ونظم الشاعر:

وما هي إلّا شربة بالحوأب
فصعّدي من بعدها أو صوبي

وهو مذكور في تاج العروس

٢٦٨- حولاء:

هي حولاءُ المذكورة في المثل (أشأم من رغيف الحولاء)، سيّدةٌ كانت تشتغل في صناعة الخبز في بني سعد، كانت تسير ذاتَ يوم والخبزُ على رأسها، فمدّ شخص يده وأخذ رغيفًا بيده، فقالت له حولاء «إنّ أخذك هذا الرغيف وليس لك حقّ فيه ليس إلّا لتحقيرك لفلان- وكانت تقصدُ الشخص الذي تعيش تحت حمايته- وعندما سمع الأهالي تلك العبارة تقاتلوا مع بعضهم البعض، وقُتل في سبيل رغيفِ من الخبز ما يقربُ من ألف رجل، لذا أصبح رغيفُ خبز حولاء يضرب به المثل في الشّؤم، فيقال (أشام من رغيف حولاء).

وتوجد صحابيّتان باسم حولاء، واحدة منها كانت عطّارة، والأخرى كانت كثيرة العبادة.

٢٦٩- حومل:

سيدةٌ من نساء العرب القُدامى، وهي المذكورةُ في المثل القائل (أجوعُ من كلبة حومل) الدّالّ على شدّة جوع إنسان أو حيوان. كانت لحومل كلبةٌ تحرسها بالليل، ولأنّ حومل كانت تطردُ الكلبة المسكينة بالنهار وتتركها من غير طعام، اشتدّ الجوع على الكلبة لدرجة أنها أكلتْ ذيلها، فقيل (أجوع من كلبة حومل) دلالةً على شدّة الجوع. وقد شبّهه الشاعر كميت حماية

الوزير دستان لرعيته بكلبة حومل، وذلك عند هجوه لملوك بني أمية:

كما رضيت جوعًا وسوء رعاية
لكلبتها في سالف الدهر حومل
نباحًا إذا ما الليل أظلم دونها
وغنماً وتجويعًا ضلال مضلل

ويذكر شهاب في كتاب شفاء الغليل أنّ البعض يحملون المثلَ القائل (نبح الكلب القمر) على كلبة حومل، وقال البعض إنّ هذا المثل قُصدَ به تيس أشعب الطّماع الذي كان يمأمئ إذا ما رأى النّجوم السماوية فيظنّ أنها عشب أخضر، إلّا أنّ هذا القول لا معنى له، ويحتمل أنْ يكون أصلُ هذا المثل أنّ بعض الكلاب إذا ما رأتْ ضوء القمر في الليالي القمريّة الشتويّة يظنّون أنّها الشمس فينبطحون على الأرض ليتشمّسوا ويبدءوا في النّباح، ويقال هذا المثل للذين يشغلون مرتبة متدنيّة ويهدّدون مَن هم أعلى منهم في المرتبة. فقد قال أبو العلاء:

تعاطوا مكاني وقد فتهم
فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحوني فهاجتهم
كما نبح الكلب ضوء القمر

٢٧٠- حيات:

زوجةٌ من زوجات الشاه إسماعيل الصّفوي، كانت شاعرة، وكانت ضرّتها جهان شاعرةً أيضًا، كانت تخاطب زوجها قائلة:

«أنتَ شاه جهان ويجب ألّا تترك جهان فيجب على السّلطان أنْ يكون حاكمًا على جهان، وذلك لأنّ الدّنيا بالفارسيّة اسمها جهان، وزوجة إسماعيل اسمها جهان».

فردّت عليها حيات قائلة:

ستستفيد من حياتك إذا ما تركت غمّ الدنيا (جهان)

فكيف يستفيد الشخص الذي يغتم بالدّنيا من الدنيا (جهان).

حرف الخاء

٢٧١- خاتون:

تعني المرأة الشّريفة، وهو اسم سيّدتين معروفتيْن من الأسرة الأيوبيّة، واحدة منهما والدة السّلطان الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر بن أيوب، والأخرى هي ابنة الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل المذكور، توفّيت الأولى عام ٥٩٣هـ، والثانية ٦٩٤هـ، كانتا تمتلكان في حياتهنّ أملاكًا عظيمة، كانت خاتون ابنة الملك الأشرف زوجةً للملك المنصور محمود بن الملك الصّالح من السّلاطين الأيوبية. ومدرسة خاتونيّة بدمشق من آثارها، سبحانَ مَن لا انقضاء لملكه.

أمّا مسجد الخاتونيّة الموجود في حي قنديقلي باستانبول فينسب إلى سرابلي بريزاد، وكانت زوجة عرب أحمد باشا قائد البحرية، من حديقة الجوامع.

٢٧٢- خبيئة بنت رباح:

هي خبيئةُ بنت رباح بن الأشلّ الغنوية، وعلى قول رباح بن يربوع بن

ثعلبة. كانت من نجائب نساء العرب، ذُكر في مجمع الأمثال أنها رأتْ في رؤياها هاتفًا يقول لها (أعشرة هدرة أحبّ إليك أمّ ثلاثة كعشرة)، ولمّا رأت تلك الرّؤية للمرّة الثّانية قصّتْها على زوجها (جعفر بن كلاب) فقال لها: إذا أتاك هذا الهاتف مرّة أخرى فقولي بل ثلاثة كعشرة، وفي المرّة الثالثة قالت ثلاثة كعشرة، فأنجبت من جعفر ثلاثة من الأولاد النّجباء هم: خالد الأصبغ ومالك الطيان وربيعة الأحوص، وقد كان الثلاثة من النجباء بين العرب، واشتهرت والدتُهم بهم، لذا ضُرب بها المثل (أنجب من خبيثة)، وقد لُقّب خالد بالأصبغ لحمرةٍ كانت في رأسه فكانت تبدو وكأنّها مصبوغة، أمّا مالك فلقّب بالطيان لانخفاض في بطنه، أمّا ربيعة فكان ذا عينين صغيرتيْن فلقّب بالأحوص. وقد ورد اسمها في كتاب الأغاني (حيية) كخطأ مطبعي.

٢٧٣- خديجة الكبرى:

هي السّيدة خديجة أمّ المؤمنين وزوجةُ النّبيّ ﷺ، ابنة خويلد بن أسد ابن عبد العزّى بن قصي، من أشراف قريش، والدتُها فاطمة بنت زائد الأصم، من أبناء عامر بن لؤي، كانت السيدة خديجة تُعرف بين نساء قريش في الجاهليّة بلقب الطاهرة، أمّا الكبرى، فهو لقبٌ مستحدَث أطلق عليها لأنّها كانت أكبر زوجاتِ النّبيّ ﷺ، تزوّجها النّبيّ قبل البعثة، وأنجب منها القاسم والطاهر والطّيب. ومتّفق على أفضليتها على كافة زوجات النبي، فقضلًا عن أنّها كانت أوّلَ زوجة للنّبي كانت أيضًا أوّلَ مَنْ أسلم، تزوّجت الرسول ٢٤ سنة وعدّة أشهر، ثمّ توفّيت إلى رحمة الله تعالى، قال النّبيﷺ عنها (خديجة خيرُ نساء عالمها)، ويروى عن عائشة أنها قالت (كان النّبيﷺ دائم المدح والثناء على خديجة، وفي يوم مدحها أمامي فغِرْت فقلت له: ما هي إلّا امرأة عجوز، واللهُ تعالى أعطاك خيرًا منها، فغضب الرسول وقال لي: لا والله، ما أعطاني الله خيرًا منها، لقد كفرَ النّاس مِن حولي بي، وآمنت هي، وكذّبني النّاس وصدّقتني، وحرمني

الناس وأعطتني، وأنجبتْ لي أبنائي، فلنْ أذكرها إلّا بالخير)، توفّيت- رضي الله عنها- قبل الهجرة بثلاث سنوات، عنْ عُمرٍ يناهز ٦٥ عامًا، رضي الله عنها ونفعنا بشفاعتها.

ومرويّ في كتاب المسامرات لمحيي الدّين أنّها لم ترو عن الرّسول إلّا حديثًا واحدًا، ويلزم أنْ يكون هذا الحديث هو الحديث الموجود في البخاري في باب (بدء الوحي)، وكثرة رواية الحديث تتوقّف على مرور الوقت.

٢٧٤- خديجة الست:

يعرفُها العرب باسم الستّ خديجة، وهي ابنةُ الخليفة المستعصم بالله العباسي، كان والدها آخرَ خلفاء بني العباس في بغداد، فقد قُتل على يد هولاكو عام ٦٥٦هـ، وتوفّيت ابنته المذكورة بعدَه بعشرين سنة، ولأنّها كانت معتبرة بين أهلها فقد حضرَ جنازتها كبارُ وأعيان الدولة، وقد حزنَ الجميع على وفاتها لأنّها ذكّرتهم بمقتل والدها.

٢٧٥- خديجة السلجوقية:

ابنةُ داود بن ميكائيل بن سلجوق، وابنة أخ ركن الدّولة طُغرل بك من سلاجقة العراق، وزوجة الخليفة القائم بأمر الله بن القادر بالله. عُرفت في عصرها- وكما شرحنا سابقًا- باسم أرسلان خاتون، كان زواجُها من القائم بأمر الله عام ٤٤٨هـ، وقد أعطاها الخليفةُ مهرًا قدره ١٠٠ ألف قطعة ذهبية، وكان في جهازها الكثير من الأواني الذهبيّة والفضيّة والمجوهرات.

وهذا مذكورٌ في كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، كما ذُكر أيضًا في كتب التواريخ.

٢٧٦- خديجة الشاهجانية:

واعظةٌ بغداديّة مشهورة، تلقّت العلم على يدِ ابن سمعون، حيث كان المشار إليه يقول وهي تكتب، فكانت المذكورة كاتبة، توفّيت عام ٤٦٠هـ، وهذا أيضًا مذكور في الوافي.

٢٧٧- خديجة بنت بدران:

هي أمّ سلمة خديجةُ ابنة المحدّث شهاب الدّين أحمد بن خلف بن عبد العزيز بن بدران الحسيني. كانت من أساتذة الإمام السيوطي، ولدت عام ٧٩٨هـ وقد ختمت سُنن ابن ماجة في مجلس الجوهري والمنصفي وعمرها عامان، ولها إجازة للإمام السيوطي. ورد ذكرها في كتاب المنجم في المعجم.

ولأنّ علم الحديث كان يُعتنى به قديماً، فقد كان المحدّثون الكرام يجلبون الأطفال الصغار في مجالسهم للاستماع، وكان الرّجل يفتخر ويقول: حضر ابني درسَ الإمام فلان.

٢٧٨- خديجة بنت جعفر:

خديجةُ بنت جعفر بن نصر التميمي، من أديبات الأندلس. كانت شاعرةً كبيرة، ولها مهارة في عزف الألحان، فكانت تدهشُ الجميع بكلماتها وألحانها.

٢٧٩- خديجة بنت الحسن:

ابنةُ الحسن بن علي بن عبد العزيز، ابنة عمّ القاضي محيي الدين بن أكزكي، وخالة والد المعين القرشي، كانت واعظةً صالحة، كانت تحفظ القرآن الكريم بالقراءات، واشتغلتْ بعلم الفقه، كما كانت تستمعُ لدروس أحمد بن الموازيني، وقد حصلت منه على إجازةٍ بتدريس الفقه والحديث، كانتْ وفاتها عام ٦٤١هـ.

٢٨٠- خديجة بنت زين الدين:

ابنةُ زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسي، وأخت المحدّثة حبيبة، السّابقة الترجمة، وزوجة شرف الدّين بن الشيخ شمس الدين الحنبلي، محدثة مقدسيّة، قال علم الدين البرزالي أستاذ صلاح الدّين الصّفدي «روتْ خديجة لنا الحديثَ عن خطيبِ المردا، كما استمعت إلى ابن أبي الفهم اليلداني، ومحمد بن عبد الهادي، وإبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم، وحصلت على الإجازة من جماعةٍ من السّلف، وجماعة من أعيان المحدّثين، كانت ولادتها عام ٦٤٧هـ، ووفاتها عام ٧٠٢هـ.

٢٨١- خديجة بنت العبيري:

هي فخرُ النّساء، سيدة محدّثة، اتّصفت بالصّلاح والتديّن، استمعت إلى العلم والحديث من مشاهير القرن الخامس، وروى عنها الكثيرون الحديثَ والفقه، فقد كانت من معمّرات المحدثات، تجاوز عمرُها التسعين، ورغم طعنها في السنّ إلّا أنّها كانت تدرس الحديث، توفّيت رحمها الله تعالى في عام ٥٧٠هـ.

٢٨٢- خديجة بنت القيم:

هي أمةُ العزيز البغداديّة المذكورة سابقًا، كان والدُها يعمل في حمام، ولأنّه رأى في ابنته القابليّة للتعلّم؛ حرص على أنْ تحضر دروس أساتذةِ العصر، وعلّمها الكتابة والتجويد، بعد ذلك رأتِ البنت في نفسها هوسًا للتعلم فبدأت تتعلّم كلّ العلوم، ولكنّها لم تستطع أنْ تكتسب مهارةً في علم التجويد، كانت تعقد مجالس وعظ خاصّة بالنساء، بعد ذلك تركت الوعظَ واعتزلت. ولدت عام ٦٠٨هـ وتوفّيت عام ٦٩٩هـ عن عمرٍ يناهز ٨١ عامًا.

كانت من المشاهير مثل؛ ابن الشيرازي في بغداد، وعلي بن المختار العامري، وابن الحميزي في مصر، كما درست في الشام، فكانت تدرس الحديثَ في دمشق وتبوك، كانت متينةً في العربيّة والأدب العربي، تفردت في عصرها بتدريس المقامات الحريريّة. ورغم أنّها درستْ تجويد القرآن على يد بعض مشاهير عصرها في هذا العلم إلّا أنّها لم تحقّق شهرة في هذا العلم.

٢٨٣- خديجة بنت المأمون:

ابنةُ الخليفة العباسي المأمون. كانت من أرباب الشّعر والفصاحة، نظمت خديجة بعض الأبيات، وقامت جاريتها شارية بتلحينها، ولّما أنشدتْها في حضور الخليفة المأمون أعجبته جدًّا، فقال «لمَن تلك الأبيات؟ وأقسم عليها أنْ تقول الصّدق. وذلك لأنّه كان عيبًا أنْ تشتهر بنتُ الخليفة بمثل تلك الأشعار، ولأنّ الخليفة أقسم، قالت شارية الحقيقة أنّ الأبيات لخديجة ابنته، فاشتهرتْ خديجة بعد ذلك، والأبيات المذكورة هي:

بالله قولوا لي لمَن ذا الرشا المثقل الردف الهضيم الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا وأملح الناس إذا ما انتشى

وقد بني برج حمام له أرسل فيه طائر مرعشا

يا ليتني كنت حمام له أو باشقًا يفعل بي ما يشا

لو لبس القوهي من رقة أوجعه القوهي أو خدشا

٢٨٤- خديجة بنت الملقن:

هي خديجةُ ابنة الشّيخ نور الدين حفيد الشّيخ ابن الملقن المعروف بعلي الأنصاري، وهو من أعيان علماء الشّافعية، سيدة محدّثة، كانت من أساتذة الإمام السيوطي، ولدت عام ٧٨٨ه، أتمّت كتاب الموطأ في مجلس المحدث أبي اليمن الكوفي، وهذا ما قاله السيوطي في المنجم.

٢٨٥- خديجة بنت النويري:

هي خديجةُ بنت عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن الشهيد الناطق عبد الرحمن الهاشمي العقيلي النويري المكي، محدّثة، كانت من أساتذة الإمام السيوطي، ولدت في مكة عام ٧٩٧هـ، حصلت على الإجازة في علم الحديث من العديد من العلماء، توفيت عام ٨٧٠هـ وكانت تعرف أيضًا بسعيدة.

وتوجد أيضًا أمّ الفضل خديجة، وهي من النّويريّين أيضًا، فهي بنت الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن الحسين بن عبد الله النّويري، وهي محدّثة من مصر، من محدّثات أواسط القرن السّابع الهجري، استشهد والدها عام ٦٤٨هـ في دمياط في الواقعة الشهيرة التي وقعتْ مع الفرنجة هناك. اشتهر جدّها الأكبر القاسم باسم الجزولي، كما اشتهر ابنه حسين باسم ابن الحارثية، واشتهر جدها عبد الله بابن القرشية، كانت أسرة من العلماء، ذكرها السيد المرتضى في كتابه تاج العروس في مادة (نور).

وخديجة بنت عبد الله الوهاب بن هبة الله الصّوفي، وهي أديبة عارفة، ذكرها الشيخ الأكبر في كتابه المسامرات.

٢٨٦- خرقاء:

هي ميّةُ ذي الرّومة الآتية الترجمة لاحقًا، من جماعة بني البكاء، كانت

محبوبةَ الشّاعر ذي الرّمة، قال فيها الشاعر المذكور:

تمام الحج أنْ تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

كان اسمُها الأصلي مي، وأصبحت مى على طريق التّخفيف، أمّا محبوبها فكان يسمّى غيلان، حتّى أنّه كان ينسب إليها فيقال (غيلان مى) أمّا عن سبب تلقيبهما بالخرقاء وذي الرّمة فقد ورد في شرح المقامات على هذا النحو:

إنّ الشّاعر المذكور رآها ومجموعةً من الجواري في نفس عمرها، وافتتن بحسنها، وأراد أنْ يكلّمها ولم يجدْ حيلة لهذا سوى قربة كانت في يده بها ثقب، ذهب بها إلى مي، وقال لها: هلّا أصلحتِ لي القربة، ففهمت قصده وقالت له: (أنا خرقاء) أي لا نفع منّي، فلمّا أدبر الشاعر على الرّحيل، وكان في يده خيطٌ قديم، قالت له مي: يا ذا الرّمة إنْ كنتُ خرقاء فجاريتي صناع.

وقد جعل ذو الرّمة في البيت السابق المكثَ بجوار حبيبته في حكم إتمام بعض مناسك الحجّ، وقد ذكره بعض المفسرين في تفسير آية «وأتمّوا الحجّ والعمرة لله».

٢٨٧- خرقاء الصحابية:

سيدةٌ حبشيّة من الصّحابيات، كانت تشتغل بنظافة المسجد النبوي.

وخرقاء- أيضًا- لقبُ ريطة بنت سعد المشهورة بالحماقة التي كانت تنقضُ غزلها بعد أنْ تنسجه، لذا ضربَ بها المثلُ في الحماقة فقيل (أخرق من ناكثة غزلها) ونكث بمعنى نقض، كما يقال خرقاء لمَن تولّت عملًا ليست أهلًا له، فيُقال (خرقاء وجدت صوفًا)، كما تقال أيضًا للدّلالة على حماقة شخصٍ يدّعي المعرفة وهو جاهلٌ، فيقال (خرقاء ذات نيقة) و(خرقاء عيابة)، وكان يُطلق على المذكورة أيضًا لقب جعرانة، وستتناوله في حرف الجيم.

٢٨٨- خرنق:

هي أختُ الشّاعر الجاهلي طرفة بن العبد، كانت تُعرف بالشّعر والفصاحة مثل أخيها، وأخوها من أصحاب المعلّقات السبع، ورغم أنّ كتب التّاريخ

تظهر أنّه نظمَ الشّعر وهو شابّ، وقُتل وهو في العشرين من عمره، إلّا أنّ الخرنق نظمت أبياتًا أوضحتْ فيها أنّه قُتل في السادسة والعشرين من عمره:

عددنـا لـه ستًّا وعشريـن حجّـة
فلـمّا توفّاهـا استوى سيدًا ضخـمًا
فُجعنـا بـه لمّـا رجـونا إيابـه
عـلى غـير حـال لا وليـد ولا قحـما

والحجّة بمعنى العام، وسبب قتله أنّ أحد أمراءِ العرب- ويدْعَى عمرو بن هند، المعروف بمضرط الحجارة- عيّن طرفةَ وشاعرًا آخر اسمه عبد المسيح بن جرير كان يُعرف بملتمس؛ ليكونا في معيّة أخيه قابوس بن هند، ونبّه عليهما بألّا يفارقاه أبدًا، وأنْ يعلّماه، ولكنّ قابوس كان شابًّا لم يستمعْ إليهما، وكان يقضي نهاره في الصيد وليله في الشّراب والمجون، وقد استحمل ملتمس أوضاعَ قابوس، ولكنّ طرفة كان شابًّا هو الآخر لم يتحمّل أوضاعه فنظم قصيدة في هجائه هو وأخيه عمرو بن هند، ووصلت القصيدة إلى مسامع عمرو، فأرسل إليهما وقال لهما أظنّ أنّكما اشتقتما إلى وطنكما، حسنًا لتعودا، وأعطى كلّ واحدٍ منهما عطية، وصحيفة مَفاداها أنْ يقوم أمير كلّ واحدٍ منهما بقتله عندما يصل إليه، ونبّه عليهما بعدم قراءة الرّسالة، وفي الطريق فتح ملتمس رسالتَه وقرأها، ولمّا أدرك الحقيقة، نزل بوادٍ فارًّا بحياته، ورغم أنّه نصح طرفة بألّا يذهب إلى قومه لأنّه سيقتل إنْ ذهب إليهم، لم يستمعْ إليه طرفة، وقُتل، فأطلق العربان عليه مقولة (كالباحث عن حتفه بظلفه).

٢٨٩- خشف الواضحيّة:

من المغنّيات المذكورات في كتاب الأغاني، سيّدةٌ من نساء العصر العباسي، كانت معاصرةً للمغنّية عريب، كانت تنافس عليّة بنت المهدي في الألحان في حضور الخليفة المتوكل.

٢٩٠- خلّ:

وهي أيضًا من المغنّيات المذكورات في كتاب الأغاني، من نساء العصر

العباسي، كانت مملوكةً هي وفريدة المغنّية الآتية الترجمة لعمرو بن بانة من ندماء الخليفة العباسي، كانت جارية على قدرٍ كبير من الفهم والمعرفة.

٢٩١- خليدة المكية:

وهي- أيضًا- من المغنّيات المذكورات في كتاب الأغاني، وكانت مملوكةً لابن شماسة هي وربيحة وعقيلة، لذا اشتهرنَ بالشمسيات نسبة لابن شماسة.

٢٩٢- خندف:

ابنةُ حلوان بن عمران، من شريفات نساء العرب القُدامى، اسمُها ليلى، ولقبها خندف، كانت زوجةَ إلياس بن مضر بن معد بن عدنان أحد أجداد الرّسول ﷺ، أنجبت منه ثلاثة أبناء هم: عمرو وعامر وعمير، وقد كان لكلّ واحد منهم لقب.

ففي أحد الأيام خرج إلياس بإبله للرّعي، ولمّا رأت الإبل أرنبًا خافتْ منه، وتشتت في الجبال، فخرج ابنه عمرو من الخيمة، وجرى وراءَ الأرنب ولحق به، فأطلق عليه والده مدركة، ولأنّ أخاه عامر قام بذبح الأرنب وطبخه أسماه والدُه طابخه، أمّا عمير فلأنّه ظلّ في الخيمة ولم يخرج أطلق عليه والده قمعة، والتّاء الموجودة في كلّ لقب منها ليستْ للتأنيث بل هي للتّنصيص. أمّا زوجتُه ليلى فلأنّها هُرعت خلف أولاده وراء الأرنب فقد أطلق عليها خندف. وقد افتخر قصيّ جدُ آل هاشم بأمّهم وأبيهم فقال:

أنّى لدى الحرب رضى اللبب أمهتى خندف والياس أبي

وقد اشتهر عامر وعمير وعمرو بالفطنة بين العرب، وأنجبوا الكثيرَ من الأبناء في حياة خندف، وكانت تتباهى بهم بين القبائل، لذا فإنّ القبيلة التي كانت تتباهى بنسلها وذريتها كانت تقول (فخر خندف)، وقد قال الحريري في المقامات: وخندف بفخرها والخنساء بشعرها. ورسولُنا الكريمﷺ من نسل عمرو الملقّب بمدركة.

٢٩٣- الخنساء:

هي تُماضر التي وعدنا بذكرها قبل ذلك، الخنساء الشّاعرة، كانت ممّن

أدركوا عصر الجاهليّة والإسلام، ويتّفق أرباب الشّعر القدامى والحداثى بأنّه لا توجد امرأة مثلها في نظم الشّعر. وقد سُئل الشّاعر المشهور جرير عمّن هو أفضل شاعرٍ على الإطلاق، فقال إنّا لولا هذه الفاعلة (أي القبيحة)، وقال بشار بن برد ما نظمت امرأةُ الشّعر إلّا وكان ضعيفًا، فقيل له وهل الخنساء كذلك؟ فقال إنّ لها خصى (أي بأربعة رجال). والحقّ أنّ جريرًا لم ينصف القول في وصف الخنساء، وقد أساء الأدبَ معها، لأنّها أسلمت، وأصبحت صاحبيّة ذات شأن جليل، كان لها دورٌ كبير في حرب القادسيّة في عهد عمر بن الخطاب كما سيبين لاحقًا، ويذكر ابنُ الأثير أنّ الرسول أراد أنْ يستمع إلى شعر الخنساء منها، فحضرتْ إلى الرّسول ﷺ، وقال لها النّبيّ: (هيه يا خُناس).

ويقول ابنُ الأثير أيضًا إنّ أكثرَ أشعارها عبارة عن مرثيّات لأخيها، فكانت الخنساء في بادئ الأمر لا تنظم إلّا بيتًا أو ثلاثة أبيات كلّما دعتِ الحاجة، ولكنّها بعد مقتل أخيها أكثرت من الشّعر في رثائه، وذلك لأنّ المشار إليها كان لها أخًا من أمّها يدْعَى معاوية، وأخًا من أبيها يدْعَى صخر، كان معاوية شابًا يافعًا، وقد قتله هاشم المري، أمّا صخر فكان جوادًا جُرح هو الآخر في قتال، ظلّ طريحَ الفراش على إثره لمدّة سنة، فنظمت الخنساء فيه:

أرى أمّ صخـــر لا تمـــل عيـــادتي
وملـــت ســـليمى مضجعـــي ومـــكاني

وقد تأثّرت الخنساء جدًّا لوفاة صخر، وبكتْه كثيرًا لدرجة أنّ البكاء رسم خطوطًا على وجهِها، لمّا رآها عمرو بن الخطاب قال لها ما هذا يا خنساء؟ فقالت من شدّة بكائي على أخي، فقال لها ولكنّه في النار، فقالت «لقد اشتدّ حزني فبكيتُ عليه طويلًا للأخذ بالثأر، والآن سأبكي عليه لأنّه في النار»، وقد رأتها السيدة عائشة ذاتَ مرّة ترتدي قميصًا قصيرًا من الصّوف يسمّى صدار، فقالت لها هل تلبسينَ

الصّدار يا خنساء؟ ألم تعلمي أنّ رسول الله نهى عنه؟، فقالت إنّ لارتدائي إيّاه سببًا، ولكنّي لم أكنْ أعلم نهيَ رسول الله له، فسألتها عن سبب ارتدائها له فقالت: زوّجني أبي برجلٍ مسرفٍ، ولمّا أنفق كلّ مالِه وضاقت يدُه، قال لي إلى منْ تذهب؟ فقلت إلى أخي صخر، ولمّا ذهبنا إليه قسم مالَه إلى قسميْن وقال اختاري ما تشائين، وقامت زوجته أيضًا بتقسيم مالها نصفيْن وخيّرتنا بأن نأخذ القسمَ الذي نريده من مالها، فقال صخر:

والله لا أمنحــــها شرارهــا
وهــي حصــان قــد كفتنــي عارهــا
ولــو أمــــوت مزّقــت خمارهــا
وجعلــت مــن شــعرها صدارهــا

ولهذا ارتديتُ هذا الصّدار ولن أخلعه حتّى الموت، وصور مراثيها التي نظمتها موجودة في المجلد الثالث عشر من كتاب الأغاني.

ومذكور في كتاب المسامرات لمحيي الدّين (المجلد الثّاني ٢٢٦) أنه قيل للخنساء صفي لنا صخرًا، فقالت «كان قطرًا لسنة الغبراء وذعافًا لكتيبة الحمراء»، وقالت في وصف أخيها معاوية «كان حيًا الجدب إذا نزل، وقرى الضيف إذا حلّ». ولمّا قيل لها أيّهما كان أثقل عليك في رحيله؟ قالت «أمّا صخر فسقام الجسد، وأمّا معاوية فحرّة الكبد». ونظمت تقول:

أســدان محمــــرة المخالــب نجــدة
غيثــان في الزمــن العضــوب الأنمــر
قمــران في النـــادي رفيعًــا محتــد
في المجــد فرعــــا ســودد متخيــر

وقد ذُكر في كتب الأدب أنّه كان هناك يوم عند العرب يسمّى يوم عكاظ كان يجتمع فيه الشّعراء من كلّ حدب وصوب، وكانت تُضرب خيمةٌ للشّاعر المشهور النّابغة الذبياني فيأتيه الشّعراء ويقرءون عليه شعرهم فيحكمُ بينهم، وقد دخلَ حسّان بن ثابت خيمة النّابغة فوجد الخنساء والشّاعر الأعشى، وقرأتِ الخنساء قصيدتها الرّائيّة المشهورة التي تبدأ بمطلع:

قـذى بعينيـك أمّ بالعـين عـوار

ثمّ أكملت:

وإنّ صخرًا لتأتم الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

وإنّ صخرًا لمولانا وسيّدنا وإنّ صخرًا إذا نشتو البحار

وقد أعجب النّابغة الذبياني بتلك القصيدة جدًّا، وقال لها «لولا أنّ أبا نصير نظم الشّعر لقلت إنّك أفضل من كلّ الشعراء».

وقال لها «أنتِ والله أشعرُ من كلّ ذات ثديين»، «أي والله ومِن كلّ ذي خصيَيْن»، ولمّا سمع حسّان بن ثابت ذلك قال «أنا أشعرُ من الاثنين»، ونظم:

لنـا الجفنـات الغـرّ يلمعـن بالضّحـى

وأسـيافنا يقطـرن مـــن نجـد دمـا

متـى مـا تزرنـــا مـن معـد عصابـة

وغسّـان نمنـع حوضنـا أنْ يهدمـا

أبـى فعلنـــا أنْ تنطـق الخنـا

وقائلنـــا بالعـــرف أنْ لا تكلـا

ولدنـــا بنـي العنقـاء وابنـي محـرق

فأكـرم بنـا خـالًا وأكـرم بنـا أبنـا

ولمّا سمع النابغة تلك الأبيات قالَ له «أنتَ حقيقة شاعر، ولكنّ ذكرك لكلمة الجفنات بدلًا من الجفان يدلّل على قلّة العدد، وتعبير يلمعنَ بالضّحى كان الأولى أنْ يقال يبرقن بالدّجى، لأنّ معظمَ الضّيوف يأتون بالليل، كما أنّك استخدمت في المصراع الثّاني كلمة يقطرن بدلًا من يفضن أو يسلْن، وهي كلمة لا تدلّ على إراقة الدماء بل على التّقطير، وجمعُك لسيفٍ على أسيف تدلّ على قلّة القتال، وأخيرًا افتخرتَ بالأبناء ولم تفتخرْ بالآباء»، فخجلَ حسّان. والظّاهر أنّ هذا النّقد مبنيّ على قاعدة أحسن الشّعر أكذبه، ولكن حسّان وكما أوضح في شعره:

وإنّـما الشّـعر لـبّ المـرء يعرضـه

عـلى المجالـس إنْ كيسـا وإن حمقـا

وإنّ أشعـــر بيــت أنـت قائلـه

بيــتٌ يقــال إذا أنشـدتَه صدقـا

كان يتحرّى الصّدق في نظم الشّعر، وبالتّالي لا يجب حملُ نقد النّابغة لأبياته

التّالية على المبالغة، كما أنّ الافتخار بالأولاد والأحفاد أكثرُ معقوليّة من الافتخار بالأجداد. يقول الشّاعر:

لعمــرك مــا الإنســان إلّا ابــن يومــه
عــلى مــا تجــلى يومــه لا ابــن أمّــه

ومــا الفخــر بالعظــم الرميــم وإنّــما
فخــار الــذي يبغــي الفخــار بنفســه

ولفظُ غسّان المذكور في البيت الثاني لحسّان محمول على القسم نظرًا لعدم وجود اتّفاق بين قبيلة غسان ومعْد على القتال.

وقد أظهر علماءُ المعاني بيت الخنساء القائل:

وإنّ صخرًا لتأتم الهداة به كأنّه علم في رأسه نار

إنّما هو مثالٌ على الإيغالة على طريق الإطناب. ومن الأبيات الأخرى التي رثت بها الخنساء صخرًا:

يذكّرني طلوعُ الشمس صخرًا وأبكيه لكلّ غروب شمس

والمعنى المأثور في البيت سنتناوله بالشّرح في ذيل عنوان (ريطة بنت عاصم)، والأبياتُ التّالية للخنساء محرّرة في ديوان الحماسة في باب المدائح:

ذل على معروفه وجهه بورك هذا هاديًا من دليل

تحسبه غضبان من عزّة ذلك منه خلق ما يحول

ويلمه مسعر حرب إذا ألقى فيها وعليه الشّليل

ويذكرُ أبو الفضل الميداني في كتابه مجمع الأمثال أنّ الخنساء هي قائلة المثل (مرعى ولا كالسّعدان)، وسببُ قولها لهذا المثل أنّها أثناء عودتها من سوق عكاظ رأتِ النّاس وقد تجمعوا حول هند بنت عتبة بن ربيعة الآتية التّرجمة، وكانوا يستمعونَ إليها، فدخلت الخنساء وسطهم، واستمعتْ للأبيات التي نظمتها هند، حيث قالت:

أبكــي عمــود الأبطحــين كليهــما
ومانعهــا مــن كلبــاغ يريدهــا

أبــو عتبــي الفيــاض ويحــك فاعلمــي
وشــيبة والحامــي الذمــار وليدهــا

أولئــك أهــل العــزّ مــن آل غالــب
وللمجــد يــوم حــين عــدّ عديدهــا

فلمّا سمعت الخنساء تلك الأبيات أثنت عليها قائلة «مرعى ولا كالسّعدان» ومرعى مبتدأ خبرُه محذوف، سعدان

على وزن سلمان، وهو اسمُ أجود مراعي الإبل، وتقدير الكلام (هذا مرعى جيّد، وليس في الجودة مثل سعدان) بعدها نظمت الخنساءُ الأبيات التّالية على نفس وزن أبياتِ هند فقالت:

أبكــي أبــا عمــرو وبعــين غزيــرة
قليــل إذا تغفــى العيــون رقودهــا
وصخــرًا ومــن ذا مثــل صخــر إذا
أبــدًا بســاحته الأبطــال قيــا يقودهــا

ويوجد أيضًا مثلٌ آخر وهو (ماء ولا كصداء) يؤدّي نفس معنى المثل السّابق، وسنبيّن قصّته في عنوان قدور في حرف القاف.

وبالنّسبة لدور الخنساء في حرب القادسيّة فقد ورد في كتب التواريخ أنّ الخنساء شاركت في حرب القادسيّة بأربعةٍ من أبنائها، وليلة المعركة دعتْ أبناءها ونصحتهم بالنصيحة التّالية (يا بني، إنّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إلهَ غيره إنّكم لبنو رجل واحدٍ كما إنّكم بنو امرأةٍ واحدة ما خنت أباكم ولا فضحتُ خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيّرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثّواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدّار الباقيّة خير من الدار الفانية، يقول الله عزّ وجلّ {يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون}، فإذا أصبحتم غدًا إنّ شاء الله سالمين فاغدوا على قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مُستنصرين، وإذا رأيتُم الحربَ قد شمّرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها وجلّلت نارًا على أوراقها فتيمّموا وطيسَها وجالدوا رئيسَها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة».

ولمّا أصبح الصّبح ودارت المعركة وحميَ وطيسُها استشهد الأبناء الأربعة، ولمّا جاء خبرُ استشهادهم إلى أمّهم الخنساء قالت (الحمدُ لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربّي أنْ يجمعني بهم في مستقرّ رحمته)، فأمر عمر بن

الخطاب- رضي الله عنه- بصرف مبلغ ٢٠٠ درهم عن كلّ ابنٍ لها لتتعيّش منه، وظلّت تتقاضى هذا المبلغ حتّى وفاتها.

والأبياتُ التّالية من أشعارها:

تعرقني الدهر قرعًا وغمزًا وأوجعنى الدّهر نهشًا ووخزًا

وأفنى رجالي فبادوا جميعًا وأصبح قلبي لهم مستفزًا

كأنْ لم يكونوا حمى يتقي من النّاس إذ ذاك من عزيزا

وكانوا سراة بني مالك وزين العشيرة مجدًا وعزًا

وهُم في القديم ضخام الأديم والكائنون من اليأس حرزًا

بشمّ الرّماح وبيض الصّفاح فاليض ضربًا وبالسود وخزًا

وخيل تكردس بالدراعين وتحت العجاجة تحمزن جمزًا

جزرنا نواصي فرسانها وكانوا يظنّون أنْ لا تجزّا

ومن ظنّ ممّن يلاقي الحروب بأنْ لا يصاب فقد ظنّ عجزًا

نعف ونعرف حقّ القرى ونتخذ الحمد ذخرًا وكنزًا

ونلبس في الحرب نسج الحديد وفي السّلم نلبس خزًّا وقزًا

٢٩٤- خولة بنت ثعلبة:

من الصّحابيات، وقيل اسمُها خويلة بنت ثعلبة، نزلتْ فيها آية {قد سمع الله قولَ التي تجادلك في زوجها}، فقد كانت المذكورة زوجة للصّحابي أوس بن الصّامت، ولمّا ضاق بها ذرعًا، قال لها (أنتِ عليّ كظهر أمّي) وهو ما كان يُعرف عند العرب في الجاهليّة بالظّهار، وهو الطّلاق الأبديّ بين الزّوجين، ولأنّها كانت وحيدةً ليس لها منْ يعولها ولا أولادها الصغار؛ ذهبتْ إلى رسول الله ﷺ، تشتكي له زوجها، فنزلت الآية الكريمة السّابقة، ونزل تشريع كفارة الظّهار، وهي عتق رقبة أو صيام شهْرين متتابعين، أو إطعام ستّين مسكينًا، فقام الصّحابي أوس بن الصّامت بإطعام ستين مسكينًا وأعادها إليه، والمسألة مشروحة في كتب الفقه في باب الظّهار. ويروى أنّه في عهد خلافة عمر بن الخطاب كان عمرُ يسير مع جماعة من الرّجال، وإذا بهم يصادفون عجوزًا في الطريق، فتوقّف عمر وأخذ يكلّمها وطال الكلام، فقال له مَنْ حوله يا أمير المؤمنين مَن هذه المرأة العجوز التي أوقفت رجالًا كثيرًا من أجلها؟ فقال لهم ألا تعلمون مَن هذه! إنّها السيدة الجليلة التي سمعَها الله تعالى تشتكي إلى النّبيّ ﷺ مِن زوجها، فأنزل

فيها آية (قد سمع) فوالله العظيم لو كانتْ أوقفتني حتّى المساء لوقفت لها ما كان يشغلني عنها إلّا الصّلاة.

وخولة- أيضًا- اسم معشوقة طرفة بن العبد، وأيضًا اسم أخت سيف الدّولة الحمداني، وكانت سيدة عالية الجناب توفّيت في مدينة ميا فارقين من نواحي ديار بكر عام ٣٥٢هـ. وللمتنبّي قصائد مدحٍ فيها كثيرة، منها:

يـا أخـتَ خـير أخ يـا بنـت خـير
أب كنايـة بهـا عـن أشرف النسـب

والبيت الموجود في مطلع مرثيته:

أجـلُ قـدرك أنْ تسـمّى مؤنبـة
ومَـنْ يصفـك فقـد سـماك للعـرب

ومنها أيضًا:

كأنّ فعلـة لم أمـلأ مواكبهـا ديـار بكـر
ولم تخلـع ولم تهـب وفعلـة ميـزان لخولة

ومن الأبيات أيضًا:

فـإنْ لم تكـن خلقـت أنثى لقـد خلقـت
كريمـة غـير أنثـى العقـل والحسـب
وإن تكـن تغلـب الغلبـاء عنصرهـا
فـإنّ في الخمـر معنـى ليـس في العنـب

فليـت طالعـة الشمسـين غائبـة
وليـت غائبـة الشمسـين لم تغـب

٢٩٥- خولة بنت جعفر:

وهي مِن جماعة بني حنيف، كانت من حلائل سيدنا علي، وأنجبت من سيدنا علي أبا القاسم محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية.

٢٩٦- خيرة:

صحابيّتان، إحداهما أمّ الدرداء بنت أبي حدرد زوجة أبي الدّرداء المذكورة سابقًا، والأخرى زوجة كعب بن مالك الأنصاري.

خيرة، اسم تابعيّتان، واحدة منهما والدة الحسن البصري، وهو من أجلّة التّابعين، وكانت جارية عند أمّ سلمة، وكان كلّما بكى الحسن البصري وهو في المهْد كانت أمّ سلمة- رضي الله عنها- تُسْكته، ولعلّ علمه وورعَه إنّما كان من ثمرةِ تربيته في أحدِ بيوت النّبيّﷺ. وخيرة بنت خفاف وخيرة بنت عبدالرحمن وهُما من المحدّثات.

٢٩٧- خير النساء بكم:

ابنةُ ماه جحك بكم الآتية التّرجمة، وهي ابنةُ السّلطان همايون شاه من حكّام الهند أحفاد السّلطان أبي سعيد، زوّجتها والدتها بالأمير المسمّى الشّاه أبي المعالي بعد استقلال ابنها ميرزا محمد حكيم. وعلى مَن يريد الاطّلاع على تاريخ منجم باشي، المجلّد الثّاني، ص ١٢٠.

٢٩٨- خيزران:

جاريةٌ مُعتبرة من جواري الخليفة المهدي ثالث الخلفاء العباسيّين، وهو الاسم الذي ننطقه محرّفًا هزران. وهي والدة الخليفة الهادي والخليفة هارون الرّشيد، وقد ذكر المرحوم عاصم مُترجم القاموس أنّها جارية هارون الرّشيد، وذلك أثناء تعريفه لدرار الخيزران بمكّة المكرّمة، وهذا خطأ لأنّها كانت والدته، وليست جاريته. كان لها نفوذٌ كبير أثناء سلطنة أولادها، ولكونها من الأدباء والشّعراء كان يحدث منادمة بينها وبين الخليفة كثيرة، ومنها أنّها خرجت ذات يوم من الحمام، فنظرتْ في المرآة فرأت أنّ رسمة كالوردة الحمراء رُسمت على وجْهها، فنقشت على الحائط بيدِها:

أنا التّفاحة الحمراء عليها الطلّ مرشوش

ولمّا رأى الخليفة المِصراع المذكور، كتب تحته:

وفرج عرضها شبرًا عليها العهن منفوش

ومن مدائحها التي نظمتها في حقّ فضل بن يحيى بن خالد بن برمك عندما كانت جارية:

أصبح الفضل والخليفة هارون رضيعي لبان خير النساء

كفى لك فضلًا أنّ فضل حرّة غذتك بثدي والخليفة واحد

وقد أظهرت مداهنة شعريّة في الأبيات أظهرتْ نفسها فيها على أنّها حرّة، ومع هذا كلّه أعتقها الخليفة المهدي عام ١٥٩هـ، والأبيات السّابقة توحي بأنّ الفضل رضع من الخيزران مع هارون الرّشيد، وهذا ما صُرّح به في الكامل لابن الأثير (ج ٥، ص ٢٣٦)، وقد تدخّلت الخيزران في شئون الدّولة كليّة في عهد الخليفة الهادي لدرجة أنّ

رجالَ الدّولة كانوا يراجعونها بشكلٍ مستقلٍّ في بعض الأمور، ممّا أغضبَ ابنها الهادي فقرّرت سمّه، وهذا على رواية تاريخية. والأبيات التّالية التي تتضمّن هجاء للخليفة المهدي ووليِّ عهده موسى الهادي تعود إلى بشار بن بُرد:

خليفة يزني بعمّاته يلعب بالدبوق والصّولجان

أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حرّ الخيزران

توفيت عام ١٧٣هـ.

وذُكر في صحائف الأخبار أنّ خيزران أيضًا اسم والدة الإمام محمد التقي، وكانت أيضًا جارية، وقيل اسمها ريحانة.

حرف الدال

٢٩٩- دختنوس:

ابنةُ لقيط بن زرارة رئيس بني تميم، كانت من عقلاء نساء العرب، والحربُ التي شنّها والدُها على قبيلة عامر بن صعصعة للأخذ بالثأر لأخيه معبد بن زرارة، من أيام الحروب المشهورة عند العرب، وتعرف باسم (يوم شعب جبلّة)، ولمّا قُتل أبوها بخطأ من تدابيرها الخارجيّة نظمت قصيدةً في رثائه أوضحت فيها أنّها كانت السّببَ في مقتله:

عثر الأغر بخير خن دف كهلها وشبابها

وأضـــرها لعدوّها وأفكها لرقابها

وقريعها ونجيبها في الطبقات ونابها

ورئيسها عند الملوك وزين يوم خطابها

وأتمّها نسبًا إذا رجعـــت إلى أنسابها

فرعى عمـــودًا للعشيرة رافعًا لنصابها

ويحوطها ويحوطها ويـــذب عن أحسابها

ويطأ مواطن للعـدو وكان لا يمشى بها

فعل المـدلّ من الأسود لحينها وتبابها
كالكوكب الدّريّ في سماء لا يخفى بها
عبث الأغـــر به وكلّ لمنّة لكتابها
فرّت بنو أســد فرار الطير عن أربابها
وهو أزن أصحابهم كالفأر في أذنابها

وهذه الأبيات ليست الأبيات التي نظمتها فقط في تلك الوقعة، بل معظمُها مذكور في الأغاني. ويذكر البعضُ أنّ زرارة التميميّ أبا دختنوس كان مجوسيًا هو وأسرته، لذا زوجته ابنته نفسها، إلّا أنّ ابن الأثير لا يرى هذا صحيحًا في الكامل، وذكر أنّ زوجها كان عمرو بن عمرو بن عدس، وكان قد وقع أسيرًا في المعركة المذكورة سابقًا، وحكايته مذكورة في مجمع الأمثال في شرح المثل القائل (أجبن من المتروف ضرطًا). ويذكر صاحب القاموس أنّ اسمَ دختنوس هو الاسمُ المعرّب من اسم دخترنوش الذي يعني البنت المدلّلة أو بنت الهنا. فقد سمّى أنوشروان ابنته باسم دخترنوش، ثمّ قام لقيط التميمي بتسمية ابنته باسم دختنوس بعد تعريبه، وهناك مَنْ يقولون دخدنوس بقلب التاء دالًا.

أمّا (يوم شعب جبلة) فعلى ما ورد في صحائف الأخبار أنّها حرب وقعت يوم مولد الرّسول ﷺ. أمّا يوم رحرحان فهو يوم تقابل بني تميم وبني عامر في مكان يسمّى رحرحان يقع بالقرب من عكاظ القريبة من مكّة، حيث وقعت هناك حربٌ بين بني تميم وبني عامر، وأسر بنو عامر معبد أخا لقيط، وجوّعوه حتّى مات من الجوع، فنهض أخوه لقيط في السّنة التّالية لمحاربة بني عامر وهو اليوم المعروف بيوم شعب جبلة.

وقد وردَ يوم رحرحان في صحائف الأخبار (يوم زجزجان) سهوًا وخطأً من الطابع.

وثمّة بيتٌ للشاعر الصّحابي النّابغة الجعدي مذكورٌ في كتاب مجمع الأمثال يستدلّ منه على أنّ يوم رحرحان المذكور كان يومين، حيث يقول الشاعر:

هلّا سألت بيومي رحرحان وقد ظنّت هوازن أنّ العزّ قد زالا

ويذكر أبو الفضل الميداني أنّ اليوم الأوّل منها كان بين بني عامر وبني درام، والثاني كان بين بني عامر وبني تميم.

٣٠٠- درشهوار خانم:

زوجة أحمد نظيف أفندي رئيس الجاوشيّة في عهد السّلطان عبد الحميد الأوّل، وهي ابنة السّلطان عبد الحميد الأوّل، ولكن نظرًا لأنه أنجبها من جارية فراش وهو أمير، لم يُطلق عليها لقب سلطان، وعرفت بلقب خانم فقط.

٣٠١- دعد:

هي أمّ رومان الصّحابيّة الجليلة، وقيل اسمُها زينب، زوجة أبي بكر الصديق، ولأنّ العرب كانوا يشتهرون بالكنية أكثر من الاسم فقد تناولناها بالشّرح في حرف الهمزة بعنوان أمّ رومان.

ودعد اسمُ زوجة الصّحابي الفصيح والشّاعر الأعرابي المخضرم (نمر بن تولب العكلي)، وقد قال فيها:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت
أوكل بدعد مَن يهيم بها بعدي

وقد ورد في كتاب (تراجم نقول الفتاوى) أنّ لفظ دعد يستخدم كاسم جنس كلفظ هند للنساء، وعمرو وزيد للرّجال. والتّأنيث والعلميّة في الواقع غير متصرّف، ولأنّ دعد ساكن الوسط مثل هند فإنّه يجوز تصريفه، لا سيّما وأنه ورد في البيت منصرفًا.

٣٠٢- دغة بنت منعج:

سيدةٌ من نساء بني العنبر، من قبيلة تميم، اشتهرتْ بفرط الحماقة، وضُرب بها المثل في الحماقة، فيقال (أحمق من دغة) وهذه واحدة من الحكايات الدّالة على حماقتها، أنّها كانت حاملًا وحانَ وقتُ وضعها، وفي نفس هذا اليوم كانت تشتكي من الإسهال، فظنّت أنّ ألم الوضع هو ألم الإسهال، فذهبت إلى الصحراء، وجلست في حفرةٍ لتتغوّط على عادة العربان، ووضعت وليدها فاستراحت بطنها فظنّت أنّ وليدها هذا هو الغائط فذهبت لأمّها تقول لها (هل

يغفر الجعر فاه؟) أي هل يفتح الغائط فمَه؟ ففهمت أمّها فقالت لها نعم ويدعو أباه، فذهبت إلى الحفرة فوجدت الطفل ملقًى بها يصرخ، فحملتْه وذهبت به الخيمة، وبناءً على تلك القصّة أطلقَ على جماعةٍ بني العنبر اسم جعراء، وهو لفظٌ يستدلّ منه على تحقيرهم. ومن حكاياتها الحمقى أيضًا أنّ طفلها لم يكنْ عنده يأفوخ (عظمة الرّأس اللينة) كأي طفل، وكان يبكي كثيرًا بالليل، فظنّت دغة أنّ هذا هو السبب في تألّم الطّفل فأخذت بسكّين وذبحته من رأسه وابتهجت لأنّها ظنّت أنّها أراحته من ألمه.

ويذكرُ صاحبُ كتاب مجمع الأمثال أنّ المذكورة كان اسمُها مارية، ولكن لقب دغة للدّلالة على حماقتها، وقيل إنّ اسمها متعج أو مختج.

٣٠٣- دفاق:

جاريةٌ جميلةٌ وأديبةٌ من المغنّيات العباسيّات المشهورات، كانت في الأصل جارية فراشٍ ليحيى بن ربيعة، ولأنّ ابنه أحمد بنَ يحيى نسب إليها عرف باسم ابن دفاق. اشتهرت بالحسن والملاحة، والمهارة في علم الموسيقى، تزوّجت العديد من الأشخاص بعد وفاة يحيى بن ربيعة، وورثت منهم الكثيرَ من الأموال، وانتهى بها المطافُ أنْ أصبحت جارية عند حمدونة ابنة هارون الرّشيد، وظلّت معها حتّى آخر عمرها. كانت مرحةً خفيفةَ الرّوح، ولكنها كانت شؤمًا على أزواجها، حتّى أنّ بعض الشّعراء نظم تلك الأبيات في هجائها:

قلت لمّا رأيت دار دفاق حسنها قد أضرّ بالعشّاق

حذّروا الرّابع الشّقي دفاقًا لا يكوننّ نجمه في محاق

أله عن بضعها فإنّ دفاقًا شؤم حرّها قد سار في الأفاق

لم تضاجع بعلًا فهب سليمًا بل جريحًا وجرحه غير راق

ولدفاق بعض الحكايات، ولكن نظرًا لأنّها خادشة للحياء فلم ننقلها هنا تأدّبًا، وهي الفاحشة التي قالت عبارة (الحرّ إلى إيرين أحوج من إير إلى حرّين)، وهذا مفصّلٌ في المجلد الحادي عشر من الأغاني.

٣٠٤- دفرة:

سيّدةٌ بصريّة من الطبقة السّابعة من التّابعيات والثّقات، روى محمد بن سيرين الحديثَ عنها، وقد أوضح الإمام العسقلاني في كتابه الإصابة أنّ النّسائي خرّج حديثًا في كتابه مروى عن دفرة صاحبة التّرجمة عن عائشة رضي الله عنها. ويزعم البعض أنّ المذكورة أدركتِ العهد النبوي، ونالت شرف المصاحبة، وكان اسمها دفرة.

٣٠٥- دلارام جنكي:

جاريةُ بهرام من ملوك الفرس القدامَى، وقد ورد في كتاب سفينة الشعراء أنّ الشعر لم يُنظم في بلاد الفرس قبل الإسلام، وحتى إنْ نُظم فكان عبارةً عن مصراعٍ أو بيت فقط. كانت دلارام ظريفة الطّبع إذا ما تحدّث سيدها كانت تجيبُه بإجابةٍ مبهجة، لذا أعجب بها بهرام، وكان يحملُها معه إلى أيّ مكان يخرج إليه خاصّة الغاباتِ للتّنزه، وفي إحدى المرّات رأى بهرام أسدًا في الغابة، فأمسكه من أذنه- بمبالغة العجم- ونظم في معرض التّفاخر:

منم أن بيـل دمـان ومنـم أن شـيريله

فقالت دلارام على الفور:

نـام بهـرام تـرا وبـذرت بـو جيلـه

ولمّا أعجب بهرام من هذا التوافق في القافية عرض الأمر على الحماء، وأمرهم بأنْ يجعلوا قانونًا للشّعر. ولكن ليس ثابتًا أنّهم نظموا شعرًا موزونًا أكثر من بيتَيْن في هذا العصر.

٣٠٦- دلشاد خاتون:

هي حفيدةُ أمير جوبان المارّ اسمُه في عنوان (بغداد خاتون)، وابنة معلّم دمشق، وزوجة الشّيخ حسن الكبير المعروفة بلقب نويين الذي يعني الأميرة، وذلك لأنّها من أسرة جنكيز التي حكمت في بغداد ٢٠ عامًا من عام ٧٣٠هـ، وبغداد خاتون المذكورة سابقًا خالتها، وقد تزوّجها الشّيخ حسن الكبير بعد انفصاله عن بغداد خاتون. ويذكر صلاح الدين الصفدي أنّها كانت تحبّ الفقراء وتعطف عليهم، توفّيت عام ٧٥٢هـ، ونقل نعشها إلى

مشهد المرتضى، ودفنت هناك، ويزعم البعض أنّ زوجها الشيخ حسن الكبير لمّا أحسّ أنّها تميل إلى ابن عمّه أشرف بن تمر تاش أمر بوضع السّم لها في الطّعام.

٣٠٧- دلشاد:

يتّضح من تذكرة عاشق جلبي أنّها كانت شاعرةً بليغة في إيران، وذلك من خلال ما أورده في ترجمة (عائشة حبى) الآتية التّرجمة لاحقًا. كما أنّ دلشاد هو أيضًا اسمُ زوجة الشّاه فتحعلى الإيراني، وكانت أيضًا شاعرة، ومن أبياتها:

طاعات منكرات محبت قبولاست
صدبار كر بجشمه زمزم وضو كنند

٣٠٨- دمينة:

بنتُ حذيفة السّلولية، والدة الشّاعر ابن الدّمينة المذكور سابقًا في عنوان آمنة وأمّ ابان، وكان اسمُه عبد الله، واسم والده عبيد الله، وهو ما أوجب إضافته إلى أمّه.

٣٠٩- دلوكة بنت زباء:

هي المرأةُ التي بنت سورَ مصر على حسبِ ما ورد في خطط المقريزي، كانت من أشراف الأقباط، وأشراف نساء أهل مصر، ويذكرُ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتابه (فتوح مصر) أنه لم يبق في مصر مِن أشراف النّساء منذ عهد غرق فرعون وجنوده سوى دلوكة بنت زباء، كانت سيدة صاحبةَ عقل وخبرة ودراية، ممّا جعل أهل مصر يتّفقون على أنْ يولوها الحكم رغم طعنها في السنّ جدًّا، فقد تولّت الحكم وهي في المائة والسّتين من عمرها، ولأنّها كانت تخشى التعدّي على الدّولة التي عهد بها الأهالي بأمانتها إليها، جمعتْ أشراف النساء وقالت لهم إنّ كلّ أشرافنا وأمرائنا قد هلكوا، كما أنّه لم يبق لنا من السحرة الماهرين أحد، وأنا أخشى على الدّولة مِن تعدّي الدّول المجاورة، وأرى أنْ نبني سورًا يحيط بكلّ أطراف وأكناف البلد، يكون عليه الأبراج التي يقيم بها الحراس، وبنت سورًا عظيمًا ضمّ داخله كلّ قرى وحقول مصر، وشقّت الترع والجداول من النّيل إلى داخل السور، وأسّست الجسور على تلك الترع،

وأسست المخازن في كلّ مكان، فكانت تؤسّس مخزنًا كلّ ثلاثة أميال، وبين كلّ مخزنٍ ومخزن كانت تؤسّس مكانًا للجند وضعت فيه الجند وما يلزمهم من مؤن، وكان هذا السّور يُعرف باسم (جدار العجوز) أو حائط العجوز، ولكنّه خرب بعد ذلك، وتوجد بعض أطلاله إلى الآن في الصّعيد (خطط المقريزي ج ١، ص ١٩٩).

٣١٠- دنانير:

مغنّية معروفةٌ كانت جاريةً عند الوزير العباسي الشّهير يحيى بن خالد البرمكي، كانت على درجةٍ كبيرة من الحُسن والجَمال، ولها ملكة في النّظم، وقد تفوّقت على بذل سابقة التّرجمة في علم الموسيقى، فقد تعلّمت دنانير على يد فليح وابن جامع وإبراهيم وإسحاق الموصلي، وحُكي في الأغاني نقلًا عن إسحاق الموصلي عن أبيه إبراهيم الموصلي أنّها أتتْ ذات يوم لإبراهيم الموصلي، وكان أستاذَها، وطلبت منه أنْ يصحّح لها أحدَ ألحانها المفضّلة لديها، وعندما قرأته عليه طلبَ منها أنْ تعيد قراءته، وأعادته عدّة مرّات فلم يستطع أنْ يعثر على موضع خطأ واحد. وقد افتتن هارون الرّشيد بعلمها، وافتتن عقيل- عبد صالح بن هارون وكان شاعرًا من الماهرين أيضًا في الموسيقى- بجمالها، فكان هارون يأتي باستمرار إلى منزل وزيره يحيى البرمكي ليستمع إلى صوتها العذب، وكان يحسن عليها بالأموال الكثيرة، أمّا عقيل فلم يكن بيديه شيء سوى أنْ يقضي وقته في نظم الأبيات في عشقها، ومن ذلك:

يا دنانير قد تنكر عقلي
وتحيّرت بين وعد مطل
شغفي شافعي إليك وإلّا
فاقتليني إن كنت تهوين قتلي

وتوجد حكاية في كتاب ابن ظافر عن قوّة دنانير في الشّعر تقول إنّ الوزير البرمكي خرج ذاتَ يوم إلى الحدائق واصطحب معه دنانير، ولمّا رأى الورد والأزهار أنشدَ يقول:

الورد أحسن منظرًا فتمتعوا باللحظ منه

وطلب من دنانير أنْ تنظم بيتًا على نفس الشّاكلة، فنظمت بداهة:

فإذا انقضت أيّامه ورد الخدود ينوب عنه

وكان بيتها أبلغ وأحسن من بيت الوزير البرمكي.

٣١١- دنانير، جارية ابن كناسة:

جارية محمد بن كناسة من شعراء الدولة العباسيّة، كانت أيضًا مغنّية وشاعرة، كان أهل الأدب وأرباب المروءة يذهبون إليها للمذاكرة والمشاعرة، ويُنقل عن علي بن عثمان الكلابي من أدباء عصره أنه ذهب ذات يوم إلى منزل ابن كناسة فلم يجدْه فجلس مع جاريته دنانير، فقالت له «يا أبا الحسين، أراك حزينًا»، فقلت لها توفّي أخٌ لي من قوم قريش، وعدتُ الآن من دفنه، فصمتت دنانير برهة، ثمّ نظمت الأبيات التالية:

بكيت على أخٍ لك من قريش فأبكانا بكاؤك يا علي

فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجلي

ويُنقل أيضًا عن المذكور أنّه قال: كنّا ذات يوم عند دار محمد بن كناسة فقال لنا سأريكم بعضَ كياسة وفطنة دنانير. ودعا ورقة كتب فيها (إنّك أمةٌ ضعيفة لكعاء، فإذا جاءك كتابي هذا فعجّلي بالجواب والسّلام)، فلمّا قرأت دنانير الرّسالة أرسلت له ردًّا جاء فيه (ساءني تهجينك إياي عند أبي الحسين، وإنّ مَن أعى العيا الجواب عمّا لا جواب له والسّلام).

وقد وردتْ أبياتٌ كثيرة في المجلّد الثّاني عشر لكتاب الأغاني، وذلك أثناء ترجمة حال سيّدها محمد بن كناسة، كانت المذكورة فتاة شاعرة صاحبة أدبٍ وتربية وحسن سجيّة، نظم سيّدها ابن كناسة تلك الأبيات عند وفاتها:

الحمدُ لله لا شريك له يا ليت منك لم يكن

إنْ لم يكن القـــول قـــل فيـــك

فما أفحمني غيـــــر شـــدّة الحزن

وابنُ كناسة المذكور هو ابن أخت التقى المشهور إبراهيم بن أدهم، ولابن

كناسة قصيدة أخرى في رثاء خاله إبراهيم بن أدهم.

٣١٢- دنيا:

يذكرُ ابنُ خلكان أنّها كانت شاعرة جارية للشّاعر عبد السّلام المعروف بديك الجن، وتذكر بعضُ الرّوايات أنّ الأبيات التّالية نظمتها دنيا عند وفاة ولدٍ لها من ديك الجن:

بـأبي نبذتـك في العـــراء المقفـر
وسـترت وجهـك بالـتراب الأعفـر
بـأبي بذلتـك بعـــد صـون للبـلى
ورجعـت عنـك صـبرت أمّ لم أصـبر
لـو كنـت أقـدر أنْ أرى أثـر البـلى
لتركـت وجهـك ضاحيًـا لم يقـبر

ولّما شكّ ديك الجنّ في أنّها تحبّ عبدًا آخر له، قتلهما معًا، ولكنّه ندم بعدها ونظم في كلّ واحدٍ منهما قصيدة رثاء.

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني صاحبُ الأغاني أنّ الفتاة التي قتلها ديك الجنّ كان اسمها ورد، وكانت نصرانيّة، وأسلمت وتزوّجها ديك الجن.

٣١٣- دنيا:

هي جاريةُ سيّدة تدعى فاطمة بنت عمرو بن حفص هزار مرد، كانت معشوقةَ شاعرٍ من أهالي البصرة من شعراء الدّولة العباسيّة يدعى أبا عيينة، ولأنّ أبا عيينة كان يعشق فاطمة ويخشى أنْ يعرّض باسمها في شعره لشرفها ونبلها، وشجاعة زوجها عيسى بن سليمان، كان يذكرُ اسم جاريتها في أشعاره بدلًا منها، ومن أشعاره فيها:

ما لقلبي أرقّ من كلّ قلب وحبّي أشد من كلّ حبّ
ولدنيا علّي جنوني بدنيا أشتهي قربها وتكره قربي
نزلت بي بليّة من هواها والبلايا تكون من كلّ ضرب

٣١٤- دولت خاتون:

من سيّدات أسرة الأتابكة الخورشيديّة التي حكمتْ في مدينة خرم آباد من الفترة من عام ٥٧٠ إلى عام ٨١٠هـ تولّت الحكم بعد وفاة زوجها عزّ الدين محمد، ولمّا شعرت بخطر التّتار، وأنّها لن تستطيع مقاومتهم تركت الحكم برضاها إلى أخيها عزّ الدين.

٣١٥- دهناء بنت مسحل:

هي دهناءُ بنت مسحل، من أبناء مالك بن سعد بن زيد مناة، سيّدة شاعرة، زوجةُ الشّاعر الرّاجز العجاج، ولأنّها لم تتّفق مع العجاج ذهبت هي ووالدُها إلى بلدته اليمامة، وشكياه إلى والي اليمامة، وصرّحت للوالي بأنّها لا تزال بكرًا رغمَ زوجها بعجاج، ولمّا رأى عجاج منها تلك الوقاحة طلّقها، ولكنّ الوالي طلب أنْ يسمع من الطّرفين، وبعدها حكم وبموجب الشرع بأنْ يمهل العجاج عامًا لينظر بعدها هل قام بمعاشرتِها أمْ لا، ولمّا رأى العجاج ذلك نظم تلك الأبيات:

أظنّت الدّهناء وظنّ مسحل
أنّ الأمير بالقضاء يعجل
عن كسلاتي والحصان يكسل
عن السّفاد وهو طرف هيكل

فردّت عليه دهناء بهذه الأبيات:

والله لولا خشية الأمير
وخشية الشرطي والمثير
لجلت من شيخ بني الفقير كجولان صعبة عسير

وبعدَها قام عجاج باحتضانِها وقبّلها في محاولةٍ منه لتطييب خاطرها، ولكنّها ردّت عليه بالأبيات التالية:

تالله لا تخدعني بالضمّ إليك والتّقبيل بعد الشّم
إلّا بهزهاز يسلّي همّي يتزع عنّي فتحي من كمي

حرف الذال

٣١٦- ذات الأذنين:

هو لقبُ عائشة بنت طلحة الآتية الترجمة، وهذا اللّقبُ كناية عن الأذن الكبرى، وقيل إنّ مَن لقّبتها بهذا اللّقب ضرّتها السّيدة سكينة، ولكن نظرًا لورود نصّ صريح في القرآن بعدم التنابز بالألقاب فمُستبعد أنْ يصدُرَ مثل هذا اللّقب من السيدة سكينة.

٣١٧- ذات الخفوف:

سيّدةٌ من نساء العصر النّبوي، سميت بهذا الاسم لأنّها وضعتْ ولم ينزل عليها دمُ النّفاس. ورغمَ أنّ هذا هو المذكور في كتاب (ما يعول عليه) إلّا أنّ وجه التّسمية غير ظاهر.

٣١٨- ذات الخال:

مغنّية مشهورةٌ من جواري هارون الرّشيد، كانت ذاتَ علم، والأبيات الثلاثة الآتية المنسوبة إلى هارون الرشيد قالها في مدح هذه الجارية وجاريتيْن أخريين عنده:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكلّ مكان

ما لي تطاوعني البريّة كلّها وأطيعهنّ وهنّ في عصياني

ما ذاك إلّا أنّ سلطان الهوى وبه غلبنَ أعزّ من سلطاني

واسمُ ذات الخال الأصلي هو خنث، ولقّبت بهذا اللّقب لوجود حسنةٍ عند شفّتها السفلى كانت تُعطيها حسنًا، أمّا الجاريتان الأخريان المذكورتان في الأبيات مع ذات الخال، فواحدةٌ منهما اسمُها سحر والأخرى ضياء، وقد صرح هارونُ الرّشيد بأسمائهنّ في أبيات أخرى نظمها:

إنّ سحرًا وضياء وخنث هن سحر وضياء وخنث

أخذت سحرًا ولا ذنب لها ثلثي قلبي وترباها الثلث

وذات الخال اسمُ مكان أيضًا في بلاد العرب ذكره عمرو بن معد كرب في شعره:

وهـم قتلـوا بـذات الخـال قيسـا

٣١٩- ذات الخمار:

هي هنيدةُ بنت صعصعة الآتية الترجمة، خالةُ الشّاعر المشهور الفرزدق، وسبب تسميتها بذاتِ الخمار أنّها كانت تجلس ذات يوم مع والدِها وأخيها وخالها وزوجها فخلعت خمارها من على رأسها، فتعجّب الحاضرون من ذلك وسألوها عن سبب فعلها لذلك فقالت لقد أحسست بالفَخْر لأنني أجلس مع أربعةِ محارم، والدي صعصعة بن ناجية، وأخي غالب بن صعصعة، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي زيرقان بن بدر، ولو توجد امرأةٌ في نساء العرب تتجرأ على فعْل ما فعلت سأعطيها خمسين ناقة، فلقّبت بذات الخمار.

وبعد أنْ ذكر محمد أمين المحبي تلك القصّة في كتابه (ما يعول عليه) قال: وأغربُ القصص التي تشبه قصّة ذات الخمار قصّة فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز، فقد كانت المشار إليها لها ١٣ محرمًا كانت تخلع الخمار في حضورهم، وهم: والدها عبد الملك بن مروان، وجدّها مروان بن الحكم، وإخوانها الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وأبناء إخوانها الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد، وخالها

معاوية بن يزيد، وجدّها لأمّها يزيد بن معاوية، ووالدُه معاوية بن أبي سفيان، وزوجها عمر بن عبد العزيز؛ وكلّ المذكورين تولّوا الخلافة، ولكنّ فاطمة لم تدركهم.

٣٢٠- ذات القرطين:

والدةُ الحارث الأعرج من أمراء العرب الذين تولّوا حكمَ الشّام من جانب الغسانيّين، أي قياصرة الرّوم، كان اسمها مارية، ولقّبت بذات القرْطين لامتلاكها قرطين نفيسين للغاية، وستتناولها بالشرح في حرف الميم.

٣٢١- ذات النّحيين:

سيدةٌ من جماعةِ تيم الله بن ثعلبة، وذات النّحيين تعني ذات القربتين، وكانت مضربًا للمَثل في البخل والشّح، فكان العرب يطلقون هذا اللّقب على الأشخاص البُخلاء، فكانوا يقولون (أشغل من ذات النّحيين) و(أشحّ من ذات النّحيين).

وذلك لأنّ المذكورة كانت تبيع السّمن في أحد أركان السّوق في عهد الجاهلية، وكان معها قربتان للسّمن، جاء إليها خوات بن جبير-أسلم بعد ذلك وأصبح من الصّحابة-وقال لها افتحي قربة من القرب لأتذوّق السّمن، ففتحت واحدة، وبعد أنْ تذوق منها، قال لها افتحي الثّانية ففتحتها، وبينما هي منشغلة بربط القربتيْن إذا بالرّجل يتطاولُ عليها، ولم تستطعِ المسكينة أنْ تنهرَه لانشغالها بربط القربتين، فأصبح مثل (أشغل من ذات النّحيين) يطلق على مَن هو منشغلٌ بعمله جدًّا، ويُقال أيضًا (أشحّ من ذات النّحيين) كناية عن البخل والحرص لأنّها لم تنظرْ لتطاول الرّجل عليها، وحرصت على عدم انسكاب السّمن منها.

وهي المقصودة في البيت القائل:

أناس ربّة النّحين منهم فعدوها إذا عد الصميم

وقال الشّاعر ربّة بدلًا من ذاتِ للضّرورة الشّعرية، ويعدّ البيت المذكور هجاءً لقبيلة تيم الله بن ثعلبة قبيلة المرأة المذكورة.

٣٢٢- ذات النّطاقين:

هي أسماءُ بنت أبي بكر، ولقّبت بذلك لأنّها شقّت نطاقها أثناء الهجرة النبويّة، ووضعت في نصفه الطّعام ونصفه الآخر ربطت به جرّة المياه عندما كانت تحضّر الطّعام والشراب للرّسول وأبي بكر في الهجرة، وقيل لأنّها لم تجد رباطًا تربط فيه الطّعام الذي ستحضره للرسول وأبي بكر في الهجرة، فشقّت نطاقها نصفين، فلمّا رآها النّبيﷺ قال لها «لقد أبدَلَك الله بهذا النّطاق بنطاقين في الجنة» لذا أطلق عليها ذات النّطاقين.

والنّطاق على وزن كتاب، وهو لباس خاصّ بالعمل عند نساء العرب.

ويقال إنّ أبناء أبي بكر الذّكور لو كانوا ذوي همّة مثل بناته لكان تولّي عمر للخلافة بعد أبي بكر صعبًا.

فقد كانت السّيدة عائشة هي السببَ في واقعة الجَمل، وأسماءُ ذات النطاقين تلك هي التي حثّت ابنها عبد الله بن الزبير على مقاومة الحجّاج الظّالم.

٣٢٣- ذلفاء:

مِن مشاهير العهد الأمويّ، كانت جارية وأديبة وصاحبةَ معارف، قيل البيت التّالي في حقّها:

إنّما الذلفاء ياقوتة أخرجت من كيس دهقان

ولدتْ في المدينة، وأقامت بها فترة، وافْتتن الناس بها لحسنِها ومزاياها، ومن الأشعار التي نظمت فيها:

إنّما الذلفاء همّي فليدعن من يلوم
أحسن النـاس جميعًا حين تمشي وتقوم
حبّب الذلفاء عندى منطق منها رخيم
أصل الحبل لترضى وهي للحبل صروم
حبّها في القلـب داء مستكن لا يريم

ومذكورٌ في الأغاني أنّ تلك الأبيات للأخوص بن محمد الأنصاري، وعلى قول للبحتري العبادي، وذكر في المستطرف أنّ أول مَن ملكها هو سعيد بن عبد الملك أخو سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي، وقد اشتراها بمليون قرش، ولمّا آلت الخلافةُ إلى سليمان آلت ذلفاء إليه، ولكنّه لم يسعد بها لأنّها كانت تحبّ سيّدها الأوّل، حتّى أنّها

عندما كانت تحت تملك سعيد بن عبد الملك خرجت إلى باب القصر ونادت في النّاس (عباد الله مَن لي بدواء ما لا يشتكى، وعلاج ما لا يسمّى، طال الحجاب وأبطل الجواب، والقلب طائر والعقل عازبٌ والنفس والهة، والفؤاد مختلس والنّوم محتبس، رحمة الله على قوم عاشوا تجلّدًا وماتوا كمدًا، ولو كان إلى الصّبر حيلة أو إلى ترك الغرام سبيل لكان أمرًا جميلًا». أمّا عندما كانت تحت تملّك سليمان بن عبد الملك سمعت المغنّي سنان ينشد الأبيات التّالية في عشق بعض أحبابه بالقرب من بيت الخليفة، فكان يقول:

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها
من آخر الليل لما تبه السحر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها
أوجهها عنده أبهى أم القمر

لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق
فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو مكنت لمشت نحوي على قدم
تكاد من لينها في المشي تنفطر

ولمّا سمعت ذلفاء صوتَ سنان يقول تلك الأبيات نهضتْ من فراش الخليفة، وخرجت تستمع، وكانت تلك الأبيات لسنان وكأنّها قد ذكّرتها بمحبوبها الأوّل، فأجهشت بالبكاء، فلمّا سمعها الخليفة سألها ما هذا يا ذلفاء؟ فقالت مرتجلة:

ألا ربّ صوتٍ رائع من مشوّه
قبيح المحيّا واضع الأب والجد

يروعُك منه صوته ولعلّه
إلى أمّه يغري معًا وإلى عبد

وقد أرادتْ ذلفاء أنْ تقول للخليفة في تلك الأبيات أنّ الصّوت الحسن مهما تكلّم بالقبيح فإنّه بالتّأكيد سيكون له تأثيرٌ على النفس، وأنّ صوت سنان أثّر في مشاعرها المكتومة.

وهذه القصّة وردت في كتاب تزيين الأشواق بصفحة ١٧١، عن جارية باسم عوان من جواري سليمان بن عبد الملك، وهذا مخالفٌ لما ورد في الأغاني.

وورَدَ في ترجمة حال مغنّية تدعى جميلة أنّ ذلفاء تزوّجت بعد ذلك من شخص طلقها ثلاثًا، وندمَ بعد ذلك على هذا لدرجةِ أنّه كره الرّقم ثلاثة، وأصبح لا

ينطقه، فكان يقول واحد اثنان أربعة، بل إنّه نظم بيتًا أوصى فيه بعدم قول لفظ ثلاثة أمامه:

لا بـارك الله في دار عـددت بهـا
طـلاق ذلفـاء مـن دار ومـن بلـد
فـلا يقولـنّ ثـلاث قائـل أبـدًا
إنّي وجـدت ثلاثًـا أنكـد العـدد

٣٢٤- ذلفاء، جارية ابن طارخان:

وهي ذلفاء التي نظم فيها أبو نواس:

عجبًا منّي حماقة الذلفاء تشتهي فياشل الخلفاء

جارية من جواري العصر العباسي، وسببُ نظم أبي نواس للبيت السّابق أنّه ذهب ذاتَ يوم إلى منزل الذلفاء، وأعقبه شخصٌ آخر يدّعى مروان بن أبي حفصة، فسار ابن طارخان سيد الذلفاء بجوار أبي نواس، فاضجرّ مروان من ذلك، وأنشد للذلفاء البيتَ التّالي:

غيضـت مـن عبراتهـنّ وقلـن لي
مـاذا لقيـت مـن الهـوى ولقينـا

ولمّا همّ بقول البيت الثّاني أظهرت له الذلفاء أنها لا تريد، وقالت له لقد هيّجت بهذا البيت الشّوقَ الدّفين في قلبي، وأنّها رغم ذلك لا تريد إلّا سيدها، ونظمت:

قد هيّجت بالبيت الذي أنشدتني حبًّا بقلبي للإمام دفينا

فلمّا سمع أبو نواس ذلك نظم البيت السابق عجبًا من حماقة الذلفاء.

ومن الحكايات التي تدلّ على ذكاء الذلفاء الفطري في نظم الشّعر أنّ عباس بن الأحنف وهو من الشّعراء الذين كانوا يدامون على الذّهاب إلى قصر الخليفة، أتى ذات يوم إلى منزل الذلفاء، فقالت له هلّا تنظّم لنا بيتًا مناسبًا، فنظم:

أهدى له أصحابه أترجة فبكى وأشفق من عيافه زاجر

فنظمت الذلفاء ارتجالًا:

خـاف الـوداد في التلـوّن لأنّهـا
لونـان باطنهـا خـلاف الظاهـر

فأعجب العبّاس من هذا البيت جدًّا، وقال للذلفاء إنْ قلت إنّ هذا البيت لي لن آتي إلى منزلك مرّة أخرى (من كتاب ابن ظافر).

وقد وردَ هذا الاسم أيضًا في تاريخ العالم ص ٢٠٢ على أنها من أتباع سيدنا يعقوب، وأظنّ في التّعريب إنْ لم يكن تحريفًا.

حرف الراء

٣٢٥- رابعة العدوية

أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية، سيدة بصرية من أعيان قومها، ومن نساء القرن الهجري الأول، كانت زاهدة وصالحة، اشتهرت في المناقب بالجمال والتبجيل، ذكرها الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته، وقال: قالت رابعة تناجي الله (يا ربّي، هل أنت مَن أضرمت النار في قلبي؟)، فسمعت صوتًا من الهاتف يقول لها (الله رحيم، لا تسيئي الظنّ به)، ورغم أنّها كانت سيّدة، إلّا أنّها كانت تبدو كأكثر الرّجال إنسانية، لذا كانت تلقّب بتاج الرّجال، اشتهرت مآثرها الجميلة في الزّهد كثيرًا، وأصبحت مضربَ المثلِ للنّساء الصّالحات، وقد طلب الحسن البصري زواجَها بعد وفاةِ زوجته، ولكنها قامت بسؤاله عدّة أسئلة لتختبرَه بها، وامتنعت عن زواجِها، وأنشدت تلك الأبيات:

راحتي يا إخوتي في خلوتي
وحبيبي دائمًا في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضًا
وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه
فهو محرابي إليه قبلتي
إنْ أمت وجدًا ومأتم رضا
واعنائي في الورى واشقوتي
يا طبيب القلب يا كلّ المنى
جذ بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائمًا
نشأتي منك وأيضًا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعًا أرتجي
منك وصلًا فهو أقصى منيتي

كان سفيان الثوري وهو من مجتهدي هذا العصر يذهب لزيارتها معترفًا بقدرها، ويسألها عن الشّبهات الخاصّة بعلم الحقيقة، وذات يوم سأل الإمام المشار إليه رابعة قائلًا «ما حقيقة إيمانك، وماذا تعتقدين في الله؟ فقالت أنا لا أعبد اللهَ خوفًا من ناره أو طمعًا في جنّته، فهذه عبادة العامّة، إنّني أعبده لكمال عشقي ومحبّتي له».

وأنشدت الأبيات التالية:

أحبّك حبّين حبّ الهوى
وحبًّا لأنّك أهل لذاك
فأمّا الذي هو حبّ الهوى
فشغلي بذكراك عمّن سواك
وأمّا الذي أنت أهل له
فكشفك لي الحجب حتّى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكنْ لك الحمد في ذا وذاك

٣٢٦- رابعة الشامية:

وردَ في كتاب النّفحات أيضًا أنها سيدة النّساء اللاتي وصلن إلى العرفان الحقيقي، ورأتِ الكشف والكرامة، فكان يشاهد فيها حالتي الخوف والمهابة والأمن والأنس، ويقال إنّها هي التي نظمت الأبيات التالية:

حبيب ليس يعدله حبيب
وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غائب عن بصري
وشخصي ولكن عن فؤادي ما يغيب

وقيل إنها أيضًا هي التي قالت الأبيات التالية:

إنّي جعلتك في الفؤاد محدثي
وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم منّي للجليس مؤانس
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ويذكرُ أبو النجيب السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف أنّ الأبيات الأخيرة لرابعة العدوية. ويذكر علي القاري في كتابه شرح عين العلم نقلًا عن إحياء العلوم أنها أرسلتْ لأحد كبار رجال عصرها ويدعَى أحمد بن أبي الحواري تطلب منه أنْ يتزوّجها، فأرسل لها يقول إنّ اشتغالي وانشغالي منعني من الزّواج، فأرسلت إليه تقول «والله أنا أيضًا منشغلةٌ أكثر منك بما هو أكبر من الزّواج، وأنّني ما طلبت منْك الزواج لقضاء شهوة أو غيره، بل لأنّي أردت أنْ أكون سببًا في إنفاق مالك على الفقراء والصّلحاء». وبناءً عليه استأذن المذكور من الشّيخ أبي سليمان الداراني وتزوّجها، ثمّ تزوّج عليها بعد ذلك ثلاث نساء، فكان يقول كانت رابعة تطعمني وتعطّرني بأنواع الطيب المختلفة، وتقول لي هيّا اذهب إلى حريمك الآخرين.

وتوجد رابعةٌ أخرى تدعَى رابعة القيسيّة مذكورة في كتاب روض الأخيار من نساء الرّوضة الحادية عشرة.

٣٢٧- رباب:

بنتُ امرئ القيس بن عدي الكلبي. زوجة الحسين ووالدةُ السيدة سكينة، كانت سيدة من أهل الفضل والجلال، كان الحسين يحبّها كثيرًا ونظم الأبياتِ التّالية فيها، وابنتُها سكينة:

لعمرك إنّني لأحبّ دارًا تكون بها سكينة والرباب
أحبّها وأبذل كلّ مالي وليس لعاتب عندي عتاب

ويروى عن السيدة سكينة المذكورة أنّ والدها الحسين - رضي الله عنه - تنظم تلك الأبيات لأنّ أخاه الحسن عاتبه ولامه على فرط محبته لزوجته رباب.

ومذكورٌ في كتاب الأغاني أنّ رباب المذكورة كانت ابنة امرئ القيس، وكان من كبار النّصارى، حضر إلى سيدنا عمر بن الخطاب في خلافته، وأسلم طواعية منه، وأراد سيدنا عليّ أنْ يناسبه، فأخبرَه امرؤ القيس أنّه هو الذي يرغب في ذلك لأنّ في هذا شرفًا وفخرًا له، وقال له لي ثلاثُ بنات: محيات وسلمى ورباب، اخترْ منهنّ ما تشاء، فتزوّج سيدنا علي محيات، وتزوّج الحسين رباب والحسن سلمى، وكانت رباب من أفضلهنّ، ولمّا استشهد الحسين، طلبها الكثيرون للزّواج، ولكنّها قالت لقد نلت شرف مصاهرة البيتِ النّبوي، ولن أتزوّج بعده، وأنشدت الأبيات التّالية في رثاء الحسين:

إنّ الذي كان نورًا يستضاء به
بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النّبيّ جزاك الله صالحة
عنّا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلًا صعبًا ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين
مَن لليتامى ومَن للسائلين ومَن
يعني ويأوي إليه كلّ مسكين
والله لا أبتغي صهرًا بصهركم
حتّى أغيب بين الرمل والطين

٣٢٨- رباب زوجة الأقيشر:

هي ربابُ زوجة الشّاعر المشهور الأقيشر، وابنة عمّه، عندما أراد الأقيشر أنْ يتزوّجها طلبت أسرتها ٤٠٠٠ درهم مهرًا لها، ولمّا طلب الأقيشر هذا المبلغ من أقاربه وعشيرته لم يعطوه شيئًا، فذهب إلى ابن راس البغل وهو رئيسُ قرية مجوسيّة، ولمّا قصّ عليه الحكاية أعطاه المال، فنظم الأقيشر الأبيات التّالية:

كفاني المجوسي مهر الرباب
فدى للمجوسي خال وعم
شهدت بأنك رطب المشاش
وأنّ أباك الجواد الخضم
وإنّك سيد أهل الجحيم
إذا ما تردّيت فيمن ظلم
تجاور قارون في قعرها
وفرعون والمكتبي بالحكم

ولّما سمع المجوسي تلك الأبيات قال للأقيشر يا أقيشر طلبت من قبيلتك المال فلم يعطوه لك، وأعطيته لك، فهل هذا جزائي؟

فردّ عليه الأقيشر: لماذا لم ترضَ، لقد جعلتك بين الملوك، وجعلتك في مكانة أعلى من أبي جهل.

وهذه الحكاية مذكورة في كتاب الأغاني في الصّفحة رقم ٩٢ بالمجلّد العاشر، ورغم أنّها موجودة أيضًا في الجواهر الملتقطة، إلّا أنّ الأبيات محرّفة، وقد نقلناها هنا بشكلها السليم.

٣٢٩- رباب:

فتاةٌ منسوبةٌ لقبيلة بني زهل، كانت فتاة متعقّلة محبوبة خداش بن حابس التميمي صاحب المثل القائل (العود أحمد)، وسببُ قول هذا المثل أنّ خداش أحبّ رباب وذهب إلى أبيها يطلبها للزّواج، ولّما رفض والدها لفقر خداش، عاد خداش، ولكنّه لم يتحمّل فراقها، فعاد إلى قبيلتها مرّة أخرى، وأنشد تلك الأبيات:

ألا ليت شعري يا رب متى أرى
لنا منك نحنحا أو شفاء فاشتفي
فقد طالما عنيتني وردتني
وأنت صفييّ دون ما كنت أصطفي
لحا الله مَن تسمّوا إلى المال نفسه
إذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميماً ملوما
ويترك حرًّا مثله ليس يصطفي

سمعتْ رباب الأبياتِ من خيمتها، وقال لخداش: لقد فهمتُ طلبك، عاود الكرّة من جديد وتعالَ إلى والدي في

الصباح واطلبني منه، ثمّ قالتْ رباب لوالدتها:

هل أنكح إلّا أهوى والتّحف إلّا مَن أرضى؟

فقالت أمّها لا، فقالت رباب إذًا زوّجيني خداش. إنّ خداش فقير، كيف أزوّجك له، فقالت رباب ما أقبح المال إذا جلب السّوء. وفي الصباح أتى خداش مرّة أخرى كما قالت له رباب وطلب يدَها فزوّجها أبواها له، فقال خداش (العود أحد والمرأة ترشد والورد يحمد) وأصبح من ضروب الأمثال.

ومذكورٌ في مجمع الأمثال أنّ خداش قتلها بعد أنْ علم أنّها على علاقة بأحد أفراد قبيلتها ويدّعى سلم.

ورباب أيضًا اسمُ أربع صحابيّات، هنّ: رباب بنت البراء، ورباب بنت الحارث، ورباب بنت كعب، ورباب بنت النعمان.

٣٣٠- ربيحة:

شاعرتان مشهورتان، ومغنّيتان من المغنّيات المشهورات في كتاب الأغاني، إحداهنّ جارية ابن رامي، والأخرى مملوكة ابن شماس، كانت ربيحة مملوكةَ ابن شماس صديقة لخليدة السّابقة التّرجمة، أمّا ربيحة جارية ابن رامي فكانتْ صديقةً لسعدة وسلامة الزرقا، كانتا تسابقان بعضهما في الحسن والمعرفة، والأبيات التّالية من قصيدة طويلة في حقّها:

هل من شفاء لقلب لج محزون
صبا وصب إلى ريم ابن رامين
إلى ربيحة أنّ الله فضلها
بحسنها وسماع ذي أفانين

وربيحة المذكورة هي ربيحة جارية ابن رامي.

٣٣١- ربيحة بنت محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر:

منكوحةُ يزيد بن عبد الملك من الخلفاء الأمويّين، تزوّجها على زوجته سعدة بنت عبد الملك في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك بعد أنْ دفع لها مهرًا قدره

٢٠ ألف ذهبية، وقد أوضحنا ذلك في ترجمة حبابة في حرف الحاء.

٣٣٢- ربيع بنت النضر:

ابنةُ نضر بن ضمضم، وهي والدة الحارثة بن سراقة من شهداء بدر، لما استشهد الحارثة ذهبت والدته إلى النبيﷺ وقالت له يا رسول الله، «إنْ كان ابني في الجنّة فهل لي من شيء يعزّيني ويلهمني الصبر؟ فقال النبيّ إنّ الجنة درجات، وابنك في الفردوس الأعلى.

٣٣٣- رجب بنت القليجي:

ابنةُ الشّهاب أحمد بن محمد بن عمر القليجي، سيّدة محدّثة من أساتذة الإمام السيوطي، ولدتْ عام ٨٠٠هـ وأخذت الحديث عن جدتها سارة بنت الشّيخ تقي الدّين السبكي، توفيت عام ٨٦٩هـ.

٣٣٤- رحمت:

زوجةُ سيدنا أيوب، كان سيدنا أيوب معافَى البدن، كثيرَ الأموال، ولكنّ الله تعالى ابتلاه بمرض أنفقَ عليه كلّ أمواله، واستفحل مرضه، فكان جسدُه به جروح تخرج منها ديدان، وهجره الجميع وفرّوا منه، إلّا زوجته المذكورة ظلّت بجواره تخدمه حتّى شفاه الله تعالى. والقصّة مذكورة في القرآن الكريم.

ويُذكَر في تاريخ الكامل أنّ زوجة سيدنا أيوب كان اسمها (ليا بنت يعقوب بن إسحاق) وقيل رحمت بنت إفرايم بن يوسف.

ورحمت أيضًا اسمُ ابنة سيدنا يوسف من زليخة، وستبينها في حرف الزاي.

٣٣٥- ردينة:

سيّدة عربيّة صانعة، اشتهرت بالمهارة في صناعة الرّماح، كان لها زوج يدْعَى سمهر ماهرٌ في صناعة المغافر، وكانت الرّماح التي تصنعها ردينة تنسبُ لها فيُقال رمح رديني، وكذا المغافر التي يصنعها زوجها كان يُقال لها مغفر سمهري. ثمّ أطلق الناسُ على رماحهم (الرّماح الردينية) (والرّماح السمهرية).

٣٣٦- رزينة:

صحابيّة معتوقة صفيّة بنت حيي زوج النّبيّ ﷺ، كانت تخدم النّبيّ أيضًا، روت ابنتُها أمة الله الحديثَ عنها، خاصّة حديث صوم يوم عاشوراء.

٣٣٧- سلطان رضية:

هي ابنةُ السّلطان شمس الدين ايلتمش محمد من مشاهير الملوك الذين حكموا في غزنة وكابل في الفترة من ٦٠٢ إلى ٦٩٠هـ، وكانوا فرعًا من الغوريّة، ولمّا توفّي المشارُ إليه عام ٦٣٣هـ تولّى ابنه ركن الدين فيروز شاه الحكم خلفًا له، ولكنْ نظرًا لأنّه كان سخيف العقل قامت والدتُه تركان خاتون بالاتّفاق مع أمراء وأعيان الدّولة على أنْ تتولّى هي شئون البلاد بدلًا من ابنِها، وبعد سبعة أشهر خلعت ابنَها من العرش وأجلستِ ابنتها المذكورة، جلست المذكورة على العرش في زيّ الرّجال، وكانت تضع النقاب على وجْهها طوالَ فترة حكمها، وفي عام ٦٣٧هـ انهزمت أمام جيش الأعداء وأُسِرَت، وجلسَ أخوها معزّ الدّين على العرش خلفا لَهَا (ص٦٠٥ المجلد الثاني).

٣٣٨- رضيّة:

اسمُ جارية من جواري عبد الرحمن الثّالث من ملوك الأندلس، وهي معتوقته أيضًا، كانت لها مهارة في النّظم، حسنة السليقة، جابت البلدانَ الشرقيّة بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن، واكتسبت شهرةً وشأنًا.

ومِن مشاهير نساء الرّوم أيضًا راضيّة خاتون، وكانت من مُصاحبات السّلطان محمد الثّالث، كانت تُعرف بلقب راضيّة دامادى، لأنّ محيي الدّين أفندي من علماء عصره، وقاضي عسكر الرّوملي كان صهرًا لها. وتاسه سز راضيّة المدفونة حاليًا في حرم القصر الهمايوني غيرها.

٣٣٩- رعلة:

بنتُ مضاض الجرهمية، زوجة سيدنا إسماعيل التي كانت من نسل العرب في بلاد الحجاز، وهي الزّوجة التي

ارتضاها له أبوه سيّدنا إبراهيم، أنجبت منه ١٢ ابنًا، أكبرهم قيذار ونابت، انتقلت خدمة الكعبة إلى نابت بعد وفاة سيدنا إسماعيل، وثمّ من بعده إلى مضاض بن عمرو الجرهمي جدّه لأمّه، وعلى من يريد الاطّلاع على هذا الموضوع الرّجوعُ إلى كتب التّواريخ، وإلى ترجمة هاجر الواردة في المجلد الثّاني من هذا الكتاب.

ورغم أنّها ذُكرت في كتاب الكامل باسم سيّدة بنت مضاض، إلّا أنّ الأصفهاني أورد في الأغاني أنّ اسمَها رعلة مستندًا في ذلك إلى أسانيد صحيحة.

٣٤٠- رعوم:

ابنةُ حازم بن المنذر الحمائي، صاحب المثل المشهور (سمّن كلبك يأكلك)، وقصة هذا المثل أنّ حازم المذكور كان من الأثرياء، وعثر ذاتَ يوم على طفلٍ في المهد ملفوف في قطعة قماشٍ بالية في أحد أزقّة همدان، فحمله وأخذه إلى بيته، وأعطاه لإحدى الجواري لترضعه وتربّيه وأسماه حجيش، وبعد أنْ شبّ الولد سلّمه حازم أغنامه وإبلَه ليرعى بها، وذات يوم شاهد حازم ابنتَه رعوم المذكورة وحجيش في مكان ما، فغضبَ وقال (سمّن كلبك يأكلك) وسحب سيفَه ليقتله، ففرّ هاربًا، وفرّت رعوم أيضًا هاربةً هي الأخرى، وبعد أنْ بحث حازم عن حجيش في كلّ مكان لم يجدْه عاد، وهمّ بقتل ابنته بعدَ أنْ قال (موتُ الحرّة خيرٌ من المعرّة)، وبعد أنْ بحث عنها عدّة أيّام وجدها مخنوقة، فقال متشفّيًا (هان عليّ الثّكل لسوء الفعل)، وأصبح أيضًا مثلًا.

ثمّ نظم الأبيات التالية:

قد هان هذا الثّكل لولا أنني
أحييت قتلك بالحسام الصارم
ولقد هممت بذاك لولا أنني
شمّرت في قتل اللعين الظالم
فعليك مقت الله من غدارة
وعليك لعنته ولعنة حازم

إنّ حازم لم يتأسّف لموت ابنته، بل إنّه يتمنّى لو كان قد قتلها بسيفه لوْلا أنّه انشغل في البحث عن حجيش، كما نظم حازم أيضًا تلك الأرجوزة:

طار إليكم عرضًا فؤادي
وقلّ من ذكراكم رقادي
وقد جفا جنبي عن الوساد
أبيت قد حالفني سهادي

٣٤١- رقاش:

هي رقاشُ أختُ جذيمة الأبرش، كان أخوها المذكور من ملوك العرب في الحيرة، ولأنّه كان أبرص لقّب بالأبرش والوضاح. كما كان يلقّب أيضًا بنديم الفرقدين، والفرقدان هما نجمان معروفان. وسببُ تلقيبه بهذا اللقب أنّه كان يوجد في أرضه صنمان يعرفان بالضّيرتين، كان جذيمة يذهب إليهما ويتبرّك بهما؛ لأنّه كان في عهد الجاهلية، وذات يوم وفدتْ جماعة من قبيلة أياد من أرض الحجاز واقتربت من أرض الحيرة التي يحكمها جذيمة الأبرش، ولمّا علم الأبرش بذلك جمعَ جموعه وخرج إليهم وعسكر في مكانٍ قريب منهم، وفي إحدى الليالي قامت جماعةٌ من قبيلة أياد المذكورة بالذّهاب إلى الصّنمين المذكورين ونقلوهما إليهم، وأرسلوا الخبرَ إلى جذيمة بأنّ أصنامه لم تعدْ راغبة فيه، وأنّها انتقلت إليهم، فإنّ عاهدهم على أنّه لن يحاربَهم مرّة أخرى فإنهم سيعيدون إليه أصنامه، وبذلك اضطرّ جذيمة إلى التصالح معهم، ولكنّه طلبَ منهم أنْ يعطوه أيضًا شخصًا يدعى عديّ بن نصر، وكان شابًا يافعًا وسيمًا من أمرائهم ليكونَ نديمًا له في مجالس الشّراب.

ولأنّ رقاش أخت جذيمة كانت قد نشأت علاقةٌ حبٍّ بينها وبين عدي المذكور، ولم تكن قد تزوّجت بعد؛ طلبتْ من عديّ أنْ يُسكر أخاها ويطلبَها منه للزّواج، وفعل عديّ كما قالت أسكر أخاها جذيمة، وطلب منه أخته للزّواج فوافق جذيمة وهو ثمل، وسار عديّ إلى رقاش ودخل بها، وفي الصّباح دخل

عدي على جذيمة بالملابس الخاصّة بالعرسان، فسأله جذيمة بحرارةٍ لماذا تتزيّن هكذا يا عدي؟ فخشي عدي على نفسه ففرّ هاربًا ولم يُسمع له ذكرٌ بعد ذلك، فقال جذيمة لأخته رقاش:

خبريني رقاش لا تكذبيني
أبحر زنيت أمْ بهجين
أمْ بعبد فأنت أهل لعبد
أمْ من دون فأنت أهل لدون

فقالت رقاش حاشا لم أزن، ولكنّك زوّجتني لرجل كريم أمير، ولم تعرّفني عليه، فأقسم جذيمة بأنّه لن يتّخذ نديماً في مجلس الشّراب سوى الفرقدين- وهما نجمان- وكان من عاداته أنّه في مجلس الشّراب يأخذ كأسًا لنفسه، واثنتين للنّجمين، ويشرب كأسه ويسكب الآخرين على الأرض، والفرقدان نجمان، وتعني الأخوين اللّذين لا يفترقان، وقيل:

وكلّ أخ مفارق أخاه
لعمر أبيك إلّا الفرقدان

وكان يضرب المثل بهما في الأندام الذين لا يفترقون فيُقال (ندمانى جذيمة)أي ندمائه الذين لا يفارقونه أبدًا. وقيل في البيت:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة
من الدّهر حتّى قيل لن يتصدعا

وهناك قصّة أخرى على ندماني جذيمة، وهي أنّ رقاش في تلك الليلة التي دخل عليها فيها عدي حملت منه وأنجبت ولدًا أسمته عمرًا، أحبّه جذيمة حبًّا شديدًا، وذات يوم غاب الولد، وأخرج جذيمة الباحثين ليبحثوا عنه في كلّ مكان، ولكنّهم لم يجدوه، وقد عثر عليه مؤخرًا اثنان يسمّيان مالك وعقيل، فابتهج جذيمة منهما جدًّا، وقال لهما اطلبا ما تشاءان، فقالا له نريد أنْ نكون ندماءك بشرط ألّا نفترق أبدًا ولا يفرقنا سوى الموت، فجعلهما جذيمة ندماءه، وأطلق عليهما (ندماي جذيمة).

وقد أورد نديم قصّة زواج رقاش وعدي بشكلٍ جيّد في ترجمته لتاريخ منجم باشي.

ورقاش بنت عمرو بن عثمان وهي سيدة من بطون بني ثعلبة، وهي المذكورة في المثل القائل (بخ بخ ساق بخلخال) وستتناولها بعنوان ورثة في حرف الواو بمشيئة الله تعالى. ورقاش بنت عامر تزوّجت بغنم بن حبيب، وكان مسنًّا، وقالت لعلّي أتغبّر منها ولدًا، وقد أنجبت منه ولدًا أسمته غبرًا، وهو والد قبيلة.

٣٤٢- رقيقة بنت أبي صيفي:

ابنةُ أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وهي التي قال عنها أهلُ السِّيَر (صاحبة الرؤيا)، ابنة عمّ عبد المطلب بن هاشم جدّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد ذُكرت في سير الحلبي خطأ أنها زوجته، والغريب أنّها ذُكرت في الإصابة على أنها (رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف) وذلك أثناء ذكر أميمة الصّحابية، ثمّ ذكرت بعد ذلك في حرف الرّاء اتفاقًا مع أسد الغابة. وذكرها ابن دحلان في سيرته أيضًا في حرف الرّاء، ورغم أنّ البعضَ عدّها من الصّحابيات، إلّا أنّ ابن الأثير ذكر نقلًا عن أبي نعيم أنّها كانت معاصرة لعبد المطلب، وماتت في عهد صباوة النبي. كانت سيدة نجيبة وأديبة، وسببُ تلقيبها بلقب صاحبة الرّؤيا أنّه حدث قحطٌ عظيم في مكّة عندما كان النّبيﷺ في السادسة أو السّابعة من عمره، ورأت رقيقة المذكورة في رؤياها صوت يناديها من الغيب يقول لها يا معشرَ قريش لقد اقتربت أيّام نبي آخر الزمان، وستنقذون من هذا القحطِ ببركته، فتأخذون طفلًا يكون مِن ذريّة رجلٍ كريم عظيم ضخم الجثة، أبيض البشرة عريض المنكبين، ولتختاروا رجلًا من كلّ بطنٍ من البطون، وبعد أنْ يغتسلوا ويتطيّبوا يصعدون إلى جبلِ أبي قبيس مع الطفل المذكور فيدعو الطّفل برفع القحط، ويقول مَن معه آمين، ولمّا قصّت رقيقة الرؤيا على قريش وجدوا أنّ تلك الأوصاف المذكورة في الرّؤيا إنّما هي مجتمعة في عبد المطلب، وأنّ الطفل هو حفيدُه محمد، ولمّا صعد النّبيّ

وهو طفل في السّادسة أو السابعة إلى جبل أبي قبيس ومعه الرّجال المذكورون دعا قائلًا (اللّهم ساد الخلة وكاشف الكربة، أنت معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنيهم التي أذهبت الخف والظلف، اللّهم فأمطر علينا مغدقًا مرتعًا)، فأنزل الله تعالى عليهم المطرَ، فأنشدت رقيقة الأبيات التّالية ارتجالًا:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا
وقد فقدنا الحيا وأجلوذ المطر
فجاد بالماء جونى له سبل
سحا فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره
وخير من بشرت يومًا به مضر
مبارك الاسم يستسقي الغمام به
ما في الأنام له عدل ولا خطر

وشيبة الحمد لقب عبد المطلب، وميمون الطّائر أي سيدنا محمد.

٣٤٣- رقيقة الثقفية:

وهي أيضًا من الصّحابيات، ورقيقة بنت نوفل، وهي أختُ ورقة بن نوفل وقد ذكرنا من قبل في عنوان آمنة أنّها عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب والد النّبيّ ليتزوّجها، وذُكر في المواهب أنّ اسمها كان رقيقة أو قتيلة، وذكر في شرح الزرقاني أنّ كنيتها كانت أمّ قتال.

كان ورقة بن نوفل نصرانيًا قرأ التوراة والإنجيل، ولأنه لحق بأوّل عهد النبوة فقد ذكر في البخاري في باب بدء الوحي، كما ذكر في كتب السّيَر.

٣٤٤- رقية:

ابنةُ النبي، وزوجة عثمان بن عفان، وقد لقب بذي النّورين لزواجه منها ومن أختها أمّ كلثوم، زوّجها النّبيﷺ إلى عثمان وهو في مكّة، وهاجرت مع عثمان الهجرة الأولى إلى الحبشة، وعادت معه، ثمّ هاجرت معه إلى المدينة، كانت تشتهر وزوجُها عثمان بالحسن، وقد نُظم في حقّها هذ البيت:

أعجب زوجين يرى إنسان
رقيّة وبعلها عثمان

توفّيت- رضي الله عنها- في السنة الثانية من الهجرة، فقد مرضت- رضي الله عنها- في المدينة في تلك السّنة، حتّى أنّ الرسول أمر عثمانَ بعدم الذّهاب معهم إلى غزوة بدر، وتوفّيت في اليوم الذي أتت فيه البشرى بانتصار المسلمين في بدر.

وينقل ابنُ الأثير أنّها أنجبت وهي في الحبشة غلامًا من عثمان كان اسمه عبد الله، وقد فقأ عينَه ديك، فتورّم وجه الغلام وتوفّي متأثرًا بهذا في شهر جمادى الأولى من السنة الرابعة للهجرة.

وبعد وفاة رقيّة تزوّج عثمان بأمّ كلثوم السّابقة الترجمة في حرف الهمزة. وكان أبو لهب قد عقد قِران ابنيْه عتبة وعتيبة على رقيّة وأمّ كلثوم، ولمّا نزلت سورة تبّت، غضب أبو لهب وزوجته أمّ جميل فأمرا ابنيهما بترك رقيّة وأمّ كلثوم قبل الدّخول بهما، ولكن الله أكرمهما بزوج خيرٍ منهما.

٣٤٥- السّت رقية:

ابنةُ علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وقبرُها موجود في مصر، يزوره النّاس للتبرك به، ومحرّر في كتاب مشار الأنوار أنّها توفيت قبل البلوغ، وأنّه كانت صاحبة كرامات، فقد وفدتْ إلى المدينة المنورة بقصد الزيارة، فخرج إليها واحدٌ من آل يزيد يريد قتلها، فخرجت روحُه ويدُه معلقةٌ في الهواء.

وقد صرّح الشّيخ حسن العدوي بأنّه لا يوجد في مصر من أبناء فاطمة الزهراء سوى السّت رقيّة والست زينب.

٣٤٦- رقية:

بنتُ محمد بن علي بن وهب القشيرية، من محدّثات مصر، درست الحديث في مصر لفترة طويلة، كانت سيدة من أهل العلم والصلاح والخير، توفّيت يوم الجمعة الموافق الرابع عشر من شعبان لعام ٧٤١هـ.

كما توجد ثلاث محدّثات باسم رقيّة، هنّ: رقيّة بنت محمد التغلبي، ورقيّة

بنت التجاني، ورقيّة بنت القاري. كما توجد صحابيّتان باسم رقيّة هما: رقيّة بنت ثابت الأنصارية، ورقيّة بنت كعب الأسلمية.

ورقيّة بضمّ الرّاء وفتح القاف وتشديد الياء على وزن سميّة، وجمعها رقيات، ومن شعراء الدّولة الأمويّة عبد الله بن قيس الرقيات، ومحرّر في صحائف الأخبار بأنّه توجد ابنة لسيدنا علي باسْم رقية.

٣٤٧- رملة بنت أبي سفيان:

هي أمّ حبيبة زوجة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ذكرت في حرف الهمزة.

٣٤٨- رملة بنت الزبير:

ابنة الزّبير بن العوّام أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، كانت في البداية زوجة لعثمان بن عبد الله، وأنجبت منه عبد الله بن عثمان، الّذي تزوّج السيدة سكينة الآتية التّرجمة ابنة الحسين. ثمّ تزوّجت بعد ذلك خالد بن يزيد حفيد معاوية، وقد نظم خالد المذكور الأبيات التّالية في حقّ رملة:

أليس يزيد السير في كلّ ليلة
وفي كلّ يوم من أحبّتنا قربا
أحنّ إلى بنت الزبير وقد علت
بنا العيس خرقًا من تهامة أو نقبا
إذا نزلت أرضًا تحبّب أهلها
إلينا وإنْ كانت منازلها حربا
وإنْ نزلت ماء وإن كان قلبها
مليحًا وجدنا ماءه باردًا عذبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى
لرملة خلخالًا يجول ولا قلبا
أقلّوا على اللوم فيها فإنّني
تخيّرتها منهم زبيريّة قلبا
أحبّ بني العوام طرًّا لحبّه
ومن حبّها أحببت أخوالها كلبا

النّقبُ هو الطريق الجبلي، والقلب بفتح القاف وسكون اللّام هو الخاتم الذي لا مثيل له، وزبيريّة قلبًا أي قلبًا خالصًا، وقال البعض إنّ المراد من هذا البيت هو أنّها لو أسلمت لأسلم الجميع

معها، ولو تنصّرت لتنصّر الجميع، وقد نظم أحدهم بيتًا في نفس المعنى يقول:

فـإنْ تسـلمي نسـلم وإن تتنـصّري
نخـطّ رجـال بـين أعينهـم صلبـا

ولم يقبل خالد هذا البيت حتّى أنّ عبد الملك بن مروان قال له: تنصّرت يا خالد؟ موبّخًا إيّاه على هذا البيت، فقال له خالد لعنة الله على مَنْ قاله ومَن أسنده إليه.

٣٤٩- رملة بنت شيبة:

هي رملةُ بنت شيبة بن ربيعة، سيدة صحابيّة، ابنة عمّ هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان الآتية التّرجمة، وقد نظمت هند الأبيات التّالية في توبيخ وهجاء رملة حينما قتل المسلمون أباها في غزوة بدر:

لحـا الرّحمـن صابئـة بـوج
ومكّـة أو بأطـراف الحجـون
تديـن لمعشـر قتلـوا أباهـا
أقتـلُ أبيـك جـاءك باليقيـن

الصّابئة هم الذين بدّلوا دينهم، ووج مدينة من مدن الطائف، حجون اسم موضع في الكعبة.

وتوجد صحابيّتان أخريان باسم رملة؛ الأولى رملة بنت الحارث، والأخرى رملة بنت الوقيعة، والأولى كانت من الأنصار وصاحبة منزل، والأخرى هي رملة أمّ أبي ذر الغفارية، أمّ جندب الغفاريّة السّابقة التّرجمة، ورملة بنت الحارث والدها هو الحارث النّجار، وزوجها معاذُ بن عفراء، كان منزلها بمثابة المضيفة التي يستقبل الرّسولُ فيها الضّيوف والسفراء. ورملة الكبرى ورملة الصّغرى من بنات سيدنا علي، ورملة بنت معاوية بن أبي سفيان، ورد ذكرها في قصّة وفاة معاوية وأشعار يزيد، وعلى مَن يريد الاطّلاعُ على تاريخ الكامل.

٣٥٠- رميصاء:

هي أمّ سليم المذكورة سابقًا، والدة الصّحابي أنس بن مالك، كانت صحابيّة متدينة، وردَ ذكرُها في الحديث الشّريف (إنّي دخلت الجنّة فإذا أنا بالرّميصاء)، ورغم أنّنا أشرنا إليها في حرف الهمزة

إلّا أنّنا سنذكرها أيضًا في حرف الغين تبركًا بها.

٣٥١- رميكية:

هي الجارية اعتماد، جاريةُ فراشٍ للأمير معتمد بن عباد أمير إشبيليّة، كانت من أديبات الأندلس، أنجبت للمشار إليه كافّة أولاده الذكور والإناث، كانت عندها مهارةٌ كبرى بالموسيقى لا توجد لأحدٍ من أمثالها، كما كانت تشتهر بالحسن واللّطف والشّعر والفصاحة، كان المعتمد يعدّها من طائفة أدباء الملوك، ويأتنس بها، كان يبتهج بمجلسها، الأمرُ الذي جعله يحبّها كثيرًا ويرعاها، والغريب أنّ المعتمد كان ينفّذ لها كلّ رغباتها لدرجةٍ أنّهما كانا يجلسان أمام القصر ذات مرّة، فرأتْ رميكيّة بعض الفقراء يسيرون في الطين حفاةَ الأقدام فاشتاقت أنْ تسير في الطين مثلهم، فأمرَ المعتمد على الفور بعجن طين بماء الورد والكافور في فناء القصر لتسير فيه رميكيّة والجواري، وبذلك حقّق لها أمنيتها. وبمرور الوقت تعرّض المعتمد للخلع من العرش، وحُبس هو ورميكيّة في قلعة إغمات، ولأنّ المذكور كان مسرفًا فقد ضاقت به رميكيّة ذاتَ يوم وهما في الحبس، وقالت له- على عادة النساء القديمة- لم أرَ منك خيرًا قطّ في أيّ يوم، فقال لها المعتمد (ولا يوم الطّين)، فخجلت من نفسها، وقد نظم المعتمد الأبياتِ التّالية وهو في الحبس مشيرًا إلى حاله وحال بناته، فقال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة
يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهنّ حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية
كأنّها لم تطأ مسكًا وكافورا

٣٥٢- روب متي:

مغنّية هنديّة مشهورة، ورد ذكرها في وقائع عام ٩٦٨هـ بصحائف الأخبار بالمجلّد الثّالث. كانت فريدة عصرها في الجمال والحُسن والفنون والموسيقى، ذاع صيتُها في الجمال في الدّنيا كلّها، كما ملأت

شهرتها في الغناء الهند بأسرها، ولمّا أراد جلال الدين محمد أكبر شاه أنْ يستحوذَ عليها، شربت السّم وماتت منتحرة لأنّها كانت تعشق أميرَ بلدها (ص ١٠٣).

٣٥٣- ريا:

بنتُ الغطريف السّلمي، فتاة شاعرة، معشوقة عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، لمّا توفّي عتبة المذكور نظمت الأبياتِ التّالية، ثمّ صاحت صيحة ماتت بعدها:

تصبّرت لا أنـي صـبرت وإنّـما
أعلّـل نفـسي أنّهـا بـك لاحقـة
ولـو أنصفـت روحـي لكانـت إلى
الـرّدى أمامـك مـن دون البريّة سـابقة
فـما أحـد بعـدي وبعـدك منصـف
خليـلاً ولا نفـس لنفـس موافقـة

٣٥٤- ريا بنت مسعود بن رقاش:

معشوقةُ الأديب الشّاعر أبي مالك صمّة بن عبد الله من بني ربيعة، وهي أديبة ظريفة أخرى، وقصّتها مذكورة في كتاب تزيين الأسواق.

٣٥٥- ريا:

وهي جاريةٌ عازفةٌ أخرى، كانت أخت سلامة القسّ الآتية التّرجة، كانت نادرة الأمثال في الحُسن والعلم، نظم الشّاعر ابن قيس الرقيات الأبياتِ التّالية في سلامة، فلحّنتها ريا المذكورة:

لقـد فتنـت ريـا وسـلامة القسـا
فلـم تـتركا للقـسّ عقـلاً ولا نفسـا
فتاتـان أمّـا منهـا فشـبيهة آل
هـلال وأخـرى منهـا تشـبه الشمسـا

والقسّ المذكور في القصيدة والزاهد عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمين لقّب بالقسّ لشدّة زهده وورعه، وقد أُضيفت سلامة إليهنّ وسنتناولها بإذن الله في حرف السّين.

٣٥٦- ريحانة:

ابنةُ سمعون بن زيد بن قثامة من بني قريظة. يقول ابنُ الأثير إنّها كانت سيدة عجوز، كانت من جواري النّبيّ ﷺ، ورغم أنّ النّبي ﷺ عرض عليها أنْ يعتقها ويتزوّجها، وتكون ضمن نسائه، إلّا أنّها رفضت أنْ تُعتق من ملك النّبيّ ﷺ.

٣٥٧- ريحانة واهة:

من المتصوّفات المذكورات في كتاب النّفحات، كانت سيدة جليلة تشبه رابعة العدويّة في الزّهد والصلاح.

وهناك ريحانةٌ أخرى وهي أختُ الصّحابي الشّجاع المشهور عمرو بن معد يكرب، أسرها صمّة أبو الفارس المغوار والشّاعر البليغ دريد بن الصّمة، وذلك في عهد الجاهلية، واتّخذها حليلة له، وأنجب منها دريد وعبد الله وعبد يغوث وقيس وخالد، كانت شاعرة فصيحةً بليغة، من أبياتها البيت الذي نظمته لأخيها عمرو بن معد يكرب:

إذا لم تستطعْ شيئًا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

ومرثية عمرو بن معد يكرب التي مطلعها:

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرّقني وأصحابي هجوع

نظمها في رثاء ريحانة.

وعندما فسّر شارح الشواهد محبّ الدين البيت المذكور ادّعى أنّ ريحانة الوارد هو اسم مكان، وأنّ ريحانة كانت أخت دريد بن الصّمة، وأنّ عمرو هو الذي أحبّها، وطلب من أخيها دريد أنْ يتزوّجها فسمح له، وهذا بالطبع خطأ.

وقد مات كلّ أبناء ريحانة المذكورة، ولم يدركْ منهم الإسلام سوى دريد بن الصّمة، ولم يسلم وقتل في غزوة حنين، وتفصيل تلك الأحوال مذكورة في المجلّد التاسع لكتاب الأغاني.

فائدة:

والبيتُ الذي نظمه عمرو بن معد يكرب:

أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

من جُملة الأبيات التي نظمها عمرو في حقّ قيس مراد، وذلك لأنّ عمرًا أسلم ولمّا دعا قيس المذكور إلى الإسلام رفضَ وضمرَ له الحقد، وعزم على قتله، فنظم عمرو البيتَ السّابق، وقد شبّهه علي بن

أبي طالب بابن ملجم، وكان تشبيهه في محلّه تمامًا.

وكلمةُ عذير الواردة في البيت تعني الرّجل الذي يقبل العذر، واللّفظ منصوب لأنّه على شاكلة (هات مَن يعذرك).

٣٥٨- ريطة بنت جذل:

ابنةُ جذل الطّعان، زوجة ربيعة بن مكدم المارّ ذكره في ترجمة أمّ سنان وأم عمرو، امرأة شاعرة، كان دريد بن الصّمة ابن ريحانة بنت معد يكرب المارّ التّرجمة يقدّر بسالته في القتال، حتّى أنّه عندما كُسر رمحَ ربيعة في القتال أعطاه رمحَه، وأخلى سبيلَه لبسالتِه، ولمّا أُسر دريد بعد ذلك على يدِ شخصٍ يدعى مخارق من قوم ربيعة المذكور، قامت ريطة صاحبة التّرجمة بفكّ أسره مكافأةً له على ما قام به مع زوجها من قبل، ونظمت الأبيات التّالية في مكافأته:

سنجزي دريدًا عن ربيعة نعمة ... وكلّ فتى يجري بما كان قدما
فإنْ كان خيرًا كان خيرًا جزاؤه ... وإنْ كان شرًّا كان شرًّا مذمّما
سنجزيه نعمة لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرّمح السّديد المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه ... وأهل بأنْ يجزى الذي كان أنعما
ففكّوا دريدًا من أسار مخارق ... ولا تجعلوا البؤسى إلى الشّرّ سلّما

٣٥٩- ريطة بنت سعد:

من مشاهير نساء العرب، ولكن كانت شهرتها في الحمق والبلاهة، وهي التي ذُكرت من قبل باسم (جعرانة وخرقاء) وقد ذكرت في كتاب مجمع الأمثال (أمّ ريطة) وهي التي قيل في حقّها المثل القائل (أخرق من ناكثة غزلها).

وقصّة المثل المذكور- كما أوضحنا من قبل- في حرفِ الجيم والخاء أنّها كانت تغزل الصّوف ثمّ تنقضه، وقد وردت آية في القرآن الكريم بنفس المعنى، وهي (ولا تكونوا كالتي نقضتْ غزلها من بعد قوّة إنكاثًا) دلالة على نقضِ قوم أقوياء

العهد مع قوم آخرين في حين أنهم ليسوا في حاجة إلى ذلك لقوتهم.

٣٦٠- ريطة بنت عاصم:

من شاعرات ديوان الحماسة، والأبيات التّالية من أبياتها المذكورة في ديوان الحماسة في باب المراثي:

وقفت فأبكتني بدار عشيرتي
على رزئهنّ الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهند ورادو حومة
من الموت أعيا وردهنّ المصادر
فوارس حاموا عن حقيقي وحافظوا
بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أنّ سلمى نالها مثل رزئنا
هدت ولكن تحمّل الرزء عامر

وفي الأبيات المذكورة إشارةٌ إلى ما كانت تقوم النّساء قديمًا في المآتم من ضرب للخدود وشقّ للجيوب، ويدلّ على ذلك أيضًا قول طرفة لزوجته:

إذا أنا متّ فانعيني بما أنا أهله
وشقّي عليّ الجيوب يا ابنة معبد

والغريبُ أنّ عادة العرب كانت تقضي بأنّه إذا قُتل أحد الأعيان فإنّ قبيلته لا تقيم له مأتمًا طالما لم يتمّ قتله، وأكثر مَن يكون في المأتم يكون من النّسوة، حيث يتمّ استئجارهنّ، فيأتين حفاة الأقدام، عراة الرّأس، ويمزّقون ألبستهم، والمرثيّة التّالية نظمها ربيع بن زياد في مقتل مالك بن الزهير العبسي في واقعة داحس والغبراء:

مَن كان مسرورًا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النّساء حواسر يندبنه
يلطمن أوجههنّ بالأسحار
قد كنّ يخبأن الوجوه تسترًا
فاليوم حين برزن للنظار
يضربن حرّ وجوههنّ على فتى
عفّ الشّمائل طيب الأخيار

وقول بوجه نهار يدلّ على الصّبح، وقد دلّ القرآن الكريم على أنّ معظم الغارات كانت في الصّباح في قوله تعالى (فالمغيرات صبحًا)، وأنّ الفارسّ

المقتول كان قد قتل في ذلك الوقت، ويدلّ على ذلك أيضًا قول الخنساء:

يذكّـرني طلـوع الشـمس صخـرًا
وأذكـرُه لـكلّ غـروب شـمس

ومن الشّرع ترك المرأة المتوفّى أو المقتول زوجُها للزينة في أيّام عدّتها، وبخلاف تلك الحالة لا يوجد مأتم للمسلمين. (فلا يستخفنّك الذين لا يوقنون).

٣٦١- ريطة بنت عجلان:

ابنةُ عجلان الهذلي، وأخت الشاعر عمرو بن عجلان الهذلي المعروف بذي الكلب، المشار إليه فيما سبق في ترجمة جنوب، كانت شاعرة، ويذكر صاحبُ كتاب الأغاني أنّ سبب تلقيب المذكور بذي الكلب أنّه كان له كلب لا يفارقه أبدًا، أو أنّه كان له كلبٌ للصيد يأخذه معه في كلّ قتال. وقد كانت هناك علاقة بين عمرو بن عجلان وامرأة من بني فهم تدعى أمّ جليحة، ولمّا بدأت تلك العلاقة تشيع بغض قومها عمرًا وصمّموا على قتله، ولمّا علم عمرو بذلك فرّ هاربًا، وأخذ يسير حتّى المساء، وكانت الليلة عاصفة، فرأى من بعيد على يمين المكان الموجود فيه نارًا، فرأى أنّه من الأفضل أنْ يذهب إلى تلك النّار ليقضي الليلة هناك، ولمّا ذهب لم يجدْ إلّا شخصًا يجلس بمفرده، فسأله عن هذا المكانِ الموجودون فيه فأجاب، ثمّ سأله عمرو متعجّبًا عن سبب وجوده في هذا المكان في تلك الليلة العاصفة بمفرده ويوقد نارًا، ثمّ بعد ذلك سأل الرجل عمّا إذا كان يوجد عنده ما يأكله فأعطاه الرّجل بعض التّمرات الجافة، فأكلها وبعدها سأله ما يشربه فخيّره الرجل هل تشرب ماءً أمّ لبنًا، فقال له (اسقني ماءً قراحًا فإنّي مقتول صباحًا) حقيقة تعقّبه بنو فهم ووجدوه في مغارةٍ وقتلوه في الصباح، وحينئذ نظمت ريطة الأبيات التّالية في مقتل أخيها:

كلّ امـرئ لمحـال الدهـر مكـذوب
وكلّ مَـن غالـب الأيـام مغلـوب
وكلّ حـيّ وإن عـزوا وإن سـلموا

يومًا طريقهم في الشرّ دعبوب
أبلغ هزيلًا وأبلغ من يبلغها
عنّي رسولا وبعض الغي تكذيب
بأنّ ذا الكلب عمرًا خيرهم نسبًا
ببطن شريان يعوي حوله الذيب
الطّاعن الطعنة النجلاء يتبعها
مثعنجر من نجيع الجوف اسكوب
والتارك القرن مصفرًّا أنامله
كأنه من رجيع الجوف مخضوب
تمشي النسور إليه وهي
لاهية مشيَ العذارى عليهنّ الجلابيب
والمخرج العاتق العذراء مذعنة
في السّبي ينفح من أردانها الطيب

الدعبوب هو الطريق المعبد، وقد ورد اللّفظ في الأغاني خطأ مطبعيًا رعبوب، هذيل على وزن حسين قبيلة، وعبارة بأنّ ذا الكلب عمرًا متعلّقة بالفعل أبلغ السّابق عليها، وهذا البيتُ من شواهد الألفية، وذو الكلب لقب عمرو بن عجلان، وبينما كان يجب تأخير اللّقب عن الاسم إذا اجتمعا كأنْ يقال زيد أنف الناقة أو عمرو ذو الكلب، إلّا أنه هنا قُدم اللّقب على الاسم للضّرورة الشّعرية، ومن ذلك قول أوس بن الصّامت:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدّي
أبوه منذر ماء السماء

نعودُ إلى قصيدة ريطة، بطن شريان اسم موضع، ونجلاء أي فسيحة، مثعنجر إذا كانت اسمَ فاعل تعني السّائل، وإن كانت اسم مفعول فتعني وسط البحر، ومن ذلك قول ابن عباس في حقّ علي (علمي إلى علمه كالقرارة في المثعنجر)، وعاتق وصف خاصّ بالفتيات، ومذعنة اسم فاعل مؤنّث من الإذعان أي الخضوع، وجُملة ينفح من أراد أنّها الطيب دلالة على النّظافة والطهارة، أردان أي طرف كم الثوب.

كما كانت توجد زوجةٌ من زوجات المهدي العباسي باسم ريطة وردَ ذكرها في قصة أبي دلامة. كما توجد بعض الصّحابيات أيضًا باسم ريطة، وريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان والدة أبي العباس السّفاح أوّل خلفاء بني العباس.

حرف الزاي

٣٦٢- زباء:

ابنة عمرو بن الظَّرب بن حسان العلقمي، كانت من طائفة العمالقة، وكان جذيمة الأبرش أخو رقاش السّابقة الترجمة من أشدّ معارضيها في الجزيرة العربية، تولّت الحكم بعد مقتل والدِها على يد جذيمة الأبرش، كانت فصيحة للغاية، كان شَعرُها طويلًا للغاية إذا ما مشت تجرجر وراءها على الأرض، وإذا ما حلّته وجلستُ غطّاها بأكملها؛ لذا لقبت بزباء. وكان اسمُها الأصلي فارعة أو نائلة.

عندما تولّت العرش بعد والدها أمرت ببناءِ قصرٍ حصين على ضفتي نهر الفرات جزء منه في ضفةٍ وجزءٌ آخر في الضّفة المقابلة، وأمرتْ ببناء سراديب وغرف تحت الأرض في هذا القصر تكون مخصّصة للتحصّن وحفظ العتاد، بعدها تفرّغت للأخذ بالثأر من جذيمة، وكان جذيمة يريد أنْ يتزوّجها، أمّا هي فكانت فتاةً بكرًا لم تتزوّج ولم ترغب

في الزّواج أبدًا، ولمّا وصلها الخبر بأنّ جذيمة يطلبها للزواج، فكّرت في إعداد حيلة للإيقاع به، فأرسلت إليه الخبرَ بأنّها توافق على الزّواج، وليأتِ ليتزوّجها، ولمّا وصل الخبر إلى جذيمة ذهب إلى هناك رغم أنّ القريبين منه- وعلى الأخصّ رجلًا يدعى قصير- نصحوه بعدم الذّهاب، ولمّا وصل إلى هناك أمرتْ جذيمة بقتله. ولمّا تمّ القبض على جذيمة تمكّن صديقه قصير من ركوب فرسه والفرار إلى بلده، وكان يجلس على العرش مكان جذيمة ابنُ أختِه عمرو بن عدي، شرح له قصير ما حدث لخاله جذيمة من الإيقاع به على يدِ زباء، فقال له عمرو ماذا ترى هل نذهب للأخذ بالثّأر؟ فقال قصير له إنّ لي رأيًا آخر وهو أنْ نعدّ لها حيلة نحن أيضًا للإيقاع بها، وهي أنْ تقوم بجذع أنفي وتمزيق جسمي، وأنْ أذهب إليها وأحتمي بها، وبعد أنْ أعيش هناك أكسب ثقتها فأعلمُ منها أخبارها كلّها، ووافق عمرو وأرسله، ولمّا ذهب قصير إليها أكرمته، وظلّ في قصرها شهورًا اكتسب ثقتها، وفي يوم قال لها إنّي أظنّ أنّ عمرو بن أخت جذيمة سيأتي للانتقام لخاله فهل أنتِ مستعدّة؟، فقالت له زباء نعم، وأظهرت له كلّ السّراديب السريّة الموجودة تحت الأرض، وبذلك تمكّن قصير من تنفيذ نصف خطّته، وذات يوم قال لها إنّه له تجارة كثيرة في بعض البلدان فإذا ما سمحت له يقوم بالذهاب لإحضارها، وسمحت له وحضر إلى عمرو الذي أعطاه الكثيرَ من الجواهر والتجارة عاد بها قصير محمّلة على الإبل إلى زباء، ولمّا رأت ذلك سُرت جدًّا، وقالت له طالما أنك ماهر إلى هذا الحدّ في التّجارة، فلترسلك على الدّوام للتّجارة لنا، وفي كلّ مرّة كانت تعطيه ما يريد من أموال وعبيد، ويعود لها بأكثر ممّا أعطته، وذات مرّة أعطته الكثير جدًّا من العبيد والأموال والأسلحة، وذهب في تلك المرّة إلى عمرو الذي قام بتجهيز ألفي جندي من خيرةِ الجنود، وأعطى لكلّ جندي سيفًا، وأمرهم بالدّخول في الغرارات، وأنْ يربطوها من الداخل، وتمّ تحميل الغرارات على الإبل، وذهب

عمرو بنفسه مع هذه القافلة، وفي طريق العودة لم يعُدْ قصير من الطريق المعهود، بل عدل عنه إلى طريقٍ بجوار نهر يسمّى غوير، وأرسل البشرى إلى زباء بأنّ القافلة أصبحت عند نهر الغوير، فدبّ الشّك في قلبها فقالت (عسى الغوير أبؤسا) وأصبح من ضروب الأمثال، ولكنها اطمأنت بعضَ الشّيء لمّا أتاها قصير بنفسه يبشرها، فقرّرت الخروج لرؤية القافلة، ورأتِ الإبل من بعيد تتعثّر في المسير من كثرة الأحمال التي عليها فتعجّبت، وقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا
أم جندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردًا شديدًا
أم الرجال جثما قعودا

ولمّا ساورها الشكّ مرّة أخرى أمرت أحد الجنود بأنْ يضرب بالسّوط الذي في يده على غرارةٍ من الغرارت، فلمّا ضرب سمع صراخًا، فصاح وقال الشّر الشر، فحاولت زباء الهروب والاحتماء بسراديبها السّرّية، ولكنّ عمرًا وقصيرًا كانا أسبق منها فقتلوها بالسّيوف، وكانت تلك الحادثة من ١٨٥٠ عامًا. وقصير المذكور في المثل القائل (لا مرما جدع قصير أنفه) هو قصير المذكور في تلك القصّة، أمّا أبو الفضل الميداني فيرى أنّ زباء هي قائلة المثل السّابق، ورغم أنّ قصّة زباء المذكورة كانت منشأ الكثير من الأمثال إلّا أنّنا تركنا معظمها لأنّها كُتبت باختصار.

والأبيات المذكورة لزباء من الشواهد النّحوية، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز تقدّم الفاعل على الفعل في حين أنّه من حقّه التقديم، وذلك لأنّ لفظ مشيها مرفوع وما بعده حال منصوب، وبالتّالي ليس هناك احتمال بأنْ يكون اللّفظ المذكور مبتدأ، ويتعيّن أنْ يكون وئيد فاعلًا مقدّمًا على شبه الفعل، أمّا البصريّون فيرون ذلك محولًا على الضرورة كما في قول الشاعر:

صددت فأطولت الصدود وقلّما
وصال على طول يدوم

٣٦٣- زباء بنت علقمة:

ابنةُ علقمة بن حفصة الطائي، كانت أجمل نساء عصرها، وقد قيل في حقّها المثل القائل (تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها) وقائل هذا المثل هو زوجها الحارث بن سليل الأسدي، وقصة المثل: أنّ الحارث المذكور أتى لطلب الزواج من زباء، وكانت فتاة صغيرة وهو رجل يكبرها في السّن، ولأنّه كان عاقلًا معتبرًا وافق والد زباء ووافقت الأمّ أيضًا وذهبا لإخبار ابنتهما، ولمّا رفضت البنت أرغمتها أمّها على الزواج منه.

وفي النّهاية تزوّج الحارث من زباء على مهرٍ قدره ١٥٠ ناقة، وخاتم وألف درهم فضي، وبعد أنْ أخذ الحارث زباء وذهب بها إلى قبيلته، وبعد أنْ أقامت معه عدّة أيام هناك، رأت بعض الشّباب، فبكت على حالها، فلمّا سألها عن سبب بكائها أخبرته بأنّها لم تكن موافقة على زواجه، فقال (تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها)، ثمّ أعادها إلى قبيلتها.

٣٦٤- زبالة:

هي زبالةُ بنت عتيبة بن مرداس، شاعرة وأختُها خدلة التي لها قصائد هجاء في الشّاعر المسمّى أبا الأكيدر بن مبارك زمعة المعروف بلقب (لعين منقرى).

٣٦٥- زبراء:

جاريةُ الأحنف بن قيس المشهور بحليم. كانت مشهورةً بصفاتها الذّميمة ولسانها السليط، ومن صفات الأحنف الجيّدة إطاعته لجارته زبراء، وكان المسكينُ لا يرفض لها طلبًا، وكان يجيب على مَنْ يعيبونه بذلك بقوله (كيف لا أطيع شخصًا أحتاج إليه كلّ يوم).

كان الأحنف عاقلًا مدبّرًا، ولكنّه إذا ما أعلن الحرب على شخص أو جماعة فإنّ الناس كانوا يقولون (قد غضبت زبراء) في إشارة إلى أنّه كان حليمًا مُطيعًا لجاريته. ورغم أنّ كتاب شرح العيون الذي يعدّ شرحًا لرسالة ابن زيدون أوردَ القصّة السابقة على أنّها سبب المثل المذكور، إلّا أنّ الظّاهر في كتاب مجمع الأمثال وتاج العروس الذي هو شرح

للقاموس أورد المثل (قد هاجت زبراء) دلالة على حدّة زبراء، وأطلق المثل على كلّ مَن يهيج أو يغضب.

وزبراء أيضًا اسمُ سيّدة من معاتيق بني عدي، ولها رواية عن حفصة. كما توجد معتوقة أخرى لسيّدنا علي كانت تسمّى زبراء، ولها أيضًا أحاديث روتها عن علي. وزبراء بنت شن، وهي سيدة من قبيلة قضاعة.

٣٦٦- زبيبة:

هي زبيبة والدةُ عنترة بن شداد، وقد سمّيت زبيبة نسبة لأنّها كانت جارية سوداء تشبه الزّبيبة، ابنها عنترة بن شداد من شجعان شعراء العرب الجاهليّين، وهو صاحب المعلقة المشهورة، لم يعترف والدُه به لأنّه كان أسود مثل أمّه، فقد كانت عادة العرب في الجاهليّة أنْ يخيّروا بين نسب الابن لهم أو عدم نسبه إذا كان من جارية، ولذا لم يعترف أبوه به، وعدّه من جُملة عبيده، نشأ عنترة نشأة الفرسان الشّجعان فقد كان قويّ البنية شجاعًا في القتال، وفي إحدى غارات القبائل المجاورة على قبيلة بني عبس، أوشكت قبيلة بني عبس على الهزيمة، فطلب أبوه منه أنْ يقاتل فقال له (كرّ يا عنترة) فقال له (العبد لا يحسن الكرّ إنّما يحسن الحلب والصرّ) فقال له كرّ وأنتَ حر، وبذلك اعترف به ابنًا من أبنائه، فقال عنترة تلك الأرجوزة (أنا الهجين عنترة كلّ امرئ يحمي حره أسوده وأحمره). ولأنّه كان أسود وشفته مفلوقة فكان يلقّب بعنترة الفلحاء. كما كان عنترة من أغربة العرب، وهو لفظ كناية عن السّواد في البشرة، وقد أطلق هذا اللّقب على العديد من عرب الجاهليّة والإسلام ومنهم (عنترة بن شداد) و(خفاف بن ندبة) و(أبو عمير بن الحباب)، و(سليك بن السلكة) و(هشام بن عقبة أبي معيط). وكلّهم كانوا من العرب الجاهليّين، ما عدا هشام بن عقبة فكان من المخضرمين على حسب ما قال صاحب القاموس، والمخضرمون همُ الذين عاشوا في الجاهليّة وأدركوا الإسلام، فقد أدرك هشام بن عقبة الإسلام، حتّى أنّ والده عقبة نفسه أدرك الإسلام، وكان يؤذي النّبيﷺ فدعا النّبيّ عليه، وهذا مذكور في البخاري في باب الوضوء، والآية الكريمة التي تقول

(ويوم يعضّ الظالم على يديه) المقصود بالظّالم هنا عقبة المذكور.

ومن أغربة العرب المسلمين عبد الله بن حازم وعمير بن أبي عمير وهمام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر بن أوفى وثابت بن جابر الملقّب بتأبّط شرًّا، ثابت بن جابر والشّنفري وحاجز.

٣٦٧- زبيدة أمّ جعفر:

زوجةُ هارون الرشيد، اشتهرت بكثرة خيراتها وإنفاقها على الفقراء. حقيقة أنّ مناقبها في الخير والإحسان كثيرة وتزدان بها الكتب، ولكنّنا أوردنا بعضًا منها لنبين مزيّتها فقط. لمّا توفّي هارون الرشيد تولّى مكانه العرش ابنه المأمون، وقد أظهر تحقيرًا ومهانة لزبيدة أمّ جعفر لأنّه ابن محمد الأمين العباسي ابن هارون الرّشيد وأخوه لأبيه، وقد كان قائد الجيش طاهر الأعور هو السّبب في تلك المهانة التي تعرّضت لها، فأرسلت زبيدة رسالةً إلى الخليفة تشتكي فيها من الجور الذي تعرّضت له، نقلنا جزءًا من المنثور من تلك الرّسالة من كتاب حديقة الأفراح، وجزءًا من المنظوم منها من شرح الشرشي:

«كلّ ذنب يا أمير المؤمنين وإنْ عظم صغيرٌ في جنب عفوك، وكلّ زلل وإنْ جلّ حقير عند صفحك، وذلك الذي عودك الله، فأطال مدّتهم وتمّم نعمتك وأدام بك الخير ودفع بك الشّر، هذه رقعة الوالة التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر وفي المات لجميل الذّكر، فإنْ رأيتم أنْ ترحم ضعفي واستكانتي وقلّة حيلتي، وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالبًا وفيه راغبًا فافعل، وتذكر مَن لو كان حيًّا لكان شفيعي إليك.

أخير إمام قام من خير عنصر
وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الولين فخرهم
إلى الملك المأمون من أمّ جعفر
كتبت وعيني تستهلّ دموعها إليك
ابن عمّي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى النّاس منك قرابة
ومن زال عن عيني فلّ تصبّري
أتى طاهر لا طهر الله طاهرًا

فما طاهر في فعله بمطهر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرًا
فأنهب أموالي وأحرق أدواري
يعزّ على هارون ما قد لقيته
ما نالني من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنين قرابتي
فديتك من ذي قربة متذكر
فإنْ كان ما أبدى لأمر أمرته
صبرت لأمر من قدير مقدر
وإن كان ما قد كان منه تعديًا
عليّ أمير المؤمنين فغيّر

والهمزة الموجودة في كلمة أخير في أوّل البيت أداة نداء. وصلت رسالة زبيدة إلى الخليفة المأمون بيد جارية تدعى خالصة من جواري زبيدة، ولمّا فتح المأمون الرسالة وقرأها بكى بكاءً شديدًا وقال مثلما قال علي حينما أتاه خبر استشهاد عثمان (والله العظيم لم آمرْ بهذا الفعل، ولا أرضى عنه أصلًا) ودعا على طاهر الأعور، وأرسل رسالة مواساةٍ للسيدة زبيدة، وأعاد إليها كلّ أموالها المغتصبة.

ولإيضاح الأبيات المذكورة نقول إنّه ثمّة علاقة قرابة بين زبيدة والمأمون، لأنّ زبيدة كانت ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور، وكان ابن عمّ هارون الرشيد، وبالتّالي كان المأمون ابن ابن عمّها فهو المأمون بن هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور.

أمّا طاهر المذكور فهو أحد الأمراء العباسيّين، وكان اسمه أبا الطيب طاهر بن الحسين المعروف بذي اليمينين، وسبب تلقيب الخليفة له بهذا اللّقب أنّه شقّ رجلًا نصفين في إحدى المعارك بيده اليسرى فعدت يده اليسرى يمينًا، كما كان أعور، لذا أنشد فيه أحد الشعراء هذا البيت:

يا ذا اليمينينْ وعين واحدة
نقصان عين ويمين زائدة

وقد نسب ابنُ الأثير في كتابه الكامل الأبياتِ المذكورة لزبيدة لشاعر يدعَى خزيمة بن الحسنة، وهذا بالطبع خطأ.

وهذه أيضًا من الحكايات التي تدلّ على لطف طبع زبيدة ودرايتها، ذات

يوم نظم أحد الشّعراء الأبيات التّالية أمام زبيدة:

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لسائلك المثاب

تعطين من رجليكِ ما تعطي الأكف من الرغاب

ولمّا همّ الموجودون معها بالهجوم على الشاعر منعتهم وقالت لقد قصد خيرًا، ولكن خانه التعبير، فقالت له أفصح عما تقول فقال والله ما قصدت إلّا أنّ أقول (شمالك أندى من يمين غيرك) ولكنّي ظننتُ أنّ كلمة رجليك ستكون أجمل فقلتُها، فقالت زبيدة أعطوه ما يريد وأخبروه بخطئه، وبذلك أرسلت الأعرابي سعيدًا.

وعلى هذا فإنّ أمّ جعفر زبيدة صاحبة التّرجمة هي حفيدة أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني مؤسس مدينة بغداد المعروف بجعفر الأكبر، وابنة عمّ هارون الرشيد، وعلى هذا فإنّ هارون الرّشيد كان سيعدّ حفل زفاف لا مثيلَ له عندما يتزوّج سيّدة من نفس عائلته، وتوضّح كتب الأدب الإسلامي أنّ أعظم حفل زفاف تمّ في التّاريخ الإسلامي كان حفل هارون الرّشيد وزبيدة، وحفل المأمون وبوران سابقة التّرجمة.

لم يكنْ هناك إحصاء للهدايا التي قُدّمت لزبيدة في حفل زفافها، فقد كانت الأطعمة والشّربات تقدّم في أوانٍ وكئوس من الذهب والفضّة، ومعطّرة بالأنواع المختلفة من العطور والمسْك، وكانت زبيدة ترتدي فستانًا من اللؤلؤ، لا يقدّر بثمن.

ومن حفلات الزّواج الكبرى في التاريخ الإسلامي أيضًا حفلُ زواج الأمير بايزيد ابن السّلطان مراد على سلطان خاتون ابنة أمير قرمان علي بك، وذلك عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م، وقد كان هذا الحفل كبيرًا وعظيمًا، وإن كان التّعبير صحيحًا يمكن القول بأنّه كان أكبر من الحفليْن السّابقين، فقد دُعي كافّة أمراء وسلاطين العالم الإسلامي إلى هذا الحفل، فأحضروا جميعًا السّفراء من قِبلهم بالهدايا العظيمة، وقد قدّم أورانوس بك في هذا الحفل

بمفرده ١٠٠ جارية و١٠٠ عبد كهديّة للزّفاف، العشرة الأوائل منهم كانوا يحملون أطباقًا فضيّة مملوءة بالذهب، والعشرة التّاليون كانوا يحملون أطباقًا من الذهب مملوءة بالفضّة الخالصة، أمّا الثمانون الباقون فكانوا يحملون أواني وكئوسًا وشمعدانات من الفضّة الخالصة، وعليكم أنْ تتخيّلوا ثراء تلك الدّولة في هذا الوقت من هذه الهدايا.

ويقول منجم باشي في تاريخه إنّ سفراء ملوك الجوار لمّا رأوا هدايا أورانوس بك، وكان أحدَ رجال الدولة العثمانيّة في ذلك الوقت خجلوا من أنفسهم من الهدايا التي جلبوها لأنّهم شعروا أنّها قليلة جدًّا بالنّسبة لما أحضره. وقام السلطان مراد بإرسال هدايا أورانوس بك إلى سلطان مصر مع سفيره، وأعطى لأورانوس الهدايا التي أرسلها سلطان مصر، كما وزّع السلطان مراد الهدايا الأخرى الواردة من الملوك والسلاطين الآخرين على القادة والصّالحين والعلماء. ولم يترك شيئًا لنفسه.

٣٦٨- زبيدة القسطنطينة:

يذكرُ تاريخ مرادي أنها ابنة أسعد أفندي ابن إسماعيل أفندي شيخ الإسلام، وهي والدة الشّاعرة المشهورة فطنة، اشتغلت بتحصيل العلم، وتعلّمت الفقه واللغة والأدب، ونظمت الأشعار الفارسيّة والتركية، وكانت تمدح سلاطين ووزراء عصرها، أفنتْ عمرها في مطالعة الكتب، لها ديوان مرتّب ولولدها وأخيها شيخ الإسلام شريف أفندي ديوانان صغيران، تمّ جمع الدّواوين الثلاثة في ديوان واحد.

كانت زبيدة المذكورة زوجة نقيب الأشراف درويش أفندي، توفّيت مثل أخيها في شهر ذي القعدة لعام ١١٩٤هـ ودفنت في فناء جامع أيوب.

وكلام مرادي عن فطنت هو نفس الكلام المذكور عن زبيدة المذكورة، وتوصّل إلى نتيجة بأنّ فطنت هي زبيدة، وأنّ لفظ أمّ الفطنت إنّما هو خطأ مِن لفظ فطنت.

٣٦٩- زرقاء:

هي المعروفة بزرقاء اليمامة، سيدة كانت تُعرف بحدّة البصر من قبيلة جديس القديمة، وقد كان العرب يقولون إنّها ترى الشيء على مسافة مسيرةِ ثلاثة أيام، وضُرب بها المثل في حدّة البصر، فكان يقال (أبصر من زرقاء اليمامة). واليمامة كان اسمَ تلك المرأة قديماً، ثمّ أصبح اسم البلدة (وهي على حسب تعيين صاحب القاموس الأرض الواقعة شرق مكّة والمدينة على مسافة ١٦ مرحلة من شط العرب إلى البصرة والكوفة). ولأنّ عينيها كانتا زرقاوين أطلق عليها زرقاء، وكانت تسمّى قبل اليمامة جو فأضيف لفظ جو إلى زرقاء (زرقاء جو) وقد ورد ذلك في فخريّة المتنبي:

وأبصر من زرقاء جو لأنني
إذا نظرت عيناي شاءهما علمي

ومن الحكايات التي تدلّ على حدّة بصر زرقاء أنه كانت توجد عداوة قديمة بين قبيلتها قبيلة جديس، وقبيلة طسم الموجودة في أرض اليمامة، وفي بادئ الأمر قام الجديسيون بتشتيت قبيلة طسم، ثمّ بعد ذلك دبت العداوة بين قبيلة جديس وبين بني حمير، الذين كانوا يحكمون في اليمن في ذلك الوقت، وبينما كانت زرقاء تجلس في المكان المرتفع المخصّص لها للمراقبة والنظر إذا بها ترى مِن على مسافة ثلاث مراحل أهل حمير يأتون، وكأنّ الشجر يتحرّك، فقالت لقومها (يا قوم قد أتتكم الشّجر أو أتتكم حمير) وذلك لأنّ أهلَ حمير كانوا يجرّون في أيديهم أغصان الأشجار ليتوهم مَنْ يراهم من بعيد أنهم أشجار، ولم يصدّق أهل زرقاء ما قالته، ولمّا اقترب أهل حمير أكثر أقسمت لهم زرقاء قائلة (أقسم بالله لقد دبّ الشجر، أو حمير قد أخذت شيئًا يجر) ولم يستمعْ لها قومها أيضًا وقالوا لها لقد فسدت عيناك، ولم يشعر قومُها إلّا والحميرون على رءوسهم وهزموهم.

وبخلاف حدّة البصر التي اشتهرت بها زرقاءُ اليمامة كانت تشتهر أيضًا بالحكمة، وقد ضرب بها المثل في الحكمة، فكان

يقال (أحكم من زرقاء اليمامة)، وقصّة هذا المثل أنها كانت تقف ورأتْ سربًا من الحمام يطير في السماء فنظمت بيتيْن من الشّعر مفادهما أنها تتمنّى لو أنّ هذا الحمام ونصفه على ما عندها سيكتمل، ويكون مائة، ولمّا عدوا الحمام الذي في السماء وجدوه ٦٦ حمامة، وبذلك يكون نصفُه ٣٣ حمامة أي ٩٩ على ما عندها، وكانت حمامة واحدة فيصير المجموع مائة، والبيتان هُما:

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قد يتم الحمام مية

كما نظمت أبياتًا تعتذر فيها إلى الشاعر النّابغة النّعمان بن المنذر تقول:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت
وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلانا أسألها
عيت جوابًا وما بالربع من أحد

وهي القصيدة المشهورة التي مطلعها:

فمَن أطاعك فانفعه بطاعته
كما أطاعك وأدِ الله على الرشد
ومَن عصاك فعاقبه معاقبة
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

ثمّ أردفت تقول:

وأحكم كحكم فتاة الحي
إذْ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه
مثل الزّجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليت هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما ذكرت
تسعًا وتسعين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها
وأسرعت حسبة في ذلك العدد

والمقصود بفتاة الحي هي الزرقاء، ومثل الزّجاجة لم تكحل من الرّمد أي عينيها، ونيق أي أعلى نقطة في الجبل.

استطراد

النّابغة كان لقبَ أربعةٍ من الشعراء الكبار هُم النّابغة الذبياني زياد بن معاوية، النّابغة الجعدي قيس بن عبد الله، والنابغة الحارثي يزيد بن إبان،

والنابغة الشيباني جميل بن سعد، وقد أدركَ النّابغة الذبياني والنابغة الجعدي الإسلام، وأسلما وكانا من الصّحابة، وقد عمّر النابغة الذبياني كثيرًا، ويذكر ابنُ الأثير أنه عمّر كثيرًا وكان له أبناءٌ كثيرون، وقد عاش قرابة المائتي عام، وأدرك عهد ابنِ الزبير.وله هجائيّة في ليلى الأخيليّة الآتية التّرجمة، وأحواله مذكورة في الكتب التي تتضمّن أحوال الصحابة.

وقد ذكر أبو القاسم الآمدي في كتابه (المؤتلف والمختلف) نقلًا عن شرح شواهد الكشّاف أربعة نوابغ آخرين غير المذكورين وذلك حينما ذكر البيت القائل:

لا تمدحــنّ فتــى حتّــى تجرّبــه
ولا تذمّنــه مــن غــير تجريــب

وقال إنّ ناظم هذا البيت هو النّابغة الذهلي عبد الله بن المخارق، وذكر أيضًا النابغة بن لاي بن مطيع الغنوي، والنابغة العدواني، والنابغة بن قتال بن يربوع الذبياني والنابغة التغلبي الحارث بن عدوان، إلّا أنّه يجب مطالعة ومراجعة وتصحيح تلك الأبيات نظرًا لأنّها تخالف القاموس.

٣٧٠- زرقاء بنت عدي:

هي امرأةٌ من الكوفة ورد ذكرُها في كتاب المستطرف في الباب ٣٦ الخاصّ بحكم معاوية. كانت ضمن جيش علي في موقعة صفّين، وقد قرأت الخطبة التّالية البليغة على الجنود لحثّهم على القتال: «أيّها النّاس، إنّ المصباح لا يضيء في الشّمس، وإنّ الكواكب لا تضيء في القمر، وإنّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلّا بالحديد، إلّا مَن استرشدنا أرشدناه، ومنْ سألنا أخبرناه. إنّ الحقّ كان يطلب ضالة فأصابها، فصبرًا يا معشرَ المهاجرين والأنصار، فكأنكم وقد التأمَ شملُ الشّتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحقّ باطله فإنّه لا يستوى المحقّ والمُبطل، أفمنْ كان مؤمنًا كمنْ كان فاسقًا لا يستوون، فالنّزال النزال،

والصّبر الصبر. ألا وأنّ خضاب النّساء الحناء، وخضاب الرجال الدّماء، والصّبر خير الأمور عاقبة، ائتوا الحرب غيرَ ناكصين؛ فهذا يومٌ له ما بعده».

ووردَ اسم زرقاء أيضًا في كتاب تزيين الأسواق (ص ١٧٢) وهي جارية مغنّية معشوقة ابن رامين.

٣٧١- زغار:

اسمُ ابنة سيدنا لوط، سمّيت بهذا الاسم لأنهم كانوا يقيمون في قرية بنفس الاسم بجوار الشّام، وتوجد عين هناك تسمّى عين الزّغار، جفافها علامة خروج الدّجال. (من القاموس).

٣٧٢- زليخة:

هي زليخةُ يوسف، كانت فريدةَ عصرها في الجَمال، وهي زوجة أحد حكّام مصر. حكايتها مع سيّدنا يوسف معلومة للجميع، كما روتْ قصّتها نظمًا ونثرًا، لذا لنْ نطيل الكلام فيها، وقد تزوّجت من سيدنا يوسف، وأنجبت منه أفرايم وميشا، وبنت باسم رحمت، ورغم أنّ ابن الأثير وأبا الفدا يذكران في تاريخيْهما أنّ اسمها راعيل، إلّا أنّه يجب أنْ يكون هذا اسمها الثاني.

٣٧٣- زمرد:

محدّثة باسم زمرّد، من مشاهير نساء القرن السّابع الهجري، زوجة مولانا أسير الدين، وأمّ ندار، تعلّمت الحديث على يد المحدثين المشْهورين، ثمّ بدأت تدرس الحديث.

روتِ الحديث عن المحدث الأبرق، وهي الدّمياطي وابن الصواف وابن السقطي، والعجوري، وعبد القادر بن الثقبي، وزينب الأسيرديّة الآتية التّرجمة فيما بعد.

ظلّت مع زوجها ٤٠ عامًا إلى أنْ توفّيت في ١٦ ربيع الآخر عام ٧٣٠هـ، ودفنت بجوار ابنتها ندار في مصر.

٣٧٤- زنيرة:

زوجةُ صحابيّ من أصل رومي. كانت جارية لمشرك من أبناء بني مخزوم أو بني عبد الدار، ثمّ أسلمت، ولمّا علم سيدها بإسلامها عذبها، ولمّا علم سيدنا أبو بكر بذلك اشتراها وأعتقها.

ويذكر ابن الأثير أنّ زنيرة لمّا أسلمت فقدتْ نورَ عينيها، وكان المشركون يقولون لها لقد أعماكِ اللات والعزّى لأنّها تركت دينهما. فكانت تردّ عليهم وتقول إنّ اللات والعزّى صنمان لا يعلمان شيئًا، إنّني قد عميت بقضاء الله، والله قديرٌ على أنْ يعيدهما إليّ، فاستيقظت في الصّباح وهي ترى، فلمّا رأى المشركون ذلك قالوا هذا مِن سحر محمد.

٣٧٥- زهرة:

هي أمّ الحياء الأنباريّة المذكورة في حرفِ الهمزة، وهي محدّثة مشهورة. وزهرة اسمٌ من أسماء الرّجال، ومَنْ ظنّ بأنه اسم من أسماء النّساء فقد أخطأ لأنّ أخا جدّ النّبيﷺ كان يدعَى زهر، وهو زهرة بن كلاب، وهو أيضًا جدّ السيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول لأبيها.

استطراد:

ومِن الكواكب السيّارة كوكب الزهرة، وقيل إنّ سببَ تسميته بهذا الاسم أنّه كانت توجد سيدة جميلة في مدينة بابل قديمًا تسمّى زهرة، وقد تعلّمت السّحر على يد الملكين هاروت وماروت اللّذين أنزلهما الله تعالى، وأنّها بعد أنْ تعلّمت منهما السّحر أغوتهما على المعاصي والشّرك، وتمكّنت من الصّعود إلى السماء بقوّة الاسم الأعظم، وبينما هي في السّماء الثالثة وجدت كوكبًا مضيئًا فظلّت فيه، وهذا محكيّ عن طائفة اليهود بناءً على ما صرّح به علماء المسلمين. حقيقة لا يوجد في الإسلام اعتقاد كهذا، وقد أوضح خاتمة المحقّقين جلال الدين الدّواني في كتابه العقائد العضديّة بأنّ هذا الاعتقاد لم يكن موجودًا، ويقول بأنّ سياق تلك القصّة يدلّ على كذبها لأنّه إذا كانت تلك الفاجرة المسمّاة زهرة قد تعلّمت من الملكين الاسم الأعظم، وتمكّنت من الصعود إلى السماء وبقت بها، فلماذا لم يصعد الملكان أيضًا إلى السماء وبقيا في الأرض؟ ولا يوجد في الكتاب أو السّنة ما يؤيّد تلك القصّة».

وأفضل ما قيل عن مسألة إنزال هاروت وماروت إلى الأرض هو ما قاله ابن تيمية حيث يقول «كان السّحر قد راج كثيرًا في تلك الآونة واشتغلَ النّاس به، ولأنّ الكثير من الناس استعانوا بالسّحر في استنباط الأمور وادّعوا النبوّة، فأنزل الله تعالى الملكيْن ليعلّما الناس السّحر الصحيح، ليتمكّنا من معارضة ومناظرة السحرة الكفار، وليتمكّنا به من التفريق بين السّحر والمعجزة». وقد ورد في ترجمة القاموس أيضًا أنّ الكلام السّابق الذي زعمه اليهود يمكن أنْ يكون مبنيًّا على رموز الأوائل أو إشارات الحكماء.

فقد شُبه العقل والرّوح بالملكين، والنفس بزهرة، وانهزم العقلُ والروح أمام النفس الأمارة، ومالا إلى الشّهوات التي تطلبها النفس، ولأنّهم خرجوا من حالتهم أصبحوا كالرّجال الذين يعشقون النّساء، وبذلك انحطوا عن درجتهم الأصليّة بعد وصولهم إلى درجة الكمال المطلوبة والمتوقّعة، وبالتالي كانوا وكأنهم حُبسوا في سجن، ولنفترض أنّ شخصًا كثيرَ الخير والطاعة، ويتّصف بالأخلاق الملائكية، وأطاع هذا الشخص نفسَه الأمّارة بالسوء ماذا سيحدث له، سيهوى من قمّة السماء إلى قاع الأرض، وبالتالي سيتكدر صفو أنسِه، وستتحوّل نار شوقه ومحبّته إلى خمود، وسيصبح بينه وبين المحبوب الحقيقي حجب ظلمات الهجر، ولكنّه إذا تمسك بحبل التّوفيق والعناية الإلهيّة سيرتقي من حضيض عالم الطّبيعة إلى عنان سماء الصّفاء والروحانية، وسيرتقي المنازل السّنيّة والمقامات الملكية، وقد أشارَ رئيس العقلاء الشّيخ ابن سينا إلى هذا المضمون في قصّة سلامان وإبسال في أواخر كتابه الإشارات.

٣٧٦- زيتونة:

يتّضح من كتاب النفحات أنّها متصوّفة من عهد جنيد، كان اسمُها فاطمة، كانت تخدم وتلازم أبا حمزة.

٣٧٧- زين الدار:

بنتُ المؤدّب علي بن يحيى، سيدة فاضلة وفقيهة، اسمُها وجيهة، أمّا زين الدّار فهو لقبها، ذكرها صلاح الدين الصفدي في كتابه (عنوان النّصر) الذي يضمّ تراجم لمشاهير عصره، ورغم أنه علّق ترجمة حالها إلى حرف الواو، إلّا أنّ النسخ التي رأيتها من الكتاب لم أرَ بها ترجمتها في حرف الواو.

٣٧٨- زين العرب:

بنتُ تاج الدين عبد الرحمن بن عمرو بن حسن بن عبد الله السلمي الدمشقي، محدّثة مشهورة، معروفة باسم (بنت الجوبراني)، قرأت كتابَ (أربعين السّباعيات) في علم الحديث لعبد المنعم الفيزاري على الشيخ تاج الدين القرطبي، ثمّ قامت بتدريسه عدّة مرّات بعد ذلك، كما أخذت علمَ الحديث من الشيخ المحدّث العزّ عبد العزيز بن عثمان الأردبيلي، كما حصلت على الإجازة من بعض المشاهير أمثال الحافظ السخاوي، وأبي طالب بن صابر، وإبراهيم الخشوعي والمحدّثة المشهورة كريمة، وابن عساكر. ولدت عام ٦٢٨هـ تقريبًا، وبوفاة زوجها كمال ابن العماد الأستراوردي وهو من أعيان عصرها عام ٦٨٥هـ لم تتزوّج بعده، وذهبت إلى الحج، وجاورت مكّة المكرمة لفترة، وأصبحت شيخة رباط الحرمين، وتوفّيت عام ٧٠٤هـ.

٣٧٩- السيدة زينب:

ابنةُ رسول الله ﷺ، وكانت أكبر أبنائه، والدتُها السيدة خديجة، وقد أنجبتْها وعمرُ النّبيّ ٣٠ عامًا، زوّجها النّبيّ لابن أخت السيدة خديجة وهو أبو العاص بن الربيعة بن هالة بنت خويلد، وقد أنجبت منه غلامًا باسم علي، وفتاة باسم أمامة، وقد توفّي علي في حياتها، أمّا أمامة فقد عاشت وتزوّجت بسيدنا علي، وبعد استشهاده تزوّجت المغيرة بن نوفل بناءً على وصيّته، ولكنها لم تنجب منه، فقد انقطعَ النّسل النبوي من كلّ بنات النّبيّ ما عدا فاطمة، توفّيت السيدة زينب في عام ٨ هـ ودُفنت في مصر.

٣٨٠- زينب الصّغرى:

ابنةُ سيدنا علي، أنجبها من إحدى جواريه، وزوّجها بابن عمّه محمد بن عقيل.

٣٨١- زينب بنت أبي سلمة:

هي زينب ربيبةُ النّبي، من فقيهات الصّحابيات، اسمها الأصلي برّة، وقد ذكرناها في حرف الباء.

٣٨٢- زينب بنت أحمد:

المعروفةُ بأمّ محمد زينب، محدّثة مقدسية، والدةُ المهندس الشّيخ محمد بن أحمد القصاص. تفرّدت في عصرها بتدريس الحديث، كانت تستمعُ إلى الحديث من ابن اللتي، وجعفر الهمداني، ثمّ أصبحت تدرس الحديث في الشام ومصر والمدينة المنورة والقدس الشريف. كانت تقيم بشكلٍ دائم مع ابنها المذكور، وكان كلما يذهبُ إلى مكان يأخذها معه. وُلدت عام ٦٤٥هـ، وتُوفيت عام ٧٢٢هـ.

٣٨٣- زينب بنت أحمد كمال الدين:

ابنُ عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسيّة، وهي محدّثة من أهل المقدس، كانت تُعرف باسم زينب بنت الكمال، استمعت إلى علم الحديث، وتعلّمت على يد المحدّث محمد بن عبد الهادي، وإبراهيم بن خليل، وابن عبد الدايم، والخطيب المردا، وعبد الحميد بن عبد الهادي، وعبد الرحمن بن أبي القاسم البلداني، كما حصلتْ على الإجازة من إبراهيم بن الخير، ومجموعة من محدّثي بغداد، وقد ذكرها صلاح الدّين الصفدي في كتابه عنوان النصر على ما هو مشروح، وقال لقد حصلت على الإجازة من المذكورة في الشّام الشريف عام ٧٢٩هـ. ومن العلماء الذين تعلّموا الحديث على يد المذكورة أيضًا مولانا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي صاحب كتاب إعراب القرآن، وهو مِن إعلام علماء اللغة والنحو، كانت المذكورة من المحدّثين المعمّرين،

فقد تجاوزَ عمرها التّسعين، فقد تُوفّيت في التاسع من شهر جمادى الأولى لعام ٧٤٠هـ عن عمر يناهز ٩٤ عامًا.

٣٨٤- زينب ابنة إسماعيل:

المعروفةُ بلقب (مسندة الشّام) وهي شيخة المحدّثة السّابقة التّرجمة أمة العزيز بنت المحدّث نجم الدين، تعلّمت الحديث على يد المحدث المشهور ابن عبد الدايم، وآخرين، كانت أيضًا من المحدّثات المعمّرات، فقد تُوفّيت وعمرها يجاوز التّسعين، فقيل إنّها تُوفّيت في شهر المحرّم لعام ٧٥٠هـ وقيل في أواخر شهر ذي الحجّة لعام ٧٤٩هـ.

٣٨٥- زينب بنت جحش:

ابنُ رباب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية، من زوجاتِ النّبيّ ﷺ، وقد ورد زواجُها من الرّسول في القرآن في قوله (زوّجناكَها) والحكمة من زواج النّبيّ منها في قوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم)، كانت بنتَ خالة النّبيّ من جهة الأمّ، فقد كانت ابنة أميمة بنت عبد المطلب، اشتهرت بالجود والسّخاء والإنفاق في سبيل الله، وقد أشار النّبيّ ﷺ في حديثه الذي خاطب به أهلَ بيته حينها قال (أسرعكنّ لحوقًا بي أطولكنّ يدًا) أي أنّ أوّل زوجة ستلحق برسول الله بعد وفاته ستكون هي الأطول يدًا أي في الجود والإنفاق، وكانت السيدة زينب بنت جحش.

ذكر في مسامرات محيي الدّين أنّها روت عشرةَ أحاديث فقط عن النّبيّ ﷺ.

٣٨٦- زينب بنت الحارث اليهودية:

زوجةُ سلام بن مشكم، وهي اليهوديّة التي أعدّت شاةً للنّبيّ ﷺ وأصحابه ليأكلوا منها، وكانت مسمومة، وبعد أنّ أكل النّبيّ لقمةً واحدة من الشّاة علم بوحي من الله أنها مسمومة فرفع يده، وقال لأصحابه ارفعوا أيديكم عن الشّاة فإنّها مسمومة، ولمّا سألها النّبيّ ﷺ عن سبب فعلتها قالت «لأنّك لو كنت نبيًا حقًّا، سينجّيك الله، وإن كنت كذابًا فستموت ويريحنا الله منك، ولكنّ الله

أنقذك، لذا فأنا آمنتُ بك، وأسلمت، ورغم إسلامها، إلّا أنها لاقتْ جزاء ما اقترفته من ذنب بعد ذلك؛ فقد كان يشارك النّبيّ في هذا الطّعام بعض الصحابة، منهم بشر بن البراء بن بعرور، الذي مات في الحال بعد أنْ تناول لقمة من الشّاة، فقام أولياؤه بالقصاص من زينب المذكورة، ولأنّ الرسول مصون ومحفوظ من قبل الله تعالى لم يصبْه أذى من تلك الشّاة، فقام على الفور بعمل حجامة على كتفه في المكان الذي أصيب بالسّم من الشاة، وبرأ، ولكنّه في الحقيقة ظلّ يعاني من أثر هذا السّم حتّى آخر عمره، فقد روي عنه عليه الصّلاة والسّلام أنّه قال (ما زالت أكلة خيبر تعادني، فالآن أوان قطعت أبهري).

ويذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أنّ النّبيّ أخذ لقمة من الشّاة، ولكنه لم يمضغها ورفع يده عن الطعام.

٣٨٧- زينب بنت حدير:

زوجةُ القاضي شريح من كبار التابعين، من عفيفات وشريفات نساء بني تميم، امتدحها القاضي المشار إليه في الأبيات التالية:

إذا زينب زارها أهلها
حشدت وأكرمت زوارها
وإنْ هي زارتهم زرتهم
وإنْ لم أجد لي هوى دارها
فسلمي لَمَن سالمت زينب
وحربي إنْ لم أشعلت نارها
ومازلت أرعى لها عهدها
ولم أتبع ساعة عارها

ويمدح القاضي شريح زينب زوجته في الأبيات السّابقة رغم أنّ نساء بني تميم يشتهرن بسوء الخلق، إلّا أنّ زوجته كانت حسنة الخُلق، كما يتعجّب من الرجال الذين يضربون زوجاتهم وزوجته جميلة حسنة الأخلاق، وهذا واضح في الأبيات التالية:

رأيت رجالًا يضربون نساءهم
فشلّت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل منّي ضرب من ليس مذنب

فزينبُ شمس والنساء كواكب
إذا طلعت لم تبق منهنّ كوكبا
فتاة تزين الحلي إنْ هي حليت
كأنّ بفيها المسك خالط محلبا

ويُحكى في المستطرف أنّها في الليلة التي زفّت فيها إلى القاضي شريح صلّت ركعتين لله، وأمرتْ زوجها أنْ يصلّي ركعتين لله هو الآخر وأنْ يسأل الله خير زوجته، ويعوذ به من شرّها، وبعد أنْ صلّى هو الآخر، قامت فقالت له (سيدي أنا فتاة غريبة عنك، ولا أعلم ما يرقوق أو ما يسعدك، فأخبرني بها حتّى أنفذها لك، وأخبرني بما لا تحبّه فأجتنبه، فأنت قد ملكتني بقضاء الله، ونحن لا نعلم طباع بعضنا البعض، لذا فإمّا أنْ تمسكني بمعروف أو تسرحني بإحسان، وهاأنذا أدعو الله بأنْ يغفر الله لي ولك) حقيقة لقد أثبتت زينب درايتها وأهليّتها بهذا الكلام.

٣٨٨- زينب بنت السعدي:

ابنةُ محيي الدين أبو نافع محمد بن عبد الله السعدي الأزهري، سيّدة محدّثة من مشايخ الإمام السّيوطي، ذكرها الإمام السيوطي في كتابه المنجم، ولدت عام ٨١٧هـ، وحصلت على الإجازة في علم الحديث من المحدّث الشرف بن الكويك، والمحدثة رقيّة بنت القاري.

٣٨٩- زينب بنت سليمان:

ابنُ إبراهيم بن رحمة الأسعردية، كانت من الشّام، ثمّ انتقلت للعيش في مصر، محدّثة مشهورة، كانت لها مهارةٌ كبرى في علم سند الحديث، لذا أطلق عليها الصفدي في كتابه أعيان النّصر (المسندة الدمشقية)، تعلّمت الحديث على يدِ الزبيدي صاحب كتاب مختصر صحيح البخاري، وشمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري، وابن الصباح، كما تتلمذت على يد المحدّثة المشهورة كريمة، وحصلت على الإجازة من أشخاص عدّة، ويقول الصفدي تعلم أستاذنا الذّهبي على يد المحدّثة المذكورة زينب بنت سليمان، تُوفيت عام ٧٠٥هـ عن عمر يناهز ٩٠ عامًا.

وزينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، سيدة من أسرة خلفاء بني العباس، كانت ابنة عمّ الخليفة المنصور، ولمّا تُوفّي ابنها أرسلَ لها الخليفة المأمون تعازيه واعتذاره عن عدم تمكّنه من الحضور الجنازة بنفسه، وأرسل بالنّيابة عنه ابنه صالح، فغضبت زينب لذلك، وأمرتْ حفيدها بأنْ يصلّي على والده، وأظهرت انفعالَها على الخليفة المأمون في هذا البيت:

سبكناه ونحسبه لجينا
فأبدى الكير عن خبث الحديد

والبيت مذكور في تاريخ الكامل، وقال وإليها يُنسب الزّينبيون من العباسيّين.

٣٩٠- زينب بنت الشعري:

هي المعروفة بلقب أمّ المؤيد زينب، وتُعرف أيضًا بزينب الشّعرية، سيدة عالمة وفاضلة، تربّت على يد بعض علماء عصرها، وحصلتْ منهم على الإجازات المختلفة، استمعت إلى دروس أبي محمد إسماعيل بن القاسم بن أبي بكر النيسابوري القاري، وأبو القاسم زاهر وأخيه أبي بكر وجبة بن طاهر، وأبو المظفر عبد المنعم بن الكريم بن هوازن القشيري، وأبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي، كما حصلت على الإجازة في علم الحديث من الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي، والعلامة جار الله الزمخشري صاحب الكشّاف، ولدت في نيسابور عام ٥٢٤هـ وتُوفيت عام ٦١٥هـ عن عمر يناهز ٩١ عامًا.

٣٩١- زينب بنت الشنوهي:

ابنةُ إبراهيم بن عبد الله الشنوهي، تقول زينب أمّ الخير إنّها كانت محدّثة من أساتذة الإمام السّيوطي، كانت تحضر دروس أبي الحسن بن أبي المجد، وقرأت عليه قسمًا كبيرًا من صحيح البخاري، وختمته على يد الإمام التنوخي والعيثمي والعراقي، تُوفّيت ليلة السبت الموافق السّادس من شهر صفر لعام ٨٧٩هـ.

٣٩٢- زينب بنت الشويكي:

ابنةُ أحمد بن محمد بن موسى الشويكي المكي، وتقول أمّ حبيبة زينب إنّها

أيضًا كانت محدّثة من أساتذة الإمام السيوطي، وُلدت في مكة المكرّمة ليلة الاثنين الموافق ١٢ جمادى الآخرة لعام ٧٩٩هـ، حضرت دروس البرهان بن صديق وهي في الخامسة من عمرها، وقرأت عليه سُنن ابن ماجة، وذكرها الإمام السيوطي في كتابه المنجم في المعجم، وذكر أنّه ألفه من أجلها.

٣٩٣- زينب بنت الطثرية:

ابنةُ سيّدة تدعى طثريّة، من عشيرة قشير التّابعة لقبيلة أزد. وأخت الشّاعر أبي المكشوح يزيد القشيري من شعراء الدولة الأموية، كانت شاعرةً قويّة بليغة، ويستدلّ على متانتها في الشّعر من تلك المرثية، التي نظمتها في حقّ أخيها يزيد المذكور، وهي مُدْرجة في باب المراثي بديوان الحماسة:

أرى الإثل من بطن العقيق مجاوري
مقيماً وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد قدّ السّيف لا متضائل
ولا رهل لباته وبآدله
إذا نزل الأضياف كانوا عذورًا
على الحي حتّى تستقل مراجله
مضى وورثناه دريس مفاضة
وأبيض هنديًا طويلًا حمائله
وقد كان يروي المشرفي بكفّه
ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله
كريم إذا لاقيته متبسماً
أمّا تولى أشعث الرأس جافله
إذا القوم أموا بيته فهو عامد
لا حسن ما ظنوا به فهو فاعله
ترى جازريه يرعدان وناره
عليها عدامل الهشيم وصامله
يجزان ثنيا خيرها عظم جاره
بصيرًا بها لم تعد عنها مشاغله

الأثل أسن نوعٌ من الشجر، والعقيق هنا اسم وادي، غالت ماض مؤنث بمعنى هلكت، غوائل أي مهلكات، قد أي جسم، رهل أي مسترخى، متضائل أي نحيف وضعيف، لبات أي صدر، بآدل شحمة الأذن، المراجل الأواني النحاسية، دريس أي قديم، مفاضة أي واسع، مشرفي أي السيف، وأمّا تولّ بمعنى وإنْ تولى، جافل أي مضطرب،

أموا أي قصدوا جازر أي الآكل لحم الإبل، وهي كناية عن كثرة إطعامه للطعام، عداميل الهيثم أي العشب الجاف، صامل أي يابس، ثنى بكسر الثاء وسكون النون وهي الناقة التي ولدت بقرنين، خبرها الضمير عائد عليه، وبها وعنها الضمير فيهما عائد على جيرانه من النسوة.

ويذكر ابنُ خلكان أنّ للمذكورة أبياتًا كثيرة، منها تلك القصيدة المنسوبة إليها:

أشـمّ إذا مـا جئـت للعـرف طالبًـا
حيـاك بـهـا تحبـو عليـه أناملـه
ولـو لم يكـن في كفّـه غـير نفسـه
لجـاد بهـا فليتـق الله سـائله

كما تُنسب تلك القطعة أيضًا إلى زياد الأعجم، والبيت الثاني منها مذكور في ديوان أبي تمام.

٣٩٤- زينب بنت عبد الرحمن:

ابنةُ محمد بن أحمد بن قدامة، محدثة معروفةٌ من أعيان عصر الصفدي. تعلمت على يد المحدّث المشهور ابن عبد الدايم، وعلى يد والدها، ثمّ أكملت تعليمها على يد بعض العلماء المشهورين، أخذ صلاح الدين الصفدي والمحدث عبد الله بن المحبّ الإجازةَ منها، تُوفيت عام ٧٣٩هـ.

اشتهر جدّها قدامة بالعلم والورع، ووالدتُها هي السيدة المعروفة بأمّ عبد الله ابنة الشّيخ شمس الدين أبو الفرج بن أبي عمرو.

٣٩٥- زينب بنت عمرو:

ابنُ كندي بن سعيد بن علي، وردت في كتاب أعيان الصفدي، كانت زوجة لناصر الدين بن القرقي محافظ قلعة بعلبك في أواخر عام ٦٠٠هـ، جمعت بين العلم والعمل، قضت حياتها في العبادة والتصدق بالأموال على الفقراء، كما بَنَتْ خانًا للفقراء وأوقفت له الأوقاف، كانت فريدة عصرها في علم الحديث والفقه، تعلمت على يد مشاهير العلماء أمثال المؤيد الطوسي، وأبي الروح الهروي، وزينب الشعريّة سابقة الترجمة، وابن الصّفار، وأبي البقاء العبكري شارح ديوان المتنبّي، وعبد العظيم بن

عبد اللطيف الشرابي، وأحمد بن ظفر بن هبيرة، كانت تدرس الحديث في الشّام وبعلبك، تعلّم على يديها المحدّث أبو الحسين اليونيني وأولاده وأقاربه، وابن أبي الفتح وأبناؤه ومعزى وابن النابلسي والبرزالي وأبو بكر الرحبي وابن المهندس.. ويقول الصفدي قرأ أستاذنا الذهبي البخاري الشريف من بدايته إلى باب كتاب النكاح على المذكورة، تُوفيت عام ٦٩٩هـ.

٣٩٦- زينب بنت العوّام:

أختُ الزبير بن العوّام أحد العشرة المبشّرين بالجنة، كانت من جملة الصّحابيات، لّما استشهد ابنها عبد الله بن حكيم، وأخوها الزبير بن العوام في وقعة الجمل نظمت تلك المرثيّة التي نقلناها من كتاب أسد الغابة:

أعينيّ جودي بالدموع فأسرعا
على رجل طلق اليدين كريم
زبير وعبد الله يدعو لحارث
وذي خلة منا وحمل يتيم
قتلتم حواري النّبيّ وصهره
وصاحبه فاستبشروا بجحيم
وقد هدّني قتل ابن عفّان قبله
وجادت عليه عبرتي بسجوم
وأيقنت أنّ الدين أصبح مدبرًا
فماذا تصلّي بعده وتصوم
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما
أصيب ابن أروى وابن أمّ حكيم

ولّما شككت في البيت الثاني راجعت كتاب الإصابة فوجدت أنّ الأبيات بها نقل وقلب، وصحيحها (وقد كان عبد الله يدعى لحارث).

كان يُطلق على سيدنا عثمان بن أروى نسبة لأمّه، وابن أمّ حكيم نسبة لجدّته أمّ حكيم البيضاء، أمّا الزبير فكان يلقب بحواري النبي، فقد ورد عن النّبيﷺ أنه قال «لكلّ نبي حواري، وحواريّ الزبير». والمقصود من الأبيات المذكورة أنّه أنتم يا منْ قتلتم الزبير وعثمان قد فقدتم دينكم بذلك، فكيف لكم بالصّوم والصلاة بعد ذلك.

حقيقة ورد في تفسير الجلالين في تفسير سورة النور في الآية الكريمة

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ أنّ هذا الكفران بدأ في الأمّة الإسلاميّة بمقتل عثمان، ثمّ آل بهم الحال إلى أنْ أصبح المؤمن يقتل أخاه المؤمن. إنّ في ذلك لعبرة.

٣٩٧- زينب بنت يحيى:

ابنةُ الشّيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، محدّثة مشهورة، عُرفت بالصلاح والنّجابة والمهارة في إسناد الحديث، كانت تحضر دروس عثمان بن علي المعروف بابن خطيب القرافة، وعمر بن أبي نصر بن حوه، وإبراهيم بن خليل، ذكر صلاح الدين الصفدي في كتابه عنوان النّصر أنّه حصل على إجازة منها عام ٧٢٩هـ وأنّها تُوفيت شهر ذي القعدة عام ٧٣٥هـ.

٣٩٨- زينب بنت يوسف بن الحكم:

أختُ الحجّاج بن يوسف الظّالم المشهور، وزوجةُ المغيرة بن شعبة، أحبّها الشّاعر النميري، وقال فيها أشعارًا كثيرة. وقد طلّقها زوجها المغيرة لمّا رآها تنظف أسنانها صباحًا، فقالت له ويحك إنّني أنظّف أسناني من أعواد المسواك التي تنكسر في فمي. وقد نقل ابن خلكان تلك الحكاية في حقّ فارعة والدة الحجّاج، وسنوردها في حرف الفاء بمشيئة الله تعالى.

٣٩٩- زينب خاتون:

من أديبات الرّوم المشاهير، كانت شاعرة معاصرةً لعهد الفاتح، ولها ديوان مرتّب باسم الفاتح، اختلف أصحاب التّذاكر في مكان مولدها، فقال لطيفي «إنها فتاة من ديار قسطموني» أمّا عاشق جلبي فذكر أنّها من أماسيا، ولأنّها كانت معاصرةً للشّاعرة مهري الآتية التّرجمة فقد كانت هناك مناظرات كثيرة بينهما،

كانت تبرز في كلّ قصيدة من قصائده نوعًا من الجمال ممّا جعل الرجال حائرين في أمرها، والأبيات التّالية مأخوذة من تذكرة الشّعراء، ومنسوبة لها:

اكشف عن نقابك لتنير الأرض والسماء
ليكن هذا العالم كالفردوس الأنور
حلّ خصلة شعرك وعطر هذه الدنيا
كتب لك براءة الخطاطين
فلك ملكة الخط، وسخر الصين لك
إنْ لم يكن لك نصيب
في ماء الحياة أيها القلب
فكن الخضر أو الإسكندر
حتّى وإن تطلب هذا ألف عام
فزينب مثل أيّ امرأة تميل إلى زينة الدنيا

والبيت التّالي أيضًا مذكور في خرابات، ومنسوب إليها:

حسنك وعشقي ظلمك
وصبري ودمائي تزيد بلا نهاية

٤٠٠ - زينب زوجة يوسف:

هي زينبُ زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللتموني، اشتهرت بعفّتها ودرايتها، ومن الحكايات المرويّة عن ذلك أنّ ثلاثة رجال تقدّموا بطلبات إلى زوجها يوسف طلب الأوّل مالًا ليكون له بمثابة رأس المال للتجارة، وطلب الثاني وظيفة في الدّولة، أمّا الثالث فطلب زينب زوجة يوسف، وبعد أنْ نفّذ الأمير يوسف مطلب الأوّل والثاني، أحضر الثالث وسأله «ما الذي حمَلك على هذا المطلب أيها الجاهل؟ ولأنه كان حليمًا لم يفعل للرّجل شيئًا، وأرسله إلى زينب، فأعدّت له خيمة، وطوال ثلاثة أيام كانت ترسل له طعامًا مختلفًا، وفي اليوم الرّابع استدعته وسألته ماذا كنت تأكل طوال الأيام الماضية؟ فقال طعامٌ مختلف، ولكنّه كلّه طعام، فقالت له وهكذا النّساء كلهنّ واحد، ولا اختلاف بينهن، وأجزلت العطاء للرجل وأرسلته.

٤٠١- زينب المرية:

شاعرةٌ وأديبة من الأندلس، والأبيات التّالية من أشعارها المذكورة في كتاب نفح الطيب:

يا أيها الراكب النادي مطيته
عرّج أنبيك عن بعض الذي أجد
ما عالج الناس من وجد تضمنهم
إلّا ووجدي بهم فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وإني في مسرّته
ووده آخر الأيام أجتهد

٤٠٢- زينب الواصلة:

والدةُ أمّ حكيم الواصلة التي أوردناها في حرف الهمزة، وهي زينب بنت عبد الرحمن بن هشام القرشية، كانت البنت وأمّها من أجمل نساء قريش، لُقبت بالواصلة لأنّها جمعت بين الحسب والنّسب والجمال.

٤٠٣- زينب الهلالية:

هي أمّ المساكين المذكورة سابقًا، إحدى زوجاتِ النّبيّ ﷺ، لقبت بأمّ المساكين لحبّها للفقراء والعطف عليهم، أمّا الهلاليّة فهو نسبها. تزوّجت النّبيﷺ شهرين وقيل ثلاثة أشهر، ثمّ تُوفيت بعدها.

كما توجد ٢٥ صحابيّة باسم زينب. وزينب أيضًا اسمُ طبيبة بني أود، وردت لها بعضُ الأشعار، خاصّة الواردة في ترجمة محمد بن كناسة في المجلد الثاني عشر للأغاني.

زينب بنت أبي البركات هي بنت البغداديّة المذكورة سابقًا، وأمّ الهدى زينب محدثة مصريّة حصلت على الإجازة من تقي الدين بن فهد.

وزينب سترة وهي زينب بنت عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي، كانت عجوزًا، ولها مجموعة من الجواري المغنّيات، ذكرها الشّاعر ابن ذهيمة المدني في أشعاره.

زينب وهو أيضًا اسمُ معشوقة شاعر زنجي يُدعى نصيب من عشاق العصر الأموي، كان اسمُها زينب بنت صفوان بن أغاوي، ورد ذكرها في الأغاني، وفي تزيين الأسواق.

وزينب معشوقة ضرار السّعدي، وقد قال عنها في شعره:

وإنّي وهيامي بزينب كالذي
تطلب من أحواض صداء مشربا

والصّداء هو أفضل وأعذب ماء عند العرب، يقال في المثل ماء ولا كصداء، وسنبين ذلك في حرف الغين في عنوان غدور بمشيئة الله تعالى.

وزينب خانم وهي من سيّدات العصر الحالي، ابنة محمد علي باشا والي مصر، وخالة الخديوي إسماعيل حاكم مصر، كانت زوجة للمرحوم كامل باشا، وقد أتيا إلى استانبول وأنفقوا الكثير من الأموال على الفقراء في استانبول ومنطقة البوغاز.

ويستدلّ من كتاب حديقة الجوامع أيضًا أنّ زوجة إدريس التبليسي كانت تسمّى زينب أيضًا، ومسجد زينب خاتون الواقع بقصر إدريس بحي أيوب من بنائها، كما دفنت فيه أيضًا، وبذلك انتهت الزّيانب، والله أعلم.

ولنذكر هنا قولهم (زواني الهند) وإن كان في غير محلّه فنقول هو مثل سوءٍ في نساء الهند، قال المناوي في عماد البلاغة غلب فيهنّ الزّنا لشدّة شهوتهن ووفارة البظر، والبظراء تجد من اللذّة ما لا تجده المختونة.

حرف السين

٤٠٤- سارة:

بتخفيف الرّاء هي زوجةُ سيدنا إبراهيم الخليل، وردَ ذكرُها في القرآن الكريم في الآية (وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها بإسحاق)، وقد كانت عجوزًا تبلغ من العمر ٩٩ عامًا، ولكن الله أكرمَها بسيّدنا إسحاق، وقيل إنّها لمّا أنجبت سيدنا إسحاق كان عمرها ٩٠ عامًا، وكان عمر سيّدنا إبراهيم ٩٦ عامًا.

وقول منْ يجوّزون تشديد الرّاء في اسمها بزعم أنّها أمّ إسماعيل عليه السّلام؛ قولٌ مردود، كما في تاج العروس.

٤٠٥- سارّة بنت الربعي:

بتشديد الرّاء، وتعني المرأة المسرورة، وهي سارة بنت محمد بن محمود بن محمد بن أبي الحسين بن محمود الربعي، وحفيدة شيخ الإسلام سراج الدين بن الملقن، كانت محدثة، كانت تحضر دروس جدّها ابن الملقن، وقرأت عليه

الجزء القدوري، تُوفيت عام ٨٦٨هـ كانت من أساتذة الإمام السيوطي.

٤٠٦- سارة بنت عبد الرحمن:

ابنةُ أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله بن نمير المقدسيّة، والدة الشيخ المسند محمد شمس الدين أبو الفرج، كانت محدّثة مقدسيّة مشهورة، استمعت لإبراهيم بن الخليل، وروت الحديث عنه، كما قرأ عليها علم الدّين البرزالي أستاذ صلاح الدين الصفدي، كانت وفاتها عام ٧١٦هـ.

٤٠٧- سارة بنت الشيخ:

تقي الدّين السبكي، محدّثة، كانت والدة وشيخة رجب السّابقة الترجمة.

٤٠٨- سارة:

وهي من نساء العصر النبوي، وكانت من معاتيق بني هاشم، كانت تبهج رؤساء قريش بقصائد الهجاء التي كان يكتبها أعداء الدين في حقّ النّبيّ ﷺ، وهي التي حملت رسالة حاطب بن أبي بلتعة التي كانت تتضمن الاستعداد لفتح مكة إلى رؤساء قريش. وقد أرسل النّبي ﷺ خلفها عليّ والزبير ومقداد لتبين الأمر فوجدوها تخفي الرسالة بين طيّات شَعْرها، والقصّة محرّرة في كتب السير لمَنْ يريد الاطلاع عليها.

٤٠٩- سُبَيعة:

بضمّ السّين وفتح الباء على وزن جهينة، وهو اسمُ ثلاثٍ من الصّحابيات، وهنّ: سُبَيعة الأسلميّة وسُبَيعة الضبعيّة وسُبَيعة القرشية. وتوجد سُبَيعة أخرى وهي المرأة العراقيّة التي وردت في أبيات عمر بن أبي ربيعة التالية، كانت من أبناء عبد الرحمن ابن أبي بكرة البصري، واشتهرت بالحسن والجمال:

من البكرات عراقيّة
تسمّى سُبَيعة أطريتها
من آل أبي بكرة الأكرمي
خصصت بودي فأصفيتها
ومن حبها زرت أهل العراق
وأسخطت أهلي وأرضيتها
أموت إذا شحطت دارها
وأحيا إذا أنا لاقيتها
فأقسم لو أنّ ما بي بها
وكنت الطبيب لداويتها

وقد قامت مغنّية مشهورة تُدعى جميلة بتلحين تلك الأبيات فاشتهرت الأبيات المذكورة، وأبو بكرة التي تنتسب تلك المرأة إليه هو الصّحابي الجليل أبو بكرة الثقفي أخو زياد بن أبيه لأمّه. وقد لقّب بأبي بكرة لأنّه أتى يوم فتح الطّائف على بكرة وهي النّاقة الصغيرة، وأسلم، فلقّب بأبي بكرة، وكان من موالي النبي، ولأنّه كان ضمن الرّجال الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالباطل أقيم عليه حدّ القذف في عهد عمر بن الخطاب. كان أبناؤه وأحفاده أصحابَ جاه ومالٍ في البصرة.

٤١٠- ست الأدب:

ابنةُ مظفر بن البرني، محدّثة. والستّ تعني السّيدة، وتعني العددَ ستة، وتعني أيضًا إجابة العبيد والجواري دعوة سيدتهم فيقولون نعم يا ستّي، ومن ذلك تلك النّكتة التي أوردها بهازهير في أبياته التالية:

بروحـــي مَـــن أســـميها بســـتّي
فتنظـــرني النّحـــاة بعـــين مقـــت
يـــرون بأنّنـــي قـــد قلـــت لحنًـــا
وكيـــف وآنّنـــي لزهـــير وقتـــي
ولكـــن غـــادة ملكـــت جهـــاتي
فـــلا لحـــن إذا مـــا قلـــتُ ســـتّي

٤١١- ست الأمناء:

المحدّثةُ المشهورة التي أطلقوا عليها أمّ عزّ الدين، ابنة الشّيخ صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا، ويذكر صلاح الدين الصفدي في كتابه (عنوان النصر) الذي يتناول فيه مشاهير وأعيان عصره، نقلًا عن أستاذه علم الدّين البرزالي، أنّ المذكورة روتِ الحديث عن جدّها، وأنّ أستاذه البرزالي تعلم على يديها، تُوفّيت في صعيد مصر في أواخر ربيع الأول لعام ٧٠٠هـ.

٤١٢- ست الأهل:

بنت علوان بن سعيد بن علوان بن كامل، سيّدةٌ صالحة من أعيان عصر الصفدي، كان لها مكانةٌ مهمّة في إسناد

الحديث، محدثة من بعلبك حنبليّة المذهب. روتْ كثيرًا جدًّا عن الشيخ المتبحر بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي. وتفرّدت في عصرها بالمسموع من الحديث، تعلّم على يديها الشيخ علم الدين البرزالي، لذا ذكرها صلاح الدين الصفدي بكثيرٍ من التبجيل والاحترام في كتابه عنوان النصر، لم تكن تبالي بما ستأكله أو ترتديه، تُوفيت يوم ١٩ محرم لعام ٧٠٣هـ وكان والدها أيضًا من كبار الصالحين. وستّ الأهل أيضًا لقب المحدّثة تقيّة بنت فهد السّابقة الترجمة، التي كانت من أساتذة الإمام السّيوطي.

٤١٣- ست دق:

جدّة الملك الناصر محمد بن قلاوون، كانت من أعيان مصر، ولها جامعٌ باسمها، من الآثار المذكورة في خطط المقريزي، وقيل إنّه أوّل جمعة صليت في هذا المسجد كانت في ٢٠ جمادى الآخرة عام ٧٣٧هـ. وهذا ما قاله المقريزي.

٤١٤- ست الشام:

من أعيان عصر الصفدي، محدّثة تدعى صفيّة من نساء أواخر القرن السابع، سنذكرها بمشيئة الله تعالى في حرف الصّاد. ست الشّام وهي أخت السّلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، نقل أخوها الملك المعظم توران شاه نعشَها من الإسكندريّة إلى الشّام، ودفنها في فناء مدرسته، كانت وفاتها عام ٦١٦هـ.

٤١٥- ست العرب:

بنتُ سيف الدين علي بن الشيخ رضي الدّين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسيّة، عاملة مقدسيّة كانت صاحبة فضل وصلاح. ولأنّها كانت من نساء عصر الصفدي ذكرها المذكور في كتابه عنوان النصر، وقال إنّها كانت تحضر دروس المحدث الكبير علي بن عبد الدايم، وقرأت عليه جزءًا من كتاب ابن عرفة، وأخذت عنه علم الحديث ثمّ بدأت هي تدرّسه، وأنّه علم الدين البرزالي استمع منها إلى علم الحديث كما حصل هو نفسه وهو صلاح الدّين الصفدي على الإجازة منها، وقال كان تاريخ حصولي على الإجازة عام ٧٢٩هـ وكانت وفاتها عام ٧٣٤هـ.

٤١٦- ست العلماء:

واعظة شاميّة امتازت بطلاقة اللسان وفصاحتِه، كانت من نساء أواخر القرن السابع الهجري، اشتهرت بلقب بلبل الحُسن وعظِها، كما كانت شيخة الخانقاه المعروفة بدرب المهراني الواقعة بالشام. تُوفيت في يوم ١٣ رجب لعام ٧١٢هـ، وكان يسير في جنازتها الكثير من النساء.

٤١٧- ست الفقهاء:

بنتُ إبراهيم بن أحمد بن علي بن فضل، سيّدة صالحةٌ ومحدّثة، من أعيان عصر الصفدي، ورغم أنّ استماعها للحديث من الأساتذة كان قليلًا إلّا أنّها حصلت على الإجازة العالية من جعفر الهمداني وأحمد بن المعز الحراني وعبد الرحمن بن سليمان، وعبد اللطيف بن القبيطي، والإجازة العالية هي الإجازة التي تمنَحُ لمَنْ هو قليل الوسائط، وتقال أيضًا لمَنْ التقى المحدّثين المعمّرين، وكانت هي أيضًا محدّثة مسندة ومعمرة، أي أنّها كانت صاحبة ملكة في إمكانيّة الوصول بالحديث بسنده إلى النّبيّ ﷺ، تجاوز عمرها التّسعين، روتِ الكثير عن الفقه والحديث، كما استمعتْ إلى مجموعة كبيرة من كتب الأحاديث ومنها سُنن ابن ماجة، توفّيت عام ٧٢٦هـ عن عمر يناهز ٩٢ عامًا.

٤١٨- ست قريش:

وهي أمّ البهاء فاطمة بنت فهد، من أساتذة الإمام السيوطي، ابنة الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهد أستاذ الإمام السّيوطي، وأختُ كلّ من أمّ هاني بنت فهد، وتقيّة بنت فهد، ولدت في السابع عشر من شهر ذي القعدة لعام ٨١٤هـ، وختمت سُنن الدارقطني على يد المحدّث المراغي وجمال بن ظهيرة، ودرست وهي في الرّابعة من عمرها معجم بن جميع في درس أمّ الحسن بنت أبي الخير خالة والدها، كما درست سُنن البيهقي على يد الشريف أحمد بن علي الفاسي ونور الدين سلام، حصلت على الإجازة من المحدّث جمال الكناني وجلال البلقيني وكمال بن خير وبدر الدماميني.

وقد ذكرنا سابقًا في ترجمة خديجة بنت بدر أنّها كانت ترسل أبناءها إلى مجالس العلم.

٤١٩- ست القضاة:

محدّثةٌ مشهورة، كانت تلقّب أيضًا بأمّ محمد، ابنة القاضي محيي الدين بن القاضي تاج الدين أحمد الشيرازي. عمّرت إلى أنْ تجاوز عمرُها التّسعين، قرأت ثمانية أجزاء من الأحاديث على يد المحدّثة المشهورة كريمة بنت عبد الوهاب، ودرست كتاب الزهاد والعباد على يد ابن زاهر البلخي، ذكر عنها الصفدي في كتابه عنوان النصر أنّها تزوّجت الشيخ مجد الدين الروزرواي، وبعده بدر بن الخرقي، وبعده شخص آخر لا يعلم اسمه. تُوفيت في ١٨ ذي القعدة لعام ٧١٢هـ.

٤٢٠- ست كليلة:

هي دولاي بنت عبد الله التاريّة، زوجةُ الأمير سيف الدين البرلي، ولها خانقاه في مصر تُعرف برباط الست كليلة (بُني عام ٦٩٤هـ).

٤٢١- ست مسكة:

جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون، ولها جامع محرّر في خطط المقريزي يُعرف باسمها، وهو من آثار مصر، صُليت فيه أوّل جمعة في ١٠ جمادى الآخرة لعام ٧٤١هـ.

٤٢٢- ست الملك:

أختُ الحاكم بأمر الله الفاطمي، كانت سيدة من أهل التدبير، لمّا فقد أخوها الحاكم بأمر الله، جلسَ مكانه على العرش ابنه الملك الظاهر المعز لدين الله، وفي اليوم السّادس لفقدان الحاكم بأمر الله اجتمع الجنود والقادة عند قصرها يسألونها عمّا حدث لها موجّهين إليها تهمة مقتله، فقالت لهم إنّ الحاكم بأمر الله بخير، وقد أتت منه عنده رسالة، ولكن ليس بها جواب، وإنّ الجواب سيأتي غدًا، فانصرف الجند، فجمعت رجال الدّولة وعلى رأسهم سيف الدولة، وكان أميرًا نافذَ الكلمة، وأعطته الأموال والهدايا الوفيرة، ليرسلها إلى الأعيان والأمراء الآخرين ليولوها على العرش، وفي اليوم التالي حضر الجنود

والقادة، فقالت لهم: لقد أتى ردّ الحاكم، بأن يتمّ تعييني على العرش، وأمّن سيف الدولة على كلامها، ووزّعت الأموال والهدايا على الأعيان والأمراء فأخذتهم في صفّها، وجلست على العرش، وبعد فترة أزالت من أمامها سيفَ الدولة، وتفرّدت بحكم البلاد لمدّة أربع سنوات كاملة، ولمّا تُوفّيت جلس مكانها على العرش الظاهر. وهذا من الصّحائف.

كان أخوها الحاكم بأمر الله من غلاة الفاطميّين، وهو المجنون إله الدّروز، فبعد أنِ ادّعى الألوهيّة لقّبه الدروز بلقب الحاكم بأمره، ويعتقد الدروز بأنّه عرج إلى السماء، وقصته مذكورةٌ بالتفصيل في تاريخ جودت في مبحث جبل لبنان في أوائل المجلد الثالث.

٤٢٣ - ست الوزراء:

أمّ عبد الله ابنة القاضي شمس الدين عمر بن العلامة شيخ الحنابلة وجيه الدين أسعد بن المنجا بن أبي البركات التنوخيّة الدمشقيّة الحنبلية، حفيدة العلامة وجيه الدين الحنبلي. كانت محدّثة شاميّة على المذهب الحنبلي. تعلّمت صحيح البخاري ومسند الإمام الشافعي على يد عبد الله الزبيدي، كما قرأتْ جزأين من الحديث على والدها، يقول الصّفدي عنها إنّها كانت فريدة عصرها في السند، دُعيتْ إلى مصر، وأخذ عنها الأمير سيف الدين أرغون والقاضي كريم الدين الكبير علم الحديث، وُلدت عام ٦٢٤هـ، ووفاتها ٧١٧ هـ وبذلك كانت مسندة معمّرة مثل ست الفقهاء السابقة الترجمة، درّست البخاري عدّة مرّات، وحجّت مرتين، وتزوّجت أربع مرّات، زوجها الرّابع هو نجم الدين عبد الرحمن بن الشيرازي، ولها ثلاث بنات. وقد درس الذّهبي أستاذ الصفدي مسند الشافعي على يديها، وكانت المذكورة هي آخرَ منْ درس هذا الكتاب بأسانيده، تعلّم على يديها أيضًا المحدث بن المحبّ، والقاضي فخر الدين المصري، والشيخ صلاح الدين العادي والشيخ جمال الدين ابن القاضي الزبداني والعديد من العلماء الكرام.

٤٢٤- ست الوزراء:

أمّ محمّد ابنة الشّيخ العدل الرئيس تاج الدين أبي الفضل يحيى بن مجد الدين أبي المعالي محمد بن شمس الدين أبي العباس أحمد بن الشّيخ المسند أبي يعلى حمزة بن علي بن هبة الله بن الجنوبي التّغلبي، كانت أستاذةً في علم الحديث، لها إجازاتٌ من الشيخ علم الدين السّخاوي، والحافظ ضياء الدّين المقدسي، وعزّ الدين بن عساكر النّسابة والضّياء عتيق السلماني، وتاج الدين القرطبي، وسالم بن عبد الرزاق، والعز أحمد بن إدريس وجمال يحيى والصّفي عمر بن البراذعي، والرّشيد بن مسلمة وغيرهم، درّست الحديث لفترة، وحجّت وأعتقت الكثير من العبيد، كانت كثيرة الخير، توفّيت يوم الخميس الرابع من شهر شوال لعام ٧١٥هـ أمّا مولدها فكان عام ٦٣٩هـ.

٤٢٥- ستيتة خاتون:

كانت زوجةَ الأمير تنكز الغريب الأطوار الذي كان نائبَ السّلطان القلاووني في الشام، كانت صاحبةَ خير صالحة، كانت تمنع زوجَها من أشياء كثيرة غريبة كان يقترفُها، تُوفيت الاثنين ٣ رجب لعام ٧٣٠هـ ودُفنت في مقبرتها الخاصّة، وتُوفّي زوجها بعدها بخمس أو عشر سنوات.

وتوجد عدّة نساء محدّثات باسم ستيتة، منهنّ المحدثة فاطمة بنت اليسير الآتية الترجمة، وهي من مشايخ الإمام السيوطي.

ستي بنت أبي عثمان الصّابوني، وستيك بنت معمّر وهُما محدّثتان، وستيك لفظ مصغر من ستي على القواعد الفارسية، وتعني السيدة الصّغيرة.

ستي خاتون ابنة شيخ الإسلام زنبللي علي أفندي من مشاهير الرّوم، كانت من أعيان عصر بايزيد، ورَدَ في كتاب حديقة الجوامع أنّ لها مدرسةً وجامعًا باسمها بالقرب من باب سلوري، كما تُعرف المحلّة باسمها، دفنت بجوار والدها في ساحة المدرسة التي بناها والدها عند منحدر زيرك.

٤٢٦- سَجاحِ:

بفتح السّين وكسر الحاء على وزن قطام، وهي سجاح بنت المنذر المتنبّئة بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية، كنيتها أمّ صادر، كانت زوجةَ أبي كحيلة كاهن اليمامة، وكان مسيلمة الكذّاب قد ادّعى النبوّة في وقتها. وقد ورد اسمها خطأ مطبعيًا في كتاب الطبري (ثجاح).

ومسيلمةُ كذّابٌ من أهل اليمامة، آمن في عصر النبوّة، ولكنّه ارتد، وادّعى النبوة، وجعل الأهالي يلقّبونه برحمن اليمامة بالحيل التي كان يقومُ بها لهم، قضيَ عليه في عهد الصديق.

وسجاح كانت من قبيلة بني يربوع من تميم، لمّا ظهر المرتدّون بعد وفاة النّبيّ ادّعت النبوّة بين بني تميم وبني تغلب وبني ربيعة، وانساقَ خلفها الكثير من العربان، لدرجة أنّ أتباعها كانوا أكثر من أتباع مسيلمة، حتى أنّها جعلتْ مسيلمة يخشاها.

ولأنّه كان مخادعًا فقد جعلها تنساق خلفه. والقصّة على ما يلي: لمّا توسّعت دائرة فساد سجاح سارت إلى بني حنيفة قوم مسيلمة، وكان ذلك متزامنًا مع وقت إرسال أبي بكر الصديق للجيش الإسلامي لدحْرِ مسيلمة، ولمّا رأى مسيلمةُ الأمرَ على ذلك فكّر في أنْ يضمّ سجاح إليه بحيلة، فاستقبلها بالهدايا، وأسّس خيمة جميلة ترغبُها النّسوة، وأوقد فيها البخور، ولمّا تفرّد بها في الخيمة قال لها لنتحدّث هنا عن النبوّة، وللنظر مَن على الحقّ، فقالت له سأتلو عليك آية من الآيات التي نزلت عليّ فقالت «ألم ترَ إلى ربّك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى». فقال لها سأتلو عليك أيضًا آية من الآيات التي نزلت عليّ فقال «إنّ الله خلق للنّساء أفراجًا وجعل الرّجال لهنّ أزواجًا فتولج فيهنّ غراميلنا إيلاجًا، ثمّ تخرجها إذا شئنا إخراجًا، فينتجن لنا نتاجًا». فمالت له المرأة. وقال لها يجب أنْ نتّحد ونخضع العرب كلّها لنا، وسيتسنّى لنا ذلك بالزّواج، وكان

مهرها في هذه الزّيجة أنْ رفع صلاة الصّبح والعشاء من على أمّتهم.

ويقول المرحوم عاصم في ترجمة منظومة الحلبي:

إنّ سجاح ندما التقت مسيلمة في الخيمة، كان مسيلمة لا يرتدي سروالًا على عادة العرب، فرأتْ سجاح آلتَه، فهاجت، وقالت له «أنتَ نبي وهذه معجزتُك»، ثمّ قبّلته، وسلمت له نفسها، فنظم مسيلمة تلك الأبيات الوقحة لها:

ألا قومي إلى النّيك فقد هيئ
لك المضجع فإنْ شئت ففي
البيت وإنْ شئت ففي المخدع
وإنْ شئت سلقناك وإنْ شئت على أربع
وإنْ شئت بثلثي وإنْ شئت به أجمع

فردّت عليه سجاح «بل به أجمع، فهو للشّمل أجمع». وقد نظم أحدُ الشعراء المسلمين هذا البيت في وقاحة سجاح ومسيلمة فقال:

آمت سجاح ووافاها مسيلم
كذابة من بني الدنيا وكذاب

ومن الشّعراء أيضًا مَن هجاها بجمعها بين النبوّة والزّنا فقال:

وأزنى من سجاح بني تميم
وخاطيها مسيلمة الزنيم

وقد ضُرب بها المثل في حدّة الشّهوة فيقال (أزنا من سجاح) و(أغلم من سجاح)، ومن القصائد التي نظمت في هجائها قصيدة قيس بن عاصم:

أضحت نبيّتنا أنثى نساء بها
وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا
فلعنة الله والأقوام كلهم
على سجاح ومَن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت
أصداؤه ماء مزن حيثما كان

وبعد قتل مسيلمة تابتْ سجاح، وأصبح حالُها حسنًا، وعاشت حتّى عهد معاوية، ويقول ابن خلدون إنّ المذكورة عندما ادّعت النبوّة كانت على دين النّصرانيّة التي أخذتها من بني تغلب، وأقوالها التي قالتها تدّعي فيها النبوة مسطورة في كتب التّواريخ.

استطراد

ضرب العربُ المثلَ في الكذب بمسيلمة، وفي الطّمع بأشعب، يقول الشاعر:

ووعدتني وعدًا حسبتك صادقًا
فغدوت من طمعي أجيء وأذهب
فإذا جلست أنا وأنت بمجلس
قالوا مسيلمة وهذا أشعب

ولا حاجة لشرح كذب مسيلمة فهذا معروفٌ، أمّا طمع أشعب فقد وردت حكايات كثيرة تدلّ على طمعه، ويُقال في المثل (أطمع من أشعب) و(لا تكن أشعب فتتعب).

٤٢٧ - سحيقة:

مِن المغنّيات المذكورات في كتاب الأغاني، من مشاهير النساء في أوائل العصر العباسي، أثنى عليها شعراء العصر العباسي بقولهم:

سحيقة أنت واحدة القيان
فمالك مشبهة فيهنّ ثان
فضّلت على القيان بفضل حذق
فحزْتِ على المدى قصب الرهان
سجدن لك القيان مكفرات
كما سجد المجوس لمرزبان
ولا سيّما إذا غنيت صوتًا
وحرّكت المثالث والمثان

والمقصود بكلمة قصب الرّهان الموجودة في البيت هي عود القصب المزيّن الذي كان العرب يضعونه في السّباق في نهايته، وإذا ما وصل الفارس إليه يقتلعه؛ وبذلك يكون هو الفائز في السّباق، ويسمّى أيضًا قصب السباق، ويكون عود القصب المذكور مزيّنًا. والشاعر هنا استعملها على سبيل الاستعارة، وهو معنى مجازي أيضًا، أمّا كلمة مرزبان فتعني الرئيس، وتجمع على مرازبة أو مرازب، وقد عُربت الكلمة ووردت في بعض الأبيات ومنها:

الدار داران إيوان وغمدان
والملك ملكان ساسان وقحطان
والأرض فارس والإقليم بابل
وآل سلام مكة، والدنيا خراسان

ومنها أيضًا:

قد رتّب الناس جم في مراتبهم
فمرزبان وبطريق وطرخان

٤٢٨- سهيلة:

جاريةٌ عاقلةٌ لأحد حكام العرب المدعو عامر بن الظرب بن عباد اليشكر المذكور سابقًا في ترجمة (حكيات العرب)، والذي امتدحه الشّاعر بقوله:

ومنّا حاكم يقضي فلا يدفع ما يقضي

والبيت مذكور في سرح العيون. وقد كانتْ سخيلة تخرج بأغنام عامر المذكور صباحًا للرّعي وتعود مساءً، واعتاد عامر على أنْ يقول لها إذا خرجت صباحًا (ضحّيت يا سهيل) وإذا عادت مساء يقول (مسّيت يا سهيل)، وقد عُرضت على عامر مشكلة ليحكم فيها، وكانت مشكلةً كبيرة شغلت فكرَه كثيرًا، وأصبح لا ينام منها، وهي شخصٌ خنثى كيف يأخذ من الميراث هل يأخذ نصيب الذّكر أمْ نصيب الأنثى؟ أرّقت تلك المسألة عامر، ولاحظت سهيلة أنّ سيدها تغيّر، وأنّه بات لا يقول لها ما اعتاد عليه من أضحيت أو أمسيت، فلمّا سألته عن سبب انشغال بالِه قصّ عليها المسألة فقالت له لتنظر إلى هذا الخنثى هل يتبوّل من مخرج الرّجل أمْ مخرج الأنثى، فإنْ كان من مخرج الرجل فيعامل كرجل، وإنْ كان من مخرج الأنثى فيعامل كأنثى، فأعجب عامر برأيِها وحكم به. وقال لها (مسّي سهيل بعدها أو أضحي) في إشارة منه إلى أنّه أعجب بهذا الرأي، وهذا الحكم هو المعروفُ في الشّرع بالحكم بالعلامة.

والمعلوم أنّ الخنثى هو الشخص المولود وبه آلةُ الرّجل وآلة الأنثى، وللشّرع فيه حكمان، الأوّل مرحلة ما قبل بلوغه، والثاني ما بعد البلوغ؛ فالمرحلة الأولى إنْ كان الغلام يتبوّل من مَخْرج الذّكر فإنّه حينئذ غلام، وإن كان يتبوّل من الفرج فإنّه حينئذ فتاة، وإن كان يتبوّل من المخرجيْن فإنّه حينئذ خنثى مشكل، أمّا بعد البلوغ فينظر إلى علاماته فإنْ ظهرت عليه علامات الرّجل كاللحية واستقامة الثدي

فإنه رجل، وإن كبُرَ ثديُه وحاض، أو كان من الممكن وطؤه فإنّه حينئذ أنثى، أمّا إنْ كان غير ظاهر فإنّه يكون مشكلًا، وهؤلاء الخناث يقفون في الصّلاة في صفوف بين الرّجال والنساء، وله حكمٌ مخصوص في كتاب الفرائض من ناحية الميراث.

وقد أقرّ المرحوم عاصم في ترجمة القاموس بأنّه شاهد فرس خنثى شابّ مخنث، وزوجة مخنثة.

٤٢٩- سري خانم:

من ديار بكر، من شاعرات عصرنا، وُلدت في ديار بكر عام ١٢٣٠هـ، وقد سعت لتحصيل العلم والأدب، كانت صاحبة باعٍ طويل في البلاغة والنّظم، وتوجد بعضُ أشعارها في كتاب خرابات، ولها بخلاف ذلك الكثير من المخمسات والمسدسات، وغزليّات، وقد نقلنا هنا بعض من غزلياتها:

طائر القلب طار لي فبكت الأعشاش

خرج نطاقي فبكت الميخانات لي

لو احترق بالليل فإنّ قلبي لن يكون سعيدًا

لو أضيء مثل الشمعة فإنّ الفراشات ستبكي

يلقى المعروفون بالحجارة في كلّ جانب

لو يقف المساكين على حالي سيبكون

هل أظهر القوة فقد ابتليت بألم

فالطبيب لا يعلم دوائي والأعشاش تبكي عليّ

كانت سري خانم تنتسب إلى الطريقة العليّة، وقامت قبل عشر سنوات بزيارة الأضرحة المباركة في بغداد، وبعد عودتها إلى ديار بكر استقرّت في منزل المرحوم كامل باشا.

٤٣٠- سُعاد:

بضمّ السّين من مشاهير نساء العرب، زوجةُ كعب بن زهير الذي مدح النّبيّ ﷺ. وقد بدأ كعب قصيدته التي مدح النّبيّ فيها بالتغزّل بسعاد فقال (بانتْ سعاد فقلبي اليوم متبول)، وهذا ما قاله الإمام النووي في تهذيب الأسماء.

وقد ذكر مولانا بيجور، وهو من شرّاح القصيدة المذكورة نقلًا عن طبقات النّحاة أنّ هناك ٩٠٠ قصيدة تبدأ ببانتْ سعاد.

وسعاد بنت رافع وسعاد بنت سلمة، وهُما من الصّحابيات.

٤٣١- سعدى:

على وزن دنيا، اسمُ شاعرةٍ معشوقة من بني أسد، وذكر في تزيين الأسواق أنّ ابن عمّها عشقَها، ولمّا طلبَ زواجها لم يوافق والده طمعًا في أنْ يزوّجه فتاةً أخرى أكثر حسبًا ونسبًا. فرفضَ الولد وقال لأبيه إنّه لا يريد سوى سعدى، ولمّا أصرّ والده على موقفه، اتّخذ الولد جانبًا من أبيه، أمّا البنت فزوّجها أبوها لشخص آخر، وذاتَ يوم صادف الولدُ سعدى في الطريق فنظم الأبيات التّالية التي تدلّ على ألمه وحزنه على فراقها:

لعمـري يـا سـعدى لطـال تأيّمـي
ومعصيتـي شـيخي فيـك كلاهمـا
وتركـي للحيّـين لم أبـغ منهمـا
سـواكِ ولم يربـع هـواي عليهمـا

فردّت عليه سعدى:

حبيبـي لا تعجـل لتفهـم حجتـي
كفـاني مـا بي من بـلاء ومـن جهـد
ومـن عـبرات تعتريني وزفـرة
تـكاد لهـا نفـسي تسـيل مـن الوجـد
غلبــت عــلي نفــسي جهـارًا
ولم أطـق خلافًا على أهـلي بهزل ولا جد
ولـن يمنعـوني أنْ أمـوت بزعمهـم
غـدا خوف هذا العـار في جدث وحدي
فـلا تنـس أنْ تـأتي هنـاك فتلتمـس
مـكاني فتشـكو مـا تحملـت مـن جهـد

وذُكر في الإصابة أنّ هناك أربع صحابيّات باسم سعدى، منهنّ سعدى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العشمية، وهي خالة سيّدنا عثمان، وهي التي نظمت الأرجوزة التّالية التي حثّت فيها عثمان على الإسلام:

عثمـــان يـا عثمـــان يـا عثمـــان
لـك الجمـــال ولـك الشّـــان
هـذا نبي معـه البرهـان أرسله بحقّـه الديـان
فاتّبعـــه لا تغيبـــك الأوثـــان

ولمّا أسلم عثمان ونال شرف المصاهرة، نظمت:

هـدى الله عثـمان الصفـيّ بقولـه
فأرشـده والله يـهـدي إلى الحـقّ
فاتبـع بالـرأي السـديد محمـدًا
وكان ابـن أروى لا يصـدّ عـن الحـقّ
وأنكحـه المبعـوث إحـدى بناتـه
كان كبـدر مـارح الشـمس في الأفـق
فـداؤك يـا ابـن الهاشـميّين مهجتـي
أنـت أمـين الله أرسـلت في الخلـق

وكان يطلق على عثمان ابن أروى نسبة لأمّه، وذلك كما أوضحنا من قبل في ترجمة أروى وزينب بنت العوام.

٤٣٢ - سعدة:

هي سعدةُ، جاريةُ ابن رامينَ التي تحدثنا عنها في ترجمة ربيحة، من المغنّيات المذكورات في الأغاني، وكانت كاتبة، اشتراها صالح بن علي ابن أخِ الخليفة العباسي الثاني المنصور، وكان واليًا على مصر، وقد اشتراها بمبلغ ٩٠ ألف درهم.

٤٣٣ - سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان:

من معاتيق بني أميّة، تزوّجها يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك، ودفع لها مهرًا يقدّر بعشرين ألف دينار، وقد ذكرنا ذلك في ترجمة حبابة.

٤٣٤ - سعدة بنت قمامة:

على حسبِ ما أورده ابنُ الأثير هي سيدة من سيّدات عصر النبوّة، كانت تؤمّ النّساء، ولكنّها لم تكنْ تتقدّمهم كما يتقدّم الرجل على الصف، حيث كانت تقف في منتصفهم على حسب ما ذكرتْه أمّ سلمة.

ويمكن للنّساء أنْ تأتمّ بامرأة منهنّ على الوجْه المذكور ولكنْ مع الكراهة، ولا يجوز أنْ يأتمّوا برجل غير محرمٍ لهنّ إنْ لم يكن هناك رجلٌ معهن.

٤٣٥ - سعدونة:

هي سعدونة المكنّاة بأمّ سعد التي أشرنا إليها في حرف الألف، من أديبات الأندلس، كان والدُها من علماء مدينة

قرطبة عاصمة بلاد الأندلس في العهد الإسلامي، كانت تمتلك ملكة قويّة في الحفظ، فروتْ عن والدها وعن جدّها الكثيرَ والكثير، والأبياتُ التالية لها في مدح النّبيّ ﷺ، وهي مأخوذة من كتاب نفح الطّيب:

سأَلثم التّمثال إذ لم أجد للثم
نعلِ المصطفى من سبيل
لعلّني أحظى بتقبيله
في جنّة الفردوس أسنى مقيل
في ظلّ طوبى ساكنًا آمنًا
أسقى بأكواس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه
يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى باطلًا من يهواه
أهل الحبّ في كلّ جيل

ويُنسب البعض تلك الأبيات التالية للوزير أبي الفضل بن العميد إلى سعدونة أيضًا:

آخ الرجال من الأباعد
والأقارب لا تقارب
إنّ الأقارب كالعقارب أو أشدّ من العقارب

٤٣٦- سفانة بنت حاتم:

ابنةُ حاتم الطّائي المشهور بالجود والكرم، من نساء عصر النبوّة، وكانت صحابية، عندما وفدتْ قبيلة أسراي إلى المدينة المنورة عرضت سفانة حالها على النّبيّ بقولها «يا رسول الله، هلك الوالدُ وغاب الوافد، فإنْ رأيت أنْ تخلّي عنّي فلا تشمت بي أحياء العرب فإنّي بنت سيد قومي، كان أبي يفكّ العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري، ولم يردّ طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطّائي»، فقال لها النّبيّ «وهذه هي صفات المؤمن، فإنْ كان أبوك مؤمنًا طلبنا له الرّحمة»، والوافد في قولها غاب الوافد أي أخوها عدي بن حاتم، وذلك لأنّ المشار إليه قبل أنْ يغزو النّبيّ قبيلته أتى إلى النبي وعرض النّبيّ عليه الإسلام، ولكنّه تردّد لنصرانيته، وسافر إلى الشام، ولهذا لمّا قالت هلك الوالد وغاب الوافد

سألها النبيّ ومنْ وافدك؟ قالت عدي بن حاتم، فقال النّبيّ نعم الفارّ من الله ورسوله. ولكنّه أسلم بعد ذلك، وشهد فتوحاتِ الشام والقادسية.

وقد نظمت سفانة هذا البيت في إظهار صفات والدها الحسنة:

يعيش النّدى ما عاش حاتم طيء
وإنْ مات قامت للسّخاء المآتم
بابْـه اقتدى عدي في الكرم
ومنْ يشابه أباه فما ظلم

٤٣٧- سفرى بنت يعقوب:

ابنةُ العالم المشهور يعقوب بن إسماعيل بن عمر، المعروف بقاضي اليمن في القرن السّادس، أستاذة صالحة من أعيان عصر الصّفدي، استمعت لجزء أبي القاسم الكوفي من الأجزاء الشّريفة في الحديث النبوي الشّريف من جدّها إسماعيل وأخيها إسحاق، ودرسته بعد ذلك، ومنحت الإجازة في الشام في عام ٧٢٩هـ، ولها إجازةٌ من المحدّث عبد الله بن المحبّ، كانت وفاتها عام ٧٤٥هـ، ذكر في أعيان الصّفدي أنّها كانت محدّثة معمّرة فقد تجاوز عمرها التسعين.

٤٣٨- سكن:

جاريةُ محمود الورّاق من رجال الدولة العباسيّة، من الجواري الشّاعرات، كان المذكور يبيع ويشتري العبيد، وينظم الشّعر في الزهد، كان يمتاز بالفصاحة، أراد محمود الورّاق أنْ يبيعها فكتبت رسالةً إلى خليفة العصر المعتصم تطلبُ منه أنْ يشتريها لأنّ سيدها سيبيعها، ولكن المعتصم مزّق الرسالة لأنّها كانت قد رفضت أنْ تُباع له من قبل، فحزنت سكنُ حزنًا شديدًا على ذلك، ونظمت القصيدة التّالية لهذا:

وما للرسول أتانيك باليأس
أحدثت بعد وداد جفوة القاسي
فهبك ألزمتني ذنبًا بظلمك لي
ما ذا دعاك إلى تحريق قرطاسي
يا متبع الظّلم ظلماً
كيف شئت فكن
عندي رضاك على العينين والرّاس

إنّي أحبّك حبًّا لا لفاحشة
والحبّ ليس به في الله من بأس

ويذكرُ بعضُ الكتّاب الجاريةَ المذكورة باسم نشوى، لذا ستوردها في حرف النون بمشيئة الله تعالى.

٤٣٩- ست سكينة:

هي سكينةُ بنت رباب بنت امرئ القيس بن عدي سابقة التّرجمة، ابنةُ الحسين رضي الله عنه، ذُكر في المجلّد الرابع عشر والخامس عشر لكتاب الأغاني أنّها كانت تمتاز بالفصاحة والبلاغة والفضل، كانت تمتحن وتنتقد كتب عروة بن أذينة، وهو من أعيان التّابعين، والفرزدق، كان لها ربطةُ شعرٍ خاصّة بها، كانت النّساء تحسدها عليها، وكانوا يطلقون عليها الطّرة السكينية، لها حكايات جميلة ومآثر جليلة، وتذكرُ بعضُ الكتب- خاصّة الأغاني- أنّها كانت ذات طبيعةٍ صلبة تجاه أزواجها، وبالطّبع لم يكن هذا نابعًا من صفاتها السّيئة، بل كان نابعًا من مقامها العالي التي كانت ترتقيه، ولنعطي مثالًا على ذلك:

لمّا أراد الحسن بن الحسن التزوّج ذهب إلى عمّه الحسين، وطلب منه أنْ يزوّجه بإحدى بناتِه سكينة وفاطمة، وترك لعمّه حرية اختيار العروسة له، فقال له الحسين- رضي الله عنه- «أنا أرشّح لك فاطمة لأنّها الأكثر شبهًا بأمّي فاطمة، وهي صوّامة بالنّهار قوّامة بالليل، ومن ناحية الجمال فهي كحور الجنّة، أمّا سكينة فإنها لا تصلحُ للرّجال لما في قلبها من حبٍّ لله». وهذا مذكورٌ في كتاب (مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار) للعلّامة المصري المتبحّر الشيخ حسن العدوي. والستّ سكينة كغيرها من بعض آل البيت مدفونةٌ في مصر، واسمُها الأصلي على حسب ما أوردَه صاحبُ كتاب الأغاني آمنة، أمّا سكينة فهو لقبُها، ويذكر صاحبُ القاموس أنّ سُكَينة على وزن جهينة، بضمّ السّين وفتح الكاف أمّا منْ ينطقونها على وزن سفينة فإنّ هذا من قبيل الخطأ.

٤٤٠- سلامة الزرقاء:

أي صاحبةُ العين الزرقاء، جاريةٌ مغنّية مشهورةٌ من العصر العباسي، نظم محمد

بن الأشعث- وهو من رجال الدولة العباسية، وأعيان أدباء الكوفة، ومن خيرة قادة الخليفة المنصور- قصيدةً أوضح فيها حبّه لسلامة الزرقاء فقال:

أمسى لسلاّمة الزرقاء في كبدي
صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا تستطيع صناع القوم تشعبه
وكيف يشعب صدع الحبّ في الكبد
ألا بوصل التي من حبّها انصدعت
تلك الصّدوع من الأسقام والكمد

ولأنّ سلاّمة الزرقاء كانت مملوكة لابن رامي فإنّها كانت صديقة لربيحة وسعدة المذكورتيْن فيما سبق. وقد اشتراها جعفر ابن والي البصرة في عهد المنصور سليمان بن علي بعد أنْ دفعَ فيها ٨٠ ألف درهم، ولمّا ظهرت غائلة (عبد الله بن علي) وبَخ سليمان ابنَه جعفر بقوله «نحن في هذه المحنة وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم!»، ولكنّه كفّ لسانه عنها بعد أنْ علم بفصاحتها وتعجّب بتعقلها وعلمها.

٤٤١- سلامة القس:

جاريةٌ من مغنّيات العصر العباسي، كانت شاعرةً، حسنة المظهر، من مواليد المدينة المنورة، نشأت بها وتعلّمت فيها، وتعلمت الموسيقى على يد مشاهير الموسيقيّين أمثال معبد وابن عائشة ومالك بن أبي السّمح وجميلة المغنّية. ونظرًا لأنّها كانت تجمع بين العلم والجَمال ببعث إلى يزيد بن عبد الملك، وكان يقدّرها ويحترمها للغاية لدرجة أنّها تفوّقت على الجارية المشهورة حبابة سابقة الترجمة.

وقد ذكرنا في ترجمة حبابة أنّ يزيد كان يحبّها، ولمّا تُوفيت تُوفّي بعدها بفترة قصيرة، فنظمت سلامة الأبيات التّالية في رثائه:

قد لعمري بتّ ليلي كأخي الدّاء الوجيع
ونجا الهمُّ منّي بات أدنى من ضلوعي
لا تلمنا إنْ خشعنا أو هممنا بخشوع
إذ فقدنا سيدًا كان لنا غير مضيع
وهو كالليث إذا ما عدّ أصحاب الدروع
يقتصّ الأبطال ضربًا في مضيّ ورجوع

والمقصود بكلمة القسّ في تعبير سلامة القسّ هو عبد الرحمن ابن أبي عمار المكّي، كان عالمًا وعابدًا مشهورًا في مكّة في ذلك الوقت، لمّا سمع سلامة افتتنَ بها وعشقها ونظم أبياتًا كثيرة فيها، والقُسّ بضمّ القاف وتشديد السين بمعنى رئيس الدّين عند النصارى، وهي هنا بمعنى الرّاهب أو الزاهد، وقد أطلق هذا اللقب عليه لأنّه ترك الدنيا وزهدها من فرط عشقه ومحبّته، وقد أشرنا إليه في حرف الراء في ترجمة ريا.

والمثلُ الموجود في مجمع الأمثال (ألحن من قينتي يزيد) المقصود بهما سلّامة صاحبة التّرجمة وحبابة. واللحنُ هنا بمعنى النغمة، والقينة بمعنى المغنية.

وتوجد خمسُ صحابيّات باسم سلامة منهنّ سلّامة حاضنة إبراهيم بن النّبيّ ﷺ، وقد روى عنها أنس بن مالك الحديث.

ومذكور في أسد الغابة أنّ المذكورة أتت إلى النّبيّ ﷺ وقالت له «يا رسولَ الله، لقد بشرت الرّجال بأشياء عديدة، ولم تبشّر النساء بشيء» فقال لها النّبيّ «أصويحباتك دسّسْنك لهذا؟» فقالت: نعم. فقال لها النّبيّ ألا ترضوْن أنْ يطّلع أهل الأرض والسماء على أجْرِ الواحدة منكنّ إذا رضيَ عنها زوجها، وأنْجبت، وتصوم وتقوم في سبيل الله».

سلّامة بنت عامر وهي معتوقةُ السيدة عائشة. وسلّامة بنت بشير البربريّة والدة أبي جعفر المنصور من الخلفاء العباسيّين.

٤٤٢ - سُلكَة:

والدةُ الشّاعر والشّقي العربي الجاهلي المشهور سليك بن السلكة، وهو من أغربة العرب الذين أشرنا إليهم في ترجمة زبيبة. وقد نُسب ابنها إليها. والأبيات التّالية نظمتها سلكة في ابنها، وهي قصيدة موجودة في باب المراثي في ديوان الحماسة:

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك
ليتَ شِعري ضلّه أي شيء قتلك
أمريض لم تعدْ أم عدو ختلك

كلّ شيء قاتــل حــين تلقــى أجلــك

والمنايــا رصــد للفتــى حيــث سـلك

أي شيء حســن للفتــى لم يكــن لــك

طالمــا قــد نلــت في غــير كــد أملــك

سـأعزّي النفس إذا لم تجب من سـألك

إن امرئ فادحـا عـن جوابي شـغلك

ليـت نفسـى قدمـت للمنايـا بدلـك

كان ابنها السلك من أشقياء العرب ومن عدائيهم المشهورين، وضُرب به المثل في العَدْو أي الجري، يقال (أعدى من سليك). ويذكر البعضُ أنّ الأبيات المذكورة ريطة أخت الشاعر الصّعلوك ثابت بن جابر المعروف بتأبّط شرًا، حيث نظمتها في حقّ أخيها. وسلكة بضمّ السين وفتح اللام.

٤٤٣- سلمى بنت عميس:

أختُ أسماء بنت عميس، من الصّحابيات المؤمنات، وسلمى صحابيّة جليلة زوجة حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، والأبيات التّالية من أشعارها التي نظمتها فيمَنْ قتلوا في الحرب التي دارت بين جماعة جذيمة بن عامر بن عبد مناة من كنانة، والقصيدة موجودة في الصفحة ٢٧ بالمجلّد السابع لكتاب الأغاني:

وكـم غـادروا يـوم الغميصـاء مـن فتى

أصيـب فلـم يجـرح وقـد كان جارحـا

ومــن ســيد كهــل عليــه مهابــة

أصيــب ولم يعلــه الشــيب واضحــا

أحاطــت بخطــاب الأيامــى وطلقــت

غداتئــذ مــن كان منهــنّ ناكحــا

ولــولا مقــال القــوم للقــوم أســلموا

للافــت ســليم يــوم ذلــك ناطحــا

غميصاء اسمُ نبع مائي في ديار بني جذيمة، وقد نسبت الواقعة المرقومة إليه لأنّها وقعت بالقرب منه.

٤٤٤- سلمى بنت مالك:

أمّ زمل سلمى، ابنة أمّ قرفة المذكورة سابقًا، والدُها هو مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، قُتلت أمّها على يد

السريّة التي أرسلها النّبيّ بقيادة زيد بني حارثة على بني فزارة، وأُسرت سلمى، فأعطاها النّبيّ للسيدة عائشة، وقد أسلمت المذكورة وأعتقها النبي، وقد طلبت الإذنَ من السيدة عائشة بأنْ تذهب إلى قومها لتزورهم فسمحت لها، ولكنّها ارتدّت مع المرتدّين الذين ارتدّوا بعد وفاة النّبي، وتمكّنت بأموالها من تجمع حولها الكثير من الأوباش، ورفعت لواء العصيان، وقد تحاربت مع المسلمين، وكانت تقود أوباشها في المعركة ضدّ المسلمين، ولكنّها قُتلت على يد خالد بن الوليد. وردَ اسمُ أمّها خطأً في ترجمتها في تاريخ الطّبري على أنّه أمّ غزالة، أمّا صحائف الأخبار فأورد أنّ البنت اسمها جارية وليس سلمى.

٤٤٥- سلمى بنت المخلف:

سيّدةٌ من نساء بني عامر، ومن الأيام المشهورة بين العرب يوم النّسار التي وقعت فيها الملحمة التي تحارب فيها تيم وعدي وثور أطحل وعكل وبنو عبد مائة بن أد وضبة بن إد وبنو تميم.

وقد أتى بنو عامر بن صعصعة لنجدة التّميميّين في تلك الواقعة، ولمّا انهزم تميم فرّ مالك بن كعب الكلابي المشهور بكلاب، وأبو ليلى طفيل العامري من المعركة فوقعت سلمى بنت المخلف وعنقاء بنت همام في أسر بني ذبيان، فنظمت سلمى الأبيات التّالية في هجاء المذكورين:

لحا الإله أبا ليلى بفرته
يوم النّسار وقنب العير جوابا

كيف الفخار وقد كانت بمعترك
يوم النّسار بنو ذبيان أربابا

لم تمنعوا القوم إذ أشلوا سوامكم
ولا النّساء وكان القوم أحزابا

لحا فعل ماضٍ من لحو بمعنى النفور واللّعن، نسار اسم جبلين قريبين من بعضهما، قنب وعاء القضيب، وتعني غلاف ذكر البهائم، والعير حمار وفيه هجاءٌ شديد، جواب لقب مالك بن كعب، لُقب بهذا اللقب لأنّه كان يحفر

الآبار ويكسر الصّخور، أشلوا أي المداء للحيوان من أعلى، سوام أي الذي يرعى.

٤٤٦ - سلمى البغدادية الشاعرة:

هي سلمى المعروفة ببنت القراطيسي، شاعرةٌ جميلة من بغداد، الأبيات التّالية من نظمها:

عيـون مهـا الصريـم فـداء عينـي
وأجيـــاد الظبـاء فـداء جيـدي
أزيـــن بالعقـــود وإن نحـرى
لأزيـــن للعقـــود مـــن العقـود
ولا أشـكو مــن الأوصـاب ثقـلًا
وتشكـــو قامتـي ثقـل النهـود
ولـو جـــاورت في بلـد ثمـودًا
لمـا نـزل العـــذاب على ثمـود

وهي من الأبيات الفخريّة الخاصّة بالنساء كبيت:

فثغـــري مـورد عـــذب زلال
وفـرع ذوائبتـي ظـلّ ظليـل

لحفصة الركونيّة سابقة الترجمة. وقد ذُكر في كتاب نفح الطيب أنّ الأبيات السابقة لما وصلتْ إلى مسامع الخليفة المقتفي قال أحقًّا هي كما وصفت حالها، ولمّا أخبروه بأنّه لا يوجد من هو أجمل منها، فسأل عن عفّتها فقالوا عفيفة بقدْر ما هي جميلة، فأرسل لها الخليفة المقتفي الأموال لتستعين بها على الحفظ والمعيشة.

٤٤٧ - سلمى المتدلية:

سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد، من أولاد عدي بن النجار، كانت صاحبة شرف وكرم، اشتهرت بالمتدلّية كما سنبيّن لاحقًا، كانت زوجة لأحيحة بن الجلاح، وهو من أكابر قبيلة الأوس التي تقيم بالمدينة، وبعد وفاة أحيحة تزوّجت هاشم بن عبد مناف من أشراف قريش، وهي التي أنجبت عبد المطلب جدّ النبي، كانت المشار إليها على درجة كبيرة من الشرف والحيثية، كانت العصمة تكون في يديها مهما كانت مكانة

مَنْ تزوّجها، وإذا ما رأت على زوجها شيئًا كريهًا تركته وطلقته.

أمّا السّبب في تلقيبها بالمتدليّة أنّ زوجها الأوّل أحيحة كان عالي المقام، نظم الأبيات التّالية في حقّها:

استغنِ أو مت لا يغررك ذو نشب
من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون مالهم عن حقّ أقربهم
وعن عشيرتهم والحقّ للوالي
أنّي أقيم على الزوراء أعمرها
إنّ الكريم على الإخوان ذو المال

كان لأحيحة مكانان حصينان يسمّيان مستظلّ وضحيان، وكان أحيحة يقيم ليلًا في ضحيان، وذات ليلة أتى عاصم بن عمرو، وهو من قبيلة مازن بن النّجار التي تنتسب إليها سلمى للأخذ بالثأر من أحيحة لأخيه كعب بن عمرو، وحمل معه بعض التّمر الجاف، وكان أحيحة قد اعتادَ على إرسال الكلاب حول الحصن فإذا ما رأت أحدًا تنبح، ولمّا رأى عاصم الكلاب أعطاها بعض التّمرات فأسكتها، ولمّا شكّ أحيحة في صمتِ الكلاب اقترب من خيمته، وبمجرد أنْ دخلها أطلق عليه عاصم سهمًا أصابتِ الباب، فنادى أحيحة على رجاله فتجمّعوا، ورغم أنّهم تعقّبوا عاصم إلّا أنّه تمكّن من الفرار، فاتفق أحيحة مع قبيلته على الهجوم على قبيلة مازن بن النّجار، ولمّا علمت سلمى بذلك، تدلّت بحبل من الحصن ليلًا، وذهبت إلى قومها وأخبرتهم بما سيقوم به زوجها أحيحة.

٤٤٨ - سلمى اليمانية:

جاريةُ أبي عبادة البحتري. كانت من جواري اليمن، ومن الشّاعرات، وقد ذكر ابن ظافر في كتابه البدائع أنّ البحتري حينما اشتراها نظم تلك الرّباعيّة ليمتحنها:

مَن لمحبّ أحبّ في صغره
فصار أحدوثة على كبره
من نظر شفّه فأرّقه
وكان مبدا هواه من نظره

فردّت سلمى:

لــولا التمنّــي لمــات مــن كمــد
مــرّ الليــالي يزيــد في فكــره
مــا أن لــه مسـعد فيسـعده
بالليــل في طولــه وفي قــصره
الجســم يبـلى فــلا حــراك بــه
والــرّوح فيــما أرى عــلى أثــره

ويخلاف سلمى بنت عميس الخثعميّة سابقة الترجمة، توجد أيضًا ١٥ صحابيّة باسم سلمى، منهنّ سلمى خادمة النبي، وكانت مربّية ابنه إبراهيم وابنته فاطمة، كانت معتوقة صفيّة بنت عبد المطلب، وزوجة أبي رافع الصحابي.

وسلمى بنت عوف بن ربيعة بن الحارث الرّياحي زوجة صخر أخ الخنساء. وسلمى بنت الخشرم أخت هدبة بن الخشرم المشهور بالشّجاعة والجلادة. وهي زوجة زياد بن يزيد اللّبياني رئيس بني ذبيان. وقد ذكرنا من قبل أنّ زوجةً من زوجات الحسن كانت تدعى سلمى. وسلمى أيضًا فقيهةٌ محدّثة من بنات الشيخ محمد الجزري، ذكرها صاحب تارج التّواريخ في ترجمة علماء عصر بايزيد. وعلى حسب ما سمعنا توجد سيّدة تعرف باسم الزّاهدة سلمى خانم موجودة في عصرنا، وهي كريمة المرحوم علي باشا، عُرفت بحسن الخطّ والأدب.

استطراد

عن بعض المعلومات الأدبيّة المتعلقة باسم سلمى، سلمى بضمّ السّين على وزن حبلى من أسماء الرّجال، وبفتح السّين من أسماء النساء، ووردت في بعض الأشعار بزيادة ياء تصغير في آخرها (سليمى) ومن ذلك الأبيات التالية:

أيّهــا المدعــي ســليمى هواهــا
لســت منهــا ولا قلامــة ظفــر
إنّــما أنــت في هواهــا كــواو
ألصقــت في الهجــاء ظلــماً بعمــرو

ومن الأبيات التي ورد فيها اسم سلمى أيضًا:

فأرسلت إلى سلمى بأنّ النفس مشغوفة

فأجادت لنا سلمى بزنجير ولافوقة

والزنجرة هي إشارة بالأصبع عن الميعاد كانت معروفة عند العرب، والفَوف بفتح الفاء تعني الرّد أيضًا بالإشارة، ويقال (سألته فما فاف عني بخير ولا زنجر) أي لم يعطني إشارة بالموافقة.

والبيت التالي لجامي:

فلمّا شمرت للسير سلمى

بكت عيناي من خوف التنائي

تعانقنا لتوديع فقالت

جه بودى كر نبودى آشنائي

وقيل أيضًا:

ما أحسنت سلمى إليك صنيعها

تركت فؤادك بالفراق مروعًا

٤٤٩- سليمة:

من المتصوّفات المذكورات في النفحات، كانت جارية خواجه محمد القاسم حفيد مولانا عبيد الله السمرقندي، لمّا انتقلت إلى ملك المشار إليه كانت في السّابعة من عمرها، وتُوفيت بعدها بسبع سنوات، فقد كان قد اشتراها مع والدتها، ورغم أنّه أراد عتقها إلّا أنّها لم تقبل، وفضلت أنْ تكون جارية عنده، وتُوفّيت وهي في الرابعة عشرة من عمرها. يُقال إنّه ظهرت لها بعض الكرامات.

٤٥٠- سمية:

سميّة بنت خبّاط، من الصّحابيات، والدة الصّحابي عمار بن ياسر، كانت جارية، أسلمت في عصر صدر الإسلام، تعذّبت كثيرًا على يد المشركين، واستشهدت أخيرًا بضربة رمح من عدوّ الله أبي جهل، ويذكر ابن الأثير أنّها أوّل شهيدة في الإسلام، فقد أُستشهدت قبل الهجرة النبويّة إلى المدينة.

وسميّة أيضًا وهي والدةُ زياد بن أبيه، كانت جارية للحارث بن كلدة الثقفي، ومزنيّة لأبي سفيان، نسب إليها معاوية ابنه زياد في عام ٤٤هـ، أي اتّخذه أخاه في النّسب، فنظمت سميّة الأبيات التّالية في معرض الهجاء له:

ألا أبلـــغ معاويــــة بــــن حـــــرب
لقــــد ضاقــــت بــــما تــــأتي اليـــدان

أتغضــــب أنْ يُقـــال أبـــوك عــــف
وتــــرضى أنْ يقــــال أبـــوك زان

وأشـــهد أنّ رحمــك مــــن زيــــاد
كرحـــم الفيــل مــــن ولـــد الأتــــان

ومن المعلوم أنها كانت أول قارورة تكسر في الإسلام.

وسميّة أيضًا اسمُ والدة الشّاعر الجاهلي عنترة بن شدّاد صاحب المعلقة، وقد ذكر المذكور في بعض أشعاره أنّها تعرّضت للمظالم، ومن الأبيات التي تدلّ على ذلك:

تعزّيــت عــن ذكــرى ســميّة حقبــة
فبــح لأنّ منهــا بالـــذي أنـــت بائـــح

٤٥١- سواء العنزية:

كانت من أشرافِ نساء العرب في الجاهلية، ومن النّسوة اللاتي يقدرن على تطليق أزواجهنّ لكبر اعتبارهنّ، ستتناولها في حرف الميم في عنوان ماوية بنت عفزر.

٤٥٢- سودابة:

زوجةُ كيكاوس شاه أحدِ ملوك الفرس القدامى، كانت على علاقةٍ مع سياوش ابن كيكاوس، وتذكر كتبُ التواريخ الأحداث التي جرتْ بسبب تلك العلاقة، ورد اسمُها في صحائف الأخبار سعدى، مع أنّ سعدى من أسماء نساء العرب، وهناك مَن ذكر أنّ اسمها أغسطس روخ.

٤٥٣- سودة بنت زمعة:

سودةُ زوجةُ النّبي، بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشيّة العامرية، ذكرناها من قبلُ في عنوان أمّهات المؤمنين، تزوّجها النّبيّ بعد وفاة خديجة، وقيل تزوّجها في مكة قبل دخوله بعائشة رضي الله عنها، كانت كبيرة في السنّ عندما تزوّجها النبي، وعمّرت حتّى أواخر عهد الفاروق.

وذكر الشّيخ الأكبر في المسامرات أنّها روتْ عن رسول الله خمسة أحاديث فقط.

وسودةُ بنت عبد الله ابنةُ عبد الله العسقلاني من علماء الحنابلة، محدّثة من أساتذة الإمام السيوطي، سنذكرها في حرف الشّين بعنوان نشوان.

٤٥٤- سوسن:

والدةُ محمد المهدي، من السّادات، ومحمد المهدي هو محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي النقي بن محمد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وثمّة قول بأنّ سوسن هذه أمّ الحسن العسكري والده، وأنّ والدته هي صقيل وقيل نرجس.

ومحمد المهدي هو المهدي المنتظر الذي سيظهرُ في آخر الزمان عند طائفة الشيعة الضّالة، فهم يزعمون بأنّه دخل أحد السراديب في قصره في مدينة (سرّ مَن رأى)، وكان ذلك عام ٢٠٦ وعلى قول ٢٧٥هـ ولم يخرج منه ثانية، وهو يعيش هناك، وسيخرج مرّة أخرى حينما يحين ذلك، ولذا يلقّبونه بصاحب السرداب، والمهدي والمنتظر والقائم، وقد نظم الشّيخ بهاء الدّين العاملي- وهو من مشايخ الشيعة- قصيدة يخاطبُ بها الإمام محمد المهدي يقول فيها:

أيا حجّة الله الذي ليس جاريا
بغير الذي يرضاه سابق أقدار
ويا من مقاليد الزمان بكفه
وناهيك من مجدبة خصّه الباري
أغث حوزة الإيمان وأعمر ربوعه
فلم يبقَ منها غير دارس آثار
وأنقذ كتابَ الله من يد عصبة
عصوا وتمادوا في عتوٍّ وإصرار
يحيدون عن آياته لرواية
رواها أبو شيعون عن كعب الأحبار
وفي الدّين قد قاسوا وعاثوا
وخبطوا بآرائهم تخبيط عشوا معسار
وأنعش قلوبًا في انتظارك قرحت
وأضجرها الأعداء أية أضجار
وخلّص عبادَ الله من كلّ غاشم
وطهّر بلاد الله من كلّ كفّار

وعجّل فداكَ العالمون بأسرهم
وبادر على اسم الله من غير إنظار
تجد من جنود الله خير كتائب
وأكرم أعوان وأشرف أنصار

وقد شرح أحمد المنيني شارح تاريخ العتبي تلك القصيدة، والقصيدة نفسها موجودة بأكملها في آخر الشرح المذكور طبعة مصر، ولأنّ الشّيعة أبطأوا ظهور المهدي فإنه قد ضُرب المثل بذلك للأشخاص المتأخّرين جدًّا يقال (أبطأ من مهدي الشيعة). ويرى ابن خلدون أنّ خروج المهدي من أشراط الساعة الكبرى، وأنّ ولادته ستكون في آخر الزمان مثل ظهوره، ولأنّه سيكون من آل البيت فإنّ اسمه سيكون محمّد وأبوه عبد الله مثل النّبيّ تمامًا. وأورد الشّيخ حسن العدوي في كتابه مشارق الأنوار نقلًا عن كتاب طبقات الشعراني، وهو أيضًا مذكور في الجواهر بأنّ المهدي المنتظر سيولد في الليلة الخامسة عشرة من شهر شعبان لعام ١٢٥٥هـ، وهذا الرّأي منقول أيضًا من الشيخ حسن العراقي، وهو ما ذهب إليه الشيخ علي الخواص.

سوسن وهو أيضًا اسمُ زوجة يهودا يواقيم والي القدس من قبَل فرعون مصر، تعرّضت للافتراء في عِرْضِها، ولكنها بُرئت بعد ذلك، وقصّتها مذكورة لذلك في سفر دانيال (وربّما في أسفار التّوراة أيضًا).

٤٥٥- سيدة بنت عبد الرحيم:

ابنةُ عبد الرحيم بن الشيخ أبي النجيب، أمّها المحدّثة جوهرة بنت هبة الله، ولذا فهي محدّثة بنت محدثة.

٤٥٦- سيدة الحلبية:

مذكورةٌ في كتاب عنوان النّصر للصفدي، فهي من أعيان عصره، سيدة حلبيّة من أرباب الفقه والحديث، اسمُها الأصلي شهدة، لذا سنتناولها في حرف الشّين.

سيّدة ابنةُ الخليفة العباسي السادس والعشرين القائم بأمر الله بن القادر بالله، تزوّجت ركنَ الدين طغرل ابن

عمّ خديجة السلجوقيّة المذكورة سابقًا، وهو من سلاجقة العراق.

سيدة، والدةُ مجد الدولة حاكم الري، وهو من آل بويه، ولأنّ سنة جلوس ابنها على العرش كان ابنها يبلغ من العمر أربعَ سنوات، فجمعت في يديها زمام الأمور.

وسيّدة لقبُ امرأة تدعَى شغب، كانت جارية أمّ ولدٍ للخليفة العباسي المعتضد، وقد لقّبت بهذا اللّقب بعد جلوس ابنها على العرش.

٤٥٧ – سيرين:

أختُ ماريّة القبطيّة الآتية الترجمة، أهداها المقوقس حاكمُ الإسكندريّة للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، فأهداها النّبيّ لحسّان بن ثابت، وأنجبت منه ابنه عبد الرحمن، ورغم أنّ المذكورة واردة في كتاب أسْدِ الغابة على أنّها سيرين، إلّا أنها وردتْ في تاريخ الكامل خطأً شيرين.

حرف الشين

٤٥٨- شادان:

كلمةُ شادان تعني صغيرَ الغزال الذي استغنى عن الرّضاعة وبدأ الأكل، وقد تسمت بعضُ نساء العرب بهذا الاسم، وشادان اسم جارية مغنّيّة جميلة لإسحاق بن نجيح، كانت ذات مهارةٍ في نظم الشّعر وتلحينه، وقد نظمت الأبيات التّالية في أحد المجالس وغنّتها بألحانها فاندهش الحاضرون:

ظبي تكامل في نهاية حسنه
فزها ببهجته وتاه بصدّه
والشّمس تطلع من فرند جبينه
والبدر يغرب في شقائق خدّه
ملك الجمال بأسره فكأنما
حسن البريّة كلها من عنده
يا ربّ هب لي وصله
وبقاءه أبدًا فلست بعائش من بعده

فقال أحدُ الحاضرين سيّدي من يكون غيرك قد وصل إلى تلك الدّرجة

من الحسن والبهاء؟ فردّت شادان بهذا البيت:

فإنْ بحتَ نالتني عيونٌ كثيرة وأضعف عن كتمانه حين أكتم

٤٥٩- شارية:

من المغنّيات المذكورات في كتاب الأغاني، وهي من مغنّيات العصر العباسي، وُلدتْ في البصرة، ورغم أنّها كانت ابنة لشخص يدعَى سامة بن لؤي وهو من الأحرار إلّا أنّه لم يعترفْ بها لأنّ أمّها كانت من جنس العبيد، فسُرقت وبيعت، واشترتها سيّدةٌ من بني هاشم وأحسنت تربيتها، وتعليمها، ولمّا آلت إلى تملك إبراهيم بن المهدي، وهو من أبناء الخلفاء المشتغلين بالموسيقى، اكتسبت مهارةً في فن الموسيقى، وتفصيل أحوالها في الرّق والأسر مذكورٌ في المجلّد الرّابع عشر من كتاب الأغاني.

٤٦٠- شاعرة الأندلس:

وهو لقبُ حفصة الركونيّة أشهر أديبة في بلاد الأندلس، وقد لقّبت بهذا اللّقب لاشتهارها بكثرة أشعارها، وقد تفرّدت بهذا اللقب بين شاعرات عصرها.

٤٦١- شاه سلطان:

كان اسمُ العديد من بنات الأسرة العثمانيّة، ومنهنّ شاه سلطان ابنة السّلطان سليم الأوّل وزوجة لطفي باشا كاتب مريدة لمركز أفندي، بنتْ مسجدًا وخانقاه في داود باشا، ومؤخّرًا أصبحت الخانقاه مدرسة، وذُكر في كتاب صحائف الأخبار أنّ زوجها لطفي باشا كان متهوّرًا، وهو ما جعل الحياة بينهما غير سعيدة وغيرَ موفّقة، فطلقها، ممّا أدّى إلى عزله من منصب الصدارة.

وللسّلطان سليمان القانوني أيضًا ابنة باسم شاه سلطان، وهي صاحبة تكيّة شاه سلطان الواقعة في أيوب، كانت زوجةً لحسن باشا أمير أمراء الروملي، وبعد وفاته تزوّجت زال محمود باشا، وتُوفي الاثنان معًا في ساعة واحدة.

وإفادة كتاب حديقة الجوامع عن هذا مغايرةٌ لما ورد في صحائف الأخبار.

وللسّلطان مصطفى الثّالث أيضًا ابنةٌ باسم شاه سلطان، وكانتْ عابدة وزاهدة ومعينة للفقراء والضعفاء، ولها آثارٌ خيريّة منها سبيل ومكتب في حي حضرة خالد، وهذا محرّر في تاريخ جودت (مجلّد ٧، ص ٢٧٦).

٤٦٢- شجرة الدر:

من الدّولة الأيوبيّة التي حكمت في مصر ٣٧ سنة من عام ٦١٥ إلى ٦٥٢هـ، كانت آخر الملوك الأيوبيّة في مصر، وبعدها ظهرت الدولة التّركيّة في مصر، كانت جارية أمّ ولد للملك الصّالح نجم الدّين بن الكامل ثالث الحكام الأيوبيّين في مصر، وأول منْ ابتدأ فكرة شراء العبيد وإدخالهم في الجيش، والتي كانت تعدّ أوّل بذور للتحكّم المملوكي في مصر. تُوفّي الملك الصّالح عام ٦٤٧هـ وجلس مكانه على العرش ابنُه الملك المعظم توران شاه، الذي لم يبقَ كثيرًا على العرش لمقتله على يد مماليك والده، فاتخذ الشّعبُ المصري المذكورة حاكمة عليهم، وانتخبوا الأمير عزّ الدين أيبك الجاشنكير قائدًا على الجيش، ظلّت شجرة الدر على العرش ثلاثة أشهر، كانت الخُطبة تُقرأ باسمها، والعملة تسكّ باسمها، باسم (ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل)، فقد كان لها ابنٌ من الملك الصّالح نجم الدين أيوب يُدعى خليل، لذا كانت تكتبُ على العملة وفي الأختام الرسميّة (والدة خليل). وسببُ خلعها من العرش أنّ الفرنجة كانوا قد تسلّطوا على البلدان المصريّة في تلك الأوقات، ورأى أعيان مصر أنْ ليس من المعقول أنْ تدير البلادَ في تلك الفترة العصيبة امرأة، فخلعوها وعيّنوا عزّ الدين أيبك حاكمًا على مصر، وذلك اعترافًا منهم له بالجميل لأنه تمكن من القضاء على الفرنجة في دمياط، ولُقّب أيبك بلقب الملك المعز، ولمّا رأى أعيان الدولة صلاحية شخص من أفراد الأسرة الأيوبيّة ويُدعى الملك الأشرف موسى خلعوا أيبك ونصبوا الملك الأشرف موسى، وجعلوا عزّ الدين وزيرًا خاصًا له، ولكنّ أيبك لم يرتضِ بهذا

الوضع فعمل على التخلّص من الملك الأشرف، وقضى عليه وتفرّد بالحُكم، وكانت هذه هي نهاية حكم الدولة الأيوبيّة في مصر، وبداية دولة المماليك، وكان ذلك عام ٦٥٢هـ وفي العام التّالي أي عام ٦٥٣هـ تزوّجها الملك عزّ الدين أيبك، وبعد سنتين أضمرت له شجرةُ الدّر الكره والبغضاء لأنّه همّ بالزّواج من ابنة الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل، فأمرت طواشيها بأنْ يقتلوه غرقًا في الحمّام، وبعد مقتله قطعت أصبعه وأرسلته بخاتم الملك إلى الأمير عزّ الدين الحلبي، ووعدته بالسّلطنة، ولكنه لم يتجرّأ على ذلك، ولمّا علم الجميع بالأمر أي بمقتل أيبك، همّ الجنود بقتل شجرة الدّر، ولكنّها أنقذت من القتل لأنّ بعض القادة العسكريين مانعوا ذلك، وجلس على العرش في تلك الأثناء الملك المنصور نور الدين علي بن الملك عز الدّين أيبك، ولمّا بدأ في إعدام منْ كان لهم صلة في مقتل والده، أمرت شجرة الدرّ بإغراقه هو الآخر في الحمّام، وألقت بجثته من على أسوار القلعة، وجاء أتباعه بعد ذلك وحملوها ودفنوه في قبره. ورغم أنّ حقّ الإمامة ساقط عن النساء، إلّا أنّ الحكم للغالب حسمًا للفتنة.

٤٦٣- شراحة:

على وزن سراقة، سيّدة من قبيلة همدان، رُجمتْ بالحجارة في حضور سيدنا علي بن أبي طالب لإقرارها بالزّنا. وتوجد سيدة أخرى تُدعى شراحة محدِّثةٌ معروفة كانت تشتهر بأمّ سهلة. المحيط.

٤٦٤- شرف خانم:

لها ديوانٌ شعرٍ مطبوع، ذكر فطين في تذكرتِه أنّها ابنة المرحوم نبيل بك من ذرّيّة عاشر أفندي شيخ الإسلام وصاحب المكتبة، كانت سيّدةٌ أديبة وشاعرة، وبتذكرة فطين مناجاة لها نقلتها كما هي:

يـا إلهـي لسـت أسـتحقّ الإحسـان
ولكـن أنعـم علـي بكرمـك ولطفـك
فنعتـي ومرثيتـي ومناجـاتي

اجعلها سبب مغفرتك لي

أنا أدرك الخير والشّر والحسن والقبح

قد علمت سرّ عرفانك بالعلم اللدني

أرجو نظرة من كمالك لتعفو

عن تقصيري مهما كان

حقيقة توجد للمذكورة مرثيّات جميلة، ولدَتْ عام ١٢٢٤هـ.

٤٦٥- بوشناق شريفة خانم:

من قضاء لوبين، اشتهرت بالشّجاعة التي اشتهرَ بها الرّجال، وقد قرأت في (أوراق حوادث) أنّها اشتركت في صفوف القتال مع الرّجال عندما تسلّط القره داغيون على قضاء لوبين في موقعة قره داغ، وأظهرت شجاعات نادرةً في المعركة، وتكريماً لها على بسالتها تلك منحت خمسمائة قرش، ووسام مجيدي من الدّرجة الخامسة (٢٢شوال ١٢٩٣).

٤٦٦- شعانين:

ذُكر في كتاب تزيين الأسواق أنّها كانت شاعرةً وزوجةَ الخليفة المتوكّل من الخلفاء العباسيّين. كانت في الأصل ابنة أحد الرهبان الذين يعيشون في أحد الأديار في الشّام، وكان الخليفة المتوكّل يتجوّل مع أحد ندمائه ذات يوم بالقرب من هذا الدير، فاقترب منه، ولمّا رأى شعانين أعجب بها وسألها منْ أنت ومنْ أبوك، فأجابت، فقال لها هلّا تحضرين لنا ماء، فقالت يا مولاي إنّ الماء الذي هنا ماء من البحيرة ولا يليق بك، ولو أنّ حياتي ستَرويك لأعطيتها لك، وأحضرتِ الماء في كوب من الفضة، فأشار الخليفة إلى نديمه بالشّرب، فقال لها الخليفة يا شعانين لو طلبت هل توافقين، فقالت له يا مولاي أنا الآن جاريتك وأحبّك، ولكن أخشى أنْ يضيع هذا الحبّ بعد أنْ أكون جاريتك، وتلتِ الأبيات التالية:

كنت لي في أوائل الأمر حبًّا

ثمّ لمّا ملكت صرت عدوًّا

أين ذاك السّرور عند التلاقي

صار منّي تجنّبًا ونبوا

ومن شدّة فرط إعجاب الخليفة بالأبيات مزّق ثيابه، فأخذته شعانين

إلى إحدى غرف الدّير، وبعد أنْ أكرته بالطّعام والشراب، أمسكت بالعود وتغنّت بالأبيات التالية:

يـــا خاطبًـــا منّـــي المـــودّة مرحبًـــا
روحـــي فـــداؤك لا عدمتُـــك خاطبـــا
أنـــا عبـــدة لهـــواك فـــاشرب واســـقني
واعـــدل بكأســـك عـــن جليســـك إذا بي
قـــد والـــذي رفـــع الســـماء ملكتنـــي
وتركـــت قلبـــي في هـــواك معذّبـــا

وأسلمت المذكورة بعد ذلك وتزوّجها الخليفة، وكانت من أحبّ زوجاته إليه.

٤٦٧- شعثاء:

هي شعثاءُ المذكورة في شعر حسان، من قبيلة بني أسلمة، وقيل من قبيلة بني ماسكة من يهود العرب، تزوّجها حسّان بن ثابت، وكان يحبّها حبًّا شديدًا، وهي والدة أمّ فراس.

٤٦٨- شعوانة:

من المتصوّفات المذكورات في نفحات الجامي وطبقات الشّعراني، من نساء أواخر القرن الأوّل، كانت تشتغل بوعظ ونصيحة النّساء، وكان كرمُها جيلًا مؤثّرًا، كانت تبكي كثيرًا من فرْط حبّها لله، وكانت تقول (سأبكي حتّى ينتهي الدّمع من عيني، وأبكي دمًا، حتّى ينتهي الدّم من جسدي) كان يحضر مجلسها العبّاد والزّهاد، ويطلبون منها الدّعاء لهم بالخير، حتّى أنّ الفضيل بن عياض الخراساني وهو من كبار الأولياء كان يذهب لزيارتها، كانت لها خادمةٌ كرديّة سئلت ذات يوم عن الفائدة التي تحصّلت لها من مصاحبتها وخدمتها لشعوانة، فقالت (معها لم أرغبْ في الدّنيا، ولم أغتم من أجل الرّزق، وكنت أرى الكبار الذين يرغبون في الدّنيا صغارًا في عيني، ولم أحقرْ مؤمنًا أبدًا). توفّيت في الحرم الشريف عام ١٨٧هـ.

٤٦٩- شغب:

والدةُ المقتدر بالله العباسي المذكور في عنوان أمّ موسى وسيدة، كانت في الأساس أمّ ولد للخليفة المعتضد، ولمّا جلس ابنها المقتدر على العرش لقّبت

بسيدة، مرضت في أواخر عمرها بمرض الاستسقاء، واشتدّ مرضها بخلع ابنها وقتلِه، فأصبحت لا تأكل ولا تشرب، وقد أحضرها الخليفة القاهرُ بالله، وعلقها في الهواء من أرجلِها لترشد عن مالِها حتّى تُوفيت المسكينة، وكانت وفاتها عام ٣٢١هـ ودُفنت في مقبرتِها في الرصافة.

خُلع الخليفة القاهر بالله للمرّة الثانية في جمادى الأخرى عام ٣٢٢هـ وفقئت عينُه برمح، وعاش بقيّة عمره سائلاً في الطرقات يسأل الناس حتّى تُوفّي في جمادى الأولى عام ٣٢٩هـ وهذا غضبُ الله.

٤٧٠- شفا خاتون:

من الصّحابيات، والدة عبد الرحمن بن عوف، اسمُها شفا بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، كانت موجودةً عند السيدة آمنة وقت ولادة النبيّ ﷺ، ورد ذكرُها في كتب السّيَر لأنّها شاهدت الخوارق الروحانيّة والحالات العجيبة التي رافقت ولادةَ النبي.

وتوجد صحابيّتان أخريان باسم شفا، واحدةٌ منها أمّ سليمان بن أبي حثمة شفا بنت عبد الله بن عبد شمس القرشيّة العدوية، كانت من أوائل منْ آمنوا وهاجروا وبايعوا النبي. كان النّبيّ يحترمها، وينام القيلولةَ في دارها، لذا كانت شفا قد أعدّت في منزلها مكانًا خاصًّا بالرّسول، ظلّ هذا الفراش المبارك عند أهل بيت شفا لفترة، ثمّ أخذه مروان بعد ذلك.

ومذكورٌ في تاريخ الكامل في الفصل الخاصّ بسيرة عمر أنّ شفا المذكورة رأت ذات يوم مجموعةً من الرجال يسيرون ببطء، ويتحدّثون بصوت منخفض، ظاهرًا فيهم صفة الرّياء، فسألت مَنْ هؤلاء؟ فقالوا لها إنّهم الزّهاد، فقالت (كان والله عمر إذا تكلّم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسكٌ حقًّا).

٤٧١- ست شقراء:

ابنةُ الملك النّاصر حسن بن محمد بن قلاوون، سلطان مصر، كانت زوجة

الأمير روس، وكانت لها دار عالية ذكرها المقريزي في خططه، كانت تُعرف باسم (دار الست شقراء) وهي من آثار مصر، توفّيت في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ جمادى الأولى لعام ٧٩١هـ.

٤٧٢- شقراء بنت مسلم بن حليس الطائي:

من زوجات عبد الملك الأموي، وذكر ابن الأثير أنّ والدة أبيها هي ابنة عبد الله بن جعفر الطّيار.

٤٧٣- شقيقة:

ابنةُ عباد بن زيد بن عمرو بن شيبان، وقومُها كانوا يعرفون ببني اللّقيطة أو بني الشّقيقة، فقد ورد في أحد أبيات ديوان الحماسة:

لـو كنـت مـن مـازن لم تستبح إبـلي بنو
اللقيطـة مـن ذهـل بـن شـيبانا

ويقال إنّ حذيفة بن زيد عثر في إحدى سنواتِ القحط على طفلٍ في الأماكن المجاورة له، ولمّا عثروا على والد الطّفل زوّجوه بأمّه وأطلق على النّسل الذي أنجبته بني اللقيطة.

وشقيقة أيضًا اسمُ جدّة النعمان بن المنذر، وهو من أمراء العرب. وشقيقة بنت مالك صحابيّة من بني مازن، ويذكر ابنُ الأثير أنّها أختُ الصّحابيّة شموس بنت مالك، وقد بايعتا الرّسول.

٤٧٤- شكر باره:

هي السّيدة التي نفاها السّلطان إبراهيم إلى إبريم عام ١٠٥٨هـ، كانت من مصاحبات السّلطان فكانت تؤانسه، وتتدخّل في المصالح، وكانت تحصل على الرّشاوى لإنهاء المهام وغيرها، ولمّا علمت كوسم والدة بذلك نهرتها وعنّفتْها، ولكنّها لم ترتجع عن أحوالها، ولما وصلت تلك الأخبار إلى السّلطان أمر بنفيها إلى إبريم، فأخذت على حين غفلةٍ منها من غرفتها، ووُضعت في زورق ونُقلت إلى ساقز، ومنها إلى إبريم، ومذكورٌ في تاريخ نعيما نقلًا عن أحمد أغا الذي كان متولّي مسألة نفيها أنّها رجَتْه بأن يعطيها المال لتتعيّش به في المنفى لأنّها خرجت دون أنْ تأخذ

مصاريف معها، فأعطاها المذكور ٣٠٠ أقجه، فقبّلت المذكورة يده، فبكيا معًا.

وبعد نفيها صدر الأمر السّلطاني بمصادرة أموالها، ولمّا فُتحت غرفتها عثر فيه على ١٦ صندوقًا مملوءًا بالجواهر والذهب والفضّة، و٢٥٠ كيسًا من المال، فقال السّلطان (أيّتها الكافرة كنت تقسمين لي بأنّك لا تملكين المالَ لشراء الخبز، هذا المال كلّه لي).

٤٧٥- شلبية:

من أديبات الأندلس، وشلب على وزن حلب، مدينة ساحليّة كانت تقع على مسافة سبع مراحل من قرطبة عاصمة الأندلس، ولأنّ اسمها الأصلي غير معروف أطلق عليها شلبيّة نسبة لمدينتها، ومن أبياتها:

قد آن أنْ تبكي العيون الآبية
ولقد أرى أنّ الحجارة باكية
يا قاصد المصر الذي يرجى به
إنْ قدّر الرحمن رفع كراهية
ناد الأمير إذا وقفت ببابه
يا راعيًا إنّ الرعيّة فانية
أرسلتها هملًا ولا مرعى لها
وتركتها نهب السباع العادية
شلب كلا شلب وكانت جنة
فأعادها الطاغون نارًا حامية
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم
والله لا تخفى عليه خافية

وقد كتبت صاحبة التّرجمة الأبيات المذكورة وأرسلتها إلى السّلطان يعقوب المنصور تتظلّم فيها من والي بلدتها.

٤٧٦- شمرام:

ويُطلق عليها أيضًا سميراميس، حكمت فترةً طويلة في مدينة نينوى القديمة التي بُعث سيّدنا يونس إلى أهلها، وكانت تنتسب إلى نينو حفيد آثور بن سام الذي انفصل عن مدينة بابل القديمة مقرّ النماردة قبل مولد النّبيّ بألفين وستمائة عام، وأسّس مدينته على الضفة المواجهة لمدينة الموصل، وقد سمّيت هذه المدينة نينوى نسبة إلى نينو حفيد آثور المذكور، لأنه وسعها كثيرًا. كانت شمرام أو سميراميس في الأصل

زوجة قائدٍ يُدْعى منونس أحد قادة نينو المذكور، وقد تزوّجها نينو بعد وفاة زوجها منونس مكافأة لها على حسن تدبير زوجها في الاستيلاء على إحدى القلاع، وقد أنجبت منه نينا، ولأنّه كان صغيرًا أثناء تولّيه العرش خلفًا لأبيه تولّت أمّه أمور الحكم، كانت دولتهم في تلك الأثناء قويّة لدرجة أنّ بابل نفسها كانت تتبعهم، ولكنّ العاصمة ظلّت في نينوى كما هي، وكما زيّن ووسّع زوجها نينو مدينة نينوى، وسّعت وزيّنت هي الأخرى بابل وأحاطتها بسور، وبنتْ ٢٥٠ برجًا من الحجارة الممزوجة بالقطران، كما أنشأت جسرًا على نهر الفرات الذي يمرّ من وسط المدينة يبلغ طوله ٩٢٥ مترًا، مقام على دعامات تبتعد كلّ دعامة عن الأخرى بمسافة ١٢ قدمًا، كما بنت قلعتين مزيّنتين بالرّسوم والنقوش الجميلة، وبعد أنْ حصّنت نفسها داخليًا، طاقت نفسها للخروج بالفتوحات إلى الخارج، ففتحت أرمينيا وبلاد فارس، وقيل فتحت أيضًا فلسطين ومصر، وبلاد الحبشة وبلاد الهند، ولكنّها تعرّضت للهزيمة أمام إمبراطور الهند الذي كان يتفوّق عليها في العدّة والعتاد، فضلًا عن وجود الأفيال في جيشه، وعادت شمرام إلى دولتها، وجلست على العرش قرابة الأربع سنوات بعدها تنازلت عن العرش طواعية لابنها نينا، وقيل إنّ نينا هو الذي خلع أمّه عن العرش بعد هزيمتها تلك.

استمرّت فترة حكمها ٤٠ أو ٤٢ سنة، شقّت فيها الجداول وأنشأت الجسور وعَبدت الطّرق، وجففت المستنقعات، وأنشأت العديد من القرى والقصبات على ضفتي نهر دجلة والفرات، ويعتقد الأهالي هناك أنّها أصبحت حمامة، وطارت في السّماء مع سرب حمام، لذا جعلوها في مرتبة الإله. وذكر في صحائف الأخبار أنّها عندما فتحت بلاد أرمينيا كان يحكمها ملكٌ يُدْعى آرا كان جميلًا للغاية، عشقته شمرام، ولمّا طلبت منه أنْ يتزوّجها رفض، فقتلتْه وأسرت ابنه، وكان يُدْعى كارطوس،

ثمّ عفتْ عنه ونصّبته مكان أبيه ملكًا على أرمينيا تابعًا لها، وأسمته أرايان، ورغم أنّها طلبت منه أنْ يقتل ابنها نينا ويجلس مكانه على العرش إلّا أنّه رفض وفرّ هاربًا إلى بلاده.

٤٧٧- شموس الجديسية:

سيّدةٌ فصيحة من قبيلة جديس القديمة، ومن المعلوم أنّ قبيلتي جديس وطسم قبيلتان عربيتان قديمتان كانتا تعيشان في نواحي اليمامة والبحرين، ولأنّ الحكم والغلبة كانت في قبيلة طسم كان يحكمها عمليق، ولأنّ عمليق هذا كان يكنّ الحقد والبغض لأسباب سنبيّنها في ترجمة هزيلة، سنّ عادةً بأن يقوم بإزالة بكارة كلّ فتاة ستتزوّج من قبيلة جديس، واستمرّت تلك العادة حتّى زواج شموس المذكورة، وأحضروها إلى عمليق ليقوم بما اعتادَ عليه مع فتيات جديس، وكانت شموس كارهة لهذا الفعل، وبعد أنْ أزال بكارتها خرجت إلى قومها ودماءُ البكارة تسيل منها، ومزّقت ملابسها ونظمت في قومها تلك الأبيات التي تحثّهم فيها على الانتقام من عمليق هذا، فقالت:

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد النمل

فإنْ أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا تفرّ من الفحل

ولو أنّنا كنّا رجالًا وكنتم نساء ... لكنّا لا نقيم على الذل

فتأثّر قومها من هذه الأبيات وقرّروا الانتقام من عمليق وقبيلة طسم، ففكّر أسود أخو شموس، وكان رئيس قبيلة جديس في حيلةٍ بأن يدعو قبيلة طسم كلّها وحاكمها معها إلى مأدبة كبيرة، ويقومون بقتلهم فيها، ولكنّ شموس قالت لهم «الغدر عارٌ وعاقبتُه بوار، صبّحوا القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كرامًا» في إشارة منها على عدم موافقتها على هذا الرّأي الذي يحمل في طيّاته الغدر بقبيلة طسم، فقال أخوها (المكر أمكنُ من نواصيهم) واستقرّوا على هذا الرّأي، ودعوا قبيلة طسم وعمليق إلى مأدبة كبيرة في وسط

الصّحراء، وكانوا يخفون السّيوف في الرّمال، ولمّا جلس أفراد قبيلة طسم للطعام أعمل فيهم الجديسيون السيفَ فقتلوهم، وتمكّن شخص منهم يُدعى رياح بن مرّة من الهرب وذهب إلى حسان الحميري ملك اليمن وقصّ عليه القصة، فقضى حسان الحميري على طسم وجديس كما ذكرنا ذلك من قبل في ترجمة زرقا.

كان اسمُها الأصلي عفيرة، وشموس لقبها، وقد اكتفينا هنا ببعض الأشعار التي أوردها الشريشي شارح المقامات في مقامته الخمسين. كما توجد لها أشعار أخرى في المجلّد العاشر للأغاني، وأخرى في تاريخ الكامل، سنوردها كلها في ترجمة عفيرة.

وشموس أيضًا اسمُ أربعةٍ من الصحابيات، وواحدةٌ من الأنصار، أحبّها أبو محجن الصّحابي، ولمّا لم يجد حيلة في رؤيتها، دخل أحدَ المنازل المجاورة لبيتها كعامل ليراها ونظم البيت التّالي:

ولقد نظرت إلى شموس ودونها
حرج من الرحمن غير قليل

ولمّا سمع زوج شموس البيت اشتكى إلى عمر، فقام عمر بنفي أبي محجن. وأبو محجن المذكور هو قائل الأبيات التالية:

إذا مت فادفنّي إلى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنّي بالفلاة فإنني
أخاف إذا مت أنْ لا أذوقها

وهو أبو محجن الثّقفي، صحابي، اشتهر بالجودِ والكرم سواء في عهد الجاهليّة أو في عهد الإسلام، كان لا يكفّ عن شرب الخمر، حتّى أنّ سيدنا عمر أقام عليه حدّ شرب الخمر ٨ مرّات، ولكنّه تاب بعد وعظ سعد بن أبي وقاص له في موقعة القادسية.

وشموس بنت قيس والدة أمّ المؤمنين سودة بنت زمعة، وهذا كما ورد في صحائف الأخبار.

٤٧٨- شولة:

هي شولةُ المضروب بها المثلُ في النصح السّيّئ يُقال (شولة الناصحة)، ورد

ذكرها سابقًا في اسم أمة بني عدوان، وهي جارية من بني عدوان، وسبب ضرب هذا المثل عليها أنها كانت تنصحُ سادتها بالنّصائح التي تنصب عليها بالضّرر في النهاية؛ لذا يُقال في العربيّة (شولة النّاصحة) و(أنصح من شولة)، و(أشأم من شولة).

وقد ذكرها جار الله الزمخشري في كتابه (أطواق الذّهب) في الباب الخامس والتسعين فقال عنها (هذا لعمري ظلمٌ منك وعدوان ونصح كنصح أمة بني عدوان).

٤٧٩- شهدة الكاتبة:

هي شهدة بنتُ أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبري، محدثة عالية الإسناد اشتهرت بالعلم والدّراية وحُسن الخطّ والكتابة، ولأنّها اشتهرت بعلوّ سندها فقد أخذ منها جمع غفير علم الحديث. قال ابن خلكان عنها إنّها تعلّمت على يد مشاهير علماء القرن الخامس الهجري أمثال أبي الخطاب نصر بن أحمد البطرواني، وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النّعالي، وطلحة بن محمد الزيني، وأبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب، وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي، كما تعلم على يديها الكثير، وحصلوا منها على الإجازة، ذاع صيتُها في عصرها، تُوفّيت في بغداد بعد العصر يوم الأحد الموافق ١٣ محرم عام ٥٧٤هـ عن عمر يناهز التسعين. أمّا والدها فقد تُوفّي يوم الجمعة الموافق ٢٣ جمادى الأولى لعام ٥٠٦هـ تزوّجت علي بن محمد بن يحيى أبو الحسن الدّريني، الذي كان من أعيان عصره وأديبًا، وكان يعرف بثقة الدّولة لانتسابه للخليفة المقتفي لأمر الله العباسي، وكان له آثارٌ خيريّة كثيرة في بغداد. ولزواجها من المذكور اكتسبت تميّزًا بين نساء عصرها، تُوفّي المذكور يوم الثلاثاء الموافق ١٦ شعبان ٥٤٩هـ، ودُفن في فناء منزله، ثمّ تُوفّيت بعده زوجتُه شهدة في التاريخ المذكور سابقًا.

٤٨٠- شهدة:

بنتُ عمر بن أحمد بن هبة الله أحمد بن يحيى بن جرادة العقيلي الحلبي، وهي سيدة الحلبيّة التي وعدنا بتبيانها سابقًا. كانت تحضر دروسَ الفاضل الكاشغري في حلب عام ٦٢١هـ، وحصلت منه- ومن ثابت بن شرف وغيرهما- على الإجازة. وذكر صلاح الدين الصفدي في كتابه عنوان النّصر أنّ أستاذه علم الدين قال إنّه درس على يد سيدة الحلبيّة، وأنّها روت لهم الحديثَ عن المحدّث الحافظ ضياء الدين عمر بن بدر بن سعيد الموصلي، وأنّه لم ينقل لهم الحديث سوى المذكور. تُوفّيت في حلب عام ٧٠٩هـ، وقد حزن أخوها مجد الدين على وفاتها جدًّا، لدرجة أنّه لم يرغب في الدنيا بعد وفاتها ولم يرتدِ ملابسَ فاخرة قط.

وشهدة والدة المغنّية المشهورة عاتكة الآتية التّرجمة، كانت في الأصل جارية مغنّية عند الوليد بن يزيد الأموي، وهذا ما ذُكر في المجلّد السادس للأغاني.

٤٨١- شهر بانو:

ابنةُ يزدجرد آخر ملوك الأكاسرة الفرس، أُسرتْ مع أختين لها في عهد عمر بن الخطاب، وكانت من نصيب الحسين حيث استفرشها، وأنجبَ منها ابنَه علي زين العابدين، ومذكور في صحائف الأخبار وربيع الأبرار والسير الحلبيّة ومشارق الأنوار أنّ يزدجرد كان له ثلاث بنات تمّ سبيهم في عهد عمر، وحصل عبد الله بن عمر على واحدةٍ منهنّ، وحصل محمد بن أبي بكر على واحدة، والحسين بن علي واحدة، وقد أنجب عبد الله بن عمر منها ابنه سالم، وأنجب محمد بن أبي بكر من الأخرى ابنه قاسم، وأنجب الحسين من الثالثة، وهي شهر بانو زين العابدين. وتورد بعضُ الكتب أنّ والدة زين العابدين كان اسمها غزالة أو سلّامة، وليس هذا مخالفًا لما قلناه لأنّ شهربانو كان اسمها قبل الإسلام، أمّا غزالة أو سلّامة كان اسمها بعد الإسلام.

٤٨٢- شهر ناز:

أختُ أرنواز المذكورة في حرف الألف، وأختُ جمشيد شاه من الأسرة البشدادية من ملوك الفرس، كانت الاثنتان متزوجتين بالضحاك وبعده انتقلتا إلى فريدون شاه.

٤٨٣- شيرين المغنية:

مغنّية ومعشوقةُ الخبيث المسمّى خسرو برفيز من أكاسرة الفرس، تزوّجها المذكور، وبنى لها قصرًا كبيرًا، وهو القصر المعروف بقصر شيرين، وتنقل بعضُ كتب التاريخ أنّ شيرين أخذت عهدًا على نفسها بعدم الزّواج بعد وفاة برفيز، ولمّا جلس شيرويه بن برفيز على العرش خلفًا لوالده، سامح مَن شاركوا في مقتل أبيه، واستقلّ بالحكم، ولمّا رغب في الزّواج من شيرين زوجة أبيه، رفضت فبدأ يضغط عليها، ولمّا رفضت مجددًا، بدأ يهدّدها في شرفها وينشر الإشاعات عنها بأنّها زانية، فقالت له شيرين إنّها موافقة على الزّواج منه ولكن بثلاثة شروط؛ الأوّل منها القضاء على كلّ مَنْ قاموا بقتل زوجها برفيز، الثّاني أنْ يقف في مكان مرتفع، ويعلن على النّاس أنّه كذب في كلّ ما افترى عليها من كلام، الثّالث أنْ يسمح لها بأن تُدفَن بجوار برفيز، ولمّا نفّذ شيرويه الشروط كلّها دخلت شيرين القبر ومدّدت بجوار برفيز، لأنّها كانت قد شربت السّم.

وخسرو برفيز هذا هو ذلك الخبيث الذي مزّق رسالة رسولِ الله ﷺ، ولم يكتفِ بذلك بل أمر عاملَه في اليمن بازان- أسلم بعد ذلك وظلّ واليًا على اليمن- أنْ يقبض على الرّسول ويحضره له، وفي الوقت نفسه الذي وصلَ فيه هذا الخبر من اليمن للرسول، أُخبر الرّسول بواسطة الوحيّ بأنّ هذا الخبيث قُتل على يد ابنه، فأخبر الرّسول صحابته بهذا.

وقد رأيت في كتاب روض الأخيار الذي هو عبارة عن منتخبات من ربيع الأبرار أنّ برفيز هذا قال ذاتَ يوم لشيرين «آه لو تدوم لنا هذه الدّنيا وهذه السلطنة لكان هذا شيئًا عظيمًا»، فقالت

له شيرين (لو دامت فلنْ تدوم لنا). ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

٤٨٤- شيماء:

الشّيماء ابنةُ حليمة السعديّة التي ذكرناها في عنوان حذافة بنت الحارث السعدية، أخت النّبيّ في الرّضاعة، كانت تحبّ النّبي جدًّا وتدعو له قائلة:

يــا ربّنــا أبــق أخــي محمــدًا
حتّــى أراه يافعًــا وأمــردا
ثــمّ أراه سـيدًا مسـودًا
واكبــت أعاديــه معًــا والحسّــدا
وأعْطــه عــزًّا يــدوم أبــدا

والأرجوزة التّالية أيضًا من الأبيات التي كانت تلاعب بها الشّيماء سيدنا محمد وهو صغير:

هــذا أخٌ لي لم تلــده أمّــي
وليــس مــن نسـل أبي عمّــي
فديتُــه مــن مخــول معمــى
فانمــه اللّهــم فيــا منمــى

والشّيماء معناه ذات الخال، وهذا لقبها، أمّا اسمُها فكان حذافة أو جذامة ما أوضحنا.

حرف الصاد

٤٨٥ - صاحبة الجمل:

إشارةٌ إلى السّيدة عائشة، وقد أشار النّبيّ إلى ذلك في حديثه الشّريف «ليت شعري أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب». وقد أطلق عليها صاحبة الجمل أو وقعة الجمل لأنّ السيدة عائشة حضرت الوقعة راكبة جملٍ مشعر يسمّى عسمر كان قد أهداه بنو ضبة لها.

٤٨٦ - صاحبة الرؤيا:

يذكر أهلُ السّير أنّه لقب رقيقة بنت أبي الصّيفي المذكورة سابقًا، رأتْ رؤيا بخصوص استسقاء عبد المطلب، كما تلقّب عاتكة بنت عبد المطلب الآتية الترجمة أيضًا بصاحبة الرؤيا، فلها رؤيا في وقعة بدر سنوردها في مكانها.

٤٨٧ - صاحبة النعامة:

هي السّيدةُ التي ضرب بها المثل في الخيبة، يقال «أنت كصاحبة النعامة»، وقصّة المثل ما يلي:

أنّ تلك المرأة كانت مسكينةً لا أحدَ لها، وكان أهلُ عشيرتها هم الذين يقضون لها حوائجها، ذاتَ يوم كانت تلك المرأة تتجوّل في الصحراء فوجدت نعامة تستلقي على الأرض، ولا تستطيع التحرّك وفي فمها بقايا صمغ يطلقون عليه صعرور، والصّمغ وقفَ في حلقها لا تستطيع التخلّص منه، ففرحت المرأة وقالت ها أنا وجدت ناقة، ولن أحتاج إلى عشيرتي بعد اليوم، وربطت النّعامة بخمارها في شجرة، وذهبت إلى عشيرتها منادية فيهم (مَن كان يحفنا ويرفنا فليترك) أي من كان يقوم على خدمتنا فلا يفعل بعد ذلك، وحملت أغراضَها وخيمتها وذهبت إلى النّعامة فوجدتها قد ماتتْ مخنوقة من الرّباط، فتعجّبت المرأة من هذا هل ماتت من الرباط أمْ من الصّمغ الذي في حلقها، وبذلك حُرمت المرأة من النعامة ومن خدمة عشيرتها لها.

٤٨٨- صالحة بنت الملقن:

ابنةُ الشّيخ نور الدين أبي الحسن من أحفاد ابن الملقن الشافعي. ويقال لها (صالحة أمّ الهنا) كانت من أساتذة الإمام السيوطي، وهي أخت خديجة بنت الملقن المذكورة في حرف الخاء، وُلدت عام ٧٩٥هـ وتُوفّيت في ٦ رمضان عام ٨٧٠هـ وهذا ما ذكره الإمام السيوطي في كتابه المنجم. وقال أيضًا إنّها أخذت الحديث عن جدها.

٤٨٩- صبيحة:

زوجةُ الملك الحكم المستنصر من ملوك الأندلس، اتّصفت بالعقل والدّراية، وكانت على دراية بأمور السّلطنة ممّا جعل لها مكانة متفرّدة بين رجال عصرها، وجعل كلّ رجال الدولة يميلون إليها، ولمّا تُوفّي زوجها تولّى العرش خلفًا له ابنُه هشام (المؤيّد بالله) ولأنّه كان صبيًّا في الحادية عشرة من عمره، تفرّدت أمّه بأمور الحكم والسّلطنة بموجب اتفاق رأي رجال الدّولة، حيث جعلوها وصيّة على ابنها السّلطان.

٤٩٠- صحر:

هي صحر من حكيماتِ العرب المذكورة من قبل في حرف الخاء،

ابنةُ لقمان أحد حكام عاد من العرب الأقدمين، أطلق عليها (جزاء سنمار) و(ما لي ذنب إلّا ذنب صحر) الذي أصبحَ من ضروب الأمثال العربية. وسبب المثل أنّ لقمان هذا كان له ابنٌ يُدعى لقيم خرجا معًا للإغارة، واتّجه كلّ واحد منهما إلى ناحية، وعثر لقيم على قطيع إبل فأخذَها وسار بها إلى قومه، فذبحتْ أختُه صحر ناقة وطهتها، وانتظرت والدَها، ولمّا عاد والدُها وعلم بالحكاية، قام بضربِها ضربًا مبرّحًا، ذكر الميداني أنّه ضربها حتّى الموت. وكان هذا جزاء شخص لم يقترف أيّ ذنب، فأصبح مضربًا للمثل بين العرب، ورغم أنّ الاسم المذكور ورد في القاموس صحر بضمّ الصّاد وسكون الحاء، إلّا أنّه ورد في مجمع الأمثال بفتح الصّاد والخاء بدلًا من الحاء.

ورغم أنّ القاموس أورد أنّ صحر كانت أختَ لقمان، ورغم أنّ المرحوم عاصم أخطأ في هذا إلّا أنّ سيد المرتضى أورد في شرح القاموس نفس الرواية.

٤٩١- صخرة:

وهي صخرةُ المذكورة في قصة المثل المشهور (وعند جهينة الخبر اليقين) أختُ حصين بن عمر بن معاوية بن عمرو من قبيلة بني كلاب، وسببُ المثل المذكور أنّ حصين هذا كان يتجوّل ذاتَ يوم مع شخص يُدعَى الأخنس من قبيلة جهينة، ولسببٍ ما تقاتلا، وقتل الأخنس الجهيني حصَين الكلابي وأخذ ماله، وكانت صخرة أختُ حصين تندبه كلّ عام في تلك الذّكرى، وتسأل عنه كلّ القبائل المارّة من عندِها، وفي سنة من السّنين كانت تنعي أخاها وتندبُه كالعادة، وسمعها الأخنس فقال:

تسائل عن حصين كلّ راكب
وعند جهينة الخبر اليقين

وأصبح المصراعُ الثّاني من البيت بمثابة المثل، وقيل (وعند جهينة الخبر اليقين).

٤٩٢- صدقى أمة الله قادين:

ابنةُ قاضي زاده عبد الرحمن أفندي زاده محمد أفندي المتوفّى في عام

١٠٨٩هـ والمدفون بجوار زاوية أمير البخاري عند باب أدرنة. من أديبات استانبول، لها بعضُ الإلهيات وديوان وأشعارٌ أخرى، تولّى والدها قضاء استانبول مرّتين، وتُوفّي بعد عزله من قضاء أيوب، وقد نظمت ابنته القطعة التّالية في وفاته:

عزم قامتي أفندي زاده على الجنان
فبكيت وأقامت الروح والفؤاد المأتم
فقالت ابنته صدقي تاريخ وفاته
ليكن قامتي زاده في أعلى مكان

ثمّ تُوفيت هي بعد والدها بعشرين سنة، ١١١٥هـ، ودُفنت بجوار والدها، وتاريخ وفاتها (صدقي فاضل). ورد اسمُها في تذاكر الشعراء في حرف الألف (أمة الله) وأوردوا لها غزليّة مع ترجمتها.

٤٩٣- صدوف العذرية:

ابنةُ شخصٍ يُدْعى حليس من قبيلة بني عذرة، وهي قائلة المثل القائل (لا ناقة لي في هذا ولا جمل) ويقال لمَنْ أراد أنْ يبرّأ نفسه من أي ظلم أو إساءة، وسببُ المثل أنّ صدوف هذه كانت متزوّجة من شخص يُدْعى زيد بن الأخنس العذري، وكان له بنتٌ تُدْعى فارعة من زوجة أخرى، ولكنّها كانت تعيش في غرفة مع أبيها في نفس البيت، ولمّا كان زيد يخرج كلّ فترة إلى أماكنَ بعيدةٍ للعمل، كانت فارعة تمتطي جملًا من جِمال والدها وتذهب به إلى شخص يُدْعى شبيب من رجال القبيلة لعلاقة بينهما، ولمّا عاد زيد من سفره مرّ بإحدى الكاهنات، وعلم منها أنّ بعض التصرّفات غير اللائقة وردت من أهل بيته وهو غائب، فلمّا عاد إلى بيته وحاول إظهار ذلك قالت له زوجتُه (يا زيد لا تعجل واقفُ الأثرَ لا ناقةَ لي في هذا ولا جمل)، ثمّ أخبرته بحال فارعة، ورغم أنّ الكثير من أرباب الشعر والإنشاء أوردوا هذا المثل في أعمالهم:

وما هجرتك حتّى قلت معلنة
لا ناقة لي في هذا ولا جمل

إلّا أنّه لم يكن هناك منْ أورد هذا المثل في قصيدةٍ مثلما أوردها الشّهاب

أبو الثناء محمود، وهو من معاصري الصفدي، وقصيدتُه لاميّة، يقول فيها:

أستغفر الله إنّ الغيث منفصل
من برّه وهو طول الدهر متصل
من حاتم عد عنه واطرح
قبه في الجود لا بسواء يضرب المثل
أين الذي برّه الآلاف يتبعها
كرائم الخيل ممن برّه الإبل
لو مثل الجود سرحًا قال حاتمهم
لا ناقة لي في هذا ولا جمل

وقد ذكرها صلاح الدّين الصفدي في شرح لاميّة العجم، وقالها في ذيل البيت المشهور:

فيم الإقامة بالزّوراء لا سكني
فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وإنْ قلنا إنّ صاحبة الترجمة اسمها الصّدوف العدويّة فإنّ هذا خطأ من ناحيتيْن؛ لأنّ العدويّة مخالفٌ لما جاء في مجمع الأمثال، وتعبير الصّدوف بأل مخالف لما ورد في القاموس.

٤٩٤- صفوت:

من أديبات استانبول، وردَ في تذكرة فطين أنّها ابنة يكلكجي محبّ أفندي، وزوجة رفعت بك من الموالي. تُوفّيت عام ١٢٥٣هـ ودُفنت بجوار والدها في أيوب.

٤٩٥- صفوراء:

ابنةُ سيّدنا شعيب عليه السّلام، وزوجة سيّدنا موسى، مدحها القرآنُ الكريم في قوله تعالى (تمشي على استحياء)، استأجره سيدنا شعيب لخدمتهم ثماني وقيل عشر سنوات.

يلزم على مذهبنا (المذهب الحنفي أنْ يكون مهرُ المرأة في الزّواج لا يقلّ عن عشرة دراهم فضية، أو ما يقابلها من الأشياء المباح استخدامها، ويلزم في هذا الشيء أنْ يكون مباحًا ويمكنُ استخدامه. أمّا إنْ عقد الرجل نكاحه على المرأةِ ولم يعيّن جنس المهر كأن يقول تزوّجت هذه المرأة على صداق وهو ثوب أو حيوان أو منزل، ولم يعيّن نوع الحيوان أو نوع المنزل أو نوع قماش

الثّوب، أو كأن يقول تزوّجتها على صداق، وهو هذا العبد فهذا الزّواج غير صحيح، أو كأنْ يقول تزوّجتها على أنْ أخدمها عامًا أو أحفّظها القرآن، فهذا أيضًا غير معتبَر لأنّ ما قاله ليس من جنس المال.

٤٩٦- صفيّة بنت حيي:

هي زوجةُ النّبي ﷺ، وقد ذكرناها من قبل في حرف الألف، ابنةُ حيي بن الأخطب النّضيري الإسرائيلي أمير خيبر، كانت متزوّجة بشخص يُدعَى كنانة بن أبي حنيفة من زعماء خيبر، ولمّا فتحت خيبر أُسرت للمسلمين، وكانت من نصيب الصّحابي دحية بن خلف، ولكنّه تركها للنبي لمّا لها من مكانة بين قومها، فأعتقها النّبيّ وتزوجها.

وكانت السيدةُ صفيّة قد رأت رؤيا من قبل بأنّ هلالًا ينزل على صدرها، وكان في هذا إشارةٌ إلى زواجها من الرّسول، ولمّا قصّت الرّؤيا على زوجها كنانة قال لها أنتِ تريدين أنْ تتزوّجي من ملكِ عربي، ولكمها لكمةً خفيفة.

ذكر محيي الدّين في المسامرات أنها روتْ عنْ رسول الله ١٠ أحاديث.

٤٩٧- صفيّة بنت شرف الدين:

ابنةُ الإمام شرف الدين أحمد بن أحمد المقدسي. زوجة الشّيخ بهاء الدين بن العز عمرو من أعيان عصر الصفدي، كانت محدّثة مقدسيّة مشهورة. روتِ الحديث عن المحدّث ابن عبد الدايم، ودرست صحيح الإمام مسلم، تُوفّيت يوم الأربعاء الموافق ١٠ ذي الحجة لعام ٧٤٠هـ.

٤٩٨- صفيّة بنت مجد الدين:

ابنةُ الشّيخ الإمام مجد الدّين أحمد بن عبد الله بن المسلم بن حماد بن ميسرة الأزدي من مشايخ المحدّثين، وهي المحدّثة المعروفة باسم ستّ الشّام، تعلّمت الفقه والحديث على يد المحدّث ابن عساكر ويحى الثّقفي وغيرهما. تعلم على يديها علم الدّين البرزالي أستاذ الصفدي، ويذكر الصفدي أنّها كانت من أهل الصلاح والورع، ذهبت إلى الحجّ وتُوفّيت في المدينة المنورة، وكانت

تصلّي في الحرم الشريف، ودُفنت في مقابر البقيع، كانت ولادتها عام ٦٤٧هـ ووفاتها في ١٢ ذي القعدة ٧٠٤هـ.

٤٩٩- صفيّة بنت عبد المطلب:

لبنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، من أسرة النبوّة، ومن عجائز الجنّة، أخت عبد الله والدِ النبي، أسلمت وتُوفّيت في عام ٢٠ ه في عهد عمر الفاروق، كانت من أهل الفصاحة والبلاغة، وقد ذكرنا من قبل في حرف الألف أنهنّ كنّ ستّ أخوات، كنّ جميعًا من أهل الفصاحة، وقد طلب منهنّ أبوهنّ عبد المطلب أنْ ينظمنَ في حقّه مرثية قولها كلّ واحدة منهن، فنظمت كلّ واحدة قصيدة بليغة، ولمّا حان الدور على صفيّة المذكورة نظمت قائلة:

أرقت لصوت نائحة بليل
على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي
على خدّي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل
له الفضل المبين على العبيد
صدوق في المواطن غير نكس
ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع شيظمي
مطاع في عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذي فضول
وغيث الناس في الزمن الجرد
كريم الجد ليس بذي وصوم
يروق على المسود والمسود

ومن آثارها أيضًا تلك القصيدة الواردة في باب المدائح في ديوان الحماسة:

ألا من مبلغ عنّي قريشًا
ففيم الأمر فينا والأمار
لنا السلف المقدم قد علمتم
ولم توقد لنا بالغدر نار
وكلّ مناقب الأخيار فينا
وبعض الأمر منقصه عار

ويذكر بعضُ الشّراح أنّها نظمت القصيدة السّابقة في التّعريض بأبي سفيان لتخبره بأفضليّة بني هاشم على

بني أمية. وفي عبارة ولم توقدْ لنا بالغدر نارٌ تخبر عن عادة عربيّة جاهليّة وهي أنّهم كانوا يوقدون النار عندما تنقضُ قبيلة العهد أو تغدر بقبيلةٍ أخرى، ولم تُذكر نار الغدر المذكورة بين نيران العرب التي شُرحت في تفسير الكشّاف في الاستشهاد على الآية الكريمة (أو أجدُ على النار هدى).

استطراد

وكانت توجدُ عند العرب عدّة نيران تنسب إلى سبب إشعالها وهي (نار التّحالف) و(نار أهبة) و(نار القرى) و(نار الأسد) و(نار الصيد) و(نار البيض) و(نار الاستمطار) ونار التحالف أو نار المهول هي النّار التي تقاد في حفرة لأداء القَسم واليمين عندها إذا ما وقعت عداوة بين شخصيْن، وتكون لتخويف الشخص الذي يؤدّي القسم عندها. أمّا نار الأهبة وتعني نار الاستعداد فتوقد لتجميع أفراد القبيلة للخروج للقتال، نار القرى وتعني نار الضيافة. نار الأسد هي النار التي يتمّ إيقادها في الغابة لتخويف الأسود. نار الصّيد ونار البيض هما نيران من نيران الصيد. نار الاستسقاء أي النار التي توقد لنزول المطر، حيث كانوا يقومون بجمع أغصان وأعواد من شجرتي تسميان سلع ومشعر، ويصعدان بها إلى قمّة جبل فحل، ويقيدونها تفاؤلًا بنزول المطر، والأبيات التّالية تذكر تلك العادة وتذمّها:

لا در در رجال خاب سعيهم
يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعل أنت بيقورا مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر

ولأميّة بن أبي الصّلت بيت في نفس المعنى يقول فيه:

سلع ما ومثله عشر ما
عائل ما وعالت البيقورا

ويعني أنّها يلتجئون بشجر سلع ومشعر، وعائل بمعنى مثقل. ويقول

أبو عبيدة عيسى بن عمر وهو من علماء الأدب إنّه لم يفهم معنى هذا البيت ولم يرَ مَن فهم معناه. وقد ذكره ابن هشام في فصل ما الزائدة في كتاب مُغني اللبيب.

ولصفيّة المذكورة مرثيات متعددة في رثاء النّبي، منها الأبيات التّالية التي أخذناها من كتاب العالم أحمد دحلان من علماء العصر المكيّين:

ألا يا رسول الله كنت جارنا
وكنت بنا برًّا ولم تك جانيا
وكنت رحيماً وهاديًا ومعلماً
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
فدى لرسول الله أمّي وخالتي وعمّي
وخالي ثمّ نفسي وماليا
فلو أنّ ربّ الناس أبقى نبينا سعدنا
ولكن كان أمره ماضيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدوان راضيا

وفي كلمة راضيًا المذكورة تلميح إلى أنّها تطلب شفاعته، لأنّه قال حين نزلت الآية الكريمة (ولسوف يعطيك ربك فترضى) لا أرضى أنْ يكون واحدٌ من أمّتي في النار.

ومذكورٌ في أسد الغابة والإصابة أنّها كانت متزوّجة من الحارث بن حرب أخي أبي سفيان بن حرب، وبعد وفاته، تزوّجت العوام بن خويلد أخو السّيدة خديجة، وأنجبت منه الزبير وأخاه سايب، وكان سايب في صبواته يقوم ببعض الأفعال التي تغضب أمّه فكانت تنظم:

يستبني السايب من خلف الجدار
لكن أبو الطاهر زبار أمر

والمقصود بأبي الطاهر هو الزبير فقد كان يسمّى بهذا الاسم في طفولته، ولكنّه كني بعد ذلك بأبي عبد الله. وكلمة زبار تعني الشّدة والقوّة، وبعد وفاة زوجها العوام، تكفّلت بتربية أبنائها، وكانت تضرب الزبير كثيرًا لتؤدّبه، ولمّا رآها نوفل بن خويلد عمّ الزبير تقوم بذلك وجّه لها اللّوم والعتاب على ذلك فردّت عليه بالأرجوزة التّالية:

مـــنْ قـــال إنّي أبغضـــه فقـــد كـــذب
وإنّـــما أضربـــــه لكـــي يلـــــب
ويهـــزم الجيـــش ويـــأتي بالسـلب
ولم يكـــــن لمالــــه خبًّـــا يخُـــب
يـــأكل مـــا في البيـــت مـــن تمـــر وحـــب

ولمّا سمع نوفل هذه الأرجوزة قال يا بني هاشم ألا تزجروها عنّي. وكلمة يخُب بضمّ الخاء وردت في بيت المتنبي:

أتـــاني الكلـــــب أبـــر الكتـــب
فـــسمعًا لأمـــــر أمـــير العـــرب

أمّا عن مآثرها فقد قال ابنُ الأثير إنّها من أوّل مَنْ غزا في سبيل الله مِن نساء المسلمين، ويحكى أنّها كانت تحتمي هي وبعض النسوة والأطفال ومعهم حسان بن ثابت في أحد الدور في غزوة الأحزاب، وجاء رجلٌ من الكفار وظلّ يطوف حول البيت، فقالت صفيّة لحسّان هيا اصعدْ إلى سطح الدّار وخذ هذه العصا واقتله، فأخشى أنْ يذهب هذا الكافر إلى الكفّار ويخبرهم بأمرنا فيأتوا إلينا والمسلمون لا يعلمون شيئًا عن حالِنا لأنّهم يقاتلون الآن، فقال لها يا بنتَ عبد المطلب لستُ مَنْ يقوم بذلك، فأخذت هي العصا وصعدتْ وقتلت الرجل.

٥٠٠- صفيّة بنت ياقوت:

ابنةُ ياقوت بن عبد الله الحبشي فخر المدرسين. كانت من أساتذة الإمام السّيوطي، وقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه المنجم عنها أنّها وُلدت يومَ عيد الفطر عام ٨٠٤هـ وتعلّمت على يد محدّثي عصرها أمثال نور الدين بن سلامة وغيرهم، حصلت على إجازة من المحدّثة آسيا بنت جار الله.

٥٠١- صفيّة الباهلية:

من شاعراتِ الحماسة، والأبيات التّالية من جُملة أبياتها الموجودة في باب المراثي بديوان الحماسة:

كنّـــا كغصنـــيْن في جرثومـــة ســـمقا
حينـــا بأحســـن مـــا يســـمو لـــه الشـــجر
حتّـــى إذا قيـــل قـــد طالـــت فروعهـــا
وطـــاب فياهـــا واســـتنظر الثمـــر

أخنى على واحد ريب الزمان
ما يبقي الزّمان على شيء ولا يذر
كنّا كأنجم ليل وسطها قمر
يجلو الدّجى فهوا من بينها القمر
فاذهب حيدًا على ما كان من مضض
فقد ذهبت وأنت السمع والبصر

جرثومة أي أصلُ الشيء»، فياهما بمعنى الظّلال، أخنى أي هلك، مضض ألم المصيبة. وهي قصيدة بليغة نظمتها في وفاة زوجها.

٥٠٢- صفيّة الزاهدة:

هي صفيّةُ المشهورة بالزّهد والصّلاح في عصر أبي سعيد خان في إيران. كان لها مريدون كثيرون، حيث كان الكثيرُ من الرجال والنساء يعتقدون فيها، وهي أخت السّلطان المذكور في الرّضاعة، لذا كان يذهب لزيارتها، وذات مرّة ذهبَ إليها وأخذ معه الشّاعر سراج الدين القمري، وأثناء الطّعام حدثت حادثة عجيبة لن نوردَها هنا لتضمّنها أشياء خارجة عن الأدب، ولكنّها موجودة في ترجمة حال الشّاعر المذكور في كتاب سفينة الشعراء.

ومن الزّاهدات أيضًا صفيّة أخت جمال الخلوتي، كانت زوجة لسنبل أفندي. كان جمال الخلوتي من كبار رجال الطّريقة الخلوتية، عاش في عهد السّلطان يزيد الثاني.

حدث زلزالٌ وطاعون في عهد السلطان المُشار إليه فأشار العلماء على السلطان بضرورة إرسال أحد الصّالحين إلى المدينة المدينة ليدعو في الرّوضة النبويّة بزوال تلك الكارثة، واستقرّ رأي كلّ العلماء على جمال الخلوتي، فصدر له أمرٌ خاصّ من السلطان بأن يذهبَ إلى المدينة المنورة ليدعو بها بزوال تلك الكارثة عن استانبول، وبمجرد أنْ وضع الرجل قدمَه على أسكدار في ضفة الأناضول ليتجه نحو طريق المدينة، إذا بالأخبار تأتي بأنّ الطاعون انتهى في استانبول وانتهت الكارثة، والشيء الذي يدعو للغرابة هنا هو أنّ جمال الخلوتي لمّا علم ذلك قال «يا الله لكم كان ذنبي كبيرًا

وعظيمًا، فلمّا تركت استانبول أذهبَ عنها الله الكارثة. ورغم أنّ الكارثة قد زالت إلّا أنّه صمّم على الذّهاب إلى بلاد الحجاز ليحجّ، وأوصى بأنْ تتزوّج أخته بسنبل أفندي، وكانت المذكورة من أخصّ نسائه إليه.

٥٠٣- صفيّة خاتون:

والدةُ السّلطان محمد الثالث، كانت إحدى زوجاتِ السّلطان مراد الثالث، لمّا جلس السلطان مراد على العرش أهدتْ له أختُه أسما خان سلطان العديدَ من الجواري الحِسان، ولهذا كان السّلطان مراد مفتونًا بجمع الجواري، فلم يترك جارية حسناء في أيّ مكان إلّا واشتراها، لدرجة أنّه لمّا لم يجد جواري بكرًا، كان يشتري الثّيبات. وتذكرُ كتبُ التاريخ أنّ أسما خان سلطان لمّا علمتْ بأنّ أخاها السّلطان مراد لم يقترب من الجواري أخبرت أمّها نور بانو خاتون بذلك، ولمّا كانت نوربانو أساسًا تحمل الكره والبغض لصفيّة خاتون أخذت الجواري المقرّبات إليها والنّسوة وضربتهنّ وخوّفتهن حتّى أقرّوا بأنهنّ عقدنَ رجولة السّلطان، وفي النّهاية فكّوا هذا العقد، بعد ذلك أصبح السّلطان المذكور مفتونًا بجمع الجواري، قال والعهدة على الراوي.

ومن الصّحابيات أيضًا صفيّة بنت بجير، وصفيّة بنت شامة، وصفيّة ثابت، وصفيّة بنت الخطاب، وصفيّة بنت شيبة، وصفيّة بنت أبي عبيد، وصفيّة بنت محمية، كما توجد أربع صحابيّات أخريات باسم صفيّة وردَ ذكرهُنّ في أسد الغابة، ولكن مِن دون نسب.

٥٠٤- صواحب يوسف:

والمقصود بهنّ النّسوة اللاتي ورد ذكرهنّ في الآية الكريمة (وقال نسوةٌ في المدينة) وقيل إنهنّ كنّ خمسَ نساء هنّ زوجات برده دار العزيز، والشرابدار، ورئيس صناع الخبز، ورئيس الأسطبل، ومدير السجن. ويُطلق هذا الاسم على النّساء في صدد المكر والذم، وقد أوضحَ في كتاب المعول عليه وعماد البلاغة أنّ

هذا اللّقب كان شائعًا بين العرب، حتّى أنّ النّبي ﷺ قاله.

٥٠٥- صهباء بنت ربيعة التغلبية:

مِن زوجات سيّدنا علي، ووالدة عمر ورقيّة، كانت في الأساس من سبايا واقعة عين التّمر، التي وقعت في عهد أبي بكر الصديق، وهذا ما قاله ابن الأثير وأبو الفدا.

حرف الضاد

٥٠٦- ضباعة:

ذُكرَ في أسد الغابة أنّ هناك ثلاث صحابيّات باسم ضباعة، هنّ: ضباعة بنت الحارث الأنصارية، وهي أختُ الصحابيّة المشهورة أمّ عطيّة الأنصارية. والثانية ضباعة بنت الزّبير بن عبد المطلب، وهي بنت عمّ النّبي، والثّالثة ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية. وزيدَ في القاموس ضباعةُ بنت عامر المعروفة بضباعة الكبرى، وضباعة بنت عمران.

ومحرّر في مسامرات محيي الدّين أنّ ضباعة بنت الزبير روتْ عن رسول الله ١١ حديثًا. وضباعة الواردة في البيت التّالي للشّاعر القطامي:

قفـي قبـل التّفريـق يـا ضباعـا
فـلا يـكُ موقـف منـك الوداعـا

وهي ابنةُ زفر بن الحارث الكلابي. وقد نظم القطامي هذا البيت مدحًا

في ضباعة لأنّ أباه قد أُسر عند زفر بن الحارث، ولمّا فكّ أسره نظم هذا البيت.

٥٠٧- ضعف:

مغنّيةٌ مشهورة من المغنّيات العباسيات، وكانت من جواري الخليفة الأمين. وقد حدثت حادثةٌ غاية في الغرابة في مقتل الخليفة الأمين كان لضعفٍ دورٌ فيها وهي أنّ الخليفة المذكور كان قد حوصر في بغداد على يد طاهر ذي اليمنين كما أوضحنا سابقًا في ترجمة زبيدة، وفي أواخر أيّامه دعا ضعف لتتغنّى له ببعض الأغاني، نظمت مع النّابغة الجعدي البيت التّالي:

كليب لعمري كان أكثر ناصرًا
وأيسر جرمًا منك ضرج بالدم

فلمّا أمرها بأن تغنّي له مرّة أخرى قالت:

أبكي فراقكم عيني فأرقها
إنّ التفرّق للأحباب بكّاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم
حتّى تفانوا وريب الدّهر عدّاء

فأمرها بأن تغنّي له مرّة أخرى فقالت:

أمَا وربّ السكون والحرك
إنّ المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار
وما دارت نجوم السماء في الفلك
ألا لتقل السلطان عن ملك
قد زال سلطانه إلى ملك

وقد غضب الخليفة جدًّا من تلك الأبيات وطردها من مجلسه لأنّ معاني تلك الأبيات كلها كانت يوحي بالشؤم عليه، وزاد من ذلك انكسار كأسه المزيّنة التي كان يطلق عليها زب رباح، وبعد يومين ظهرت شآمة تلك الأبيات عليه فقد قتل بعدها بيومين.

٥٠٨- ضوء الصباح:

هي أمّ الخير خديجةُ المذكورة سابقًا. من المحدّثات، تُوفّيت عام ٧٣٤هـ.

٥٠٩- ضيفة خاتون:

ابنةُ الملك العادل أبي بكرٍ أخِ السّلطان الأيوبي صلاح الدين. أسماها والدها ضيفة لأنّها عندما وُلدت كان عنده

ضيف. كانت سيدة ذات عقل ودراية وحكمة، وُلدت في حلب عام ٥٨١ أو ٥٨٢هـ وتُوفّيت في حلب عام ٦٤٠هـ عن عمر ٥٩ عامًا. لمّا خلع السّلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل والد صاحبة الترجمة عن حكومة حلب، وأعطاها لابنه الملك الظاهر، تزوّجت ضيفةُ الملك الظاهر، وأنجبت منه محمد الذي جلسَ على العرش بعد ذلك ولقّب بالملك العزيز. ولمّا تُوفّي الملك العزيز عام ٦٣٤هـ وتولّى العرشَ بدلًا منه الملك الناصر، تولّت ضيفة شئون الحكم بالنّيابة عن حفيدها الناصر لأنّه كان صبيًّا، وبذلك استمرّت ضيفة في الحكم ٦ سنوات، ويقول أبو الفدا لمّا تُوفّيت ضيفة كان عمر الملك النّاصر حفيدها ١٣ عامًا، ولكنّه أثبت جدارة في الاستقلال بالحكم وإدارة شئون البلاد.

وضيفةُ هي أيضًا والدةُ المفسّر المشهور ابن سيرين، كانت في الأصل من جواري أبي بكر.

حرف الطاء

٥١٠- طبقة:

هي طبقةُ المذكورة في المثل المشْهور (وافق شنٌ طبقة)، وهي على حسب ما ورد في تفسير هذا المثل كانت فتاةً عربيّة من عاقلات نساءِ العرب، تزوّجت برجل عاقل يدْعَى شن، لذا أطلقوا عليها هذا المثل، أي أنّها وجدت منْ يوافقُها في رجاحة العقل. وروى في مجمع الأمثال أنّ شنَ هذا ركبَ فرسَه ذات يوم وقال سأبحثُ عن فتاة متعقّلة لأتزوّجها، وبينما هو في الطّريق عثر على رجلٍ فسأله إلى أين تذهب فقال إلى القرية، وبينما هما في الطريق سأله شن هل أحملك أنا أمّ تحملني أنت؟ فقال كيف هذا كلانا على جواده، فسكتَ شن، ولمّا اقتربا من القرية التي سيذهبان إليها رأى شن بذورًا منثورة، فقال هذه البذور هل تؤكل أمّ لا تؤكل؟ فقال له يا لك من رجل جاهل ترى البذور لاتزال غيرَ ناضجة وتسأل هل تؤكل أمّ لا. فسكت شن، ولمّا وصلا القرية رأى

جنازة فقال شن له هل منْ في التابوت حيّ أمّ ميت؟ فقال الرجل لم أرَ في حياتي جاهلًا أحمق مثلك. وحمله الرجل معه إلى بيته، وكان لهذا الرجل بنتٌ تسمّى طبقة سألتْ والدها مَن الضّيف الذي معك فقال رجل قابلتُه في الطريق، ولكنّه أحمق للغاية، وحكى لها ما حدثَ في الطريق. فقالت له طبقة يا أبي هذا الرّجل ليس أحمق عندما سألك هل أحملك أمْ تحملني في الطريق لم يقصد الحملَ بمعناه، وإنّما قصد هل تبدأ أنتَ بالكلام أمْ أبدأ أنا حتّى لا تشعر بتعبِ الطّريق، وعندما سألك عن البذور كان يقصد هل صاحب هذه البذور يبيعها بعد أنْ تنضجَ ويأكل من ثمنها. أمّا الجنازة فكان يقصد بها هل لهذا الميت أبناء يتصدّقون عليه بعد مماتِه فيكون كالحيّ أمْ لا؟.

فدخل الرّجل على شن وقال له هل لي أنْ أجيبك على أسئلتك التي سألتني إيّاها في الطريق فقال نعم، فلمّا أجاب على الأسئلة كما قالت ابنته، قال شن هذه الإجابة ليست من كلامك هلّا تفصح لي عمّن أجابَ لك عليها، فقال الرجل إنّها ابنتي، فقال شن أنا أبحثُ عن فتاة كهذه، وطلب زواجها من الرّجل، فزوّجها له الرجل وحملها إلى قبيلته، وتبيّنوا جميعًا رجاحةَ عقلها وحكمتها بأنفسهم فقالوا وافق شن طبقة. ويقول بعض المتأخرين (وافقه فاعتنقه). وتطلق شن على القربة الصّغيرة، أمّا طبقة فتطلق على غطائها، فيقال أيضًا غطاء توافقَ مع القربة، ويضرب به المثل أيضًا يقال (أوفق للشيء من شن لطبقه).

٥١١- طثرية:

ذُكرَ في تاج العروس أنّها والدة الشاعر المشهور يزيد بن الطثرية، وهو من شعراء عصر معاوية. اسمُه الأصلي يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير أبو المكشوح القشيري، نسب إلى أمّه. قُتل في حروب اليمامة مع الوليد بن يزيد بن عبد الملك عام ١٢٦هـ. والشّاعرة السّابقة زينب بنت الطثريّة أخته،

والأبيات التي ذكرناها لها في ترجمتِها، قال عنها بعض شرّاح ديوان الحماسة إنّها لأخيها وليست لها. وهذا خلافُ ما أورده ابن الأثير.

٥١٢- طرفة القينة:

جاريةٌ ظريفةٌ وشاعرة من مغنّيات العصر العباسي، كانت معشوقةَ عبد الله بن نصر، وكانت هي الأخرى مفتونة به، والأبيات التّالية نظمتها فيه، وذكر في الكامل وحديقة الأتراح أنّها تغنّت بها في حضور الإمام المبرد:

ليس يجري على لساني
شيء شهد الله لي سوى ذكراكا
ذاك أنّ الفؤاد قد صار منّي
مذكري الود بيننا مأواكا
وتمثلت حيث كنت لعيني
فهي إنْ غبت أو حضرت تراكا
ليس تخلو جوانحي منك
وقتًا هي كلّ مشغولة بهواكا
إذا هام قلبي لم أجد مَن يردّه إليّ
سوى ذكراك والموت في الذكر
فلو أنّ شرق الأرض بيني وبينكم
وقومي وراء الشمس حين تغيب
لوافيتكم أطوي السباسب بينكم
وقال الهوى لي إنّه القريب

٥١٣- طغاي الخوندة الكبرى:

زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان مصر، وهي أمّ أنوك المذكورة سابقًا، كانت من جُملة جواري الملك المشار إليه، ولكنه أعتقَها وتزوّجها، كانت غاية في الجمال، وقد نالتْ من السّعادة ما لم تنله زوجة سلطان تركي في مصر، ولم تنعم زوجة من سلاطين الأتراك في مصر مثلها، كما أنّ الملك الناصر لم يحبّ من نسائه مثلها، وكانت حينما تحجّ يحضر لها الإبل المحمّلة بأواني الطين لتزرع لها الخضراوات الطازجة، والأغنام والإبل لحلب اللّبن، فكانت تأكل طعامًا طازجًا في صباحها ومسائها في طريق الحجّ، وكان الملك الناصر قد عهد للقاضي كريم الدين وبعض الأمراء بأن يرافقوا طغاي

خاتون في رحلة الحج، وكانوا يسيرون في موكبها ماشين وهي راكبة، وكانوا يحيّونها التحيّة الخاصّة بالملوك، وقد ذهبت مرّة أخرى للحجّ عام ٧٣٩هـ وكان في صحبتها الأمير بشتك، وكان الأمير تنكز أمير الشّام إذا ما قدّم هديّة للملك الناصر كان يقدّم أكثر منها لخوند طغاي المذكورة، حتّى بعد وفاة الملك الناصر لم يقلّ اعتبارها وشأنها، بل ظلّت على هذا المنوال حتّى وفاتها. تُوفّيت عام ٧٤٩هـ وتركت بعد وفاتها ألفَ جارية، و٨٠ عبدًا، والكثير من الأموال، كانت سيدةً عفيفة طاهرة كثيرة الخيراتِ والحسنات. زوّجت العديد من الجواري، وخصّصت لهنّ الرواتب لمعيشتهن. ولها آثارٌ كثيرة أسّستها لابنها. دُفنت في خانقاه أمّ أنوك التي أمرتْ ببنائها خارج باب البرقية.

٥١٤- طوطي سلطان:

سيدةٌ من أهل القصر في عهد السّلطان سليمان القانوني، كانت تشتهر بفصاحتها ونظمها للشّعر، زوّجها السّلطان القانوني بالشّاعر باقي أفندي. قال أحد محبّيها لباقي يهنّئه بالزّواج (أنت مقارن لطوطي) فقاله له باقي (إنّها غراب) ولمّا سمعت طوطي بذلك قال:

قال المسكين إنّ طوطي شبه الغراب
لكنّ الغرابة أنْ يشتكي للغراب

وذُكر في خرابات:

من جور الدهر أنْ يشبّه البلبل
بالغراب والغرابة أنْ يشتكي الغراب

وقد ذكرت تلك الأبيات ضمن قصيدة غير معلومٍ قائلها.

وقد نظم راتب باشا بيتيْن بنفس المعنى ولكنّه خطأ لأنّه أورد لفظ (الأنس):

لا يكون الأنس قويًّا باختلاف الجنس
فالغراب لا يميل لطوطي
ولا تطوطي تميل للغراب

٥١٥- طيبة:

هي طيبة الواردُ اسمُها في البيت القائل:

حمام طيبة لا حمام منجاب
حمام طيبة سخن واسع الباب

ذُكر في كتاب (ما يعول عليه) أنّه كان يوجد في البصرة حمّام يُدعى حمّام طيبة يضاهي حمّام منجاب، ولأنّ هذا الحمّام تفوّق على حمام منجاب المشهور لفترةٍ فقد أمرت طيبة أحد الشّعراء الذين دفعوا أموالًا قليلة بأنْ ينظم البيت السّابق، لذا سحبت كلّ منْ يرتادون حمام منجاب إلى حمّامها.

حرف الظاء

٥١٦- ظبية:

زوجةُ الصّحابي الجليل أبي قتادة الأنصاري، ابنةُ الصّحابي البراء بن معرور. كانت صحابيّة جليلةَ القدر. وقد قال لها النّبيﷺ (ليس عليكنّ جمعة ولا جهاد) في إشارةٍ منه عليه الصّلاة والسّلام بأنّه ليس على النّساء جمعة ولا جهاد.

٥١٧- ظبية بنت وهب:

قيل إنّها والدة أبي موسى الأشعري، ورأي آخر يقول بأنّ والدته كان اسمها طفية بنت وهب.

٥١٨- ظبية:

اسمُ جارية مغنّية، كانت تعرف بظبية الوادي، تعلّمت الموسيقى على يد معبد المشهور، كانت في الأصل حجازية، ثمّ انتقلت إلى العراق.

٥١٩- ظبية بنت الوزير الباهلية:

من الأديبات المذكورات في كتاب الأغاني.

٥٢٠ - ظلمة:

سيّدةٌ سيئةُ السّمعة ضُرب بها المثل في السّوء، يُقال (أقود من ظلمة)، قضت عمرها كلّه في الفحش والفجور، ولمّا أصبحت مسنّة تمامًا ولا تقوى على الفجور، اشترتْ كبش ضأن، وكانت تشاهده وهو يتزاوج مع الماعز. لذا ضُربَ بها المثل في القوادة فقيل أقود من ظلمة، وقصّتها كلّها في مجمع الأمثال.

حرف العين

٥٢١- عائشة الصّديقة:

عائشةُ أمّ المؤمنين بنتُ أبي بكر، زوجةُ رسول الله ﷺ. هي عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن لؤي القرشيّة التيمية.

كان والدُها في عهد الجاهليّة من أصحاب الرّأي والمشورة بين أهل قريش، فقد كانوا يرجعون إليه في الأمور المهمّة كتعيين الدية، وكانوا يقبلون رأيه. ووالدتها أمّ رومان، وقد أوضحنا سابقًا قدرَها ومكانتَها عند رسول الله. كانت أشهرَ أزواج رسول الله بعد السيدة خديجة، وقد عقد الرّسول عليها القران وعمرُها ستّ سنوات، أي قبل الهجرة، ودخل بها في المدينة، وكان عمرها تسعَ سنوات.

عاشت مع النّبيﷺ تسعةَ أعوام، وروتْ عنه الأحاديث القوليّة والفعليّة؛ لذا كانت مرجعًا ومسندًا للمسلمين.

فقد كانت- رضي الله عنها- فصيحة وبليغةً وعالمةً وكثيرة الرّواية للحديث؛ لذا أخذ المسلمون عنها ربعَ دينهم، ويؤيّد ذلك الحديث النّبوي الشّريف (خذوا ثلثي دينكم من عائشة) و(خذوا شطر دينكم من الحميراء)، وذلك على فرض صحّة الحديث. كانت على دراية بكلّ أقسامِ وأنواع العلوم سواء الجاهليّة أو الإسلاميّة، وقد قال أبوموسى الأشعري- رضي الله عنه- كنا أصحاب رسول الله بعد وفاته إذا ما استشكل علينا حديثٌ ذهبنا إلى عائشة فإنْ كان معلومًا لديها أخذنا به. وقال عروة بن أذينة وهو من كبار التّابعين «لم أرَ مَنْ هو أعلم مِن عائشة في الأحكام القرآنيّة والفقه والفرائض والطبّ وعلم الشّعر والأنساب العربيّة». وقال معاوية عن فصاحتها «والله لم أرَ خطيبًا أبلغ ولا أفصح من عائشة». ونُقل عن الأحنف بن قيس أنّه قال استمعت إلى خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الخلفاء فلم أتذوّق بلاغةً أو فصاحة من أحد منهم بقدْرِ عائشة.

أمّا عن كثرة روايتها للحديث فقد قال الزّرقاني شارح المواهب اللدنيّة إنّها روت عن رسول ٢٢١٠ أحاديث، منها ١٧٤ متفقًا عليها في البخاري ومسلم، و٥٤ تفرّد بها الإمام البخاري، ٦٨ تفرّد بها الإمام مسلم. أمّا عن اطّلاعها بأيّام العرب أي بأيّام وقائع العرب فقد كانتْ تعرف أخبارَ كلّ واقعة منها بالأرجاز والأشعار التي نظمت فيها. كانت رضي الله عنها قليلةَ الرّغبة في الدنيا، كثيرة الرّغبة في الخيرات والحَسنات، ونُقل عن خادمتها أمّ ذرة أنّها رضي الله عنها كانت صائمةً ذاتَ يوم، وكان معها ١٠٠ ألف درهم، تصدّقت بها كلّها ماعدا درهم واحدٌ تركته لإفطارها.

وردَ أنّ الرسولﷺ ذكرَ في أحد أحاديثه كمال أربعة من النّسوة وهنّ: آسيا بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، إلّا أنّه في حديثٍ آخر ذكر فضلَ عائشة على كافة النّساء فقال «فضلُ عائشة على سائر النساء كفضلِ الثّريد على سائر الطعام»، كما ورد في البيت:

إذا ما الخبز تأدمه لحم
فذاك أمانة الله الثريد

والثّريد هو الخبز الممزوج بالمرقِ واللّحم والسّمن. وهو طعامٌ من أفضل طعام العرب لسهولة هضمه، وطعمه اللّذيذ، ويقال له أيضًا (بحبوحة الجنّة) أي أنّه سيكون من طعام أهل الجنّة. وبالتّالي يتّضح ثناء ومدح الرسولﷺ لعائشة ورجحانها على سائر النّساء.

ولمّا رأى النّبيﷺ فيها من أخلاق حسنة، وحلاوة في منطقها، وقوة رأيها ومتانة عقلها؛ تزوّجها. ويذكر مولانا سراج الدّين الأوشي أنّها تفوّقت على السيدة فاطمة في بعض الخصال في البيت التالي:

وللصّديقة الرجحان فاعلم
على الزّهراء في بعض الخصال

ولكنّ الكمال على الإطلاق في طائفة النّساء لفاطمة. وقد صرّح الزّرقاني في المواهب أنّ اسمها كان عائشة وعيشة، أمّا عند عوام المحدّثين فكانت تعرف بعائشة أو عايشة، وذكر العلّامة القسطلاني في هامش المواهب أنّ كنيتها كانت أمّ عبد الله، وقيل إنّ الرسول هو الذي كنّاها بهذه الكنية نسبةً لعبد الله بن الزبير ابن أختِها.

أمّا سبب تلقيبها بالصّدّيقة فكان بسبب صدقِ طويّتها وطهارة طينتها، ونظم حسان بن ثابت في ذلك:

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البريّة أتقاها وأعدلها
بعد النّبيّ وأوفاها بما حملا
الثّاني التّالي المحمود مشهده
وأوّل النّاس منهم صدّق الرسلا

وقال أبو محجن الثقفي:

وسميت صديقًا وكلّ مهاجر سواك
يسمّى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد
وكنت جليسًا في العريش المشهر

وفيها إشارة إلى أنّها جاءت من صلب والدها الصّديق، وأنّ ابتليت بالإفك فأنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، وقد قال الله تعالى عن والدها (وسيجنّبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكّى، وما لأحد عنده من نعمةٍ تجزى)، كما لقّبت هي أيضًا بالصدّيقة بنت الصديق، وقد استُدلّ على ذلك بالآية الكريمة الواردة في سورة النّور (المحصنات الغافلات)، وهذه الغفلة المذكورة في الآية تُفسّر بسلامة الصدر ونقاوة القلب اللّتين هما علامة الإيمان وإمارة كمال الإسلام بمقتضى الحديث النبويّ (المؤمن غرّ كريم). لذا كان سيدنا علي يقول إذا روى حديثًا عن عائشة (حدّثتني المرأة الصّادقة بنت الصديق حبيبةُ النّبي).

ولأنّه قد ظهر جليًا وبالدّليل القويّ براءة السّيدة عائشة من حديث الإفك بالآية الكريمة النّازلة في حقّها، فإنّه صدرت الفتوى بتكفير الشّيعة الذين يصرّون على قذفها بالإفك.

وقد ذكر في تفسير الكشّاف وشرح المواهب أنّها تباهت بأنّها (خلقت طيبة ووعدت مغفرةً ورزقًا كريمًا) وهذ الفخر التي تباهت به السّيدة عائشة إنّما هو مبنيّ على ما ورد في الآية الكريمة (والطيّبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون ممّا يقولون لهم مغفرة ورزق كريم). وعندما أُقحم حسّان بن ثابت ضمن عصبة الإفك، برّأ ساحته من ذلك ونظم الأبيات التّالية في مدح السيدة عائشة:

حصان رزان ما تزنّ بريبة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فإنْ كان ما قد قيل عنّي قلته فلا رفعت سوطي إلى أناملي

حِصان أي عفيفة، رزان أي أهل الرّزانة والتّمكين. تزنّ اتهام شخص بشيء ما. غرثى أي جائعة، وورد في المثل غرثان فأربكوا له، غوافل أيّ النّسوة سليمي الصدر، وقد أوضحنا عصبة الإفك في الحديث عن حمنة.

ورغم أنّ السيّدة عائشة كانت تشتهر بالفصاحة إلّا أنّها لم تنظم الشّعر، ولكنها أنشدت البيت التّالي في حضرة النبي:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
ويقيت في خلف كجلد الأجرب

وقيل أيضًا إنها قالت:

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده
ما بذلوا في سوم يوسف من نقد
لواحي زليخا لو رأين جبينه
لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

ولواحي زليخا هم النسوة اللاتي كنّ في المدينة مع امرأة العزيز الذين قلن إنّ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها قد شغفها حبًا.

ولكنّها قالت الأشعار التي نظمها غيرها، ومن ذلك تلك الأبيات التي نظمها حسّان في مدح النبيّ ﷺ:

متى يبد في الداجي البهيم جبينه
يلحْ مثل مصباح الدّجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون
كأحمد نظام لحق أو نكال لملحد

ومن ذلك أيضًا الأبيات التي قالتها حين احتضار والدها أبي بكر:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

وقالت أيضًا في وفاة أخيها عبد الرحمن:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر قبل لن يتصدعا
فلمّا تفرّقنا كأنني ومالكًا
لطول اجتماع لم نبتْ ليلة معا

وهذه الأبيات نظمها مالك بن نويرة حينما قُتل أخوه متمّم بن نويرة رئيس بني يربوع في حرب الرّدة التي وقعت أوائل خلافة الصّديق، وقد أوضحنا معنا ندماني جذيمة في المجلد الأول في ترجمة رقاش.

تُوفّيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء الموافق ١٧ رمضان لعام ٥٨هـ في أواخر خلافة معاوية، ودُفنت في البقيع ليلًا بناءً على وصيّتها، وصلى عليها الصّحابي أبو هريرة، حيث كان نائب والي المدينة في ذلك الوقت، وكان والي المدينة هو مروان بن الحكم، ولكن نظرًا لأنه ذهب إلى الحجّ في تلك السنة فقد حلّ محلّه أبو هريرة.

وقام بدفنها كلّ من عبد الله بن الزبير ابنِ أختها، وعروة، وقاسم بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر. وقد ذكرنا في المجلد الأوّل ما يتعلق بواقعة الجمل.

٥٢٢- عائشة النّبوية:

ابنةُ جعفر الصّادق، وأخت موسى الكاظم، والدُها جعفر الصّادق حفيد الحسين، والده محمد الباقر، وجدّه علي زين العابدين بن الحسين.

وهي غنيّة عن التعريف بمزيّتها ومنزلتها في الأمّة، من آل البيت الكرام، فقد روي عن أبي ذرّ الغفاري (لو صلّيتم حتّى تكونوا كالحنائر لم ينفعكم ذلك حتّى تحبّوا آل رسول الله ﷺ). وقيل فيهم:

هُم القوم من أصفاهم الودّ مخلصًا ... تمسّك في أخراه بالسبب الأقوى

هُم القوم فاقوا العالمين مناقبًا ... محاسنهم تحكى وآياتهم تروى

موالاتهم فرض وحبّهم هدى ... وطاعتهم ودّ وودّهم تقوى

كانت المشار إليها من العابدات الزاهدات، وكانت تناجي ربّ العالمين فتقول (وعزّتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدي بيدي وأطوف به على أهل النار وأقول وحّدتُه فعذّبني). تُوفيت عام ١٤٥هـ، ودُفنت في مصر في باب القرافة.

٥٢٣- عائشة الباعونية:

ابنةُ أحمد بن نصر الباعوني، كانت عالمةً فاضلة اشتهرتْ بلقب فاضلة الزّمان، ويستدلّ على ذلك من القصيدة الميميّة المسمّاة (الفتح المبين في مدح الأمين) والشّرح المكتوب عليها، ومطلعُ القصيدة المذكورة:

في حسن مطلع أقمار بذي سلم ... أصبحت في زمرة العشّاق كالعلم

التزمت المشارُ إليها في القصيدة بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات، ولم تركنْ إلى استخدام أنواع المحسّنات البديعيّة

كغيرها، وقد أوضح ابنُ حجّة الحموي الذي اختصر وشرح قصيدتها في كتابه المسمّى (خزانة الأدب) وعبد الغني النّابلسي أيضًا أنّها كانت بديعة لا نظير لها، وقد بدأتْ قصيدتها بالإنشاء فقالت:

الحمدُ لله محلى جياد الأفهامِ بعقود مدح الشّفيع، وبعد فهذه قصيدةٌ صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطّباع سافرة عن وجوه البديع سامية بمدح الحبيب الشّفيع، وقيل إنّ قصيدتها حوتْ بيتًا به جناس ناقص، وهو من المحسّنات البديعيّة اللفظيّة، وذلك في البيت القائل:

علوا كما لا جلوا حسنا سبوا أمما زادوا
دلالا فنى صبري فشا سقمى

والأبياتُ التّالية أيضًا وردت في ترجمة القاموس كمثال على مادّة التضمين:

كأنّما الخال تحت القرط في عنق
بدا لنا من محيّا جلّ من خلقا
نجمٌ بدا في عمود الصبح مستترًا
تحت الثريّا قبيل الشمس فاحترقا

ومِن آثارها أيضًا الأبياتُ التّالية التي تعد فقرةً فقهيّة صورت فيها مسألة وطء النّائمة من النّاحية الفقهية، وهذا أيضًا دليلٌ على تبحّرها:

ما قولك يا ستنا العالمة
في رجل دبّ على نائمة
تفتّحت تحسبه بعلها وهي بما لذّ لها دائمة
فاستيقظت فأبصرت غيرَه
عضّت على أصابعها نادمة
فهل لها من فتوى عندك
مأجورة في ذلك أمْ آثمة؟

والجواب

قالت لكم ستكم العالمة
أنا لأهل العلم كالخادمة
أنقل ما قالوا وما خبروا
عن التي قد نكحت نائمة
الشّافعي قال لها أجرها
ما لم تكنْ في نكحها عالمة
والمالكي قال إنّ فتوى

مأجـورة في ذلـك لا آثمـة
والحنفـي قـال أتـى رزقُهـا
في ظلمـةِ الليـل وهـي حالمـة
والحنبـليّ قـال إنّ فتـوقي
في هـذه النكحـة كالأئمـة
لـو لم يكـنْ لـذّ لهـا طعمـه
لانتهضـت مـن تحتِـه قائمـة

والأجرُ هنا معناه إمّا أنْ يكون عدم الوزر، أو المهر الذي يحدّده الزّوج لزوجته في سبيل تمكينها نفسها له للوطء (وليس على زان عقر وهو للمغتصبة من الإماء كالمهر للحرّة، وما تعطياه المرأة على وطء الشبهة- نصّ المؤلف).

٥٢٤- عائشة السمرقندية:

شاعرةٌ من أهل سمرقند، لم يُروَ لها سوى البيتيْن التّاليين، وهما في كتاب (آتشك):

ينبـع هـذا اللؤلـؤ مـن إذنيـك
وقـد رآه الـكل في وجهـي
لـو تيسر لي وصلـك لليلـة
فإنّها تصبح فجـأة مـن سـوء حظـي

والأبياتُ التّالية التي نظمها جار الله الزّمخشري في حقّ أستاذه أبي مضر منصور تذكّرنا بتلك الرّباعيّة التي نظمتها عائشة السّمرقندية:

وقائلـة مـا هـذه الـدرر الـتي تسـاقط
مـن عينيـك سـمطين سـمطين
فقلـت لهـا الـدر الـذي كان قـد حشـا
أبـو مـضر أذني تسـاقط مـن عينـي

٥٢٥- عائشة القرطبية:

ابنةُ شخصٍ يُدعى أحمد من أهالي مدينة قرطبة عاصمة الأندلس، كانت شاعرةً لا نظير لها، اشتهرت بكثرة اطّلاعها على الكتب والمجلّدات، لم يكن في الأندلس أديبة تناظرها، ذاعَ صيتُها بين فحول الأدباء والشّعراء، كانت ماهرةً في فنّ الشّعر والأدب مثل مهارة عمها أبي عبد الله الطيّب في فنّ الطب، كانت تمدح الملوك والسّلاطين بالقصائد البليغة، دخلت ذات يوم على المظفّر بن منصور أبي عامر وكانَ معه ابنُه، وكان غلامًا صغيرًا يجلس بجواره

فنظمت عائشة الأبيات التّالية مرتجلة:

أراك الله به ما تريد ولا برحت معاليه تزيد

فقد دلّت مخائله على ما تؤمله وطالعه السعيد

تشوّقت الجياد له وهزّ آل حسام هوى وأشرقت البنود

وكيف يخيب شبلٌ قد نمته إلى العليا ضراغمه أسود

فسوف تراه بدرًا في سماء من العليا كواكبه الجنود

فأنتم آل عامر خيرُ آل زكا الابنا منكم والجدود

وليدكم لدى رأي كشيخ وشيخكم لدى حرب وليد

وقد ذُكر في كتاب نفح الطّيب وهو تاريخ عربي عن تاريخ الأندلس أنّ المذكورة كانت تشتهرُ أيضًا بحسن الخطّ، وقد كتبت المصحف الشّريف، تُوفّيت عام ٤٠٠هـ وهي فتاة لم تتزوّج، وقد طلبها أحدُ الشّعراء الكبار في عهدها للزّواج ولكنّها ردّت عليه بالأبيات التالية:

أنـا لبـوةٌ لكنّنـي لا أرتـضي نفـسي

مناخًـا طـول دهـري مـن أحـد

ولـو إنّـني أختـار ذلـك لم أجـبْ كلبًـا

وكـم غلّقـت سـمعي عـن أسـد

٥٢٦- عائشة أمّ عبد الله:

والدةُ أبي عبد الله الصّغير آخر ملوك المسلمين في الأندلس من آل عامر خير، عندما قام أبو عبد الله الصّغير بتسليم المدينة إلى كفار إسبانيا، وأخذ متعلّقاته وأسرته وهمّ بالخروج من المدينة وقف وسطَ الطريق ونظر إلى المدينة نظرةً كلّها أسى وحسرة وبكى وصرخَ الله أكبر، وتأوّه تأوّهة كبيرة، فقالت له أمّه المقالة التّالية التي تدلّ على حكمتها وعقلها:

«أنتَ وضيع، انتسبت بواسطتي إلى العربِ وأنت لا تليقُ لذلك، فأنا أستحي أنْ أقول عليك ابني، يا ليتني ولدتُ حجرًا ولم ألدْ ولدًا مثلك، ابكِ ولا تخجل، ابكِ.. ابكِ مثل النّساء على وطنِك الذي لم تتمكّن من المحافظة عليه مثل الرّجال، فيا تُرى هل ستشترك مع الشجعان الذين سيتجمعون تحت الرّاية النّبوية، لقد رجحت القصور ورغدَ الحياة على وطنك الذي أسّسه أجدادُك، وأصبحت ذليلًا عند أعداء الدّين، فقد كنتَ تلهو مع الجواري في الحدائق ليلًا

ونهارًا، وكنت تسيرُ في ظلال الأشجار، وكنت تنفق الكثيرَ من أجل شهوة نفسيّة تستمرّ لدقيقة أو اثنتين، ولم تفكّر في المستقبل قط، أيها الابن الفاقدُ للحميّة ماذا فعلت بالسّيف المحمّدي الذي استودعَه أجدادُك إيّاك، لمَن سلّمت غرناطة وقصورَ الحمراء والبيضاء؟ هل ستجيب بأنّك استخدمت السّيفَ المحمّدي في قتل الجواري اللاتي لم يوافقنَ طبعك، أو الأسرى الذين لم يطيعوك. وستجيب بأنّك لم تحفظ غرناطة والحمراء والبيضاء، بل كنت تتجوّل وتلهو في حدائقِها، ولم تعرِ أهميّة للحفاظ على الوطن»

٥٢٧- عائشة حبي:

هي حبي قادين نديمة السّلطان سليم الثاني السّابق الإشارة إليها في المجلد الأول. شاعرة ممتازة، ورد ذكرُها في تذكرتي عاشق جلبي، وقنالي زاده حسن جلبي، ووفق ما ورد في التّذكرتين كانت المذكورة خالة الشيخ يحيى الذي كان أستاذًا للسّلطان سليم الثاني عندما كان أميرًا، وهي زوجة شمس جلبي أحد أحفاد الشيخ آق شمس الدّين، ولهذا انتسبت للقصر، وكانت نديمة للسّلطان. كما ورد في كتب التّذاكر المذكورة أنها كانت أشعرَ وأفصحَ من الشّاعرات السابقات لها سواء في التّرك أو في العجم مثل الشّاعرة مهرى وزينب من الأتراك، وجلابي وآفاقي وجهان ودلشاد من العجم، وهناك مَنْ يقولون بأنّها كانت أفصحَ وأشعر من بعض شعراء الرّوم الذكور، لها الكثيرُ من القصائد والغزليّات والمثنويات، ولها ديوان باسم (خورشيد وجمشيد) يزيد على ٣٠٠٠ بيت، وهي منظومة من أروع المنظومات التّركية، سنورد بعضَ النّماذج منها هنا:

غزليّة في السّلطان مراد، وهي قصيدة نصفُها بالعربيّة ونصفها الآخر بالتركية:

أقسمت إلى الربّ هو الحي الجليل

فردٌ أحد قادر الله جميل

لساني ليس في حاجة إلى إيضاح حالي

فالدّمع من العين على الحال دليل
فلا شكّ أنّ الحبيب مطلع على حالي
في القلب من القلب إلى القلب سبيل
وحاشا أنْ يميل القلب إلى غير مراد
فقلبي لك من المهد إلى اللحد يميل

ومن ذلك أيضًا:

فوّضت إلى الله هو الرب الجليل
حي صمد دام له الفضل جميل
فلا تكلّف في إثبات وجودك
العقل له يشهد والنقل دليل
هو عادل فابحث عن طريقه
والشّرع الشريف إلى الله سبيل
وقد نظمت حبي نظائر كثيرة
في الحزن مضى العمر هي الآن عليل

وغزليّة السّلطان مراد من أروع الغزليات التي نظمت في الأدب التّركي سواء من حيث الكلمات العربيّة أو المعاني الدقيقة الشعرية، وقد كان محمد وصولي المشهور بمنلا جلبي من شعراء وعلماء عصره صهرًا لها، لذا عُرف بمنلا حبي، وقد أوردنا في حرف الحاء معلومات عنه، وكان له جامع شهير في فنديقلي مذكور في حديقة الجوامع، وقد ذكرناه هنا تصحيحًا للخطأ الشّائع في بعض الكتب بأنّه كان زوجها وليس صهرها.

٥٢٨- عائشة ست العيش:

ابنةُ القاضي علاء الدين الحنبلي، من المشاهير المذكورين في وفيات عام ٨٤٠هـ في الكتاب القيم (أنباء الغمر في أبناء العمر) للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اشتهرتِ المذكورة في علم الحديث. كانت تحضر دروسَ جدّها فتح الدين العسقلاني، كما حصلت على إجازات مختلفة من مشاهير العلماء في مصرَ والشّام، ولدت عام ٧٦٨هـ، كانت رحمها الله محدّثة، لها شهرةٌ أيضًا في حسن الخط، روى عنها الطلبةُ الكثيرَ من الأشياء، والمذكورة والدة القاضي عزّ الدين بن قاضي المسلمين برهان الدّين بن نصر الله الحنبلي.

٥٢٩- عائشة بنت الخطيب:

ابنةُ الخطيب عبد الرحيم بن بدر الدين بن جماعة، وأخت قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، وهي أيضًا من المحدّثات المذكورات في كتاب (الإنباء) لابن حجر العسقلاني، تُوفيت عام ٧٨٩هـ.

٥٣٠- عائشة بنت سعد:

ابنةُ سعد بن أبي وقّاص الصّحابي الجليل المبشّر بالجنّة، وهي سيدة (فند) المضروب به المثل العربي (أبطأ من فند)، وأصل المثل أنّ عائشةَ المذكورة أرسلت عبدها فند إلى السوق ليجلبَ لها نارًا من فرن الخبز، وبينما هو في الطّريق رأى قافلة تتّجه إلى مصر فسار معهم، وظلّ هناك سنة، ولمّا عاد مرّ بالسوق وأخذ النّار، وبينما هو يسير مسرعًا إلى المنزل تعثر فوقعَ فتبعثرت النّار منه، فقال (تعست العجلة)، فأطلقَ العرب المثل المذكور (أبطأ من فند) للدّلالة على البطء و(تعست العجلة) للتعريض بالسّرعة والعجلة في الأمر.

٥٣١- عائشة بنت طلحة:

ابنةُ الصّحابي الجليل المبشر بالجنة طلحة- رضي الله عنه- الذي اشتهر بلقب طلحة الخير، وطلحة الفياض لكثرة جوده وسخائه، وهي ذاتُ الأذنين التي أشرنا إليها من قبل في المجلد الأول، وهي حفيدة سيدنا أبي بكر من جهةِ الأمّ أي إنّها ابنة أمّ كلثوم بنت أبي بكر. كانت جميلةً للغاية، ولكنّ أذنيها كبيرتان فأطلقت عليها السّيدة سكينة ذات الأذنين.

كانت المُشار إليها من ثِقات الصّحابيات أو التّابعيّات، روايتها مشهورة بين الرّواة، ورغم أنّه لا ينكر عليها اشتهارُها في العلم والفضل وسعة العلم، إلّا أنّها أكثر ما اشتهرت به هو جمالها الفائق الذي تميّزت به عن سائر النّساء، وكانت تقول (لا أحبّ أنْ أخفي الجَمال الذي منحني الله إيّاه) ويُقال إنّه كانت تسير مكشوفةَ الوجه، ورآها أبو هريرة ذاتَ مرّة في الطريق فقال (سبحان الله كأنّها من الحور العين).

زوّجتها خالتها السيدة عائشة بنت أبي بكر الصّديق بابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وأنجبت منه عمران وعبد الرحمن وأبو بكر وطلحة ونفيسة، وقد اشتهر طلحة بن عبد الله بالجود فلقّب بطلحة الجود. وبعد وفاة زوجها عبد الله تزوّجت مصعب بن الزبير، حيث تزوجها على السّيدة سكينة، وكان قد أعطى كلّ واحدة منهنّ ٥٠٠ ألف درهم مهرًا، ومثله جهازًا، لذا عاتبه جدّه الأكبر عبد الله بن الزبير على إسرافه هذا بقوله (قدّم إيره وأخّر خيره). وعلى منْ يريد الاطّلاع على الموضوع بأكمله أنْ يطلع على المجلد العاشر لكتاب الأغاني.

وبعد استشهاد والدها بثلاثين سنة رأته في المنام يشتكي لها من المكان المدفون فيه، فأمرت بنقلِ جثمانه، وكان كما هو من المكان المدفون فيه إلى قبره المدفون فيه إلى الآن.

استطراد

ذكرنا أنّ هناك طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض، وهناك أيضًا طلحة الطّلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وكان المذكور واليًا على سجستان في عهد سلم بن زياد بن أبية على حسب ما ورد في تاريخ الكامل، وتُوفّي هناك، وكان أيضًا من الأسخياء لذا لقب بطلحة الطّلحات، وقيل في حقّه:

رحم الله أعظمًا دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات

وذكر في القاموس أنّ طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض كلّها ألقاب لشخص واحد، وهو طلحة المبشّر بالجنة حيث لقبه النّبيّ بطلحة الخير في غزوة أُحد، وطلحة الفيّاض في غزوة ذات العشيرة، وطلحة الجود في موقعة حنين. ولأنّ المشار إليه طلحة بن عبد الله الخزاعي بن صفيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد مناف أطلق عليه طلحة الطلحات.

٥٣٢- عائشة بنت عبد الله:

ابنةُ الصّحابي عبد الله بن عبد المناف، كانت من الفصحاء في عهد معاوية، زوجة عبيد الله بن العباس ابن عمّ رسول الله، كان المذكور واليًا على اليمن في عهد علي رضي الله عنه، وكان معاوية معارضًا لعليّ، ويستقرّ في الشام، وأخرج الجيوش إلى بلاد وولاة علي بن أبي طالب، ومن ضمنهم بسر بن أرطاة الذي أرسله في عام ٤٠هـ مع الجيش إلى اليمن، وقام بسر المذكور أوّلًا بالاستيلاء على المدينة، ثمّ اتجه إلى اليمن، ولمّا استولى بسر على المدينة فرّ واليها من قبل سيدنا علي وهو أبو أيوب الأنصاري إلى الكوفة إلى جانب سيدنا علي، ولمّا وصل بسر إلى اليمن اضطرّ عبيد الله إلى الفرار من اليمن هو الآخر مع زوجته عائشة وترك حماه عبد الله نائبًا له في اليمن، فقام بسر بقتل عبد الله وكلّ المتحازين إلى سيدنا علي، كما قام بإعدام عبيد الله بن العباس وابنيه عبد الرحمن وقثم أمام عين أمّهما عائشة، فنظمت المسكينة الأبياتِ التّالية تنتحب وترثي زوجها وأبناءها:

يا مَن أحسّ يا بني اللذين هما
كالدّرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحسّ يا بني هما
مخّ العظام فمخي اليوم مزدهف
يا من أحسّ يا بني اللذين هما
قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من ذلّ والهة حرّى مدلهة على
صبيين ذلا إذ غدا السلف
نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا
من إفكهم ومن القول الذي وصفوا
أنحا على ودجي وما صدقت ما زعموا
من الشفار كذاك الإثم يقترف

وحرفُ النّداء المذكور في الأبيات الثلاثة الأولى مذكورة في تاريخ أبي الفدا (ها) أحس فعل ماض من إحساس وتعني هنا القتل، مزدهف هو مَن قتل بلا جناية أو ذنب، ومختطف اسم مفعولٍ من الاختطاف، حرى المرأة

المحترق كبدها على ابنها، مدهّة أي مندهشة، ودجان أي العرقان الكبيران الموجودان في الرّقبة، مرهفة اسم مفعول من الإرهاف وتعني السّيف الحاد.

ومذكور في تاريخ الكامل أنّ أمّ عبد الرّحمن وقثم اللّذين قُتلا أمام عبيد الله بن العباس وزوجته هما أبناء أمّ الحكم الجويريّة بنت خويلد بن قارظ وليسا ابني عائشة.

٥٣٣- عائشة بنت العجمي:

ابنةُ قاضي القضاة شهاب الدين أبي جعفر أحمد بن العجمي. من جلة أساتذة الإمام السّيوطي، محدثة مشهورة، وُلدت عام ٨١٠هـ.

٥٣٤- عائشة بنت العدل:

ابنةُ زين الدين إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن غدير الطائي الدمشقي، أديبة مشهورة، كانت تُعرف باسم (أم محمد عائشة) كانت زوجة المحدّث علاء الدين بن صدر الدين بن المنجا، كان جدّها يُعرف بلقب ابن القواس، ذهبتْ للحجّ عدّة مرّات وأقامت في مكة كثيرًا.

ذكر الصّفدي في كتابه المعتبر (عنوان النّصر) أنّها حصلت على الإجازة في الأدب من عدّة أدباء مشاهير أمثال ابن مسلمة ومكّي بن علان، والبهاء زهير، وابن ربلاق وابن دفترخان والسّليماني والنّور علي بن سعيد والتلعفري، كانت ولادتُها في عام ٦٤٥هـ تقريبًا، أمّا وفاتها فكانت في ذي القعدة عام ٧١٨هـ.

٥٣٥- عائشة بنت علي:

ابنةُ علي بن محمد بن عبد الغني بن منصور الدّمشقي، وزوجة الحافظ شمس الدين الحسيني. من المحدّثات والمشاهير المذكورات في كتاب الإنباء لابن حجر، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني أنّها وزوجها استمعتْ للحديث من المحدّث ابن الخباز، ومن المحدّثين الآخرين المتأخرين، تُوفّيت عام ٨١٥هـ عن عمر يناهز ٧٠ عامًا.

٥٣٦- عائشة بنت محمد:

ابن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا (أمّ الحسن بنت عزّ الدّين التنوخيّة

الدمشقية)، وهي أيضًا من المحدّثات المذكورات في كتاب الإنباء لابن حجر، استمعت لعلم الحديث من المحدّث عبد الله بن الحسين بن أبي التائب، كما حصلتْ على إجازات مختلفة من محدثين مختلفين، منهم أبو بكر الدسي، والتقي سليمان، وعيسى المطعم، وإسماعيل بن مكتوم، ووزيرة بنت المنجا. حيث تفرّدت المشار إليها في رواية الحديثَ من المذكورين، ويقول ابن حجر «لقد قرأتُ عليها أجزاء كثيرة من كتب الأحاديث» تُوفّيت في شهر ربيع الآخر عام ٨١٣هـ وقيل بعد ذلك بشهرين عن عمر يناهز ٩٠ عامًا.

٥٣٧- عائشة بنت محمد:

ابنةُ المحدّث محمد بن عبد الهادي، كانت محدّثة كبيرة مشهورة، عُرفت باسم المسندة الكبرى نظرًا لتفوّقها ومهارتها في علم إسناد الحديث، ذكرت في كتاب عنوان النصر للصّفدي، وفي كتاب شرح صحيح البخاري للعسقلاني، حصلت على إجازتها من المحدث المشْهور باسم الحجار، وكانت من أساتذة الإمام السّيوطي، وهي أمّ الخالق التي ذكرناها في المجلد الأول.

٥٣٨- عائشة بنت محمد:

ابنةُ المحدّث محمد بن المسلم بن سلام بن البهاء، وهي محدّثة مشهورة، أخذت علم الحديث عن أخيها، كما حصلت على إجازات مختلفة من إسماعيل بن أحمد العراقي، ومحمد بن أبي بكر المعروف بابن النّور البلخي، ومحمد بن عبد الهادي المقدسي، وإبراهيم بن خليل، وعبد الرّحمن بن أبي الفهم البلداني، وفرج القرطبي، والبلخي، وابن عبد الدايم، والعماد بن عبد الحميد. حصل الصفدي والمحدّث أبو هريرة على الإجازة منها، كما استفاد منها المحدّث عبد الله بن المحبّ وأولاده وكلّ طلابه، كانت رحمها الله من أرباب الخير والفضيلة زاهدةً من زمرة المساكين، ولدت عام ٦٤٧هـ، وتُوفّيت في شهر شوال عام ٧٣٧هـ.

٥٣٩- عائشة بنت محمد:

ابنةُ الشّيخ محمد بن الجزري من علماء عصر يلدريم بايزيد، ورد في كتاب تاريخ خواجه أنّها كان لها أختان أخريان هما سلمى وفاطمة، وكانتا من أهل العلم والفضيلة أيضًا.

٥٤٠- عائشة بنت معاوية:

ابنةُ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة، المعروفة بالبيضاء، والدة الخليفة عبد الملك بن مروان من الخلفاء الأمويّين.

٥٤١- عائشة بنت المعتصم:

ابنةُ المعتصم بالله من الخلفاء العباسيّين، كانت ظريفةَ الطّبع، ويروى أنّها كانت تمتلك جارية تُدعى مليكة، كانت تلك الجارية تعشق شخصًا باسم عيسى بن قابس، وكان يحبّها أيضًا، وكانت الجارية كلّما تجد فرصة تخرج لمقابلته، ولمّا علمت عائشة بنت المعتصم بذلك وبّخت الجارية وعنّفتها، وحبستها في مكان ما في القصر، وقد حزن عيسى بن قابس لذلك حزنًا شديدًا، واشتكى لأحد أصدقائه، فقال له صديقه إنّ عائشة بنت المعتصم امرأةٌ تحبّ الأدب وشاعرة فهلّا أهديتها قصيدة لطيفة تعفو بها عن الجارية، فذهب عيسى بن قابس إلى بيته على الفوْر وجهّز هديّة ونظمَ الأبيات التّالية وأرسلها لعائشة بنت المعتصم:

كتبـتُ إليـك ولم أحتشـم
وشـوق المحبّـين لا ينكتـم
وإنـي بتيـم بمَـن قـد علمـت
فـإنْ غـاب عـن بـصري لا يتيـم
فمُنّـي بهـا علـيّ وارحـي
بتربـة والـدك المعتصـم

فلمّا وصلت تلك الأبيات إلى عائشة وقرأتها فقالت يا لهذا الأحمق، وأمرت بإخراج الجارية من الحبس وأرسلتها إلى عيسى لتقضي عنده النّهار، ونظمت الأبيات التّالية وأرسلتها لعيسى مع مليكة:

أتـاني كتابـك فيـما ذكـرت
ومـا أنـت عنـدي بالمتهـم

فخذها إليك كما قد طلبت
رغم أنف مَن قد رغم
ولا تحتبسها لوقتِ المبيت
كما يفعل الرّجل المغتلم

ذهبتْ مليكة إلى بيت عيسى، وظلّت معه حتّى المساء، ولمّا عادت إلى عائشة بالليل أعطتْها قصيدةً أخرى كان عيسى قد كتبها لها:

سألتُها قبلت فضنّت وليس ذا فعلُ مَن تعشق
ولم أزلْ خاضعًا لديها أضرعُ قدّامها وأفلق
فما رأتني لذاك أهلًا ولا رعتْ مَن لها تملّق
فعاتبيها عنّي فقلبي من شدّة الوجد قد تمزّق

فردّت عليه عائشة بنت المعتصم بقولها:

سمعتُ ما قلتَ من محالِ
ولستُ في ذاك بالمصدّق
قد خبّرتني بأنّ فاها
بفيكَ طوالَ النهار مُلصق
فاشكرْ على ما رُزِقْتَ منها
فليس كلُّ العباد يُرزَق

٥٤٢- عائشة بنت النسيف:

ابنةُ المحدّث أبي بكر النسيف بن عيسى بن منصور بن قوالح الدمشقي، وابنة عمّ المحدّث بدر الدين بن قوالح، كانت من مشاهير المحدّثات، ذكرها ابنُ حجر في كتابه (إنباء العمر) في وفيات عام ٧٩٣هـ روتِ الحديث عن قاسم بن مظفر والمحدّث المشهور الحجار وآخرين، تُوفّيت في شهر شوال عام ٧٩٣هـ.

٥٤٣- الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية:

هي السّيدة التي اختصرت الكتاب المسمى (منازل السّائرين) عن علم الأحوال والسلوك للشّيخ عبد الله الهروي من مشايخ أواسط القرن الخامس، وأسمَتْه بعد الاختصار (الإشارات الخفيّة في المنازل العلية).

كما توجد سبعُ صحابيّات أخريات باسم عائشة بخلاف السّيدة عائشة أمّ المؤمنين. هن: عائشة بنت جرير بن عمرو، وعائشة بنت الحارث بن خالد،

وعائشة بنت أبي سفيان بن الحارث، وعائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، وعائشة بنت عمير بن الحارث، وعائشة بنت قدامة بن مظعون، وعائشة بنت عجرد، وذكر في أسد الغابة أنّ الأرجح أنّ عائشة الأخيرة كانت من التّابعيات.

وعائشة وهي أيضًا ابنةُ أحد رؤساء الجند في الشّام، وهي مذكورة في تاريخ نعيما في أواخر عام ١٠٠٦هـ بأنّها كانت زوجة لبكر بك أمير آلاي في الشّام، وأنّها في يوم الجمعة الموافق ١٨ ربيع الآخر لعام ١٠٠٦هـ أنجبت بعد مدّة حمل تقدّر بثلاثة أشهر ولدين، ثمّ أخرجت كيسًا من رحمها فتحوه وجدوا به أربعة عشر جنينًا كاملي الأعضاء، ولكنّهم لسوا أحياء، منهم اثنان ذكور والباقي إناث. سبحان الخالق.

تتمّة

والعجيب أنّ العرب كانت تسمّي بعض الذّكور أيضًا باسم عائشة، ومن ذلك شخص مذكور في القاموس باسم عائشة بن نمير بن واقف، وينسب له بئرُ عائشة الواقعة على مقربة من المدينة المنورة. وكذلك عائشة بن عثم، وهو المضروبُ به المثل في إحكام الشّيء يقال (أضبط من عائشة) وسببُ المثل ما يلي: أنّ عائشة هذا كان له إبلٌ خرج بها المرعى، وكان يريدُ إسقاءها، وكانت هناك بئر، فأشار إلى أخيه بأنْ ينزل إلى البئر ليجلبَ الماء من أسفل لإسقاء الإبل، ولأنّ فتحة البئر كانت واسعة، وكانت الإبلُ مزدحمة عندها، وكانت كلّها إبلًا صغيرة السّن سقطت منها واحدةٌ في البئر، فأمسك عائشة بذيلها، وأحكمَ عليه بشدّة، ونادى على أخيه النّجدة سأهلك، فقال أخوه ذاك إلى ذنب البكرة، أي أنّك إذا قطعت ذيلها ستسقط عليّ وتُهلكني أنا. وتمكّن عائشة من إخراج النّاقة الصغيرة بصعوبة كبيرة من فتحة البئر، فأطلق على منْ يحكمُ على الشّيء بشدّة (أضبط من عائشة).

٥٤٤- عايدة بنت محمد الجهنية:

مِن المشاهير المذكورات في العمل المسمّى (تذكرة الخطّاطين) لمستقيم

زاده. كانت على حسب ما أورد مستقيمُ زاده في كتابه المذكور زوجةً لشخص يُدعَى عمر بن شيرز من الوزراء، كانت خطّاطة وفاضلة وشاعرة. ذكرها التّنوخي في كتابه (تتف المحاضرة).

٥٤٥- عايدة المدنية:

من أديبات الأندلس، كانت من جملة الجواري الفُضلاء المتنقلين إلى الأندلس من الشّرق، كانت أمّ ولدِ لحبيب بن الوليد المرواني المعروف بدحون. وُلدت في المدينة المنورة. كان سليمان بن عبد الملك قد خرج لفتح إستانبول وفتح جلطه، وبنى بها الجامع العربي، وأطلق اسمَ مدينة القهر على مدينة جلطه. كانت المذكورة مملوكةً لحفيده محمد بن يزيد بن مسلمة، وهو الذي أهداها إلى دحون المذكور، الذي نقلها معه إلى الأندلس، وقد أعجب بعلمها وحُسن تأدّبها وتربيتها، ورغم أنها كانت غير جميلةٍ إلّا أنها كانت تتحلّ بصفات حميدة كثيرة، ممّا جعل دحون يجعلها جاريةَ فراشٍ خاصّة له، روتِ المذكورة الحديثَ عن الإمام مالك إمام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي والموطأ، كما روتْه عن سائر علماء المدينة المنورة، روت ما يقربُ من ١٠ آلاف حديث، وذُكر في كتاب نفح الطّيب أنّها كانت ماهرة في إسناد الحديث إلى النّبي ﷺ.

٥٤٦- عاتكة بنت زيد:

من فصيحات نساءِ العرب، ابنة زيد بن عمرو بن نُفيل، وابنة عمّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأختُ الصّحابي سعيد بن زيد المبشّر بالجنة، كانت امرأةً تشتهر بالجمال والعلم، تزوّجت عبد الله بن أبي بكر، ثمّ عمر ثمّ الزّبير ثمّ الحسين رضوان الله عليهم أجمعين. وقد نظمت الأبياتِ التّالية حينما استشهد الإمام الحسين في واقعة كربلاء:

وحسينا فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعًا جادت المزن في ذرى كربلاء

فبحكمةِ الله تعالى استشهد كلّ أزواجها، ونظمتْ عاتكة مرثيّة مستقلّة

لكلّ واحد منهم. سنوردُ كلّ قصيدة منها بالتّرتيب فيما يلي. كان عبد الله بن أبي بكر زوجُها الأوّل مفتونًا بها لدرجةٍ كبيرة، لدرجة أنّه كان قد انشغل عن التّجارة والجهاد بسببها، فعاتبه أبوه أبو بكر على ذلك، وقال له ستنسيك تلك المرأة دينَك ودنياك، يجبُ عليك تطليقها، فطلّقها طلقة رجعية، ولكنه لم يتحمّل فراقها، ونظم في ذلك الأبيات التالية:

أعاتكُ لا أنساكِ ما ذرّ شارقٌ
وما ناح قمريّ الحمام مطوقُ

أعاتكُ قلبي كلّ يوم وليلة
لديكِ بما تخفي النفوس معلقُ

لها خلقٌ جزل ورأي ومنطقٌ
وخلقٌ مصونٌ في حياء ومصدقُ

فلم أرَ مثلي طلّق اليوم مثلها
ولا مثلها في أيّ شيء تطلقُ

واستأذن أباه في أنْ يراجعها له مرّة أخرى فلم يسمح له أبو بكر، ونظم الأبيات التّالية:

أعاتكُ قد طلقتُ في غير ريبة
وروجعتُ للأمر الذي هو كائنُ

كذلك أمر الله غادٍ ورائحٌ
على الناس فيه الفقه وتباينُ

وما زال قلبي للتفرّق طائرًا
وقلبي لما قد قرّب الله ساكنُ

ليهنكَ إنّني لا أرى فيك سخطة
وأنّك قد تمّت عليك المحاسنُ

ولمّا استشهد المذكور برمية سهم في موقعة الطّائف نظمت عاتكة الأبيات التالية:

رزئتُ بخير النّاس بعد نبيهم
وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر
وأحمى في الهياج وأصبر

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها
إلى الموت حتّى يترك الموت أحمرا

فآليت لا تنفكّ عيني سخينة
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنّت حمامة أيكة
وما طرد الليل الصباح المنور

وبعد استشهاد عبد الله وانقضاءِ عدّتها طلبها سيدنا عمر للزّواج، ولكنّها أخبرته بأنّ عبد الله بن أبي بكر كان قد أهدى لها حديقة، وكانت شرطًا فيما بينها وبينه، فقال لها الفاروق استفتي في ذلك فلمّا سألت علي بن أبي طالب أخبرها بأنّ تلك الحديقة من حقّ ورثة عبد الله، تسلّمها لهم أوّلًا، ثمّ تتزوّج بعد ذلك. وبذلك تزوّجت عاتكة من سيدنا عمر الفاروق بفتوى سيدنا علي، وبعد استشهاد الفاروق نظمت عاتكة مرثيّة فيه كانت بائيّة من أروع القصائد، ننقل منها هنا بعضَ الأبيات:

عين جودي بعبرة ونحيب
لا تملي على الإمام النجيب
فجعتني المنون بالفارس
المعلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين
على الدهر غياث المتاب والمحروب
قل لأهل الثراء والبؤس موتوا
قد سقته المنون كأس شعوب

نحيب أي عويل، هياج أي قتل، تلبيب أي الإمساك بالخصم من تلابيبه وقت الخصومة، متاب أي مصاب، محروب أي مظلوم. كما كانت توجد قصيدة أخرى في رثاء الفاروق مذكورة في تاريخ الكامل لابن الأثير:

فجعني فيروز لا درّ درّه
بأبيض تال للكتاب نجيب
رءوف على الأدنى غليظ على العدا
أخي ثقة في النائبات منيب
متى ما يقل لا يكذب القول
فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

ولها مرثيّة أخرى في رثاء الفاروق:

من لنفس عادها أحزانها
ولعين شفّها طول السهاد
جسد لفف في أكفانه

رحمة الله على ذلك الجسد
فيه تفجيع لولى غارم لم
يدعه الله يمشي بسبد

شفّها الضميرُ عائد على عين، شف بمعنى التّضعيف. سهد بمعنى السهر، غارم أي مديون، لم يدعه الله... إلخ صفة بعد الصفة وهي كناية عن الفقر الكلي، سبد هو الذي لا يملك شيئًا.

وبعد استشهاد الفاروق عمر تزوّجت عاتكة بالزّبير أحد العشرة المبشّرين بالجنة، وقد قُتل الزّبير على يد عمرو بن جرموز الذي قتله وهو نائم تحت شجرة في وادي السباع، عندما كان عائدًا بعد وقعة الجمل. وقد نظمت عاتكة الأبيات التّالية في رثاء الزبير:

غدر ابن جرموز بفارس
بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته
لا طائشًا رعش الجنان ولا يد
شلّت يمينك أنْ قتلت لمسلمًا
حلت عليك عقوبة المتعمد
إنّ الزبير لذو بلاء صادق
سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه
عنها طرادك يا ابن فقع القردد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله
فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

معرد أي المفرّ من المعركة، رعش الجنان أي مرتعش القلب وهو الخائف، ذو بلاء صادق أي مجرب الصدق وصحيح العزيمة، ابن فقع القردد أي ابن الذليل المسكين. وورد في المثل (أذلّ من فقع القرقرة)، وقد وردت ابن فقع القردد في كتاب الأغاني خطأ مطبعيًا (يوم نقع القردد).

ولمّا حمل ابن جرموز رأس الزبير إلى علي رضي الله عنه، غضب سيّدنا علي وقال له: قال رسولُ اللهﷺ (بشّروا قاتلَ الزّبير بالنار) بعدها بدأ يهذي ابن جرموز بتلك الأبيات:

أتيت عليًّا برأس الزبير
وقد كنت أحسبها زلفة
فبشّر بالنار قبل العيان
فبئس البشارة والتحفة
وسيّان عندي قتل الزبير
وضرطة عير بذي الجحفة

وبالرّغم من أنّ كتاب المستطرف أورد أنّ عاتكة تزوّجت بمحمد بن أبي بكر بعد استشهاد الزّبير، إلّا أنّ كتاب الأغاني وكتاب أسد الغابة يقولون إنّ هذه رواية لا أصل لها، ويقولون بأن المذكورة لم تتزوّج بعد الزبير سوى الحسين رضي الله عنه.

ولمّا ظلّت المذكورة لفترةٍ من دون زواج طلبها علي بن أبي طالب للزّواج، ولكنها قالت له (يا أميرَ المؤمنين أنا أخشى عليك، فكلّ مَنْ يتزوّجني يُقتل)، فصرف نظرَه عنها، ويروى عن عبد الله بن عمرو أنّه قال (منْ أراد الشهادة فعليه بزواج عاتكة)، وهي بذلك تذكّرنا بطويس التي ذكرناها في المجلد الأوّل التي ضرب بها المثلُ في الشّؤم على أزواجها فكان كلّ منْ يتزوّجها يموت.

كانت عاتكة عفيفةً لدرجة كبيرة، وكان الزّبير يغير عليها وعلى بقيّة زوجاته جدًّا، لدرجةٍ أنّه كان يمنعهنّ من الذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وقد كان ذهاب النّساء إلى المسجد في صلاة الفجر في ذلك الوقت أمرًا عاديًا، وذات يوم خرج الزّبير قبلها واختبأ في مكانٍ قريب من المسجد النبوي، ولمّا رأته، قرّرت عدم الذّهاب إلى المسجد في صلاة الفجر، وبعد فترةٍ سألها الزّبير وكأنه لا يعلم شيئًا عن الموضوع (ألن تخرجي إلى المسجد بعد ذلك؟) فقالت (قلّ الناس، وأصبح ذهابنا إلى المسجد هكذا أمرًا غير مرغوب).

٥٤٧ - عاتكة بنت شهدة:

ابنةُ شهدة جاريةُ الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، كانت الأمّ وابنتها ماهرتيْن في الموسيقى والغناء، وكانت

المذكورة تغنّي في حضور الوليد مع الجواري تلك الأبيات:

يـا صاحبيّ دعـا الملامـة واعلما
أنّ الهـوى يـدع الكـرام عبيـدا

وبينما هنّ يغنّين البيت قالت إحدى الجواري الرّجال بدلًا من الكرام، فقالت لها عاتكة منتقدةً إيّاها: (ويلك بندار الزيات العاض بظرامه رجل أفمن الكرام هو)، وهو نقد جيد مذكورٌ في كتاب الأغاني في المجلد السادس.

٥٤٨ - عاتكة بنت عبد المطلب:

ابنةُ عبد المطلب بن هاشم جدّ النّبيّ ﷺ، عمّة النبي، كانت من فصيحات نساءِ قريش. اخْتُلف في مسألة إسلامها، وأشهر الأقوالِ تؤكّد أنه لم يسلم من عمّات النّبيّ سوى صفيّة بنت عبد المطلب. وقد ذكرنا من قبل في عنوان أروى وصفيّة أنّ عبد المطلب جد النّبيّ كان له ستّ بنات، كلهنّ كنّ شاعرات، طلب منهنّ والدُهنّ أنْ تنظم كلّ واحدة منهنّ قصيدة في رثائه وهو في مرض الموت، وقد نقلنا هنا القصيدةَ التي نظمتها عاتكة بعد أنْ نقلناها من كتاب المسامرات، وصحّحناها:

أعيني جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
أعيني واستعبرا واسكبي شويا بكاء كما بالتدام
أعيني واستخرطا واسجما على رجل غير نكس كهام
على الجحفل الغمر في النائبات كريم
المساعي وفي الزمام على شيبة الحمد واري الزناد وذي
مصدق بعد ثبت المقام وسيف لدى الحرب صمصامة
ومُردي المخاصم عند الخصام وسهل الخليقة طلق اليدين
وفي عُدمُلي صميم اللهام
تنبك في باذخ بيته رفيع الذؤابة صعب المرام

الهمزة الموجودة في أعيني حرف نداء، عيني اسم مثنى، شويا صيغة أمر مثنى بمعنى خلط الشيء ببعضه، التدام على وزن افتعال وهي المرأة النواحة، كهام أي الرجل العامل العالم وهو الشيخ الهرم ذو الخبرة، الجحفل الغمر أي الجيش الكثير.

النائبات أي المصائب، الزمام على وزن كتاب الحق المستوجب إضاعته

الذم، شيبة الحمد لقب عبد المطلب، وارى الزناد أي معين، عُدمُلي بضم العين والميم هو المسن الهرم، صميم اللهام بضمّ اللام أي خالص الجيش، واللّهام في الأصل معناها الابتلاع يقال لهمت الشيء ألهمه، وقال الرّاجز:

كالحـــوت لا يرويـــه شيء يلهمـــه
يصبـــح عطشـــان وفي البحـــر فمـــه

لذلك سمّي الجيش باللهام، باذخ أي عالي. وللمذكورةِ أبياتٌ أخرى عن الحماسة والشجاعة مذكورة في أواخر الباب الأول بديوان الحماسة هي:

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه
قيسًا وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه
فيه السنور والقنا والكبش ملتمع قناعه
بعكاظ يعشى الناظرين إذاهم لمحوا شعاعه
فيه قتلنا مالكًا قسرًا وأسلمه رعاعه
ومجدّلًا غادرنه بالقاع تنهشه ضباعه

سائل فعل أمر من المساءلة، بنا أي عنا، قيسًا هو قيس عيلان، شناع أي شنيعة سنور نوع من اللباس الحريري الفاخر، قنا أي المزراق، كبش هنا بمعنى الرئيس، إعشاء أي شكور، قسرًا أي قهرًا، مجدل أي مصروع على الأرض.

وروي في كتب السّير أنّ عاتكة المذكورة رأتْ رؤية بعد الهجرة النبويّة أنّ رجلًا أتى إلى مكّة على ناقة، ونادى في أهل مكة بالحرب وتحارب ثلاثة أيام، ثمّ صعد إلى جبل أبي قبيس وألقى صخرة كبيرة من الجبل تفتت عندما سقطت على الأرض وأصابت شظاياها كلّ منازل مكّة «وأخبرت عاتكة أخاها العباس بالرّؤيا، فأمرها بتكتّم الأمر، ورغم ذلك شاع الأمرُ بين الناس حتّى وصل إلى أبي جهل فقال للعبّاس هل أصبحت النبوّة في نسائكم أيضًا» وكانت تلك الرؤية نذيرًا بوقعة بدر، حيث جاء الخبر بعدها بثلاثة أيام بأنّ المسلمين أغاروا على قافلة أبي جهل القادمة إلى مكة. ووقعت غزوة بدر بعدها.

وعاتكة من الأسماء المنقولة عن الصفات، فقد كان لفظُ عاتكة صفةً

بمعنى المرأة المتزينة بالزّعفران والطيب، ثمّ أصبح اسماً.

وتوجد أيضًا من الصّحابيات عاتكة بنت أسيد، وعاتكة بنت خالد، وعاتكة بنت عوف، وعاتكة بنت نعيم، وعاتكة بنت الوليد، وعاتكة بنت خالد هي أمّ معبد المذكورة في المجلد الأول. وذكر في حاشية البيجوري أنّ اسم أمّ زرع المارّ ذكرها كانت عاتكة أيضًا.

ومذكور في كتاب الجواهر الملتقطة نقلًا عن الأغاني أنّ السيدة ذات النّحيين المذكورة في المجلد الأول هي عاتكة بنت ملاءة. وعلى منْ يريد الاطّلاع يرجع إلى مادّة أمّ الورد العجلانية.

وعاتكة بنت يزيد سيدة صالحة زوجة عبد الملك الأموي، ووالدة يزيد بن عبد الملك، وعاتكة بنت عبد الله بن يزيد هي عاتكة التي تغزّل فيها الشّاعر الأحوص قائلًا:

يـــا بيـــت عاتكـــة الـــذي أتغـــزل
حـــذر العـــدا وبـــه الفـــؤاد مـــوكل

وهي حفيدة يزيد بن معاوية. والبيت المذكور مطلعُ قصيدة مشهورة سنوردها في حرف القاف بعنوان قاسم.

وتوجد عاتكة أخرى وهي ابنة معاوية، وذُكر في المجلد السّادس من الأغاني أنّ الشاعر أبا دهبل كان يذكرُها في أشعاره، لذا أعطاه معاوية الكثيرَ من الهدايا ليكفّ عن ذكرها.

وعاتكة الغنويّة وهي سيدةٌ من بني غنى اشتهرت بالصّلاح والزهد مثل رابعة العدوية، وأحوالُها مذكورة في طبقات المناوي المسمّاة الكواكب الدرية.

وتوجد تسعُ جدّات للرّسول باسم عاتكة، كان يُقال لهنّ العواتك، لذا لقب الرسول بلقب ابن العواتك، وورد في الحديث الشّريف أنا ابن العواتك من سليم، حيث كانت ثلاثة منهنّ من بني سليم وستّة من قبائل أخرى، والثلاثة اللاتي كنّ من بني سليم هنّ عاتكة بنت هلال، وهي والدة جدّ هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت مرّة بن هلال وهي

والدة هاشم، وعاتكة بنت الأوقص بن مرّة بن هلال، وهي والدة جدّ النّبيّ من جهة الأمّ، وقد خصّها النّبيّ في الحديث لقربهنّ منه في النّسب، وعاتكة المذكورة في المثل (أنجب من عاتكة) هي عاتكة بنت مرّة، وهي زوجة عبد مناف وأمّ هاشم فقد أنجبت من عبد مناف ثلاثة أبناء كانوا نجباء هم: هاشم وعبد شمس ومطلب، وكانوا من أشراف قريش، وقد ذكر أبو الفضل الميداني في كتابه مجمع الأمثال العواتك بتعدادٍ مختلف، وذكرهم ابنُ الأثير في الكامل في فصل مخصوص باسم (ذكر الفواطم والعواتك).

والعواتك المذكورة في معلّقة الحارث بن حلزة اليشكري المقصود بها الحرائر.

٥٤٩- عاصية:

من شاعراتِ نساء العرب، وأشعارها مذكورةٌ في ديوان الحماسة لأبي تمّام، والأبيات التّالية مأخوذة من الباب الثّاني لديوان الحماسة:

أعاصي جودي بالدموع السواكب
ويبكي لك الويلات قتلى محارب

فلو أنّ قومي قتلتهم عمارة
من السروات والرءوس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدًا
ولكنّما آثارنا في محارب

قبيل لئام أن ظفرنا عليهم
وإنْ يغلبونا يوجدوا شرّ غالب

الهمزة الموجودة في أعاصي حرف نداء، عاصية اسمٌ على طريق التّرخيم وقع منادى، محارب اسم قبيلة خسيسة، عمارة عشيرة، سروات أي كرام، ذوائب أي أعالي، آثارنا أي أخذنا بالثأر، ظفرنا أي ربحنا.

٥٥٠- عالية:

هي الصّحابيّة عالية بنت ظبيان، قيل إنّها من بني ربيعة أو بني كلاب، وقيل أيضًا إنّها هي الرّماة التي تزوّجها النّبيّ لفترة ثمّ طلّقها، وهذا على ما نصّ عليه ابن الأثير.

وعالية ابنة هارون الرشيد، زوجها هارونُ بن عبد الملك بن صالح بمشورة وزيره جعفر البرمكي، وعقد زواجها الإمام أبو يوسف. وقصّتها مذكورة في كتب التاريخ في ترجمة حال جعفر البرمكي، وموضّح بها كيف كان موقعُها ومكانتها لدى هارون.

وتوجد عالية أخرى ذكرها ابنُ الأثير في قصّة حاتم الطائي، وهي المرأة التي كانت لها قصّة مشهورة مع حاتم الطائي عندما أُسر لجماعةِ بكر بن وائل، وكان من نصيب أحد أفراد قبيلة عنيزة، حيث أتته عالية تلك ذات يوم وأشارتْ إلى ناقتها وقالت له أفصد تلك الناقة، فقد كان من عادة العرب في الجاهليّة في زمن القحط أنْ يأخذوا الدّمَ من الإبل ويملئوا بها الأمعاء ويجفّفوها ويقدّموها للضيوف، وهذا هو الدّم المسفوح الذي حرّمه الإسلام، وكان يقال للشّخص الذي قدّم له هذا الفصد لم يحرم من فصدَ له، على أيّة حال لمّا قالت المرأة لحاتم افصدِ النّاقة لكي تضيّف بها ضيفها، كانت لا تعلمُ شيئًا قطّ عن كرم وسخاء حاتم، فقامَ حاتم بذبح النّاقة ليكرم بها الضيف بدلًا من فصدها، فلمّا رأته المرأة صرختْ ذبحتَ ناقتي!! فقال لها هكذا فزدي أنه، وفزدي أصلها فصدي قلبت الصّاد زال.

كما كان اسمُ حبابة معشوقة يزيد بن عبد الملك السابقة الترجمة عالية أيضًا، كما كان للخليفة العباسي المنصور والخليفة العباسي هارون ابنتان باسم عالية أيضًا.

٥٥١- عبادية:

من الجواري، كانت أديبة من أديبات الأندلس، كانت تنسب إلى عباد والدِ معتمد بن عباد أمير أشبيلية، وكان قد أهداها لعباد شخص يُدعَى مجاهد العامري، كانت فتاة أديبة وشاعرة وظريفة، حفظت الكثيرَ من المفردات اللغويّة، ومذكور في نفح الطّيب نقلًا عن ابن عليم شارح كتاب أدب الكاتب أنّ المذكورة أعطت علماء عصرها معلوماتٍ غريبةً عن الغمزة الموجودة

في خدّ أو ذقن بعض الشباب عندما يتبسمون، فكانت تقول لِمَنْ له غمزة في ذقنه نونة، ولمنْ في خدّه فحصة.

كانت المذكورة ذاتَ بداهةٍ في الشعر فيقال إنّها ذات ليلة كانت تنام في فراش سيّدها عباد، وقد اعترته حالةٌ من الأرق لم يستطع النّوم، فنظر إليها فوجدها نائمة، فقال:

تنام ومدنفها يسهر وتصبر عنه ولا يصبر

فلمّا سمعت عباديّة ذلك أنشدت:

لئنْ دام هذا وهذا له سيهلك وجدًا ولا يشعر

٥٥٢- عباسة بنت الفضل:

زوجةُ الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل أحدِ الأئمة الأربعة، كانت من المحدّثات والصّالحات، وكان الإمام المذكور يمدحها ويثني عليها، وورَدَ في تاريخ بغداد أنَّ الإمام أحمد قال بعدَ وفاتها: لقد تزوّجت أمّ صالح ثلاثين سنة، لم تعارضني خلالها في أيّ كلمة، والمقصود بأمّ صالح هي عبّاسة المذكورة فقد كان للإمام أحمد ابنان نجيبان متفقّهان هما صالح وعبد الله، وصالح هو ابن عبّاسة المذكورة، ولم تنجب غيرَه، تُوفّي الإمام أحمد في شهر ربيع الأول عام ٢٤١هـ وتُوفّي ابنه صالح في أصفهان التي كان قاضيًا عليها عام ٢٦٦هـ. وقد تكنّى الإمام أحمد بكنية أبي عبد الله لأنّ ابنه عبد الله كان ابنه الأكبر، وقد تُوفّي عام ٢٩٠هـ عن عمر يناهز ٧٧ عامًا.

٥٥٣- عباسة بنت المهدي:

أختُ هارون الرشيد، وابنة الخليفة العباسي محمد المهدي بن عبد الله أبوجعفر المنصور بن محمد سجاد بن علي بن عبد الله بن عباس، عمّ رسول اللهﷺ، كانت ابنة خليفة وأختَ خليفة. جمعت في فضائلها بين الدّين والدنيا، تُوفّيت عام ١٨٢هـ، تزوّجت أوّل الأمر بمحمد بن سليمان بن علي من الأسرة العباسيّة، وبعد وفاته تزوّجت بإبراهيم بن صالح بن علي، وبعد وفاته طلبها عيسى بن جعفر للزّواج، ويقال

إنّه صرف نظره عن ذلك لأنّ أحد الشّعراء العباسيّين عرّض في شعره بأنّها شؤمٌ على أزواجها مثل دفاق، فقد نظم:

أعباس أنت الزعاف الذي
تضلّ لديه زقى النافث
قتلت عظيمين من هاشم
وأصبحت في طلب الثالث
فمَن ذا الذي غمه عمره
يعجّل بالمال للوارث

بعد ذلك تزوّجت عباسة بجعفر بن يحيى البرمكي على شرطٍ اشترطه هارون الرشيد وهو عدم الاختلاء بها، ولكنّه أخلّ بالشرط وجامع عبّاسة فأنجب منها ولدًا، وكانت هذه الحادثة سببًا في قتل هارون الرشيد لأبناء البرامكة، وقد أوضحَ ابنُ خلدون في كتابه المقدّمة أنّ هذه القصة ليس لها أساس من الصّحة في الكتب التاريخية. وأنّ الأبيات التّالية المنسوبة لأبي نواس، والتي تشيرُ إلى القصة بلا معنى:

ألا قل لأمين الله وابن القادة الساسة
إذا ما ناكث سرّك أن تفقده راسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسة

وورد في تاريخ الكامل لابن الأثير أنّ عبّاسة أيضًا كانت زوجة هارون الرشيد. وغير ذلك توجد عبّاسة أخرى، وهي ابنة أحمد بن طولون حاكم مصر في العهد العباسي، وهي خالة قطر النّدي، وقد أنشئت في مصر محلّة باسمها، سنوردها في حرف القاف.

٥٥٤- عبدة بنت أبي شوال:

سيّدةٌ مباركة بصريّة من نساء القرن الأوّل، كانت من خيار إماءِ الله، كانت تخدم السّيدة رابعة العدوية.

وعبدة بنت عبد الرحمن بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن أبي قتادة أمّ أحمد الأنصارية، من المحدثات، ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه.

وعبدة وهي مغنّية، معشوقةُ الشّاعر المسمّى بشّار بن برد، عشقها بشار من جمال صوتها، ونظم فيها الكثيرَ من القصائد، منها:

وكـــاعب قالــت لأتــرابها
يـا قـوم مـا أعجـب هـذا الضريـر
هـل يعشـق الإنسـان مـا لا يـرى
فقلـت والدّمــع بعينـي غزيـر
إنْ كان عينـي لا تـرى وجههـا
فإنّهـا قـد صـوّرت في الضمـير
يـا قـوم أذني لبعـض الحي عاشـقة
والأذن تعشـق قبـل العـين أحيانـا
قالـوا بمَـن لا تـرى تهـدي فقلـت لهـم
الأذنُ كالعـين تـوفي القلـب مـا كانـا
هـل مـن دواءٍ لمشـغوف بجاريـة
يلقـى بلقيانهـا روحًـا وريحانـا
يزهدنـي في حـبّ معشر
قلوبهـم فيهـا مخالفـة قلبـي
فقلـت دعـوا قلبي ومـا ختـار وارتضى
فبالقلـب لا بالعـين يبـصر ذو الحـبّ
فـما تبـصر العينـان في موضـع الهـوى
ولا تسـمع الأذنـان إلّا مـن القلـب
ومـا الحسـن إلّا كلّ حسـن دعـا الصبـا
وألـف بـين العشـق والعاشـق الصـب

وهناك مَن نسب الأبيات الأخيرة التي تبدأ بيزهدني إلى ذي الرّمة، ومنهم مَن نسبها إلى كثير عزّة.

والأبيات التّالية لبشّار بن برد نظمها على لسان الخليفة المهدي العباسي:

نظرت في القصر عيني نظرًا وافق حبني
سـتـرت لـمـا رأتني دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طي العكنتين
ليتني كنت علـيـه ساعة أو ساعتين

وأصل الحكاية مذكور في الصفحة رقم ٩٣ بالمجلد الثاني من تزيين الأسواق، وقد قُتل المذكور بتهمة الزّندقة.

٥٥٥- عبلة:

على وزن طلحة، وهي المرأةُ كثيرةُ الأندام، وتوجد قبيلةُ العبلات التابعة لقريش، وقد نسبت إلى أمّها عبلة.

وعبلةُ معشوقةُ الشّاعر الشجاع الجاهلي عنترة العبسي، وقد ذكرها المذكور في معظم أشعاره. وقد صادفت مرّة ديوان للمذكورة طبعة بيروت.

٥٥٦ - عبيدة بنت أبي كلاب:

سيّدةٌ بصريّة مباركة من متصوّفات القرن الأوّل، كانت تلتقي بمالك بن دينار، ومذكور في كتاب طبقات الشّعراء أنّ المذكورة كانت مرجّحة عند الناس أكثر من رابعة العدوية، فقد كانت عبيدة ورابعة أبناءَ عصرٍ واحد، ولأنّ عبيدة تُوفّيت قبل رابعة رأتْ رابعة في المنام أنّها تُوفّيت، وأنّ عبيدة سبقتها في درجات الآخرة.

٥٥٧ - عبيدة الطنبورية:

من مغنّيات العصر العباسي، كانت فريدة عصرِها في الألحان والغناء، قيل في حقّها:

أمست عبيدة في الإحسان واحدة
فالله جار لها من كلّ محذور

مِن أحسنِ الناس وجهًا حين تبصرها، وأحذق الناس إنْ غنّت بطنبور.

وكان منقوشٌ على الأبنوس عندها البيت التّالي:

كلّ شيء سوى الخيانة في الحبّ يحتمل

٥٥٨ - عتابة أمّ جعفر:

هي عتابةُ والدةُ الوزير العباسي جعفر بن يحيى البرمكي، ذُكر في كتب التواريخ أنّ تلك المرأة كانت معاصرةً للفترة التي تحوّلت فيها صولة وعظمة البرامكة إلى مسكنةٍ ويأس، وعلى اختلاف الرّوايات التاريخيّة والكتب سمع من أحدِ رجال ذلك العصر «كان اليوم يومَ عيد الأضحى وذهبتُ إلى أمّي، فرأيت عندها سيدة مسنّة من أهل الفصاحة ملابسُها مهلهلة، وطلبت منّي والدتي أنْ أرحّب بالسيدة، فرحبت بها، وسألتُ والدتي عنها فقالت إنّها والدة جعفر بن يحيى، فتأسّفت على حالها، وتعجّبت للحالة التي آلتْ إليها، فقالت لي (يا بني، إنّما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها، وحلّةً سلبها مُلبسها)، ولمّا سألتها عن الأحوال الغريبة التي شاهدتها في حياتها الطّويلة قالت «عندما كان ابني جعفر حيًّا كان يوجد عندنا في يوم العيد ٤٠٠ جارية كان ابني يجعلهنّ في خدمتي، ومع ذلك كنت أشتكي

ابني بأنه لم يوافني حقّ أمومتي عليه، أمّا الآنَ فالعيد يأتي علي ولا أطلب إلّا شيئيْن؛ سريرًا وغطاءً». فرقّ لها قلبي، فبكيت وأعطيتها ٥٠٠ درهم، فسُرّت بها جدًّا، فسألتها عن أقوى ما رأته في حياتها فقالت:

كلّ المصاعب قد تمرّ على الفتى
فتهون غير شماتة الحسّاد
إنّ المصائب تنقضي أسبابها
وشماتة الأعداء بالمرصاد
فقلتُ لها وهل ذقت طعمَ الموت؟ فقالت:
لا تحسبنّ الموت موت البلا
لكنّما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن
ذا أشدُّ من ذاك ذلّ السؤال

وقد ذكرنا سابقًا أنّ عبّاسة بنت المهدي التقت جعفر البرمكي بحيلة، هذه الحيلة كانت من صنع عتابة المذكورة، وهذا ما ذكره البعض ولكنّ ابن خلدون زيّف هذا الرأي.

٥٥٩- عتبة بنت عفيف:

ابنةُ عفيف بن عمرو بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم، وهي والدةُ حاتم الطائي، كانت مثل ابنها سخيّة شاعرة، فكانت تجود بأموالها ودوابّها على الأهالي، ولا تدّخر لنفسها شيئًا، وذات يوم حجرَ أخوها على أموالها ومنعها من التصرّف فيها حتّى لا تنفقها على الناس والفقراء، وبعد سنةٍ أعاد إليها أموالها بعد أنْ علم أنّها تعلّمت ألمَ الفقر والحرمان في خلال تلك السّنة، وجاءتها امرأة فقيرة تطلب الحاجة، فقالت لها عتبة لقد ذقتُ طعمَ الجوع والفقر، وأعطت المرأة كلّ ما لديها، ونظمت الأبيات التالية:

لعمري لقد ما عضني الجوع عضة
فآليت أنْ لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللّائم اليوم أعفني
فإنْ لن تفعل فعضّ الأصابعا
فماذا عساك أنْ تقول لأختكم
سوى عذلكم أو عذل مَن كان مانعا
وماذا ترونْ اليوم إلّا طبيعة
فكيف بتركي يا ابن أمّي الطّبائعا

وعتبة بنت زرارة ابن عدس الأنصاريّة وهي صحابيّة. وهناك عتبةٌ أخرى كانت من جواري الخليفة المهدي، تغزّل فيها الشاعر أبو العتاهية.

٥٦٠- عثمانية:

إحدى زوجاتِ هارون الرشيد، ابنةُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، لذا نُسبت إليه، جدّة أبيها هي فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه.

٥٦١- عجائز الجنة:

والمقصود بهنّ صفيّة بنت عبد المطلب، وأسماء بنت أبي بكر، وخديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر. ومذكور في كتب السير أنّ عجوزًا أتت النّبي وسألته أنْ يدعو لها بأنْ تدخل الجنة، فقال لها إنّ الجنة لا يدخلها عجوز، فبكتِ المسكينة، فتلَا عليها النّبيّ قولَه تعالى (إنا أنشأناهنّ إنشاءً فجعلناهنّ أبكارًا) أي أنّ العجوز لن تدخلَ الجنة وهي عجوز؛ بل تدخلها شابّة.

والجملة المذكورة في كتب علم الكلام (عليكم بدين العجائز فإنّه من أسنى الجوائز) ليسَ من قبيل الحديث الشريف، بل شاع لكثرة جريانِه على لسان العوام، وربّما من قول سفيان الثّوري. ومذكور في شرح المواقف أنّ عمرو بن عبيد- وهو من شيوخ المعتزلة- عندما قال إنّ هناك منزلةً بين الكفر والإيمان، ردّت عليه عجوزٌ بقوله تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)، ولمّا سمع سفيان الثوري هذا الرّد الصّائب قال: عليكم بدينِ العجائز.

٥٦٢- عجفاء:

مِن أديبات الأندلس، أساسًا من الشرق أي من أهل العراق، ثمّ انتقلت إلى الأندلس بطريق الرّق، فكانت جارية ومغنية. من جملة الأديبات المذكورات في نفح الطيب.

عجفاء بنت علقمة السعدي، سيدة من أهل البيان قائلةُ المثل (كلّ فتاة بأبيها معجبة)، وشرح المثل مذكور في مجمع الأمثال.

٥٦٣- عجوز بني إسرائيل:

هي شارخُ بنت يسير بن يعقوب عليه السّلام، من نساء بني إسرائيل، ذُكرت في كتاب ما يعول عليه، وكتاب مجمع الأمثال في شرح المثل القائل (أكبر من عجوز بني إسرائيل)، عاشت ما يقرب من ٢٠٠ سنة، وذكر في كتاب ما يعول عليه أنّها عاشت من عهد يوسف إلى عهد موسى، وقد أورد الإمام الثعالبي في كتابه العرائس حديثًا في قصتها.

والأعداد مائة وألف وما بينهما يأتي دائمًا مفردًا مجرورًا، نادرًا ما يأتي منصوبًا، ومن ذلك قول الشاعر:

إذا عاش الفتى مئتي عام فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وورد في تفسير الجلالين في تفسير الآية الكريمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) في سورة الشّعراء أنّه المقصود بهم عجوز بني إسرائيل مريم بنت ناموسا أو ناموشا، وآسيا وحزقيل، وقد اتّفق تفسير الكشاف والبيضاوي على ما ورد في الجلالين على اعتبار أنّ الضمير هم عائد على أهل فرعون، إلّا أنّ أبا السعود لم يوافق على هذا التفسير على اعتبار أنّ هم ضمير عائد على كفّار العصر النبوي لأنّ كان الواردة في الآية مربوطة بالياء الزائدة، أو أنها محمولة على معنى صار. على أيّة حال يجب مطابقة تفسير تلك الآية في الكشّاف بالآية الكريمة (وقال رجل مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانه).

٥٦٤- عجوز قريش:

هي الخبيثة حَمّالةُ الحطب. زوجة أبي لهب.

عجوز اليمن، وهو لقبُ والي اليمن في عهد عبد الله بن الزبير، لقّب بعجوز لشراسة طبعه، وذكر في القاموس أنّ لقب عجوز يُطلق على الرّجال والنساء على السواء.

وذكر في كتاب عرائس المجالس أيضًا أنّ نبي الله حزقيل من أنبياء بني إسرائيل كان يلقب بابن العجوز.

وفي سورة لوط (إلّا عجوزًا في الغابرين) هي زوجة سيدنا لوط، وقد هلكت مع قوم لوط بما وردَ في الآية

الكريمة في سورة هود (إنّه مصيبها ما أصابهم).

ويقي أنْ نقول إنّه يقال برد العجوز، وهذا لم يُقصد به برد العجوز أي السيدة العجوز، بل ربّما قيل خطأ من برد أيّام العجز، أي المؤخرة. وهناك قول بأنّ المقصود بها هي الأيام المعروفة بالأيّام الحسوم أو النّحسات الواردة في القرآن الكريم، وكانت ثمانية أيام وسبع ليال، قضت على قوم عادٍ الذين تميّزوا بالبنية القوية، وقد احتمتْ عجوز من قوم عاد المذكورين من هذه الرّيح العاتية في إحدى المغارات القويّة فأطلق البعض على تلك الأيام برد العجوز. وقد جمع أبو شبل الأعرابي تلك الأيام في الأبيات التالية:

كسع الشتاء بسبعة غبر بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر ومعلل وبمطفئ الجمر

وبآخر المجلد الثّاني من كتاب الأغاني حكاية (العجوز الجنية) وعلى منْ يريد الاطلاع عليها ليراجع الكتاب المذكور في ترجمة أميّة بن الصّلت.

وأورد أحدُ الشّعراء أيضًا لفظ العجوز في الأبياتِ التالية:

عجوز تمنّت أنْ تكون فتية
وقد يبس الخدّان واحدودب الظهر
تروح إلى العطّار تبغي شبابها
وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر
وما غرّني الإخضاب بكفّها
وكحل بعينيها وأثوابها الصفر

فائدة

وردَ في تفسير آية (لولا أنْ تفنّدون) في سورة يوسف أنّ الزمخشري قال: التّفنيد نسبة إلى فندة، والفند هو الهرمُ والكِبَر، يُقال للرجال البالغين من العمر أرذله (شيخ مفند) ولكن لا يُقال للنّساء عجوز مفنّدة، لأنّ النساء في شبابها ليست صاحبة رأي، وفي هرمها ضعيفة العقل، وهذا ما ذكره القاضي البيضاوي وأبو السعود العمادي في تفسيرهما.

٥٦٥- عذراء:

هي عذراءُ المذكورةُ في القصّة الوهميّة (وامق والعذراء)، ولم نسمع من الألفاظ العربيّة اسمينْ صريحين بهذا الاسم. وقد ذكرنا في المجلّد الأوّل في عنوان البتول أنّ لفظ العذراء لقبٌ منحه الله تعالى للسيدة مريم والدة نبي الله عيسى.

٥٦٦- عروضية:

جاريةٌ من أديبات الأندلس، كانت من معاتيقِ أبي المطرّف عبد الرحمن، تعلّمت النحو واللّغة على يد أبي المطرّف، ثمّ اشتغلت مؤخرًا بتدريس النّحو واللغة، ولفظ عروضيّة يُشعر بأنّها كانت متفرّدة في علم العروض، ذُكر في كتاب نفح الطّيب أنّها حفظت كتاب الكامل للمبرّد، ونوادر أبي علي القالي، وكتبت لها شرحًا. وقال أبو داود سليمان بن نجاح قرأت كتاب الكامل للمبرّد وكتاب نوادر القالي على عروضيّة، وتعلّمت على العروض على يديها. كانت عروضيّة تقيم في مدينة بلنسيه بالأندلس، تُوفّيت في دانية، وقد تُوفّيت قرابة عام ٤٥٠هـ بعد وفاة سيّدها أبي المطرف.

كانت بلنسيه من أجمل بلدان الأندلس، والأبيات التّالية قيلت فيها بعد أنِ انتقلت إلى يد الأعداء، وهي أبيات توجع القلبَ من شدّة التحسّر على ضياع هذا الإقليم من يد المسلمين:

بلنسيه بيني عن القلب سلوة
فإنك روض لا أحنّ لزهرك
وكيف يحبّ المرء دارًا تقسّمت
على ضارمي جوع وفتنة مشرك

٥٦٧- عريب:

هي عريبُ، إحدى المغنّيات العباسيات المشاهير، كانت شاعرةً ومغنّية، كانت تضاهي المغنّية جيلة وسلّامة الزرقاء وعزّة الميلاء، بل كانت تفوقهنّ من حيث العلم والمعرفة بالموسيقى، فقد كانت شاعرة ومغنّية وملحّنة، كما كانت ذات فصاحة وبداهة، كما كان لها مهارةٌ في ركوب الخيل.

ويُفهم مما ورد في كتاب الأغاني أنّ المذكورة كانت من صلب جعفر البرمكي، وكانت والدتُها فتاةً جميلة اسمها فاطمة، كانت تعيش في دار يحيى البرمكي، وأحبّها جعفر ابنه فتزوّجها، ولأنّه لم يرضَ أنْ يتزوّج فتاة مجهولة النسب طلّقها وأجلسها في دارٍ مستقلّة إرضاءً لوالده، ولكنّه كان يرسل إليها الخدم والجواري لتلبية متطلّباتها، كما كان يذهب هو بنفسه بين الحين والآخر إليها لأنه كان يحبّها من أعماق قلبه، وأنجبت منه في عام ١٨١هـ عريب المذكورة، ولمّا تُوفيت فاطمة أمّ عريب حمل جعفر ابنته عريب وهي طفلة، وأودعها سيّدةً مسيحيّة لتربّيها، ولمّا وقعت حادثة البرامكة عام ١٨٧هـ وماتَ فيها جعفر البرمكي، بيعت عريب في سوق الرّقيق، واشتراها عبد الله بن إسماعيل المراكبي رئيس بحّارة هارون الرشيد، وفي داره تعلمت القراءةَ والكتابة، وذاع صيتها، وكان لها قدرُها عند الخليفة المأمون والخليفة المعتصم، تُوفّيت في عام ٢٧٧هـ عن عمر يناهز ٩٦عامًا. وقد ذكر ابنُ الجوزي في كتابه الأذكياء أنّ الخليفة المعتصم أعتق عريب المذكورة بمبلغ ١٠٠ ألف درهم.

٥٦٨- عريب جارية المأمون:

كانت عالمةً في اللّغة والفصاحة، كان الخليفةُ المأمون يحبّها جدًّا، وكان يخاطبها شعرًا فيقول:

أنـــا المأمـــون والملـــك الـــهمام
عـــلى إنّي بحبّـــك مســـتهام
أتـــرضي أنْ أمـــوت عليـــك وجْـــدًا
ويبقـــى النّـــاس ليـــس لـــهم إمـــام

ولمّا سمعت عريبُ الأبياتِ من المأمون قالت: مولاي، لقد اكتويت بنار العشق أكثر من والدِكم الرّشيد، وتلت الأبيات التالية:

مـــلك الثـــلاث الآنســـات عنـــاني
وحـــللن مـــن قلبـــي بـــكلّ مكـــان
مـــا لي تطـــاوعـــني الـــبريّة كـــلّـــها
وأطيـــعـــهنّ وهـــنّ في عصيـــاني
مـــا ذاك إلّا أنّ ســـلطـــان الهـــوى
وبـــه غلبـــنَ أعـــزّ مـــن ســـلطـــاني

وقالت لقد قدّم محبوباته على نفسه، وأنت يا مولاي تقدّم حبّ نفسك على جاريتك. فقال المأمون: لكنّ محبتي منحصرة فيكِ أنت، أمّا الرشيد فكان يحبّ ثلاثة، فقالت: أنا أعلم ولكنّه كان يقصدُ بهم واحدة فقط، فمحبوبة الرشيد الأصليّة هي فلانة، والأخريان هما محبوبة حبيبتِه فأحبّهما لحبّها لمحبوبته، ومن ذلك قول خالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة:

أحبّ بني العوام طرًّا لأجلها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وقال آخر:

أحبّ لأجلها السودان حتّى
أحبّ لأجلها سودَ الكلاب

ولّما قالت ذلك سكت المأمون، فتلتْ عريبُ الأبيات التالية:

وأنتم أناسٌ فيكم الغدر شيمة
لكم أوجه شتّى والسنة عشر
عجبت لقلبي كيف يصبو إليكم
على عظم ما يلقى وليس له صبر

وقد ذكرنا في المجلد الأوّل في عنوان ذات الخال لَمن نظم هارون الرشيد تلك الأبيات. وتورد بعضُ الكتب لفظَ عريب بالغين فيقولون غريب وغريبة.

٥٦٩- عزة:

هي معشوقةُ الشّاعر الشّيعي المشرب أبي صخر كثير بن عبد الرحمن من شعراء القرن الهجري الأوّل، كان يعرف بكثير عزة، وعزة المذكورة هي عزّة بنت جميل، وقد ذكرها الشّاعر المذكور ذات مرّة في بيت باسم حاجبيّة نسبةً لجدّها الأكبر فقال:

إذا ما أتتنا خلّة كي تزيلنا
أبينا وقلنا الحاجبيّة أول
سنوليك عرقًا إنْ أردت وصالنا
ونحن لتلك الحاجبيّة أوصل

وقد سمّي كثيرُ بهذا الاسم نسبة لقِصَر قامتِه، كما كان يطلق عليه أيضًا (زب الذباب)، وقيل في الدّلالة على قصره:

قصير القميص فاحش عند بيته
يعضّ القراد باسته وهو قائم

وكان هو يتباهى بنفسه فيقول:

وإنْ أكُ في الرجال قصيرًا فإنني
إذا حلّ امرؤ ساحتي لطويل

ويُروى عن سبب نسبه بعزة أنّه كانت هنالك سيدة خارجيّة جميلة تدعى قطام بنت شحنة سنوردُها في حرف القاف، هي التي أغوت ابن ملجم على قتل علي بن أبي طالب، كانت تلك المرأةُ جميلة للغاية لدرجة أنّها أغوت ابن ملجم بجَمالها على قتل علي، ورغم ذلك عندما رآها كثيرٌ قال لها ما هذا القُبح. فقالت له: والله إنّك قصير القامة عظيم المهمّة، لا تعرف إلّا بامرأة (تقصد عزة)، وقد نظم أحد الشّعراء بيتًا أورد فيه أنّ نسبته إلى عزة كانت نتيجة علاقة عشقٍ فقال:

هل وصل عزة إلّا وصل غانية في
وصل غانية من وصلها خلف

ولكثير عزة الأبيات التالية:

وإنّني وهيامي بعزّة بعد ما
تخلّيت عمّا بيننا وتخلّت
لكلّ المرتجي ظلّ الغمامة
كلّما تبوّأ منها للمقيل اضمحلت

وهذه الأبياتُ من الأبيات التي استحسنها ابنُ خلدون، وقال عنها إنّها ليست من كلام العرب المصنّع، بل هي من الكلام المطبوع أي الكلام النّابع من الروح.

٥٧٠- عزة الميلاء:

سيدةٌ من مغنّيات العرب القدامى، تُوفيت قبلَ جميلة المغنّية سابقة التّرجمة، كانت من معاتيقِ الأنصار الكرام، ومن سكان المدينة، كانت تجلس معظمَ أوقاتها في مجالس السيدة سكينة، وتبكيها إذا ما تغنّت بأشعار حسان بن ثابت، كانت سيدة جميلة وعفيفة، لقّبت بالميلاء لأنّها كان في مشيها ميل. وتفصيل أحوالها مذكورةٌ في المجلد السّادس عشر من كتاب الأغاني.

ومِن الصّحابيات أيضًا عزّة الأشجعيّة وعزّة بنت الحارث، وعزّة بنت خابل الخزاعية، وعزّة بنت أبي سفيان، وعزّة بنت الحارث هي أخت أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وعزّة بنت سفيان هي أخت أمّ المؤمنين حبيبة. ويختلف في

اسم عزّة بنت أبي سفيان فيقال اسمها حمنة، وقيل درّه وقيل عزّة، والأسماء المذكورة السابقة كلّها مفتوحة العين.

ومِن مشاهير النّساء أيضًا عِزّة الملك بكسر العين التي تعني العزة، وقد ذكرناها في المجلّد الأوّل في عنوان دلشاد خاتون، وكانت فاجرة، زوجة الشيخ حسن الكبير، ولمّا علم زوجُها حسن الكبير بوجود علاقةٍ بينها وبين الأمير يعقوب أحد أمراء عصرها حبسها فقامت بقتلِه هي والجواري ليلًا وهو نائم، فقام أهل حسن الكبير بتمزيقها وأكل لحمها (ص٩ المجلد الثّالث من صحائف الأخبار).

٥٧١- عصام:

وردَ في كتاب مجمع الأمثال أنّ المذكورة كانت سيّدةً من أهل الدّراية والفصاحة في قومها، وهي صاحبةُ المثل القائل (ما وراءك يا عصام)، وكان أوّل منْ قال تلك العبارة لها هو الحارث بن عمرو الكندي، وسبب قوله تلك المقولة لها أنّ الحارث سمع بحُسن وجَمال وقوّة عقل أمّ أناس السّابقة الترجمة، وهي أمّ أناس بنت عوف بن محلم بن زهل من أشراف بني ربيعة فأراد أنْ يتزوّجها فأرسل عصام المذكورة إليها، ولمّا عادتْ سألها الحارث ما وراءك يا عصام، أي ما الأخبارُ التي عندك؟ ولأنّ عصام كانت قد رأت الفتاةَ وعاينتها جيدًا، وأعجبتها للغاية، قالت له (ترك الخداعِ من كشف القناع) ثمّ بدأت عصام تصفُ أمّ أناس فقالت:

(رأيت جبهةً كالمرآة المصقولة يزينها شعرٌ حالك كأذناب الخيل إنْ أرسلته خلته السّلاسل، وإنْ مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل، وحاجبين كأنّما خطّا بقلم، أو سودا بحمم، تقوّسا على مثل عينِ ظبية عبهرة، بينهما أنف كحدّ السّيف الصّنيع حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض كالجُمان شقّ فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غرّ ذات أشر تقلّب فيه اللسان، ذو فصاحةٍ وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمراوان تحلبان ريقًا كالشّهد

إذا دلك في رقبةٍ بيضاء كالفضّة ركبت في صدرٍ كصدر تمثالِ دميةٍ وعضدان مدملجان يتّصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمسّ ولا عرق يجسّ ركّبت فيهما كفّان دقيقٌ قصبهما ليّن عصبهما).

وبعد أنْ أكملت عصام وصفَ أمّ أناس للحارث وكأنّها تصفُها عارية أمامه، وأثنت عليها، أرسل الحارث الخبرَ إلى أبويها وتزوّجها.

وبذلك يكون أولَ مَنْ قال ما وراءك يا عصام هو الحارث، ثمّ أصبح مضربَ المثل في كلّ ما يقصد به الكشف عن الأخبار. وقال البعضُ إنّ عصام المقصود في المثل هو عصام بن شهبر الذي كان عينًا من عيون النّعمان بن المنذر، وقد مرض، ولمّا أفاق من مرضه أحضر إلى النّعمان، فقال له ما وراءك يا عصام؟

وقال الميداني إنّ من الجائز أنْ يكون أصل المثل واحدًا، ووضع له بعدَ ذلك الاسم على حسب ما يتّفق مع المقام؛ لأنّ اسم عصام يتّفق مع المذكر والمؤنث، إلّا أنّ سبب المثل لا يغيّر. وهو ما سنذكره لاحقًا في عنوان عنود في المثل القائل (في الصّيف ضيعت اللبن) و(نفس عصام سوّدت عصاما) وهو المثل الذي قيل على نفس شاكلته (كنْ عصاميًا ولا تكنْ عظاميًا) والمقصود هنا عصام بن شهبر المذكور، فقد قيل في حقّه:

نفس عصام سودت عصامًا وعلّمته
الكرّ والإقداما وصيّرته ملكًا هماما

ومن الحكايات المناسبة لهذا المقام تلك الحكاية الواردة في كتاب الجواهر الملتقطة: أنّه كان يوجدُ رجلٌ في عهد الحجّاج عرف بحماقته واستحقاره للحجّاج، فطلبه الحجّاج ليعلم مدى حماقته، ولمّا دخل عليه الرجل سأله الحجّاج (عصامي أنت أمْ عظامي؟) أي هل أنت تفتخر بنفسك أمْ بأجدادك، فقال الرّجل: عصامي وعظامي، فقال الحجّاج هذا رجل جيد، وبعد أنْ ظلّ الرّجل عدة أيّام عند الحجّاج ولم يجد منه الحجّاجُ إلّا الحماقة، دعاه إلى مجلسه وقال له: سأسألك سؤالًا إنْ أجبتَ بالصّدق

عفوت عنك، وإنْ كذبت قتلتك، فقال الرجل: اسأل. فقال له: عندما أتيتَ إلى هنا سألتك هل أنت عصامي أمْ عظامي فقلتَ الاثنين، لماذا؟ فقال الرجل: حقيقة أنا لا أعلمُ معنى الاثنين، ولكنّني خشيت أنْ أقول واحدةً وأترك الأخرى فأكونُ قد أخطأت فقلت الاثنين لأنه إنْ كانت واحدةٌ سيئة والأخرى حسنة تمحُها.

٥٧٢- عصماء اليهودية:

سيّدةٌ ملعونة، من يهود بني خطمة في عهد النّبيّ ﷺ، قتلها الصحابي عمير بن عدي، كانت ابنةَ يُهوديّ يُدْعى مروان، كما كانت تتزوّج من رجل من قبيلة بني خطمة اليهودية، وكانت تحثّ الكفّار على محاربة المسلمين، وكانت تسبّ وتشتم الرسولَ والمسلمين، فقرّر عُمير بن عدي- وهو من نفس القبيلةِ- قتلها، وقد كانَ المذكور أعمى ولكنّه كان ذا بصيرةٍ نافذة، أسلم مع الأوائل، ولمّا أمره الرّسولُ بقتل عصماء المذكورة انكبّ عليها وهي نائمة فقتلها.

٥٧٣- عصمتي:

من شاعراتِ الفرس المذكورات في كتاب (آتشك)، ابنةُ قاضي سمرقند، والبيت التّالي يدلّ على متانة طبعها في نظم الشعر:

لو أنّ العشق اغتمّ من خلق العالم
فسيظهر العالم على أنه قاتل هذا العاشق

ومن شعراء الرّوم المذكور أيضًا الشاعر عصمتي.

٥٧٤- عفتي:

ورَدَ في كتاب آتشك أيضًا أنها كانت شاعرةً من أهالي سمرقند، كانت مجبولة على الشعر.

٥٧٥- عفراء:

هي عفراءُ، معشوقةُ عروة بن حزام بن مالك العذري، الذي قال فيه مجنون عامر:

عجبتُ لعروة العذري
أمسى أحاديثًا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحًا
وهأنذا أموت بكلّ يوم

وعفراء بنتُ مهاصر بن مالك العذريّة، وكلتاهما من عشيرةٍ واحدة، وعذرة التي تنتسب إليها عشيرة في ديار اليمن، كان أهلها يشتهرون بالعشق والغرام، حتّى أنّهم عرفوا بين أهل العشق والغرام بذلك يُقال (الهوى العذري) أو (الحبّ العذري)، وقد كان عروة وعفراء في عهد عثمان بن عفان، وقصّتها مذكورة في كتاب الأغاني، وفوات الوفيات، وتزيين الأسواق. ورغم أنّ عروة كان موعودًا لعفراء بالزّواج، إلّا أنّه خرج للتّجارة، ولمّا طال غيابه أتى مَنْ يطلب يدَ عفراء وكان ثريًّا فزوّجه أبوها لها، وسافر بها إلى الشّام، فقال عفراء:

يا عرو إنّ الحي قد نقضوا عهد الآله وحالفوا الغدرا

ولمّا عاد المسكين من غربته ووجدها تزوّجت ماتَ حسرةً، ولمّا علمت عفراء بذلك حزنتْ حزنًا شديدًا، بخاصّة أنّها كانت في الشام ولم تستطعْ أنْ تزورَ قبره، فنظمت الأبيات التّالية:

ألا أيّها الركب المجدّون ويحكم
أحقًّا نعيتم عروة بن حزام
فإنْ كان حقًّا ما تقولون فاعلموا
بأنْ قد نعيتم بدر كلّ ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة
ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت أنثى تمامًا بمثله
ولا فرحت من بعده بغلام
ولا بلغتم حيث وجهتم له
ونغصتم لذات كلّ طعام
عداني أنْ أزورك يا خليلي
معاشر كلّهم واش حسود
أشاعوا من علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد
فأمّا إذا ثويت اليوم لحدًا
فدور الناس كلّهم لحود
فلا طابت لي الدنيا فرقا
لبعدك لا يطيب لي العديد

٥٧٦- عفراء بنت الأحمر:

ابنةُ الأحمر الخزاعي، وزوجةُ الحارث الخزاعي المشهور بابن الفرند، وكانت ابنة عمّه أيضًا، تزوّجا على حبّ نشأ بينهما، وكانت عفراء قد حصلت على إذنٍ من زوجها الحارث بزيارة والديها، ولمّا طالت إقامة الزّوجة عند أبويْها أصبحت هناك وحشةٌ بين الاثنين، وعاند كلّ واحد منهما في أنْ يذهب إلى الآخر، ولمّا طالَ الأمد على هذا الوضع مرضَ الحارث، فكتبَ الأبياتِ التّالية وأرسلها إلى عفراء:

صبرت على كتمان حبّك برهة
ولي منك في الأحشاء أصدق شاهد
هو الموت إنْ لم تأتني منك رقعة
تقوم لقلبي في مقام العوائد

فكتبتْ عفراء هذا الرّد إليه:

كفيتَ الذي تخشى وصرت إلى المنى
ونلتَ الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لوْلا أنْ يُقال تظنّنا بي
السوء ما جانبت فعل العوائد

والغريبُ أنّه قيل لعفراء لولا أنّك كنت قد زرتِه زيارة أحييته بها، فردّت عليهم بقولها خشيتُ أنْ يقال إنّها عشقت زوجها. وتُوفّيت بعده بفترةٍ قليلة، وهذا ما ذُكر في تزيين الأسواق.

٥٧٧- عفراء بنت عبيد:

ابنةُ عبيد بن ثعلبة من الأنصار، وزوجة حارث بن رقاعة النجاري، أنجبت ثلاثة من الصّحابة هم: معاذ ومعوذ وعوف، وكلّهم كانوا ينسبون إليها، فكان يُقال لهم جميعًا ابنُ عفراء، كما كان لها أربعة أبناءٍ آخرين كانوا السبعة من أصحاب بدر.

وتوجد صحابيّة أخرى من قبيلة بني الخزرج من الأنصار تُدعى عفراء.

٥٧٨- عفيرة العابدة:

ذُكر في كتاب نفحات الطّيب وطبقات الشّعراء أنّها سيدةٌ بصريّة من متصوّفات القرن الأوّل، فكانت معاصرة لمعاذة العدويّة الآتية التّرجمة، أصيبت بالعمى من كثرة بكائها، قال لها أحدٌ

الأشخاص ذات يوم (لكم هو مشكلة ذلك العمى)، فقلت له إنّ عمى القلب ليس مشكلة بل المشكلةُ الأكبر هي عمى القلب، والمَنْقبة التّالية مذكورةٌ في النّفحات وفي طبقات الشّعراء أيضًا:

أنّ مجموعة من الصّالحين أتوا إليها وطلبوا منها الدّعاء لهم، فقالت (جعل الله قراكم من نبق الجنّة، وجعل ذكر الموت منّي ومنكم على بال، وحفظ علينا الإيمان إلى المات، وهو أرحم الراحين).

وعفيرة على وزن جهينة، وردَ في النّفحات بالقاف خطأ مطبعيًا.

٥٧٩- عفيرة بنت غفار:

ابنةُ غفار بن جديس، وأختُ الأسود بن غفار بن جديس، وشموس التي تناولناها بالشّرح في المجلد الأوّل هو لقبُ عفيرة بنت غفار المذكورة. وقد ورد اسمُها خطأ في ترجمة مقدمة ابن خلدون (شمعون)، وقد وعدنا في حرف الشّين بأنّا ستورد لها أبياتًا، وسنَفي الآن بوعدنا:

أيجمل ما يؤتى إلى فتيانكم
وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الرعاء عفيرة
عفيرة زفّت في النساء إلى بعل
ولو أنّا كنّا رجلًا وكنتم نساء
لكنّا لكيا لا نقر بذا الفعل
فموتوا كرامًا أو أميتوا عدوكم
ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل

وسببُ نظمها لتلك الأبيات أوردناه في عنوان شموس الجديسيّة في حرف الشّين، كما نظمت أبياتًا أخرى بقافية مختلفة عن نفس تلك الحادثة هي:

لا أحد أذلّ من جديس
هكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حرّ
أهدى وقد أعطى وسبق المهر
لأخذه الموت كذا لنفسه
خير من أنْ يفعل ذا بعرسه

وتوجد عفيرة أخرى مذكورة في القاموس، وكانتْ من حكيمات العرب في الجاهلية.

٥٨٠- عقيلة بنت الضّحاك:

هي عقيلة بنت الضّحاك بن محرق، وذلك على حسب ما ورد في كتاب ديوان الصبابة المذكور على هامش تزيين الأسواق، وكتاب معاهد التّنصيص.

كانت من فصحاء نساء العرب، ومن أهل الغرام والعشق، كانت تعشق ابن عمّها عمرو بن كعب بن محرق. روى عن الفرزدق تلك الحكاية التي حكاها له عمرو بنفسه أنّ عبدًا لشخص من قبيلة بني نهشل قد فرّ من سيده، فخرج سيده للبحث عنه في نواحي اليمامة، وبينما هو في الطّريق هطل المطر فاستراح في مكان ينتظر توقّف المطر، فرأى امرأة تخرج إليه فسألته منْ أنت؟ فقال إنا ضيف من بني نهشل، فقالت له في جماعتكم شاعرٌ يُدعى الفرزدق، قال:

إنّ الذي سمك السّماء بنى لنا بيتًا دعائمه أعز وأطول

فقلت: نعم. فابتسمت، وقالت إنّ جرير قد هدمَ هذا البيت ببيته:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعًا
وأحلّ بيتك بالحضيض الأسفل

وتعجّبت من قولها جدًّا، فسألتني إلى أين أنا ذاهبٌ، فقلت لها إلى اليمامة، فقالت:

تذكّرني بلادًا خير أهلي
بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإلهُ سحاب غيث
يجود بسحّه أهل اليمامة
وحيي بالسلام أبا نجيد
فأهل للتحيّة والسلامة

فلمّا سألتها هل أنت متزوّجة أمْ لا؟ أجابت بالأبيات التالية:

إذا رقد النّيام فإنّ عمرًا
لكلّ قمر المنير المستنير
وما لي في التبعّل من مراد
ولو ردّ التبعّل لي أسير

ثمّ نظمت الأبيات التّالية وصاحت صيحة وأسلمتْ روحها:

تخيّل لي أيام عمرو بن كعب
كأنك قد حلت على السّرير
فإنْ تكُ هكذا يا عمرو إنّي
مبكّرة عليك إلى القبور

فلمّا سألت نساء العشيرة مَن هذه المرأة؟ أجابوا إنّها عقيلة بنت الضّحاك بن محرق بن النّعمان بن المنذر بن ماء السماء، وعمرو المذكور في أشعارها هو ابن عمّها عمرو بن كعب، كانت بينهما قصّة حب، وكان عمرو يقيم في اليمامة، فلمّا وصلت اليمامة سألتْ عنه فوجدتْهُ قد مات.

وعقيلة أيضًا اسمُ جارية مغنّية مشهورة، وكانت جاريةً عند ابن شماسة، كما كانت خليدة وربيحة من جواريها إذْ كنّ ينسبنَ له، فقيل عليهنّ شماسيّات.

وعقيلة ابنةُ شيخ الإسلام محمد أسعد أفندي، وكانت زوجةً للسّلطان عثمان خان الثّاني.

٥٨١- عكرشة بنت الأطروش بن رواحة:

سيّدةٌ من فصحاء نساء العرب، كانت من المُتحازين لسيّدنا علي في موقعة صفّين، وقد خطبتْ خطبةً بليغة في الجند تحثّهم فيها على القتال، قالتْ فيها:

«أيّها النّاس، عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم، إنّ الجنة لا يحزن مَن سكنها، ولا يموت مَن دخلها، فابتاعوها بدارٍ لا يدوم نعيمُها، ولا تنصرم همومُها، مستظهرين بالصبر على مَنْ طلب حقوقكم، إنّ معاوية قد وفد عليكم بعرب العجم غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرونَ الحكمة، دعاهم بالدّنيا فأجابوه، واستدْعاهم بالباطل فلبّوه، فاللهَ اللهَ عباد الله في دينِ الله، يا معشرَ المهاجرين والأنصار امضوا على سيْركم، واصبروا على هزيمتكم، واعلموا أنّ مصيركم إلى الموت كأنّني بكم غدًا وقد لقيتم أهلَ الشّام كالحمر النّافرة».

وبعدَ فترة ذهبتِ المذكورة إلى معاوية لقضاء حاجةٍ لها، فسألها وكأنّه يعاتبها (ما سبب قولِك تلك الكلمات التي قلتِها في المعركة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تبدَ لكم تسؤكم) فعفا عنها معاوية بحلمه وقضى لها حاجتها وانصرفت.

٥٨٢- علمشاه بكم:

والدةُ الشّاه إسماعيل الصّفوي، كانت ابنة أوزون حسن من أمراء أذربيجان، زوجها والدها إلى الشّيخ حيدر الأردبيلي الصّفوي، الذي كان يتستّر في زي المتصوّفة، وأنجبت منه سلطان علي وسيد إبراهيم وإسماعيل.

أعلن الشّيخ حيدر سلطنته بعد وفاة خيه أوزون حسن، ولمّا عزم الخروج إلى كرجستان للانتقام من الشّروانيين، أعلن نفسه سلطانًا، وتوّج نفسه بتاج من الجوخ الأحمر مزيّن باثنتي عشرة طرّة. ويذكر أهل التاريخ أنّ هذا هو بداية القزل باش (وتعني الرّأس الحمراء)، وأطلق على هذا التّاج التاج الحيدري.

٥٨٣- علم الشمراء:

جارية عبد الله بن موسى الهادي من الأسرة العباسيّة، ونظرًا لأنّها نقلت بعض الأشعار فقد ذُكرت في كتاب الأغاني. فقد نقلت بعض أشعار عليّة بنت المهدي الآتية الترجمة.

٥٨٤- علم المدينة:

من أديبات الأندلس، كانت من جواري الشّرق، حيث كانت في الأساس جاريةً لإحدى بنات هارون الرّشيد، نشأت وتعلّمت في بغداد، ثمّ انتقلت إلى المدينة المنورة، وتعلّمت هناك أصولَ الموسيقى، ثمّ اشتهرت بعدها، وأصبحت معروفةً بالمدينة، بيعت إلى عبد الرحمن الثّالث من مشاهير ملوك الأندلس، وكانت ترافقها جارية اسمُها فضل، كانت أيضًا مغنّية ستبيّنها في حرف الفاء.

ورغمَ أنّ تاريخ الكامل أوضح في المجلد السّابع أنّ قلم الصّالحيّة الآتية الترجمة اسمها أيضًا علم الصّالحيّة إلّا أنّ هناك احتمالًا بأنْ يكون حدث خطأ مطبعيّ لأنّ قلم الصالحيّة مخالفٌ لما ورد في كتاب الأغاني.

٥٨٥- عليّة بنت المهدي:

أختُ عبّاسة بنت المهدي السّابقة الترجمة، ابنة الخليفة العباسي محمد

المهدي، وأخت هارون الرّشيد من جهة الأب، أنجبها المهدي من جاريته مكنونة، كانت من أرباب الشّعر والبلاغة، كما اشتهرت بجمالها، ومهارتها في فنّ الموسيقى، والأبيات التّالية من أبياتها:

يا واحد الحبّ ما لي منك إذ
كلّفت نفسي بحبّك إلّا الهمّ والحزن
لم ينسنيك سرور لا ولا حزن
وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك لا قلبي ولا جسدي
كلّي بكلّك مشغول ومرتهن
نور تولّد من شمس ومن قمر
حتّى تكامل فيه الرّوح والبدن

وقد ورد في الكتب الأدبيّة أنّه كان لها محبوبٌ يُدعى طل، كانت تتغزّل به في أشعارها، ولمّا علم هارون الرشيد بهذا، نبّه عليها بعدم التغزّل في هذا الشّخص مرّة أخرى، وبعدها بفترةٍ كانت عليّة تقرأ في القرآن في آخر سورةِ البقرة، فلمّا وصلت لقوله تعالى (فإنْ لم يصبْها وابلٌ فطلّ)، قالت (فإنْ لم يصبْها وابلٌ فما نهاني عنه أمير المؤمنين) فأنصف هارون الرّشيد عليها، كان هارون الرشيد يحبّها ويقدّرها، وكان يحملها معه في أيّ مكان يذهب إليه، حتّى عندما ذهب إلى خراسان أخذها معه، وعندما وصلوا إلى مكانٍ يسمّى المرج في طريقِ خراسان، اشتاقتْ عليّة إلى بغداد فنظمت الأبياتِ التّالية:

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد
غاب عنه المسعدون على الحبّ
إذا ما أتاه الرّكب من نحو أرضه
تنشق يستشفى برائحة الركب

فلمّا سمع هارون هذه الأبيات منها رقّ قلبُه، وأمر بإعادتها إلى بغداد.

استطراد

كان هارونُ الرشيد يأخذ معه في رحلته ذلك المجتهدَ الحنفيّ الإمام محمد بن الحسن الشّيباني، والإمام الكسائي

من النحاة، ولمّا وصلوا مدينة الرّي تُوفّي الإمامان المذكوران، وكان ذلك في عام ١٨٠هـ، ورغم أنّ مدينة الري كانت مسقط رأس هارون إلّا أنّه اعتبرها مدينة مشئومة، فقال (دخلت الرّي بالفقه والأدب، وخرجتُ منها من دونهما). ولا يمكن اعتبار مدينة الرّي مدينة مشئومة لوفاة الإمامين المذكورَيْن فيها، بل يمكن عدّها مركزًا علميًا كبيرًا لنشأة الإمام أبي بكر الرّازي صاحب كتاب الحاوي في الطّب، والإمام فخر الدين الرازي مؤلّف التّفسير الكبير والمباحث الشرقية، والمطالب العالية. والإمام فخر الدين الرازي غنيّ عن التّعريف، أمّا الإمام أبو بكر الرازي فكان عمدةً في الطبّ، وكتابُه الحاوي يعدّ المصدرَ الأوّل للطّب في العالم لأنّه كان أسبقَ من ابن سينا والفارابي، فهو أوّلُ مَنْ تحدّث عن مرض الزّهري، وقد ألّف في هذا المرض ما يقربُ من ١٠٠ كتاب. وقد بُنيت المدينة المذكورةُ على يد أميرَيْن، أراد كلّ واحد منهما أنْ ينسب المدينة لاسْمه، فقام واحدٌ من العقلاء الحُكماء وقال ليكنْ اسم المدينة الرّي، واسم مَن ينتسبون إليها مروزي، وهُما أسماء الأميرين. وهذا بالنّسبة للأهالي فقط، أمّا ما دون الأسماء فيُقال المروي فيُقال ثوب مروي، ولم ينتبه سنبلزاده أفندي إلى هذا، وأنشد في المنتخب:

ينسب المروزي إلى بلدة مرو أمّا نسبة مدينة الرّي الرّازي.

كانت ولادتُها في عام ١٦٠هـ، ووفاتها في ٢١٠هـ. تزوّجت موسى بن عيسى بن موسى بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ويوجد الكثيرُ من أشعارها في كتاب الأغاني، والقطعة الآتية مأخوذة من الحماسة البصريّة:

إذا كانت لا يسليك عمّن تحبّه
ثناء ولا يشفيك طول تلاق
فما أنت إلّا مستعير حشاشة
لمهجة نفس أذنت بفراق

والأبياتُ التّالية أيضًا من أبياتها التي قالتْها في عبدها طلّ:

أيا سروة البستان طال تشوّقي
فهل لي إلى ظلّ لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه

وليس لمن يهوى إليه دخول

عسى الله أنْ ترتاح من كربة لنا

فيلقى اغتباطًا خلة وخليل

سلّم على ذاك الغزال الأغيد الحسن الدلال

سلّم عليه وقل له يا غل الباب الرجال

وقد كانت وفاةُ هارون الرشيد سببًا كبيرًا في ترك عليّة لنظم الشّعر، والأبيات التّالية من الأبيات التي نظمتها في بدايات عهد الأمين:

أطلت عاذلتي لومي وتفنيدي

وأنت جاهلة شوقي وتسهيدي

لا تشرب الراح بين المسمعات

وزر ظبيًا غريرًا نقيّ الخد والجيد

٥٨٦- عُلَيّة بنت المنصور:

ابنةُ أبو جعفر المنصور من الخلفاء العباسيّين، وهي خالة عليّة بنت المهدي.

وعليّة أيضًا اسمُ مغنّية مشهورة ابنةُ زرياب، كان أبوها في الأصل من معاتيق الخليفة المهدي، وتلميذ إسحاق الموصلي، انتقل إلى الأندلس لفترة، وكان يعدّ هناك رئيس المغنّين، ولم يملأ مكانه من بعده سوى ابنته، وتفصيل حالها مذكورٌ في المجلد الثّاني من الأغاني.

كما توجد صحابيّة باسم علية. وعليّة بضمّ العيْن وفتح اللام وتشديد الياء.

٥٨٧- عمارة جارية عبد الله بن جعفر:

هي عمارةُ جاريةُ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كانت محبوبته، وقيل في الجواهر الملتقطة إنّه كان يحبّها حبًّا شديدًا، ولمّا رغب عبد الله في زيارة معاوية في الشّام اصطحب معه عمارة، ولمّا وصل الشّام رآها يزيد بن معاوية، وسمع صوتها شغفها حبًّا، ولكنه لم يتمكّن من إظهار هذا العشق للجارية خشية أبيه، ولمّا تُوفّي معاوية، أفصح يزيد بحبّه للجارية للمقرّبين له، وطلب منهم أنْ يجدوا له طريقًا لجلب تلك الجارية إليه، فقال أحد المقرّبين له «إنّ عبد الله بن جعفر شخصيّة لها اعتبارها، ولا يجوزُ لك أنْ تقول له هبْ لي تلك الجارية أو بعْها لي، كما أنّك تعلم منزلته عند والدك، لذلك ليس أمامك سوى

إيجاد حيلة للحصول بها على تلك الجارية، فطلب منهم يزيد أنْ يجلبوا له رجلًا ماهرًا في الحيل، فجلبوه، وكان عراقيًا ذكيًا ماهرًا في الحيل، ولمّا اختلى به يزيد وعده بأنّه إنْ نفّذ له ما يريد سيكون من المقربين عنده، فقال له الرّجل يا أمير المؤمنين ما تطلبه لا يأتي إلّا بطريقٍ واحد وهو الخدعة والحيلة، ولن يقدر على ذلك أحدٌ سواي، وقد وجدت الحيلة التي أجلبُ بها الفتاة، ولكنْ ينقصني المال الوفير، فأمرَ يزيد بأنْ يُعطَى الرجلُ ما يطلب من مال، فاشترى الرّجل الكثير من الأمتعة والملابس الفاخرة وعددًا من الدّواب والجواري والغلمان، وجعل من نفسه تاجرًا ثريًّا، وذهب إلى المدينة المنوّرة، واستأجر بيتًا بجوار بيت عبد الله بن جعفر، وضع فيه كلّ أغراضه ومتاعه، وفي اليوم التّالي أرسل خبرًا إلى عبد الله بن أبي جعفر يقول له إنّني تاجرٌ من العراق أتيت إليكم للتّجارة، وأطلبُ حمايتك، فرحّب به وأمر بإكرامهم، ولمّا اطمأنّ عبد الله بن أبي جعفر للرّجل، ذهب إليه ومعه بعض الهدايا القيمة، وطلبَ منه أنْ يقبلها منه، فقبلها الرّجلُ حرمة لقرابته من الرّسول صلى الله عليه وسلم، وذات يومٍ أقام عبد الله بن أبي جعفر مأدبةً كبيرةً ودعا الرّجل، وأثناء المجلس دعا عبد الله عمارةَ فدخلتْ وتغنّت، ولمّا رآها الرجل وسمع صوتها أعجبَ بها جدًّا، فقال له عبد الله هل رأيت أو سمعتَ صوتًا كهذا من قبل؟، فقال الرجل لا والله يا سيّدي، مثلها لم أرَ من قبل، هي حقًّا تليق بكم، فقال له عبد الله: بكم تساوي في نظرك؟، فقال الرّجل: يا سيدي، أنا رجل أكسبُ الأموال من التّجارة، ورغم ذلك لو عُرضت عليّ بعشرة آلاف درهم لاشتريتُها، فقال عبد الله له هل تشتريها بعشرة آلاف درهم؟ فقال الرجل نعم أشتريها، فقال له عبد الله على سبيل الملاطفة والمزاح: وأنا بعتُها لك، فقام الرجل من المجلس وذهبَ إلى البيت وجهّز عشرة آلاف درهم وفي اليوم التّالي ذهب إلى بيت عبد الله وطلب منه الجارية عمارة، فقال له عبد الله: ماذا

تقول يا رجل! لو أتيتني بملء الدنيا مالًا ما بعتك عمارة، أنا كنت أمزحُ معك، فقال له الرجل: ولكنّ الجدّ والهزل في البيع والشّراء متساويان، أنت بعتها لي أمس أمام الحاضرين وأنا قبلْت، والفتاة من الآنَ ملكٌ لي، فغضب عبد الله، وأمر بتجهيز عمارة بالزّينات والملابس الفاخرة التي تساوي ثلاثة آلاف عملة ذهبية، وقال للرّجل هذا مقابل الهدايا التي جلبتَها لنا، وأعطاه عمارة، ثمّ ذهب الرّجل وعمارة إلى المنزل، وجمع أغراضه وخرجَ إلى الشّام، وبينما هو في الطريق قال لها: يا عمارة، أنا لم أشتريك لنفسي، فأنا ليس لي طاقة على دفع عشرة آلاف درهم في جارية، كما إنّني لم يجُلْ حتّى بخاطري في يوم من الأيام أنْ أنازعَ ابنَ عمّ رسول الله على جاريته، فمن الآنَ اشتري نفسَك عنك. ولمّا وصلا الشام، رأى الرّجل أنّ يزيد قد مات والأهالي يدفنونه، وتولى بعدَه ابنه معاوية (كان رجلًا حسنًا)، وبعدها بعدة أيّام ذهب إليه الرجل والجارية، وقصّ عليه القصّة كلّها، فقال له معاوية بن يزيد: الجاريةُ والأموال التي أعطاها لك والدي ملكٌ لك، ولكن لا تقمْ في الشّام من بعد الآن، فأخذ الرجل الجارية عمارة وعاد بها إلى المدينة، ولمّا أرسل الخبرَ إلى عبد الله بن أبي جعفر بوصوله، قال عبد الله (لا أهلًا به)، ولكنّ الرجل دخل عليه وقبّل يديه، ولمّا قصّ عليه القصّة من أوّلها إلى آخرها قال عبد الله: اللّهم لك الحمد والشّكر، كنت تعلمُ أنّني أحبّ عمارة ولا أقدر على فراقها وصبرتُ على فراقها فرددتَها إليّ مرّة أخرى، وابتهجَ كلّ مَن في منزله من الجواري والعبيد، وقالوا في صوتٍ واحد عمارة عمارة، فقال عبد الله للرّجل أمّا أنت فخذِ العشرة آلاف درهم والثّلاثة آلاف قطعة ذهبيّة لك فهي من حقّك، وعادَ الرجل إلى بلدته حامدًا شاكرًا.

وقد يقال إنّ هناك شكًّا في تلك القصة لما فيها من سماع الصّحابة للأغاني، ولكن لإزالة هذا الشكّ يجب الاطّلاع على مباحث الاستماع في كتاب الرّسالة القشيريّة وإحياء العلوم.

عمارةُ بنت عبد الوهاب الحمصيّة، وعمارة بنت نافع بن عمر الجمحي، وعمارة الثقفيّة زوجة محمد بن عبد الوهاب الثقفي، وكلّهنّ محدّثات.

٥٨٨- عايم بنت أيوب الحسني:

هي ابنةُ مولانا حسام الدين الحسن بن محمد بن أيوب الحسني، المعروف بشريف نسابه، كانت من أشياخ الإمام السيوطي، وهي أختُ ألف بنت حسام الدّين المذكورة من قبل في حرف الألف، وهي أيضًا من الشخصيات التي حصلتْ منها على الإجازة.

٥٨٩- عمرة بنت الحارس:

هي قائلة الأرجوز التالية:

حوثرة من أعظم الحواثر نيطت بحقوى صميان عاهر أهديتها إلى ابنة العذافر

وقيل في المثل (أنكح من حوثرة) والمقصود من ابنةِ العذافر هي هند بنت العذافر، وحوثرة المذكور في الأرجوزة هي حشفة الذّكر، أمّا حوثرة المذكور في المثل فهو ربيعة بن عمرو من قبيلة عبد القيس، وللمذكور قصة مشهورة بين العرب، وهي أنّه ذهب إلى سوق عكاظ ذاتَ يوم، وأراد أنْ يشتري عسًا وهو القدح الكبير، فلمّا سأل صاحبته عن ثمنه طلبت المرأةُ ثمنًا باهظًا فقال ربيعة ويحك! هل أدفع هذا الثّمن في قدح أستطيع ملأه بحوثرتي، وكشفَ لباسه وأظهر لها آلته، فصرخت المرأة وتجمّع النّاس حولها، ولمّا علموا بالأمر أطلقوا عليه حوثرة، وقيل فيه (أعظم إيرًا من حوثرة) وعُرف أولاده وأحفاده باسْم بني حوثرة.

تتمّة:

يقال بين العرب لعظيم الأنف (أناقي) ويقال أيضًا لعظيم الأير (مايوي) والمايوي أيضًا تُطلَق على مَنْ له قوّةٌ كبيرة على الجماع، وإنجاب الأولاد، وقيل أيضًا في المثل (أنكح من ابنِ الغر) وهو ابن الغرّ الأيادي الذي اشتهر بعظم آلته، والقطعة التّالية في وصف متاعه:

ألا ربّما أنعظت حتّى أخاله
سينقد للأنعاظ أو يتمزّق
فأعمله حتّى إذا قلت قدوني
أبى وتمطّى جامحًا يتمطق

زعموا أنّ عروسةً زفّت إليه فأصاب رأس إيره جنبَها، فقالت له أتهدّدني بالركبة. ويقال إنّه كان يستلقي على قفاه ثمّ ينعظ فيجيء الفيصل فيحتكّ بمتاعه يظنّه الجذل الذي ينصب في المَطاعن ليحتكّ به الجربى. من مجمع الأمثال.

وإير الحارث بن سدوس يضرب به المثل في كثرة الأولاد الذّكور، قال الأصمعي كان له أحدًا وعشرون ذكرًا، وفيه يقول الشّاعر:

فلو شاء ربّي كان
إير أبيكم طويلًا
كإير الحارث بن سدوس

والعربُ تقول فلان طويل الأير إذا كان كثيرَ الأولاد، وقال علي- كرّم الله وجهه- مَنْ يطل إير أبيه ينتطق به أي من كثر أخوته يستظهرُ بهم.

٥٩٠- عمرة بنت دريد:

ابنةُ الشّاعر العربي المشهور دريد بن الصمّة من قبيلة هوازن، الذي اشتهر بالشجاعة والفروسيّة، وكانت أيضًا شاعرة معروفة، وقد لحقَ والدها بالإسلام في أواخر عمره، ولكنّه لم يسلَم، ومات على الشّرك في غزوة حنين كما أوضحنا في المجلد الأوّل، وحنين اسم وادٍ يقع بين مكّة والطائف، وقد حارب الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- فيه مع أهل هوازن المشهورين بالقتال، وكان عددهم ٢٠ ألفًا، ولمّا هزمهم النّبيّ ﷺ، تفرّقوا وتحشد بعضهم بوادٍ يسمّى أوطاس، وتذكرُ بعضُ كتب السّير والمغازي أنّ غزوةَ حنين كانت سببًا في معركة أوطاس المذْكورة، وقد انتصر فيها أبو موسى الأشعري.

كما تحشد قسمٌ آخر من أهالي هوازن المهزومين في غزوة حنين في وادي نخلة، وكان دريد بن الصّمة أبو عمرة صاحبة الترجمة من تلك الجَماعة، وقد تعقّب فرسان الإسلام تلك الجماعة أيضًا

وقتلوهم، وقُتل دريد على يد ربيعة بن رفيع السّلمي، فرثته ابنته عمرة بتلك المرثيّة التي هجتْ فيها بني سليم ومَدَحَت فيها والدَها:

جـزى عنّـا الالـه بنـي سـليم
وعقّهـم بـما فعلـوا عقـاق
وأسـقانا إذا سرنـا إليهـم دمـاء
خيارهـم يـوم التـلاق
فـربَّ منـوه بـك مـن سـليم أجبـت
وقـد دعـاك بـلا رمـاك
وربّ عظيمـة دافعـت عنهـم
وقـد بلغـت نفوسـهم التراقـي
وربّ كريمـة أعتقـت منهـم
وأخـرى قـد فككـت مـن الوثـاق
فصـار جزاؤنـا منهـم عقوقًـا
وهمـا مـاع منـه مـخ وسـاق
قالـوا قتلـت دريـدًا قلـت قـد صدقـوا
وطـال دمعـي عـلى الخديـن ينحـدر
لـولا الـذي قهـر الاقـوام كلهـم
رأت سـليم وكعـب كيـف تأتمـر
إذا لأصبحهـم غبـا وظاهـرة
حيـث سـتقرّ نواهـم جحفـل زفـر

وعقاقُ المذكور في القصيدة الأولى على وزنِ قطام، وهو اسمٌ من أسماء العقوق، وتعني العصيان والإساءة.

ورغمَ أحوال دريد بن الصّمة مذكورة في المجلّد التّاسع من الأغاني، إلّا أنّ المرثيات المذكورة طبعت بها ناقصة ومغلوطة بسبب التّحريف لمعلوم في النّسخ، ولهذا صحّحت من سيَرِ ابن هشام.

ومذكورٌ في كتاب الأغاني أنّ ربيعة لمّا لحقَ بدريد بن الصمّة في القتال، قال له دريد ماذا تريد؟ فقال له ربيعة سأقتلك، فقال له دريد هل تقتلُ رجلًا هرمًا أصابه الكبر، ثمّ نظم تلك الأبيات التي يتأسّف فيها على هرمه، ويتمنّى لو أنّ به قوّة وشبابًا:

ويح ابن أكمة ماذا تريد من المرعش الذاهب الأدرد
فأقسم لو أنّ بي قوّة لولت فرافصة ترتعد
ويا لهف نفسي أنْ لا تكون معي قوة الشامخ الأمرد

ولّما لم يستطع ربيعة أنْ يضربه بالسيف، وبّخه دريد وقال له بئسما سلّحتك

أمّك، إذا شئت أنْ تضرب فلتضرب من جانب الرّقبة ومن فوق العِظام، فهكذا كنت أضربُ الرجال.

٥٩١- عمرة بنت عبد الرحمن:

ابنةُ عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري، سيّدةٌ فقيهة، من نساء المدينة، من التّابعيات، كانت تنزل بمنزل السيدة عائشة والسّيدة أمّ سلمة رضي الله عنهما، وروت عنهما الحديث، قاله الصّفدي في الوافي.

٥٩٢- عمرة بنت مرداس:

أختُ عبّاس بن مرداس من المؤلفة قلوبُهم، وقائل البيت الحماسي التّالي:

أقاتل في الكتيبة لا أبالي
أفيها كان حتفي أم سواها

وهي شاعرة، وقيل في سرح العيون إنها ابنةُ الخنساء، والأبياتُ التّالية نظمتها في رثاء أخيها عبّاس، وهي من الأبيات الحماسيّة المذكورة في ديوان الحماسة:

أعيني لم أختلكما بخيانة أبي
الدّهر والأيام أنْ تتصبر
وما كنت أخشى أنْ أكون كأنّني بعير إذا ينعى أخي تحسرا
ترى الخصم زورًا عن أخي مهابة
وليس الجليس عن أخي بأزورا

الهمزة في أعيني ندائية، وأضيفت ياء المتكلّم إلى عيني فأسقطت النّون. أختلكما أي الخدعة والخيانة، وتحسّر فعل ماضٍ والمقصود به سقوط وبرِ النّاقة من مرض يصيبها، زور بضم الزّاي أي مائل الزور.

٥٩٣- عمرة بنت النعمان:

ابنةُ الصّحابي نعمان بن بشير. وكانت إحدى زوجات مختار بن أبي عبيدة الثّقفي الذي ثارَ في عهد عبد الله بن الزبير. لمّا قتل مصعب بن الزبير مختار الثقفي في عهد عبد الله بن الزّبير، دعا زوجاته عمرة وأمّ ثابت بنت سمرة بن جندب، ولمّا سأل سمرة ماذا تقولين في مختار؟، فقالت سأقول مثل قولك، أطلقَ سراحَها، ولمّا سأل عمرة قالت «كان رحمه الله رجلًا صالحًا» فقال

لأخيه إنّ عمرة تشهد بنبوة زوجِها، فأمر بقتلها، فقُتلت بلا أمان ذاتَ ليلة في مكانٍ يقع بين الحيرة والكوفة.

ولأنّها كانت من حرائر الأنصار فقد نظمت في رثائها الأبيات والقصائد، ومنها تلك القصيدة لعمرو بن أبي ربيعة المخزومي:

إنّ من أعجب العجائب عندي
قتل بيضاء حرّة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم
إنّ لله درها من قتيل
كُتب القتل والقتال علينا وعلى
المحصنات جرّ الذيول.

٥٩٤- عمرة الخثعمية:

شاعرةٌ من قبيلة بني خثعم، من شاعرات الحماسة. كانت شاعرةً بديعة النظم، الأبيات التالية لها في ديوان الحماسة، نظمتها في رثاء ولديها:

لقد زعموا أنّني جزعت عليهم
وهل جزع أنْ قلت وأبا باهما
هما أخوا في القوم من لا أخا له
إذا خاف يومًا نبوة فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة
شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما
شهابان منا أو قد أثم أخمد
وكان سنًا للمدلجين سناهما
إذا نزلا الأرض المخوف بها الردى
يخفض من جاشيها متصلاهما
إذا استغنيا حبّ الجميع إليهما
ولم ينأ من نفع الصديق غناهما
إذا افتقر لم يخشيا خشية الرّدى
ولم يخش رزءًا منهما مولياهما
لقد ساءني أنْ عنست زوجاتهما
وأنْ عريت بعد الوجى فرساهما
ولن يلبث العرشان يستهل
منهما خيار الأواسي أنْ يميل غماهما

من المعلوم أنّ كلمة (وا) في كلام العرب تستعمل كاسم وحرف، فالحرف كواه زيداه، واسم مثل أعجب. و(وا)

الموجودة في وأباباهما في آخر البيت الأول من هذا القبيل، ومنه أيضًا قول الشّاعر:

وأبابــي أنــت وفــوك الأشــنب
كأنّـــما ذر عليـــه الزرنـــب

وأخوان في قول (هما أخوا في القوم) حذفت منه النون لأنّه موصول للمضاف التّالي، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف، وقيل إنّ (في الحي) بدل لقول (في القوم)، ولا أخاله هي (لا أخاه موجود) على قول الإمام المرزوقي من شرّاح الحماسة، نبوة أي عدم التّوفيق، و(ما اسطاعا) الموجودة في البيت الثّالث ما مصدريّة زمانية، واسطاعا مثنّى من الفعل المخفّف اسطاع المخفّف عن استطاع. سنا بمعنى ضياء، مدلجين أي السّائرين بالليل، وإذا نزلّا الأرض مثل قوله تعالى {وقالا الحمد لله} وبعض النّسخ أوردتها مفردة هربًا من التقاء السّاكنين، جأش في الأصل مهموز العين بمعنى خوف. منصلاهما مفردها منصل على وزن منخل بمعنى السّيف، وللتّثنية وإضافة الضمير سقطت النّون، (إذا استغنيا حبّ الجميع إليهما) جملة شرطيّة، جوابها ماض مجهول، وهو حبّ ونائب فاعله (الجميع) وهذا البيت يؤدّي نفس معنى البيت القائل:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

(لم يجثما) مضارع مثنّى منفي من الجثوم، والجثوم بمعنى القعود على شكل الانكباب. ورغم أنّ هذا المعنى يستخدم للحيوانات فقط إلّا أنّ صاحب الصّحاح ذكر أنّه يستخدم أيضًا للبشر. وتوجد ٢١ صحابيّة أيضًا باسم عمرة، منهن: عمرة بنت رواحة أخت الصّحابي الجليل عبد الله بن رواحة، وعمرة والدة الصّحابي الجليل النعمان بن بشير، وقد ذكرها قيس بن الخطيم في أشعاره؛ حيث قال:

وعمـــرة مـــن سروات النســـا
تنفـــخ بالمســـك أردانـــها

وأمّ خارجة من حكيمات العرب أيضًا اسمها عمرة.

وعمرة أيضًا اسمُ شخص من الذّكور، كان مشهورًا بين قومه بأنّه شؤم، وإذا

ما حلّ بقوم يحدث فيها القتال، ولهذا فإنّ كنية أبي عمرة بين العرب تُقال للإفلاس. وقد قال المرحوم عاصم أفندي مترجم القاموس إنّ ذكره يكون سبب النّكد، فيُقال (تقول قد تعلّق بي أبو عمرة اللهم اقهرْه)، حتّى أنّ الفقير نفسه وهو يكتب هذا الكتاب صادف وقتَ كتابة أبي عمرة هذا وقت ذهابي إلى الإسكندرية (١)، وقد أقمت هناك فترةً، وفي تلك الفترة كان المجلّد الأول يُطبع في استانبول فحدثَ به أخطاء كبيرة، فقلت كما قال الرّاجز:

إنّ أبا عمرة شرّ جار يجرّني في الظلم
الصّحارى جرّ الذئاب جيفة الحمار

في ٢٦ رجب ١٢٩٤هـ ٢٥ يوليو ١٢٩٣

وعميرة بزيادة ياء التّصغير اسم ١٣ صحابيّة أخرى، وبفتح العين اسم ابنة أحد التّابعين، واسم بعض النّساء المشاهير أيضًا.

ويُقال في العربيّة (جلد عميرة) كناية عن الاسْتمناء باليد. وقد ذكرها سنبلزاده وهي في النّخبة فقال (جلد عميرة ديمه ده جلق أيمش) أي لا تقل جلد عميرة فإنّه بلا فائدة.

وقال أيضًا أحدُ الشّعراء:

أرى النّحوي زيدًا ذا اجتهاد
جزى الرّحمن بالخيرات غيره
تراه ضاربًا عمرًا نهارًا
ويجلد إنْ خلا ليلًا عميره

٥٩٥- عنان:

هي جاريةُ إبراهيم النّطفي من رجال العصر العباسي، كانت جارية مشهورة، وشاعرة من نوادر الزّمان، فقد كانت من مواليد اليمامة، وتمتازُ بصفرة في بشرتها، لمّا انتقلت للملك ابن النّطفي، اكتسبت العلم والمعرفة، وأصبحت من أهل الشّعر والفصاحة، وكانت تناظر وتعارض فحولَ الشّعراء، وتتغلّب

(١) كنت في الإسكندريّة مع صاحب السّعادة حسن راسم باشا، حيث كنت أعمل معلمًا لأبناء الباشا المذكور، وظللت هناك ثلاثة أشهر، وقد وقعت أخطاء كثيرةٌ في طباعة المجلّد الأوّل من هذا الكتاب بسبب وجودي في الإسكندريّة وقت طبعه.

عليهم في بعض الأحيان، وقد ناظرت الشّاعر المشهور أبا نواس أيضًا ولكنّه غلبها. وحكى في كتاب ابن الظافر أنّ أول معرفتها بأبي نواس ومناظرتها له في الشّعر أنّ أبا نواس ذهب لزيارة ابنِ النّطفي سيد عنان، ولما رأى عنان ولم يكنْ يعرفها قال لها:

إنّ لي أيرًا خبيثًا عارم الرأس فلوتا
لو رأى الحرّ بيحرا عاد للغلمة حوتا
أو رآه فوق جولنزا حتّى يموتا
أو رآه جوف بيتٍ صار فيه عنكبوتا

فردّت عليه عنان في الحال بالأبيات التّالية:

زوّجوا هذا بألف وأظنّ الألف قوتا
إنّني أخشى عليه إنْ تمادى أنْ يموتا
بادروا ما حلّ بالمسكين خوفًا أنْ يفوتا

بعدَ ذلك أدرك كلّ واحدٍ منهما قوّة الآخر في الشّعر، وفي إحدى المرّات كتب إليها أبو نواس هذا البيت وأرسله لها:

ماذا تقولين فيمَن يريد منــك نظيره

فكتبتْ تحت هذا البيت:

إيــاي تعني بهذا عليك فاجلدْ عميره

فكتب لها أبو نواس:

أريد هذا وأخشى على يدي منك غيرة

فأخجلها بهذا القول.

ومِن جُملة المشاعرات التي كانت بينهما أنّ أبا نواس أنشد لها هذا البيت:

كلّ يـــوم عـن أقحـــوان جديـد
تضحك الأرض من بكـــاء السماء

فأنشدت عنان هذه البيت بالبداهة:

فـهو كالـوشي مـن ثياب عـروس
جلبتـها التـجـار مـن صنعـاء

وذات يوم آخر كانت عنان تبكي من سيّدها النطفي، فلمّا رآها أبو نواس أنشد البيت التالي:

بكـت عنـان فجـرى دمعـا
كلؤلـؤ ينـسلّ مـن خيطـه

فقالت عنان في الحال:

فليت مَنْ يضربها ظالمًا تجفّ يمناه على سوطه

ويلاحظ أنّ البيت الذي نظمته اتّفق مع بيتٍ أبي نواس في القافية. ومروي في كتاب المسامرات لمحيي الدّين نقلًا عن مبحث المجانات والمازحات في كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ أنّه ورد في كتاب بدائع البدائع لابن ظافر أنّ زريق العروضي قال ذهبت ذات يومٍ إلى عنان جارية ابن النّطفي فوجدتُ أعرابيًّا عندها، ولمّا رأتني عنان قالت أقبلْ عليك أمان الله، لقد أرسلك الله إليّ، فهذا الأعرابي قال لي سمعت أنّك شاعرة ولذا سأقول بيتًا وتردين عليه ببيتٍ مناظر، وأنا لستُ مستعدّة الآن، فقل له بيتًا، فقال الرجل:

لقد جلّ الفراق وعيل صبري
عشيّة عيرهم للبيت زمت

ولمّا سمع الأعرابي هذا قال:

نظرت إلى أواخرها مخبا
وقد بانت وأرض الشّام أمت

فقالت عنان على الفور:

كتمت هواهم في الصّدر منّي
ولكنّ الدّموع عليّ نمت

ولمّا سمع الأعرابي هذا البيت قال لها: والله أنت أفضلُ منّا في الشّعر، والله لولا أنّه حرام لقبّلتك من فمِك. وقد ذكر في كتاب ابن ظافر والعقد الفريد الكثير والكثير عن بداهة طبعِها.

وقد نظمت عنان أيضًا:

كنْ لي هديت إلى الخليفة شافعًا
بوركت يا ابن وزيرة من مسلم
حثّ الإمام على شراء وقلْ له
ريحانة ذخرت لأنفك فاشمم

وقد قالت الأبيات المذكورة لفضل بن يحيى تستعطفه في أنْ يبيعها إلى خليفة زمانها هارون الرّشيد، وذلك لأنّ هارون أراد أنْ يشتريها من النّطفي، ولكنّ النّطفي عاند وأصرّ على أنْ يبيعها بمائة ألف قطعة ذهبية، فصرف هارون نظرَه عنها، ولمّا تُوفّي النّطفي، قام ورثتُه بإرسال عنان إلى هارون الرشيد بمبلغ خمسين ألف قرش، ولمّا ذهبت إليه عنان قال لها أرأيتِ لقد أخذتك بثمن أقلّ بكثيرٍ ممّا طلبه النّطفي، فقالت له يا

أمير المؤمنين لم تتمكّن من ذلك إلّا من الورثة، فخجل هارون من الرّد.

٥٩٦- عنز:

هي عنزُ المذكورةُ في المثل القائل (شر يوميها وأغواه لها ركبت عنز بحدج جملا) كانت امرأةً من قبيلة طسم تلك القبيلة العربيّة القديمة، سبتها قبيلة أخرى، وأركبتها النّاقة، وفي الطريق أرادتْ تلك القبيلة أنْ تسلّي عنها بشتّى صنوف التّسلية ليخفّفوا عنها وطأة الأسْر، ولكنّها ردّت عليهم قائلة هذا شرّ يومي، وشرّ يوميها وأغواه لها، فأصبح من ضروب الأمثال، ويذكر صاحب القاموس أنّ هذا المثل المذكور من الأمثال التي قيلتْ في الصدد المذكور.

وقد ورد في كتاب شرح المقامات للشّرشي أنّ عنز المذكورة هي زرقاء سابقة التّرجمة أو أختها.

وقد روى (شرّ يوميها) بالرّفع والنّصب، وفي حالة النّصب سيكون المؤخّر ظرف الفعل ركبت، أمّا في حالة الرفع فسيكون مبتدأ خبره محذوفًا. والمقصود من يوميها أي يوم الاعزاز ويوم الإذلال، وأغوى أفعل تفضيل من الغي وضمير الغائب المضاف يعود إلى يومه، وهو من قبيل نهاره صائم، بحدج أي في حدج، والحدج هو المكان المخصّص للنساء على الناقة.

٥٩٧- عنقودة:

وهو اسمُ صاحبيّتين من عصر النبوة، واحدةٌ منهما كان اسمُها عنبة، ثمّ تغيّر بعد ذلك إلى عنقودة، قاله ابن الأثير.

٥٩٨- عنود:

سيّدةٌ من عشيرة بني شنّ العربية، كانت زوجةَ شخص يُدعى الأسود بن هرمز، طلقها زوجُها ليتزوّج بامرأة من قومه أجمل منها، ولما لم يستطع العيش مع زوجته الجديدة طلّقها، ولمّا أراد العودة إلى عنود أرسل لها مرسالًا فقالت له عنود ممتنعةً عن الرّجوع:

أتركتني حتّى إذا علقت أبيض كالشطن

أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيعت اللبن

والأبيات المذكورة تتضمّن إرسال مثل من المحسنات البديعيّة في قول (في الصيف ضيّعت اللبن) فهذا المصراع يعدّ من ضروب الأمثال، وهناك رواية بنزع الخافض فيقال (الصّيف ضيّعت اللبن)، وعلى كلتا الروايتين فإنّ منشأ المثل تلك القصّة التّالية: كان هناك رجلٌ ثريّ ولكنّه مُسن، لم يقدر على إطفاء شهوة زوجتِه، فبغضته، ولمّا تفرّقا تزوّجت المرأة بشابٍّ قوي، ولكنْ نظرًا لفقره لم تسعد معه، وذاتَ يوم اشتاقت المرأة إلى اللّبن فذهبت إلى زوجها الأوّل تسأله بعضَ اللبن، فقال لها في الصّيف ضيّعت اللبن، أي من بعدك ضاع اللّبن، وكلمةُ في الصيف دلالة على أنّ فراقهما كان في الصّيف. ويذكر الميداني أنّ المرأة المذكورة هي دختنوس بنت لقيط المذكورةُ في المجلد الأول. ورغم أنّ ضيّعت بالكسر، لأنّها للمؤنث إلّا أنّ عنود ذكرتها كما هي رغم خطابها لرجلٍ لأنّ الأمثال لا تغيّر. أمّا إذا كانت عنود هي أوّل منْ ذكر هذا القول فحينئذٍ لا تُقال ضيّعت بالكسر، بل تُقال بالفتح.

٥٩٩- عنيزة:

هي عنيزةُ التي ذكرها امرؤ القيس في معلّقته:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات أنك مرجلي

وقد ذكر الزّوزني شارح المعلقات أنها محبوبةُ امرئ القيس وابنة عمّه. ومعلوم لأرباب المُطالعة لديوان امرئ القيس أنه ذكرها بكنية أمّ الحويرث وأمّ الرّباب وفاطمة. وذكر في كتاب مغني اللبيب أنّ فاطمة المذكورة في مطلع القصيدة التي تقول (أفاطم مهلًا بعد هذا التّدلل) هي عنيزة المذكورة هنا، ورغم أنّ لفظ عنيزة غير متصرّف بالتأنيث والتعريف إلّا أنه ورد في البيت المذكور منصرفًا للضّرورة الشعرية. وهذا البيتُ والأبيات الواردة بعده إنّما هي مبنيّة على الحكاية. ولأنّ تلك الحكاية هي سبب نظم تلك القصيدةِ فلن نوردها هنا لعدم الإطالة وسنكتفي بالإشارة إلى وجودها في شرح المعلقات للزّوزني وكتاب الأغاني.

٦٠٠- عوراء بنت سبيع:

من شاعراتِ الحماسة. والأبيات التّالية من منتخباتِ باب المراثي في ديوان الحماسة:

أبكي لعبد الله إذ حشت قبيل الصبح ناره

طيان طاوي الكشح لا يرخي لمظلمة أزاره

يعصي البخيل إذا أراد المجد مخلوعًا عذاره

حشت ماض مجهول مؤنث من المصدر حشّ بمعنى إيقاد النار. وناره نائب فاعل، والمقصود من النّار هنا على قول المرزوقي هي نار الضّيافة، وقد أوردنا استطرادًا عن نار الضّيافة في عنوان صفيّة بنت عبد المطلب في المجلّد الأول، طيّان: الجوع، وهو كناية عن الجوع مع وجود قرينة (طاوي الكشح) مظلمة على وزن منزلة وتعني حقّ المظلوم، و(لا يرخي لمظلمة إزاره) تدلّ على أنّ عبد الله المنظوم في حقّه المرثيّة لم يتكاسل قط في إمداد وإغاثة المظلوم.

حرف الغين

٦٠١- غادر:

هي محظيّة موسى الهادي من ملوك العباسيّين، وبعد وفاته أخذها أخوه هارون وتزوّجها. ولمّا كانت المذكورة تحت يد موسى شعرَ بأنّها تحبُّ أخاه هارون، وأنّها ستتزوّجه بعد وفاته فحزن حزنًا شديدًا، ولمّا علمت غادر بذلك أقسمتْ له بأنّها لن تتزوّج غيره، ولمّا علم هارون بذلك حزنَ هو الآخر، ولمّا تُوفّي موسى الهادي، وجلس هارون على العرش خلفًا له، كفّرت غادرُ عن يمينها وتزوّجت هارون، وذات ليلةٍ رأت موسى الهادي في منامها وقد أتاها يعاتبُها على عدم وفائها بالعهد قائلًا:

أخلفت عهدي بعد ما جاورت سكّان المقابر
ونسيتني وحنثت في أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي صدق الذي سمّاك غادر
لا يهنك الإلفُ الجديد ولا تدرْ عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبح وصرت حيث غدوت صائر

وقد استيقظت من نومها فزعةً، وقصّت ما رأته في منامها، ورغم أنّ مَن حولها أرادوا أنْ يهدّؤوا من روعها قائلين لها إنّ هذا مجرد أضغاثِ أحلام إلّا أنّها ظلّت مرتعبة حتّى أسلمت الرّوح.

وهذا ما ذكر في كتاب تزين الأسواق وبعض كتبِ الأدب والمحاضرة الأخرى، إلّا أنّ الكامل أورد في تاريخه أنّ الجارية التي انتقلت لهارون الرّشيد من أخيه موسى كان اسمها أمة العزيز، وكانت أمّ ولد، وكان لها ابنٌ من الرشيد باسْم علي.

٦٠٢- غازية خاتون:

ابنةُ الملك الكامل محمد بن الملك العادل من السّلاطين الأيوبية. وكانت زوجة الملك المظفّر محمود الذي أقام حكومةً في حماة، كانت سيّدةً حسنة السّيرة والتّدبير، على دراية. أنجبت ستّة أولاد؛ ثلاثة ذكور وثلاث إناث، كان منهم ابنٌ يدْعَى محمد، ويلقّب بالملك المنصور، ورث عن أبيه الحكمَ في حماة، ولأنّه كان صغيرَ السّن ظلّت الحكومة لفترةٍ في يد أمّه غازية خاتون، توفّيت في ذي القعدة عام ٦٥٦هـ.

وغازية أيضًا اسمُ أختِ ضيفة خاتون السّابقة التّرجمة، وقد تزوّج الملك الظّاهر غازية قبل أنْ يتزوّج بأختها ضيفة؛ حيث تزوّج ضيفة بعد وفاة غازية، وهذا ما قاله أبو الفدا.

وللأمير سيف الدين قلاوون ابنةٌ بهذا الاسم أيضًا، وقد زوّجها الملك الظاهر بيبرس لابنه سعيد بركة.

٦٠٣- غانمة بنت عامر:

سيّدةٌ من فصحاء نساء بني هاشم، وقد ذكرَ الشّيخ الأكبر في كتابه المسامرات أنّ المذكورة دخلت في مناظرة مع الأمويّين الذين كانوا يتهكّمون من بني هاشم، وأنّبت ومدحت بني هاشم، فقالت عنهم إنّهم أصحاب مجد ومعالي، وهم أكرمُ الخلق وأعظمهم من ناحية الحلم والعلم.

فقال شاعرُ بني أمية:

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصة لعبد مناف

وعبد مناف أي الهاشميّين، ورغم أنّ ابن عبدِ مناف كان اسمُه عمرو إلّا أنه لقّب بهاشم لأنّه كان يهشم الطّعام أي يستزيد منه لقافلة قريش عندما تذهب للشّام في الصيف واليمن في الشّتاء. ولهذا قال الشّاعر عمرو العلا

هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال آخر:

ونحـن سنى المحـلّ قـام شـفيعنا
بمكّـة يـدعو والميـاه تفـور

والشّاعر هنا يثني على عبد المطلب، وكان ابنُه أبو طالب سيّدَ قريش، وقد مدحه شاعرٌ آخر بقوله (أتيته ملكًا فقام بحاجتي)، ومنّا أيضًا ابنه العباس مدحه شاعر آخر فقال:

رديـف رسـول الله لم تـر مثلـه
ولا مثلـه حتّـى القيـامة يـولـد

وقالت منّا أيضًا سيّد الشهداء حمزة، وقد مدحه شاعرٌ بقوله:

أبـا يعـلى بـك الأركـان هـدت
وأنـت المـاجد الـبر الوصـول

وقالت منّا أيضًا جعفر الطيار، وكان- رضي الله عنه- أحسنَ الناس جمالًا وكمالًا، لم يغدرْ بأحد، ولم يتجبّر على أحد، وقد أبدله الله بذراعيه جناحين في الجنّة يطير بهما إلى أعالي الجنان، وقال فيه الشاعر:

هاتـوا كجعفـر ومثـل علينا
أنـا أعـزّ النـاس عنـد الخالـق

وقالت منّا أيضًا علي بن أبي طالب أبو الحسن، وكان فارس بني هاشم وأكرمهم، وقال فيه الشّاعر:

علـي ألـف الفرقـان صحفـا
ووالى المصطفـى طفـلًا صبـيًّا

وقالت منّا أيضًا الحسن بن علي وهو سيد شباب أهل الجنّة، وقال فيه الشاعر:

يـا جلّ الأنـام يـا ابـن الوصي
أنـت سبـط النّبـيّ وابـن علـي

وقالت منّا أيضًا الحسين بن علي، وقال فيه الشاعر:

حـبّ الحسين ذخيـرة لمحبـة
يـا ربّ فـاحشرنـي غدًا في حزبـه

٦٠٤- غاية المنى:

من أديبات الأندلس. كانت جارية عند المعتصم بن صمادح، وقد امتحنها المذكور قبل شرائها بنفسه ثمّ اشتراها، وكانت محبّتها تزيد في قلبه يومًا بعد يوم.

والمنى على وزن خدا، وهي جمع منية بضمّ الميم وسكون النون وتعني الأمنية.

٦٠٥- غدور بنت قيس:

ابنةُ قيس بن خالد، وهي قائلة المثل (ماء ولا كصداء). وصدا اسم بئر أو عين، ولا يوجد عند العرب أعذبُ منه، وقد أشار الشاعر ضرار بن عتبة السعدي إلى جودة مائه وعزوبته بالبيت التالي:

وإنّـي وهيـامي بزينـب كالـذي
تالـب مـن أحـواض صـداء مـشرب

وسبب إيراد هذا المثل أنّ المذكورة كانت قد تزوّجت في بادئ الأمر بسيد بني تميم لقيط بن زرارة، وبعد وفاته تزوّجت عون بن الجون، وذات يوم سألها عون هل أنا أجل أمْ لقيط؟، فقالت أنتَ جميل ولكن ماء ولا كصداء، أي لست أجمل من لقيط؛ فصار القول من ضروب الأمثال. كما قالت الخنساء (مرعى ولا كالسّعدان) وهذا يدلّ على أنه لا يوجد بين العرب مرعى أفضل من السّعدان. وقد أوردنا أيضًا في ترجمة السّيدة عائشة مثل (غرثان فاربكوا له) وسببُه أنّ أعرابيًا كان قد أتى من الصّحراء إلى بلدته، ولمّا وصل بشّروه بأنّ زوجته أنجبت له غلامًا، وكان الرّجل جائعًا جدًّا، فقال ماذا أصنع به آكلُه أمْ أشربه، فلما علمتْ زوجته قالت غرثان فاربكوا له أي اصنعوا له طعام الرّبيكة، ولمّا أكل الرجل وشبع قال (كيف الطّلا وأمّه) أي كيف الولد وأمه، وأصبح كلامُ الرجل وزوجته من ضروب الأمثال.

وبقي أنْ نقول إنّ اسم صاحبة الترجمة بالغين المعجمة منقول عن داود الأنطاكي في كتاب تزيين الأسواق، أمّا شارح القاموس سيد المرتضى فذكر أنّها

قدور وليس غدور، أمّا في مجمع الأمثال فقد أوردها ابنة هانئ بن قبيصة.

٦٠٦- غريبة:

أوردتْ بعضُ كتب الأدب أنّها كانت جارية للخليفة العباسي المأمون. وأوردت بعض الكتب أنّ جارية المأمون التي كانت تنظم الشعر ونقلناه من قبل في عنوان عريب كان اسمها عريب، ولا خلاف بين الرّوايتين لأنّ غريبة طُبع غلط في بعض الكتاب من عريب.

٦٠٧- غزالة:

هي غزالةُ المذكورة في البيت القائل:

أقامت غزالة سوق الضراب
لأهل العراقين حولًا قيطا

المذكور في شواهد تفسير صدور سورة البقرة، كانت زوجة شبيب الخارجي، بعد أنْ هزم زوجها أمام الحجّاج وقتل على يديه، وقفت هي أمام الحجّاج، حتّى أنّ عمران بن حطان الخارجي هجا الحجّاج لذلك فقال:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلّا كررت على غزالة في الوغا
بل كان قلبك في جناحك طائر

والعراقين المذكورة في البيت الأوّل المقصود بها البصرة والكوفة. ولأنّ المذكورة كانت من الشّجعان نذرت عندما أعلنت العصيان أنّها ستقف في مسجد الكوفة وتقرأ سورة البقرة وآل عمران وتصلّي ركعتين. ولّما أوفت بنذرها قالت:

وفت غزالة نذرها
يا ربّ لا تغفر لها

٦٠٨- ست غزال:

هي بانيةُ مسجد ستّ غزال من الآثار المصريّة المذكورة في خطط المقريزي، ويذكر المقريزي أنّها كانت كاتبة لأحد سلاطين مصر. ولم يكنْ لها معرفة سوى بالخطّ بالقلم وملء الحبّارة. ويقع مسجدها في القرافة الكبرى بالقاهرة، وقد بني عام ٥٣٦هـ، وهو مجاور لقبر النّعمان.

٦٠٩- غزية:

هي السّيدة الملقّبةُ بأمّ شريك في العهد النّبوي، وقد ذكرنا في المجلد الأوّل أنها عرضت نفسها على النّبيّ ليتزوّجها، ولكن النّبيّ رفض.

وغزية أيضًا اسمُ بعض مشاهير العرب، وقد قال أحد الشعراء:

وهل أنا إلّا من غزية إنْ غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

٦١٠- غسانية:

من أديبات الأندلس، وقد ذكرت في كتاب نفحاتِ الطّيب على شكل الغسانيّة البجانية، وبجانة اسمُ بلدةٍ مشهورة في الأندلس، لم يظهر لها أيّ أشعار سوى الأبيات التّالية المذكورة في نفحات الطيب:

عهدتم والعيش في ظلّ وصلهم
أنيق وروضُ الوصل أخضر فينان
ليالي سعد لا يخاف على الهوى
عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

٦١١- غفرية بنت رباح:

ابنةُ رباح الحبشي، يذكر ابنُ الأثير أنها صحابيّة أختُ الصّحابي الجليل بلال بن رباح مؤذّن الرّسول ﷺ. وقد كان لبلال أخ وأخت آخران، والأخ باسْمِ خالد.

٦١٢- غميسة:

على وزن رميسة، صحابيّة جليلة تُدعى أمّ سليم بنت ملحان، والدةُ الصّحابي الجليل أنس بن مالك، وقد اشتهرت أيضًا باسم رميسة.

وغميسة اسمُ نجم كانت تعبدُه العرب في الجاهليّة، كانَ يسمّى الشّعرى المذكور في الآية الكريمة (وأنّه هو ربّ الشّعرى)، وكانت تعبده خزاعل. وكان له تابعٌ آخر في اليمن. فكان هناك شعرى اليمن، وشعرى الشّام.

ف

حرف الفاء

٦١٣- فاختة:

تعني هذه الكلمة اليمامة، ويذكر ابنُ الأثير أنّه توجد أربع صحابيّات بهذا الاسم، وهنّ: فاختة بنت الأسود، وفاختة بنت أبي طالب، وفاختة بنت عمرو الزهريّة (خالة الرسول) وفاختة بنت الوليد.

وفاختةُ بنتُ أبي طالب هي أخت عليّ- كرّم الله وجهه- المعروفةُ بأمّ هانئ، وقد عرضنا لها في المجلد الأوّل.

٦١٤- فارعة بنت أبي الصّلت:

سيّدةٌ صحابيّة، كانت أختَ الشّاعر العالم المعدود من كبار رجال الجاهليّة أميّة بن أبي الصّلت، اشتهرت بالتعقّل والدّراية والجمال، قرأ أخوها الكتبَ السماويّة وعلم منها أنّ النّبيّ سيُبْعث، وكان يأمل أنْ يكون هو نبيّ آخر الزّمان، ولمّا علم أنّ محمدًا بن عبد الله هو نبي آخرِ الزّمان غبطه على ذلك، كان

موجودًا في الشّام عندما وقعت غزوة بدر في رمضان السنة الثّانية من الهجرة، ولمّا عاد من الشام، وجد قتلى بدرٍ من الكفّار ملقاة أجسادهم في حفرة بوادي بدر، فقال يرثيهم:

ماذا ببدر والعقن قلمن مرازبه حجاجح

ولمّا وصل الطائف بلدته، لم يدمْ طويلًا ومات هناك، أمّا أخته فارعة فقد أسلمت في فتح الطّائف، ولمّا قابلها النّبيّ أعجب بدرايتها وتعقّلها، وقال لها هلّا تقرأين علينا بعض أبيات أخيك أميّة، فقالت:

باتت همومي تسري طوارقها
أكفّ عيني والدّمعُ سابقها

كما قالت القصيدة التي نظمها في مرض موته:

كلّ عيش وإن تطاول
دهرا صائر أمرُه إلى أنْ يزولا
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي
في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصيبَ عينك
واحذر غولة الدّهر إنّ للدهر غولا

وذكرت أيضًا:

عند ذي العرش يعرضون عليه
يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نؤتيه وهو ربٌّ رحيم
إنّه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثلَ ما قال فردًا
لم يذر فيه راشدًا أو غويّا
أسعيد سعادة أنا أرجو
أمْ مهان بما كسبتُ شقيّا
ربّ إنْ تعفُ فالمعافاة ظنّي
أو تعاقب فلم تعاقب بريّا
إنْ أؤخذ بما اجترمت فإنّي
سوف ألقى من العذاب قويّا
إنْ تغفرِ اللّهم اغفر جمّا
وأي عبدٍ لك لا ألمّا

ولمّا قالت ذلك قال لها النّبيّ شعرُ أخيك مؤمنٌ وقلبه كافر، ثمّ تلا الآية الكريمة (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). ومذكور في عرائس الثّعالبي أنه قيل إنّ تلك الآية نزلت في

أميّة بن أبي الصّلت هذا، ومعظم أقوال المفسرين على أنّها نزلت في واحدٍ من علماء بني إسرائيل، وقيل الخبيث بلعام بن باعوراء، من الكنعانيّين.

استطراد

ويوجد عالمٌ فاضل من علماء الأندلس من رجالِ القرن السّادس الهجري كان يُعرف بالأديب الحكيم كان يُسمّى أيضًا أميّة بن أبي الصّلت، وهو قائل البيت التالي:

كيف لا تبلى غلائله وهو بدر وهي كتان

كان شاعرًا وفيلسوفًا وصاحب مؤلفات شتّى، ومعظم أبياته عن العزوبيّة وعن التعقل تطابقُ الواقع، وأحسن ما قاله عن الغربة البيت التّالي:

إذا كان أصلي من تراب
فكلّها بلادي وكلّ العالمين أقاربي

ومضمونُ هذا البيت لا يتفق تمامًا مع المغتربين الأتراك الموجودين في بلدان العرب. (انتهى كتبه في الإسكندرية).

٦١٥- فارعة بنت شداد المرية:

من شاعرات العرب، ومن شاعرات الحماسة البصريّة. نظمت الأبيات التّالية في رثاء أخيها:

هلاّ سقيتم بني جرم أسيركم
نفسي فداؤك من ذي غلّة صاد
شهاد أندية رفاع ألوية
سدّاد أوهية فتّاح أسداد
نحّار راغية قتّال طاغية
حلاّل رابية فكّاك أقياد
قوّال محكمة نقّاض مبرمة
فرّاج مبهمة طلاّع أنجاد

ولا يخفى أنّ الأبيات بها محسّنات بديعية.

٦١٦- فارعة بنت همام:

ابنةُ همّام بن عروة بن مسعود الثقفي، وقيل فريعة. والدةُ الظّالم الحجّاج بن يوسف الثّقفي، قيل إنّها كانت متزوّجة بحكيم العرب الحارث بن كلدة، وقيل المغيرة بن شعبة، والحكاية المرويّة في المجلد الأوّل في عنوان (زينب بنت يوسف)

رويت في حقّها، ولمّا طلّقها زوجُها تزوّجت بيوسف بن أبي عقيلة الثقفي، وأنجبتْ منه الحجّاج. وينسب البعض المثل القائل (أصب من المتمنية) الذي سيردُ في حرف الميم إنْ شاء الله في عنوان المتمنية إليها. وهي تلك المرأة متمنّية التي كانت سببًا في نفي نصر بن الحجاج.

استطراد

روي أنّ الحجّاج ولد مسدودَ فتحةِ الشّرج، وأنّه لم يقبلْ ثديَ أمّه، وانتهى الأمر بأن تمثل إبليس في صورة بشر، وأشار عليهم بأنْ يذبحوا كلّ يوم شاةً سوداء ويضعوا دمّها على فمه لمدّة يومين، وفي اليوم الثّالث ذبحوا كبشًا أسود ووضعوا دمّه على فمه، وفي اليوم الرابع ذبحوا ثعبانًا أسود ووضعوه على فمه، وبعدها قبل الحجّاج الثّديَ ورضع، لذا كان الدّم أحبّ شيء عنده، وقد قال (ألذّ شيء عندي القتل). ومع هذا قال في مرض موته:

يا ربّ قد حلف الأعداء واجتهدوا ... أيمانهم أنّني من ساكني النّار

أيحلفون على عمياء ويحهم ... ما ظنّهم بعظيم العفو غفّار

(انتهى)

وبخلاف فارعة بنت أبي الصّلت توجد ستّ صحابيّات أخريات باسم فارعة، ومنهنّ: فريعة على قول البعض، وفارعة بنت عقيل أخت أبي سعيد الخدري، وقد ذكرناها في المجلد الأوّل بعنوان (ابنة غيلان).

وفارعةُ بنت المسور وقد ذكرها محيي الدّين في المسامرات في قصّة عمرو بن معد يكرب عندما كان يشرح فضائل البسملة.

٦١٧- فاضلة الأنصارية:

صحابيّة جليلةٌ زوجةُ الصّحابي عبد الله بن أنيس الجهني، مذكورة في كتب الأحاديث، أقامت في مصر مع زوجها.

٦١٨- فاضلة الزمان:

هي عائشةُ الباعونيّة السابقة الترجمة، لقّبت بفاضلة الزّمان كما لقّب الهمداني صاحب المقامات ببديع الزمان.

٦١٩- فاطمة الزهراء:

فاطمةُ ابنةُ النّبيّ ﷺ، لقّبت بالزهراء لأنّ وجهها- رضي الله عنها- كان مشرقًا يلمع كالبدر. وقد روي عن السيدة عائشة أنّها قالت «كنت أدخل الخيط في سمّه في الظلام وفاطمة معي من شدّة نور وجهها» وقيل إنّها لقّبت بالزهراء لأنّها عفيت من دم الحيض والنّفاس، فلم تفوت صلاةً قط، ومن ألقابها أيضًا البَتول، وقد أشرنا إليه في المجلد الأوّل، ويعني المنقطعة عن الدّنيا المتفرّغة للعبادة، وكانت تلقّب بفاطمة الكبرى للتّفريق بينها وبين حفيدتها فاطمة بنت الحسين، أمّا كنيتها فكانت (أمّ أبيها) نسبةً للرّسول ﷺ.

كانت أصغرَ بنات النّبيّ وأحبّهنّ إلى قلبه، والدتُها السيدة خديجة، تزوّجت علي المرتضى في ذي الحجة من السنة الثانيّة من الهجرة، وكان عمرُها حينئذ ١٥ عامًا، أمّا علي فكان ٢١ عامًا، ولمّا تزوّجها عليّ دعا لهما النّبيّ قائلًا «جمع الله شملكما وأعزّ جدّكما وأخرج منكما كثيرًا طيّبًا» وقد أنجبَ منها عليّ ثلاثةَ ذكور وبنتين، أمّا البنتان فهما أمّ كلثوم وزينب، وقد شرحناهما فيما سبق، أمّا الذّكور فكانوا الحسن والحسين ومحسن، وقد توفّي محسن وهو طفل، وبقيت الذّريّة الطيبة في الحسن والحسين، أي أنّ ذريّة النّبيّ كانت من نسلِ السّيدة فاطمة كما أشار النّبيﷺ إلى ذلك. وهي سيدة نساءِ أهل الجنة، وقد ذكرها النّبيّ في عدّة أحاديث فقال (فاطمة بضعةٌ منّي فمَنْ أغضبها فقد أغضبني) و(فاطمة بضعةٌ منّي يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها).

وقد قيل:

مـن مثـل فاطمـة الزهـراء في نسـب
وفي فخـار وفي فضـل وفي حسـب
والله فضّلهـا حقًّـا وشرّفهـا
إذ كانـت ابنـة خير العجـم والعـرب

وورد في أسد الغابة والمشارق ما هو مروي في البخاري أنّ السيدة عائشة قالت كنا ذاتَ يوم جلوسًا مع رسول الله ﷺ، وإذْ بفاطمة تقدُم علينا، وكانت مشيتها تشبهُ مِشية رسول الله، فلمّا

رآها رسولُ الله قال لها (مرحبًا بابنتي) وأجلسها على يمينه أو يساره، ثمّ قال لها كلمةً في أذنها فابتسمت، ثمّ قال لها كلمةً أخرى فبكت. تقول عائشة وقد سألتها عمّا قاله لها رسولُ الله فأبكاها وأضحكها، فقالت لنْ أفشيَ سرّ رسول الله. ولمّا تُوفّي الرسول ﷺ، سألتها عائشة نفسَ السّؤال فقالت لها فاطمة الآن أقولُ لك، همس رسول الله في أذني بأنّ جبريل كان يأتيه في العام مرّة، وفي هذا العام أتاه مرّتين، وكانت هذه علامة على قربِ أجله ﷺ فبكيت، ثمّ همسَ في أذني قائلًا ألا يرضيك أنْ تكوني سيّدةَ نساء العالمين فابتسمت. وقد تُوفّي رسول الله بعد تلك الحادثة بستّة أشهر على أصحّ الأقوال. وكان ذلك في ليلة الثلاثاء الموافق الثالث من شهر رمضان الشّريف، وعمرُ فاطمة ما بين العشرين والثّلاثين. انتهى. حتّى في مرض موتها- رضي الله عنها- قامت فاغتسلت ولبستْ ملابس جديدة ثمّ نامت على شقّها الأيمن واضعةً يدَها في التّراب، وقالت أنا الآن أسلمُ الرّوح إلى ربي، فإنْ قبضت فلا يغسلني أحد ولا يجرّدني. ولمّا أتى عليّ وأخبروه أخذَها على حالها ودفنها، ولم تُنزع عنها ثيابُها ولم تُغسّل.

وبعدَ وفاة الرّسول ﷺ لم ترَ، رضي الله عنها، ما يضحكها، فقد استولى عليها حزنٌ شديد بعد وفاة الرّسول، حتّى أنّها عاتبت الصّحابة من شدّة حزنها على وفاة الرّسول قائلة لهم (كيف طابتْ نفوسكم أنْ تحثوا على رسول الله ﷺ التراب)، وبعد دفن الرسول قالت:

ماذا على من شمّ تربة أحمد
أنْ لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها
صبّت على الأيام صرنَ لياليا

والأبيات التّالية أيضًا من الأبيات التي قيل إنّها نظمتها السيدة فاطمة في رثاء سيّد العالمين:

اغبرّ آفاق السماء وكوّرت
شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبيّ كئيبة

أسـفًا عليـه كثيـرة الرّجـفـان
فـليبْكـه شرق البلاد وغربها
وليبكـه مضـرٌ وكلّ يمـان

والمقصود بالعصران هنا الليل والنهار، وذلك كما قال الشاعر:

ولـن يلبـث العـصران يـوم وليلـة
إذا طلبـا أنْ يدركـا مـا تيمـما

أمّا تكوير الشمس فمفسّر بذهاب ضيائها. والأبيات التّالية أيضًا معزوّةٌ إليها:

امسـى بخـدّي للدمـوع رسـوم
أسـفًا عليـك وفي الفـؤاد كلـوم
والصّـبر يحسـن في المواطـن كلّهـا
إلّا عليـك فإنّـه مذمـوم
لا عتـب في حـزني عليـك لـو أنّـه
كان البكـاء لمقلتـيّ يـذوم

كما توجّهت السيدة فاطمة إلى الروضة المطهّرة، وقالت:

قـد كان بعـدك أنبـاء وهينمـة
لـو كنـت شـاهدها لم يكثـر الخطـب.

روتْ ١٨ حديثًا فقط. وقد ذكر ابنُ عباس في تفسير الآية الكريمة (يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شرّه مستطيرًا) أنّ الحسن والحسين وهما صبيّان مَرضا، ولمّا ذهب النّبيّ ومعه بعض الصّحابة لزيارتهما أشار أحدُ الصّحابة الموجودين على سيدنا عليّ بأنّ ينذر لله شيئًا لشفاء الحسنيْن، فنذر على أنْ يصوم ثلاثة أيام، وأنْ تصوم فاطمة والجارية الموجودان أيضًا كلّ واحدةٍ ثلاثة أيام، ومرّت الأيام وشُفي الحسنان، وصامَ الجميع إيفاءً للنذر، وفي اليوم الأوّل اقترض عليّ ثلاثة موازين من الشعير لعدم وجودِ ما يُؤكل في البيت، وفي الليلة الأولى صنعتِ السيدة فاطمة من الثالث الأوّل خمس قطع من الخبز، وبينما هُم على وشك الإفطار طرقَ أحدُ المساكين الباب وقال (يا أهلَ البيت، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنّة) فترك علي الخبزَ للرّجل، وفي اليوم الثّاني صنعت السيدة فاطمة بالثّلث الثّاني خمس قطع من الخبز، وقبل الإفطار

طرق أحدُ اليتامى الباب وقال مثلَ ما قالَ المسكين فأعطوه الخبز، واكتفوا بالماء فقط، وفي اليوم الثّالث صنعت السيدة فاطمة بالثلث الباقي خمس قطع خبز، وعند الإفطار طرق أحدُ الأسرى الجياع البابَ وطلب الطعام، فأعطوه الخبزَ واكتفوا بالماء، وفي اليوم الرّابع أخذ عليٌّ الحسن والحسين وفاطمةَ وذهبَ إلى رسول الله لعدم وجود طعام يأكلونه، ولمّا رأى الرسول شدّة الجوعَ على ابنته هون عليهم الحال، ونزلت عليه الآية الكريمة (ويطعمون الطّعام على حبّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا)، وكان ذلك تكريماً من الله لهم على صنيعهمُ الخيّر، وأنّ ما قاموا به كان مشكورًا عند الله. ذلك فضلُ الله وهم سابقون بالخيرات بإذن الله.

٦٢٠- فاطمة النبوية:

ابنةُ الحسين وأختُ السّيدة سكينة السابقة التّرجمة، من أهل البيت المدفونين في مصر. وقد أوردنا في ترجمة السيدة سكينة أنّ الحسين زوّجها ابنَ عمّها الحسن بن الحسن بن علي، وأنّه حين تزويجها قال عنها (إنّها مثل والدتي فاطمة، صوّامة بالنهار قوّامة بالليل، وجمالها أيضًا مثل الحور العين).

٦٢١- فاطمة بنت أسد:

ابنةُ أسد بن هاشم بن عبد مناف. وهي السّيدة المذكورة في المجلد الأوّل بعنوان أمّ عقيل. وهي والدة سيّدنا علي وإخوته طالب وعقيل وجعفر وأمّ هانئ وجمانة. وقد خالف صاحبُ القاموس في الرأي المشهور الذي يقول إنّ عقيل أخو سيدنا عليّ لأبيه. وذلك لأنّ المشهور أنّ كافّة أبناء أبي طالب كانوا من فاطمة بنت أسد. وهي التي أطلقت على سيدنا عليٍّ لقب حيدر أي الأسد. وقد صرح عليٌّ بذلك أثناء قتاله لشخص يُدْعَى مرحب في حرب خيبر، حيث قال:

أنــا الــذي ســمّتني أمّــي حيـدرة
كليـث غابــات كريــــه المنظــره
أكليكــم بالسّـيف كيـل السـندره

فقد قيل إنّها لمّا أنجبت سيدنا عليًا كان والده أبو طالب قد تُوفّي، وقامت هي بتسميته، فسمته أسد، وقيل حيدرة على اسم أبيها. كان إيمانها قديمًا، وكان رسول الله يبجّلها ويحترمها فقد كانت بمثابةِ الأمّ له بعد وفاة عمّه أبي طالب. تُوفّيت في المدينة على أصحّ الأقوال، وقد كُفّنت في رداء الرّسول ﷺ، ودفنها الرسول بنفسه؛ حيث نزلﷺ للقبر قبلها، وظلّ فيه فترةً قصيرة تأنيسًا للقبر، ثمّ أمر بإنزالها بعد ذلك، ودفَنها ودعا لها بالخير.

وذكر في أسد الغابة نقلًا عن الإمام الزّهري لا يُعرف سوى ثلاثة من نساء بني هاشم أنجبنَ أولادًا من صلب رجال بني هاشم أوّلهنّ فاطمة بنت أسد، وكانت أمّ علي خليفة رسول الله. والثانية فاطمة بنت رسول الله وتزوّجت عليًا وأنجبت الحسن. والثالثة السيدة زبيدة وتزوّجت هارون الرشيد وأنجبت منه الأمين العباسي. والغريب أنّ الثلاثة المذكورين لم يضعوا أيديهم على الخلافة على ما هو مراد، فمعلومٌ أنّ سيدنا عليًا انسحب من الخلافة وانتهى الأمرُ باستشهاده، والحسن والأمين خُلعا منها.

٦٢٢- فاطمة بنت أبي الأسد:

ابنةُ أبي الأسد بن عبد الأسد من رجال بني مخزوم. عمّها الصّحابي الجليل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي. وهي الصحابيّة التي قطعتْ يدها حدًّا للسرقة. فرغم أنّها كانت من بني مخزوم من قريش يعني من الأشراف إلّا أنّها اقترفتِ السّرقة، فقرّر الرسول أنْ يقطع يدها حدًّا، ولمّا أرسل رجال بني مخزوم أسامة بن زيد ليتوسّط لها عند رسول الله قال له الرسول كلّ شيء مُمكنٌ إلّا في حدود الله، والله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطع محمّدٌ يدها. وأمر بقطع يدها.

٦٢٣- فاطمة أمّ عبد الله:

ابنةُ الشّيخ الإمام المقري المحدّث جمال الدّين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي. كانت من أعيان عصر الصّفدي، ومحدّثة من صلحاء

النّساء. أخذت الإجازة من علماء ومشاهير العلم في العراق وأصفهان والشّام في القرن السّادس الهجري. كما حصلت على إجازة أخرى من مشاهير دمشق الشّام. وكانت تدرس العلم، وقد ذكر الصّفدي أنّ عدد العلماء والمحدّثين الذين أخذت عنهم رواية الحديث والإجازة يزيدُ على مائة عالم. كانت ولادتها في عام ٦٢٠هـ ووفاتها في ١٢ ربيع الآخر ٧٠٨هـ. وكانت من أهل الثّروة، ولها أوقاف وخيرات كثيرة، وهي محرّرة كلّها في عنوان النصر.

٦٢٤- فاطمة بنت إبراهيم:

ابنةُ إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي. وهي أيضًا محدّثة معمّرة من المحدثات المذكورات في أعيان الصفدي. وقد أخذت الحديثَ عن المشايخ محمد بن عبد الهادي وابن الشروري، وهُما آخر منْ أخذ عن المحدّث المشهور إبراهيم بن خليل. تُوفّيت عن عمر يناهز التّسعين في ذي القعدة ٧٤٧هـ.

٦٢٥- فاطمة بنت إبراهيم:

ابنةُ إبراهيم بن محمود بن جوهر، ووالدة الشّيخ إبراهيم بن المقريشة، محدّثة من أعيان عصر الصفدي، كانت تُعرف بفاطمة المسندة. كانت عابدةً صالحة، لها مهارة في إسناد الحديث. قرأت صحيحَ البخاري على ابن الزّبيدي، وصحيح مسلم على العلّامة الحصيري. درست الحديث للمحدّث ابن عبد الدائم. كما درست البخاري الشّريف. وقد استمع لها في الحديث مشايخ مشاهير أمثال قاضي القضاة الإمام تقيّ الدّين السبكي وسراج الدين بن الكويك وتقيّ الدين بن أبي الحسن والشّيخ الذهبي وغيرهم. كانت ولادتها عام ٦٢٥هـ ووفاتها ٧١٠هـ.

٦٢٦- فاطمة بنت إبراهيم:

وهي سيدةٌ مشهورة ذُكرت في تذكرة مستقيم زاده. كانت خالةُ وزوجة الخطاط المشهور محمود أفندي التوقاتي. وقد تعلمت من زوجها خطَّ النّسخ والثّلث والجلى.

٦٢٧- فاطمة بنت الأحجم:

ابنةُ أحجم بن دندنة الخزاعي، والدتها خالدةُ بنت هاشم بن عبد المطلب. كان لها ابنة تُسمّى جرح كانت من أرباب الفصاحة والشعر، الأبيات التّالية لها من منتخبات باب المراثي بديوان الحماسة:

يا عين بكي عند كلّ صباح
جودي بأربعة على الجراح
قد كنت لي جبلًا ألوذ بظله
فتركتني أضحى بجرد ضاح
قد كنت ذات حميّة ما عشت لي
أمشي البراز وكنت أنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي منه
وأدفع ظالمي بالراح
وإذا دعت قمريّة شجنًا لها يومًا
على فتن دعوت صباحي
وأغضّ من بصري وأعلم أنه
قد مات خير فوارسي ورماحي

وقيل إنّ السيّدة فاطمة تمثلت تلك الأبيات عندما تُوفّي النّبيّ ﷺ.

٦٢٨- فاطمة بنت أحمد:

ابنةُ أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري. وهي فاطمة أمّ الحسين بنت أبي العباس بن الرّضي. من المحدثات المذكورات في إنباء ابن حجر، سمعت الحديث عن جدّها الرضي، كانت وفاتها عام ٧٧٩هـ.

٦٢٩- فاطمة بنت أحمد:

ابنةُ أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن زيد الحلبي، هي أمّ الحسن. فاطمةُ كانت من مشاهير المحدّثات، كانت ولادتها عام ٧٣٢ وقيل ٧٣٣هـ، استمعت في علم الحديث لجدّها لأمّها جمال الدين بن إبراهيم بن الشهاب محمود. كما حصلت على إجازة من حدثين كثيرين، درست الحديث في حلب، كانت سيدة عاقلة ومتدينة، تُوفّيت عن عمر يناهز الثمانين في ربيع الأول عام ٨١٣هـ.

٦٣٠- فاطمة بنت أحمد الحسني:

ابنةُ مولانا أحمد بن عبد الله بن آخي كمال. كانت زوجة شريفةً نسّابة، ووالدة سابقة التّرجمة. من جُملة أشياخ السيوطي، أخذت الإجازةَ من لطيفة

بنت الأماسي وعائشة بنت الشرايحي ومحمد بن محمد بن محمد بن المحب.

٦٣١- فاطمة بنت أحمد الرّضي:

ابنةُ الرّضي الطبري، أمّ الحسن فاطمة. كانت من شركاء الإمام ابن حجر العسقلاني، استمعت لعلم الحديث من المذكور، ومن جدّها، والأشخاص الأفاضل الآخرين، تُوفّيت في ذي الحجّة عام ٧٨٣هـ.

٦٣٢- فاطمة بنت أحمد السّاعاتي:

ابنةُ أحمد بن علي السّاعاتي، مؤلف كتاب البديع في أصول الفقه، وكتاب مجمع البحرين في الفقه. من المشاهير المعدودين في طبقات الحنيفيّة، ذكرها علي القاري في كتابه (الأثمار الجنيّة في الأسماء الحنيفية)، تفقّهت على يد والدِها، وقرأت عليه كتاب مجمع البحرين، وكتبته بخطّها، حيث كان خطّها تعليقًا جميلًا، ومؤخّرًا دخلت المذكورة ضمن تذكرة الخطاطين لمستقيم زاده.

٦٣٣- فاطمة بنت الشهاب أحمد:

ابنةُ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجزايري، محدّثة، كانت تنسب إلى مكة المكرّمة، ثمّ إلى المدينة المنورة، كما استمعت إلى جدّها لأمّها رضي الطّبري. كما حضرت دروسَ أخيها صفيّ الدين، وحصلت منه ومن فخر الدّين النوريري وعفيف الأدلاسي وأبي بكر الباسلي على الإجازات. كانت سيدة خيّرة. تُوفّيت في شوال عام ٧٨٣هـ عن عمر يناهز ٧٣ عامًا.

٦٣٤- فاطمة بنت تقيّ الدين:

ابنةُ تقيّ الدّين الجعبري. من جملة المحدّثات المذكورات في وفيات عام ٧٩٥هـ بإنباء ابن حجر. كانت تحضر دروس أسماء بنت صران المذكورة في المجلد الأوّل، كما استمعت إلى الأحاديث من ابن أبي الرضي. وهي جدّة والدةِ المحدّث مزى. قال ابن حجر إنها درست الحديث في الشام.

٦٣٥- فاطمة بنت الخراساني:

تنسبُ إلى خليل بن علي الخراساني، وهي من أساتذة الإمام السيوطي، وهي حفيدة تقي الدّين عبد الله بن خليل الخراساني من ناحية الأمّ. تُوفّيت عام ٨٧٤هـ.

٦٣٦- فاطمة بنت الخرشب الأنمارية:

هي فاطمةُ المضروب بها المثل في الإنجابِ بين العرب يُقال (أنجب من فاطمة)، كانت زوجة زيادِ العبسي. أنجبت منه أربعة أولادٍ هم: ربيع الكامل وقيس الحافظ وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس. لذا عُدّت من النساء المُنجبات. وكانت العرب تطلق منجبةً على المرأة التي تنجب ثلاثة ذكور أو أكثر من رجل واحدٍ. ولأنّ أولادها اشتهروا بالبسالة والكمال، فقد عرفت بين العرب أيضًا بكملة، وذاتَ يوم سألت مَنْ أحبُّ أبنائك إليك؟ قالت لا أرى واحدًا أفضلَ من الآخر، كلّهم مثل بعض.

٦٣٧- فاطمة بنت الخشاب:

شاعرةٌ شاميّة، من مشاهير عصر الصّفدي، وقد ذكر صلاح الدين الصّفدي في كتابه (عنوان النصر في أعيان العصر) نقلًا عن القاضي شهاب الدين بن فضل الله أنّ المذكورة سكنتْ في الشّام في منزل قريب من منزل القاضي المشار إليه، وفي رجب عام ٧١٠هـ نظم المُشار إليه قصيدة من ستة وعشرين بيتًا وأرسلها للمذكورة بقصد امتحانِها، وكان مطلع القصيدةِ المذكورة ما يلي:

هل ينفع المشتاق قرب الدار
والوصل ممتنع عن الزوار
يا نازلين بمهجتي وديارهم
من ناظري بمطمح الأبصار
فجيتم شجني فعدت إلى الصبا
من بعدما وخط المشيب عذاري

فنظمت المذكورة قصيدة مماثلةً على نفس الوزن والقافية من ستّة وعشرين بيتًا أيضًا وأرسلتها له، كان مطلعها:

إنْ كان غرّكم جمال إزاري
فالقبح في تلك المحاسن وار
لا تحسبوا أنني أماثل شعركم
أنى يقاس جداول ببحار

٦٣٨- فاطمة بنت الشغري:

ابنةُ شهاب الدين أحمد بن محمد الشغري، من أساتذة الإمام السيوطي. وقد ذكر الإمام المذكورُ في كتابه المنجم في المعجم أنّ المذكورة وُلدتْ عام ٨١٠هـ.

٦٣٩- فاطمة بنت عباس:

ابنةُ عبّاس بن أبي الفتح البغدادي. وهي أمّ زينب فاطمة التي بنت رباط البغداديّة الذي ذكرناها في عنوان تذكاري باي خاتون في حرف التّاء، كانت عالمةً ومجاهدة وفقيهة، علمُها وافر، وصالحة، كما كانت فاضلةً وخاشعة باكية من الخشية، قانعةً بالقليل من كفاف الدنيا، انزوت في رباطِ البغداديّة، وانشغلت بالإرشاد والتربية فيه، حيث كانت دائمةَ الوعظ للنّساء. كما كانت تصعد المنبرَ في بعض الأحيان وتخطب في الرجال، وكانت تحاور المَهَرة من الرّجال في المباحث العلميّة. وقد تباحثت مع صدر الدين بن الوكيل من أكابر علماء عصرها في مسألة الحيض، ولمّا تغلّبت عليه قالت له «أنت تعرفه علمًا أمّا أنا فأعرفُه علمًا وعملًا»، وقد ذكر عبد الرءوف المناوي في كتابه الكواكب الدريّة أنّها لمّا صعدت المنبر أراد العالمُ المشهور ابن تيمية منعَها من ذلك، فأتاه الرّسول في المنام وقال له إنّها امرأة صالحة، فترك منعَها. تُوفّيت رضي الله عنها في مصر يومَ عرفة عام ٧١٤هـ.

٦٤٠- فاطمة بنت عبد الملك:

ابنةُ عبد الملك بن مروان من ملوك الأمويّة. وقد ذكرنا من قبل في عنوان (ذات الخمار) أنّها كانت ابنة عمّ عمر بن العزيز وزوجتَه. ورغم أنّها كانت عالية الشّأن بسبب السّلطنة والحكم، إلّا أنّها تركت زينة الدنيا مع زوجِها العادل عمر بن عبد العزيز، وروي في مناقب عمر أنّه لمّا تولّى السّلطنة أراد

أنْ يبدأ العدلَ من بيته، فقال لزوجته إنْ أردتِ أنْ تعيشي معي فعليك أنْ تسلمي كلّ زينتك وجواهرك إلى بيتِ المال، فسلّمت المذكورة كلّ ما هو نفيسٌ وغالٍ لديها إلى بيت المال، ولمّا تُوفّي زوجُها وتولّى أخوها يزيد بن عبد الملك الحكم، أراد أنْ يجلب لها من بيت المال كلّ ما وضعته، ولكنّها رفضت، وقال «لقد أطعتُ زوجي في حياته فهل يلزمُ عليّ أنْ أعصيه في موته!». وحلقات أذن ماريّة المشهورة التي سيردُ ذكرها في حرف الميم من جُملة ما تركته فاطمة المذكورة في بيت المال، وقال بعضُ أصحاب التواريخ أنّ ما تركتْه وزّعه يزيد على أسرته.

وكانت خالةُ عمر بن عبد العزيز أيضًا اسمها فاطمة بنت مروان، وقد ذكرت أيضًا في مناقب عمر.

٦٤١- فاطمة بنت العجمي:

أختُ المحدّث علي بن العجمي، وهي أمّ الحسن فاطمةُ بنت الشّيخ تاج الدين محمد بن الشّيخ العارف بالله يوسف العجمي. من المحدّثات، ومن مشايخ الإمام السيوطي. أخذت الإجازة من أخيها المذكور.

٦٤٢- فاطمة بنت علم الدين:

ابنةُ علم الدين البرزالي أستاذ صلاح الدّين الصّفدي. وهي من المشاهير التي ذكرها الصّفدي في كتابه عنوان النصر. استمعت في علم الحديث للكثير من العلماء الرّجال والنساء. وقد قرأت صحيحَ البخاري على ستّ الوزراء بنتِ أبي المنجا سابقة التّرجمة، وتعلّمت الخط، وقامت بنسخ كتب الفرائض الأربعة، وكتاب الأحكام لابن تيمية وصحيح البخاري وبعض الكتب الأخرى. كانت مداومةً على الفرائض والنّوافل، وحريصةً على فعل الخيرات. كانت عندما تذهب إلى الحمّام لا تدخل إلّا بعد صلاة الظّهر، وذلك حتّى تصلّي في وقت الاستحباب، ولا تبقى فيه كثيرًا حتّى لا تؤخّر صلاة العصر. كما كانت تحرص على صيام أيّام القضاء إذا ما أفطرتْ في رمضان بسبب الحيض. تُوفّيت على قول أبي الفدا في صفر عام

٧٣١هـ. ولم تنفكّ عن مسلك الخير الذي سلكته حتّى آخر عمرها.

٦٤٣- فاطمة بنت عمر:

ابنةُ عمر بن يحيى المدني، من المحدّثات المذْكورات في كتاب الإنباء لابن حجر. كانت معروفةً ببنت الأعمى، اشتغلت بالحديث في مصرَ لفترة، تُوفّيت في أواخر عام ٧٩٣ه.

٦٤٤- فاطمة بنت أبي القاسم:

ابنةُ قاسم بن جعفر بن أبي طالب، حفيدة جعفر الصّادق أخي سيّدنا علي، وزوجة حمزة بن عبد الله بن الزبير، اشتهرت بأنّها متفرّدة عصرها في الحُسن والجَمال، وقد روي أنّ زوجها وهو في مرضِ موته أخطر زوجته بأنّه يتأسّف أشدّ الأسف على أنّها ستتزوّج بطلحة بن عمر بعد وفاته، فأقسمتْ له فاطمة بأنّها إنْ تزوّجت بأحد بعده ستجعل ماله كلّه صدقة، وستعتق كلّ عبيدها. ولمّا تُوفّي حمزة وانقضتْ عدّتها، طلبها طلحةُ المذكور للزّواج، ولكنّها أبتْ وأوضحت له أنّها أقسمت على كذا وكذا، فقال لها إنّها لو وافقت سوف ينفق ضعفَ ما أقسمت عليه، ثمّ تزوّجها، وأنجب منها ولدًا اسمه إبراهيم، وبنتًا اسمها رملة. وكان ابنها من أفضل النّاس، وابنتها أيضًا تزوّجت على صداق يُقدّر بمائة ألف دينار. حتّى أنّه قيل لزوجها طلحة لقد ربحتَ تجارة كبيرة بزواجك منها، لقد تزوّجتها على صداق ٤٠ ألف دينار، ودفعت ٢٠ ألف دينار كفارةَ يمينها، فأنجبت لك ذكرًا، وكسبت ٤٠ ألف دينارَ من زواج البنت من التّزيين.

٦٤٥- فاطمة بنت القاضي كريم الدين:

ابنةُ عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز. من المشاهير المذكورات في وفيات عام ٨٤٩هـ في إنباء ابن حجر، كان لها خمسُ أخوات. تُوفّي والدها في ربيع الأول ٨٠٧هـ، قاله ابن حجر.

٦٤٦- فاطمة بنت المثنى:

متصوّفةٌ جليلةُ القدر من الوليات اللاتي ذكرهنّ محيي الدّين بن عربي

في كتابه الفتوحات. ونُقل عن مولانا الجامي في كتابه النّفحات أنّ المذكور قال خدمت فاطمة بنت المثنى فترة طويلة، وكنت أستحي أنْ أنظر لوجْهها وهي في الخامسة والتّسعين من عمرها لجَمالها المفرط، فكانت تبدو وكأنّها في الرابعة عشرة من عمرها.

٦٤٧- فاطمة بنت محمد:

ابنةُ محمد بن عبد الرّحيم الأسيوطي. وأختُ الشّيخ جمال الدين، محدّثة، تلقّت علم الحديث على يد المحدّث المشهور الحجار، كانت وفاتُها عام ٧٩٣هـ. قاله ابن حجر.

٦٤٨- فاطمة بنت محمد:

محمّد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي. وهي أمّ يوسف محمد، كانت من محدّثات الشّام والصّالحية. كان والدها عمّ الحافظ شمس الدين ومحتسب الصّالحية، أخذت العلم عن الحجار والآخرين، كما حصلت منه على الإجازة، كما حصلت على الإجازة من محدّثي الشّام ومصر المختلفين. يقول ابنُ حجر قرأت عليها في الصّالحيّة الكثيرَ من الكتب والأجزاء الشّريفة.

٦٤٩- فاطمة بنت مرّة الخثعمية:

هي السّيّدة التي ذكرنا في ترجمة آمنة بنت وهب في صدر الكتاب أنّها عرضت نفسها على عبد الله والدِ الرسول ليتزوّجها. قال السّهيلي شارحُ سيرة ابن هشام أنّ اسمها فاطمة وقيل رقيقة وقيل ليلى. وعلى قول مَنْ قال فاطمة هي خثعميّة، وعلى قول مَن قال رقيقة هي أسديّة وهي أختُ ورقة بن نوفل. ومَنْ قال ليلى يقول إنّها عدويّة.

ولمّا تزوّج عبد الله بالسيدة آمنة بنت وهب غبطتْها فاطمة بنت مرّة، ونظمت القصيدة التّالية فيها:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم
أمينة للباه يعتلجان
كما غاد المصباح بعد خبوة
فتائل قد ميثت له بدهان
وما كان ما نال الفتى من نصيبه
بحزم ولا ما فاته بتوان

فاجمل إذا طالت أمرًا
فإنّه سيكفيكه جدان يصطرعان
إنّني رأيت مخيلة نشأت
فتلألأت بحناتم القطر
فلمّا أتاها نورًا يضيء به
ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد
وقعت به وعمارة القفر
ورأيتها شرف أبوه به
ما كلّ قادح زنده يوري
لله ما زهريه سلبت منك
الذي استلبت وما تدري

وهي قصدت بذلك انتقالَ النور الذي كان في جبين عبد الله إلى جبين آمنة بعد زواجه منها. يعتلجان مثنّى مضارع ويعني نقش الأرض. ميثت ماضٍ مجهول مؤنّث بمعنى اختلطت. حناتم أي السّحاب الأسود وهي جمع حنتمة. قطر بمعنى المطر. ويذكرُ الميدانيّ في كتابه الأمثال أنّ المذكورة ندمت على رفضها لعبد الله عندما وافقَ عليها في أوّل الأمر، ولمّا رفضته وعرضتْ نفسها عليه مرّة أخرى رفض هو وقال «قد كان ذلك مرّة، فاليومُ لا»، ويضرب به المثل في النّدم على الشيء.

٦٥٠- فاطمة بنت المنجا:

من مشاهير المحدّثات، كانت من أساتذة ابن حجر. ذكرها في كتابه (أنباء الغمر في أبناء العمر)، وقد أوضح أنّهم رووا عنها الكثير من الأحاديث.

٦٥١- فاطمة بنت نصر الله:

ابنةُ نصر الله بن أبي محمد بن محمد التلامي، أحد أقارب المحدّث ابن رافع. من المحدّثات المذكورات في وفيات عام ٧٧٤هـ في كتاب (إنباء ابن حجر). كانت سيّدةً خيّرة ومتديّنة. تُوفّيت في صفر من السنة المذكورة، أمّا ولادتها فكانت عام ٧١٠ هـ تقريبًا.

٦٥٢- فاطمة بنت يحيى العفيف:

ابنةُ عفيف بن عبد السلام بن محمد بن مزروع المضري البصري. محدّثة مذكورة في كتاب (إنباء ابن حجر) في وفيات عام

٧٩٨هـ أصبحت محدّثة بالإجازة التي حصلت عليها من أحمد بن علي الجزري، أختُها رقيّة المحدثة وقد عمّرت بعدها كثيرًا. قاله ابن حجر.

٦٥٣- فاطمة بنت يذكر:

ابنةُ يذكر بن عنزة من قبيلة بني نزار، وعشيرة عنزة متشعّبة منه، ويُقال له أيضًا عامر بن عنزة. نظمت في حزيمة بن فهد من عظماء قضاعة:

إذا الجوزاء أردفت الثريا
ظننت بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من همومي
همومًا تخرج الشجن الدفينا
أرى ابنة يذكر ظعنت فحلت
جنون الحزن يا شحطًا مبينا

ومذكور في الطبقة الثّالثة من طبقات العرب في كتاب تاريخ ابن خلدون نقلًا عن الأغاني أنّ حزيمة كان من شعراء الجاهلية، وكان مفتونًا بفاطمة المذكورة، ورغم أنّه تقدّم لوالدها طالبًا يدَها للزّواج إلّا أنّ والدها رفضه فقتلَه حزيمة ونظم:

فتاة كأنّ رضاب العبير بفيها يعل به الزنجبيل
قتلت أباها على حبّها فتبخل إنْ بخلت أو تنيل

وقد صار هناك قتال بين القبيلتين بسبب هذا، وقُتل حزيمة أيضًا. ولها ذكرٌ في كتاب أمثال الميداني في مثل (إذا ما القارظ العنزي آبا) حيث قال الميداني في شرح هذا المثل أنّ يذكر كان والدَ فاطمة وقد خرج في يوم هو وحزيمة إلى الصّحراء ليجمعا ورقَ القرظ، وقد وجداه في حفرةٍ عميقة، فأشار يذكر على حزيمة بأنْ ينزله إلى الحفرة ليجمع القرظ، وبعدها يسحبه، وبينما هو في الحفرة قال له حزيمة إنْ لم تزوّجني ابنتَك لن أخرجك من الحفرة، فرفض الرجل فغادرَ حزيمة المكان، وتركه في الحفرة فمات على حاله. والمثلُ القائل (لا آتيك حتّى يؤوب القارظان) المقصود به هنا رهم بن عامر بن عنزة حفيد يذكر. فقد خرج رهمٌ لجمع القرظ أيضًا، وطالت غيبتُه حتّى يئسوا من رجوعه، قال الهذلي:

وحتّى يئوب القارظان كلاهما وينشر
في القتلى كليب بن وائل

٦٥٤- فاطمة بنت اليسير:

ابنةُ أبي القاسم علي بن أحمد بن علي بن اليسير. وتُعرف أيضًا بستيتة، محدّثة من أساتذة الإمام السيوطي، أخذت الإجازة من أبي هريرة بن الذّهبي وشهاب أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الخليلي والتّقي أحمد بن محمد بن عيسى الياسوقي الدّمشقي وأحمد بن أبي العز بن صالح بن وهب الأذرعي الحنفي المعروف بابن أبي التّور وأحمد بن علي بن يحيى بن تميم الحسيني الدّمشقي. وقد ذكر هذا الإمام السّيوطي في كتابه المنجم في المعجم.

٦٥٥- فاطمة الجوزدانية:

فاطمةُ بنت عبد الله بن أحمد الجوزدانية. محدّثة من أشهر المحدثات، ابنةُ سعد الخير الأنصاري، وقد أخذت الحديث عنه.

٦٥٦- فاطمة شب صفا قادين:

من زوجات السّلطان عبد الحميد الأوّل. كانت تشتهر بصلاح حالها، وإجلالها ومحبّتها للسّلطان المشار إليه. كان السّلطان عبد الحميد الأوّل يقدّرها، وقد أمر ببناء جامع ومكتب في زيرك باسمها، وقد دُفنت في روضة الجامع المذكور.

٦٥٧- فاطمة الفقيهة:

ابنةُ الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد السّمرقندي المشهور صاحب كتاب (تحفة الفقهاء) من الكتب الفقهيّة المعتبرة. كانت معروفةً بصلاحها وتفقّهها، زوّجها أبوها بمولانا علاء الدّين الكاشاني، وقد أعدّ علاء الدين الكاشاني شرحًا لكتاب تحفة الفقيهة أسماه (بدائع الصّنائع في ترتيب الشرائع) وقرأت المذكورة كتابَ والدها على زوجها؛ لذا قيل في حقّ الكاشاني (شرح تحفته وتزوّج ابنته).

كان علاء الدّين السمرقندي وعلاء الدين الكاشاني وفاطمة يقيمون في منزل في كاشان، وكانوا يفتون النّاس، وعندما يعجز الكاشاني عن حلّ مسألة ما كان يعرضُها على زوجته. ومؤخّرًا انتقلا إلى حلب، وتُوفّيا هناك، ودُفنا

بجوار بعضهما في مكانٍ يُعرف بقبر المرأة وزوجها. وقد ذكرها علي القاري في طبقات الحنفيّة في كتابه (الآثار الجنيّة في الأسماء الحنفيّة). وقد رغبت فاطمة الفقيهة أنْ تعود إلى كاشان بعد أنْ أقامت فترةً في حلب، ولمّا قالت لزوجها، قال لها سأحصل على إذنٍ من سلطان البلاد الشّهيد نور الدين محمود، ولمّا ذهب إليه رجاه السّلطان المذكور في حلب ليعلّم النّاس، فقال له علاء الدين الكاشاني إنّ الرغبة في الذّهاب ليست رغبتي بل هي رغبة زوجتي، فأرسل السّلطان خادمًا من عنده إلى منزل فاطمة الفقيهة ليبلغها رسالة السّلطان ويرجوها بأنْ تقيم في حلب، ولمّا ذهب الخادم إلى منزلها دقّ الباب فلم تفتح له، وقالت له أنت غريبٌ عنّي، ولا يجوز النّظرُ إليك، فعاد الخادم، ولمّا أخبر السّلطان بما جرى أرسل السّلطان رسالته مع امرأةٍ، ولمّا رأت فاطمة الفقيهة رجاء السّلطان في بقائها في حلب، امتثلت لرغبته، وظلّت بها مع زوجها حتّى وفاتها.

ويذكر علي القاري أنّه كان من عادة فاطمة الفقيهة في شهر رمضان أنْ تقوم بإفطار كلّ الفقهاء الموجودين في حلب طوال الشّهر. ويقال إنّها ذات مرّة باعتْ أساورها الموجودة في يدها لتظلّ على تلك العادة، وظلّت هذه العادة مستمرّة في حلب حتّى بعد وفاتها.

ولأنّها كانت معروفة بحُسن الخطّ ذكرها مستقيم زاده في كتابه تذكرة الخطّاطين. وكان عندما يستفتيها أحدٌ في فتوى كانت تكتبُها وتوقّع عليها ثمّ تجعل والدها وزوجها يوقّعان عليها كشاهدَيْن، وبذلك كانت الفتوى تخرج من عندها موقّعة بثلاثة توقيعات.

٦٥٨- فاطمة النيسابورية:

كانت من المتصوّفات المذكورات في النّفحات، كانت من متصوّفات خراسان، ومعاصرةً لأبي يزيد البسطامي وذي النون المصري. كانت تقيم في مكّة المكرمة، وأحيانًا كانت تذهب لزيارة القدس الشريف ثمّ تعود إلى مكّة. يقول أبو يزيد البسطامي: رأيت في حياتي كلّها

رجلًا واحدًا وامرأةً واحدة؛ أمّا المرأة فهي فاطمة النّيسابورية، وكنت كلّما أسألها عن أي شيء في مقامات العارفين كنت أجدُ عندها علمًا به. كما شهد لها ذو النّون المصري بنفس الشهادة.

٦٥٩- أمّ البهاء فاطمة:

هي ستّ قريش التي ذكرناها في حرف السّين، من مشايخ الإمام السيوطي.

وتوجد فاطمةٌ أخرى هي ابنة الشيخ محمد الجزري، كانت حافظة ومحدّثة، كانت مثل أخواتها السّوابق التّرجمة عائشة وسلمى تلقّى العلمَ من وراء ستار. وهذا ما فُصّل في تاريخ خواجه.

وفاطمة بنت ربيعة والدةُ امرئ القيس.

وفاطمةُ أخرى كانت من أديبات الأندلس اشتهرتْ بحُسن الخطّ، وقد استخدمها الملك الحكم بن عبد الرحمن الثّالث في استنساخ الكتب.

فاطمة آني، وهي إنّنى فاطمة خاتون السّابقة الترجمة اشتهرت بالمخلص المذكور في حُسن الخط.

وتوجد عشرون صحابيّة باسم فاطمة كما أورد ابنُ حجر في الإصابة، منهنّ: فاطمة بنت الخطّاب أخت عمر بن الخطاب، أسلمت قبل عمر، وكانت متزوّجة من سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنة، ورد ذكرها في كتب السّير في قصة إسلام عمر.

وهناك أيضًا الفواطمُ المذكورات في حديث النّبيّ صلى الله عليه وسلم، حيث قال لعلي بعد أنْ أعطاه قطعة قماش (شقّها خمرًا بين الفواطم) يقصد فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد والدة علي، وفاطمة بنت حمزة ابنة سيد الشهداء، وفاطمة بنت عتبة بن ربيعة زوجة عقيل بن أبي طالب.

وقيل إنّ المقصود بالفواطم المذكورات في الحديث فاطمة بنت شيبة بن عتبة، وعلى حسب الرّواية الأولى هي أختُ هند بنت عتبة والدة معاوية، وعلى الثّانية هي ابنة عمّها؛ أمّا صاحب المشارق فيذكر أنّ المقصود بالفواطم هُم الثلاثة الأوائل فقط المذكورون،

أمّا صاحب القاموس فيذكرُ أنّ هناك سبعَ فواطم؛ واحدة قريشية، واثنتان قيسيّتان، واثنتان يمانيّتان، وواحدة أزديّة، وواحدة خزاعيّة. وهناك حديثٌ لرسول- صلّى الله عليه وسلّم- يقول فيه أنا ابنُ الفواطم، والمقصود بهنّ جدّات النّبيّ، وقد فصلنا ذلك في حرف العين في عنوان العواتك. ويقول الشاعر عبد الباقي- من مشاهير شعراء العراق المتأخرين- في حقّ سيّدنا علي:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا
ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا
لله درّ الفتيان منك فتى ضرع
الفواطم في مهد الهدى رضعا

وقد قام صاحبُ التّفسير الألوسي أفندي بشرح تلك القصيدة، وأضاف العديد من الفوائد عليها، وطُبع هذا الشّرح في مصر طبعة لا تليق بنفاسته.

٦٦٠- فاقرة:

هي زوجةُ مُرّة الأسدي، وقائلة المثل (خيرٌ قليل وفضحت نفسي) وسبب قول المذكورة لهذا المثل أنّ زوجها خرج مغتربًا وطالتْ غربته لسنوات، وكانت تعيّش من الدّواب التي عندها، وكان لديها عبدٌ أحبّته، وتاقت نفسُها أنْ تزني به، ولكنّها فكّرت في الأمرِ جيدًا فوجدت أنّها مخطئة، وقالت لها نفسها (يا نفسُ لا خيرَ في الشّر فإنّها تفضح الحرّة وتحدِثُ المعرّة). ولّما حدّثتها نفسها مرّة أخرى بارتكاب هذه الفاحشة تمالكت نفسها، وقالت (يا نفسُ موتةٌ مريحة خيرٌ من الفضيحة، وركوب القبيحة، وإيّاك والعار ولبوس الشّنار وسوء الشّعار ولؤم الدّثار)، وحدّثتها نفسها مرّة ثالثة بهذا الفعل فلم تتمالك نفسها وقالت (إنْ كانت مرّة فقد تصلح الفاسدة وتكرم العائدة). وتجرّأت على فعلِ هذا الجرم القبيح. وفي ذلك اليوم عاد زوجُها من رحلته، وكان ممّنْ يعرفون بأمور الكهانة فعلمَ من ريشة طير الغراب أنّ زوجته طوال تلك الفترة التي كان متغيّبًا فيها لم تزنِ، وأنّها الليلة فقط زنَت، فأسرع بجوادِه إلى بيته، ولّما اقترب من الباب سمع زوجته تقول (خيرٌ قليلٌ وفضحت نفسي)، ففهِمَ أنّها ارتكبت الزّنا، فدخل

البيت مرتعدًا ولم يتكلّم، فلم تفطنْ إلى وجوده من الظّلام فظنّته العبد، وقالت له: لماذا ترتعد؟ فلمّا أجاب علمتْ أنّه زوجها، وأنّه علم بالأمر، فقطعتْ شريانها من شدّة خوفها وصرختْ صرخةً وماتت، فقال مرّة:

لحــا الله ربّ النــاس فاقــرة ميتــة
وأهــون بهــا مـفقــودة حــين تـفــقد
لعمــرك مــا تعتــادني منــك لوعــة
ولا أنــا مــن وجد عـليــك مــسهد

ثمّ قتل العبدَ أيضًا.

٦٦١- فتنة:

جاريةٌ مغنّيةٌ للوزير العباسي المشهور جعفر بن يحيى البرمكي، لم يكنْ لها مثيل في الحسن والجمال وصنعة الغناء. بالرّغم من أنّ هارون الرشيد طلبها عدّة مرّات من جعفر إلّا أنه كان يرفض في كلّ مرّة متعلّلًا ببعض الأعذار. ولمّا ساءت الأمور بين البرامكة وبين هارون مؤخّرًا، وقُتل جعفر؛ أخذ هارون كلّ جواريه، وكانت فتنةُ من بينهنّ. ومذكور في بعض الكتب نقلًا عن كتاب المنظم لابن الجوزي أنّه ذات ليلة طلبَ هارون أنْ تحضر فتنة وأنْ تسمعه شيئًا مّا عندها، ولمّا ذهب إليها العبدُ لإحضارها ورفضت مزّق هارون رأسها بآلة العود التي كانتْ في يديها، ورغم وجود تكملة للقصّة، إلّا أنّني لن أوردها هنا لعدم معقوليّتها لأنّها لا تتناسبُ مع أخلاق هارون الرشيد.

٦٦٢- فخريّة بنت عثمان:

ذكرَ في طبقات المناوي أنّها سيدة جليلة القدر، عُرفت باسم أمّ يوسف البصريّة، كانت من زاهداتٍ وعابدات القرن السّابع. تركت متع الدنيا وتعلّقت بالآخرة، وكانت تذهبُ كلّ ليلة إلى المسجدِ الأقصى بالقدس تقف على بابه تظلّ تصلّي من الليل حتّى الصباح. وظلّت أربعين عامًا على هذا، ولأنّ صيتها ذاع بين الأطراف والأكناف؛ فقد كان أعيانُ عصرها يداومون ويحرصون على زيارتها لاستجلاب دعواتها، وكانت رغمَ ذلك لا تقبل شيئًا من أحدٍ قط. وقد كانت أمنيتها أنْ تموت في مكّة

وتُدفَن إلى جوار السّيدة خديجة، وحقّق الله لها أمنيتها، حيث تُوفّيت في مكة عام ٧٥٣هـ عن عمر يناهز ٨٦ عامًا، ودُفنت إلى جوار السيدة خديجة.

٦٦٣- فرحة:

من المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر، وهي ابنتُه أيضًا. ذهبت إلى الحجّ عام ٨٢٧ه مع زوجها الشّيخ محبّ الدين بن الأشقر، ولمّا عادت تُوفّيت في يوم الأربعاء الموافق التّاسع من شهر ربيع الآخر عام ٨٢٨هـ عن عمر يناهز ٢٣ عامًا وتسعة أشهر. وقد عوّض الله ابن حجر بها بنتيْن أُخريين هما رابعة وزين خاتون.

وكان لفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة الخارجي ابنةٌ بهذا الاسم أيضًا، كانت جميلةً للغاية، وفصيحة. ورغم أنّها كانت خارجيّة حروريّة إلّا أنّها تزوّجت بسيد الحميري بتشيّعها، وصورة نكاحِها مذكورة في ثمار القلوب كما ذكر في الأغاني.

٦٦٤- فَرَنْكيس بانو:

ابنةُ أفراسياب شاه توران من ملوك الفرس القُدامى الذي أشرنا إليه من قبل في عنوان سودابة في حرف السّين. زوّجها أبوها بالأمير سياوش بن كيكاوس ابن شاه إيران، وأنجبتْ منه ثالث السّلاطين الكيانيين كيخسرو. وفرنكيس بفتح الفاء والرّاء والنّون ساكنة، ونقل عن مؤيّد الفضل أنّ اسمها فريكيس بقلب النون ياء.

٦٦٥- فريدة:

مذكورٌ في كتاب الأغاني أنّ اسم فريدة كان لمغنّيتين مشهورتين في بلاد العرب؛ إحداهما كانت من الحجاز لولادتها ونشأتها هناك، وتعلّمت هناك فنّ الموسيقى بعدها إلى البرامكة في العراق، وقد فرّت المذكورة من منزل البرامكة بعد مقتل جعفر البرمكي. ورغم أنّ هارون الرشيد أمرّ بالبحث عنها كثيرًا إلّا أنّه لم يعثرْ عليها، ولكنّها بعد ذلك ذهبت إلى الخليفة الأمين، وبعد خلعه وقتله خرجت من قصر الخليفة،

وذهبت إلى هيثم بن مسلمة، وتزوّجته وأنجبتْ منه ابنَه عبد الله، وبعد وفاة هيثم تزوّجت بآخر وتُوفّيت وهي معه. كانت لديها ملكةٌ موسيقيّة كبيرة، ومن عجائب ألحانها هذا القول الذي أنشدته في الوليد بن يزيد:

ويح سلمى لو تراني لعناها من عناني
واقفًا في الدار أبكي عاشقًا حور الغواني

وتوجد فريدةٌ أخرى ذكرناها في عنوان خلّ في حرف الخاء، وهي جارية مشهورة أهداها المغنّي والشّاعر العباسي المشهور عمرو بن بانة إلى الخليفة الواثق بالله.

٦٦٦- الشاعرة فريدة:

من أديبات إستانبول، وردت في تذكرة فطين أنّها كانت قسطمونيّة الأصل، ثمّ انتقلت إلى استانبول. كانت ابنة حامي راشد أفندي وزوجةً لشخص يُدعى رائف أفندي من الكتاب. والأبيات التّالية لها مأخوذةٌ من تذكرة فطين:

فكّرت كثيرًا في تلك الليلة في حظي الأسود
وقد سامت كثيرًا في تلك الليلة من الظلم
تنهمر الدّموع من عيني على هجـــرك
وتخض كلّ جسمي الليلة من هجـــرك

٦٦٧- فُريعة:

بضمّ الفاء على وزن جهينة. وتوجد تسع صحابيّات بهذا الاسم منهنّ فريعة بنت عمرو بن خنيس، وهي والدةُ حسّان بن ثابت شاعر النّبيّ ﷺ. وقد كان حسان مشهورًا بنسبه إلى أبيه فقيل ابن ثابت ومشهورًا بنسبه إلى أمّه فقيل ابن فريعة. وفريعة بنت وهب الزهريّة وهي من خالات النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- على حسب ما قال ابن الأثير.

٦٦٨- فضة:

من المذكورات في النّفحات، كان لها كرامةٌ تشتهر بها، وهي أنّها كان لها نعجة تدرّ لبنًا وعسلًا. وقد قال الشّيخ ابن الربيع المالقي رغم أنّه كان ليس من عاداتنا زيارة النّساء إلّا إنّني لمّا سمعت بكرامة تلك المرأة ذهبت إلى قريتها لأزورها وأطّلع على فيضها وكرامتها. ولمّا ذهبت إليها قرأت عليها السّلامَ

وقلت لها سمعنا أنّ لديك نعجةً تدرّ لبنًا وعسلًا فهلّا نشاهدُها، فأحضرتها فضّة، فإذا بالنعجة تدرّ لبنًا وعسلًا. ولمّا سألتها عن قصّة تلك النعجة قالت كان لي زوجٌ صالح، ولم يكن لدينا إلّا نعجة واحدة، وأقبل العيدُ علينا فقال لي لنذبح النعجة في العيد، فقلت له ولكنّ الأطفال يشربون منها، وأنّنا نحتاج إليها، ولا يسقط عنّا فرض الأضحية، وفي ليلةٍ حضر إليَّ ضيفٌ ولم يكن لديْنا من الطّعام ما نطعمه به، فقلت لزوجي خذِ النّعجة واذْبحها لنكرم بها ضيفَنا، فقال لي ولكنّني أخشى على بكاء الأطفال لمّا يعلمون أنّني ذبحتها، فقلت له اذْبحها عند الجدار خلف البيت، ولمّا خرج سمعت صوت النعجة يقترب من البيت فتعجّبت وقلت في نفسي ما الأمر هل هربتِ النعجة من زوجي، ولم يتمكّن من ذبحها لأخرج وأطّلع على الأمر، فخرجتُ فإذا بالنعجة تسيرُ بعد أنْ ذبحت، فقلت لقد أبدلنا الله بها بالنّعجة الأخرى، وها هي تلك النّعجة تدرّ لنا لبنًا وعسلًا. ولمّا رأى ضيفنا ذلك قال لنا يا أبنائي، إنّ تلك النعجة سترعى في قلوب المريدين، فإنْ كانت قلوبُهم طيبة سيكون لبنُها طيبًا، وإن كانت قلوبُهم سيئة سيتغيّر لبنُها. وقد سأل الإمام الشّافعي مَن المقصود بالمريدين هنا، فقال الإجابةُ- والله أعلم- هي الزّوجة وزوجها، فقد ذكَرَ ذلك على الإطلاق بلفظ يدلّ على العموم مع إرادةِ التّخصيص. والمقصود هنا الحثّ على تطييب القلب لأنّ القلب الطيب يحصل على كلّ ما هو طيّب من الأسرار والأنوار.

٦٦٩- فضّة النبويّة:

هي فضّة المذكورة في قصّة السيدة فاطمة، صحابيّة جارية، وقد ذكرت أيضًا في سببِ نزول آية يوفون بالنذر.

٦٧٠- فضل:

هي فضلُ، الشّاعرةُ التي ذكرت في ترجمة الشّاعرة الجارية بنان التي كانت من جواري الخليفة العباسي المتوكّل، وقد روى ابن ظافرٍ أنّ الخليفة المتوكّل نظم ذاتَ يوم بيتًا هو:

لاذ بها يشتكي إليها فلم يجد عنها ملاذا

وطلب منها أنْ تنظم نظيرَه فقالت على الفور:

ولم يزل ضارعًا إليها تهطل أجفانه رذاذا

فعاتبوه فزادَ شوقًا فمات عشقًا فكان ماذا

ولمّا سُرّ المتوكل من الأبيات أمرها بتلْحِينها وأعطاها ٢٠٠ دينار، ورذاذ بمعنى المطر الخفيف. وذات يوم نظم أحدُ الشّعراء هذا البيت:

ومستفتح باب البلاء بنظرة

تزود منها قلبه حسرة الدهر

فردّت عليه مرتجلة:

فوالله ما تدري بما جنت

على قلبه أمْ أهلكته ولا تدري

وفضلُ اسمُ شاعرةٍ عباسيّة أيضًا، كانت محبوبةَ الشّاعر والكاتب سعيد بن حميد. وقد ذكر صاحبُ الأغاني أنّها كانت فريدة عصرها في حُسن الخطّ والشّعر والفصاحة. والأبيات التّالية نظمَها في أحد المجالس من باب الاعتذار لها:

يا منْ أطلت تفرّسي في وجهه وتنفسي

أفديك من متدلّل يزهو بقتل الأنفس

هبني أسأت وما أسأت بلى أقول أنا المسيء

أحلفتني أن لا أسارق نظرة في مجلس

فنظرت نظرة مخطئ أتبعتها بتنفس

ونسيت أنّي قد حلفت فما يقال لمنْ نسي

فنظمت المذكورة الأبيات التّالية التي تومئ إلى أنّها عفَتْ عنه:

عاد الحبيب إلى الرّضا فصفحت عمّا قد مضى

من بعد ما بصدوده شمتَ الحسود وحرّضا

تعسَ البغيض فلم يزل لصدودنا متعرّضا

هبني أسأت وما أسأت وإن أسأت لك الرّضا

ولمّا علمت أنّ سعيد مالَ إلى فتاة من قبيلة جنكي نظمت الأبيات الخمسة التّالية وأرسلتها إليه:

يا عالي السّن سيئ الأدب شبت

وأنت الغلام في الطرب

ويحك إنّ القيان كالشرك المنصوب

بين الغرور والعطب

لا تصدين للفقير ولا يط

لبن إلّا معادن الذهب
بينا تشتكي هواك إذ عدلت
عن زفرات الشكوى إلى الطلب
تلحظ هذا وذا وذاك وذي
لحظ محبّ وفعل مكتسب

فكتب سعيد بن حميد إليها الأبيات التّالية يسترضيها، ويطلب العفو منها:

تعالي تجدّد عهد الرضا
ونصفح في الحبّ عمّا مضى
ونجري على سنة العاشقين
ونضمن عني وعنك الرضا
ويبدل هذا لهذا هواه
ويصبر في حبّه للقضا
ونخضع ذلًّا خضوع العبيد
لمولى عزيز إذا أعرض
فإنّي مذلج هذا العتاب
كأنّي أبطنت جمر الغضب

وقد ذكر صاحبُ فوات الوفيات أنها كانت شيعيّة، ولها منزلة بين الحكام، لذا كانت تحمي الشيعة، وتعينهم على قضاء حوائجهم. وقد أورد أيضًا أنّ الأبيات التّالية من نظمها:

إنّ المطيّة لم يلذ ركوبها
ما لم تذلل بالزمام وتركب
والحبّ ليس بنافع أربابه
ما لم يؤلّف بالنظام ويثقب

وقد نظمتها ردًّا على الأبيات التّالية التي نظَمَها أبو دلف العجلي:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم
أشهى المطي إلى ما لم يركب
كم بين حبّة لؤلؤ مثقوبة
من بين حبّة لؤلؤ لم تثقب

تُوفّيت المذكورة عام ٢٦٠ هـ. والبيتان التّاليان من الأبيات المذكورة في المجلد السابع من كتاب الأغاني نظمتها فضلُ في عشقِ سعيد بن حميد:

الصّبر ينقص والسقام تزيد
والدّار دانية وأنت بعيد
أشكوك أمْ أشكو إليك فإنه
لا يستطيع سواهما المجهود

٦٧١- فضل المدنية:

أديبةٌ من أديبات الأندلس المشاهير كما ذكرنا من قبل في عنوان علم المدنية، انتقلت إلى الأندلس من شرق بلاد العرب، تعلّمت في بغداد، لأنّها كانت جارية عند إحدى بنات هارون الرّشيد، ثمّ ذهبت بعد ذلك إلى المدينة المنورة، وهناك تلقّت تعليمَ الغناء على يد المهرة فيه، واشتهرت بالمدنية. وكان انتقالها إلى الأندلس بعد أنْ أصبحت ماهرةً في الغناء والموسيقى. ولأنّها اشتهرت بالعلم مع علم المدينة اشتراهما الأمير عبد الرحمن بن الحكم أمير الأندلس.

٦٧٢- فطنت:

ابنةُ شيخ الإسلام محمد أسعد أفندي ابن إسماعيل أفندي الذي تولّى المشيخة عام ١٢٦١هـ، وليس محمد أسعد أفندي ابن عبد الله وصاف أفندي. وأختُ شيخ الإسلام محمد أسعد أفندي بن محمد شريف أفندي الذي تولّى المشيخة بعد أسعد أفندي بن وصاف عام ١١٩٢هـ. كانت شاعرة مشهورة اسمها زبيدة. تزوّجت بدرويش أفندي من أصحاب المناصب العلميّة في عهد السّلطان عبد الحميد خان الأول. ورغم أنّ درويش أفندي لم يكن صاحب علم ومعرفةٍ مثل فطنت إلّا أنّها تولّت منصب قاضي عسكر الرّوملي ونقابة الأشراف في عهد السّلطان سليم خان الثّالث. كانت فطنت من الذين اشتهروا في عهد راغب باشا، ولكنّها تربّت في أوائل عهد السّلطان عبد الحميد الأول، وتولى أخوها محمد شريف أفندي المشيخة في عهده أيضًا. وقد ذكر في تاريخ جودت أنّ شيخ الإسلام المذكور انتقل إلى منزل فطنت خانم للإقامة فيه عندما كان شيخًا للإسلام.

كما كان أخوها شريف أفندي صاحب ملكةٍ شعريّة فقد كان قادرًا على النّظم بالتركيّة والفارسية.

٦٧٣- فطنت خانم:

هي فطنت خانم من مشاهير شاعرات عصرنا، كانت ابنةَ أحمد باشا ابن الخزينة دار الذي اشتهر بتوليه ولاية طرابزون

بشكل دائم. وُلدتْ في طرابزون في الثّالث والعشرين من شهر شوال عام ١٢٥٨هـ وقت صباوتها هناك، ووفدتْ إلى استانبول عام ١٢٦١هـ وتعلّمت بها، وبذلتْ أمّها جهدًا كبيرًا في تعليمها، حيث تعلمت على يدِ فندق حافظ أفندي من معلّمي المدرسة الرّشدية، فحفظت القرآن على يديه، وتعلمت العربيّة والفارسيّة على يد خواجه لطيف أفندي. وتعلّمت الديوان على يد خواجه شاكر أفندي قاضي مصر السابق. وتعلّمت خط الثّلث على يد عثمان أفندي الأرضرومي. كما تعلّمت الرقعة على يد الكاتب علي شكري أفندي. ورغم أنها تزوّجت في سنّ صغيرة للغاية، إلّا أنّ والدتها بذلتْ جهدًا كبيرًا في إكمال تعليمها. وقد تزوّجت للمرّة الثّانية بمحمد علي ابن أفندي كاتب نظارة البحريّة، وهي إلى الآن في عصمته.

ولها الكثيرُ من الأعمال الأدبيّة المنظومة والمنثورة، كما اشتهرت بالفراسة الخارقة، ومحاكمتها في المسائل العقليّة والفكريّة تحير العقول، وحتى الآن لم يتمّ طبع الكثير من أعمالها.

٦٧٤ - فكهة بنت زيد:

ابنةُ زيد بن كلدة بن عامر بن زريق، سيدة حرّة من بني زريق، لها قصّة محكيّة في ترجمة حالِ أحيحة بن الجلاح بالمجلد الثّالث عشر من الأغاني، فقيل إنّ أبا كرب بن حسان بن أسعد الحميري من تباعة اليمن في عهد الجاهليّة القريب من الإسلام كان قد خرج من اليمن قاصدًا بلاد العرب فتوقّف في المدينة المنورة وترك ابنَه هناك، وذهب هو إلى الشّام ومنها إلى العراق، وقد غدر أهالي المدينة بابنه وقتلوه، ولمّا علم الرجل عادَ من فوره وقرّر الانتقام من أهالي المدينة، ولمّا وصل المدينة عسكر، ومنْ معه فوق جبل أُحد، وأمر بحفر بئر، وهي البئر المعروفة الآن باسم بئر الملك، ولمّا كانت مياهها غيرَ مستساغة، أحضرت له فاكهة صاحبة التّرجمة حملة حمارين من المياه من البئر المعروفة باسم رومه

الواقعة على مقربة من المدينة، وقد ابتهج أبو كرب كثيرًا من صنيعها فقال لها يا فاكهة ليس معي الآن ذهب أو فضة أكافئك به، ولكنْ عندما ترحل من هنا كلّ ما تتركُه سيكون لك، وأصبحت بذلك ثريّة للغاية، وقيل إنّ بني زريق كلّهم لم يوجد من بينهم فقير حتّى عصر الإسلام بسبب تلك الأشياء التي حصلت عليها فاكهة.

٦٧٥- فكيهة بنت قتادة:

سيّدةٌ من قبيلة قيس بن ثعلبة. وهي صاحبةُ المثل القائل أوفى من فكيهة، وسبب المثل أنّها أخبرت شخصًا يُدعى سليك، وهو شاعرٌ لصّ كنّا قد ذكرناها في عنوان زبيبة وسلكة من قبل، أخبرتْه بأنّ قبيلة بكر بن وائل مستعدّ له حيلة لقتله، ولمّا علم سليك بالأمر من فكيهة شكرها على صنعها، وضرب المثل بها في الوفاء. وقد نظم سليك في فكيهة يثني عليها جزاءَ ما قامت به معه:

لعمر أبيك والأنباء تُمنى
لنعم الجار أخت بني عوارا

عنيت بها فكيهة حين قامت
كنصل السيف فانتزعوا الحمارا

من الخفرات لم تفضح أخاها
ولم ترفع لوالدها شنار

وكان سليك المذكور مشهورًا بين العرب بالسّرعة في الجري، والسّرعة في الإغارة، وضُربَ به المثل في العدو أي الجري، فقيل أعدى من سليك وأعدى من الشّنفري.

وتوجد أربعُ صحابيّات أيضًا باسم فكيهة، ومذكورٌ في تاريخ الكامل أنّ فكيهة كان اسم زوجةٍ من زوجات سيدنا عمر.

٦٧٦- فورك:

زوجةُ بهرم كور، ابنةُ راي قونج أحد شاهاتِ الهند، زوجها بهرام من الطبقة الرابعة لملوك الفرس القدامى، وقد لقّب بكور لكثرة صيدِه للحمار الوحشي الموجود في بلاد فارس والمعروف باسم كور. عاشت مملكة فارس في عهدِه فترةَ رخاء وعمران كبيرَين.

ويوجد أيضًا من الإيرانيّين بهرام جوبين، ولم يكنْ من الملوك بلكان قائد للجيش لهرمز بن أنوشروان، ولأنّه كان ضعيف البنية لقّب بجوبين، ونفس اللّفظ يستخدم أيضًا عندنا للضّعفاء.

٦٧٧- فوز:

هي فوزُ التي قال فيها الشّاعر المشهور عباس بن الأحنف:

ألا قدمتْ فوز فقرّت عين عباس

كانت من جواري الدّولة العباسيّة المشاهير. كانت جارية لمحمد بن المنصور المعروف بفتى العسكري، وقد انتقلت مؤخّرًا إلى البرامكة وأصبحت مدبّرة. ومدبّرة هي الجارية التي يعلّق عتقها بوفاة صاحبها.

وقصّتها بأكملها بأشعارها موجودة في المجلّد الخامس عشر من الأغاني.

حرف القاف

٦٧٨- قادينجق آنا:

ذكرَ في الشّقائق النّعمانيّة أنّها كانت صالحةً من قدماء نساء الرّوم، وكانت صاحبة ولاية.

٦٧٩- قاسم:

وردتْ في ترجمة أنيس العارفين لتاجي زاده جعفر جلبي بأنّها كانت جاريةً، ومحبوبةَ أبي حاتم خازن الخليفة المستعصم العباسي. وقد اشتراها أبو حاتم بستّين ألف درهم.

وكان الخليفة المستعصم قد أمر أبا حاتم بصرْف مبلغ ٦٠ ألف درهم لأحد شعراء العصْر، ولم يعطِ أبو حاتم المبلغ المذكور للشّاعر بل أخذَها لنفسه واشترى بها الجارية قاسمَ صاحبةَ التّرجمة، فنظم الشّاعر البيتيْن التّاليين مخاطبًا أبا حاتم:

تنصفني يا أبا حاتم
أو لتصيرنّ إلى حاكم
ستون ألف في شرى قاسم
من مال هذا الملك النائم

ولأنّ الأبيات كان بها تعريضٌ بالخليفة غضبَ لمّا قرأت أمامه، وسأل حاجبه مَنْ نظم تلك الأبيات فقال له الحاجب إنّه الشّاعر الذي أحسنتَ عليه بالعطيّة من قبل يا مولاي ولم يتمكّن منْ أخذها. فقال ومَنْ قاسم تلك؟ فقال الحاجبُ إنّها جاريةُ أبي حاتم الخازن، فقال الخليفة: ومَن الملك النّائم؟ فخجل الحاجب أنْ يجيب، ففهِمَ الخليفة أنّه المقصود؛ فعزل أبا حاتم من منصبه.

ومِن المعلومات الأدبيّة المناسبة لهذا المؤقف تلك الحادثة التي جرت مع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حيث طلب المذكورُ من وزيره أبي الفضل ربيع أنْ يبحث له عن رجلٍ عاقل يرافقه في رحلته إلى المدينة، يكونُ واقفًا بأحوال وأوضاع المدينة، لأنّ الخليفة سيسأله عن بعض الأشياء. واختار أبو الفضل شخصًا من خيرة الرّجال، ورافق المذكور الخليفة أبا جعفر المنصور في رحلته، وقد سُرّ الخليفة جدًّا من تصرّفات هذا الرجل، حيث كان لا يتكلّم إلّا إذا سأله الخليفة فقط. وإذا أجاب كان يجيبُ إجابة وافية شافية، فأمر له الخليفة بعطية، ولأنّ تلك العطيّة تأخّرت، أراد الرجل أنْ يشير للخليفة عن تأخّر صرفها له، وبينما هما سائران في المدينة وصلا أمام بيت عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، فقال الرجل للخليفة مِن دون أنّ يسأله: يا أميرَ المؤمنين، هذا بيت عاتكة التي قال فيها الأحوص بن محمد الأنصاري:

يا بيت عاتكة الــــذي أتـغزّل حذر العــــدا وبــــه الـفؤاد مـوكل
إنّــي لأمنحـك الصــدود وإنّــي قسمًــا إليك مـع الصـدود لأمْيل

ولمّا وجد الخليفة أنّ الرجل أجاب دون أنْ يوجّه له السّؤال، ونظم تلك القصيدة، كرّر الخليفة القصيدةَ المذكورة كلّها في عقله، ولمّا وصل البيت القائل:

وأراك تـفعل ما تقــول وبعـضـهم مـذق الـحـديث بـقـول مـا لا يـفـعـل

أدرك أنّ للرجل مطلبًا، ولمّا استخبر عن الأمرِ علم أنّه لم يأخذ العطيّة التي

أمر له بها، فطلب مضاعفةَ العطيّة وسرعة منحه له.

٦٨٠- قبة الدياج:

هي أمّ حكيم بنت عبد المطلب التي أشرنا إليها في المجلد الأوّل، ومَنْ قال بأنّها أمّ حكيم المبرد في الكامل، وقد لُقّبت بهذا اللقب لنعومة بدنِها.

٦٨١- قبيحة:

جاريةٌ روميّة للخليفة العباسي المتوكل، وهي أمّ ولدِه المعتز. وقد أسماها المتوكل قبيحة لكمالِ حُسنها، وهي مِن باب التسمية بالضّد، اشتهرتْ بفطنتها وتعقّلها، واعتبارها عند المتوكل. وذاتَ مرّة أغضبت المتوكلَ فنزف دمًا من غضبه فأرسلتْ إليه جاريةً وفي يدها كأسٌ به ورقة مكتوب بها الأبيات التالية:

قطعت عرقًا تبتغي صحة
أبقاك الله به العافية
فاشرب بهذا الجام يا سيدي
مستمتعًا من هذه الجارية
واجعل لمن أهداكها حصة
يحظى بها في الليلة الآتية

وسعِدَ المتوكّل من هذا الكلام وقبل الجارية، وفي اليوم التّالي أرسل خمس جوارٍ ومعهنّ ٥٠٠٠ قطعة ذهبيّة لقبيحة، فقالت له قبيحة: يا أمير المؤمنين، ليلةٌ معك تساوي الدنيا وما فيها، فكيف أقبلُ بهذا المتاع الدنيوي. وأعادت المالَ إليه. كانت وفاتها عام ٢٦٤هـ. ولمّا خلع ابنها المعتزّ من العرش اختفى فترة، ولمّا ظهر من جديدٍ على السّاحة جمع الجنود حولَه، ولمّا ضيّق الجنود الأمر عليه بطلب رواتبهم لم يكنْ في الخزينة أيّة أموال طلب من والدته أنْ تُقرضه الأموال لإنقاذه من تلك المُصيبة فلم تجبْه، اختفت لفترةٍ ثمّ أقامت في مكة لفترةٍ، بعدها عادت إلى سامراء وتوفّيت بها. وقد وردتِ المذكورة في خطط المقريزي ومسامرات محيي الدّين (فتحية) خطأ مطبعيًّا.

٦٨٢- قتيلة بنت النضر:

ابنةُ نضر بن الحارث العبدري من أبناء عبد الدار. سيّدةٌ شاعرة من شاعرات العصر النّبوي، كان والدُها النّضر من

أشدّ أعداء النّبي، وقد قُتل في غزوة بدر، فقالت قتيلة الأبيات التّالية في مقتله:

يا راكبًا إن الأثيل مظنّة من
صبح خامسة وأنت موفق
بلّغ به ميتًا فإنّ تحية
ما إنْ تزال بها الرّكائب تخفق
منّي إليه وعبرة مسفوحة
جادت لما تحتها وأخرى تخنق
فليسمعنّ النضر إن ناديته
إنْ كان يسمع ميت أو ينطق
ظلّت سيوف بني أميّة تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
قسرًا يُقاد إلى المنيّة متعبًا
رسف المقيد وهو عام موثق
أمحمّد ولأنت نجلٍ نجيبة
من قومها والفحل فحلٌ معرق
ما كان ضرّك لو أمنت وربّما
منّ الفتى وهو المُغيظ المحنق
والنّضر أقرب من أصبت وسيلة
وأحقّهم إنْ كان عتق يعتق

وهذه الأبيات مذكورةٌ في باب المراثي في ديوان الحماسة، وفي بعض كتب السّيَر الأخرى. وأثيل على حسب قول المرزوقي شارح القصيدة اسمُ مكانٍ مدفون به نضر المذكور، وقوله من صبح خامسة على تقدير من صبح ليلة خامسة، بلغ به الضمير عائدًا على أثيل، والباء بمعنى في، وبلغ مفعول ثان، وقوله فإنّ تحيّة محذوف الدلالة، والبيت الثّاني وما بعده مربوط على ما قبله من حيث المعنى، وما إن تزل ما نافية وأن زائدة، منّي إليه حرفُ جر مقدّر متعلّق بفعل أوصل، وعبرة بفتح العين بمعنى الدّمع، ماتح أي ساقي المياه، معرق على وزن محسن بمعنى الأصيل، مغيظ بضمّ الميم على وزن مبيع بمعنى الغضب، محنق اسم مفعول من الحنق أي الغضب.

وتوجد خمسُ صحابيّات أخريات باسم قتيلة. وقتيلةُ بنت قيس أختُ الأشعث بن قيس، وقال صاحب المواهب إنّها ممّنْ تزوّجها النبي ﷺ.

٦٨٣- قدامة:

هي قدامةُ المذكورة من قبل في حرف الزّاي على أنّها من جدّات زينب بنت

عبد الرحمن. وهي أمّ عبد الله بنتُ الشيخ شمس الدين أبي الفرج بن عمر. كانت سيدة من أرباب العلم والورع.

٦٨٤- قدور:

ابنةُ قيس بن شيباني، وهي قائلة المثل (ماء ولا كصداء) على قول شارح القاموس. وقد ذكرَها داود الأنطاكي في حرف الغين باسم غدور.

٦٨٥- قرّة:

وردَ في كتاب ابن ظافر أنّها كانت من شاعرات نساء العرب، اشتهرت بلطافة القدّ والطّبع. من أرباب العلم، وقعتْ بينها وبين الشّاعر دعبل الخزاعي مشاعرة مرتجلة، فقد قابَلَها الشّاعر المذكور ذاتَ يوم وقال لها البيت التالي:

دموع عيني لها انبساط
ونوم عيني به انقباض

فقالت قرّة بلا تفكّر:

وذا قليل من دهته
بسحرها الأعين المراض

فنظم دعبل:

فهل لمولاي عطف قلب
أو للذي في الحشى انقراض

فردّت عليه قرّة:

إنْ كنت تبغي الوصال منّا
فالوصل في ديننا قراض

٦٨٦- قرة العين:

هي الجاريةُ أرجوان، معتوقةُ القائم بأمر الله العباسي، وأمّ ابنه المقتدي بالله، كانت سيدة صالحةً صاحبةَ خيرات، حجّت عدّة مرّات، ولها في مكّة والمدينة أبنية خيريّة كثيرة. عمّرت المذكورة كثيرًا، فرأتْ أربعة أجيال من أولادها. فقد عاصرت سلطنة ابنها المقتدي وابنه المستظهر وابنه المنصور المسترشد، كما لاعبت أبناءَ المسترشد وهو ابنُ حفيدها، وتُوفّيت في عام ٥١٢هـ. من الواقي.

ويذكر مولانا محيي الدين في المسامرات أنّ ذاتَ مرّة وهو يطوف إذا بشيء يجول بخاطره فيجعله ينسلخ عن الناس ويجلس على مكانٍ مرتفع، وتذكّر بعض الأبيات التّالية فقالها وهو يبكي:

ليت شعري هل ردّوا أيّ قلب ملكوا
وفؤادي لو درى أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا أمْ تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى في الهوى وارتكبوا

ولّما انتهيت إذا بفتاةٍ جيلة للغاية من بنات الرّوم تقف خلفي كانت في جمالها تفوق كلّ النّساء، وفي علمها وأدبها أيضًا. وطلبتْ منّي أنْ أعيدَ تلك الأبيات مرّة أخرى، وأظهرتني مخطئًا في كلّ ما قلت، فلّما انتهت من كلامها معي سألتها ما اسمك؟ فقالت قرة العين. فقلت لها أنت قرّة عيني أنا، ونظمت فيها القصيدة التالية:

من كلّ فاتكة الألحاظ مالكة
تخالها فوق عرش الدّر بلقيسا
إذا تمشّت على صرح الزجاج
ترى شمسًا على فلك في حجر إدريسا
يحيي إذا قتلت باللّحظ منطقها
كأنّها عندما تحيي به عيسى
توراتها لوح ساقيها وأنا أتلو
وأدرسها كأنّني موسى
أسقفة من بنات الروم راهبة
ترى عليها من الأنوار ناموسا
وحشيّة قد اتّخذت أنس قد اتخذت
في بيت ناموسها للذكر ناووسا
قد أعجزت كلّ علّام بملتنا
وداوديا وحبرًا ثمّ قسيسا
إنْ أومأت تطلب الإنجيل تحسبها
أقسة أو بطاريقًا شماميسا
ناديت إذْ رحلت للبين ناقتُها
يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا
عبيت أجناد صبري يوم بينهم
على الطّريق كراديسًا كراديسا
سألت إذْ بلغت نفسي تراقيها
ذاك الجمال وذاك اللّطف تنفيسا
فأسلمت ووقانا الله شرّتها
وزحزح الملك المنصور إبليسا

وقرّة العين أيضًا اسم صحابيّة وهي والدة الصّحابي عبادة بن الصّامت. وقيل إنّه كانت توجد شاعرة فارسيّة

بهذا الاسم في عهد الشاه محمد المعاصر لعهد السّلطان محمود الثاني عندنا.

٦٨٧ - قضيب البان:

جاريةٌ، شاعرةٌ ومغنّية من العصر العباسي، كانت مملوكة لأحد الجار ويُدعى أبو الحسن، والأبيات التّالية لها مذكورة في كتاب أخبار الدّول، حيث تغنّت بها في حضور هارون:

يـا مقيمـاً مـدى الزمـان بقلبـي
وبعيـدًا بشـخصه عـن عيـاني
أنـت روحـي إذ كنـت لسـت أراهـا
فهـي أدنـى إليّ مـن كلّ دان

٦٨٨ - قَطام:

بفتح القاف وكسْر الميم قطام بنت شحنة من أهالي الكوفة من طائفة الخوارج الباغية، كانت جميلةً، وقيل في حقّها:

أتاركة تدلّلها قطام رضينا بالتحيّة والسلام

ولأنّ أبا المذكورة وأخاها قُتلا على يد علي في موقعة نهاوند أضمرتْ قطام الحقدَ والبغضَ لعليّ بن أبي طالب، وقرّرت قتله، ولمّا ذهب عبد الرحمن بن ملجم إلى الكوفة، ورأى قطام فُتنَ بها، وصرّح لها بأنّه يريد الزّواج منها فقالت له إنّ مهري غال. فقال لها ما مهرك؟ فقالت ٣٠٠٠ ذهبيّة وجارية وعبدٌ ورأس علي. فوافق الرّجل وأعطاها المال والعبد والجارية، وعقدَ النيّة على قتل علي، وتمكّن من ذلك بمساعدة وردان ابن عمّ قطام، وشخص يُدعى شبيب بن بحرة الأشجعي. والأبيات التّالية من أبيات الخوارج توضح القصّة:

ولم أرَ مهـرًا سـاقه ذو سـماحة
كمهـر قطـام مـن فصيـح وأعجـم
ثلاثـة آلاف وعبـد وقينـة
وقتـل علـيّ بالحسـام المصمـم
فـلا مهـر أغلـى مـن علـيّ وإنْ غـلا
ولا فتـك إلّا دون فتـك ابـن ملجـم

والأشعار المذكورة وردت بها أخطاء مطبعيّة كثيرة في صحائف الأخبار.

وورَدَ في المجلّد الرّابع عشر من كتاب الأغاني قصّة قطام مع كثير حبيب عزّة

الوارد ذكره من قبلُ في ترجمة عزة؛ حيث ذهب كثيرٌ إلى الكوفة ونوى أنْ يعثر على قطام ويوبّخها على أنّها كانت سببًا في مقتل علي، ولمّا رآها قال لها أنتِ قطام صاحبة ابن أبي طالب؟. فقالت أنا قطام صاحبة ابن أبي ملجم. فقال لها وأنتِ كنت سببًا في قتل علي؟ فقالت لا، هذا أجله. فقال كثير: والله إنّني كنت أرغبُ في رؤيتك من قبل، وكنت أحسبُك أجلَ من هذا، ولكنِ الآن وبعد أنْ رأيتك سقطتِ من نظري، فقالت له قطام والله أنتَ أيضًا قصيرُ المنظر عريض القفا قبيح (تسمع بالمعدي خير من أنْ تراه) فقال كثير:

رأت رجـلًا أودى السفـار بـوجهه
فـلـم يبـق إلّا مـنـظر وجـنـا جـنن

فقالت له قطام ألست أنت كثير عزة، فقال نعم، فقالت الحمدُ لله أنك نزلت إلى هذه الدرجة، فقال لها كثير مفتخرًا بعزّة وأنّها كانت سببًا في شهرته الشّعريّة وذكره عند الملوك:

فـما روضـة بالحـزن طيـبة الثـرى
يمـــجّ النّدى جثجاثها وعرارها
يـا طيـب مَـــن أرد أنّ عـزة موهنـا
وقـد أوقـدت بالمنـدل الرضـب نارهـا

فقالت له قطام والله لم أرَ ناقصَ العقل سيّئ الشّعر مثلك، ألم تسمع لقول امرئ القيس حينما أراد أنْ يمدح محبوبته:

ألم تريـاني كـلّمـا جئـت طارقـا
وجـــدت بهـا طيّـا وإنْ لم تتطيب

أي أنّه قال إنّ حبيبته هي أصل الطيب، أمّا أنت فحصرتها بالمسك والعطر فقط. فخجل كثيرٌ وقال:

الـحـقّ أبـلـج لا يحيـل سبيلـه
والـحقّ يـعرفـه ذوو الألـبـاب

ثمّ انصرف. والبيت المذكور من القصيدة التي ذكرتها في عنوان أمّ جندب في المجلد الأوّل، وقد نظم أبو الطيب المتنبي بيتًا مشابهًا له فقال:

أتـت زائرًا مـا خامر الطيب ثوبها
والمسـك مـن أردانها يتـضوع

وقولُ المتنبي أبلغ من قول امرئ القيس، لأنّ المسك أطيبُ أنواع الطيب، وتقول العرب (لا طيب إلّا المسك).

٦٨٩- قطر الندى:

اسمُها أسماء ابنة أبي الجيش خمارويه من الأمراء العباسيّين. عُرفت بهذا الاسْم لكمال حُسنها، كانت أديبةً بديعةَ الجمال، وصاحبةَ فضلٍ وكمال، تزوّجها الخليفة المعتضد بالله العباسي.

والدُها- وكما ذكرناها في عنوان عباسة- كان ابنًا لحاكم مصر أبي العباس أحمد بن طولون. كان أحمد بن طولون قد ولِيَ حكمَ مصر في عهد المعتزّ بالله العباسي، ولمّا تُوفي خلفه ابنُه خمارويه برأي أهل النفوذ والأعيان، وذلك في عهد المعتمد على الله. وقد تغلّب خمارويه على أعدائه وتفرّد بالحكم في مصر والشام، ولمّا تُوفّي المعتمد على الله، وتولّى ابنُه المعتضد بالله ذهبَ إليه خمارويه بالهدايا الكثيرِ ليثبّت أركانَ حكمه في مصر، وزاد مِن هذا أنْ طلب من الخليفة أنْ يزوّج ابنه المكتفي بالله بابنته قطر النّدى، ولمّا رآها الخليفة المعتضد قال له ليس لابني بل لي، وتزوّجها المعتضد بالله على صداقٍ يقدّر بمليوني درهم فضي، أي ما يعادل ٤ ملايين قرش، وكان ذلك عام ٢٨١هـ. ولمّا أرادت خالتُه عباسة بنت أحمد أنْ تخرج من مصرَ خرج معها خمارويه ليشيّعها إلى حدود مصر، ولأنّها استقرّت لفترةٍ في مكان أسس لها قريّة هناك باسمِها، ثمّ عاد.

ويقال إنّ الخليفة المعتضد كان يهدف من زواجِه بابنة خمارويه أنْ يضعف دولة بني طولون في مصر، وذلك لأنّ خمارويه عندما يزوّج ابنته للخليفة فإنّه حينئذ سيتكلّف جهازًا كبيرًا، ويقال إنّه كان بالجهاز ١٠٠ هاون ذهبي، كما اشترط عليه الخليفة أنْ يقوم بدفع مصاريف كافّة الجنود في مصر، ويدفع سنويًا ٢٠٠ ألف دينار. وظلّ خمارويه على هذا المنوال حتّى قُتل على يد مماليكه في الشام.

وأدبُ وعرفانُ قطر الندى من الخصائص التي ذكرها أهلُ المحاضرات،

ومن ذلك أنّ المذكورةَ في ليلة الزفاف رفعت نقابها أوّل ما رأتِ الخليفة المعتضد فقال لها لماذا فعلت ذلك؟ فقالت «لأنّ وجهي إنْ كان حسنًا كنت أوّلَ منْ رآه، وإنْ كان قبيحًا كنت أوّلَ مَنْ واراه» فتعجّب الخليفة من ذكائها وفطنتها.

استطراد:

أوردنا في المجلد الأوّل في عنوان بوران بعضَ الظّرافات التي تقع في ليلة الزفاف، وقد عبّر المتنبي عن الحالة التي حصلت لبوران في ليلةِ الزفاف بالبيت التّالي:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

وقد أورد أبو الفتح بن الجني لفظ حاضت بدلًا من ذابت، وذلك لأنّ المرأة إذا ما اشتدّت شهوتُها جدًّا نزل منها دم الحيض، وقد صدّق صاحبُ الكشّاف على هذا المعنى، وقال ورد في القرآن الكريم في قصّة يوسف عليه السّلام (فلمّا رأينه أكبرْنَه) أي لمّا رأينه حضْن، لذلك يُقال عند العرب أكبرت المرأة أي حاضت، وحقيقته دخلت المرأة في الكبر لأنّها بالحيض تخرج من حدّ الصّغر إلى حدّ الكبر».

وقيل أيضًا إنّ المعتضد ذاتَ يوم أراد أنْ يعقد مجلسَ أنس مع قطر النّدى وحدها إكرامًا لها، وبعد النّشوة والشراب وضع المعتضد رأسه على صدْرها ونام، فأنزلت رأسه برفق على الوسادة وخرجت إلى ساحة القصر، ولمّا استيقظ الخليفة ولم يجدها غضبَ وناداها، وقال لها لقد أكرمتُك وأجللتك بأنْ أقمت لك مجلسَ أنس وحدك ونمتُ على صدرك ثمّ تتركينني وتخرجين!، فقالت يا أميرَ المؤمنين، لم أقدر حقّ إكرامك لي، ولكنّ أبي نصحني قبل ذلك بألّا أجلس والناس نيام ولا أنام والنّاس قعود. فتعجّب الخليفة من قولها وسامحها. تُوفّيت في التاسع من

رجب عام ٢٨٧هـ. والأبياتُ التّالية قالها ابن الرومي في ليلة زفافها:

يا سيد العرب الذي وردت له
بالیمن والبركات سيدة العجم
فاسعد بها كسعودها بك
إنها ظفرت بما فوق المطالب والهمم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى
فتكشّفت بهما عن الدنيا الظلم
ظفرت بما في ناظريها بهجة
وضميرها نبل وكفيها كرم

٦٩٠- قطورا:

هي قطورا ابنةُ يقطن الكنعاني. ذكر ابن الأثير في الكامل أنّ سيدنا إبراهيم تزوّجها بعد السّيدة سارة. فقد تزوّج هاجر أولًا ثمّ سارة ثمّ المذكورة، وقد أنجبت له ستّةَ أولادهم: نفشان وزمران ومدين ومدان ونشق وسرح، وكان له من هاجر وسارة إسماعيل وإسحاق، وكان إسماعيل أكبرهم جميعًا. وقد انحدر البربر من نفشان، وأهل مدين من مدين. وقد تزوّج سيدنا إبراهيم بعد قطورا بسيّدة اسمها حجون. ورد في الكامل.

٦٩١- قِلابة بنت سعيد:

بكسر القاف أمّ فاطمة قلابة بنت

سعيد بن سعد بن سهم، كانت تُعرف بعَرِقة بفتح العين وكسر الرّاء لرائحتها الطيبة. ابنها حبان الذي أطلقَ السّهم على سعد بن معاذ في غزوة الخندق، ولمّا أطلق حبان السّهم عليه قال له (خذْها وأنا ابنُ العرقة) فقال سعد له عرق الله وجهك في النار.

٦٩٢- قلم الأندلسية:

من أديبات الأندلس، كانت في الأساس جاريةً إسبانية. ذهبت في صباها إلى بغداد دار الخلافة، ثمّ بعد ذلك انتقلتْ إلى الحجاز، واستقرّت في المدينة فترة، وبعد تعلمها أشياء عديدة في المدينة بيعت وذهبت إلى الأندلس مرّة أخرى، كانت إحدى جواري عبد الرحمن الثالث ملك الأندلس المفضّلات، ومعها علمُ وفضل السّابقتان التّرجمة. كان خطّها

جميلًا، وكانت على دراية بالعلوم الأدبيّة والعربية.

٦٩٣- قلم الصالحية:

مغنّيةٌ مشهورة من جواري الخليفة الواثق بالله العباسي، اسمُها اغتباط، تنسب إلى صاحبها الأوّل صالح بن عبد الوهاب. ولمّا انتقلت إلى ملك الواثق بالله أصبح اسمُها اغتباط. وقصة انتقالِها إلى الخليفة الواثق أنّ الخليفة سمع ألحانها ذاتَ مرّة فأعجب بها فأراد أنْ يشتريها من سيّدها، فطلب سيّدها صالح المذكور مبلغ ١٠٠ ألف دينار وملك مصر، فرفض الخليفة وأعادها، ولمّا سمع ألحانَها مرّة أخرى طلب من صالح أنْ يبيعَها له ولكنْ بسعر أقل، فقال له صالح طالما أنّ أمير المؤمنين يرغبُ فيها إلى هذا الحدّ فليأخذْها هدية، فابتهج الخليفة من صنيع الرجل وأمرَ بصرف ٥٠٠٠ دينار إليه، ولمّا تأخّر ابن الزّيات خازن الخليفة في دفع العطيّة، أخبر صالح الخليفة بواسطة اغتباط بالأمر؛ فأمر الخليفةُ بمضاعفة المبلغ وإعطائه له على وجه السّرعة.

٦٩٤- قلوبطرة:

على حسب ما ورد في تاريخ الكامل وابن الأثير أنّها كانت من البطالمة الذين حكموا في مصرَ والشّام وإفريقيا ٢٧٤ عامًا كفرع من الدّولة اليونانيّة التي تأسّست قبل الإسلام. وهي آخرُ ملوك البطالمة، كانت سلطتها ٢٢ عامًا.

كانت ابنة أسكندروس المعروف بطليموس الحديث، كانت حكيمةً ومتفلسفة. تعظّم وتوقّر الحكماء والعلماء، ولها كتب في الحكمة الإلهيّة والطبيعيّة والرياضة والطب وسائر الفنون الأخرى تُرْجمَت باسمها وتنسب لها. من صحائف الأخبار.

وهي كليوباترا المذكورة في تاريخ العالم، كانت فريدةَ عصرها في الحُسن والجمال، كانت حكومتُها متزامنة مع نفس الفترة التي تدخل فيها اليونانيّون في حكم البطالمة، وكان زوجها وأخوها

في الوقت نفسه ديونيسوس شريكًا لها في الحكم في بادئ الأمر. وقد تزوّجت كليوباترا من أخيها وعمرها ١٧ عامًا، وكان هو في الثّالثة عشرة من عمره، ولأنّها أرادت أنْ تنفرد بالحُكم بنفسها أُبعدتْ عن الحكم لأنّها خالفت وصيّة بطليموس، فذهبت إلى روما واحتمت بسزار الذي جاء إلى مصر وهزم ديونيسوس، وقد غرق المذكور في نهر النّيل وهو يحاول الفرار. بعد ذلك تزوّجت كليوباترا بأخيها الآخر بطليموس آنفان، وكان عمره ١١ عامًا. وبعد زواجِها منه بأربع سنوات وضعتْ له السّم في الطّعام واستقلّت بالحكم، ولأنّها بدأت تتصرّف بشكلٍ مستقلّ عن الحكومة الروميّة التي تتبعها غضب الإمبراطور أنطوان؛ دعاها الإمبراطور أنطوان للحضور إلى طرسوس لأنّه كان يعشقها، ويصفُ المؤرخون العظمة والأبهة التي حضرتْ بها كليوباترا إلى طرسوس بأنّها أتت في سفينةٍ مصنوعة من الذهب، ومجاديفها من الفضّة، وكانت ملابسها غايةً في الفخامة، وتتعطّر بأفضل أنواع العطور في العالم، وقد قتل أنطوان على يد زوجته، ولمّا علمت كليوباترا بذلك قتلت نفسَها بوضع السّمّ لنفسها في الطّعام، وقيل بأنّها جعلت حيّة تلدغها في صدْرها. وبعد وفاتها انتقل حكم مصر إلى الرّوميّين.

٦٩٥- قمر:

من أديبات الأندلس، كانت فتاةً بليغة من جواري بغداد، جلبها إبراهيم بن الحجّاج اللخمي من ملوك أشبيلية إلى الأندلس. والأبيات التّالية من أشعارها:

هـا عـلى بغدادهـا وعراقهـا
وظبائهـا والسحـر في أحداقهـا
ومجالهـا عنـد الفـرات بأوجـه
تبـدو أهلتهـا عـلى أطـواقها
متبخـتـرات في النعيـم كأنـما
خلـق الهـوى العـذري مـن أخلاقهـا
نفسـي الفـداء لهـا فـأي محاسـن
في الدهـر تـشرق مـن سـنا إشراقهـا

ولها أيضًا:

ما في المغارب من كريم يرتجى
إلّا حليف الجود إبراهيم
إنّي حللت لديه منزل نعمة
كلّ المنازل ما عداه ذميم

٦٩٦- قنطوراء:

ذكر بعضُ أهل الحديث أنّها زوجة نبي الله إبراهيم عليه السّلام، وقد ورد ذكرها في الحديث النّبوي الشريف (يوشك بنو قنطوراء أنْ يخرجوا أهل العراق من عراقهم كأنّي بهم خزر العيون خنس الأنوف عراض الوجوه). والمقصود من الحديث هُم طائفة التّرك. وعلى هذا فإنْ لم يكن التّرك من أبناء ترك بن يافث بن نوح كما قال أهلُ التّاريخ؛ فهُم أبناء السيدة المذكورة قنطوراء. والطّائفة التي ستستولي على العراق كما أخبر الحديث النّبوي الشريف هُم طائفة المغول والتّتار من التّرك. وقد قال بعض شعراء العرب في حقّ التّرك كناية عن بخلهم:

سل الله ربّك من فضله
إذا عرضت حاجة مغلقة
ولا تسأل التّرك في حاجة
فأعينهم أعين ضيقة

٦٩٧- قونقرات خاتون:

أختُ السّلطان أبي سعيد بهادر خان في الرّضاعة. أغضبها الشّاعر سراج الدين قمي بلطيفة وقحةٍ في مجلس صفيّة الزاهدة السابقة التّرجمة، وحكايتها موجودة في سفينة الشعراء.

حرف الكاف

٦٩٨- كاعب:

هي جاريةُ امرأةٍ تُدعى أسماء بنت المهدي، وقعت بينها وبين أبي نواس حكايةٌ الأبياتُ التالية توضّحها:

وناهدة الثّديين من خدم القصر
مرقرقة الخدين ليليّة الشعر
كلف بها دهرًا على حسن وجهها طويلًا
وما حبّ الكواعب من أمري
فما زلت بالأشعار حتّى خدعتها
وروّضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئًا فقالت بعبرة
أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلمّا تعارضنا توسّطت لجة
غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحتُ أغثني يا غلام فجاءني
وقد زلقت رجلي وصرت إلى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وأنّه تداركني
بالحبل صرت إلى القعر
فأقسمت عمري لا ركبتُ سفينة
ولا سرت طول الدّهر إلّا على ظهر

وعلى مَن أراد الاطّلاع الرجوع إلى الباب السّبعين من المستطرف.

وتوجد جاريةٌ أخرى باسم كعب كانت جاريةَ أبي عقل المقيني، ورَدَ ذكرها في ترجمة سعيد بن حميد في ترجمة فضل السابق ذكرها.

٦٩٩- كبشة:

ابنةُ عمّار بن عدي بن سحيم، ووالدة كعب بن أبي زهير مادح النبي، وهي والدة كافّة أبناء زهير بن أبي سلمى.

٧٠٠- كبشة بنت عروة:

هي أوّلُ مَنْ قيل لها المثل العربي (ولدك من دمي عقبيك) أي ابنك هو الذي مِن صلبك وليس ابنك بالتبنّي، وكانت المذكورة قد تبنت عقيلَ بن طفيل بن مالك، وذات يوم ذهب عقيل إلى والدته الحقيقيّة فأكل عندها طباقًا فأتت كبشة إليها وقالت لماذا ضربتِ ابني؟ فقالت لها والدة عقيل ولدك من دمي عقبيك.

فائدة

وردتْ في القاموس معلومات مفيدة لهذا المقام، وهي أنّ الجاحظ قال عرقُ الخال لا ينام، ومعنى هذا أنّ مشابهة الولد لخاله وخالته أكثر من مشابهة الولد لعمّه وعمّته، لأنّ نسبة الولد لأمّه أكثر من نسبته إلى أبيه، حتّى أنّ الأغلبيّة تميلُ إلى الأمّ. وورد في القرآن الكريم (قل كلّ يعملُ على شاكلته) أي على لبته، ومنْ يميل إلى والدته أكثر لا يحبّ والده بنفس القدر الذي يحبّ به والدته. وقد سُئل أحد الحكماء لماذا يكرهنا أولادُنا رغم أنّنا ننفق عليهم ونحبّهم، فأجاب الحكيم بالإجابة السابقة. وقال حكيم آخر أولادنا جزءٌ منّا والجزء يميلُ إلى أصله، وقال آخر الأولادُ لا يعرفون حقّ الوالد، لأنّ أبانا آدم لم يكنْ أبًا، وهذا ميراثٌ انتقل لبني آدم منه. وقال آخر إجابة فيها ميلٌ للتصوّف فقال لأنّهم كانوا سببًا في مجيئنا إلى الدّنيا التي تعدّ عالم ابتلاء.

٧٠١- كبشة بنت معدي كرب الزبيدية:

كانت من شواعر عرب الجاهلية. قالت في وفاةِ زوجها عبد الله بن منقذ الهلالي مرثيّة مذكورةً في باب المراثي في ديوان الحماسة البصريّة:

أرسل عبد الله إذْ حان يومه
إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم افالًا وأبكرا
وأترك في بيت بصعدة مظلم
فإنْ أنتم لم تثأروا واتديتم
فمشوا بآذان النعام المصلم
ولا تشربوا إلّا فضول نسائكم
إذا ارتملت أعقابهنّ من الدم

أفال جمع أفيل وهو النّاقة الصغيرة التي لم تكملْ سبعة أشهر. أبكر جمع بكر أي الناقة الصّغيرة، مصلم صفةٌ للنّعام وهي المقطوعة الأذن.

وقد ذكرتِ الأبياتُ المذكورة مؤخرًا في ديوان حماسة أبي تمام، وزاد عليها هذا البيت:

ودع عنك عمرو إنّ عمرو مسالم
وهل بطن عمرو وغير شبر لمطعم

وقد قيل للتّعريض بأخيها عمرو بن معدي كرب الصّحابي.

وتوجد ١١ صحابيّة باسم كبشة، منهنّ أمّ سعد المذكورة في المجلد الأوّل.

وصحيح الأبيات التي ندبت بها ابنها سعد بن معاذ:

ويل أمّ سعد سعدًا براعة ونجدا
ويل أمّ سعد سعدًا صرامة وجدّا

وكنّا قد ذكرنا تلك الأبيات في المجلد الأوّل نقلًا عن شرح الجامع، وكانت بها أخطاء كثيرة، أمّا الآن فقد تلافينا تلك الأخطاء بعد أنْ عثرنا على صحيحها والحمدُ لله في أسد الغابة مؤخرًا. براعة أي فائق على أقرانه. وصرامة أي شجاع.

٧٠٢- كثيرة:

صحابيّةٌ، معتوقةُ السيدة عائشة، روى فضالة بن حصين الحديثَ عنها. وكثيرة بنت جبير روتِ الحديثَ عن أبيها،

ونقل عنها أحمد الطّويل. وكثيرة بنت أبي سفيان الخزاعيّة، وحازت شرفَ صحبة النّبي. تاج العروس.

٧٠٣- كرا:

عجوزٌ يهوديّة من عصر السلطان محمد الثّالث المعروف بفاتح أكرى. كانت صاحبةَ نفوذ في الدّولة بسبب انتسابها للوالدة سلطان. كانت تتدخّل في توزيع المناصب بالرّشوة، ولمّا اشتهر أمرُها في الدولة بأنّها ترتشي لتوزّع المناصب على ما لا يستحقّها؛ أمرَ السّلطان بقتلها واثنين من أبنائها، وقطعت يدُها التي كانت تأخذ بها الرّشوة، وعلّقت على أبواب بعض ممّنْ حصلوا على المنصب برشوتها. وقصّتها مذكورة في الوقائع الغريبة بنعيما.

٧٠٤- كريمة:

أمّ الحسن كريمة بنت أحمد الأصبهانية، من المحدّثات المشهورات. وكريمة بنت عبد الوهاب، وهي أستاذة ستّ القضاة المحدثة المذكورة في حرف السّين. وكريمة المرزويّة وهي محدّثة مشهورة أيضًا ولكنّنا لم نتمكّن من العثور على ترجمة لهن.

٧٠٥- كريمة الدارين:

هو لقبُ السّيدة نفيسة الآتي ذكرها في حرف النّون. وكريمة بنت كلثوم الحميريّة صحابيّة زوّجها النّبي بالصّحابي عكاف بن وداعة الهلالي. وكريمة بنت أسد من الشاعرات، ولها بعضُ الأشعار في الحماسة البصرية. كما توجد سيّدةٌ باسم كريم قادين كانت سيّدةً مجذوبة في قرية باشي بيوك في أسكدار.

٧٠٦- السيدة كلثوم:

حفيدةُ جعفر الصادق. وهي كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. يقع قبرُها في مصر في مقابر قريش بالقرب من الخندق، وهي والدة جعفر بن موسى بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق، كانت من الزاهدات العابدات. من خطط المقريزي.

٧٠٧- كلثوم:

أختُ سيّدنا موسى عليه السّلام، وقد وُعد النّبي بالزّواج منها في الجنّة مثل مريم وآسيا، وهذا مذكور في الجامع الصغير. القاموس.

٧٠٨- كلثوم بنت الحافظ:

ابنةُ الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السّلامي، محدّثة شاميّة كانت تكنى بأمّ عمر، استمعت في علم الحديث إلى المحدّث عبد الرحيم بن أبي اليُسر وغيره، ومذكور في إنباء ابن حجر أنّه حصل على إجازة منها. كانت وفاتها عام ٨٠٥هـ في شهر ربيع الأول.

٧٠٩- كلثوم بنت محمد:

ابنةُ محمد بن محمود بن معبد البعلي، من المحدّثات، ومن المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر، أخذت روايتها من الحجار، وروى عنها ابنُ ردوس وغيره. كانت وفاتها في صفر عام ٧٧٧هـ.

٧١٠- كمالية:

شاعرةٌ بديعةُ النّظم من أهل مصر مذكورة في أعيان الصفدي. قال ابن الصّفدي عنها إنّه لم يكنْ في مصر أحدٌ يناظرها في الشّعر. والقطعة التّالية من أشعارها المقبولة التي نظمتها وأرسلتها إلى الشّاعر فتح الدين البكري من أعلام الشّعر في عصرها:

سمعت من سحرك شعرًا
غدا يخامر الألباب إذ ينفث
أصبح كالخمرة في فعلها
فهو بالباب الورى يعبث

وكماليّة بنتُ علي بن أحمد وهي حفيدة الفقيه شهاب الدّين أحمد بن عبد العزيز بن القاسم النوير. محدّثة من أهل مصر.

وكماليّة بنت الكتاني، وكماليّة بنت عفيف الدّين الأصفهاني، وهما محدّثتان من أشياخ الإمام السيوطي.

ومن أشياخ الإمام المشار إليه أيضًا كماليّة بنت نجم الدّين المرجاني، وُلدت في محرم ٧٩٠هـ.

٧١١- كنجشكب:

سيّدةٌ من الأتراك، من أعيان عصر الصّفدي. من نساء القرن السّابع، كانت

معاصرة لعصر الأمير سيف الدين تنكز في الشام، وكان يجلّها ويحترمها.

٧١٢- كنزة أمّ شملة:

والدةُ شملة بن برد المنقري، من أولاد قيس. كانت من جواري جماعة منقر، ومن فصحاء العرب، والأبيات التّالية من أبياتها المشهورة المذكورة في ديوان الحماسة، وكانت قدْ نظمتها في ميه معشوقة ذي الرّمة:

على وجه مي مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الشين لو كان باديا
ألم تر أنّ الماء يخلف طعمه
وإنْ كان لون الماء في العين صافيا
إذا ما أتاه وارد من ضرورة
تولى بأضعاف الذي جاء ظاميا
ولو أنّ غيلان الشقي بدت له
مجرّدة يومًا لما قال ذاليا
فيا مي لا مرجوع للوصل بيننا
ولكن هجرًا بيننا وتقاليا

والأبياتُ التّالية أيضًا من الأبيات المذكورة في ديوان الحماسة، ومعْزُوّة إلى المذكورة:

إنْ يك ظنّي صادقًا وهو صادقي
بشملة يحبسهم بها محبسًا أزلا
فيا شمل شمّر واطلب القوم بالذي
أصبت ولا تطلب قصاصًا ولا عقلا
لهفي على القوم الذين تجمعوا
بذي السيد لم يلقوا علا ولا عمرا
فإنْ يكُ ظنّي صادقًا وهو صادقي
بشملة يحبسهم بها محبسًا وعرا

وقال المرزوقي إنّ الأبيات السابقة نظمتها المذكورةُ في تحريض ابنها على الأخذ بثأر والده.

٧١٣- كوسم والده:

هي ماه بيكر الآتية الترجمة. كانت من حلائل السّلطان أحمد الأوّل، ووالدةُ السّلطان إبراهيم، وهي معروفة في كتب التواريخ باسم بيوك والده في وقائع السّلطان محمد المعروف بالصياد، وقد أشرنا إليها في المجلد الأوّل.

وكوهر بيكم آذربيجاني شاعرةٌ لطيفة من مشاهير شاعرات العجم. وكوهر خان سلطان ابنةُ السّلطان سليم الثّاني العثماني، زوّجها السّلطانُ المذكور بيالة باشا فاتح ساقز.

حرف اللام

٧١٤- لاله خاتون:

شاعرةٌ وحاكمةٌ، عليّةُ الشّأن، من مشاهير نساء الفرس. ذكر في كتاب آتشك أنّها حكمت كرمان فترة، ولها أشعار بالفارسية.

٧١٥- لبابة الكبرى:

هي أختُ السّيدة التي أشرنا إليها في حرف الألف بكنية أمّ الفضل، أمّ خالد لبابة، ولأنّ أختها كانت تكنّى بنفس الكنية فكان يميّز بينهما بلبابة الكبرى ولبابة الصّغرى، وكانت صحابيّة جليلة. وردَ في صحائف الأخبار نقلًا عن تاريخ القضاعي أنّ الحديث الذي بشّر بانتقال الحكم إلى بني أميّة ثمّ إلى بني العباس كان من رواية أمّ الفضل لبابة صاحبة الترجمة.

٧١٦- لبابة بنت عبد الله:

ابنةُ عبد الله بن جعفر الطيار. كانت متزوّجة بعبد الملك بن مروان الأموي، وذات مرّة قضم عبد الملك قضمةً من

تفاحة فأكلها ثمّ أعطاها لها لتأكلها، فلمّا أرادت أنْ تقطع مكان قضمته بالسّكين انفعل عبد الملك وطلّقها. وتزوّجت مؤخّرًا بعلي بن عبد الله بن عباس.

٧١٧- لبابة المتعبدة:

من المذكورات في النّفحات، كانت من أهالي القدس الشريف، وكانت تقول أستحي أنْ يراني الله مشغولةً عمّا سواه. وذات مرّة سألها شخصٌ كان عازمًا على الذّهاب إلى مكة للحج، بماذا أسأل الله في الكعبة؟ فقالت له اسأل الله أنْ يرضى عنك، وأن يجعلك راضيًا به.

ولبابة الكرديّة والدةُ آخر حُكام بني أميّة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

ولبابة بنت علي ابنةُ علي بن المهدي، من أسرةِ بني العباس.

ابنةُ حباب الكعبي، معشوقةُ قيس بن زريح المارّ ذكره في ترجمة أمّ عمر. وقد ذكر صاحبُ الأغاني أنّ قيس هذا كان أخا الحسين في الرّضاعة. ورغم أنّ المذكور تزوّج لبنى بواسطة أخيه الحسين لفترةٍ إلّا أنّه طلّقها جبرًا لكُره والده زريح لها، وتفصيل القصّة موجود في المجلّد الثّامن من الأغاني وفوات الوفيات وتزيين الأسواق.

والبيتُ التّالي لقيس بن زريح من الأبيات المطبوعة عند العرب، وهو من الأبيات التي استحسنها ابن خلدون:

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث
عنـــك النّـفس في السر خاليا

وقوّة هذا البيت وجماله أنّه عبّر عن مقصوده بقوّة من دون أيّة صنائع شعرية.

ومن الصّحابيات أيضًا لبنى أخت حسان بن ثابت، ولبنى بنت الخطيم الأوسية، ولبنى بنت قيس الأنصارية. من الإصابة.

وتوجد أديبةٌ من أديبات الأندلس بهذا الاسم أيضًا، كانت تفوق أقرانَها في الجمال وعلم الصّرف والإنشاء والشّعر والحساب، وكانت ماهرةً في الخطّ

لدرجة أنّ الملك الحكم بن عبد الرحمن الثّالث استخدمها في وظيفة الكتابة في ديوانه، وهذا مذكور في تاريخ الأندلس في المجلد الأوّل ص ٩٦. وقد ذكرها مستقيم زاده في تذكرته في ترجمة مستقلّة تحت عنوان لبنى بنت عبد المولى.

٧١٨- لبينى:

تصغير لبنى. وهو مِن أسامي نساء العرب، ومنهنّ لبينى بنت أقيس، وهي من المشاهير المذكورات في القاموس، وذكر صاحبُ القاموس أيضًا أنّ لبينى اسم ابنة إبليس الملعون. ومن المعلوم أنّ إبليس الملعون له خمسةُ أبناء وذلك بناءً على ما ورد في الآية الكريمة (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو)، والأبناءُ الخمسة هم: زلنبور وهو المسئول عن التّفرقة بين بني آدم. وثبر على وزن جبر وهو المسئول عن شقّ الجيوب في المصائب. والأعور وهو المسئول عن الزنا وفعل الفواحش. ومسوط وهو المسئول عن الكذب. وداسم وهو المسئول عن السوق. والبعض يقول إنّ زلنبور هو المسئول عن السّوق، وداسم هو المسئول عن التفرقة بين الأزواج والأهل. وقيل إنّ له ابنيْن آخرين هما ولهان وخنزب، أحدهما شيطان الوضوء والآخر شيطان الصلاة.

٧١٩- لطيفة:

هي السّيدةُ المحدّثة لطيفة بنت الأماسي، من المحدّثات التي منحت الإجازة للمحدّثة ألف بنت حسام الدّين سابقة الترجمة من أساتذة الإمام السّيوطي. وتوجد سيدةٌ أخرى بهذا الاسم لها قصّة عشق مذكورة في تزيين الأسواق، وهي قائلة الأبيات التالية:

يا صاحب القبر يا مَن كان يؤنسني
وكان يكثر في الدنيا موالاتي
قد زرت قبرك في حلّي وفي حلل
كأنّني لست من أهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى أنْ تراه
وما قد كنت تألفه من كلّ ميثاقِ
فمَن رآني رأى عبرى موهلة
مشورة الزّي تبكي بين أموات

وكانت المذكورة متزوّجة من حبيبها وابن عمّها واصف، ولم يعمّر واصف كثيرًا وتُوفي، وكانت تتزيّن وتذهب لزيارته وترثيه بتلك الأبيات.

٧٢٠- لقيطة:

هي لقيطةُ المنسوبة إلى عشيرة بني اللّقيطة. ابنةُ شخص يُدعى عصم بن مروان، تركَها أبواها في إحدى سنوات القحط، فذهبت إلى حذيفة بن زيد، ولأنّ المذكور التقطها من الشّارع وتزوّجها بعد ذلك سُميت لقيطة. والنسل الوارد في البيت الوارد في صدر ديوان الحماسة:

لو كنت من مازن لم تستبح
إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

المقصود به نسل تلك المرأة كما ذكرنا من قبل في عنوان شقيقة في حرف الشّين نقلًا عن صاحب القاموس.

٧٢١- لميس:

امرأةٌ مشهورة بالوقاحة في العرب. ولأنّها كانت تعود للوقاحة بعد كلّ مرّة تتركها فيها؛ ضُرب بها المثل في ذلك (عادت لعترها لميس)، وعتر بكسر العين أصل. وقيل إنّ ابن عباس كان يحجّ ذاتَ مرّة فرأى لميس المذكورة وكانت محرمةً قد أنشدت تلك الأرجوزة باسمها:

وهنّ يمشينا بنا هميسا
إنْ يصدق الطير ننك لميسا

فنهاها ابنُ عباس عن قول الرّفث في الحجّ؛ استنادًا للحديث الشريف (ومَن حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه).

٧٢٢- ليلى الأخيلية:

هي ليلى بنت عبد الله الأخيلية، شاعرة تنسبُ إلى بني الأخيل الذين كانوا يفتخرون بنسبهم، فيقولون:

نحن الأخايل لا يزال غلامنا
حتّى يدبّ على العصا مشهورا

كانت شاعرةً تفوّق على كافّة شواعر العرب، وكانت تستطيع التقدّم على الخنساء، والبيتان التّاليان من أبياتها المقبولة في باب الهجاء بديوان الحماسة:

تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا

جزعنا وتعرفنا الرفاق بحورا
ولنحن أوثق في صدور نسائكم
منكم إذا بكر الصراخ بكورا

وكان من رجال قبيلتها رجلٌ يُدعى توبة بن الحمير كان يلقّب بفتى الفتيان لعفّته بين رجال القبيلة، أحبّ توبة ليلى وأحبّته كثيرًا، ونظَمَا في بعضهما الشعرَ الجيد البليغ، ولليلى مرثيّات مطوّلة عن توبة. وهذه الأشعار كلها موجودةٌ في المجلد العاشر من كتاب الأغاني. وينقل أنّها كان لها حاجة عند الحجّاج الظالم، فلمّا ذهبت إليه قال لها هل حدث بينك وبين توبة في شبابك شيءٌ فيه شبهة؟ فقالت لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنّه ذات ليلة أتى إلينا وقال كلمات تخيّلت أنا أنّه يريد بها فعلَ شيء به شبهة، فرددتُ عليه قائلة:

وذي حاجة قلنا له لا تبحْ بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا نبتغي أنْ نخونه
وأنت لأخرى فارغ وحليل

ومِن بعدها لم يصدر منه لي أيّة كلمة بها حتّى شبهة. ورغم أنّ توبة طلب يدَها من أبيها إلّا أنّ والدها رفض لأنّه كان من عادات العرب ألّا يزوّجوا بناتهم بمَنْ كانت بينهم وبينهنّ قصصُ حب. وانتهى الأمر بتزويجها لرجلٍ من بني الأدلع، وفي ليلة الزفاف ذهب توبة بحسن نيّة لزيارة ليلى لمجرّد الزيارة فقط، ولم يكن يريدُ فعل أيّ شيء، ورآه زوجها، وكان هذا سببًا في تقوّل الأقاويل عليها، ولأنّه كان مظلومًا ممّا نُسب إليه نظم أبياتًا كثيرة يشرح فيها الظلمَ الذي وقع عليه ومنها:

عليّ دماء البدن إن كان بعلها
يرى لي ذنبًا غير أنّي أزورها
وإنّي إذا ما زرت قلت لها اسلمي
فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

ولمّا سمع الإمام الأصمعي تلك الأبيات من توبة ترحّم على الظّلم الذي وقع عليه، وقال (شكوى مظلوم وفعل ظالم).

والأبياتُ التي نظمتها المذكورة للحجاج عندما ذهبت إليه في حاجةٍ هي:

أحجّـاج لا يفـل سـلاحك إنّـما
المنايـا بكـفّ الله حيـث تراهـا
إذا هبـط الحجـاج أرضـا مريضـة
تتبـع أقـصى دائهـا فشـفاها
شـفاها مـن الـدّاء العضـال الـذي
بهـا غـلام إذا هـزّ القنـاة سـقاها
سـقاها دمـاء المارقـين وعليهـا
إذا جمحـت يومـا وخيـف آذاهـا
إذا سـمع الحجّـاج صـوت كتيبـة
أعـدّ لهـا قبـل النـزول قراهـا
أعـدّ لهـا مصقولـة فارسـية
بأيـدي رجـال يحسـنون غذاهـا
أحجّـاج لا تعـط العصـاة مناهـم
ولا الله يعـط للعصـاة مناهـا
ولا كلّ حـلّاف تقلـد بيعـة
فأعظـم عهـد اللـه ثـمّ شـراها

تجاوز الله عنها أعانتِ الحجّاج الظالم على أفعاله بشِعْرها. ولمّا دخلت ليلى على الحجّاج سألها على أيّ حال تركت قومك؟ فقالت (تركتهم في حال خصب وأمن ودعة، أمّا الخصب ففي الأموال والكلأ، وأمّا الأمن فقد أمّنهم الله عزّ وجلّ بك، وأمّا الدّعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلحَ بينهم)، ثمّ أنشدت الأبيات السّابقة.

وقد توفّي توبة قبل ليلى بفترة، وقد نظمت ليلى في حقّه الكثير من المرثيات، منها هذا البيت:

أتتـه المنايـا دون درع حصينـة
وأسـمر خطـي وجـردا ضامـر

أي أنّه قتل وهو أعزل. وهناك قصّة غريبة على موت ليلى أوردها صاحبُ الأغاني فقال: كانت ليلى عائدةً هي وزوجها وبعض رجالِ عشيرتها من مكانٍ ما، وبينما هم في الطّريق مرّوا بقبر توبة، فقالت ليلى لأذهب إليه لأقرئه السّلام، ووجّهت ناقتها إلى التل الموجود عليه القبر، ولمّا وصلت قالت

السّلام عليك يا توبة، وقالت ليلى لِمَنْ بجوارها لم أعرف عنه الكذبَ حتّى الآن، ونظمت:

ولـو أنّ ليـل الأخيليّـة سـلمت علـيّ
ودوني تربـــــة وصفائـــــح
لسلّمت تسليم البشاشـة أو زقـا إليهـا
صـدى مـن جانـب القـبر صائـح

وفجأة طار غرابٌ من جانب القبر في وجْه ناقتها فارتبكت النّاقة وهاجت فوقعت ليلى من على ظهرها فماتت، ودُفنت بجوار توبة.

ومن الأبيات البديعة التي نظمتها في رثاء توبة:

كريـم يغـضّ الطّـرف فـــرط حيائـه
ويدنــــو وأطــــرافُ الرمــــاح دوان
وكـالسّيـــف إنْ لاينتــه لأنّ متــنه
وحــــداه إنْ خاشنتـــــه خشنــــان

أمّا القصيدةُ الرّائيّة التي أوردت فيها البيت القائل أتته المنايا، فهي قصيدةٌ بليغة منها:

فتـى كان أحيـى مـن فتـاة حييّـة
وأشـجع مـن ليـث بخـفان خـادر
فنعـم الفتـى أنْ كـان توبـةُ فـاجرًا
وفـوق الفتـى أن كان ليـس بفـاجر

٧٢٣- لطيفة:

نظرًا لأنّ ليلى الأخيليّة المذكورة كانت بهرانيّة، وقبيلة بهراء تتلتل في الكلام؛ أي يلفظونَ حرف المضارعة مكسورًا، كانت ليلى- أيضًا- تتكلّم بهذا اللّسان على حسب قومها، وذاتَ يوم دعيت إلى الحضور لمجلس عبد الملك الأموي. وكان الإمام الشعبي حاضرًا في المجلس، وبعد أنْ حصل الإمام من الخليفة على إذنٍ بمطاية ليلى قال لها: يا ليلى، ما بال قومك لا يكتنون؟ فقالت ويحك! أما نكتني. وكانت تقصد الفعلَ يُكنى ولكنْ لأنّها كانت استعملت المضارعَ المخاطَب كسرت حرف المضارع على حسب لغةِ قومها، فأصبح المقصود من المعنى الجِماع. ولمّا قالت ذلك قال الإمام الشعبي: لا والله لو فعلتُ لاغتسلت،

فأخجل ليلى وضحك الجالسون. وهذه القصّة مذكورة في درّة الغواص للحريري والقاموس، وبعض الكتب الأخرى على هذا المنوال، أمّا كتاب البهائيّة الطبعة المصريّة ص ١٧٩ فقد أورد أنّ تلك الحكاية ليست معيّنة برجلٍ وامرأة، وزاد على ذلك أنْ قالت المرأة للرجل قطّع هذا البيت، ونظمت:

حولوا عنا كنيستكم يا بني حمالة الحطب

ولّما بدأ الرجل يقطّع البيت (حولوا عن) فاعلاتن، و(ناكني) فاعل، صرخت المذكورة قائلة: مَن الفاعل؟ وأسكتته.

وقد نسبت تلك الحكاية إلى أبي نواس وعنان. وقد ذكر المبرد في الكامل أنّ لليلى الأخيليّة أبياتًا في رثاء عثمان، رأيتها مؤخّرًا في الحماية البصرية، وأوردت منها ما يلي:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته
وكان آمن مَن يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخوّلهم
ما كان من ذهب حوم وأوراق
فلا تقولنّ لشيء لست أفعله
قد قدّر الله ما كلّ امرئ لاق.

كانت ليلى الأخيليّة من نساء المائة الأولى، ولأنّ الصّحابي الشّاعر النابغة الجعدي كان من المعمّرين أيضًا فقد ظلّا معًا حتّى أوائل عهد بني أمية. وكانت تدور بينهما المناظرات الشّعرية، وقد انتصرت ليلى على النابغة.

٧٢٤- ليلى العامرية:

ليلى بنت مهدي بن سعد العامري. وهي معشوقةُ قيس ابن عمّها، وكان اسمه قيس بن ملوّح بن مزاحم، وقد نظم في حبّها:

لم يكن المجنون في حاله إلّا وقد كنت كما كانا
لكنّه باح بسرّ الهوى وإنّني قد ذبت كتمانا

وقد اكتسب هيئة المجنون من عشقه لليلى، وصرّح بذلك في أحد أبياته:

يسمّونني المجنون حين يرونني
نعم بي من ليلى الغداة جنون

هناك خلافٌ على اسمه فقيل عامر وقيل مهدي وقيل أقرع ومعاذ وقيس، ولكنّ الصحيح قيس.

ويستدلّ من أشعار ليلى والمجنون على أنّهما أحبّا بعضهما وهما يرعيان الدّواب، فيقول المجنون:

تعلّقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد
للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا
إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

كما نظمتْ ليلى توضح الحالة الأولى لهذا العشق:

كلانا مُظهرًا للناس بغضًا
وكلٌّ عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا
وفي القلبين ثَمّ هوى دفين

وينكر البعضُ هذه القصّة كليّة، ويقولون إنّه لم يكن هناك شخصٌ باسم المجنون أو فتاة باسْم ليلى؛ بل هما كناية عن كلّ قصّة حبّ نشأت بين اثنين وكانا يخشيان على نفسهما من الذكر على الألسن، إلّا أنّ صاحب كتاب الأغاني يعارض هذا الرّأي.

٧٢٥- ليلى بنت الحرث التّغلبية:

هي شاعرةٌ نصرانيّة من شعراء بني تغلب على حسب ما أورد الكاملُ في تاريخه. وقد وقعتْ في أيّام ابن الزبير وقعتان تنسبان إلى الأماكن التي وقعت بها، وهما (يوم ماكسين) و(يوم الثرثار) وكانت بين بني تغلب وبين بني قيسو، رغم أنّ التّغلبيين هُزموا في يوم ماكسين إلّا أنّهم انتصروا في يوم الثرثار، فنظمت المذكورة الأبيات التّالية افتخارًا بقومها:

لمّا رأونا والصّليب طالعًا
وفارس الجيش سمًّا ناقعا
والخيل لا تحمل إلّا دارعًا
والبيض في أيماننا قواطعا
خلّوا لنا الثرثار والمزارعا
وحنطة طيسا وكرمًا يانعا

ويذكر ابنُ الأثير أنّهم قاموا في ذلك اليوم ببقر بطون ثلاثين امرأةٍ من نساء العدو. وإذا ما نظرنا إلى هذه البشاعة التي تصرّف بها النّصارى عندما ينتصرون على أعدائهم سنجد أنّها ليست

من وازعٍ ديني، فبئس ما يأمرهم إيمانُهم.

ابنةُ حسّان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، كانت شاعرةً بليغة مثل أبيها، وقد ذكرَ ابنُ ظافر أنّها قامت بمشاعرة مرتجلة مع والدِها، فذاتَ يوم نظم حسان:

متاريك أدبار الأمور إذا اعترت
تركنا الفروع واجتثثنا أصولها

ولم تساعده قريحتُه الشعريّة على نظم أبياتٍ أخرى، وكانت ابنته ليلى بجواره فنظمت مرتجلةً على الفور البيتَ التّالي:

مقاويل بالمعروف خرسٌ عن الخنا
كرام يعاطون العشيرة سولها

فردّ عليها والدها:

وقافية مثل السنان رزينة
تناولت من جوّ السماء نزولها

فقالت ليلى:

يراها الذي لا ينطق الشّعر عنده
ويعجز عن أمثالها أنْ يقولها

ويقول ابنُ ظافر إنّه لمّا سمع هذا البيت الأخير من ابنته أقسمَ على أنّه لن ينظم الشعر طوالَ حياتها، إلّا أنّ ابنته تابت، وقالت له بأنّها لن تنظمَ الشّعر في حضوره مرّة أخرى. وللمشار إليه ابنةٌ أخرى باسم نعم سنوردُها في حرف النّون بمشيئة الله.

٧٢٦- ليلى بنت طريف:

أختُ وليد بن طريف من مشاهير طائفة الخوارج، كانت شاعرةً شجاعة، شعرُها مقبول، قال أخوها وليد مادحًا نفسه:

أنا الوليد بن طريف الشّاري قسورة
لا يصطلي بنار جوركم أخرجني من داري

في عام ١٧٨هـ جمع حولَه الكثيرَ من الجنود، وثار ضدّ هارون الرشيد، وقد استمرّ عصيانه سنةً كاملة حتّى قُتل على يد يزيد بن مزيد في شهر رمضان عام ١٧٩هـ، وقد تولّت أختُه مكانه في الجيش، إلّا أنّها لم تستطع مقاومة يزيد، وبالتّالي استخدمت لسانَها بدلًا من سيفها، ونظمتِ الكثير من المرثيّات

في أخيها، منها القصيدةُ التي سنوردها بعد قليل، وهي قصيدة من النّوادر كما صرّح بذلك ابن خلكان، ولأنّها ليستْ موجودة في كلّ الكتب بأكملها حتّى في الأغاني وتاريخ الكامل؛ فقد نقلناها كما هي هنا:

بتلّ نهاكي رسم قبر كأنّه
على جبل فوق الجبال منيف
تضمّن مجدًا عدمليًّا وسؤددا
وهمّة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور ما لك مورقًا
كأنّك لم تحزن على ابن طريف
فتى لا يحبّ الزّاد إلّا من التّقى
ولا المال إلّا من قنًى وسيوف
ولا الذّخر إلّا كلّ جرداء صلدم
معاودة للكرّ بين صفوف
كأنّك لم تشهد هناك ولم تقم
مقامًا على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يومًا لورد كريهة
من السّرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسمعْ يوم الحروب والحرب لاقح
وسمر القنا ينكز بها بأنوف
حليف النّدى ما عاش يرضى به النّدى
فإنْ مات لا يرضى النّدى بحليف
فقدناك فقدانَ الشّباب وليتنا
فديْناك من فتياننا بألوف
وما زال حتّى أزهق الموت نفسه
شجا لعدو أو نجا لضعيف
ألا قاتل الله الجثى حيث أضمرت
فتى كان للمعروف غير عيوف
فإنْ يك أرداه يزيد بن مزيد
فربّ زحوف لفّها بزحوف
عليه سلامُ الله وقفًا فإنّني
أرى الموت وقّاعًا بكلّ شريف

تل بمعنى التبة. نهاكي أغلب الظنّ أنّها اسم مكان لأنّها لم ترد في المعاجم. نباتي وردت في الكامل لابن الأثير تل نباثا، ووردت في معاهد التّنصيص تل نباثا. مجد

عدملي أي الشريف الأصل. رأي حصيف أي أصحاب الرأي القويم. خابور اسمُ نوع من الشجر على حسب قول شارح القاموس. له منظر ورائحة ذكية، وقيل إنّ خابور اسم نهر في ديار بكر. مورق أي به ورق، اسمُ فاعل من الإيراق. جرداء الفرس ذات الشعر الطويل. صلدم أي الفرس الصّلب القوي. كريهة بمعنى محاربة، خضراء أي الجنود الذين غرقوا في الحديد. حرب لاقح أي الحرب الكبيرة. عيوف أي كريه.

ولها أيضًا من إحدى مراثيها:

ذكرت الوليد وأيامه
إذا الأرض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه في السماء
كما يبتغي أنفه الأجدع
أضاعك قومك فليطلبوا إفادة
مثل الذي ضيعوا
لو أنّ السيوف التي حدّها
يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك أو جعلت هيبة
وخوفًا لصولك لا تقطع

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة يزيد بن مزيد أنّ الأبيات الثلاثة القادمة من نظم المذكورة، وقد نظمتها في رثاء أخيها أيضًا:

يا بني وائل لقد فجعتكم
من يزيد سيوفه بالوليد
لو سيوف سوى
سيوف يزيد قاتلته
قاتلته خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضًا
لا يفلّ الحديد غير الحديد

ويزيدُ المذكور هو يزيد بن مزيد بن زائدة الشّيباني، مقاتلٌ مشهور، ابن أخي معن بن زائدة. كان من الأمراء العباسيّين، لم يكن له نظيرٌ في الشجاعة، ولأنّ الوليد ويزيد كانا من بني ربيعة بن وائل؛ فقد قال هارون ليزيد عندما أخرجه قتال الوليد:

لا تبعثنّ إلى ربيعة غيرها
إنّ الحديد بغيره لا يفلح

وقال الوليد في تلك الحرب أنا الوليد بن طريف الشّاري، وذلك لأنّ الخوارج يعتقدون بأنّهم خرجوا على الإمام لأنّهم الأحقّ بها، وأنّهم باعوا أنفسهم لله بالجنّة، مصداقًا لقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهم الجنة) فكان الوليد شاريًا أي شاريًا للجنة.

وقد قال ابنُ خلكان إنّ صاحبة الترجمة اسمُها فارعة أو فاطمة، إلّا أنّ هذا مخالف لَمَا وردَ في الأغاني، ولأنّ البيت القائل (فيا شجر الخابور) لصاحبة التّرجمة ورد في تفسير الكشّاف في تفسير الآية الكريمة (فما بكت عليهم السّماء) نجد صاحب التفسير أوردَ اسمها ليلى.

٧٢٧- ليلى بنت قران:

ابنةُ قران بن بلان بضمّ القاف وتشديد الرّاء، كانت زوجةً لأقصى بن عبد القيس، وهي والدةُ شن بن أقصى قائلِ المثل العربي (يحمل شنّ ويفدي لكيز)، قد كان لشنّ هذا أخ باسم لكيز، خرجا الاثنان معًا مع أمّهما صاحبة التّرجمة ونزلوا جميعًا في مكانٍ يسمّى ذو طوى، ولمّا همّوا بالرحيل قامت الأمّ بالتّلطيف على لكيز، وأمرت شن بأنْ يخدمها طوال الرحلة فانفعل شن، وبينما هُم في الطريق تعثّرت النّاقة في عقبة فوقعت أمّهم من على النّاقة فماتت في الحال، وغضب شن على أخيه لكيز، وقال له عليك بجعرات أمّك يا لكيز. ويطلق المثل السابق على الشيء عندما يوضع في غير محله، وقد عبّر الشّاعر عن هذا المثل الذي قاله شن بالبيت التّالي:

وإذا تكـــون كريهـــة أدعـــى لهـــا
وإذا يحـــاس الحيـــث يدعـــى جنـــدب

٧٢٨- ليلى بنت مهلهل:

هي ليلى بنت مهلهل بن ربيعة من أشراف العرب، ووالدةُ عمرو بن كلثوم الشّاعر الجاهلي المشهور صاحب المعلقة. ورد في الأغاني أنّ مهلهل تزوّج بهند بنت بعجي، ولمّا أنجبت منه ليلى، قال لأمّها على عادة العرب: اقتلي هذه البنت؛ لأنّها كانت تجلب العارَ لأهلها على حسب العادات الجاهليّة،

ولكنّ الأمّ خشت على البنت الصّغيرة وأخفتها، وبينما كان مهلهل نائمًا أتاه في المنام هاتفٌ يقول له إنّ ابنته ليلى هذه سيخرُج من بطنها مَنْ يكون أمرُه عظيمًا بين قومه، فقال له (كم مِن فتى يؤمّل وسيد شمردل وعدّة لا تجهل في بطن بنت مهلهل) فاستيقظ وهُرِع إلى زوجته هند، وسألها أين البنت؟ فقالت قتلتُها، فقال كلّا وإله ربيعة، أي أقسم عليها بالصّنم الذي يعبدونه، فقالت له الحقيقة فاطمئنّ ونبّه عليها بأنْ تربّيها جيدًا، وكبرت البنت، ولمّا حانَ وقتها زواجها تزوّجت بكلثوم بن مالك، ولمّا حملت منْه في ابنها عمرو أتاها هاتفٌ في المنام يقول لها:

يا لك ليلى من ولد يقدم أقدام الأسد
من جشم فيه العدد أقول قيل لا فند

وبشّرها بأنّ جنينها الذي في بطنها سيكون له شأنٌ عظيم. ولمّا وُلد وبلغ من العمر عامًا، أتاها في المنام نفسُ الهاتف وقال لها:

إنّي زعيـــم لـــك أمّ عمـــرو
بماجـــد الجـــدّ كريـــم النجـــر
أشـــجع مـــن ذي لبـــد هزبـــر
وقـــاص آراب شـــديد الأسر
يســـودهم في خمســـة عـــشر

وبالفعل أصبح عمرو سيدًا على قومه وهو في الخامسة عشرة من عمره، وعمّر حتّى بلغ المائةَ وخمسين. وروي في الأغاني أنّ عمرو بن هند أميرَ الحيرة سأل رجاله ذات يوم: ألا يوجد بين العرب مَن لا يرضى أنْ تخدم أمُّه أمّي؟ فقالوا عمرو بن كلثوم لا يقبل أنْ تخدم أمّه ليلى أمّكم. فقال لماذا؟ فقالوا لأنّ والدَها مهلة بن ربيعة، وعمّها كليب بن وائل أعزّ العرب، وزوجها كلثوم بن مالك، وابنها عمرو سيّد قومه وأشجعهم. فقال عمرو بن هند: إذًا لنرسل إليهم. ودعا إلى عمرو بن كلثوم وأمّه للحضور إليه، فلمّا وصل الخبر إلى عمرو بن كلثوم ذهب هو وأمّه وقومُه إلى أمير الحيرة عمرو بن هند، وأعدّ له خيمة بجانبه، وأعدّ لأمّه خيمة في الجانب الآخر، وذاتَ ليلة أعدّت المائدة، وقالت هند والدةُ عمرو أمير

الحيرة لليلى والدةِ عمرو بن كلثوم: هلّا ناولتني هذا الصّحن. فقالت لها ليلى: مَنْ كانَ صاحبَ حاجةٍ فليقضِها بنفسه، وكرّرتها عليها فنادت ليلى (وا أذلّاه يا تغلب) فلمّا سمع ابنُها عمرو بن كلثوم هذه الاستغاثة هُرِعَ إليها، ولمّا علم بالأمر سحب السّيفَ الذي يعلّقه عمرو بن هند وقتلَه في الحال، وهُرِعَ قومه لنهبِ خيمة عمرو بن هند. ونظم عمرو بن كلثوم قصيدتَه المشهورة التي أصبحت من المعلقات والتي يقول في مطلعها:

ألا هبّـي بصحنـك فأصبحينـا
ولا تـبقي خمـور الأندرينـا

ولمّا أنشد تلك القصيدة في سوق عكاظ في مكّة انتشرت بين النّاس لدرجة أنّ كلّ بني تغلب حفظوها، وكانت من المعلّقات، لدرجة أنّ شاعرًا من بكر بن وائل نظم البيتيْن التّاليين فيهم:

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدًا مذْ كان أولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم

وللاطّلاع على هذا المطلع المذكور الرّجوع للتّرجمة الواردة في المجلد الأوّل بعنوان أمّ عمرو.

٧٢٩- ليلا:

ليلا خانم، من أديبات أستانبول، وهي من أقاربِ فؤاد باشا. ورد في تذكرةِ فطين أنّها كانت ابنةَ موره لي زاده حامد أفندي من الصدور، تُوفّيت عام ١٢٦٤هـ، ولها ديوان مرتّب ومطبوع. أحسنُ بيتٍ في هذا الديوان هو البيت التّالي:

لا تضر أحبابك لا تضرّهم وهذه
هي الظّرافة في هذا العالم الفاني

ومن أبياتها أيضًا في التّعبير عن صفة اللامبالاة التي يجب أنْ تتحلّى بها النساء:

فليقلْ مَنْ يقول في
مجلس القيل والقال

اشرب الخمر الجذاب وليقل منْ يقول

فما الفرق بين مدحي وذمي في هذا العالم ليسلم الأحباء، وليقولوا منْ يقولوا اشرب الخمر في الحديقة، وليقل ما يقول وتنزّه في هذا العالم وليقلْ منْ يقول.

وينقل عنها أنْ أحبّت على خلاف المعهود طفلًا يعمل في محلّ شمع، وكانت تذهب إليه كثيرًا لتشتري منه، ولمّا علم أحد الظرفاء بالأمر حفّظ الطفلَ المِصراع التّالي، وقال له لتقرأه على ليلا حينما تأتي إليك (لا تنظري بتمعّنٍ إلى شمع خدّي فتحترقي) ولمّا حضرتْ إلى الطفل قرأ عليها المصراع فقالتْ له (وعندما تبلغ ستبحث أنتَ عنّي بالشمعة).

وتوجد سبعُ عشرة صحابيّة باسم ليلى بخلاف ليلى بنت حسّان. كما توجد ليلى بنت مسعود بن خالد النهشليّة التميمية، وكانت من زوجات الإمام علي، وقد أنجب منها ابنه عبد الله وأبا بكر اللّذين استشهدا مع الحسين في واقعة كربلاء. وليلى بنت حابس وهي أختُ الأقرع بن حابس من المؤلّفة قلوبهم. ووالدة الفرزدق وهي ليلى المذكورة في شعر عبد الله بن رواحة، وهي أخت قيس بن الخطيم، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل أنّها تغزّلت في كلّ واحد منهما في الأشعار التي نظمت بخصوص يوم بعاث من أيام الوقائع الحربيّة المشهورة عند العرب، وقد أشرنا من قبل إلى عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة في حرف العين في عنوان عمرة. وقد ذكر في المواهب أنّ ليلى المذكورة كانت من مطلّقات النّبي ﷺ، وقد طلقها النبي لبُغضها وحقدها، وقد افترسها ذئبٌ وهلكت. كما كانت خندف وبنت الجودي السوابق الترجمة اسمهنّ ليلى أيضًا.

حرف الميم

٧٣٠- ماء السماء:

والدةُ المنذر الثالث، من ولاة الحيرة الملقّبين بالمناذرة، لُقّبت بماء السماء لصفائها وجَمالها. وكان ابنُها المنذر ينتسب إليها لاشتهارها بهذا الاسم، فكان يُقال منذر بن ماء السّماء.

وقد ذكر في كتاب تاريخ أبي الفدا وسائر الكتبِ الأخرى أنّ اسمها الأصلي ماويّة الذي يعني مرآة. ورغم أنّ الكثير أوضح أنّ ماء السّماء لقبها إلّا أنّ صاحب القاموس أورد أنّه لا يوجدُ لها اسمٌ آخر غير ذلك.

وماءُ السّماء أيضًا لقب عامر بن حارث الغطريف وهو من أجداد الأنصار، وقد لُقّب بهذا اللّقب لسماحته، وذلك لأنّ ماء السماء يعني المطر، وهذا ما قاله ابن الأثير في الكامل.

وورد في كتاب البخاري في باب اتخاذ السّراري حديث أبي هريرة الخاصّ بواقعة سيدنا إبراهيم مع فرعون

وزوجته سارة، وأنّ الرسول قال مخاطبًا العرب بعد تلك الواقعة (فتلك أمّكم يا بني ماء السّماء) وهذا مبنيّ على أنّ العرب يلازمون الأماكن والأودية التي ينزل فيها المطر بحُكم رعيهم للدواب. وقد صرّح بذلك العلامة العسقلاني في شرح البخاري.

٧٣١- ماجدة القرشية:

سيّدةٌ عليّةُ الشأن من صالحات الأمّة. وهي مذكورةٌ في فصل الوليات بكتاب الطبقات للشّعراني.

٧٣٢- مارخة:

السّيدةُ المعروفة بالمثل العربي حياء مارخة. كانت تستتر عن النّاس كثيرًا، وكانت تظهرُ العفّة المتناهية، ولمّا كانت تكفن تجرّد عنها الكفنُ فتعرّت ففسدَ حياؤها، ولذا قيل في حقّ الحياء المزيّف (هذا حياء مارخة).

٧٣٣- ماردة:

هي والدةُ الخليفة العباسي محمد المعتصم المعروف عند المؤرّخين بالمثمّن والثماني. كانت إحدى زوجاتِ هارون الرشيد. وسببُ إطلاق المؤرّخين عليه المثمن أنّه كان الثّامن في التّرتيب فيمَنْ تولّوا الخلافة العباسية، وكانت خلافتُه سنة ٢١٨هـ وكانت مدّة سلطنته ٨ سنوات و٨ شهور و٨ أيام، وفتح في سلطنته ٨ فتوحات، وانتصر على ٨ أعداء من أعدائه، وأمرَ ببناء قلعة أو قصر الثمانية، وتُوفي وهو في الثّامنة والأربعين من عمره، وعندما توفي ترك ٨ ملايين دينار و٨ ملايين درهم، و٨٠٠٠ فرس وبغل، و٨٠٠٠ جارية وعبد. وبعض الكتبِ تقول بأنّ والدته كانت ماريّة بنت شبيب.

٧٣٤- ماريّة القبطية:

الجاريةُ التي أهداها المقوقس عاملُ قيصر الرّوم على الإسكندريّة للنّبي ﷺ، وقد تشرّفت بزواج النبي منها، وأنجب منها ابنَه إبراهيم.

والمعلوم أنّ لفظَ القبط هو اسمُ قوم مصر القُدامى. وقد وصلت المذكورة من مصر إلى المدينة المنوّرة في السنة

الثامنة من الهجرة، وتُوفِّيت في عام ١٦هـ في عهد عمر الفاروق.

٧٣٥- ماريّة ذات القرطين:

ماريّةُ بنتُ أرقم من آل ملوك الذين يُطلق عليهم بنو جفنة، كان لها قرطان بهما لؤلؤتان في حجم بيضتي الحمامة. كان ثمنُها تقريبًا ٤٠ ألف دينار، وقد تصدّقت به للكعبة، وأخذه خازنُ الكعبة وعلّقه بها. وقد انتقل هذا القرط من ملك إلى ملكٍ حتّى وصل إلى عبد الملك بن مروان فأعطاه لابنتِه فاطمة عندما تزوّجت بعمر بن عبد العزيز. وقد أخذه زوجُها عمر عندما تولّى الخلافة وأعادَه إلى بيت المال، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل في حرف الفاء.

ويُقال في المثل (أعزّ من قرطي ماريّة) للشيء الغالي النّفيس للغاية، كما يُقال للترغيب في فعل شيء ما (خذه ولو بقرطي مارية).

٧٣٦- ماريّة بنت جعد العبديه:

من شرفاء نساء العرب، من عشيرة بني عبد الدار، كانت من الذين يستطيعون تطليق أزواجهنّ على حسب عادة الجاهلية، وسنفصّل ذلك في عنوان ماوية.

٧٣٧- ماريّة:

جاريةٌ شاعرة، من جواري هارون الرشيد. كانت بديعة الجَمال، وصاحبة أدب وكمال. وذاتَ يوم دخل أحد الشّعراء على الخليفة هارون، ورأى طبقًا من الورد فقال:

كأنّه خدّ محبوب يقبّله فمُ الحبيب
وقد أبدى به خجلا

فلمّا سمع هارون الرشيد ذلك قال لها ماذا تقولين في ذلك يا ماريّة، فقالت:

كأنّه لون خدّي حين تدفعني
كفّ الرّشيد لأمر يوجب الغسل

فلمّا قالت ذلك حرّكت الشهوة عند الخليفة. وودعة سابقةُ الترجمة اسمها ماريّة أيضًا.

٧٣٨- مال خاتون:

ابنةُ الشيخ الأدبالي الأسكي شهرلي أحد مشايخ عصر الغازي عثمان الأوّل

مؤسّس السّلطنة العثمانية، كان الشّيخ المذكور صاحبَ ثروة. كانت مال خاتون زوجة عثمان الغازي، أنجبَ عثمان منها علاء الدين وأورخان. كان السّلطان عثمان يذهب لزيارة الشّيخ الأدبالي وابنته في زاويتهم قبل أنْ يحرز السّلطنة، ولمّا رأى عثمان الغازي مال خاتون عند والدها أحبّها، وكانت هي الأخرى قد أحبّته لما اتّصف به من شجاعة فائقة، وذاتَ ليلةٍ رأى عثمان في منامِه أنّ نورًا يخرج من بطن الشّيخ الإدبالي وينتقل إلى بطنه، ثمّ تخرج من بطنه شجرة كبيرة تظلّل بفروعها على كلّ الأمم، ولمّا استيقظ عثمان وقصّ الرؤيا على الشيخ الأدبالي بشّره الشيخ بأنّ هذه بشارة من الله بأنّه سيؤسّس دولة كبيرة وعظيمة، وزوّجه بابنته، وأنجبت منه علاء الدين والسّلطان أورخان، وبذلك كانت تلك مقدّمة تأسيس الدّولة العثمانية. ولهذا فإنّ الشيخ الإدبالي هو جدّ سلاطيننا من ناحية الأم.

تُوفّيت عام ٧٢٥هـ في أواخر عهد عثمان غازي، وكانت وفاتها قبل وفاة عثمان بثلاثة أشهر، وبعد وفاة أبيها بشهر. ولأنّ ابنها علاء الدّين كان أكبرَ إخوته أطلق عليه لقب باشا التي تعني في لغة التّركمان الأخ الأكبر. وهناك منْ ينطقُها باي شاه بالتّخفيف، وهي بذلك تعني قدم السّلطان أي مَنْ يقومون بخدمة السلطان ويساعدونه في إدارة البلاد. وهذا ما ورد في صحائف الأخبار.

ومِن المعلوم أنّ أوّل مَنْ لقّب بلقب سلطان مِن ملوك الإسلام محمود بن سبكتكين حاكم غزنة، وذلك عام ٣٨٨هـ.

٧٣٩- ماوية:

من الأسامي المشهورة لنساء العرب وتعني المرآة. وكانت زوجةَ السّخي المشهور حاتم الطّائي، ووالدةَ الصّحابي الجليل عدي بن حاتم الذي قيل فيه:

بـــابه اقتـــدي عـــدي فـــي الكـــرم
ومـــن يشـــابه أبـــــاه فـــما ظلـــم

كان المذكور صاحبَ نفوذ ورياسة وشرفٍ بين قومه، لا يردّ مَنْ يطلب منه

طلبًا. وقد ورد في المجلد السّادس عشر من كتاب الأغاني أنّه تزوّج مرّة وطُلّق مرّة. وذلك لأنّ عادةَ العرب في الجاهليّة كان بها إمكانيّة تطليق النّساء للرجال، وكانت هذا الطلاق يتمّ على النّحو التالي؛ إذا دخل الرّجل على زوجته ونظر يمينًا ونظرتْ هي يسارًا، أو نظر هو يسارًا ونظرت هي يمينًا؛ يُفهم بذلك أنّها لا ترغب فيه، فيُطلّق. ولم يكنْ لكلّ النساء عند العرب تلك الميزةِ أي القدرة على التّطليق، وقد ذكر أبو الفضل أنّ نساء العرب اللاتي كنّ لديهنّ القدرة على تطليق أزواجهنّ ماويّة صاحبة التّرجمة، وأمّ خارجة، ومارية بنت الجعد العبدريه، وعاتكة بنت مرّة بن هلال، وفاطمة بنت الخرشب الأنماريّة، وسواء العنزيّة، وأمّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد.

٧٤٠- ماويّة بنت عبد مناة:

وهي من النّسوة التي أنجبت نجباء، وقد ذكرت ترجمتُها في المجلد السادس عشر من الأغاني في ترجمة ربيع بن زياد. كانت المذكورةُ والدةَ لقيط وحاجب وعلقمة رؤساء بني تميم.

وتوجد امرأةٌ أخرى باسم ماويّة بنت الأحت لها أبيات في ديوان الحماسة البصريّة تبدأ بهوت أمّهم، وهي قصيدة ذكرناها بالمناسبة في المجلد الأوّل ص ٧٧.

٧٤١- ماه بيكر سلطان:

كانت من زوجات السّلطان أحمد الأوّل، كان يطلَق عليها كوسم سلطان. والدة السلطان مراد الرّابع والسّلطان إبراهيم، أمّا أخوهم الأكبر السّلطان عثمان الثّاني فكان أخاهم من أمّ ثانية. كانت تسمّى ماه فيروز خاتون، كانت رئيسة النّساء في عهد السّلطان أحمد الأوّل. عاصرت ماه بيكر سلطان عهدَ إمارة ابنيها، وسلطنتهما، وأوائلَ عهد حفيدها السّلطان محمد الرابع، لذا كانت صاحبةَ نفوذٍ في القصر، وكانت تتدخل في كافّة شئون الدولة، عاشت خمسين سنة. وقتلت في شهر رمضان عام ١٠٦١هـ على يد أغوات

كوجك والدة (ترخان خديجة سلطان) ودُفنت في قبر السّلطان أحمد. وقصّتها ونفوذها في القصر والثّروة التي كانت تمتلكها مذكورق في كلّ كتب التّواريخ، وسنذكر هنا حسناتها وخيراتها؛ فقد ذكرَ نعيما أنّها كانت صاحبة خيرات وحسنات، ومن ذلك أنّها كانت تؤسّس الجوامع والعمارات الخيريّة، فضلًا عن أنّها كانت توزّع بشكل دائم صررًا ماليّة تُسمّى (علوفة السادات) في الأشهر المباركة على ما يزيد على مائتين من أشراف الحجاز، وكانت تعين مع الحجّاج كلّ عام كبير سقائين وصغير سقائين لسقي الحجّاج في الطّريق، كما كانت توزّع العطايا يوم خروج الصّرر على أئمة وخطباء المساجد والجوامع في استانبول. وكانت توقف الأوقاف لقراءة القرآن الكريم في حضور السّلطان. وكانت تنفق على المساكين والمحتاجين، وتجهز الفتيات للزّواج، وكان من عاداتها أيضًا أنْ تقوم كلّ عام في شهر رجب بتغيير زيّها، وتذهب إلى السّجن وتعاين بنفسها أصحابَ الدّيون، وتسجّلها في دفتر، وتقوم بأداء الدّيون عنهم وتُطلق سراحهم كما كانت تُطلق سراح أصحاب التّهم الخفيفة الذين بقي على خروجهم فترةٌ بسيطة. وكانت تقوم بتلك الخيرات بنفسها، ولا تثقُ في الأغوات لحرصهم وطمعهم.

وكان من جُملة خيراتها أيضًا توزيع اللّحوم على العاملين في المابين الهمايوني في عيد الأضحى.

وقد ذكرنا في المجلد الأوّل في ترجمة ترخان خديجة سلطان أنّ ماه بيكر سلطان هي التي شرعت في أساسات جامع (يكي جامع)، ولها أيضًا جامع في اسكدار يُسمّى جينلي جامع، وقد بنّته في عام ١٠٥٠هـ وأكملته بمكتب للأطفال وسبيل وحمّام ودار حديث. والخان الكبير المعروف باسم والده خاني الذي يعدّ مقرًّا اليومَ للإيرانيّين في استانبول من آثارها أيضًا. ومذكورٌ في حديقة الجوامع أنّها بنت مسجدًا بجوار الخان المذكور، وآخر في قلعة أناضول وقواغي عند مضيق البحر الأسود.

٧٤٢- ماهاماه:

مادر ساه كموني. يعتقد كفّارُ الهند أنّها نبيّة صاحبةُ كتاب. ولا يطّلع أحدٌ على أسرارها، نقلت بعضَ الأساطير التي حدثت عند ولادتها، ويطلقون على كتابها أيضًا شا كموني. برهان.

٧٤٣- ماه ججك بكم:

من زوجات همايون شاه، والدةُ الأمير ميرزا محمد حكيم أبو المفاخر أحدِ الأمراء الذين استقلّوا بالحكم في غزنة وكابل وقندهار في أواسط عام ٩٠٠هـ لما ذكرَ في كتب التواريخ، لأنّها كانت صاحبةَ نفوذ، وعلى منْ يريد الاطّلاع يراجع المجلد الثّالث من صحائف الأخبار.

٧٤٤- مايون شاه:

مِن الذين حكموا الهند من أبناء السلطان أبي سعيد بهادر خان. كانت والدتُها ابنةَ أحد أعيان خراسان، كان اسمها أيضًا ماه بكم.

٧٤٥- ماهم أنا:

كانت مربّية محمد أكبر شاه أحد أبناء السّلطان أبي سعيد بهادر خان، ولأنّها انتسبت لهمايون شاه كانت صاحبةَ نفوذ كبير، ويمكن القولُ بأنّها كانت تلي الوزيرَ الأكبر بيرام خان مباشرةً في النّفوذ والسلطة. وكانت وكيلة لوزير الأعظم منعم خان، وكان ابنُها أدهم خان أحد أمراء الدّولة أيضًا. وفي عام ٩٦٨هـ أقامت حفلًا كبيرًا وزوّجت ابنها الآخر باقي خان. من ص ١٠٢ بالمجلد الثّالث بصحائف الأخبار.

٧٤٦- ماه ملك خاتون:

ابنةُ السلطان سنجر أحد سلاطين إيران الذين كانت خراسان دارَ ملكهم. كان أبوها يحبّها جدًّا، لدرجة أنّها لمّا تُوفّيت أتى من بخارى إلى خراسان مخصوص ليأمرَ بنظم المرثيّات في حقّها. وقد نظم قصيدة تسمّى (عمعق بخارى) واعتذرَ لأنّه غيرُ قادر على نظم الشعر بسبب كبره ومرضه. ولكنّه نظم تلك الرباعيّة الجميلة في حقّ ماه ملك، لأنّ الوقت كان موسمَ الربيع:

حان الربيع وتفتّحت الزهور في البستان

ولكنّ الوردة اليانعة دُفنت في التراب

تسقي أفرع الشجر الماء من السحاب
ولكن هذه النرجسة ظلت بلا ماء

٧٤٧- متعة:

وقيل منفعة، ورد في نفحات الطيب الذي يعدّ تاريخًا للأندلس أنّها كانت جاريةً مغنّية، تعلّمت على يد المغني الأندلسي المشهور زرياب. كانت فتاةً تفوق أقرانها في الجمال والإنشاء والشعر. ذاتَ يوم كانت تغني وتخدم في مجلس عبد الرحمنِ الثّالث، ولمّا لاحظت إعجاب عبد الرحمن بها، بدأتْ تتدلّل، فأمرها عبد الرحمن بالتستر والاحتشام، فنظمت الأبيات التالية:

يا منْ يغطي هواه من ذا يغطي النهار
قد كنت أملك قلبي حتّى علت فطارا
يا ويلتي أتراه لي كان أو مستعارا
يا بأبي قرشي خلعت فيه العذارا

٧٤٨- متمنية:

سيدةٌ من نساء المدينة في عصر الصحابة. اسمُها الأصلي غير معروف، ولكنّها اشتهرت بالمتمنّية لأنّها كانت تتمنّى بعض الأشياء في الأبيات التالية:

هل من سبيل إلى خمرٍ فلأشربها
أمْ من سبيل إلى نصر بن حجّاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل
هل المحيا كريم غير ملجاج
تمنيه أعراق صدق حين تنسبه
أخي وفاء عن المكروب فراج

وكانت المذكورة تقول تلك الأبيات في ليلة، وسمعَها عمر بن الخطاب، فسأل منْ المتمنّية؟ ومَنْ هو نصر بن حجّاج؟، وفي الصّباح أمر بإحضار هذا الرّجل فأتوا به فإذا به رجلٌ شديدُ الجَمال، فأمر عمر بحلق رأسه حتّى لا تفتتنُ به النساء العفيفات، وصرفه، وبينما هو يتحسّس أحوال الرعيّة ليلًا وجد نفسَ المرأة تقول:

حلقوا رأسه ليكسوه قبحًا
غيرة منهم عليه وشحّا
كان بدرًا يقل ليلًا بهيمًا كشفوا
ليله وأبقوه صبحا

ولمّا سمع عمر تلك الأبيات منها، أمر في الصّباح بجلب الرجل وقال له إنّك تفتن النساء في بيوتهنّ، ولا أجتمع أنا وأنت في بلد واحد، وأمرّ بنفيه إلى البصرة. ولأنّ تلك الواقعة اشتهرتْ في المدينة، وأنّ المرأة اشتهرت بالصّبابة ضُرب بها المثل في العشق والصبابة فقيل (أصبّ من المتمنّية)، ويظنّ البعض أنّها فارعة أو فريعة بنت همام سابقة الترجمة.

وذكر في المجلد الثّاني ص ٢٩ في تزيين الأسواق أنّها لمّا أحسّت بأنّ عمر سينفي الرجل بعيدًا ذهبتْ إلى عمر ونظمتِ الأبيات التّالية تستعطفُه ألّا يفعل ذلك:

قلْ للإمام الذي تخشى بوادره
ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
غنى غنيت أبا حفص بغيرهما
شرب الحليب وطرف غيره ساج
إنّ الهوى زمّه التقوى فقيّده
حتى أقرّ بإلجام وإسراج
أمنيّة لم أطر فيها بطائرة والناس
من هالك فيها ومن ناج
لا تجعل الظنّ حقًّا أو تبيّنه
إنّ السبيل سبيل الخائف الراجي

استطراد

كان عمر يتجوّل في المدينة ذات ليلة يتحسّس أحوال الرعية، فإذا به يسمع امرأة تنشد:

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه
وليس إلى جنبي خليلٌ ألاعبه
فوالله لولا خشية الله والحيا
لحرّكت من هذا السرير جوانبه

لمّا علم عمرُ بحال المرأة وما تعانيه من فقدانٍ لزوجها، أتى بامرأةٍ وسألها كم شهرًا تستطيعُ المرأة الابتعادَ عن زوجها فقالت أربعة أشهر، فأرسل الأوامر إلى الولايات بألّا يتغيب رجلٌ في الجيش عن أهل بيته أكثر من أربعة أشهر.

وبذلك اتّخذت أصول تغيير الجنود في الجيش مرّة كلّ أربعة أشهر.

٧٤٩- متيم الهاشمية:

من مواليد البصرة ومغنّيات العصر العباسي. كانت جاريةَ علي بن هاشم، وأمّ ولده. أخذتِ الموسيقى عن الأستاذ إسحاق الموصلي وابنه إبراهيم. وتفصيلُ أحوالها مذكور في المجلّد السّابع من كتاب الأغاني، كما كانت تمتاز أيضًا بالتفوّق في الشّعر والنظم. وذكر في كتاب ابن ظافر أنّ الخليفة المأمون ذاتَ يوم قرأ القطعةَ التّالية على المذكورة، وأمرها أنْ تنظم قطعةً مناسبة لها:

تعالي تكون الكتب بيني وبينكم
ملاحظة نومي بها وتشير
فعندي من الكتب المشمومة حيرة
وعندي من شؤم الرسول أمور

فقالت مرتجلة:

جعلت كتابي عبرة مستهلة
ففي الخدّ من ماء الجفون سطور
ورسلي لحاجتي وهن كثيرة
إليك إشارات بها وزفير

كانت توجد امرأةٌ أخرى باسم هاشميّة كانت في عهد الخليفة محمد المعتصم الملُقب بالثّماني أو المثمن الذي ذكرنا استطراد عنه في عنوانِ هاشمية، كانت تلك المرأة قد أسِرَت في أيدي كفّار الروم، ولمّا أسِرَتَ صاحت قائلة وا معتصماه، ولمّا وصل الخبر إلى محمد المعتصم كان في يده كأسٌ من العصير فأقسم على أنّ هذا الشّراب حرامٌ عليه حتّى يخلّص المرأة، وجمع الجيشَ وسار حتّى وصل مدينة أنامور بعامورية، وهدم المدينةَ وغلب الروم هناك، وأنقذَ المرأة، وهذا مذكور في صحائف الأخبار.

وورد أنّ المعتصم لمّا حاصر المدينة المذكورة وطالَ حصارها أخبره المنجمون بأنّ فتحَ تلك القلعة سيكون صعبًا لأنّ موسم التّين قد انقضى والعنبَ غير موجود، ولمّا تيسّر فتحها قبل موسم العنب نظمتِ الأبيات التّالية في التهنئة بالفتح:

السّيف أصدق أنباء من الكتب
في حدّه الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح
في متونهنّ جلاء الشّك والريب

كما نظمت أيضًا:

والعلم في شهب الأرماح لامعة
بين الخمسين لا في سبعة الشهب

وخوفوا الناس من دهياء داهية
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

تخرصًا وأحاديثًا ملفقة
ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

تسعون ألفًا كآساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب

ومن جملة أبياتها أيضًا:

من عهد إسكندر أو قبل ذلك فقد
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

بكر فما افترعتها كف حادثة
ولا ترقت إليها همة النوب

والأبيات لأبي تمام.

٧٥٠- محبوبة:

هديّة علي بن طاهر أمير الجيش للخليفة المتوكّل العباسي. كانت جارية شاعرة، هي قائلة الأبيات التّالية:

أدور في القصر لا أرى أحدًا
أشكو إليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية
ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا إلى ملك قد زارني
في الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح لنا عاد
إلى هجره وصارمني

كانت المذكورةُ قد قالت تلك الأبيات في رؤيا رأتها في فترةٍ كان الخليفة المتوكّل غضبانًا عليها فيها، ومزويّة في أحد أركان القصر، وقد رأتْ في الرؤية أنّ الخليفة صالحها، ولمّا حدث من الخليفة نفسُ ما وقع في الرؤية قصّتها عليه في الصباح.

٧٥١- مخفى بكم:

زيب النّساء من شواعر إيران، لها أشعار فارسية.

٧٥٢- مراجل:

والدةُ المأمون العباسي، وإحدى جواري هارون الرّشيد. كانت في الأصل

فتاة مجوسيّة ابنة سيس المجوسي، الذي أشعل الفتنة في خراسان عام ١٥٠ هـ. لمّا هُزم والدها أمام ولاة خراسان التابعين لخليفة العباسي أسر الرجل وابنتُه وسيقا إلى الخليفة. واستفرشها هارون بعد فترةٍ وأنجب منها ابنَه المأمون. وقد تُوفّيت وهي في فترة النّفاس.

ذكر كمال الدّين الدميري في كتابه حياة الحيوان في ترجمة محمد الأمين العباسي نقلًا عن عيون التّواريخ والكتب الأخرى أنّ الخليفة المأمون شاهد ذاتَ يوم أمّ جعفر زبيدة والدة الخليفة الأمين تحرّك شفتيها بكلمات، فقال لها هل تدْعين عليّ لأنني كنت سببًا في مقتل ابنك وضياع مُلكه؟ فأقسمت له بأنّها لم تفعل ذلك، فأصرّ المأمون على أنْ تقول له ماذا كانت تقول. فقالت كنتُ ألوم نفسي على فعلٍ أصررت وعاندتُ فيه فكانت عاقبتي وخيمة عليّ، فقال لها وما هو؟ فقالت كنت ألعبُ الشّطرنج مع والدك هارون الرّشيد- رحمه الله- ذاتَ يوم ولمّا غلبني أصرّ على أنْ أتجوّل في القصر عارية من ملابسي، ورغم أنّني رجوتُه أنْ يعدل عن مطلبه إلّا أنّه أصرّ وتجرّدت من ملابسي وطفت في القصر وأنا عارية، وأضمرتها في نفسي، وذات يوم كنّا نلعب وغلبتُه، فأمرتُه بأنْ يجامع أقبح امرأةٍ في المطبخ، ورغم أنّه رجاني أنْ أعدل عن مطلبي إلّا أنّني أصررتُ وأخذته من يده، وذهبتُ به إلى المطبخ فلم أجد أقبح من والدتك مراجل، فقلت له جامعها فجامَعَها فأنجبتك، فكنت ألومُ نفسي على ذلك. فقال لها المأمون: لعنَ الله الملاحة. وانصرف.

٧٥٣- مرد خاتون:

ذكر الصفدي في كتابه الأعيان أنّها كانت سيّدةً متحكّمة، زوجةُ أمير الشام تاج الملوك توري بن طغتك الذي تُوفّي في الشام في عام ٥٢٦هـ، وكانت أمّ أولاده شمس الملوك إسماعيل وشهاب الدين محمود اللّذين توليا إمارة الشام خلفًا لوالديهما. أمرتْ رجالها بقتل ابنها إسماعيل لأنه كان ظالمًا متعسفًا على الأهالي، وقيل لأنّها اتّفقت مع رجال الدّولة على أمر ما. ورغم أنّ عماد الدّين

زنكي الذي استولى على حمص في تلك الأثناء تزوّجها أملًا منه في الحصول على الشّام أيضًا، إلّا أنّه أعرض عنها لمّا رأى أنّه لن يستطيعَ تحقيق ذلك.

بَنتِ المشارُ إليها مدرسة في دمشق تطلّ على وادي الشقرا.

٧٥٤- مرزبان:

وردَ في ترجمة منظومة الحلبي أنّها كانت ابنةَ عمّ الصّحابي الجليل فيروز الديلمي، وزوجة الخبيث الأسود العنسي من العرب الذين ادّعوا النبوّة. ذكرت في صدر الكتاب في عنوان آزاد.

وقد ذكرنا في المجلد الأوّل في صفحة ٣٠١ تفصيلات عن لفظ مرزبان أيضًا.

٧٥٥- مروانية:

سيّدةٌ مغنّية عربية. ذكر صاحب الأغاني أنّها لم تكنْ تنسب إلى مروان بن الحكم، وإنّما كانت زوجةَ حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، والدةُ عليّة بنت المهدي المذكورة في حرف العين، ومكنونة الآتية الترجمة من جواريها.

استطراد

بمناسبة تصحيح كتاب الأغاني لتلك المعلومة تذكّرت الأبيات التي نظمها الأخطل في حقّ يزيد بن مهلب:

أبا خالد بادت خراسان بعدكم
وقال ذوو الحاجات أين يزيد
ولا مطر المروان بعدك قطرة
ولا أخضر بالمروين بعدك عود
فما السرير الملك بعدك بهجة
ولا لجواد بعد جودك جود

والمقصود بمروان المذكورة هنا مدينة مرو شاهجان ومدينة مرو الروز، وهما مدينتان خراسانيتان مشهورتان.

وقد عرضَ الأخطل تلك الأبيات على يزيد بن المهلّب عندما كان في محبس الحجاج فنالَ إحسانَه، فلمّا عزل الحجّاجُ يزيد من إمارة خراسان أصرّ على تعذيبه كلّ يوم لأنّه أخفى حاصلات الإمارة. وذاتَ يومٍ تصوّر المذكور أنّه لو أعطى رشوةً سينْقذ من هذا العذاب ليوم، وأعدّ ١٠٠ درهم، ولمّا جاء الشاعر

المذكور في ذلك اليوم وأنشده الأبيات المذكورة أعطاه المذكور الأموالَ، وقال في نفسه سأصبر على العذاب يومًا آخر، ولمّا وصل الأمر إلى الحجّاج أنصف عليه وخلّصه من هذا العذاب. وقد كان آل مهلب في الدّولة المروانيّة كآل برمك في الدولة العباسيّة كرماءَ أصحابَ سخاء، وقيل في حقّهم:

نزلــت عـلى آل المهلــب شـاتيا
بعيـدًا عــن الأوطـان في زمــن المحـل
فـما زلــت في إحســانهم وافتقادهــم
وإنعامهـــم حتّـــى ظننتهـــم أهــلي

٧٥٦- مريم بنت عمران:

هي مريم بنت عمران بن ماثان من رؤساء بني إسرائيل، والدتُها حنة بنت فاقوذ سابقة التّرجمة. وهي والدة سيّدنا عيسى عليه السّلام. ذكرنا فيما سبق أنّها وصفت بالبتول والعذراء، خصّها القرآن الكريم من بين نساء العالمين بذكرها باسْمها في القرآن. وقد وصفها القرآنُ الكريم بالعفّة والطهارة في قوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين). وقال أيضًا (فتقبّلها ربها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتًا حسنًا). كما ورد في حقّها العديد من الأحاديث النبويّة الشريفة.

وتوجد مريم بنت عمران أخرى من بين نساءٍ بني إسرائيل، وهي ابنةُ عمران بن يصهر، وأختُ سيّدنا موسى وهارون، وأكبرهما. ورد في القرآن الكريم (وقالت لأخته قصّيه).

أمّا مريم ابنة عمران والدةُ عيسى فقد أسمتها أمّها حنة بهذا الاسم نظرًا لأنّ والدها كان مُتوفّيًا حينما وُلدَتْ مريم. ومريم في اللغة تعني أمَة الله أو جارية الله. وقد أسمتها أمّها بهذا الاسم لأنّها نذرتها لخدمة بيت المقدس. وبالإضافة إلى مريم في اللّغة العربيّة تعني العفّة إلّا أنّها تُطلق أيضًا على النّساء التي يبتهج الرجال من الحديث معها. ويؤكّد ذلك هذا البيت للشّاعر أبي حزام الذي يُعدّ من المعضلات الشعرية:

زير زور عن القداريف نور
لا يلاحين أن لصون الغسوسا

وزير هنا معناها المرأة التي يستمتع الرّجال بالجلوس معها والحديث معها. زور بمعنى الزّائر، وهي جمع لها. نور بضمّتين مخفّفة عن نور، وهي جمع لكلمة نور، ونور التي تعني المرأة التي تحترز تمامًا عن مواقع التّهم والشبه. قداريف جمع قدروف بمعنى النّقيصة والعيب، لا يلاحين مضارع منفي من الملاحة بمعنى الشّوق والصداقة، لصون فعل ماضٍ جمع مؤنث غائب بمعنى الحبّ والمودة. غسوس جمع غُس بضمّ الغين بمعنى اللئيم.

٧٥٧- مريم البصرية:

من أهالي البصرة القدامى، ومن الوليات المذكورات في النّفحات، كانت معاصرة لرابعة العدويّة، وكانت تخدمُها وتلازمها. وكانت دائمة التحدّث عن حبّ الله، حتّى أنها تُوفّيت وهي تتحدّث عن محبّة الله.

٧٥٨- مريم بنت أبي يعقوب:

ابنةُ أبي يعقوب الفيضولي، من أديبات الأندلس، كانت تسكن في أشبيلية، كانت تعقد حلقاتِ العلم والتدريس لتدرس فنّ الشّعر والإنشاء، كانت صاحبةَ فضلٍ وعلم وأدب. اشتهرتْ في المدينة المذكورة بعد عام ٤٠٠هـ، ووصف ورعُها وحالها بالأبيات التالية:

يا فذّة الظّرف في هذا الزمان ويا وحيدة
العصر في الإخلاص في العمل
أشبهت مريم العذراء في ورع
وفقْتِ خنساء في الأشعار والمثل

وقد نظمت المذكورة الأبيات التّالية وهي في السّابعة والسبعين من عمرها:

وما يرتجى من بنت سبعين حجّة
وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدبّ دبيب الطفل تسعى إلى العصا
وتمشي بها مشي الأسير المكبل

حجّة بكسر الحاء أي سنة. كانت مظهرًا للعمر الطويل رحمها الله.

٧٥٩- مريم بنت أحمد:

ابنةُ أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الدمشقي. من أهالي دمشق الشام، سيدة مباركةٌ من أهل العلم من نساء أواسط القرن السّادس الهجري. كانت تحضر دروسَ الإمام محمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي من فقهاء العصر، كما حصلت على الإجازة من الإمام الكاشغري وابن القبيطي وآخرين.

ذكر الصّفدي في كتابه الأعيان أنّها كانت أختَ الإمام المحدّث محبّ الدين عبد الله المقدسي، وزوجةَ الشيخ محمد بن أبي محمد العطار. وُلدت عام ٦٣٥هـ وكانت وفاتها في ١٣ جمادى الأولى عام ٦٩٠هـ.

٧٦٠- مريم بنت الكلوتاتي:

أمّ الفضل مريم ابنةُ المحدّث شهاب الدين أحمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله الكلوتاتي، سيّدةٌ محدّثةٌ من أشياخ الإمام السيوطي. وُلدت في ذي القعدة عام ٨٢٦هـ وتلمذت على يد والدها.

ويذكر ابنُ الأثير أنّ هناك صحابيّتين باسم مريم. كما ذكر في تفسير الجلالين أنّ اسم عجوز بني إسرائيل التي دلّت على قبر يوسف اسمها مريم. وقد أوردناها في حرف العين.

ومريمُ المجدليّة سيّدةٌ إسرائيلية، ورد ذكرُها في أناجيل النّصارى في واقعة عروج عيسى.

٧٦١- مزنة بنت مروان:

ابنةُ مروان بن محمد الأموي، سيّدة من معاتيق بني أميّة، لها حكاية في الجواهر الملتقطة، يقول فيها سمعت من والدي أبي موسى الفضل أنّه سمع من زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أنّها قالت كنت ذات يوم عندَ الخيزران أمّ ولد الخليفة المهدي ووالدة الخليفة الهادي وهارون الرشيد، وبينما نحن جلوسٌ دخلت علينا جاريةٌ، وقالت: أعزّ الله السيدة، توجد بالباب سيّدةٌ جميلة ذاتُ حسنٍ تبدو عليها علاماتُ الإمارة، ولكنّ حالها مضطرب، تريد أنْ تقابلك فماذا

تأمرين؟ فقالت: أدخليها لعلّ عندها خيرًا ونأخذ منها ثوابًا. فدخلت علينا سيدة غايةٌ في الجمال، وقفت بجوار الباب وقالت: أنا مزنة بنت مروان بن محمد المهدي. ولمّا سمعت منها ذلك انكببتُ على ركبتي، وقلت لها: أنتِ مزنة لا سلّمك الله ولا حيّاك، الحمد لله الذي أذلّك بين الناس وجعلك مُهانة، يا عدوّة الله، أتذكري.. لقد أتتْ إليك نساءُ بني العباس ليرجون والدك في دفن إبراهيم بن محمد، فقلت لهنّ قولًا خشنًا غليظًا، وخرجنَ من عندك مُهانات. ولمّا سمعتْ مزنة بكلامي هذا ضحكتْ بقهقهة، ووالله لا أنسى قطّ جمال أسنانها ورقّة صوتها عندما ضحكت، فقالت مزنة: يا ابنةَ عمّ، ما الذي يحيّرك في صنيعي لنساء بني العباس، ولكن الله تعالى جعلني ذليلةً مُهانة عارية، وأتيت إليك وأنا خاضعة، فهل هذا شكرُك لله على أنّه أتى إليك وأنا في هذه الحالة؟ ثمّ سلّمت وخرجت، تقول زينب: بكتِ الخيزران من شدّة حزنها وشفقتها على مزنة، ونادت على مزنة، وأرسلت الجواري إليها لإحضارها، فقالت مزنة: والله ما أتى بي إلى هنا إلى الضّرورة والحاجة، ولمّا قامت الخيزران لمعانقتها امتنعت مزنة وقالت لها: تعانقني وأنا في حالتي هذه، فأمرت الخيزران الجواري بإعداد الحمّام بسرعة، وألبستها الخيزران من أنفس ملابسها، بعدها جلبتها الخيزران إلى المجلس وأجلستها مكانها، وأمرتْ بجلب الطعام لها، وكانت تضع لها الطّعام بيدها في فمها، وخصّصت لها غرفة من أحسنِ غرف القصر لتقيم فيها، وعيّنت لها الجواري لخدمتها، كما أعطتها ٥٠٠ ألف درهم لتنفق منها، وذاتَ يوم ذهب المهدي إلى الحريم ولمّا علم من الخيزران ما جرى وردّ زينب على مزنة انفعلَ على زينب، ولكنّ الخيزران قالت: يا أمير المؤمنين، إنّ مزنة الآن مطيّبة الخاطر تقيمُ في الحريم، فابتهجَ المهدي وأرسل خادمه إليه يقرؤها السّلام ويبلغها رسالة المهدي بأنّه سعيد جدًّا من إقامتها في القصر عنده، وأنّها لو احتاجت إلى أيّ شيء تطلبُه منه، فقالت مزنة: يا أمير المؤمنين،

إنّني جاريةٌ من جواريك. فقال: لا والله أنتِ بنت العمّ، وحُرمتك عندي أعزّ من أولادي. وعاشت مزنة في قصر المهدي مُعزّزة مكرّمة إلى آخر حياتها.

٧٦٢- مسندة الشام:

هي أمّ العزيز بنت المحدّث نجم الدين السّابقة الترجمة، أخذت الحديثَ عن المحدّثة زينب بنت إسماعيل، وتفرّدت في الشام بإسناد الحديث؛ لذلك لُقّبت بلقب مسندة الشام.

٧٦٣- مصابيح:

ذُكرَ في نفح الطّيب أنّها جارية أبي حفص عمر بن قلهيل الكاتب. كانت جاريةً جميلةً، وعازفةً بارعة، تعلّمت الموسيقى على يدِ الملحن المشهور زرياب. كان سيّدها عمر يصونها لدرجةٍ أنّه كان يحرص على عدم سماع أحد غيره صوتها؛ لذلك نظَمَ ابن عبدربه صاحب العقدِ الفريد الأبياتِ التّالية في التّعريض بالرجل:

يا منْ يضنّ بصوت الطائر الغرد
ما كنت أحسب هذا الضنّ من أحد
لو أنّ سماع أهل الأرض قاطبة أصغت
إلى الصــــوت لم ينقص ولم يــزد

٧٦٤- مصرلى خانم:

ابنةُ المرحوم عارف بك ابن خليل حميد باشا، اسمُها فاطمة الزهراء، عُرفت باسم كلين خانم أي السّيدة العروس؛ لأنّها ذهبت إلى مصر عروسًا، ولأنّها عادت من هناك مؤخّرًا عُرفت باسْم مصرلى خانم أو السيدة المصريّة، جدّها خليل حميد باشا، كان من وزراء عهد السلطان عبد الحميد الأوّل، وقد امتدحه سنبل زاده في مقدمة كتابِه التّحفة بالأبيات التالية:

خـلـقه حـمـيد مـثل المخلص الـطاهر
وذاته سعـيـد مثـل الـنجم الـمـسعود

يعني أنّ اسمه خليل كخليل الرحمن، وهذا هو مظهرُ العدل والإحسان

أمّا والدُها عارف بك فقد تولّى قضاء عسكر الرّوملي أربع مرّات، ولمّا كان المشار إليه قاضيًا على مصر كانت ابنته صاحبة التّرجمة صغيرةَ السّن، وتلعب مع الخديوي إسماعيل باشا حفيد محمد علي والي مصر عندما كان صغيرًا، ولأنّ

محمد علي باشا عرف الفتاة جيدًا؛ أرسل خبرًا إلى والدها في استانبول عندما كبرتْ بأنه يريدها إلى حفيده إسماعيل باشا للزّواج، فذهبت الفتاة إلى مصر عروسًا لإسماعيل باشا، ولأنّ المذكور في ذلك الوقت كان في حملةِ السّودان جاء الخبر بأنه هلك هناك، فخيّرها محمد علي باشا بين أنْ تبقى في مصر أو أنْ تعود إلى استانبول، فقالت له «أنت الآنَ أبي وأمّي، وليس لي حاجة بعد الآن للزّوج أو استانبول»، فظلّت في مصر إلى آخر عمرها تعامَل وكأنّها ملكة على مصر، ولمّا تُوفي محمد علي باشا كانت المذكورة مظهرًا لالتفات أبنائه إبراهيم وعباس فأكرماها بالأموال والجواري، ولمّا عادت إلى استانبول كانت مظهرًا لإكرام السّلطان عبد المجيد أيضًا، وعاشت في هناء وسرورٍ لا يخطر على البال حتّى وفاتها.

٧٦٥- مضغة ومخة وزبدة:

هنّ أخوات الولي المشهور بشر بن الحارث الحافي. كنّ معروفات بالورع والتقوى، كانت مضغة أكبرَ إخوانها جميعًا، وتُوفّيت قبل بشر، وقد حزنَ بشرُ على وفاتها كثيرًا، وكان يبكي عليها كثيرًا أيضًا، ولمّا سأل عن سبب بكائه قال علمت أنّ الله يتوفّى أنيس العبد المقصّر، وكانت المرحومة أنيستي في الدنيا.

٧٦٦- مطرية:

شاعرةٌ فارسيّة من الشّواعر المذكورات في كتاب آتشك. كانت من محبوبات طنانشاه.

٧٦٧- مُعاذة:

معاذة العدويّة بضمّ الميم، سيّدةٌ مشهورة، ربّتها السيدة عائشة رضي الله عنها، ورووتْ عنها الحديث، كانت تابعيّة جليلةَ القدر وكثيرةَ المناقب. كانت تصلي ٦٠٠ ركعة في اليوم واللّيلة، لم ترفع رأسها إلى السماء طوال أربعين سنة، وبعد وفاة زوجها لم تذقْ طعم النوم أبدًا من كثرة العبادة.

وزوجُها على حسب ما ورد في كتاب تاريخ الكامل هو صلة بن أشيم أبو

الصهباء العدوي، استُشهد في سجستان مع يزيد بن زيادة.

وتوجد ثلاثُ صحابيّات أيضًا باسم معاذة، واحدةٌ منهنّ معاذة المازنية، كانت زوجة الصّحابي أعشى بن مازن، نظم فيها زوجها الأبياتِ التالية:

يـا سـيد النـاس وديـان العـرب
أشـكو إليـك ذربـة مـن الـذرب
كالذئبـة الغبسـاء في ظـلّ السـرب
خرجـت أبغيهـا الطّعـام في رجـب
فخالـفتـني بنـزاع وحـرب
وقـذفتني بيـن عيـص مؤتـشب
أخـلفت العهـد ولطـت بالذنـب
وهـنّ شرّ غـالـب لمـن غلـب

والواضح من الأبيات المذكورة أنّ أعشى نظمها يشتكي فيها لرسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- من زوجته؛ لأنّه كان قد خرج بحثًا عن المؤنِ والطّعام، وأثناء غيابه نشزت زوجته، وخرجتْ من البيت وفرّت إلى أحد أقاربها، ويُدعى مطرف بن نهشل، واستقرّت عنده، ولمّا عاد زوجُها ولم يجدها علم أنّها عند مطرف، فذهب إليه يطلب منه زوجتَه، ولكنّه رفض، ولأنّ مطرف كان صاحبَ نفوذٍ في قومه ولم يقدر عليه أعشى؛ نظَمَ أعشى الأبيات المذكورة وذهب بها إلى رسول الله يشتكي له زوجته، وقد أثمرَ شعرُه؛ حيث أمر رسولُ الله بعودة زوجته إليه، وعادت إليه، فنظَمَ أعشى الأبيات التّالية ابتهاجًا:

لـعـمـرك مـا حبي معاذة بـالـذي
يـغـيره الواشـي ولا قـدم لـعـهد
ولا سـوء مـا جـاءت بـه إذ أزلهـا
غـواة رجـال إذ ينـجـونـهـا بـعـدي

وذرب جمع ذربة بكسر الذال وهي المرأة سيّئة الطّبع واللسان. غبساء أي بيضاء، وهي صفةٌ لذئبة. حرب مثل الغضب معنى ووزنًا. وقد طُبعت في أسد الغابة وحياة الحيوان العربي خطأ (ذءب). لطت فعل ماض مؤنّث مضعف وهو القسم الواقع بين ذيل

الحيوان وكتفه. وقد صدّق الرّسول على المصراع الأخير من الأبيات وهو (وهنّ شرّ غالب لمن غلب).

استطراد

وبخلاف أعشى الصّحابي المذكور يوجد أعشى آخر وهو أعشى الهمداني، واسمه عبد الرحمن. كان صهرَ الإمام الشّعبي، وقد أُسر في يد الدّيالمة بسبب جماعِه لابنةِ الرّجل الذي أسَرَه، فقيل فيه:

فمَنْ كان يفديه من الأسر ماله
فهمدان تفديها الغداة أيورها

والقصّة على ما يلي: كان الأعشى مقاتلًا في الجيش الذي أرسله الحجّاج إلى الديالمة، ولمّا أُسِرَ في المعركة أخذه ما أسَرَه إلى بيته، وكان عنده فتاةٌ أحبّت الأعشى وسلّمت له نفسها، فواقَعَها في ليلة ثمانِ مرّات، فاندهشتِ الفتاة من ذلك جدًّا، وسألته: أتفعلون ذلك دائمًا يا معشر المُسْلمين؟ فقال لها: نعم، إنّ هذه عادة دائمًا. فقالت: وبذلك تُنصرون ولن تنهزموا أبدًا. فقالت له: هل تقبلني زوجةً لك وأخلّصك من أسْرِك؟ فقال لها: نعم. فخلّصته من أسْرِه، وصارت به ليلًا من طريقٍ غير معهود حتّى وصلا بلاد العرب وتزوّجها هناك. ورويَ عنه أنّه رأى في منامه أنّه دخل مكانًا به قمح وشعير، فترك القمح وأخذَ الشّعير، وقصّ الأعشى تلك الرؤية على الإمام الشّعبي، فقال له: إنْ كنت صادقًا في رؤياك فإنّك تركت تلاوة القرآن، وبدأت تنظُم الشّعر، وبالفعل كانت الرؤية كما أخبر الإمام الشّعبي تمامًا. والأعشى المذكور ممّن قتلوا بسيف الحجّاج الظالم.

٧٦٨- مِقلات:

بكسر الميم، صفةٌ للمرأة التي لا يعيش لها أولاد. وقيل في المثل (أحرّ من دمعة المقلات). وقد كان هناك زعم عند العرب في الجاهليّة بأنّ المرأة التي لا يعيش لها أولاد إذا ما مرّت على جسدِ أحد الكبراء المقتولين فإنّ مَنْ تنجبهم

بعد ذلك يعيشون، وقد ظلّت النساء تطأ جثمانَ بشر بن حازم فترةً طويلة لهذا الاعتقاد: وقيل في ذلك:

تظلّ مقاليت النساء يطأنه
يقلن إلّا يلقى على المرء مئزر

ويُقال أيضًا للمرأة التي لا يعيش لها أولاد رَقوب بفتح الرّاء. وقيل في المثل (أحلى من ميراث العمّة الرّقوب).

٧٦٩- مكنونة:

كانت جاريةً ومغنّيةً للخليفة العباسي المهدي، وهي والدة عليّة بنت المهدي سابقة التّرجمة، كانت في الأصل مملوكة لمروانيّة المغنّية سابقة الترجمة، ولحُسنها وجمال صوتها أخذَها الخليفةُ المنصور لابنه المهدي. وقد كان لها شأن عند المهدي أكثر من الخيزران نفسها. من الأغاني.

٧٧٠- مكية:

ابنةُ الشّاعر المشهور الفرزدق. وكان يُكنّي نفسه بها فيقول: أنا أبو مكية. أنجبها الفرزدقُ من جاريةٍ زنجيّة. كان الفرزدق متزوّجًا من امرأةٍ اسمها نوار، وذات يوم أرسلت نوار رسالةً تتضمّن شكوى من مكية، فردّ عليها الفرزدق بالأبياتِ التّالية التي يوحي فيها الفرزدق بأنّه سيطلّقها إذا ما آذت مكية:

كنتم زعمتم أنّها ظلمتكم
كذبتم وبيت الله بل تظلمونها
فإن لا تعدوا أمّها من نسائكم
فإنّ أباها والدا لن يشينها
فإن لها أعمام صدق وأخوة
وشيخا إذا شئتم تأيم دونها
فقالت النوار: فإذًا لا أشاء.

وقال الفرزدق في أمته الزّنجية:

يا رب خود من بنات الزنج
تنقل تنورا شديد الوهج
أغبر مثل قدح الخلنج
يزداد طيبا بعد طول الهرج

من العقد الفريد لابن عبدربه

٧٧١- ملاءة:

بضمّ الميم. هي ملاءة بنت زرارة بن أوفى الحارثية، كان والدها محدّثًا وفقيهًا من التّابعين. وقد تغزّل الفرزدق فيها وفي ابنتها نائلة، ولم يقع هذا الاتّفاق في حقّ أحدٍ آخر، كذا في الواقي.

٧٧٢- ملكة خاتون:

أمّ المظفر ملكة، ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيّوب من الأسرة الأيوبيّة في مصر، وزوجة الملك المنصور الأيوبي، عندما تُوفّيت عام ٦١٦هـ حزنَ زوجُها المذكور عليها حزنًا شديدًا، ولبسَ الأزرق حدادًا عليها، وقد نظمت قصائد كثيرة في رثائها، منها، قصيدة حسام الدين الخشتري التي يقول فيها:

الطرف في الجنة والقلب في سعر له
دخان زفير طار بالشرر
ما كنت أعلم أنّ الشمس قد غربت
حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

٧٧٣- ملكة بنت الشرف:

ابنةُ عبد الله بن العزّ بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي. كانت مقدسيّة المولد، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى الصالحية، كانت من المحدثات. كانت في صغرها تحضر دروسَ المحدّث الحجار ومحمد بن الفخر البخاري وأبي بكر بن الرّضي، سابقة الترجمة زينب بنت الكمال، وحصلت على الإجازة من ابن الشيرازي وابن عساكر وابن سعيد وإسحاق الآمدي، درست الحديثَ لفترة طويلة، ومنحت الإجازة لابن حجر العسقلاني. تُوفّيت في ١٩ جمادى الأولى لعام ٨٠٢هـ عن عُمرٍ يناهز الثمانين عامًا.

وتوجد ملكة أخرى وهي ابنةُ الملك المظفّر محمود صاحب حماء، وغازيّة خاتون السّابقة الترجمة.

وكان لتيمور زوجتان باسم ملكة؛ الأولى ملكة الكبرى، والأخرى ملكة الصغرى.

٧٧٤- ملكي أوسته:

وصيفة ترخان خديجة سلطان والدة السّلطان محمد الرّابع السّابقة الترجمة. وهي ممّن أُعدموا في واقعة جنار التي وقعت عام ١٠٦٦هـ. ذكرت في صحائف الأخبار باسم (ملكي قادين). وذكر أنّه في هذا التاريخ قام الفوضويّون العسكريون بالمطالبة بقتل خمسة أو عشرةِ أشخاص ممّنْ أرادوا التدخّل في أمور الدولة الخارجيّة والداخلية، وبعد مقتل المذكورين علّقوا على شجرة الجنار

الموجودة في ميدان القصر، وكانت المذكورة ممَّنْ قُتلوا في تلك الواقعة. وذكر نعيما أنّها علّقت على شجرة الواق واق الموجودة في ميدان القصر.

استطراد

شجرةُ الواق واق المذكورة هي شجرةٌ تنبتُ في جزيرة واق واق خلف جبل أصطفيون ببلاد الصّين على حسب ما أورده أهل الجغرافيا. أوراقُها تشبه أوراق شجر التين، تبدأ في إخراج زهورها في شهر مارس مثل شجر النمر، تخرج من تلك الزّهرة ما يشبه أقدام الإنسان تمامًا، ويكتمل هذا الجسد تمامًا في أواخر شهر أبريل، وتبدو كفتيات حِسان معلّقات من شعورهنّ على تلك الشّجرة، وتبدأ في السقوط بعد مرور يونيو، وتُحدِث وهي تسقط صوتًا يشبه كلمة واق واق، وقيل إنّ تلك الأشكال يكون لها ثدي وفرج يشبه الموجود عند النّسوة، ويقوم البعض بمجامعة هذه النَّبتة التي تشبه جسد المرأة، وقيل إنّ مَنْ يجامعها يجد لها رائحةً جيدة وشهوةً كبيرة. وقيل إنّ هذه من قبيل الحكايات عن شجر الواق واق. وليس هذا بمستَبْعَد عن بدائع خلق الله، فهناك نباتاتٌ على شكل الإنسان مثل يبروح الصنم، وهناك حيوانات تتولّد من النبات. ومن الجائز أنْ تصدر بعضُ المواليد من امتزاجٍ المواليد الثلاثة. ويمكن أنْ يكون أصلُ تلك الشجرة من امتزاج مادّة الإنسان والنبات، وقدرة الله ليس لها حدود. ويقول الشّيخ ابن سينا (دعْ ما تسمعه من الخوارق في فسحة الأماكن فلا ترى ضررًا).

وملكى أيضًا اسمُ أحدِ جواري كوسم والدة سلطان. كانت الجارية المذكورة تعلم كلّ مخطّطات كوسم سلطان، وتخبر بها الوالدة الصّغيرة. هذا ما ذكره نعيما.

والمسجد المذكور في كتاب حديقة الجوامع ضمن مساجد أورته كوى،

ويعرف باسم مسجد ملكى خاتون من آثارها.

٧٧٥- مُليكة:

ابنةُ سنان بن حارثة المرّي، وأخت هرم بن سنان، زوجة زبان بن سيار بن عمرو الفزاري، وهي من جُملة النّساء المعدودات المذكورات في كتاب ابن قتيبة اللاتي تزوّجن بأبنائهنّ على حسب عادة الجاهلية. فقد تزوّجت زبان، وبعد وفاته تزوّجت ابنَه منظور بن زبان، وأنجبت منه خولة بنت منظور وهاشم بن منظور. وقد تزوّجت خولة المذكورة بالحسن بن علي بن أبي طالب، وأنجبت منه الحسن بن الحسن، وبعد استشهاد الحسن تزوّجت المذكورة محمد بن طلحة بن عبيد الله، وأنجبت منه إبراهيم بن محمد. من كتاب المعارف.

ولمّا أثنى زهير بن أبي سلمى على هرم بن سنان أخويها بعطايا مدحَهُ هرمُ في البيت التالي:

ولم أرَ زهـرة الدنيـا التـي اقتطفـت
يـدا زهـير بمـا أثنـى علـى هـرم

ومليكة أيضًا جاريةٌ مغنّية، أثنى عليها أحيحةُ بن الجلاح في البيتين التّاليين:

يشتـاق قلبـي إلـى مـليكة
لـو أمسـت قريبًـا ممّـنْ يطالبـها
مـا أحسـن الجيـد مـن مليـكة
والـلبـات إذ زانهـا تـرائبها

وقصّتها مع ملك اليمن وردت في المجلد الثّالث عشر من كتاب الأغاني، وفي حرف الفاء في عنوان فكهة، وفي ترجمة حال أحيحة.

كما كانت توجد جارية بهذا الاسم لعائشة بنت المعتصم، ووَرَد ذكرُها في حرف العين.

كما توجد سبعُ صحابيّات باسم مليكة.

ومليكة بنت داود الليثيّة وردتْ في تاريخ الكامل على أنها سيدة، تزوّجها النّبي في فتح مكة ثمّ فارقها. ولأنّ والدها قُتل في فتح مكة؛ كانت النّسوة تعيّرها بأنها تزوّجت الرجل الذي قتل والدَها، يقصدون النّبي ﷺ، وظلّوا

يغويها حتّى طلبت الطّلاق، وطلّقها النّبي.

كما توجد سيّدة باسم مليكة وردت في كتاب المسامرات على أنّها سيدة كانت معاصرة لمالك بن دينار وأيوب السّختياني. ومليكة على وزنِ سفينة، وهي مليكة بنت أبي الحسن النّيسابوريّة المحدثة.

٧٧٦- منجاب:

صاحبة الحمّام المشهور الذي كان موجودًا في البصرة (حمّام منجاب) وأشرنا إليه من قبل في حرف الطاء في ترجمة طيبة. وقد اشتهرتْ بشهرة حمّامها.

وقيل في البيت أين الطّريق إلى حمّام منجاب، وسببُ نظم هذا البيت أنّ إحدى النسوة كانت لا تعرفُ مكان الحمّام، وبعد أنْ ظلت تبحثُ عنه جلست أمامَ بابٍ يشبه باب الحمّام، وسألت أحد الرّجال: هل هذا هو الحمام؟ فقال لها: نعم، وأدخلها إلى بيته، وكان ينوي فعل الفاحشةِ معها، ولكنّها تداركت الموقف وخرجت مهرولةً لا تصدّق ما كان سيفعله معها الرجل، وأخذت تجوب الشّوارع بحثًا عن الحمّام وهي تقول (مَن لي بقائلة هامَ الفؤادُ بها أين الطريق إلى حمّام منجاب)

وقد نظمت إحدى النّسوة لمّا رأت المرأة تخرج من دار الرجل المذكور

هلاّ جعلت عليها إذا ظفرت بها
حرزًا على الدار أو قفلاً على الباب

وقد استمرّ المذكور على هذا الحال والعياذُ بالله طوالَ حياته حتّى أنّه أسلم روحه وهو يقول هذا البيتَ بدلًا مِن أنْ يتفوّه بكلمة الشّهادة، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

٧٧٧- مُنْجِبات:

بضمّ الميم وسكون النّون وكسر الجيم، جمع مُنجبة، وهي المرأة التي تنجب ثلاثةَ ذكور على الأقلّ من رجل واحد. وهنّ: فاطمة بنت الخرشبِ الأنماريّة، وخبيْئة بنت رباح الغنويّة، وماويّة بنت عبد مَناة التميميّة، وقد اشتهرنَ بين العرب بأنهنّ مُنجبات. وذُكر في المجلد الثّالث عشر من

الأغاني أنّ معاوية سأل ربيع بن زياد وهو ممّنْ يُعرفون بالأنساب بين العرب مَن هنّ المُنجبات، فعدّ الرجل المذكورات.

٧٧٨- منشم:

على وزن مجلس ومقعد. سيدة من العرب الجاهليّين، كانت تبيع العطارةَ في مكة، وكان من العادات المشهورة بين القبائل أنّهم كانوا لا يذهبونَ إلى الحرب إلّا بعد أنْ يتعطّروا من عطورِ تلك المرأة. وبالأخصّ قبيلة جُرْهم وخزاعة. وإذا ما قتلوا بأيديهم أناسًا كثيرين في المعركة يرجعونَ ذلك إلى العطر الذي تعطروا به مِن عند تلك المرأة، لدرجةِ أنّه ضُرب بعطرها المثلُ عند العرب يقال (أشأم من عطر منشم)، و(بينهم عطر منشم). وقد عبّر زهير بن أبي سلمى في معلّقته الشهيرة بذلك فقال:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وتوجد تفاصيل أكثر عن المثل المذكور في كتاب مجمع الأمثال.

٧٧٩- منفوسة:

ابنةُ زيد بن أبي الفوارس، من الصّلحاء، سيدة صالحةٌ من السّيدات المشهورات في كتاب مولانا الشّعراني.

٧٨٠- منوسة:

ذُكر في المجلد العشرين من كتاب الأغاني أنّها كانت مغنّية جاريةً لإحدى بنات الخليفة العبّاسي المهدي. وهي الفتاةُ التي أثنى عليها مان الموسوس في الأبيات التالية:

وكيف صبر النفس عن غادة
تظلمها أنّ قلت طاوسة
وجرت أن شبهتها بانة
في جنة الفردوس مغروسة
وغير عدل أن عدلنا بها
لؤلؤة في البحر منفوسة
جلت عن الوصف فما فكرة
تلحقها بالنعت محسوسة

كانت ذاتَ مرّة تتغنّى ببعض أبيات أحد الأمراء العباسيّين التي تقول:

حجبوها عن الرياح لأني
قلت يا ريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب هان
ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

وكان مان الموسوس حاضرًا بالمجلس فسمعها فأعطاها الإجازة ونظم أبياته السابقة. ذكرناها في المجلد الأوّل باسم تنوسة نقلًا عن ابن ظافر.

٧٨١- منيرة:

ابنةُ أفراسياب، شاه أحد ملوك الفرس القُدامى. ومحبوبة بيزن بن كيو ابن بانو كشسب سابقة الترجمة، ولمّا علم أبوها بذلك حبس بيزن سبعَ سنوات في إحدى القلاع، وفي النّهاية أنقذ من هذا الحبس بواسطة الفتاةِ المذكورة ورستم الشّجاع الذي تنكّر في زيّ تاجر، وأحوالها شائعة في الشّعر الفارسي.

٧٨٢- منيّة الكاتبة:

من المشاهير المذكورات في تاريخ الخطيب البغدادي، وأمّ ولد الخليفة المعتمد على الله. روتِ الحديث عن أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى بن الوشا، وروى عنها أيضًا عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن البزاز الأنباري.

٧٨٣- موءُدة:

صفةٌ للبنت التي تُدفن وهي حيّة بناءً على ما وردَ في القرآن الكريم في قوله تعالى (وإذا الموءُدة سئلت بأيّ ذنب قتلت) ثمّ انتقلت الصفة لتصبح اسمًا، مثل لفظ المقلات.

وقد كان من عادة العرب في الجاهليّة دفنُ البنات وهنّ أحياء، خشية الفقر والعار، ويقال لهذا الفعل وأد، وللبنت موءُدة، حتّى أنّ العرب في الجاهليّة كانوا يعتبرون الرجلَ الذي لا تلد زوجتُه إلّا إناثًا دليلًا على بؤسه وشقائه في الدنيا، وضرب بذلك المثلُ يقال (مشيمة تحملها مثناث) أي أنّ هذه المرأة لا تحمل إلّا إناثًا وتسبّب في تعاسة زوجها. وكان الرجل إذا بُشر بأنثى إمّا أنْ يقوم بوأدها، وإمّا أنْ يتركها. وإذا كان هناك أملٌ في بقائها حيّة يلبسها خرقةً من الصّوف ويجعلها ترعى الغنم،

أمّا إذا قرّر وأدها فإنّه يتركها لحين تبلغ السّادسة من عمرها ويقوم بإلقائها في حفرةٍ كان قد أعدّها من قبل، ويلقي عليها التّراب، وبعضُ القبائل لا تصبر على الفتاة حتّى تبلغ السّادسة بل تئدُها وهي طفلة مولودة، حيث تنتظر المرأةُ التي على وشكِ الولادة عند حفرة، وإذا وضعت ذكرًا حملته، وإذا وضعت أنثى ألقتها في الحفرة وقامت. ولا يُقال على السّقط الذي لم يتبيّن حياته موءدة. فذكر في المحيط نقلًا عن درّة الغوّاص للحريري، أنّ مجموعة من الصحابة اختلفوا ذاتَ يوم في موضوع الموءُدة وذهبوا لسؤال باب العلم سيدنا علي، فقال لهم: لا يُطلق موءُدة على مَن لم تبلغ سبعةَ أطوار. فقال عمر- وكان حاضرًا مستحسنًا إجابته-: صدقتَ أطال اللهُ بقاءك. وقد صدر هذا الدّعاء أوّلَ ما صدر من عمر في هذا الموقف. والمقصود بالسّبعة أطوار في جواب علي هي الأطوارُ السّبعة التي يمرّ بها الجنين في بطن أمّه حتّى يصبح جنينًا مكتملًا.

وقيل إنّ هذه العادة السيئة لم تكن منتشرةً عند كافّة العرب في الجاهلية، وقيل إنّها كانت خاصّة بقبيلة كنده، وأوضح أبو الفضل الميداني في كتابه مجمع المثال في شرح مثل (أضلّ من موءُدة) نقلًا عن هيثم بن عديد أنّ فعل الوأد كان منتشرًا عند كافّة العرب في الجاهليّة، ولكنّه بدأ يقلّ بينهم، وكان زائدًا عن الحدّ في قبيلة بني تميم، والسّبب في ذلك أنّ تلك القبيلة كانت قد اعتادتْ أنْ تعطي للنّعمان بن المنذر بعض العبيد كلّ عام، ولمّا بدءوا يمتنعون عن ذلك، أرسل إليهم أخاه ريان بصحبة القائد دوسر- على وزن جوهر- ذلك القائد الذي عُرف ببطشه وضُرب به المثلُ في الطبش قيل (أبطش من دوسر) وقام هذا الجيش بسَوْق بني تميم كلّهم إلى النعمان، وقد نظَمَ الشّاعر أبو المشمرج اليشكري حالةَ الذّل التي كان عليها بنو تميم بين يدي النعمان بقوله:

لمّا رأوا راية النعمان مقبلة قالوا
ألا ليت أدنى دارنا عدن
يا ليت أمّ تميم لم تكن عرفت مرا

وكانت كمن أودى به الزمن
إن تقتلونا فأعيار مجدعة
أو تنعموا فقديمًا منكم المنن

وعلى هذا أتى الرّجال من بني تميم إلى النّعمان، طلبوا منه أنْ يتعطّف عليهم بأن يردّ إليهم زوجاتهم وأبناءهم، فقال لهم النعمان: مَنْ ترضى أنْ تعود مع زوجها أو أبيها ستعود معه، ومَن لم ترغب فستبقى هنا. وكان من بين رجال بني تميم قيس بن عاصم، وكانت له بنت مأسورة عند النّعمان، رفضت البنت أنْ تذهب مع والدها، وطلبت أنْ تبقى زوجة لِمَنْ أسرها، فغضب عاصمُ من فعلة البنت ونذَرَ أنّه لو أنجب بنات بعد ذلك سيدفنهم أحياءً في التراب. ووأد بعد ذلك عشرَ بناتٍ أنجبهم بعد تلك الحادثة، وبدأت تلك العادةُ في الانتشار في القبيلة المذكورة مرّة أخرى بعد أنْ كانت قد اندثرت، وقد نزلت الآية الكريمة الموجودة في القرآن الكريم في تحريم هذا الفعل الشّنيع في حقّ تلك القبيلة.

وقد أدرك صعصعة بن ناجية من أشراف بني تميم ووجوه بني ناجية عهد النبوة، وكان من الصّحابة الكرام، ولأنّه كان من الذين منعوا وأد البنات، افتخر الشّاعر الفرزدق وهو من أحفاده بذلك في البيت التالي:

ومنّا الّذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم توأد

وذُكر في أسد الغابة أنّ صعصعة المذكور سأل رسولَ الله ذاتَ يوم قائلًا: هل سيأجرني الله تعالى على ما قمتُ به من أعمالٍ قبل الإسلام؟ فقال له النّبي: وماذا فعلت يا صعصعة تؤجر عليه؟ فقال: أنقذت ٦٣ فتاة من الوأد كنتُ أفديهنّ بالإبل. فقال له النّبي ﷺ: هذا خيرٌ محْض، وأنعم الله عليك بالإيمان؛ لذا سيأجرك الله عليه.

وذُكر أيضًا في تفسير سورة الزخرف في تفسير الكشّاف تلك الأرجوزة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظلّ في البيت الّذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا
ليس لنا من أمرنا ما شينا
وإنّما نأخذ ما أعطينا

والأبياتُ لامرأة كان زوجها أبو حمزة قد غضب عليها لأنها لا تلد إلّا إناثًا، وكان يتركها ويذهب إلى بيت الجيران، فنظمت الأبيات التّالية توضّح له أنّه ليس الأمر بيدها، وإنّما هي تنجب البذرة التي وضعت فيها. والأرجوزة التّالية أيضًا نظمها أعرابيّ يُدعى عروة توبيخًا لزوجته التي لا تلد إلّا إناثًا:

تلدني إن لم ألد غلامًا نجدًا هزبرًا بطلًا مقداما
يمارس الصعدة والحساما عروة مه لا تكثر الملاما
ألا أكن ولدته قمقامًا مواتيًا مقدمًا إماما
فإنها تقتنص الضرغاما والملك المتوج الهماما
وتأسر العقول والأحلاما

وعُيّرت امرأة بمثل ذلك؛ فقالت:

وما علي أن تكون جرية
تحفظ بيتي وتضيء ناريه
وترفع الساقط من خماريه
حتّى إذا تمت لها ثمانية
أو تسعة من السنين الوافية
زوّجتها مروان أو معاوية
أزواج صدق ومهور غالية

ولم تكن تلك الخصومة خاصّة بالإناث فقط، بل امتدت أيضًا لتشمل الذكور، فكان بعض العرب في الجاهليّة يقتلون أولادهم ذكرانًا وإناثًا خشية الإملاق- أي الفقر- وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن الكريم بقوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق نحن نرزقهم وإيّاكم إنْ قتلهم كان خطأ كبيرًا) وهذا نهي من الله تعالى عن ذلك. وقوله تعالى أيضًا (يهب لمَنْ يشاء إناثًا ويهب لمَنْ يشاء الذكور) تدلّ على أنّ الذكور أو الإناث إنّما هي عطيّة من الله تعالى، وبذلك احترمت الشّريعة المحمديّة الغرّاءُ الأنثى.

وفي قوله تعالى (يهب لمَنْ يشاء إناثًا) إشارة إلى أنّ الأصل هي الأنثى لذا قدّمت، وقيل 'نّ خير المرأة التي تُبشّر

بالأنثى في ولادتها، لأنّ الله تعالى بدأ بها الآية في قوله يهب لمنْ يشاء إناثًا.

وقد ورد في التفاسير المختلفة في قصة الخضر مع موسى- عليه السلام- حينما قتل الخضرُ الغلام، أنّ الله تعالى وهبَ أبويه من بعده أنثى قيل إنّ الله تعالى جعل من ذريتها سبعين نبيًّا. وهذا مصداقٌ لقوله تعالى (فأردنا أنْ يبدلها ربُّهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا) وهذا ما قاله ابنُ عباس.

وقال قتادة- رضي الله عنه- البنت أفضل من الولد في بعض الأحيان؛ لأنّ بعض الذكور قد يجلبنَ المشكلات لآبائهنّ، وبعض الفتيات قد يكنّ سببَ السّعد لآبائهن.

وقال أعرابي:

ماذا عليّ أن ولدت جارية تمشّط راسي وتكون فالية

خير من ابنٍ عاره علانية يجرّ في كلّ أوانٍ داهية

وذكر الشّيخ السّعدي في أحد أبواب كتابه كلستان أنّ فقيرًا كان يرغب في إنجاب الذكور، وكانت امرأته حاملًا فنذر لله أنّه لو أنجبت زوجتُه غلامًا سيتصدّق بكلّ ما يملك، ولن يترك إلّا الخرقة التي يتستّر بها. ولّما أنجبت له زوجته الغلام الذي يريده كبر الغلام، وكان عربيدًا قتل رجلًا وفرّ هاربًا، فحُبس والدُه مكانه.

وقد وردتْ أحاديث نبويّة شريفة ترغب في إنجاب البنات، وأنهنّ سيكنّ سببًا في دخول آبائهنّ الجنة إذا ما أحسن آباؤهنّ تربيتَهنّ، فقال النّبي- صلّى الله عليه وسلّم- (منْ ابتليَ مِن هذه البنات بشيء فأحسنَ إليهنّ كنّ له سترًا من النّار)، وقال أيضًا (مَنْ عال جاريتين حتّى تبلغا جاء يومَ القيامة أنا وهو هكذا) وفي رواية الجامع دخلتُ أنا وهو الجنّة كهاتين). وقال أيضًا (منْ عالَ ثلاثَ بنات فأدّبهنّ وزوّجهنّ وأحسن إليهنّ فلَهُ الجنّة). وقال أيضًا (لا تُكرهوا البنات فإنّي أبو البنات) وعلى لفظ الجامع (لا تكرهوا البنات فإنّهنّ المؤنسات الغاليات) ونظم في هذا المعنى البيتيْن التّاليين:

فخير الناس كلهم جميعًا
رسول الله كان أبا البنات
وهنّ المؤنسات وهن أيضًا
بعيد الموت أحرق باكيات

ولمّا رأى أحد العلماء الصالحين أحد أحبّائه مغمومًا لأنه رُزق بأنثى قال له «على ماذا تتأسّف! فإنّ رزقها على الله، ولن تأخذ من عمرك شيئًا، أو مِن رزقك شيئًا»، ولمّا سأله ماذا سيسمّيها قال له فاطمة، فقال له: آهٍ آه، طالما أنك ستسمّيها فاطمة فلا يجب عليك أنْ تؤذيها أو تشتمها أبدًا».

ورغم أنّ حديث (دفن البنات من المكرمات) وارد في كتاب التيسير الذي هو شرحٌ للجامع الصغير؛ إلّا أنّه وعلى فرض صحّته في مقام تعزية النفس. ومن ذلك المضمون ما قاله أحدُ الجهلاء:

القبر سترٌ لجميع البنات
وهو كما يروى من المكرمات
أمَا رأيت الله سبحانه قد وضع
النعش بجنب البنات

ومثل هذا الشّعر لا يُعتبر به لأنّه مبنيّ على حديث مشكوك في صحته.

ونظم بعض ضعيفي الاعتقاد قليلي الاعتماد على ربّ العباد الأبيات التّالية في هذا الموضوع:

أحبّ بُنيتي ووددت أنّي
وضعت بُنيّتي في قعر لحد
وما بي بغضها غرضًا ولكن
أخاف بأن تذوق الذلّ بعدي
وتسلم إن فقدت إلى لئيم
فيشتم والدي ويسبّ جدي
فليت الله عاجلها بموت
وإنْ كانت أعزّ الناس عندي

وقيل أيضًا:

لولا أميمة لم أجزع من العدم
ولم أجب في البلاد حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذلّ اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يومًا أنْ يلم بها
فيهتك الستر عن لحم وعظم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا
والموت أكرم نزال على الحرم

وبمناسبة بحث الموءدة رأينا من المناسب أنْ نذكر العقيقة أيضًا؛ حيث كان العرب في الجاهليّة يقيمون احتفالًا في اليوم السّابع لميلاد الذّكَر ابتهاجًا به، يذبحون فيه الذبائح، ويحلقون رأسَ الطفل، ويدلّكونها بدم الذبيحة، ولا يكسرون عظام الذبيحة تفاؤلًا، حيث يطبخونها على حالها ويطعمون منها الأهل والأحباب. وكلمة عقيقة تعني الشَّعر الذي يكون على رأس المولود حين يُولد، ولأنّه يحلق في اليوم السابع سُمّي اليوم باسمه، قد استمرّت تلك العادة حتّى في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، وأبقى عليها للبنات والأولاد على السواء، ولكن الرّسول أوصى بأن يدلّك رأس المولود عندما يُحلق بالزّعفران بدلًا من الدماء.

وقد ورد في شرح صحيح البخاري نقلًا عن الموطّأ أنّ رسول الله سأل عن العقيقة فقال (لا أحبّ العقوق منْ وُلد له ولد، فأحبَّ أن ينسك عنه فليفعل) لذا استحبّ البعض أنْ تُسمّى تلك العادة نسيكة أو ذبيحة بدلًا من لفظ العقيقة الذي يدلّ على العقوق. وقد ذهب الإمام مالك والشّافعي إلى أنها سُنّة مستحبة، أمّا الإمام أحمد فذهب في قولٍ إلى وجوبها، وفي قولٍ بأنّها سُنة، أمّا الإمام أبو حنيفة فذهب إلى إباحتها. وعندنا- أي الأتراك- لم تكن مستحبّة، ومعظم كتب الحنيفيّة أهملت باب العقيقة لأنّها لم تكن مستحبّة، كما أنّها نسخت بعيد الأضحى لما ورد عن الإمام محمد بن الحسن (كانت العقيقة تقام تطوّعًا، ونسخت مؤخّرًا بالأضحية).

٧٨٤- مؤنسة:

من المحدّثات، هي السيدة التي أوردناها في المجلد الأوّل في حرف الجيم بعنوان الجليلة السّلطانية، ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

٧٨٥- مهجة القرطبية:

من أديبات الأندلس، شاعرة من مدينة قرطبة، كانت فريدةَ عصرها في

الجمال. افتتنت بها ولادة الآتية الترجمة، وجعلتها مدرّسة خاصّةً لها. ولكن لسوء العلاقات بينهما أوردت مهجة القطعة التّالية في ولادة:

ولادة قد صرت ولادة
من غير بعل فضح الكاتم
حكت لنا مريم لكنه نخلة
هذي لكن ذكر قائم

وأهدت القطعة التّالية أيضًا لشخص أهدى لها خوخًا:

يا متحفًا بالخوخ أحبابه
أهلًا به من مثلج للصدور
حكى ثدي الغيد تفليكة
لكنه أخزى رؤوس الأيور

٧٨٦- مهرماه سلطان:

ابنة السّلطان سليمان الأول، وهي بانية الجامع الشّريف المسمّى باسمها في أدرنه قبي، وفي أسكدار. كانت زوجة رستم باشا أحد وزراء السّلطان المذكور، وقصّة زواجها من الوزير المشار إليه على النّحو التّالي: لمّا أراد السلطان سليمان أنْ يزوّج ابنته بالوزير رستم باشا، غار بعضُ الحسّاد في الدّولة، وأشاعوا أنّه مريض بالجذام، وكان المذكور في ذلك الوقت واليًا على ديار بكر، فاستدعى السلطان رئيس الأطباء وسأله عن علامة هذا المرض فقال إنّ القمل لا يظهر في ملابسهم، فاستدعى السّلطان أحدَ المعتمدين من الأطباء الخاصّة، وأعطاه أمرًا عاليًا بمنح المذكور منصب الصّدارة العظمى، وأمرَه بأنْ يذهب إليه في ديار بكر ولا يُطلعه على أمر الفرمان الذي معه إلّا بعد أنْ يتأكّد من تفتيش ملابسه، ويتأكّد من خلوّه من المرض المذكور، وبالفعل ذهب الطبيب، ولمّا دخل على رستم باشا أمره بقوّة الفرمان الذي معه أنْ يفتش ملابسه فقام بتفتيشها مع خازن رستم باشا، وعثر الخازن على قملةٍ في ملابس رستم باشا، ولأنّه خشي أنْ يحرجه أخفاها، فأصرّ الطبيب أن يعرفَ ما في يدِ الخازن فأظهرها له فابتهج الطّبيبُ وأعطى الوزير رستم باشا بشارة الصّدارة،

وأنّ السّلطان سيزوّجه ابنته المذكورة. فابتهج رستم باشا وأجزل العطاء على الطبيب المذكور.

لم يكنْ للسّلطان سليمان بنات غير المذكورة، وكانت صاحبة خيرات وحسنات كثيرة، وكان السّلطان سليمان يحبّها على كافّة أولاده الذكور.

وكانت توجد ابنة للسّلطان محمود الثاني بنفس الاسم، كانت زوجة لسعيد باشا.

٧٨٧- مهرى خاتون:

من أديبات استانبول، ذكرها عاشق جلبي بأنّها كانت من شاعرات عصر السّلطان محمد خان الثّاني، وكانت معاصرة للشّاعرة زينب خاتون السّابقة الترجمة، وكانت بينهما الكثير من المطايبات الشّعرية، ومن أشعارها ما يلي:

فـــتحت عينـــي مـــن النـــوم
فأبـــصرت أمامـــي قمـــرًا واقفـــا
فإمّـــا أنْ يكـــون حظّـــي ســـعيدًا
وإمّـــا أنْ أكـــون بلغـــت القـــدر

وتوجد شاعرة فارسيّة أيضًا من عهد شاهرخ باسم مهرى، لها ترجمة حال في كتاب آتشك، وبعض آثارها مندرجة في خرابات.

٧٨٨- مهستي:

من شاعرات الفرس المذكورات في كتاب آتشك، وتعني المرأة الكبرى. كانت ذات يوم تجلس في مجلس السّلطان سنجر، وخرجت فرأتِ الدّنيا قد أثلجت؛ فنظمت الأبيات التالية:

أيّها السّلطان ليكن برجـــك عاليًا
بين السّلاطين ولتحط جـــواد السعادة
ولتكن الأرض ممهّدة لك لتسير عليها

تُوفّيت المشار إليها أثناء تسخير عبد الله خان الأوزبكي لهراة.

٧٨٩- ميسون:

هي أمّ يزيد ميسون بنت بحدل الكلبية، كانت من زوجات معاوية، كانت بدويّة ذات طبيعة شعريّة، كانت الأبيات التّالية لها سببًا في تطليق معاوية لها وإرسالها إلى أهلها، وقد اكتسب يزيدُ

فصاحته المشهورة بإقامته في البادية مع أمّه، والأبيات هي:

للبسُ عباءة وتقرّ عيني
أحبّ إليّ من لبس الشفوف
وبيتٌ تخفق الرياح فيه
أحبّ إليّ من قصر منيف
وأكلُ كسيرة في كسر بيتي
أحبّ إليّ من أكل الرغيف
وأصواتُ الرياح بكلّ فج
أحبّ إليّ من نقر الدفوف
وبكر تتبع الأظعان صعب
أحبّ إليّ من بغل زفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني
أحبّ إليّ من هرّ ألوف
وخرقٌ من بني عمّي فقير
أحبّ إليّ من علج عنيف

زفوف أي السريع. خرق أي كريم. وعلج أي كافر أعجمي، وتُطلق أيضًا على أصحاب الشكيمة القوية، وقيل إنها تطلق خصيصًا على شباب صقلية.

ومذكور في ترجمة النعمان بن بشير بالأغاني أنّ معاوية كان قد تزوّج امرأة من بني كلب على ميسون، وقال لميسون «اذهبي وانظري تلك المرأة، فجاءت تقول له والله لقد رأيتُ امرأة لم أرَ مثلها، ولكنْ تحت سرّتها حفرة يصحّ على الزوج أنْ يضع رأسه بها، فتشاءم معاوية منها وطلّقها، ثمّ تزوّجت بعده حبيب بن مسلمة، فتزوّجها ثمّ طلقها، فتزوّجت النعمان بن بشير، ولمّا قتله أهالي حمص أيّام ابن الزبير، قطعوا رأسه وأتوا برأسه فألقوه في حجْرها كما أوصتْ بذلك فضمّته إلى صدرها، وكفنته ودفنته.

وميسون أيضًا اسم زوجة عمرو بن هند من ملوك العرب، وهي مذكورة في قصيدة حارث اليشكرى المعلقة.

٧٩٠- ميلاء:

هو لقب المغنّية العربيّة القديمة عزّة، وقد أوردْناها من قبل في حرف العين.

وتوجد ميلاء أخرى مذكورة في تزيين الأسواق ابنة أبي بن رباح، كانت معشوقة

أبي جثعم بن مالك من بدو الحجاز، وقصّتها مذكورة في نفس الكتاب.

٧٩١- ميمونة:

ميمونةُ بنت الحارث بن الحزن الهلالية، أمّ المؤمنين، تزوّجها النبي- صلّى الله عليه وسلّم- وهو مُحْرِم في عمرة القضاء في شهر ذي القعدة عام ٧ ه. كانت وفاتها عام ٥١هـ، وقيل ٦٣هـ. ذكر محيي الدّين في المسامرات أنّها روتْ ٧٦ حديثًا عن الرّسولﷺ.

٧٩٢- ميمونة السوداء:

سيّدة كوفيّة من الوليات، معاصرة لعبد الواحد بن زيد من قدماء أهل الله، الأبيات التّالية لها نظمت لنفسها على سبيل الوعظ والإرشاد:

يا واعظًا قام لاحتساب
تزجر قومنا عن الذنوب
تنهي وأنت السقيم حقًا
هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا
عيبك أوتيت من قريب
كان لمّا قلت يا حبيبي
موقع صدق من القلوب
تنهي عن الغي والتمادي
وأنت في النهي كالمريب

كانت المشارُ إليها ترعى الغنم في الكوفة، وكانت الذّئاب ترعى مع غنمها في مكان واحد. ولمّا سألها ابن زيد عن سبب هذا قالت (لمّا أصلحت ما بيني وبين الله أصلح الله ما بين أغنامي والذّئب).

٧٩٣- ميمونة بنت شاقولة، وميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخواص:

من المتعبّدات. كما توجد سبع صحابيات بهذا الاسم، منهنّ ميمونة بنت عبد الله، وقد ذُكر في أسد الغابة والإصابة أنّها نظمت أبياتًا تردّ بها على كعب بن الأشرف الذي نظم أبياتًا في هجاء المسلمينَ ورثاءِ شهداء بدر:

تحنّن هذا العبد كلّ تحنن
يبكي على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكي لبدر وأهله

وعلت بمثليها لؤى بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم
يرى ما بهم من كان بين الأخاشب
فيعلم حقًّا عن يقين ويبصروا
مجرهم فوق اللحى والحواجب

٧٩٤- مية بنت ضرار الضبية:

من شاعرت العرب، القصيدة التّالية نظمتها في رثاء أخيها قبيصة بن ضرار، وهي مذكورة في ديوان الحماسة في باب المراثي:

لا تبعدن وكلّ شيء ذاهب
زين المجالس والنّدى قبيصا
يطوى إذا ما الشح أبهم
قفله بطنا من الزاد الخبيث خميصا

ندى على وزن غنى محلّ الجمع والمشورة. بطنًا منصوب على أنّه مفعول للفعل يطوى. خيصًا أي ضعيفًا وهي صفة لبطن.

٧٩٥- مية بنت طلابة:

ابنة طلابة بن ثيس بن عاصم الغساني، وهي محبوبة الشّاعر ذي الرومة الملقبة بخرقاء، وقد ذكرها الشّاعر المذكور في أشعاره باسم مي، حتّى أنّه كان يُلقب بغيلان مي، ومن أبياته فيها:

وكنت إذا ما جئت ميًا أزورها أرى
الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

ومذكور في القاموس أنّ مية ومي من أسماء النساء. وميًا بنت أد بن أود بانية مدينة فارقين، وتُنسب المدينة إليها ميا فارقين.

حرف النون

٧٩٦- نائلة:

بنتُ عمرو بن ذئب، وقيل نائلة بنت ذئب، امرأةٌ من قبيلة جُرْهم العربيّة القديمة، وهو اسمُ صنم كان العرب في الجاهليّة يعبدونه، وقصّتها مذكورة في المجلد الثّالث عشر من الأغاني وتفسير البيضاوي وتفسير الكشّاف في تفسير آية (إنّ الصفا والمروة من شعائر الله) فقد قيل إنّ رجلًا يُدْعى إساف زنا بها بجوار الكعبة، ولمّا علمت جُرْهم بذلك رجمتهما بالحجارة حتّى ماتا، وأقامت لهما تمثالَيْن وضعَ واحدٌ عند الصفا والآخرُ عند المروة ليكون عبرةً للأنام لمَنْ يقترف هذا الذنب أو مثله عند الكعبة، وبمرور الزّمان نسي النّاسُ الهدف من بناء الصنمين وبدءوا يذبحون القرابين لهما ويعبدونهما من دون الله. ولمّا جاء الإسلام حطمهما كما حطم بقيّة الأصنام الأخرى الموجودة حول الكعبة.

والرّواية الواردة في القاموس في مادّة أسف مخالفة لهذا.

٧٩٧- نائلة بنت الفرافصة:

ابنةُ فرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن علي بن جباب الكلبي، زوجة عثمان، كانت من أرباب الفصاحة والبلاغة، وقصّة زواجها بعثمان بن عفان- رضي الله عنه- على ما يلي: علم عثمان أنّ سعيد بن العاص تزوّج بامرأة تُدعى هند بنت الفرافصة- أخت صاحبة التّرجمة- عندما كان واليًا على الكوفة، فأرسل إليه عثمان رسالة خاصّة يقول له فيها علمنا أنّك تزوّجت بامرأة من بني كلب، فأخبرنا عنها، فقال له سعيد إنّها بيضاء البشرة طويلة القامة، فأرسل إليه عثمان يسأله إنْ كانت لها أخت ليتزوّجها، وطلب منه أنْ يكون وكيلًا له في عقد الزّواج، ولما تحدث سعيد مع حميّه الفرافصة قالت له ليتزوّج نائلة، ولأنّ الفرافصة كان نصرانيًا، وكّل هو الآخر ابنَه ضب، وكان مسلمًا في الزّواج، وبعد عقد القران، قال الفرافصة لابنته وهو يعظُها: يا بُنيّتي، إنّك ذاهبة إلى نساء قريش، وهنّ نسوة يحببنَ التطهّر والتعطّر، فلتكوني دائمًا نظيفة طيّبة الرائحة والمظهر. ولمّا أخذها أخوها ضب وسارَ في طريق المدينة، شعرت نائلة بالغربة والوحشة فنظمتِ الأبيات التالية:

ألســـت تـــرى يــا ضــبّ باللــه
أنّــي مصاحبــة نحــو المدينــة راكبــا
إذا قطعــوا حزنــا تحــت ركابــهم
كمــا زعزعــت ريــح يراعًــا متقبــا
لقــد كان في أبنــاء حصــن بــن ضمضــم
لــك الويــل مــا يغنــي الخبــاء المطتبا

والأبياتُ المذكورة وردت في مسامرات محيي الدّين على النحو التالي:

ألســت تــرى بـالله يـا ضـب
أنني مرافقــة نحــو الــمدينــة راكبــا
أما كــان في أولاد عمرو بن عامر
لك الويــل ما يغني الخباء المحجبا

أبى الله إلّا أكـــون غريبة يثرب
لا أمّ لـــديّ ولا أبـــا

ولمّا وصلت إلى المدينة ودخلت دار عثمان أجلسها في مكانٍ مرتفع أمامه، ودار حوارٌ بينهما، وأعجب من فطنتها وكلامها. كانت المذكورة تحبّه حبًّا شديدًا، وعندما حصر في منزلة وقت الفتنة، ودخل عليه الثائرون يريدون قتله، انكبّت عليه تحميه من الضربات، وبينما هي تردّ عنه ضربة سيفٍ فقدت اثنين من أصابعها. وبعد وفاة سيدنا عثمان نظمت الأبيات التالية في رثائه:

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل
التجيبي الـــذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي
وقد غيبوا عنّا فضول أبي عمرو

وثلاثة أي ثالث عمر وأبو بكر، وتجيب هو كنانة بن بشر، وسُمّي بذلك نسبة إلى تجيب وهي بطنٌ من بطون كنانة. وأبي عمر كنية سيدنا عثمان. ويقول بعض أهل اللغة إنّ هذه الأبيات نظمتْ في الأساس في حقّ سيدنا علي، ويستدلّ بذلك على أنّه كان بعد ثلاثة أي؛ أبو بكر وعمر وعثمان، وتجيبي لفظ محرّف من تجيبي وهو لقب عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، ومن مصر محرّفة عن مضر. وبعد الواقعة أرسلت نائلة قميصَ عثمان المخضّب بالدّماء مع رسالة إلى معاوية تطالب فيه بدم عثمان، ولأنّ الرسالة المذكورة من النّوادر أوردنا صورتها هنا من كتاب الأغاني:

«من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان، أمّا بعد، فإنّي أذكّركم بالله الذي أنعم عليكم وعلّمكم الإسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على العدوّ، وأسبغ النّعمة، وأنشدكم بالله، وأذكّركم حقّه وحقّ خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم؛ فإنّه قال (وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله) وإنّ أمير المؤمنين بُغي عليه، ولو لم يكنْ له

عليكم حقّ إلّا حقّ الولاية ثمّ أتى إليه ما أتى، لحقّ على كلّ مسلم يرجو أيّام الله أنْ ينصره لقدَمه في الإسلام وحُسنِ بلائه، وأنّه أجاب داعي الله وصدق رسولَه، والله أعلم به إذ انتخبه فأعطاه شرف الدّنيا وشرف الآخرة، وإنّي أقصّ عليكم خبره، لأنّي كنت مشاهدةً أمره كلّه حتّى قضى الله عليه، إنّ أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارَهم قيامًا على أبوابه بسلاحهم يمنعونه كلّ شيء قدروا عليه، حتّى منعوه الماءَ يحضرونه الأذى، ويقولون له الإفك، فمكث هو ومَنْ معه خمسينَ ليلة، وأهلُ مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمّد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان عليّ مع الحضريّين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمرَ الله تبارك وتعالى به، فظلّت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مزينة وجهينة وأنباط يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكنّي سمّيت لكم الذين كانوا أشدّ الناس عليه في أوّل أمره وآخره، ثمّ إنّه رميَ بالنّبل والحجارة فقتل ممّنْ كانوا في الدّار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه ليأذنَ لهم في القتال، فنهاهم عنه وأمرهم أنْ يردّوا عليهم نبْلهم، فردّوها إليهم، فلم يزدْهم ذلك على القتال إلّا جراءةً، وفي الأمر إلّا إغراءً، ثمّ أحرقوا بابَا الدّار، فجاءهم ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا إنّ في المسجد ناسًا يريدون أنْ يأخذوا أمر النّاس بالعدل فاخرجْ إلى المسجد حتّى يأتوك، فانطلق فجلسَ فيه ساعة، وأسلحةُ القوم مظلّة عليه من كلّ ناحية، وما أرى أحدًا يعدل فدخل الدّار، وقد كان نفرٌ من قريش على عامتهم السّلاح فلبس درعَه وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبستُ درعًا، فوثب عليه القومُ فكلّمهم ابن الزبير وأخذَ عليهم ميثاقًا في صحيفةٍ وبعث بها إلى عثمان أنْ عليكم عهد الله وميثاقه ألّا تغزو بشيء فكلّموه وتخرّجوا، فوضع السّلاح فلم يكن إلّا وضعه حتّى دخل عليه القومُ يقدُمُهم ابن أبي

بكر حتّى أخذوا بلحيته ودعوه باللّقب، فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاثَ ضربات وطعنوه في صدرِه ثلاثَ طعنات، وضربوه على مقدمِ الجبين فوقَ الأنف ضربةً أسرعت في العَظْم فسقطت عليه، وقد أثخنوه، وبه حياةٌ وهُم يريدون قطعَ رأسه ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقتْ نفسها معي عليه، فتوطأنا وطأً شديدًا، وعُرّينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظمُ فقتلوه رحمةُ الله عليه في بيته وعلى فراشه، وقد أرسلت إليكم بثوبِه وعليه دمُه، وإنّه واللهِ لئنْ كان إثمُ مَن قتله لما سلم مَنْ خذله، فانظروا أين أنتُم من الله جلّ وعزّ؛ فإنّا نشكو ما مسّنا إليه، ونستنصر وليّه وصالح عباده ورحمة الله على عثمان، ولعنَ الله مَنْ قتله وصرعهم في الدّنيا مصارعَ الخزي والمذلّة، وشفى منهم الصّدور».

ولمّا وصلت هذه الرّسالة إلى الشام أقسمت مجموعةٌ بأنّها لن تذق طعمَ النوم حتّى تثأر لعثمان. وفي الرّسالة جملة يُفهم منها أنّ عليًا لم يدافع عن عثمان، وهذا ليس من باب التعصّب، وإنّما قام عليّ وسلّح ابنيه الحسن والحسين، وأمرهما بأنْ يدافعا عن أمير المؤمنين، حتّى أنه بعد مقتل عثمان، وبّخهما بأعنفِ الكلمات على أنّهما أعطا فرجةً للعدوّ ليدخلوا منها لعثمان.

وبنتُ شيبة المذكورة في الرسالة هي فاطمة بنت شيبة بن ربيعة، ابنةُ عمّ هند بنت عتبة بن ربيعة أمّ معاوية.

ورغم أنّ البعض أظهر اسمَ فراقصة بالقاف، إلّا أنّ تصحيح الاسم بالفاء، وهذا ما صحّحه الإمام النووي.

٧٩٨- نائلة بنت سعد بن مالك الأنصاريّة:

وهي صحابيّة من بني ساعدة، بايعت الرّسول، وهذا ما ذكره ابن الأثير.

ونائلة بنت عاتكة ابنة عاتكة بنت ملاءة سابقة الترجمة.

وقد أوضح محمد بن جرير الطبري ويعقوب بن السكت أنّ زباء السابقة

التّرجمة اسمها أيضًا نائلة، واستشهد الطبري على ذلك بالبيت التالي:

أتعرف منزلًا بين النقاء وبين ممرّ نائلة القديم

٧٩٩- نابغة بنت حرملة:

كانت والدةَ الصّحابي الجليل عمرو بن العاص كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ورد في الباب السّادس والثلاثين من كتاب المستطرف- وهو الباب الخاصّ بحلم وعفو عمرو بن العاص- أنّ جماعة من الرجال أقبلوا على عمرو بن العاص وهو والٍ، وكان يركب فرسه، وكانوا قد اتّفقوا فيما بينهم على أنّ مَنْ يتجرأ منهم على سؤاله مَن أمّه سيُعطى ١٠ آلاف درهم، فذهب واحدٌ منهم وقاله له «أصلح الله أمرك وأحسن إليك، كلّنا نعرف أنّ أباك هو العاص بن وائل، وشرفه ونسبه معلوم لنا جميعًا، ولكن مَن والدتُك؟ ولم يغضب ولم يحتدّ عمرو بن العاص أبدًا، وقال له: أمّي نابغة بنت حرملة بن عزّة، أسِرَت في حروب العرب، وسيقت إلى سوق عكاظ وبيعت هناك إلى عبد الله بن جدعان، وأهداها بعد ذلك إلى أبي، وحملتنى منه وأنجبتني، ثمّ قال له: إنْ كنتَ قد تواعدت أنْ تأخذ شيئًا على ما قلتَه فاذهبْ وخذه. ثمّ أدار لجام فرسِه وذهب.

وقيل في المستطرف أيضًا أنّ عبد الله بن جدعان كان يعرضُها للزنا، وأنّها جامعت أبا لهب وأميّة بن خلف وأبا سفيان والعاص بن وائل في طهرٍ واحد، وحملت، ولمّا أنجبت عمرًا سألوها مَنْ أبوه فقالت العاص بن وائل لأنّه كان يغدق الإنفاق عليها، رغم أنّه كان أشبه بأبي سفيان.

ولأنّ هذا القول تناول أصول المناكحة والنّسب عند العرب فإنّنا سنتطرق هنا إلى ذكر أنواع النّكاح عند العرب في الجاهليّة وبعد الإسلام. ورد في البخاري الشريف في باب النّكاح عن عروة بن الزبير نقلًا عن عائشة أنّ النّكاح كان عند العرب على أربعةِ أنواع: الأوّل هو النّكاح المعروف حتّى يومنا هذا، وهو أن يذهب رجلٌ إلى والد الفتاة

ويطلبها منه للزواج ويدفع له صداقها، وتكون زوجته فقط. والثاني أنْ يقوم رجلٌ بدعوة غيره إلى جماع زوجته وهي طاهرة، ولا يقترب الزّوج الأصلي من هذه الزّوجة إلّا بعد أنْ يتبيّن هل حلت من الرجل الذي جامعها أمْ لا، ويُسمّى هذا نكاح الاستبضاع. الثّالث أنْ يجامع مجموعةٌ من الرّجال يقلّون عن عشرةٍ امرأةً واحدة في طُهر واحد، وعندما تنجب تستدعيهم كلّهم ولا يتخلّف أحد، وتختار واحدًا منهم، وتقول له: أنت والدُ الطّفل، ولا يستطيع أنْ ينكر ذلك أمام الجميع. أمّا الرّابع فهو البغاء وهنّ النّسوة اللاتي تعملنَ في البغاء، وكنّ ينصبنَ رايةً أمام بيوتهنّ، وكنّ يجامعنَ الكثير من الرجال، لذلك إذا ما أنجبت واحدةٌ منهنّ طفلًا يُؤتى بالقائف- وهو الخبير بالأنساب، وهو الذي يحدّد مَنْ والد الطفل- ولا ينكر مَن نُسب إليه الطفل بالطبع. ولمّا جاء الإسلامُ حرّم كلّ هذه الأنواع ما عدا النّوع الأوّل الذي هو شرعيّ، ويستخدم حتّى الآن.

وهناك بعضُ الرجال الذين تلقّبوا بلقب نابغة أيضًا، وقد أشرنا إلى النوابغ في حرف الزاي في عنوان زرقاء اليمامة.

٨٠٠- ناجية بنت جرم:

ابنةُ جرم بن ريان بن قضاعة، وهي من جُملة النّسوة اللائي تزوّجنَ بأبنائهنّ بعد وفاة أزواجهنّ على حسب معتقدات الجاهلية، وهنّ مذكوراتٌ في كتاب ابن قتيبة. كانت المذكورة متزوّجةً من سامة بن لؤي، وأنجبت منه غالب بن سامة، ولمّا مات سامة تزوّجت ابنَه الحارث.

ويوجد أيضًا في العرب بعض الرجال الذين تسمّوا باسم ناجية ومنهم ناجية بن الأعجم، وناجية بن جندب وناجية بن الحارث وناجية بن عمرو وناجية بن كعب، وهُم من الصّحابة الكرام.

٨٠١- ناهيد:

والدةُ الإسكندر الرّومي، وقيل اليوناني، وناهيد تعني بالفارسيّة نجمة الزهرة. ولفظ إسكندر محرّف من اللفظ الرومي ألكساندر، وورَدَ في البرهان

القاطع أنّ ألكسندر تعني الثّوم، وكانت ناهيد تدفع رائحة فمها الكريهة بالثّوم، ولأنّها كانت تفعل ذلك وهي حامل في ألكسندر؛ أسمته ألكساندر لمّا وضعته. ولكن هذا غيرُ منطقيّ.

ورغم أنّ البعض يزعمون أنّ هناك إسكندرين؛ أحدهما رومي والآخر يوناني، وأنّ واحدًا منهما كان ذا القرنين صاحب الآخر إلّا أنّ هذا ليس له أساسٌ من الصّحة. والصّحيح أنّ الإسكندر شخصيّة واحدة في التاريخ، وهو أحدُ ملوكِ العالم ابن الملك الرومي فليبوس مؤسّس مدينة فليبه، وكان تلميذًا لأرسطو تلميذ أفلاطون. وفدَ إلى إيران في عام ٩٣٥ قبل الهجرة، وتحارب مع آخر ملوك الفرس القدامي دارا بن داراب بن بهمن، وانتصر عليه، ووضع ملوك الطّوائف على إيران بإرشاد من أرسطو، وبقتل دارا بدأ التّاريخ السكندري، أمّا وفاته فكانت في شهرزور، ولأنّ اليونان التي كانت مدينته أو أوروبا عامّة كانت تُعرف عند العرب بالروم نسبَ إليها، وهذا ليس من بني سدّ يأجوج ومأجوج، فالآخر كان ذا القرنين، سلطان عادل من ملوك التّبابعة باليمن كانوا يعرفون بلقب إذواء. كان اسمُه صعبًا، أمّا لقبه فكان ذا القرنين، ولا يُعرف بالإسكندر، ولم يكن من الفلاسفة بل كان من أهل الله، اختلف في نبوته وولايته، المسافة فيما بينهما- أي بين ذي القرنين والإسكندر- ١٩٨٥ عامًا، ويُقال إنّ ذا القرنين عانقَ سيّدنا إبراهيم. ويذكر المرحوم عاصم في القاموس أنّه حتّى البيضاوي وسعدي جلبي أخطأوا في ذلك.

٨٠٢- نبت:

كانت من الجواري العربيّات المغنّيات المشهورات بالحُسن والجمال. نظم الشّاعر والكاتب العراق المشهور إبراهيم بن المدبر الأبياتَ التّالية في حقّها:

مبت إذا سكتت كان السكوت
لها زينا وإن نطقت فالدر ينثر
وإنّما أقصدت قلبي بمقلتها
ما كان سهم ولا قوس ولا وتر

يــا نبـــت قـد هــام الفــؤاد بكــم
وأنــت والله أحـــلى الخلــق إنســانا
ألا صلينــي فإنــي قــد شـغفت بكــم
إنْ شــئت سرًّا وإن أحببــت إعلانــا

ورغم هذا كان المشارُ إليه مفتونًا بالمغنّية عريب. ومذكور في كتاب ابن ظافر أنّه كان لديها- أي لنبت- ملكةُ ارْتجال الشعر، فذات يوم نظم أحدُ الشعراء مصرعًا قال فيهِ (يا نبت حسنُك يغشي بهجة القمر) وطلب منها أنْ تكمل البيتَ فنظمت مرتجلة (قد كاد حسنك أنْ يبتزّني بصري). ثمّ قالت:

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت
ري الريـــاض عليه في دجى السحر

ولمّا عجز الشخص الذي كان يمتحنها أنْ يواصل معها نظمت:

فـهل لنا منك حـــظ في مـواصـلـة
أو لا فإنّي راض منــك بالـنظر

٨٠٣- نتيلة:

نتيلة بنت جناب، زوجة عبد المطلب، والدةُ العباس عمّ خير الناس. ويذكر ابنُ الأثير أنّ أوّل مَن ستر الكعبة بالحرير والديباج بين العرب كانت تلك المرأة؛ فقد ضاع ابنها العباس وهو صغير ونذرت أنّها لو عثرت عليه ستكسي الكعبة، ولمّا عثرت عليه أوفت بنذرها. ورغم أنّ هذا هو المذكور في أسد الغابة وبعض الكتب الأخرى، إلّا أنّ المذكور في سيرة ابن هشام وشرحها يقول بأنّ أولَ مَن كسا الكعبة هو أسعد الحميري، استنادًا إلى الحديث الشريف (لا تسبّوا أسعد الحميري فإنّه أوّل مَنْ كسا الكعبة) كما توجد الأبيات التالية:

وكســونا البيــت الــذي حـــرم الله
مـــلاء معضـــدًا وبـــرودا
فـما قمنـــا بــه مــن الشــهر عـشرًا
وجعلنـــا لبابـــه إقلـــيدا
ونحرنــا بالشعـــب ســتة ألــف
فــترى النــاس نحوهــنّ ورودا
ثــمّ ســـرنا عنــه نــؤم سـهيلا
فرفعـــنا لـــواءنا معقـــودا

فقد أتى تبع إلى الحجاز للحج، وزيرة البيت الشريف وكسوته، ونبّه على القائمين بأمر الكعبة بأنْ ينظّفوا الحرم الشريف من الأوساخ والأقذار الموجودة فيه.

وقد أشارت سبيعة بنت الأحب إلى ذلك في أبياتٍ لها، ولكنّنا سنوردها في ذيل الكتاب.

٨٠٤- نخلة:

هي نخلة المذكورة في البيت القائل:

ألا يا نخلة من ذات عرق
عليك ورحمة الله السلاما

وهو البيتُ المستشهد به على جواز تقديم المعطوف على المعطوف عليه لضرورة. ومذكور في تزيين الأسواق نقلًا عن إمالة القالي أنّها كانت محبوبةَ الشّاعر الأحوص بن جعفر. والبيت المذكور سابقًا للأحوص، وتكملتُه على ما يلي:

سألت الناس عنك فخبروني
هنا من ذاك يكرهه الكرام
وليس بما أحل الله بأس إذا
هو لم يخالطه الحرام

وكان الأحوص قد كتم محبّته لفترةٍ لنخلة، وبعد زواجها بشخصٍ يُدعى مطر لم يتمالكِ الأحوصُ نفسه، وعرّض بها في الأبيات التّالية:

سلام الله يا مطر عليها
وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الإله لمنكحيها ذنوبهم
وإنْ صلّوا وصاموا
فإنْ يكنِ النكاحُ أحلَّ شيء
فإنّ نكاحها مطر حرام
فلو لم ينكحها الأكفاء
فكان كفيئها الملك الهمام
فطلّقها فلست لها بكفؤ
وإلّا يعلُ مفرقكَ الحسام

ومطر في البيت رغم أنّه منادى مفرد معرفة إلّا أنّه مرفوع منوّن للضرورة. ومطر الثّانية وردت بأوجه الأعراب الثلاثة الرفع والنّصب والجر.

وقال المرحوم الشيخ الدسوقي في حاشيته إنّ بيت ألا يا نخلة كناية عن المرأة، وليس معلوم مَنْ قائله بالتحديد.

٨٠٥- نزهون:

من أشهر أديبات الأندلس، كانت معروفةً ببنت القلاعي، كانت من مشاهير القرن السّادس، ومن أهالي مدينة غرناطة. كانت تجري بينها وبين الوزير أبي بكر بن سعيد والي غرناطة مسامراتٌ ومطايبات شعريّة وأدبيّة كثيرة. وذات يوم قال أبو بكر لها:

يا منْ له ألف خلّ من عاشق وصديق
أراك خلّيت للناس منزلًا في الطريق

فكتبت نزهون القطعةَ التّالية وأرسلتها إليه:

حللت أبا بكر محلًّا منعته سواك
وهل غير الحبيب له صدرى
وإنْ كان لي كم من حبيب فإنما
يقدم أهل الحق حب أبي بكر

وذات يوم كانت نزهون في مجلس الوزير المشار إليه، ودخل الشّاعر الهجاء أبو بكر المخزومي، وبعضُ محاوراتٍ خليعة دارت بينها، قال أبو بكر المخزومي لها:

على وجه نزهون من الحسن مسحة
وإن كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها
ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقالت له نزهون:

قل للوضيع مقالا
يُتلى إلى حين يحشر
خلقت أعمى ولكن
تهيم في كلّ أعور
جازيت شعرًا بشعر
فقل لعمري من أشعر
إنْ كنت في الخلق إنثى
فإنّ شعرى مذكر

فَرَدّ عليها أبو بكر:

ألا قل لنزهونة ما لها
تجر من التيه أذيالها

ولــو أبــصرت فيشــة شــمرت
كــما عــودتني سرابيلهــا

ولمّا رأى الوزير ما آلت إليه المحاورة بينهما استحلفهما بألّا ينظما شيئًا آخر.

ووَرَدَ في كتاب نفح الطيب أنّ ابن قزمان، وكان من مشاهير عصره، قد وفد إلى مدينة غرناطة مدينة نزهون، وكان يرتدي جبّة صفراء، وهي جبّة خاصّة بالفقهاء، ولمّا رأته نزهون قالت له تسخر منه: (أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلّا أنّك لا تسرّ الناظرين) وكانت تريد بذلك أنّه تشبّه ببقرة بني إسرائيل التي ذبحوها بالأمر الإلهي، وكانت صفراء فاقع لونها، وتسرّ النّاظرين إليها، فردّ عليها ابن قزمان إنْ كان منظري لا يسرّ الناظرين فإنّ قولي يسعدهم، وأنتِ ما قلته ألا لتسمعي منّي ما يسرّك.

٨٠٦- نسب خاتون:

ابنةُ الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين محمود بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب من الملوك الأيوبية. كانت سيّدة محدثة، استمعت إلى الحديث من مشاهير عصرها كالمحدِّث ابن عبد الدائم والخطيب المردا. بعده بدأت تدرس الحديث، وقد قرأ علم الدين البرزالي أستاذ صلاح الدين الصّفدي كتاب أبي مسهري عليها.

تُوفّيت في ربيع الأول عام ٦٩٧هـ عن عمرٍ يناهز التسعين عامًا.

٨٠٧- نسيا:

توفيقة نسيبا خانم من أديبات استانبول. ابنةُ سعيد بك ابن شريف باشا على حسب ما ورد في تذكرة فطين.

٨٠٨- نسيبة بنت كعب:

ابنةُ كعب بن مازن بن النجار من أهل المدينة. وزوجةُ زيد بن عاصم من الأنصار، وهي الصّحابيّة التي تناولناها في المجلد الأوّل بعنوان أمّ عمارة. كانت من الذين بايعوا النبي في العقبة قبل الهجرة النبوية، شهد زوجُها واثنان من أبنائها غزوةَ أُحد، ودافعوا عن

الرسول، وقد استُشهدوا في غزوة أُحد، ودعا النبي بأن يكونوا معه في الجنة.

ونسيبة بنت الحارث أمّ عطيّة الأنصارية، ونسيبة بنت نيار؛ وهما صحابيّتان جليلتان.

٨٠٩- نشوى:

على وزن دعوى، وهي الجارية الشّاعرة المغنّية التي أشرنا إليها في المجلد الأوّل بأنها سكن.

٨١٠- نشوان بنت عبد الله العسقلاني:

ابنةُ الجمال عبد الله بن علي العسقلاني الكناني أحد علماء الحنابلة، وهي أمّ عبد الله نشوان، اسمُها سودة، كانت من المحدثات، وأخت ألف بنت الجمال الكناني المذكورة في المجلد الأوّل، وكنّ من أساتذة الإمام السيوطي، كانت ولادة نشوان في عام ٧٨٨هـ استمعت إلى أبيها وإلى سائر المحدّثين الآخرين، وحصلت على الإجازة منهم.

٨١١- نصيبين:

كانت من مماليك الخليفة المأمون العباسي؛ ومن المغنّيات الخاصّة له.

وورد في كتاب حديقة الأفراح أنّ الخليفة المأمون أراد أن يجعلَ قاضي القضاة في عهده وهو يحي بن أكثم أنْ يشرب الخمر، فسلّط عليه أبو نواس وابنته ونصيبين المذكورة، ولمّا وقع قضي القضاة في هذا المحظور، ذهب إليه المأمون بنفسه، وظلّ ينادي عليه ولكنّه كان ثملًا، فأمر نصيبين أن تنظم الأبيات التّالية في حقّه:

ناديتـه وهـو ميّـت لا حـراك بـه
مكـفّــن في ثيــاب مــن ريــاحين
فقلـت قـمْ قـال رجـلي لا تطاوعنـي
دعْنـي فـإنـي مشغـوف بـاثـنـين

ولمّا أفاق القاضي ذهب إلى المأمون واعتذر له، ونظمَ الأبيات التالية:

يا سيدي وأميرَ الناس كلهم
قد جار في حكمه مَنْ كان يسقيني
إنّي غفلت عن الساقي فصيرني
كما تراني سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضًا قدْ وها جلدي
ولا أجيب المنادي حين يدعوني

فاخترْ لنفسك غيـري إنّنـي رجـل
الـرّاح يـقتلنـي والعـود يـحييني

وقد عفا عنه المأمون، وقيل إنّه منحه نصيبين المذكورة، وقيل إنّ أبا نواس أعطاه ابنته، وقيل إنّ تلك القصّة معزوّة إلى أصلح وأتقى خلفاء بني العباس، وهو هارون الرشيد، ولكنْ نظرًا لأنّ مثل تلك الحكايات مستهجنة يصرَفُ النظر عنها.

كان القاضي يحيى المذكور شخصًا صلبًا في رأيه، وقيل إنّ الخليفة المأمون ذات مرّة خرج في حملة، وأعلن على الجند أنّ نكاح المُتعة حلالٌ بنصّ الآية الكريمة (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ) ولمّا وصل الأمر إلى القاضي غضب وذهبَ إلى الخليفة، وقال له هل أمرتَ بإشاعة الزّنا بين الناس. إنّ نكاح المتعة التي حللته للنّاس حرام بنصّ القرآن ونص السّنة النّبوية، ويقول الله تعالى (والذين هُم لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين)، ويقول الله تعالى (فمنْ ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) كما أنّ عليًا سئل عن نكاح المتعة؛ فقال: نهى النبي عنه. وبذلك فهو حرامٌ، ومِن قبيل الزّنا، فرجع الخليفة عن أمرِه، وأعلن على الجند تحريمَ ذلك، وبذلك حفظ الله الأمّة من علّة جدّ خطيرة كانت ستودي بها.

٨١٢- نُضار:

بضمّ النّون وتخفيف الضّاد بمعنى الذّهب، ابنة أبي حيّان النّحوي، كانت من أديبات الأندلس، والدها هو العالم النّحوي الكبير الذي كتب شرحًا يُسمّى تسهيل ابن مالك، وله مؤلفات نحويّة أخرى معتبرة. ورد في كتاب نفح الطيب ووفيات الصفدي أنّ له كتابًا باسم (كتاب الإدراك للسان الأتراك) و(زهو الملك في نحو الترك) و(كتاب الأفعال) في القواعد التركية. وبسبب ذكائها كان والدُها يرجّحها على أخيها حيّان، ودائمًا ما كان يمدحُها ويقول: يا ليت حيّان مثل أخته. ولمّا ذهبت لأداء فريضة الحج استمعت للحديث من ابن الزبيدي.

وُلدت في جمادى الآخرة عام ٧٠٢هـ، وتُوفّيت في جمادى الآخرة عام ٨٣٠هـ، وقد حزنَ والدها لوفاتها كثيرًا، وظلّ سنةً كاملة لا يفارق قبرَها، وكتب رسالة مخصوصة في رثائها اسمها (النّضار في المسلاة عن نضار).

والأبيات التّالية هي مطلع القصيدة التي نظمها أبو حيّان في رثاء نضار وأرسلها لصلاح الدّين الصفدي:

بكينا يا للجين على نضار
وسيل الدمع في الخدين جار
فيا لله جارية تولت فنبكيها
يا دمعنا الجواري

استطراد

حيّان بفتح الحاء وتشديد الياء مشتقّ من الحياة، والألف والنون مزيدتان؛ لذا فهو غير منصرف، وإذا اشتقّ من الحين بمعنى الهلاك كان منصرفًا، وعلى هذا ذهب شخص يُدعى حيّان إلى والي مدينته وسأله هل اسمي منصرف أمّ غير منصرف؟ ولأنّ الوالي كان من الأدباء قال له إنْ أكرمتك كان غيرَ منصرف، وإنْ لم أكرمْك كان منصرفًا. والأوّل بمعنى الحياة والثّاني بمعنى الهلاك.

ويروى عن الإمام نجم الدين أبو حفص النّسفي صاحب المنظومة أنّه كان اسمه عمرًا، وكان معاصرًا لجار الله الزمخشري، ولمّا ذهب لأداء الحجّ ذهب إلى منزل الزّمخشري لزيارته، ولمّا طرق الباب قال الزمخشري مَنْ الطارق؟ فقال: عمر. فقال الزمخشري: انصرف، فقال نجم الدّين: يا سيدي عمرُ ما ينصرف. فردّ الزّمخشري إذا نُكّر ينصرف.

وتوجد نضار أخرى وهي ابنة السيدة المحدّثة زمرد بنت أيرق المذكورة في المجلد الأوّل. كانت أيضًا من المحدّثات، كانت من مشاهير نساء أواسط القرن الثّامن على حسب ما وردَ في وفيات صلاح الدين الصفدي. تُوفّيت في مصر.

٨١٣- زمرد خاتون:

وتوجد فقيهةٌ عالمة من فقيهات الحنفيّة تُدعى زمرد خاتون، كانت أخت الملك الدقاق، ووالدةَ شمس الملوك، ولأنني رأيتها مؤخّرًا في كتاب أثمار علي القاري ذكرتُها هنا لعدم اللبس.

٨١٤- نضيرة:

ابنةُ ضيزن بن معاوية بن قضاعة. كان والدُها من طوائف ملوك العرب، كان يعرف بساطرون، كانت زوجة لشابور بن أردشير من ملوك الأكاسرة الأعاجم، ثمّ قتلها في نهاية الأمر، وقصّتها على حسب ما وردت في كتب التّواريخ على ما يلي:

كان ساطرون والدُها يقيم في مدينة حضر بالقرب من الموصل، ولمّا دخل شابور بجنوده الموصلَ وفتحها، استعصتْ عليه مدينة حضر؛ لأنّ قلعتها كانت مطلسمة بطلسم لا يقدر على حلّه أحدٌ غريب، وظلّ حصار شابور أربع سنواتٍ للمدينة، وذات مرّة خرجت نضيرة من الحصن، ولمّا رآها شابور أُعجب بها، فقالت له إنْ جعلتني زوجةً لك سأخبرك بحلّ طلسم القلعة، وبالفعل أخبرته ودخلَ القلعة وقتل والدَها وأهلها، وتزوّجها، وذات ليلةٍ كانت نضيرة لا تستطيع النّوم، فسألها شابور عن السّبب فقالت هذا السّرير لا يروقني، فسألها وكيف كنت تعيشين مع أبيك؟ فقالت كان لا يقدّم لي إلّا أحسن طعام وأحسن شراب وأحسن ملبس ومعيشة، ففكّر شابور وقال لها: فعل معك هذا وختِه، وكنتِ سببَ بلائه، فهل أنتظرُ منك خيرًا؟! وربطها من ملابسها في ذيلِ فرس، وجعله يجرّها خلفه حتّى ماتتْ تحت أقدامه. وقيل في ذلك:

أقفر الحضر من نضيرة
فالمرباع منها فجانب الثرثار

وقد وردت تلك القصّة باختصار في مادّة حضر وسطر في القاموس، كما وردت في ترجمة حال محمد بن جابر المنجم بالمناسبة في وفيات الأعيان.

وتوجد نضيرةٌ أخرى وهي جارية أمّ سلمة رضي الله عنها، ورد ذكرها في كتب الحديث.

٨١٥- نضرة العبديّة:

تابعيّة محدّثة على ما ورد في تاج العروس، روتِ الحديث عن الحسن بن علي.

٨١٦- نُعْم:

بضمّ النّون وسكون العين، ابنة حسان بن ثابت شاعر الرّسول، وزوجة الصّحابي شمّاس بن عثمان المخزومي، كانت من الصّحابيات الشّاعرات الفصيحات، لمّا استُشهد زوجُها في أُحدٍ؛ نظمت الأبيات التّالية في حقّه:

يا عين جودي بدمع غير أبساس
على كريم من الفتيان لباس
صعبت البديهة ميمون نقيبته
حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لمّا خلت منه مجالسه
لا يبعد الله منّا قرب شماس

وهذا ما ذكر في أسد الغابة والإصابة، وتوجد نعم أخرى كانت محبوبةَ الشاعر الجاهلي زيادة بن معاوية المعروف بالنّابغة الذبياني. وقد تغزّل المذكور في أشعاره بها:

عوجوا فحيّوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤى وأحجار
لقد رآني ونعما لاهيين بها
والدهر والعيش لم يهمم بإمرار
نبئت نعما على الهجران عاتبة
سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

عوجوا فعل أمر من عوج. ونؤى أي الخنق الذي يحفر حول الخيمة حتّى لا تسقط المياه في الخيمة، دمنة الدار أي مزبلة البيت.

ونعمُ أيضًا جارية من جواري المأمون، كانت مغنّية له، وفريدة عصرها في الحُسن والجمال. وورد في كتاب حديقة الأفراح نقلًا عن تاريخ الخلفاء للسّيوطي أنّ أبا محمد اليزيدي النّحوي قال دخلت يومًا على الخليفة المأمون وكان الوقت وقتَ

ربيع، والزهورُ متفتّحة وجميلة، وتغنّت نعمُ بالأبيات التالية:

وزعـــمت أنّي ظـالـــم فـهجــرتني
ورميــت في قلبـــي بـــســـهم نـــافذ
فنعــم ظلمتــك فاغفــري وتجــاوزي
هذا مقــام الـمــستجيــر الـعــائــذ
هــذا مقــام فتــى أضـــرّ بــه الهوى
أو لـيـــس عندكــم مـــلاذ الـلائـــذ
ولقـــد أخـــذتم مـــن فـــؤادي لبـــه
لا شـــلّ ربـــي كــف ذاك الآخـــذ

وقد ابتهج المأمون منها كثيرًا، وأمرها أنْ تعيدها مرارًا، وقال لي: يا يزيدي، أهناك ما هو أجملُ من ذلك؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، شكرٌ الله على نعمه. فقال: صدقت. وأجزل عليّ العطاء، وأخرج ١٠ الآف درهم وزّعها على الفقراء أمامي.

ونظم ابن الفارض:

إذا أنـعـمـت نعـم علي بـنـظـرة فـلا
أسعـدت سعـدي ولا أجملـت جمـل
وعـم وسعـدي وجمل أسماء نــســاء

٨١٧- نعيمة الطائية:

فتاةٌ عربيّة شجاعة، اشتهرت بالشجاعة، ابنةُ عمّ عامر بن حرقة من قبيلة بني طي. ذكرت لها منقبة عن شجاعتها في ص ١٤٨ بالمجلد الأوّل في مسامرات مولانا محيي الدين.

٨١٨- نفيسة الطاهرة:

السيدةُ نفيسة المدفونة في مصر، ابنةُ حسن بن زيد بن الحسن بن علي. اشتهرت بكريمة الدارين والطاهرة، وُلدت في مكة عام ١٤٥هـ ونشأت في المدينة المنورة على الزّهد والعبادة، تزوّجت إسحاق المؤمن بن جعفر الصّادق، وأنجبت منه القاسم وأمّ كلثوم، ومؤخرًا هاجرتْ مع زوجها وأولادها إلى مصر، وظلّوا بها سبع سنوات، وقد أظهر أهلُ مصر إجلالًا وتقديرًا كبيريْن، ظلّوا في مصر حتّى تُوفيت المشارُ إليها في شهر رمضان عام ٢٠٨هـ ولمّا همّ زوجُها بحمل جثمانها ليدفنها في المدينة المنوّرة رجاه أهلُ مصر أنْ يدفنها في مصر لتحصل

لهم بركتها، فدفنها في مصر، وكانت جنازتُها مهيبةً اشترك فيها كلّ الأهالي؛ الكبير والصغير، حتّى أنّ صحراء مصر امتلأت عن آخرها بالناس. وبعدها عاد زوجها وأولادها إلى المدينة.

ولأنّها- رضي الله عنها- كانت ثريّة كانت كريمةً محسنةً على الفقراء، ودائمًا ما تسأل على المرضى والمساكين وتتصدّق عليهم، ومن جهة الصّلاح والتقوى كانت زاهدة عابدة، حجّت ٣٠ مرّة، كانت صوّامة قوّامة، لا تأكل إلّا مرّة واحدة كلّ ثلاثِ ليال، وفي غياب زوجها كانت لا تأكل أبدًا، وقد ذكرنا أنّها تُوفيت في شهر رمضان، وفي مرض موتها كانت صائمة، وأخبرَها الطبيب بأنْ تفطر، فقالت له: سبحان الله ظللتُ ٣٠ سنة دعوتُ الله ثلاثين سنة أنْ يميتني وأنا صائمة وقد أعطاها لي، وتأتي أنت إلى الآن وتقول لي أفطري! ثمّ نظمت الأبيات التالية:

اصرفوا عنّي طبيبي ودعوني وحبيبي

زادني شوقي إليه وغرامي ونحيبي

ثمّ قرأت الآية الكريمة (لهم دار السلام عند ربّهم) من سورة الأنعام، وأسلمت روحها. ولمّا كانت المشار إليها في مصر زارها الإمام الشّافعي ونال شرفَ الحديث معها من وراء حجاب، ودعتْ له بالخير والعلم والبركة، ورويَ أنّ الإمام الشافعي كان يصلّي صلاة التراويح في معظم الأوقات في مسجدها.

وذُكر في بعض الكتب أنّ عهد بن طولون كان مصادفًا لوجود المشار إليها في مصر، وكان ابن طولون في بداية عهده ظالمًا متعسّفًا بالناس، فذهب الأهالي إليها يشتكون إليها من ظلم أحمد بن طولون، فسألتهم في أيّ يوم يخرج إلى الرعيّة فقالوا لها غدًا، فلمّا أصبح الصّبح خرجت مع الرعيّة، وانتظرت في أحد الشّوارع، ولمّا رأته نادت عليه يا أحمد؛ فنزل من على جواده، وأعطته ورقة كانت في يدها فلمّا قرأ ما فيها تأثّر واعتذرَ لها عن ظلمه للأهالي، وعاهدها على أنّه لن يظلم الناس مرّة أخرى،

وقيل إنّ هذه القصّة غير صحيحة؛ لأنّ حكومةَ المذكور في مصر كانت متأخّرة عن وجود السّيدة نفيسة في مصر بثلاثين أو أربعين سنة، أمّا الورقة التي أعطتها له فكان بها «ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخوّلتم فعسفتم، وردتْ إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أنّ سهام الأسحار نافذة غير مخطئة. لا سيّما في قلوب أوجعتموها وأجساد أعريتموها، اعملوا ما شئتم فإنّا صابرون، وجوروا فإنّا مستجيرون، واظلموا فإنّا إلى الله متظلّمون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

٨١٩- نفيسة الطرابلسية:

سيدةٌ لها قصّة غريبة، ظهرت في طرابلس عام ٧٥٤هـ في عهد المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر من الخلفاء العباسيّين الذين حكموا في مصر. تزوّجت تلك الفتاة ثلاث مرّات، ولأنّ أزواجها لم يتمكّنوا من جماعها، أطلقوا عليها رتقاء. ولّما وصلت إلى الخامسة عشرة اختفى ثديُها، ثمّ ظهر لها من موضع الفرج شيء بدأ يكبرُ رويدًا رويدًا حتى أصبح طوله مقدار أصبع، وخصيتان، وسجّلت في سجلّات المدينة. من صحائف الأخبار المجلد الثّاني ص ١٩٩.

وتوجد قصّة مماثلة لها مذكورة في كتاب أخبار الدّول صفحة ٢٥٣. كما ذكر الشيخ محمد الدّماميني قصّة مماثلة لذلك في كتابه عين الحياة، حيث قال كانت يوجد لنا جارٌ له فتاة لّما وصلت إلى الخامسة عشرة من عمرها ظهر لها ذكر، وأصبحتْ بذكر وفرج.

٨٢٠- نفيسة سلطان:

اسمُ العديد من أسماء بنات السلاطين العثمانيّين، أقدمُهم ابنةُ السّلطان مراد الأول، وقد زوّجها مراد الأول بعلي بك بن قرمان عام ٧٨٧هـ، ولّما ثار علي بك عام ٧٨٨هـ على مراد الأوّل عفا عنه السّلطان مراد بشفاعة ابنته نفيسة سلطان المذكورة.

ونفيسة- أيضًا- والدةُ أبي العميطر السّفياني الذي ثار في الشّام في أيام خلافة محمّد الأمين العباسي. وهي

أخت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب. أصل اسم ابنها علي، ولأنه كان ابنَ عبد بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ كان يفتخر بقوله أنا ابن شيخي صفّين، تُوفي عام ١٩٨هـ.

ونفيسة اسمُ صحابيّتين؛ نفيسة بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، أمّها عائشة بنت طلحة سابقة الترجمة.

ونفيسة بنت منيّة أخت يعلى بن منية، وهي السيدة التي كانت تخدم الرسولَ والسيدة خديجة، أسلمت يوم فتح مكّة، وكانت مظهرًا لاحترام وتقدير النّبي. من الكامل لابن الأثير.

٨٢١- نَوار:

بفتح النّون وتخفيف الواو، وهي السيدة المتجنّبة مواضع الشّبهة أو مواطن السوء. وتوجد عدّة نساء عند العرب بهذا الاسم، منهنّ: نوار بنت أعين المجاشعيّة وهي ابنة عمّ الشاعر المشهور الفرزدق ومطلّقته، كانت امرأة عفيفة طاهرةً يَصْدق عليها هذا اللفظ، ورغم أنها كانت صالحةً عفيفة إلّا أنّ الله قدّر لها أنْ تتزوّج الفرزدق، الذي اشتهر بالمجون لفترة، ولمّا تزوّجها الفرزدق أرادت نوار أنْ تفرّ منه لمجونه فنظم الفرزدقُ البيتَ التّالي لها:

هلمتـــي لابـــن عمّـــك لا تكـــوني
كمختـــار علـــى الفـــرس الحـــمارا

ولم توافق نوار فتدخّلت تماضر زوجة عبد الله بن الزبير لحلّ الموضوع، وطلبت نوار من عبد الله بن الزبير التدخّل في الموضوع، ولأنّه كان يقيم في مكّة ذهبت نوار إليه، وكانت تسكن في البصرة، فذهب الفرزدق أيضًا إلى مكّة، ودخل على عبد الله بن الزبير يطلب منه أنْ يتدخّل في الموضوع، ويعيد إليه زوجته ونظم البيتَ التّالي:

ليـس الشفيـع الذي يـأتيك مؤتزرًا
مثل الشّفيـع الـذي يـأتيـك عريـانـا

وبالفعل نال مرامه بأنْ أمر ابنُ الزبير بأنْ تعود نوار معه، وأنجبت منه نوار لبطة وسبطة وحبطة وركضة وزمعة، ولم تقوَ نوار على معاشرة الرّجل لها،

وزاد من ذلك زواجه من مسيحيّة باسم حدراء، وانتهى الأمر بطلاقهما، وبهذا الطّلاق كانت نوار وكأنّها وُلدت من جديد، أمّا الفرزدق فشعر أنّه خسر كلّ شيء وندم، ونظم الأبيات التّالية عن حاله:

ندمت ندامة الكُسَعى لما
غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقئ عينيه جهلًا
فأصبح لا يُضاء له نهار

وكسعى بضمّ الكاف وفتح السين من كسع وهو اسمُ شخص من قبيلة كسع، مضروب به المثل عند العرب في النّدامة. فيقال أندمُ من الكسعى. وقصّة هذا الرجل أنّه كان من القبيلة المذكورة، وذاتَ يوم وهو يمشي في الصحراء عثرَ على شجرة قاين بين الصّخور، وقال في نفسه إنّ هذه الشجرة أفضل شجرة لصنع قوس وسهم، سأضعُ عليها علامة حتّى تكبر ثمّ أصنع منها سهمًا وقوسًا، ولمّا نمت الشجرة أخذ منها عدّة أفرع وصنع منها قوسًا وخمسة أسهم. ونظم وهو يصنعها:

يا ربّ وفقني لنحت قوسي
فإنّها من لذّتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدى وعرسي
أنحتها صفراء مثل الورس
صفراء ليست كقسي النكس

ثمّ نظم للأسهم:

هنّ وربي أسهم حسان
تلذ للرامي بها البنان
كأنّما قوامها ميزان فأبشروا
بالخصب يا صبيان
إن لم يعقني الشؤم والحرمان

وذات ليلةٍ أخذ قوسه وسهمه وذهب إلى الصّحراء ليصطاد الحمار الوحشي الذي كان مقبولًا عند العرب جدًّا، ووجد سربًا من الحمار الوحشي فوقف بعيدًا وصوّب القوس عليها ورمى

بالسّهم وكانت توجد صخور اصطدم بها السّهم وهو في طريقه فأخرجت شررًا، فظنّ الرّجل أنّ السهم أخطأ الهدف، فنظم:

أعـوذ بالله العزيـز الرحمن
مـن نكد الجد معـًا والحـرمان
مـا لي رأيت السهم بيـن الصوان
يـورى شـررًا مثـل لـون العقبان
فـأخلف اليـوم رجـاء الصبيـان

ثمّ عاود الكرّة مرّة أخرى فكانت مثل الأولى، وعاودها حتّى حاول خمس مرّات، بعدها اضجر الرجل من هذا الصنيع ونظم:

أبـعد خمس قـد حفظـت عدّها
أحمـل قوسـي وأريـد ردّها
أخـزى الإلـه لينـا وشـدّها والله
لا سلـم عنـدي بعـدها
ولا أرجـى مـا حييـت رفـدها

وكسر القوسَ والسّهام على صخرة، وانصرف، وفي الصّباح حضر إلى هذا المكان فوجد أنّ خلف تلك الصّخرة خمسة حمر وحشيّة مصابة ومُلقاة، فأدرك أنه تسرّع، وندم على كسر القوس والسهام، ونظم:

نـدمت ندامـة لـو أنّ نفسي
تطاوعنـي إذا لقطعـت خمسي
تبين لي سفاه الـرأي مني لعمر
أبيـك حيـن كسرت قوسـي

وبذلك فإنّ ندامة الكسعى التي أوضحها الفرزدق في أبياته إنّما هي مأخوذة من تلك القصّة.

٨٢٢- نوار بنت حلّ بن عدي بن عبد مناة:

أمّ حنظلة بن مالك بن زيد منات، من جدّات الفرزدق، ذكرها في أشعاره.

٨٢٣- نوار مرية:

ورد ذكرُها في أشعار الشّاعر المخضرم لبيد بن ربيعة العامري، خاصّة في معلّقته، وكانت محبوبتَه التي يتغزّل بها.

نوار وهي زوجةُ خولى الأصبحي من أعوان يزيد، وكان قد قُتل على يد مختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي ظهر

بعد ذلك في عهد عبد الله بن الزّبير. وقد ورد في تاريخ الكامل أنّ خولى المذكور حمل رأس الحسين بعد استشهاده في كربلاء ليجلبها إلى ابن زياد، ولأنّه رأى أنّ قصر ابن زياد مغلّق، ذهب إلى بيته ليستريح، وقال لزوجته استيقظي لقد أحضرتُ لك معي هديّة، لقد أحضرت رأس الحسين، فنهضت من نومها مفزوعة، وقالت له إنّ الرجال يأتون من الحروب بالذّهب والفضّة وأنت تأتي برأس سيد الأنام، والله لا أبقى في هذا البيت بعد الآن. وخرجتْ من المنزل، وتقول ظللتُ في الشّارع حتّى الصباح فشاهدت وكأنّ نورًا ينزل من السّماء إلى منزلنا.

ونوار أيضًا اسم صحابيّتين، إحداهما ابنة صرمة بن مالك من أولاد عدي بن النجار. وهي والدة زيد بن ثابت الأنصار كاتب النبي.

٨٢٤- نوربانو:

والدةُ السّلطان مراد الثالث، وزوجة السّلطان سليم الثاني. وهي أوّل امرأة تشتهر بنفوذها في القصر العثماني، وهي مؤسسة الجامع الموجود في أسكدار المعروف باسم عتيق والده.

٨٢٥- نور جهان بكم:

من شاعرات الفرس المذكورات في كتاب آتشك، زوجةُ السّلطان جهانكير أحد شاهات الهند.

٨٢٦- نهالى:

شاعرة فارسيّة من أهالي سمرقند، ومن نساء القرن العاشر، وتوجد في كتاب سفينة الشّعراء قصّة عنها، حيث كان يوجد مكان جميل في سمرقند يُعرف باسم بين الطّاقين، وكان الشّاعر الهذلي مشفقي يجلس هو ومجموعة من الشّعراء في هذا المكان يتسامرون في الشعر، ومرّت عليهم نهالى، وقالت لهم لقد نظمت بيتًا أريد أنْ أعرضه عليكم فقالت البيت فاستحسنوه، فقالت يجب أنْ تنظموا نظيرًا له، ولأنّ مشفقي كان هزليًا بطبعه، نظم لها بيتًا في معناه أنّه لا أحد يقدر على نظم نظيرٍ للبيت الذي نظمته، فأخجلها وانصرفت بعدما

أخذت عهدًا على نفسها ألا تناظر الرجال بالشّعر ثانية.

٨٢٧- نهدية:

من جواري عشير بني نهد. ومن نساء عصر النبي، انتقلت إلى يدِ سيدةٍ من قبيلة بني عبد الدار، وكانت هي مؤمنة وسيّدتُها مشركة، وكان ذلك سببًا في إيذاء المرأة لها، وكانت تقول لها إنّها ستعذّبها طالما أنّها في بيتها، ولن ينقذها من هذا العذاب سوى أنْ يشتريها أحد من أتباع محمّد؛ فاشتراها أبو بكر وأنقذها من العذاب في سبيل الله.

٨٢٨- نيلو فر خاتون:

زوجةُ السّلطان أورخان الغازي بن عثمان، ووالدة كلّ من سليمان باشا ومراد الأوّل، كانت سيدة عفيفة، كانت في الأساس ابنة للأمير البيزنطي على يار حصار، زوّجها عثمان لابنه أورخان عام ٦٨٠ه، وكانت قصّة هذا الزّواج على ما يلي: كان عثمان الغازي مؤسّس الدولة العثمانيّة يتقدّم بفتوحاته في الأناضول يومًا بعد يوم، وكان حكّام الروم الموجودون فيها يُطلق عليهم لقب تكفور يخشونه ويحاولون كسب مودّته، وكان من ضمن هؤلاء الحكّام حاكم بيله جك الرّومي الذي كان يسعى جاهدًا لنيل رضاء وكسب مودة عثمان، ولكنّه كان يفكّر في الوقت نفسه لعمل حيلةٍ يوقعه بها، لأنّ وجوده- أي الغازي عثمان- في الأناضول كان يهدّد الحكمَ الرّومي في المنطقة، وقد جرت العادة أنْ يتبادل الاثنان الهدايا القيمة، وكانت هناك ثقةٌ كبيرة بينهما لدرجة أنّ عثمان كان يرسل إليه الهدايا مع النّسوة العجائز، وذات يوم اتّفق حاكم بيله جك مع الحكّام الروم الآخرين الموجودين في المنطقة على ترتيب حفلٍ كبير يدعون فيه عثمان ويوهمونه بأنّهم سيزوّجونه ابنة حاكم يار حصار، وكان كوسه ميخال حاكم خرمن قيا على علاقةٍ صداقةٍ قويّة بعثمان فأرسل إليه الخبر بالدّسيسة التي تدبّر له، فأرسل عثمان رسولًا من عنده إلى حاكم بيله جك يخطره بأنّ عثمان وافق على الدّعوة وسيأتي إلى الحفل، وأنّه سيرسل إليهم

أيضًا النّسوة العجائز بالهدايا كالمعتاد، فابتهج حكّام الروم وقالوا سنظفر به وبالهدايا معًا، واختار عثمان ٤٠ رجلًا من خير جنوده، وألبسهم ملابس نسوةٍ عجائز، وأرسلهم إلى القلعة، وكانت خاليةً من الجند إلّا قليلًا بسبب الحفل، أمّا هو فذهب مع مجموعة من الجنود إلى الحفل، وبمجرّد وصول الجنود المتنكّرين إلى القلعة قضوا على الجنود الرّوم الموجودين بها، وأوصلوا الخبرَ إلى عثمان، فقام بالقضاء على مَن في الحفل، وأَسَرَ مَن بها، وزوّج البنت المذكورة إلى ابنه أورخان، وأنجبت منه سليمان ومراد الأوّل. كانت المذكورة صاحبة خير، وقد أنشأتْ جسرًا على نهر بروسه؛ لذا عُرِف النهر باسمها.

حرف الواو

٨٢٩- الواصلة:

لقب أمّ حكيم التي أشرنا في المجلد الأوّل، زوجةُ عبد العزيز الأموي، كما أنه لقب والدتها زينب؛ لذا كانت أمّ حكيم تُلقب بالواصلة بنت الواصلة.

وقد ذكر في الحديث الشريف لعنَ الله الواصلة، وورد في التفاسير نقلًا عن عائشة أنّ المقصود هنا المرأة التي كانت تشتغل بالفجور وهي صغيرة ثمّ اشتغلت ديّوسة وهي كبيرة، وهناك مَنْ فسّره على أنّها مَنْ تكمل شعرَها بشعرٍ آخر. المحيط.

٨٣٠- وافدة:

هي وافدة بنتُ مازن بن صعصعة. وهي من جُملة المذكورات في كتاب ابن قتيبة بأنّها من النّسوة العرب اللاتي تزوّجنَ الرّجال ثمّ أبناءهم على ما جرتْ عليه عادةُ الجاهلية. كانت المذكورة زوجةَ عبد مناف، وأنجبت منه نوفل وأبا عمرو، وبعد وفاة عبد مناف تزوّجت ابنه هاشم، وأنجبَ منها بنتين هُما ضعيفة وخلدة.

٨٣١- واعلة وواهلة:

ذُكر في التفاسير أنّ واحدةً منهما كانت زوجةَ نوح عليه السّلام، والأخرى كانت زوجة لوط عليه السّلام، ورغم أنّهما نالتا شرف الزواج بنبيّين كريمين إلّا أنّهما ماتتا على الكفر كما أخبرَ بذلك في آخر سورة التحريم.

٨٣٢- وجيهة بنت أوس الضبية:

من نساء قبيلة بني ضبة، ومن شاعرات الحماسة، والأبيات التّالية من منتخبات ديوان الحماسة:

وعاذلة تغدو علي تلومني على الشوق
لم تمح الصبابة من قلبي
قالوا إن أحببت أرض عشيرتي
وأحببت طرفا القصيبة من ذنب
فلو أنّ ريحًا أبلغت وحي مرسل
حفي لنا جبت الجنوب على النقب
فقلت لها أدى إليهم تحيتي
ولا تخليطها طال سعدك بالترب
فإنّي إذا هبت شمالًا سألتها
هل ازداد صداح النميرة من قرب

قصيبة اسم موضع. طرفاه اسم شجر. حفى مبالغ في الأمر. نقب طريق بين جبلين، صداح أي الديكن نميرة اسم قرية.

٨٣٣- وحشيّة الجرمية:

معشوقةُ يزيد بن الطثريّة أخي زينب بن الطثريّة سابقة الترجمة، والأبيات التي ذكرناها في ترجمة زينب المذكورة وتُنسب إليها يُقال إنّها بخصوص وحشيّة المذكورة، وهذه رواية الأغاني.

٨٣٤- وِرْثة:

بكسر الواو وسكون الراء. زوجة ذهل بن شيبا بن ثعلبة من مشاهير العرب، وهي أوّل مَنْ قال المثل العربي الشهير (بخ بخ ساق بخلخال)، وسببُ المثل أنّ زوجها ذهل كان قد تزوّج برقاش مطلقة كعب بن مالك بن تيم الله، وكانت ورثة تتحيّن الفرص لضرب رقاش لتتخلّص منها، وعلى النقيض كانت رقاش تحاولُ كسبَ ودّها، وذات يوم جاءت رقاش ومعها خلخال تعرضهاً على ورثة فقالت لها

ورثة تستهزأ بها: بخ بخ ساقٌ بخلخال، فغضبت رقاش وقالت لها: أجل ساق بخلخال لا كخالك المختال. فهَمّتْ ورثة على ضربها، ولكنّ رقاش كانت أصغر سنًا فضربتها هي، نظمت ورثة الأبيات التّالية تتحسّر على حالها:

يا ويـــــح نفسي اليوم أدركني الكبر
أأبكي على نفسي العشيّة أم أذر
فوالله لو أدركت في بقيّة لـلاقيت
مـــا لاقى صواحبـــك الأخـــر.

وقد أنجبت رقاش من ذهل مرّة وأبا ربيعة وحلم وحارث، ومحلم هو والد عوف الذي كان من رؤساء قوم بني ربيعة المشهور في المثل القائل لا حرّ بوادي عوف.

٨٣٥- وزيرة:

وزيرةُ بنت المنجا التنوخيّة الدّمشقية. من مشاهير محدّثات الشام الشريف. حصل الكثيرُ من الذكور والإناث على الإجازة منها، بعضهم مذكور في إنباء ابن حجر.

٨٣٦- وشيكة:

ورد في الأغاني أنّها كانت جارية لبذل المغنّية السّابقة التّرجمة، كانت ترسلها بذل إلى الملوك والأمراء عندما يكون لها حاجة عندهم.

وكانت بذل أيضًا جارية مملوكة للخليفة العباسي جعفر بن موسى الهادي، ولكن قدرها كان عاليًا جدًّا في البيت العباسي لعلمها، وكان لجعفر ابنُ عمّ يُدعى محمد بن زبيدة عرض على جعفر أنْ يبيعه بذل أو يهديها له، فلم يوافق جعفر على هذا أو ذاك، وذات يوم كان جعفر ثملًا، فحمل محمد بن زبيدة بذلًا وهربَ بها، وفي اليوم التّالي دعا جعفر لزيارته ليظهر له أنّ بذل عنده، ويرضى بالأمر الواقع، وأثناء عودته أمر بملء زورق محمد المذكور بالذّهب والمجوهرات، وقد ورثت بذل عن محمد بن زبيدة ما لا يملكه أحدٌ من المجوهرات والذهب، وبعد وفاة محمد طلبها للزّواج الكثيرُ من الأمراء وقادة الجيش ولكنّها رفضت.

ووشيكة أيضًا اسمُ والدة أبي مسلم صاحب دعوة بني العباس. كما في الوفيات.

٨٣٧- وفا:

قال مجدي أفندي مترجم الشّقائق إنّها والدةُ الشيخ مصلح الدين مصطفى وفا الذي افتخرنا بمجاورته، وكان من علماء عصر الفاتح وبايزيد. ولهذا يلزم أنْ يكون اسم الشيخ المذكور ابن الوفا. ورغم هذا كان المذكور يُعرف بوفا، وهذا مذكورٌ في البيت المكتوب على قبره، كما أنّه كان يكتب بخطّ يده على الأعمال التي ألفها بنفسه (كتبه الحقير مصطفى بن أحمد الصدري القنوي، المدعو بوفا). وبهذا فإنّه يُعدّ لقبًا له.

ومن العجائب أنّ الشيخ المذكور ذهب إلى الحجّ مرّة عن طريق البحر، وأسره الكفار وحبسوه في جزيرة رودس، ورغم أنّه مصرّح في ترجمة حاله أنّه تخلّص من هذا الأمر بمبلغ ٤٠ ألف قرش دفعها إبراهيم بك القرماني، إلّا أنّ حكاية إنقاذه من الكفّار انتشرت بين الناس بما يخالف العقل والنقل.

٨٣٨- ولّادة:

بفتح الواو وتشديد اللام ولّادة بنت المستكفي بالله بن محمد المستظهر بالله عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله، من أشهر أديبات الأندلس، ومن أشهر الفاضلات هناك. وقد أمرتْ بنقش البيتين التّاليين على التاج الذي تضعه على رأسها:

أنـــا والله أصلـح للمعـــالي
وأمـشي مشيتــــي وأتيـه تيهـا

وأمكـن عاشـقي مـن صحـن خـدّي
وأعطـــي قبلـتي مَـنْ يشـتهيها

ولكنّها رغم ذلك كانت عفيفة النفس. وذكر صاحب كتاب سرح العيون أنّها لمّا قُتل والدُها على يد طوائف ملوك المتغلبة بدأت تخرج عن نطاق هذا الأدب، وبدأت مناظرة الشّعراء، وقد تنافس فيها الوزير أبو الوليد بن زيدون المُلقب بذي الوزارتين، والوزير أبو عامر بن عبدوس. حتّى أنّ رسالة بن زيدون إنّما كانت نتاج هذه المنافسة.

وقد هجت المذكورة الوزيرَ ابن زيدون بالأبيات التالية:

ولُقبت المسدس وهو نعت
تفارقك الحياة وهو لا يفارق
فلوطي ومأبون وزان
وديوث وقرنان وسارق

إنّ ابن زيدون على فضله
يعشق قضبان السراويل
أو أبصر الأير على نخلة
صار من الطير الأبابيل

إنّ ابن زيدون على فضله
يلهج بي شتمًا ولا ذنب لي
يلحظني شزرًا إذا جئته
كأنني جئت لأخصي علي

وقد ذكر الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان عنها «وكان يكلف بولّادة، ويهيم ويستضيء بنور محيّاها في الليل البهيم «وكانت من الأدب والظرف والطّرف بحيث تختلس القلوب والألباب، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشّباب». عمّرت المشار إليها كثيرًا، ولم تتزوّج، وتُوفّيت في الليلة الثالثة من شهر صفر لعام ٤٨٠ وقيل ٤٨٤هـ وكانت مهجة القرطبيّة سابقة التّرجمة تلميذة لها.

٨٣٩- ولّادة بنت العباس بن حزن العبسي:

وهي والدةُ الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.

٨٤٠- وهبة:

كانت مملوكةً لمحمد بن عمران القروي على ما ذُكر في ذيل أحوال أحيحة بن الجلاح في المجلد الثّالث عشر من كتاب الأغاني. كانت مغنّية جارية، لها ألحانٌ معتبرة، والأبيات التّالية نظمتُ في حقّها:

يا وهب لم تبق لي شيئًا أسر به
إلّا الجلوس فتسقيني وأسقيك
وتمزجين بريق منك لي قدحًا
كأنّ فيه رضاب المسك من فيك

يا أطيب الناس ريقًا غير مختبر
إلّا شهادة أطراف المساويك
قد زرتني زورةً في الدّهر واحدةً
ثنّي ولا تجعليها بيضة الديك
ما نلت منكِ سوى شيء أسرّ به
ولست أبصر شيئًا من مساويك
قالت ملكتَ ولم تملك فقلت
لها ما كلّ مالكة تزرى بمملوك

وقد قصد بتلك الأبيات أنْ يمجّدها بعفّتها، والبيت الثّالث منها في غاية البلاغة.

حرف الهاء

٨٤١- هَاجر:

وردت في القاموس بفتح الهاء، زوجةُ سيّدنا إبراهيم، ووالدةُ سيدنا إسماعيل، ويُقال أيضًا آجر. كانت في الأساس جارية عند سنان بن علوان أحدِ فراعنة مصر، وقد أهداها لسيدنا إبراهيم عندما أتى إلى مصر لأنّه رأى أنّ زوجته سارة لا تُنجب، ولمّا أنجب منها سيدنا إبراهيم ولدَه إسماعيل، بدأت الغيرة تدبّ في قلب سارة منها ومن ولدها، فأمرَه الله أنْ يُسكن هاجر وابنها وادي مكّة، بينما كان يعيش هو في أرض كنعان. ولأنّ قبيلة جُرْهم التي تعدّ أصل العرب كانت تقيم هناك نشأ إسماعيل بينهم وتزوّج رعلة بنت مضاض الجرهميّة وفتقَ لسانه باللغة العربية، ورغم أنّ لغة سيدنا إبراهيم كانت العبرانيّة إلّا أنّ لغةَ ابنه كانت العربية، وأصبحت لغة العرب المستعربة الذين سكنوا كلّ منطقة الحجاز بعد ذلك.

وقد ذكر ابنُ الأثير أنّ وفاة هاجر كانت قبل وفاة سارة، حيث تُوفّيت سارة في بلاد الشام عن عمر يناهز ١٢٧ عامًا، وبعدها تزوّج سيدنا إبراهيم بامرأةٍ تُدعى قطورًا بنت يقطن من الكنعانيّين، وأنجب منها ستّة أبناء، وبذلك أصبح جملة أبنائه ٨ أبناء كان إسماعيل أكبرَهم. ولمّا أنجبتْ هاجر إسماعيل حزنت سارة فوهبها الله إسحاق بينما كانت عجوزًا مسنًّا تلطيفًا لها.

وكانت سُنّة ثقب الأذن والختان للإناث التي انتشرت في بلاد العرب سُنة عن السيدة هاجر؛ وذلك لأنّها لمّا أنجبت إسماعيل غضبت سارة، وأقسمت على أنْ تقطع جزءًا من جسدها فقطعت شحمتي أذنيها، والبظر الزّائد في الفرج. وفعلت ذلك وبذلك أصبحت سُنّة عند العرب والمسلمين من بعدهم.

٨٤٢- أمّ الخير هاجر:

ابنةُ القاضي علاء الدين علي بن محمد بن سعيد بن محمد بن علي الحليمي المُلقب بابن الخطيب. كانت من المحدّثات ومن أشياخ الإمام السّيوطي، حصلت على الإجازة من عائشة بنت محمّد بن عبد الهادي ومجموعة أخرى من المحدّثين.

هاجر سيّدةٌ أخرى من مشايخ الإمام السّيوطي، وهي السيدة التي أطلقوا عليها عزيزة المقدسية. وُلدت في القدس عام ٧٩٠هـ، ويبدو أنّ الإمام السيوطي لم يعشْ حتّى وفاتها لأنّه لم يذكر تاريخَ وفاتها في كتابه المنجم في المعجم.

٨٤٣- هاجر خوند:

من المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر في وفيات عام ٨٣٣هـ، كانت زوجة السّلطان برقوق.

٨٤٤- هالة بنت وهيب:

ابنةُ وهيب بن عبد مناف بن زهرة، كانت ابنةَ عمّ آمنة بنت وهب والدة الرسول، ووالدة سيدنا حمزة. عندما زوّج عبد المطلب ابنه عبد الله آمنة تزوّج هو الآخر هالة بنت وهيب، وقد وُلد الرّسولﷺ بعد حمزة بفترة قصيرة، وقد أرضعتهما ثويبة معتوقة أبي لهب فترةً قصيرة معًا. وعلى هذا فإنّ حمزة يعدّ عمّ النّبي وأخاه في الرّضاعة في الوقت نفسه.

وهالة بنت خويلد ذكر في أسد الغابة أنّها أختُ السّيدة خديجة، ووالدة أبو العاص بن الربيع صهر الرسول.

٨٤٥- هدية:

الشّيخة أمّ محمد البغداديّة هديّة بنت علي بن عسكر، من المذكورات في أعيان عصر الصّفدي. كانت من محدّثات أواخر القرن السابع، ومن صالحات الأمّة، فكانت كثيرة الصلاة والنّوافل. تلقّت العلم على يد جعفر الهمداني وغيره، وقد قال علم الدين البرزالي أستاذ صلاح الدّين الصفدي قرأتُ عليها كتابَ مسند الدّارمي، ورافقتها في رحلتها من الشام إلى القدس، ودرّست لي الحديث في بيت المقدس وفي خليل الرّحمن، تعلم على يديها الكثير، تُوفّيت في القدس في ١٨ جمادى الأولى عام ٧١٢هـ.

٨٤٦- هرّ بنت يامين:

ذُكر في مجمع الأمثال أنّها كانت من يهود حضرموت، كانت تشتهر بالفجور، وضُرب بها المثل في ذلك فيقال (أزنى من هرّ). فرحتْ جدًّا لوفاة النبي، فقطع مهاجر بن أبي أميّة عاملُ الرسول على حضرموت يديْها لذلك.

وهرّ في العربيّة بمعنى القط، وهريرة تصغيرها، وهو أيضًا من أسماء النساء، ومن ذلك هريرة المذكورة في أشعار أعشى بني قيس، وذكر صاحب كتاب الأغاني أنّها كانت جارية سوداء لحسّان بن عمرو بن مرثد، وقال نظم المذكور البيت التالي مخاطبًا نفسه:

ودّع هريــرة إنّ الركـــب مرتحـل
وهــل تطيــق وداعًــا أيهــا الرجــل

والأعشى المذكور هو الأعشى الأكبر، وهو ميمون بن قيس المشهور باسم صناجة العرب كان من شعراء الجاهلية. ووالده قيس هو المعروف بين العرب باسم قتيل الجوع، واشتهر بذلك لأنّه دخل غارًا يحتمي بظلّه من الشمس، فتدحرجت صخرة وسدّت باب الغار، وظلّ به حتّى هلك من الجوع والعطش. أمّا لقب صناجة العرب الممنوح لميمون فكان لرقّة طبعه وجودة قريحتِه في الشّعر، وقد أوضح

الإمام السيوطي في كتابه المزهر أنّه دائمًا ما كان يتغنّى بأشعاره، كان يكنّى بأبي البصير.

ومذكورٌ في الأغاني ومعاهد التنصيص أنّ المذكور أدرك عهدَ الإسلام ونظم قصيدة داليّة بقصد عرضها على الرسول ليعلن إسلامه، إلّا أنّ أبا سفيان اعترضه في الطريق، وغوّاه على عدم فعل ذلك، فكان سببًا في عدم هدايته.

٨٤٧- هُزَيلة:

هي هزيلة التي وعدنا بذكرها سابقًا في المجلد الأوّل. كانت من قبيلة جديس، وهي السّبب في تسلّط عمليق على قبيلة جديس وفعله الذي كان فيه مهانةٌ لهم، وسبب هذه القصة أنّ هزيلة كانت متزوّجة من رجل من نفس القبيلة يُدْعى ماشق، أنجب منها ولدًا، وأراد تطليقها وأخذ الولدَ منها فحزنت وذهبت إلى عمليق تتحاكم عنده، وقالت له (يا أيّها الملك، إنّي حملته تسعًا ووضعته دفعًا وأرضعته شفعًا حتّى إذا تمّت أوصاله ودنا فصالُه أراد أنْ يأخذه منّي كرهًا ويتركني من بعده ورهاء) فقال عمليق لماشق: ما ردّكَ على ذلك؟ فقال (حجتي أيها الملك أنّي قد أعطيتها المهرَ كاملًا، ولم أصبْ منها طائلًا إلّا وليدًا خاملًا، فافعلْ ما كنت فاعلًا) فأمرَ عمليق بأن يأخذ الولدُ في زمرة غلمانه، وأنْ يُباع الرجلُ والمرأة، ويأخذ الرجلُ من ثمن المرأة الثُمُن، وتأخذ المرأةُ من ثمنه الخُمس. فقالت هزيلة: يا له من حكم ظالم، ونظمت الأبيات التالية:

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فأنفذ حكمًا في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعًا
ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما

فغضب عمليق وقسم على أنْ يذلّ قبيلة جديس بأنْ يزيل بكارة أيّة فتاة منهم قبل زواجها، وظلّت تلك العادة السيئة حتّى شموس السابقة التّرجمة. وذُكر في تاريخ ابن الأثير في فصل وقائع العرب بابٌ باسم أيّام الأنصار

أنّ فيطون اليهودي اتّبع تلك العادة البغيضة في المدينة وما حولها لفترة.

وتوجد خمسُ صحابيّات أخريات باسم هزيلة، ومنهنّ: هزيلة بنت الحارث الهلاليّة وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلاليّة أمّ المؤمنين. كما كان اسم والدة الشّاعر الملقب بوضاح اليمن المذكور في ترجمة أمّ البنين هزيلة أيضًا.

٨٤٨- هما بانو:

أخت به آفرين السابقة الترجمة، وابنة كشتاسب من ملوك الفرس القدامى، وقد سقطتا أسرى في يد أرجاسب، وحبستا في قلعة دوينه دذ، وخلّصهما أخوهما إسفنديار بن كشتاسب.

والقصّة على ما يلي: كان كشتاسب والد همابانو قد اعتنق المجوسيّة وآمنَ بزرادشت وبكتابه زند، وأمرَ ببناء أبراج النار في اصطخر، وفي تلك الأثناء انتهز أرجاسب شاه توران الفرصةَ وهجم على نواحي خراسان، واستولى عليها حتّى بلخ، وأسر المذكورتين وحبسَهما في قلعة دوينه دذ، ولكن أخاهما إسفنديار تمكّن بشجاعته من تخليصهما.

تتمّة

زرادُشت بضمّ الدّال كان من الحكماء، اسمُه ابستمان، من نسل متو جهر، كانَ تلميذًا لإقليدس، وكان إقليدس تلميذًا لفيثاغورث، بعد أن اكتسب العلم ذهب إلى جبل على حدود سيلان يمارس الرّياضة الروحيّة هناك، وألف هناك كتابَه الضّال زند، وكان ذلك الوقت هو وقت سلطنة كشتاسب، نزل زرادشت من الجبل، وارتدى لباسًا أبيض، ودهن جسده بمادّة ضدّ النّار، وذهب إلى كشتاسب وادّعى النبوّة، فقال له كشتاسب: ائتنا بمعجزة، فقال له: إنّ النار لا تؤثّر في جسدي. وأمر كشتاسب بإشعال النيران الكبيرة ولم تؤثّر فيه، فصدّقه كشتاسب، وآمن بكتابه زند، وأمر قومه بأنْ يتّبعوه. وعلى حدّ زعمه كان أصلان قديمان أحدهما خالق الخير والآخر خالق الشّر، وكان يُطلق على خالق الخير يزدان، وعلى خالق الشّر أهرمن، ومؤخّرًا انقسم أتباعُه إلى فرق متعدّدة، ومنها الثنويّة التي قالت بقدم النور والظلمة.

أمّا النقاش المشهور ماني الذي كان موجودًا في عصر بهرام بن هرمز من ملوك السّاسانيين، فقد اخترع مذهبًا جديدًا من النّصرانيّة والمجوسية، ودعا الناس إلى الزندقة، وكان هو أيضًا ينادي بقدم النور والظلمة، ولكنه أطلقَ على فاعل الخير نورًا، وعلى فاعل الشرّ ظلمة، وأطلق على مَن اقتدوا بمذهبه (المانويون) وقد أشار إليهم الشّاعر المتنبي في قصيدتِه التي مدح فيها سيف الدولة الحمداني، وهجاهم، وأشار إلى ضلالهم:

وكـــم لـظـــلام الليـــل عنـــدك مـن يـد
تخبـر أنّ الـمـانـويّة تـكـذب

وقاك ردى الأعداء تسري عـلـيـهـم
وزارك فيـــه ذو الدلال الـمـحـجب

ومن المعلوم أنّ الشّرك على حسب ما وردَ في الأخلاق العلائيّة نوعان: أكبر وأصغر، الأصغر وهو الرّياء لقوله- صلّى الله عليه وسلّم- (إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشّرك الأصغر قالوا وما الشّرك الأصغر؟ قال الرياء). والشّرك الأكبر وهو- والعياذ بالله- إثبات صفة الإلوهيّة لغير الله. وصفة الألوهيّة تعود إلى ثلاثة أشياء؛ الأولى: صفة وجوبيّة الوجود، وهذه الصفة ثابتة باتّفاق أهل العلم في حقّ الله تعالى، ولا يمكن إثباتُها إلى مَن سواه، ولم يثبت أحد هذه الصفة لغير الله سوى الطّوائف المجوسية، الثّانية: صفة خلق الأجسام والجواهر.

وهذه الصّفة أيضًا ثابتة لله ولا يمكن إثباتها لأحد سواه. أمّا ثنويّة المجوس فيقولون بأنّ خالق العالم اثنان: يزدان وأهرمن، أو النور والظلمة. وبعضُ الظاهريّين من الفلاسفة يقولون بأنّ الله تعالى خلق العقل الأوّل، واشتقّ من العقل الأوّل خلقين الأول العقل الثاني والآخر الفلك التّاسع، وعلى هذا صدر من كلّ عقل عقل، ومن كلّ فلك فلك. ولمّا وصل العقل والفلك إلى العاشر لم يتخطّه، وربما أنّ العناصر الأربعة صدرت منهم، وصدرت منها الأنفس والموكبات والعناصر والصور والأعراض.

لذا يطلقون عليه العقل الفعّال، وهذه الطّائفة في الحقيقة ليسوا موحّدين، أمّا محقّقو الفلاسفة فيقولون بأنّ الله تعالى هو خالق كلّ شيء، وطائفة المعتزلة أيضًا تقول بأنّ أفعال العباد من خلقهم، ورغم أنّ هذا الفكر ضال، إلّا أنّه لا يعدّ كفرًا لأنّهم يقولون بأنّ خالق الأجسام والأشياء هو الله، ولا يستحقّ غيره العبادة، وقد نزلَ الأمر الإلهي بذلك (وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه..) ومَنْ يعبدون الله تعالى على هذا التّمجيد والتوحيد يسمّون حنيفيّين، (ملّة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين) ومَنْ يخالف هذا يُسمّى مشركًا، وعلى هذا فإنّ كلّ منْ يعبدون الشّمس و القمر والأشجار والأصنام إنّما يقرّون بأنّ الله تعالى هو خالق الأجسام والجواهر، ولكنّهم يعبدون تلك الأشياء لأنّها تقرّبهم الى الله، وورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى (ولئن سألتهم مَنْ خلقهم ليقولنّ الله) كما قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون) وذكر في تفسير الجلالين أنّ مشركي العرب في وقت الحجّ كانوا يلبّون على هذا النحو (لبيك لا شريك لك إلّا شريكًا هو لك تملكُه وما ملك). وعلى هذا فإنّ عدم الإيمان بهذه الأنواع الثلاثة من الصفات التّوحيديّة يعدّ شركًا أكبر، وهناك منْ يوحدون ولكنّهم يطيعون شيطانهم لأغراض نفسانيّة عندهم، وهذا يعدّ شركًا أصغر ومعصية كبرى، ويطلق البعض عليه (الشّرك الخفي)، نعوذ بالله من شرور أنفسنا.

٨٤٩- هما بنت بهمن:

هما ابنة بهمن بن إسفنديار سابع حكّام الكيانيّين من ملوك إيران القدامى، وهي خالة والد هما بانو السابقة الترجمة. تزوّجها أبوها على حسب عادات الدّين المجوسي، ولأنّها كانت أشجع من ابنه ساسان، جعلها أبوها وليّة للعهد له، لذلك تولّت العرش بعد موت أبيها، أمّا أخوها ساسان فلأنّه خشي على نفسه من بطش أخته فقد اختار طريق السّياحة مع الدراويش.

ولمّا جلست هما على العرش كانت حاملًا من أبيها، ولمّا وضعت حملها، خشت أن يأخذ هذا الولد الحكمَ منها في المستقبل فوضعته في صندوقٍ وألقته في النهر، وانتقل الصندوق إلى بزجر بيجي، وفتحه فعثر على الطّفل فأسماه داراب، وقد تربّى الولد على القتال والمحاربة والشّجاعة، ولمّا وصل إلى أمّه هما بعد ٣٢ سنة علمت أنّه ابنها فتركت له العرش.

وقد ورد اسمُها في كتب تاريخ الكامل وأبي الفدا (خماني بنت بهمن) خطأً مطبعيًّا.

وهما أيضًا اسمُ ابنة قيصر الروم، كانت زوجة بهرام كور.

وهما شاه قادين كانت من نساءِ السّلطان عبد الحميد الأوّل، أنجبت منه الأمير محمد، وقد أسّست جامع مير كون.

٨٥٠- هند بنت أثاثة:

ابنةُ أثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، كانت من فصحاء الصحابيات، صعدت هند بنت عتبة الآتية الترجمة على صخرة يوم أُحد وقالت:

نحـن جزيناكـم بيـوم بـدر
والحـرب بعـد الحـرب ذات سعر
مـا كان لي عـن عتبـة مـن صبـر
ولا أخـي وعمـه وبكـر
شفيـت نفسـي وقضيـت نـذري
شـفيت وحشـي غليـل صـدري
فشـكر وحشـى عـلى دهـري
حتـى تـرمّ أعظمـي في قـبري

إشارةً منها إلى أنّ العبد وحشي انتقم لها بقتله لحمزة، فردّت عليها هند بنت أثاثة قائلة:

خزيـت فـي بـدر وغيـر بـدر
يـا ابنـة وقـاع عظيم الكفـر
صـبحك الله قبيـل الفجـر
ملهـا شمييـن الطـوال الزهـر
حمـزة ليثـي وعلـي صقـري

إذ رام شيب وأبوك غدري
فخضبا منه نواحي النحر
بكل قطاع حسام يفري
وندرك السوء فشر النذر

والبعض يعزو الأبيات السابقة إلى أروى بنت عبد المطلب.

٨٥١- هند بنت أسماء:

ابنةُ أسماء بن خاجة الفزاري، من التابعيات، كانت من زوجات الحجّاج الظالم، وكان متزوّجًا أيضًا بامرأة تُدعى هند بنت المهلّب بن أبي صفرة، ولمّا كان في الحجّ رأى في منامه أنّ عينيه خرجتا من مكانهما فطلقهما. وبعدها بفترة قصيرة تُوفي ابنه محمد، وفي نفس اليوم تُوفي أخوه محمد بن يوسف في اليمن، فأدرك الحجّاج معنى الرؤيّة حينئذٍ.

وقد نظم الفرزدق البيتين التاليين ليسلّي بهما عن الحجاج:

إنّ الرزيّة لا رزيّة مثلها
فقدان مثل محمد ومحمد
ملكان قد خلت المنابر منهما
أخذ الحمام عليهما بالمرصد

٨٥٢- هند بنت الحرث المرية:

هي هند التي نظم فيها الشاعر الفاسق الفاجر عمر بن أبي ربيعة الأبيات التالية:

وعدت هند وما كانت تعد
ليت هندًا أنجزتنا ما تعد
واستبدت مرّة واحدة
إنّما العاجز منْ لا يستبد

وهو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة كان والدُه من أشراف بني مخزوم، ومن الصحابة ورغم ذلك كان عمر ابنه ينظم الشّعر الماجن. وكان يواعد النساءَ ويقابلهنّ، وكانت هند المذكورة من النساء التي قابلها، وذاتَ يوم قابلته هند فقالت له (ويحك يا عمر اسمع منّي) (لو رأيتني منذ أيام وأصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي فنظرت إلى حرّي فإذا هو ملء الكفّ ومنية المتمنّي فناديت يا عمراه يا عمراه) فقال عمر يا لبيكاه ثلاثًا، وصاح في الثالثة فضحكت.

وقد كانت ولادة عمر المذكور في الليلة التي استشهد فيها عمر بن الخطاب، وقال الحسن البصري دلالة على هذا (أيّ حق رفع، وأيّ باطل وضع).

٨٥٣- هند بنت الخُسّ:

بضم الخاء وتشديد السّين، هند بنت خسّ بن حابس الأيادي، وهي السيدة التي تناولناها في المجلد الأوّل بعنوان ابنة الخس. مقالاتها المسجوعة أكثر من أشعارها، وسنورد هنا بعضَها نقلًا من كتاب أمالي أبي علي القالي وكتاب المزهر للإمام السيوطي:

سألت المذكورة عن أفضل الخيول فقالت (ذو الميعة الصنيع، السليط التليع، الايد الضليع، الملهب السريع)، وسألت عن المطر فقالت (ذو الهيدب المنبعق، الأضخم المؤتلق، الصخب المنبثق).

ومن جملة مقالاتها الحكيمة:

كـــنْ حـــذرًا كالقرلّـــى إن رأى
خيـــرًا تـدلّـــى أو رأى شرًّا تـــولى

والقرِلّى بكسر القاف والرّاء وتشديد اللام اسم طائرٍ صغير الحجم قوي البصر سريع الاختطاف. وهو طائر طمّاع، ضُرب به المثل كثيرًا عند العرب فيُقال (أطمع من قارلّي) و(أحذر من قارلّي) و(أحزم من قارلّي) و(أخطف من قارلّي). وقد ذُكر هذا الطائر في كتاب حياة الحيوان لكمال الدين الدّميري أنّ اسمَه ملاعب ظلّه، أو خاطف ظلّه. وقد شبه أحد طمّاعين العرب ويُدعى أشعب بهذا الطائر وقيل فيه:

يـا منْ جفاني وملا نسيت أهلًا وسهلا
ومـات مرحب لـمّـا رأيـت مـالـي قلا
إنّي أظنّك تحكي بـمـا فـعـلـت القرلّي

وهند المذكورة في البيت التّالي للفرزدق:

وفيت بعهد كان منـــــك تـكـرّمـا
كـمـا لابنـة الـخسّ الأيـادي وفـت هند

هي هندُ زوجة النعمان بنِ المنذر، التي كانت مصاحبة لهند بنت الخسّ، وكانت هند بنت الخسّ تذهب لزيارتها وتظلّ عندها أوقاتًا طويلة، وكانتا تفعلان الفاحشة مع بعضها، حتّى أنّ هند زوجة

النعمان كانت تقول لها (في اجتماعنا أمنٌ من الفضيحة وإدراكٌ للشّهوة)، ولمّا تُوفيت هند بنت الخسّ، كانت هند زوجة النعمان تذهب إلى قبرها وتجلس بجواره بالساعات، وأمرت ببناء دير بجواره، ولهذا قال الفرزدق البيت السابق في إشارة إلى وفاء هند المذكورة لهند صاحبة التّرجمة.

٨٥٤- هند بنت زيد:

هند بنتُ زيد الأنصاريّة، من أشياع علي، كانت من فصحاء الصّحابيات، ولمّا أُعدم معاوية الصّحابي حجر بن عدي بشكوى من ابنه زياد بن أبيه، نظمت هند الأبيات المذكورة في رثاء حجر:

ترفّع أيّها القمر المنير تبصر
هل ترى حجرًا يسير
يسير إلى معاوية بنحرب
ليقتله كما زعم الأمير
تجبّرت الجبابر بعد حجر
وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا
كأنْ لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر بن عدي
تلقّتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديًا
وشيخًا في دمشق له زئير
فإنْ تهلك فكلّ زعيم قوم
من الدنيا إلى هلك بصير

كان حجر بن عدي مشهورًا بين الصّحابة باسم حجر الخير، ولأنّ والده جُرح في إحدى الحروب وهو يدافع عن والده لُقّب بعدي الأدبر.

وقد اشتكى زياد بن معاوية لأبيه من حجر بن عدي عندما كان زيادة واليًا على الكوفة، فأرسل معاوية إليه ومعه خمسة عشر صحابيًا، وأعدمَهم بالشّام، وهذه إحدى سيّئات معاوية. وقال الحسن البصري جمع معاوية بين أربع صفات، إنْ وجدت واحدةٌ فقط في شَخص أهلكته؛ الأولى منها أنّه تفرّد برأيه دون أن يستشير بقيّة الصّحابة الذين دافعوا عن تلك الأمة. والثانية

أنّه شرب الخمر ولبس الحرير وسمع الطنبور، وأنّ ابنه يزيد استخلفه في هذا، والثّالثة أنّه نسب زياد إليه رغم أنّ الرسول قال (الولدُ للفراش وللعاهر الحجر)، والرابعة قتله لحجر بن عدي وبقيّة الصحابة الآخرين.

فيا ويلاه من حجر ويا ويلاه من حجر وأصحابه. وهذا من الكمال وأسد الغابة.

ذكر في القاموس أنّ المكان الذي قتل فيه حجر بن عدي كان يُسمّى عذراء، وهي قرية من قرى الشّام، وذكر صاحب القاموس عبارة (قتل به معاوية بن حجر) وهذه ليست تعني أنّ معاوية قتل حجرًا هنا، بل ربّما يكون معاوية بن حجر هذا هو شخصٌ آخر قُتل في هذا المكان. ولم يُعثر في تاج العروس والمحيط على مثل تلك الخاصية.

٨٥٥- هند بنت طارق:

ابنةُ طارق بن بياضة الأيادي، كانت من فصحاءِ نساء العرب القدامى، والأبيات التي تقول نحن بناتُ طارق تمشي على النمارق؛ مِن نظْمها، قالتها المذكورة في إحدى غارات الفرس على قبيلة إياد، وتوجد إفادةٌ مخصوصة بأنّ هند بنت عتبة تمثّلت بها يوم بدر. وهذه الإفادة تقول بأنّ لفظ بنات طارق إنّما هو على منصوب على سبيل الاختصاص كما في قول الشاعر:

نحــن بنــو ضبــة أصحــاب الجمــل
نــازل المــوت إذا المــوت نــزل
والمــوت أحــلى عندنــا مــن العســل

٨٥٦- هند بنت ظالم:

ابنةُ ظالم بن وهب الكندي، كانت مشهورةً بين نساء العرب باسم هند الهنود، كانت زوجةَ حجر بن عمرو آكل المرارة ملك كندة. كان حجر المذكور أوّلَ ملوك كندة، وجدّ جدّ فحْل الشّعراء امرئ القيس. كانت ديار بكر وما حولَها دارَ مُلكه. أُطلق عليه آكل المُرار بضمّ الميم؛ لأنه كان يأكل المرار، وهو نوع من النّبات. وقد عُرف عنه هذا الأمر من

تلك القصة، كان زياد بن هبولة- وهو من الضخاجمة الذين حكموا في الشام قبل الغساسنة- قد انتهز فرصة خروج حجر بن عدي وهجمَ على بلاده، وأسر كلّ ما بها من أطفال ونساء، وكانت هند زوجة حجر مع مَنْ أسروا، ولمّا وصلت هذه الأخبار إلى حجر عادَ على الفور، وكلّف اثنين من جنوده وهما: سدوس وضليع؛ بالذّهاب إلى بن هبولة وأنْ يتجسّسا الأخبار، فذهب المذكوران إلى معسكر ابن هبولة وسمعا مناديًا ينادي مَن يُحضر حزمةً من الحطب يأخذ بدلًا منها تمرًا، وجمعَ سدوس وضليع الحطب، وذهبا إلى المُعسكر، ووضعاه لجانب النّار، فأعطى لكلّ واحدٍ منهما حملًا من التمر، فاكتفى ضليع بما أخذَ وقرّر العودة، ولكنّ سديس لم يكتفِ بذلك وقرّر أن يدخلَ خيمة ابن هبولة ليتجسّس الأخبار، وانتظر حتّى وجدَ فرجة وذهب بجوار خيمةِ ابن هبولة واستمع إلى حوارِ دار بين هند زوجة حجر وبين ابن هبولة، حيث سألها ابنُ هبولة ماذا تظنّين زوجك فاعلًا الآن؟، فقالت والله لا أظنّ ولكنّي متأكّدة من أنّه سيأتي إليك ويُحاربك، فخذْ حذرَك، فقال لها أنت تقولين ذلك لأنّه زوجك وتحبّينه، وتثقين به؟ فقالت لا والله ما بغضتُ أحدًا بقدر بغضي له، إنّ شفّته أصبحت مثل شفة النّاقة من أكل المرار، كما أنّه شخص حريصٌ وطمّاع، وكان من عادته أنّه يضع بجواره وهو نائم إناءً فيه لبن، وإذا ما استيقظ يدعوني لآتيه به ليشرب منه، وذات مرّة أتى ثعبانٌ أسود وشرب من اللبن، وبقي بالإناء بعض اللّبن، فقلت في نفسي لأتركه حتّى إذا ما شرب منه مات واسترحتُ منه، وعندما استيقظ نادني لأحضرَ له اللّبن، وقبل أنْ يشربه شمّه ثمّ ألقاه على الأرض، وقال لي أين الأسود؟ فقلت له لا أعلم ولْم يصدّقني. حمل سديس تلك الأخبار وذهب إلى حجر، وقال له:

أتـــاك المرجفـــون برجـــم ظـــنّ

عـــلى دهـــش وجئتــــك باليقيـــن

وأخبره بها، فغضبَ جدًّا وجمع جنده وذهبَ إلى بلاد الشّام وهجم على ابن

هبولة وهزمه وقتله هو وزوجته هند، ثمّ نظم حجر الأبيات التالية موضّحًا بها عدم الثقة في امرأته:

إنّ من غرّه النساء بشيء
بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث مر كلّ شيء
أجن منها الضمير
كلّ أنثى وإنْ بدا لك منها
آية الحبّ حبّها خيتعور

تتمّة

كان حجر بن عمرو المذكور هو أوّل ملوك كندة، وكانت حكومته منتظمة، تمكن من انتزاع الأراضي التي استولى عليها المغيرون، وأعادها إلى حوزته، وأعاش أهله في رفاهية. وقد اشتهرَ بآكل المرار، ولمّا تُوفّي تولّى بعده ابنه عمرو، وكان مشهورًا بالمقصور لأنّه اقتصر على الأراضي التي تركها والده ولم يوسّعها، ثمّ تولى بعدَه ابنُه الحارث بن عمرو. وكان شاه إيران في عصره قباد بن فيروز الذي كان يؤمنُ بالمزدكيّة التي تقول بالمشاركة في النّساء والأموال، ولمّا آمن الحارث بن عمرو بها أحبّه قباد ومنحه حكم الحيرة بعد أنْ طرد المنذر بن ماء السّماء منها، وضمّ بلاد المنذر إلى الحارث، ولمّا تولّى أنوشروان بن قباد حكم إيران ثارَ ضدّ المزدكية، وقتل كبير رجالها، وطرد الحارث من الحيرة وأعاد المنذر بن ماء السّماء إلى بلاد الحيرة كما كان. والحارث المذكور هو الحارث بن عمرو الذي تزوّج بأمّ أناس ابنةِ عوف بن محلم الشيباني من أشراف ربيعة المذكورة سابقًا في ترجمة عصام، وهذا ما صرّح به صحائف الأخبار. ويوجد بين أمراء العرب أيضًا عمرو بن هند، وكان معروفًا عند العرب بمضرط الحجارة لشدّة صولتِه وسطوته، وقيل فيه:

أبى القلب أنْ يأتي السدير وأهله
وإنْ قيل عيش بالسدير غدير
به البق والحمى وأسد خفية
وعمرو بن هند يعتدي ويجور

وكان عمرو المذكور ابن المنذر بن ماء السّماء، ولكنّه اشتهر بنسبته إلى أمّه، وقد ذكرناها في عنوان ليلى بنت المهلهل، وكانوا من ملوك العرب المعروفين باللّخميّين، ولم يكونوا في الحقيقة ملوكًا، ولكنّهم حكموا في منطقة العراق من قِبَل أكاسرة العجم، كما حكم الغساسيّون في منطقة الشّام من قِبَل قياصرة الرّوم.

ويُطلق عليهم المناذرة لأنه كان يوجد فيهم العديدُ من الحكّام باسم منذر، وقد أشرنا إلى ذلك في حرف الميم في عنوان ماء السّماء.

وكان لعمرو بن هند ابنة أيضًا باسم هند، وهي مَنْ عشقها منخلُ بن عبيد بن عامر اليشكري، وقال فيها الأبيات التالية:

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير

وأحبّها وتحبّني وتحبّ ناقتها بعيري

كان منخلُ من أجمل شعراء العرب، وكان نديمًا للنّعمان بن المنذر هو والنابغة الذّبياني، ولأنّ النعمان بن المنذر كان قبيح المنظر كان يشكّ في زوجته متجرّدة من منخل، حتّى أنّه يقال أنّ متجرّدة هذه أنجبت ولدين من النّعمان قيل إنّهما من منخل المذكور.

٨٥٧- هند بنت عتبة:

ابنةُ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، كانت من نساء عصر النّبي، وهي زوجةُ أبي سفيان ووالدة معاوية، كانت امرأةً مشهورة بالشجاعة والفصاحة، كانت من ألدّ أعداء الإسلام حتّى فتح مكّة، ولكنّها أسلمت بعد فتح مكّة، ورغم أنّ النّبي كان قد أهدرَ دمَها لكثرة ما اقترفته من مساوئ للإسلام؛ إلّا أنّه عفا عنها بعد إسلامها. كان يوجد في منزلها الكثيرُ من الأصنام قبل إسلامها، ولكنّها بعد الإسلام قامت بكسرها كلّها. كانت وفاتها في شهر المحرم لعام ١٤ هـ في عهد خلافة عمر، وكان يوم وفاتها هو يوم وفاة أبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

استطراد

الواضح ممّا سبق أنّ هند أمّ معاوية تُوفّيت قبل ولاية معاوية، ورغم ذلك وردت حكايةٌ تدلّ على عكس ذلك، وأغلبُ الظّنّ أنّها غيرُ صحيحة، تقول تلك الحكاية: إنّ رجلًا ذهب إلى معاوية، وهو خليفة، وطلب منه أن يزوّجه أمّه، فرفض معاوية هذا المطلب الغريب، ولمّا رفض طلبَ الرجل أنْ يمنحه ولاية كذا، فقال معاوية:

طلب الأبلق العقوق فلمّا
لم يجده أراد بيض النوق

وقد ذكر كمال الدين الدّميري نقلًا عن ابن الأثير أنّ تصحيح تلك الرواية على ما يلي: ذهب رجلٌ إلى معاوية يسأله أنْ يخصّص له شيئًا فوافق معاوية، فطلب الرجل شيئًا لابنه، فلمّا رفض معاوية قال الرجل لتكونَ لعشيرتي، فنظم معاوية الأبيات السّابقة.

والأبلق الفرس الجيد. والعقوق هو الفرس الحامل وهذا مُحال، النوق بيض الصقر الذي يكون في أعالي الجبال، وهو محال في العثور عليه أيضًا.

شهدت بدرًا وأُحدًا وهي كافرة، وقد ذكرنا في المجلد الأوّل في ترجمة ثبيتة بنت يعار تشنيعها على أخيها أبي حذيفة الذي كان يحارب مع الرّسول في بدر، وتشفّيها من المسلمين في أُحد في ترجمة هند بنت أثاثة.

وقد ورد في كتب السّيَر أنّ هند بنت عتبة شاركت في غزوة أُحد مع زوجها، وكان معها من نسوة قريش الكافرات زوجة عكرمة بن أبي جهل، وأمّ حكيم ابنة الحارث بن هشام، وزوجته، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وزوجة صفوان بن أميّة، وبرزة بنت مسعود الثّقفي، وزوجة عمرو بن العاص وريطة ابنة منبه السّهمي، ومجموعة أخرى من نسوة قريش. وكانت هند بن عتبة تحثّ الكفّار على القتال ضدّ المسلمين لمّا قُتل أبوها عتبة وأخوها الوليد في المعركة نظمتِ الأبيات التالية:

نحـــن بنــــات طــــارق
نمـــشي عــــلى النــمارق
الـــدّر في المخــــانق
والمســــك في المفــــارق
إنْ تقبلــوا نعانـــق أو تدبـــروا
نفــارق فـــراق غـير وامــق

وقد أشرنا من قبل لإفادة السهيلي شارح سيرة ابن هشام على تلك الأرجوزة.

وكانت تقول أيضًا:

ويهــا بنـــي عبـــد الـــدار ويهــا
حمــاة الـديــار ضربــًا بكـــلّ تيــار

وفي موقعة بدر كان حمزة بن عبد المطلب يحارب كالأسد يهجم على الكفار هنا وهناك، ولا يجرؤ أحدٌ على الاقتراب منه، وقد كان في صفوف الكفار عبدٌ حبشي يُعرف باسم وحشيّ كان ماهرًا في استخدام الحربة، فأطلق عليه الحربةَ من بعيد فأصابته فوقع ميتًا، فقام وحشيّ ببقر بطنه وأخرج كبدَه وأحضرها إلى هند بن عتبة، وقام سيّده جبير بن مطعم بعتقه مكافأةً له على ذلك، كما وعدته هند بنت ربيعة بالأموال الكثيرة، وقامت هند بمضغ كبد حمزة، وأعطتْ وحشيّ الحليّ الموجود على رأسها ووعدته بالكثير من الأموال بعد ذلك، وقد نظمت هند الأبياتَ التّالية تشفّيًا في حمزة:

شـفيت مـــن حمــزة نفسي بأُحــد
حــين بقـــرت بطنــه عــن الكــبد
أذهــب عـــن ذاك مـــا كنـــت أجـد
مـن لوعــة الحـزن الشـديد المعتمـد

وقد أسلم زوجُها أبو سفيان بن حرب بواسطة العبّاس عندما قابله العباس في وادي الظّهران القريب من مكة عندما ذهب أبو سفيان يستطلعُ جيش المسلمين الذي عسكر على مقربة من مكّة، ولمّا عاد أبو سفيان إلى مكة مسلمًا نادى في أهل مكّة بالإسلام قائلًا أسلموا تسلموا، ولمّا سمعته هند أمسكته من لحيته بشدّة وقالت يا آل غالب اقتلوا هذا المجنون. وكان هذا التصرّف هو

آخرَ تصرّف لها ضدّ الإسلام، حيث أسلمت بعدَه في حضور النّبي يوم فتح مكة بعد أنْ عفا عنها؛ لأنّ دمَها كان مهدرًا، فقد أهدر النبي دمها مع سيّدة تُدعى سارة، وقد قُتلت سارة على يد عليّ، أمّا هند فقد تمكّنت من الاختفاء، ولمّا تمّ الفتح المبين.

حضر الرّجالُ يبايعون الرسول على الإسلام، بعد أن قام النبي بتطهير الكعبة من الأوثان والأصنام، ولمّا بايع الرجال الرسول، جاء دورُ النساء، وأقبلت كبار نساء قريش إلى الرّسول يبايعْنَه على الإسلام، واندسّت هند في وسطهنّ بعد أنْ غيّرت هيئتها، ولمّا وقفنَ أمام الرّسول تلا قولَ الله تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهنّ) فقالت هند: والله لقد بايعتنا على أشياءَ أكثر من الرّجال، ولكنّا سنبايعُك عليها، فقالت وأمّا السرقة فقد أخذت من مالِ أبي سفيان بعضَ الشيء من دون علمه، فقال أبو سفيان وكان حاضرًا ما أخذتِه حلالٌ عليك، فقال النّبي: لها آأنت هند؟ فقالت نعم أنا هند، فقال لها النبي عفا الله عمّا سلف، وبالنسبة للزّنا، قالت هند: الحرّة لا تزني أبدًا، وبالنسبة لقتل الأولاد، قالت: أنتَ قتلتهم، وبالنسبة للبهتان قالت: إنّه أمرٌ قبيح، وأنت ستأمرنا بمكارم الأخلاق، وبالنسبة للعصيان قالت: ما جئناك اليوم إلّا من أجل ألّا نعصاك أبدًا بعد اليوم».

وبخلاف الأشعار التي أوردناها هنا توجد لها بعضُ الأشعار الأخرى مذكورة في المجلّد الأوّل في بعض الأماكن.

كما ذكر ابن هشام في سيرته الكثير من الأشعار لهند بنت عتبة وهند بنت أثاثة في معركة بدر، والأبيات التّالية من جملة الأبيات التي نظمتها هند يوم بدر بناءً على مقتل أبيها عتبة وعمّها شيبة، وذكر في الأغاني أنّ تلك الأبيات- وكما أشير

في المجلد الأول في عنوان الخنساء أنها- كانت مناظرة بينها وبين الخنساء:

من حسّ لي الأخوين
كالغصنين أو من رآهما
قرمان لا يتظالمان
ولا يرام حماهما
ويلي على أبويّ
والقبر الذي واراهما
لا مثل كهلي في الكهول ولا فتى كفتاهما

وتوجد هند أخرى في عائلة أبي سفيان، كانت من فصحاء نساء قريش، كانت أختَ أمّ حبيبة ومعاوية، ووالدة عبد الله بن الحارث الذي كان واليًا على البصرة في وقت ابن الزبير.

وكانت تلاعب ابنَها المذكور وهو طفل وتقول له:

لأنكحنّ ببه جارية خدبه
مكرمة محبّة تجب أهل الكعبة

وكان عبد الله المذكور يُلقب به، حتّى أنّ الفرزدق ذكر لقبَه هذا في الأبيات التي نظمها لها عندما تولّى ولاية البصرة:

وبايعت أقوامًا وفيت بعهدهم
وببه قد بايعته غير نادم

وقد رأيت مؤخّرًا في ديوان الحماسة البصريّة الأبيات التّالية للمذكورة في وفاة أبيها:

مَنْ يشتري منّي شيخًا خبا
أخبّ من ضبّ يداجي ضبا
كأنّ أخصييه إذا أكبا
فروجتان تلقطان حبا

ومذكور في المجلد الثّامن من كتاب الأغاني أنّها كانت متزوّجة من فاكة بن مغيرة من أشراف قريش، ولمّا طلّقها فاكة تزوّجت أبا سفيان، وذكر ذلك مسافر بن عمرو من شعراء قريش شعرًا.

٨٥٨- هند بنت عذافر:

هي المرأةُ المذكور في قول عمرة بنت الحارس المذكورة في حرف العين:

حوثرة من أعظم الحواثر
تيطت بحقوي صميان عاهر
أهديتها إلى ابنة العذافر

وحكايتُها مذكورة في مجمع الأمثال للميداني في المثل القائل (أنكح من حوثرة).

٨٥٩- هند بنت عوف:

هندُ بنت عوف الكناني، كانت من أهرم نساءِ العرب كما أشرنا إلى ذلك من قبل في المجلد الأوّل في عنوان أسماء بنت عميس. كنّ كلهنّ صحابيّات مباركات، وكان لكلّ واحدة منهنّ ١٠ وقيل ٩ أبناء، وهنّ النسوة التي وردت فيهنّ الآية الكريمة (الأخوات مؤمنات)، ومن هؤلاء النّسوة أمّ المؤمنين ميمونة، ولبابة الكبرى زوجة العباس، وسلمة زوجة حمزة، وأسماء زوجة جعفر الطيار. وكانت صاحبة الترجمة أكرمهن من ناحية المصاهرة.

٨٦٠- هند بنت نعمان:

ابنةُ حميدة بنت النّعمان بن بشير السابقة التّرجمة في المجلد الأوّل، كانت من زوجات الحجّاج الظالم، ولها قصّة في المستطرف في الفصل الخاصّ بفصاحة نساء العرب هي: أنّ هند المذكورة كانت صاحبةَ جمال، ولمّا سمع الحجّاج بن يوسف بجمالها طلبها للزّواج، ودفع لها مهرًا كبيرًا، ووعدها بأنْ يدفع لها أيضًا ٢٠٠ ألف درهم بعد الزّواج، وكانت هند تذهب مع الحجّاج لزيارة أبيها في بلدته معرة النعمان، وتقيم عند أبيها لفترةٍ ثمّ تعود إلى العراق مع الحجّاج، وذات مرّة دخل عليها الحجاج الغرفة فوجدَها تنظر في المرآة وتقول:

وما هند إلّا مهرة عربيّة
سليلة أفراس تحلّلها بغل
فإن ولدت فحلًا فلله درها
وإنْ ولدت بغلًا فجاء به البغل

والبيتُ الثّاني في الأغاني على ما يلي:

فإنْ نتجت مهرًا كريمًا فبالحرى
وإنْ كان أقرافًا فمن قِبَل الفحل

ولمّا سمع الحجّاج منها ذلك أراد تطليقَها، ووكّل عبد الله بن الطاهري لهذا الأمر، وأرسله إلى هند، وقال لها طلّقها نيابةً عنّي بكلمتين فقط، وأعطاه ٢٠٠ ألف التي كان قد وعدَها إيّاها، ولمّا ذهب عبد الله الطّاهري إليها قال لها

(يقول أبو محمد الحجّاج لك كنتِ فبِنْت) أي (كنت زوجتي والآن انفصلت عنّي) فقالت له والله كنّا زوجين ولم أشكرْ ذلك، فانفصلنا فأحمدُ الله على ذلك، أمّا هذه الأموال فهي لك لأنّك خلّصتني من كلبِ بني ثقيف. ثمّ ذهبت إلى معرة النّعمان، ولمّا وصل خبر طلاقها إلى عبد الملك بن مروان خليفة الوقت، أرسلَ إليها يطلبها للزّواج فردّت عليه بقولها (إنّي أنا إناءُ الكلب) أي أنّي كنت متزوّجة من الحجاج وشبهته بالكلب، والإناء الذي يلعق فيه الكلب يجب غسلُه سبعَ مرّات، فضحك عبد الملك من ردّها، وأرسل لها ثانية فقالت له إنّ شرطي في هذا الزّواج أنْ يأتي الحجّاج بنفسه إلى في بلدتي ويمسكُ بزمام ناقتي التي ستسوقني إليك وهو حافٍ، وأرسل الخليفة أمرَه إلى الحجّاج فقال الحجّاج سمعًا وطاعة، وذهب إلى معرّة النعمان، ولمّا تجهّزت هند ركبت النّاقة، وأمسك الحجاج بزمامها وهو حافٍ وسار حتّى الشّام على هكذا، وبينما هُم في الطريق كانت هند تنظر من الهودج هي وجاريتُها ويضحكان على الحجاج سخريةً منه، وفي مرّة من المرّات وقعت عيناها على عينيه، فقال لها:

فإنْ تضحكي منّي فيا طول ليلة
تركتُك فيها كالقباء المفرج

فقالت له هند:

وما نبالي إذْ أرواحنا سلمت
بما فقدناه من مالٍ ومن نشب
فالمال مكتسب والعزّ مرتجع
إذ النّفوس وقاها الله من عطب

ولمّا اقتربوا من مقرّ السّلطنة أخرجت هند من جيبِها بعضَ الدّنانير الذهبيّة وأسقطتها عمدًا، وقالت للحجّاج: يا جمّال اجمعْ لي دراهمي (النقود الفضيّة) فنظرَ الحجّاج فلم يجد إلّا دنانير ذهبيّة فقال لها لا يوجد إلّا دنانير، فقالت الحمد لله الذي أسقطَ منّي دراهم وأبدلها لي بدنانير، فخجل الحجّاج وأكمل طريقه.

وذُكر في الأغاني أنّ الحجّاج تزوّج لفترةٍ بأمّ أبان أخت هند، فقالت هند لها:

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج أن تنكحيه ملكًا ذا تاج
إذا تذكّرت نكاح الحجاج تضرم القلب بحزن وهاج
وفاضت العين بماء ثجاج لو كان من عمّان قيل الأعلاج
مستوى الشخص قليل الأوداج ما نلت ما نلت بحب الدراج

٨٦١- هند بنت النعمان بن المنذر:

وهي أخت حرقة سابقة الترجمة، كان النعمان ملكًا على العراق من قبل أكاسرة إيران، وكان مشركًا بلا دين، ولكنّه تنصّر في آخر حياته، وقد تنصّر قومه اتباعًا له، حتى أنّ دير هند الموجود في العراق إنّما هو من بناء ابنته هند المذكورة، وتذكرُ بعضُ الكتب أنّ هند زوجة النّعمان هي التي قامت ببنائه، وهذا قول غير صحيح لأنّ زوجة النّعمان كان اسمها متجرّدة. وقد عمرت هند كثيرًا، وأُصيبت بالعمى في أواخر حياتها، ولمّا وليَ المغيرةُ بن شعبة وهو من دهاةِ العرب وفصحائهم على الكوفة في خلافةِ عمر بن الخطاب، ذهب إلى هند المذكورة، وكانت في التّسعين من عمرها تقريبًا، وسألها: هل أنتِ هند بنت النّعمان بن المنذر فقالت له: نعم، فقالت له ومنْ أنت؟ فقال: إنا المغيرة بن شعبة، والي الكوفة، فقالت له: وما حاجتك؟ فعرض عليها الزّواج، فقالت له: وما حاجتُك إلى امرأةٍ عجوز بعين واحدة، لو كنت أتيتني في صباي وأنا جميلة وفي ريعان شبابي لربّما كنت تزوّجتك، أمّا الآن فأنت تهدف من زواجك منّي أنْ تفتخر بأنّك تزوّجت من ابنة النّعمان بن المنذر، وهذا لن يجديك بشيء لأنّك تحكم أرض النعمان الآن وتتصرّف فيها كالنّعمان، فقال لها: صدقت. ثمّ نظم الأبيات التّالية:

أدركت ما منيت نفسي خاليًا لله درك يا ابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه إنّ الملوك نقيّة الأذهان

يا هند حسبك قد صدقت فامسكي فالصدق خير مقال الإنسان

وعندما كانت المذكورة في شبابها عشقها عديّ بن زيد الشّاعر النصراني، وأحبته أيضًا هند، وقد تزوّجها بواسطة الجارية ماريّة التي كانت جاريته في الأساس ثمّ انتقلت إلى هند، وبعد فترةٍ قام النعمان بقتل عدي، فرغبت هندٌ عن الدنيا وانزوتْ في دير هند إلى آخر حياتِها.

فائدة

ذكر الإمامُ البغويّ القصّة التّالية في شرحِه للآية الكريمة (ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ ولأمَةٌ مؤمنة خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم) وهي أنّ الرسول ﷺ أرسل واحدًا من أقوياء الصحابة وكان يُدْعى مرثد بن أبي مرثد إلى مكّة بعهد الهجرة ليخرج بعضَ ضعفاء المسلمين من مكة ويُحْضرهم إلى المدينة، ولمّا ذهب إلى مكّة قابلته امرأةٌ من المشركين تسمّى عناق وراودته عن نفسِه، فقال لها إنّه مسلم، والإسلام يحرّم الزنا، وعرض عليها الزّواج فقالت إنّها موافقة على الزّواج، فقال لها أمْهليني حتّى أذهب إلى الرّسول وأستأذنه في ذلك، فغضبت وقالت له هل تعرضُ عنّي، فقال لها لا بدّ أنْ أستأذن رسول الله، ولمّا عاد إلى المدينة استشار الرسول فنزلت الآية الكريمة السابقة.

وتوجد بعضُ التغييرات في تلك القصة في أسد الغابة، وعلى حسب ما ورد في الآية الكريمة فإنّ زواج المسلم من المشركة التي تعبد الأصنام أو المجوسيّة التي تعبد النار حرام، أمّا زواج المسلمْ من اليهوديّة أو النصرانيّة فهو حلالٌ بنصّ آية أخرى. وقد ذكر الإمام القفال أنّ هناك فرقًا بين الكتابيّة والمشركة على حسب ما وردَ في البخاري، وهو أنّ

أهل الشرك لهم نقيصتان: الأولى أنّ دينهم فاسد، والأخرى كفرهم الحالي، أمّا الكتابيّة فهي كافرة في الحال فقط.

وقد نُص على حِلّ الزّواج بهنّ بالآية الكريمة الواردة في سورة المائدة (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب). وهذه الآية والآية المذكورة في سورة البقرة إنّما هي خاصّة بعامّة المشركات.

٨٦٢- هند بنت كعب:

ابنةُ كعب بن عمرو بن ليث النهدي، معشوقةُ عبد الله بن عجلان من عشاق عرب الجاهلية، وهي هند المذكورة في قول البحتري:

هوى لا جميل في بثينة ناله بمثلي
ولا عبد بن عجلان في هند

وهي أيضًا المقصودة في قول مجنون بني عامر:

فما وجدت وجدا بها أمّ واحد
ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى
كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

والمقصود بالتجدي هنا عبد الله بن عجلان، على هند متعلّق بقوله ولا وجد. العذري عروة بن حزام العذري المذكورة في ترجمة عفراء في حرف العين. وقصّتها مذكورة في تزيين الأسواق.

٨٦٣- هند جارية أبي محمد:

جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشّاطبي، ورد في نفح الطيب أنّها كانت من أديبات الأندلس، وكانت ماهرةً في الأدب والشّعر والعزف، وكان أبو عامر بن نبق وهو من كبراء عصرها قد عقد مجلس أنس مع بعض الأشخاص لم يشربوا فيه سوى الخمر، وأرسل دعوةً إلى هند للحضور إلى هذا المجلس، كانت هذه الدّعوة عبارة عن هذين البيتين:

يا هند هل لك في زيارة فتية
نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدوا فتذكروا
نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتبت هند على ظهر الدّعوة البيتين التاليين:

يا سيدًا حاز العلا عن سادة
شمّ الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك آني كنت
الجواب مع الرسول المقبل

ومصراع شمّ الأنوف من الطراز الأول مأخوذ على سبيل التضمين من قصيدة حسان بن ثابت التي مطلعها أسألت رسم الدار أمّ لم تسأل، وهي القصيدة التي أثنى فيها على آل جفنة وقال فيها:

لله در عصابة نادمتهم يومًا
بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم
قبر ابن ماريّة الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شمّ الأنوف من الطراز الأول

وجلق بكسرتين وتشديد اللام دمشق أو اسم موضع في الشّام. وقد أورد كتاب فتوح الواقدي هذه الأبيات كلّها خطأ، والبيت المذكور في تفاسير سورة البقرة من شواهدها، وهو:

يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل

من جملة هذه الأبيات أيضًا. وبريص على وزن أمير اسمُ موضع في الشام. وبردى بفتحتين وألف مقصور اسم نهر. والبيت المذكور ورد في الأغاني بلفظ (كأسا يصفق).

٨٦٤- هند الهنود:

هي السيدة التي ذكرناها سابقًا بعنوان هند بنت ظالم، وهي زوجة حجر آكل المرار من ملوك كندة، وقد أورد الأغاني في ترجمة النابغة الذّبياني، ورسالة ابن زيدون التي تعتبر شرحًا لسحر العيون أنّ هند المذكورة أخت ماريّة ذات القرطين سابقة الترجمة، وقد ذكر أنّ ماريّة المذكورة هي ماريّة بنت ظالم بن وهب، وقد اتبع كمال الدين الدميري رأي الأغاني أيضًا، وقال: وإيّاها عنيَ حسان بقوله في جبلة بن الأيهم:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن ماريّة الكريم المفضل

٨٦٥- هند:

وتوجد أربعُ عشرة صحابيّة باسم هند بخلاف ما ذكر. منهنّ أمّ سلمة أمّ المؤمنين، وهند الجهنية، وكانت محبوبة

بشر الأسدي، وتوجد بعضُ الرّوايات عن أنّه تُوفي بألم عشقها ومحبّتها، وقد أورد ابن حجر في الإصابة رواياتٍ تدلّ على صدق تلك الواقعة. وقد ذكرت بعضُ شروح الألفيّة أنّ هند المذكورة في أبيات امرئ القيس التّالية هي أخته:

أيا هند لا تنكحي بوهة
عليه عقيقة أحسبا
مرسعة بين أرساغه به
عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في رجله كعبها
حذر المنيّة أن يعطبا

أمّا الأغاني فأورد أنّها لم تكن أخته بل ابنته.

بوهة: الأحمق، والعقيقة: هي شعر المولود حينما يولد. أحسب: ذو الشعر الكثيف. ورغم أنّ امرأ القيس لم يكن بالرجل المرغوب عند النساء إلّا أنّه قال تلك النصيحة لأخته. وكان هناك اعتقادٌ عند العرب في الجاهليّة بأنّ مَنْ يعلق ترابَ الأرنبة يكون محفوظًا من الجن والسحر؛ لأنّ الجن تجتنب هذا التراب.

وقد أوردت تذكرة الحكم المطبوعة أنّ المعلّقات السّبع التي كانت معلّقة في الكعبة كانت من القصائد المعتبرة عند العرب، ولمّا نزل القرآنُ الكريم حُطّت تلك القصائد عن الكعبة، وورَدَ أنّه عندما نزلت سورة الزلزلة أنزلت قصيدة امرئ القيس من على الكعبة أيضًا، فجاءت أخته ونظمت الأبيات التالية:

إذا اقتربت ساعة يا لها
وزلزلت الأرض زلزالها
تسير الجبال على سرعة
كمر السحاب ترى حالها
وتنفطر الأرض من
نفخة هنالك تخرج أثقالها
ترى النفس ما عملت محضرا
ولو ذرة كان مثقالها
يحاسبها ملك عادل
فإمّا عليها وإمّا لها

وأعادت قصيدة أخيها على جدار الكعبة مرّة أخرى. ولمّا نزل قول الله تعالى (وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) أنزلت القصيدة المذكورة، وقيل إنّ القصة المذكورة ليس لها أساسٌ في كتب التفاسير أو كتب السير والتّواريخ، إلّا أنّ كتاب الأغاني أورد

أنّ أحدَ شعراءِ العرب المعاصرين لامرئ القيس ويُدْعى عامر بن جوين نظم الأبيات التّالية في حق هند أخت امرئ القيس:

ألا حـــي هنـــد وأطـــلالها
وتقلعـــان هنـــد ونحـــلا لهـــا
همـــت بنفســـي كلّ الهمـــوم
فـألـــوي لنفســي أولـــى لـــها
ســأحمل نفســي علـــى آلـــة
فإمّـــا عليهـــا وإمّـــا لهـــا

ولهذا السّبب لم يأمن امرؤ القيس، وفارق موطنه، حتّى أنّ الأبيات المذكورة إنّما هي على وزن وقافية الأبيات السابقة، ويلاحظ أيضًا توارد خواطر في مصاريع البيتين الأخيرين من القصيدة، أو بالمعنى الأصحّ أنّ البيتَ الأخير موجود في قصيدة شهيرة للخنساء.

ويروى عن بداهة طبع الصّحابي الشاعر عبد الله بن رواحة أنّه ذات يوم ذهب خفيةً إلى جاريته الموجودة معه في البيت دون أنْ يعلم زوجته فلمّا رأته آخذته على ذلك، ورغم أنّه أنكر إلّا أنّها لم تصدّقه؛ لأنّها رأته بعينها، وقالت له إنْ كنت غيرَ جنبٍ فاقرأ القرآن، فقال بلا تردد:

شـــهدت بـــأنّ وعـــد الله حـــقّ
وأنّ الـــنار مثـــوى الكـــافرينـــا
وأنّ العـــرش فـــوق المـــاء حـــقّ
وفـــوق العـــرش ربّ العالمينـــا
وتحملـــه مـــلائكة غـــلاظ
مـلائكـــة الإلـــه مسومينـــا

ولمّا رأت زوجته أنّ شعره جميل ويختلف عن شعر الشعراء الآخرين، وقالت كذبت عيناي وصدق الله العظيم.

٨٦٦- هنيدة بنت صعصعة:

ابنةُ صعصعة بن ناجية الصّحابي الجليل، وهي السّيدة التي أوردناها في المجلد الأوّل بعنوان ذات الخمار، وهي خالة الشاعر الفرزدق.

استطراد

ذكرَ في كتب اللغة والمعاجم أنّ لفظ هنيدة أيضًا يُطلق على العددِ مائة، ويستدلّ على ذلك من قول الشاعر:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها
وتعيشين حـــولا ثمّ قوما فأنصاتا
وعاد سواد الرّأس بعد بياضه
وراجعه شرخ الشباب الذي فاتا
فعاش بخير في نعيم وغبطة
ولكنه مـــن بعد ذلك كله ماتا

وكان نصر بن دهمان المذكور من رؤساء قبيلة غطفان، وقد عاش ١٩٠ عامًا كاملة، وقد أعاد الله إليه الشّباب مرّة أخرى بعد أن هرم، والشّاهد في البيت لفظ الهنيدة بمعنى مائة. وقد ضرب به المثل في طول العمر فيُقال أعمر من نصر.

وبهذه المناسبة توجد تلك الحكاية الغريبة: وهي قصّة محرّرة في القاموس المحيط في مادّة قُصَل بضمّ القاف وفتح الصّاد: كان قد تُوفّي شخص يُدْعى عمير بن جندب قبل ظهور الإسلام، وبعد أنْ كُفّن وجُهّز وضع في التابوت، فرأى الحاضرون أنه يفكّ الكفن ويخرج وجلس أمامَ الحاضرين، وسأل أحد أبناء عمومته ويُدْعى القصل قائلًا: أين القُصل؟ فقال الحاضرون له وهُم مستعجبون، وماذا ستفعل الآن بالقصل؟ فقال «أتيت فقيل لى لأمّك الهبل، ألا ترى إلى حفرتك تنتثل، وقد كادت أمّك تثكل، أرأيناك إن حوّلناك إلى محول، ثمّ غيّب في حفرتك القصل، الذي مشى فأحزأل، ثمّ ملأناها من الجندل، أتعبد ربّك وتصل، وتترك سبيل مَن أشرك وأضل» ولفظ أتيت ماضٍ مجهول. هبل بفتحتين هي الأمّ التي تفقد ابنها، تنتثل مضارع مجهول من الفعل انتثال بمعنى الخروج من الحفرة. محول اسم مكانٍ من التحويل، غيب ماضٍ مجهولٍ من التّغييب. أحزأل مَن يزيد في مشيه.

وقال عمير وقد قلت نعم لهذا الشخص الذي جاءني، ويقول الرّاوي إنّه- أي عمير- عمّر بعدَ ذلك كثيرًا، وتزوّج كثيرًا، وكان له أولاد كثيرون.

وقيل إنّ القصل أيضًا تُوفّي بعد ثلاثة أيام، ودُفن في القبر الذي أحضر عمير

إليه من قبل. ومن الجاهليّين الذين عمّروا كثيرًا أيضًا دويد بن زيد، وهو على رأي صاحب القاموس عاش ٤٥٠ سنة، وقد أدرك عهدَ الإسلام، ولكنه كان معتوهًا بلا شعور، وقد نظم وهو يحتضر:

اليوم يبنى لدويد بيته
لو كان لدهر بلا أبليته
أو كان قربي واحدًا كفيته
يا ربّ نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته
ومعصم مخضب ثنيته

ومن المعمّرين أيضًا مُعاذ بن مسلم بضمّ الميم. كان مصاحبًا لملوك بني مروان وبني العباس من بعدهم، عاش ١٥٠ سنة، وضُرب به المثلُ في طول العمر فقيل أعمر من معاذ، ونظم فيه أحدُ شعراء عصره:

إنّ معاذ بن مسلم رجل
ليس يقينا لعمره أمد
قد شاب رأس الزمان واكتهل
الدهر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به
قد ضج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم
تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربت
وأنت فيها كأنك الوتد

ولبد المذكور في البيت الرابع هو لبد المذكور في المثل القائل (أتى أبد على لبد) وهو آخرُ نسور لقمان، وكان العرب يطلقون على الوقت المشئوم يا لبد.

ونسورُ لقمان هي نسور لقمان بن عاد، وقصّتها أنّ عرب الجاهليّة كانوا قد بعثوا إليه ليأتي إلى الحرم ليدعوا لهم بزوال الغضب الإلهيّ عليهم، وقد هلكوا جميعًا، وخُيّر من قِبَل الله بأمرٍ من اثنين إمّا أن يعيش مقدار حياة سبعة أبقار، أو أنْ يعيش مقدار حياة سبعة نسور، فاختارَ السبعة نسور، وقد عمّر كلّ نسر منها ٨٠ عامًا، وكان الأخير منها اسمه لبد، وعندما مات هذا النّسر مات بعده لقمان، فاعتبره العرب يوم شؤم.

وكان النّابغة الجعدي ولبيد بن ربيعة من شعراء الصّحابة الذين عمّروا أيضًا.

ومن مشاهير المعمّرين أيضًا بابا رتن الهندي، وقصّته مذكورة في روض الأنف ومحاضرات راغب الأصفهاني وكتاب ألف باء، ولكنْ كلّها من قبيل الخرافات، فقد قيل إنّه كان من الصّحابة، وأنّه عاش مقدار ٦٠٠ سنة، ورويت عنه غرائبُ وعجائب كثيرة، وكلّها مردودة، وتفصيل ذلك في ترجمة القاموس.

٨٦٧- هيجمانة:

ابنةُ عنبر بن عمرو بن تميم. وهي المرأةُ التي ضُرب فيها المثل القائل (حنّت ولات هنّت وإنّني لك مقروع) وهو يُقال للشخص الذي يطلبُ الشيء قبل أوانه. وقائل هذا المثل (مازن بن مالك) من قبيلة الفتاة المذكورة، أمّا مقروع المذْكور في المثل فهو لقبُ شخصٍ يُدْعى عبشمس بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم من قبيلة أخرى، ولأنّه كان مشرق الوجه سمّي عبشمس وهو اسم مخفّف.

وقصة المثل أنّ هيجمانة المذكورة كانت تحبّ مقروع هذا، وكان يحبّها، وكانا يتواعدان للمقابلة، وعلى عادة العربان لّما علمت القبيلة بذلك أرادت أنْ تغير على قبيلة مقروع، فأرادت هيجمانة أن تذهب إلى مقروع وتخبرُه بالأمر، فقال لها مازن من قبيلتِها (حنت ولات هنت وإنّني لك مقروع) دلالة أنّ مطلبها هذا مُحال. وحنت من الحنين أي الشّوق، وهنت من الهنين أي الاشتياق. ولات لا نافية والتاء زائدة. ورغم أنّ مازن بن مالك حمل كلامَ هيجمانة على الهزل إلّا أنّ مقروع أتى إلى قبيلتِهم حقيقة وأغار عليها، ولكنّه أعاد في النّهاية ما أخذه منهم بشفاعةِ هيجمانة.

٨٦٨- هيلاني:

قال أصحابُ التواريخ الإسلاميّة إنّها والدةُ قسطنطين المظفّر، باني أسوار القسطنطينية، وهناك رواية تبدل الهاء همزة فيقال إيلاني.

كانت الأمّ وابنها مثل بقيّة طائفة الروم الصّابئة يعبدون الأوثان السبعة المسمّاة باسم الكواكب السّبعة، ومؤخّرًا اعتنقوا النصرانية، وقد ذهبتْ هيلاني إلى القدس على أنْ تخدم الدين النّصراني هناك، واستطاعت أنْ تعثر على الشّجرة التي صُلِب عليها عيسى ابن مريم، واتّخذت من ذلك اليوم يومًا مخصوصًا، وبَنَت كنيسةَ القيامة ثمّ عادت إلى استانبول، وهي معتبرة بين النّصارى، ومدفونة في كنيسة الفنار. وقد اشتهرت مدينتنا استانبول باسم قسطنطينيّة نسبةً لابنها قسطنطين، وبعض أحفاده الذين تسموا بنفس الاسم. وأورد المرحوم عاصم في ترجمة القاموس في مادّة (قسط) أنّ القسطنطينيّة معرب عن قسطنطينا، فأداة النسبة وهي الياء المشددة في العربيّة تقلب يا مخفّفة مفتوحة في الروميّة واليونانية، ويأتي بعد الفتحة ألفٌ مشبّعة. وقد عمّرت استانبول وخربت قبل عدّة مرّات، ولمّا اتّخذها بوزنطين بن نيغو بن ماديان دار ملكه سمّيت بوزنطيا، أمّا اسم استانبول فاشتقّ من بول التي تعني بلغتهم القلعة، ومن استونيانو حفيد قسطنطين وباني آيا صوفيا.

ي

حرف الياء

٨٦٩- ياسمينة السيراوندية:

ذُكر في كتاب عنوان النصر في أعيان النّصر لصلاح الدين الصفدي أنها كانت سيدة صالحةً ذاتَ علم وفضيلة وسيرةٍ حسنة، تنسب إلى قرية سيراوند من قرى همدان. كانت تعظ النّساء، وتفسّر القرآن الكريم، ومؤخّرًا تركت الوعظ وذهبت إلى مكّة للحج، وبعد أداء الحجّ انزوت في منزلها، وتُوفّيت عام ٥٠٢هـ.

٨٧٠- ياقوتة بنت المهدي:

ابنةُ محمد المهدي من الخلفاء العباسيين، كان المهدي يحبّها كثيرًا، ولا يغادرها أبدًا، حتّى أنّه كان يأخذها معه في كلّ رحلاته بعد أن يجعلها في زيّ الرّجال، وعندما تُوفيت حزن الخليفة حزنًا شديدًا فنادى المنادي في الناس بأنّ الخليفة حزين للغاية، ومَنْ يردْ تعزيته والتسلية عنه فليأت، فحضر الكثيرون، ولم يكنْ هناك أبلغ من شبيب بن شيبة في تعزيته للخليفة محمد المهدي؛ فقد قال المذكور

للخليفة «يا أمير المؤمنين، ما عند الله ممّا عندك خيرٌ لها منك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها، وأنا أسأل الله ألّا يحزنك ولا يفتنك، وأنْ يعطيك على ما رُزقت أجرًا، ويعقبك صبرًا، ولا يجهد لك بلاء، ولا ينتزع منك نعمة، وأحقّ ما صُبر عليه ما لا سبيل إلى ردّه». من الكامل.

٨٧١- يسرة بنت لبيد:

ابنةُ لبيد بن ربيعة العامري، شاعرة، كان والدُها لبيد من المخضرمين، أي أنّه من الشّعراء الجاهليّين اللذين أدركوا الإسلام، وقد أدركَ الإسلام وأسلم، وقال شاكرًا ذلك:

الحمدُ لله الذي لم يأتني أجلي
حتّى اكتسبت من الإسلام سربالا

وقد نظم لبيد قصيدة أعجب النبيﷺ بالمصراع الأوّل الموجود بمطلعها:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل
وكلّ نعيم لا محالة زائل

كان لبيد في الحقيقة من فحول الشعراء والصّحابة الكرام، وكان له قدرُه سواء في عهد الجاهليّة أو في عهد الإسلام، وقد سكن في أواخرِ عمره في الكوفة، وشاء الله تعالى ألّا يخرج منها، وذات يوم كان الجوّ حارًّا للغاية، فنذرَ لله أنّه لو تلطّف الجوّ سينحر ناقة، ولمّا أصبح الجوّ لطيفًا قال لبيد للمغيرة بن شعبة والي الكوفة أعِنْ أبا عقيل، أي لبيد، ومؤخّرًا أعان وليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة لبيد على إيفاء نذره، وقد سعد لبيد من ذلك فأرسل الأبيات التّالية لوليد:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
إذا هبّت رياح أبي عقيل
أغرّ الوجه أبيض عامري
طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجفري بحلفتيه
على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذا سحبت عليه
ذيول صبا تجاوب بالأصيل

والمراد من ابن عقيل وابن الجفري لبيد. فقد كان اسمه أبا عقيل لبيد بن

ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعفري. وذات يوم سأل لبيد مَن أشعر النّاس؟ فقال ملك ضليل يقصد امرأ القيس، ثمّ شابّ قتيل يقصد طرفة بن العبد، ثمّ شيخ أبي عقيل يقصد نفسَه. والمعلوم أنّ امرأ القيس كان من أبناء الملوك، ووصِفَ بالضلال، وقيل إنّ عليًا بن أبي طالب هو الذي وصفه بهذا الوصف. أمّا طرفة فقد قُتل وهو شابّ. حلفتين هما يمين لبيد بالنّحر والإطعام، علات بمعنى حالات على حسب ما ورد في القاموس، كون على وزن يوم قطيع الإبل.

ولمّا وصلت تلك الأبيات إلى لبيد أحال الردّ إلى ابنته يسرة؛ لأنه قد نذر ألّا ينظم الشعر مرّة أخرى، فكتبت يسرة تقول:

إذا هبّت رياح أبي عقيل
دعونا عند هبتها الوليدا
أشمّ الأنف أصيد عبشميا
أعان على مروّته لبيدا
بأمثال الهضاب كأنّ ركبًا
عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرًا
نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إنّ الكريم له معاد
وظنّي بابن أروى أن يعود

أشمّ الأنف تدلّ على شمائل الوليد أو عن عزّته وعظمته بطريق الكناية. أصيد على وزن أمجد وهو الملك صاحب النخوة، وهي المذكورة في (ونكس لهم رءوس الصيد) في المقالة ٧٩ من أطواق الذّهب. وقد صحّح المتنبي مؤخرًا هذا المعنى ببيته الذي نظمه لكافور الأخشيدي:

مَن علم الأسود المخصى مكرمة
أقومه البيض أم آباؤه الصيد

وعبشمي نسبة إلى أجداده عبدشمس. هضاب بكسر الهاء وهي جمع هضبة، وهذا تشبيهٌ للإبل التي أعطاها الوليد

للبيد بأنها مثل الهضاب، أبو وهب كنية الوليد. وهو أيضًا ابن أروى، فهو أخو سيدنا عثمان من ناحية الأم، وقد ولّاه عثمان الكوفة في عهده، وقد وصفه القرآن بالفاسق، ووصف أباه عقبة بن معيط بالظالم.

ولم ينظم لبيد الشعر بعد إسلامه، وذات يوم أشار عليه عمر بأنْ يقرأ عليهم بعض أشعاره، فقال له لبيد كيف لنا أنْ نقرأ الشعر بعد أنْ أنعم الله علينا بسورتي البقرة وآل عمران. وتذكُرُ بعضُ الكتب أنّه نظم بيتًا واحدًا بعد إسلامه، وهو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء
يصلحه القرين الصالح

وقيل إنّ بيت الحمد لله إذا لم يأتني أجلي معزوّ إليه. وأنشد في مرض موته مخاطبًا ابنتيه يسرة وأسماء:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلّا من ربيعة أو مضر
وفي ابني نزار عبرة إن سألتما
وإنْ تسألاهما تلقيا فيهما الخبر
وفيمن سواهم من ملوك وسوقة
دعائم عرش هده الدهر فانقعر
فإنْ حان يوم أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجهًاولا تحلقا الشعر
وقولا هو المرء الذي لا حليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما
ومَن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

وقد نفّذت البنتان وصيّة والدهما فظلّتا تذهبان لعامٍ كامل لمجلس بني جعفر، وكانتا تمدَحان أباهما بلا إطراء، والمصراع الأوّل من البيتِ الأخير ورد كاستشهاد في تفسير سورة الفاتحة وآيتي بسم الله مجراها ومرساها، وسبح اسم ربك العظيم في الكتب الكلاميّة والأصولية.

وقد ذكر ابنُ الأثير أنّه توجد صحابيتان باسم يسيرة بالتصغير.

٨٧٢- يعاد ويماد:

جاريتان من جواري معاوية بن بكر العملقي أحدِ رؤساء العرب الأقدمين على حسب ما ورد في مجمع الأمثال والكامل لابن الأثير. وهُما المعروفتان بالجرادتين. وضُرب بهما المثلُ في الغناء فقيل (تركته تغني الجرادتين) و(صار فلان حديث الجرادتين) و(ألحن من الجرادتين)؛ فالأوّل عن النعمة والراحة والرّفاهية، والثاني عن الشخص الشائع أحواله، والثّالث عن المغنيات المشهورات.

وقد وردت قصّةُ المثل الأوّل في كتاب مجمع الأمثال وهي أنه لّما كذّب قوم عاد هود أمسك الله عليهم المطر ثلاث سنوات فجفت الأرض وأصابهم القحط، فقرّروا اختيار جماعة منهم ليذهبوا إلى الحجاز ليدعوا الله عند الكعبة لينزل عليهم المطر، واختاروا ثلاثةً من كبرائهم هُم: قيل بن عنق ولقيم بن هزيل ولقمان بن عاد، وكان يحكم مكّة في ذلك الوقت معاوية بن بكر من العماليق، وكان سكّان مكّة أيضًا منهم وهُم أولاد عمليق بن لاوذ بن سام. وكان قوم عاد تربطهم قرابة بمعاوية بن بكر حاكم مكّة، ولّما ذهب إليه الوفد رحّب به، وأكرمه شهرًا كاملًا وقال في نفسه لقد نسي الوفد ما جاء من أجله من النّعيم الذي رأوه هنا، ولو ذكّرتهم لربّما ظنّوا بأنّي استثقلت ضيافتهم، فنظم الأبيات التّالية وأمرَ الجرادتين بالغناء أمام ضيوفه لعلّهم يفهمون:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم
لعلّ الله يغشيها غماما
فيسقي أرض عاد أن عادا
قد أمسوا ألا يبنون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجو
لها الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير
فقد أمست نساؤهم أيامى
وإنّ الوحش يأتيهم جهارا
ولا يخشى لعادي سهام
وأنتم هنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم التماما

ولمّا سمع الوفد الأبيات من الجرادتين قاموا فدعوا الله أن ينزل عليهم المطر، فجاءت ثلاثُ سحابات في السّماء واحدة بيضاء وأخرى حمراء والثّالثة سوداء، وقيل للأوّل وهو قيل اخترْ واحدة فاختار السّوداء، فسمع صوت هاتف من السّماء يقول (اخترت لقومك رمادًا أرمدًا لا تبقي من عاد أحدًا لا والدًا ولا ولدًا، وكان هذا السّحاب سحابِ العذاب المرسل إلى عاد. بعده نادى لقمان فأعطاه الله سبعة نسور يعيش بمقدار حياتهنّ، وقد أشرنا إلى ذلك في حرف الهاء بالمناسبة.

وكان لعبد الله بن جدعان- وهو من كرماء العرب- جاريتان باسم الجرادتين أيضًا، وقد أهدى واحدةً منهما إلى أميّة بن أبي الصلت الثّقفي، والأبيات التّالية لأميّة كانت سببًا في إحسان عبد الله عليه بإحدى هاتين الجارتين:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك إنّ شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم
لك الحسب المهذّب والسناء
وكريم لا يغيره صباح
عن الخلق السّني ولا مساء
تباري الريح مكرمة ومجدا
إذا ما الكلب أحجره الشتاء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرّضه الثناء

ولأنّ أميّة نظمَ تلك الأبيات في وقت كان عبد الله بن جدعان مريضًا فيه، خيّر أميّة بين إحدى الجاريتين، وأحسن عليه بواحدة منهما.

ووردَ في الأغاني أنّه سأل سفيان بن عيينة- وهو من أعيان التابعين- (يا أبا محمد قال نبيّنا- صلّى الله عليه وسلّم- إنّ أكثر دعاء الأنبياء من قبلي (لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير) وهذا ليس بدعاءٍ وإنّما هو ثناء، فقال له سفيان هل تعلم حديثَ مالك بن الحارث، حيث قال الله تعالى في الحديث القدسي (إنِ انشغل عبدي بالدّعاء والثناء

عليَّ، فسأعطي عبدي أفضلَ ما سألني السائلون). وهذا الحديث القدسي شرحٌ للحديث النبوي، ثمّ قال ألا تعلم قولَ أميّة بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان عندما أراد أن يأخذ منه شيئًا، وقال البيتين السّابقين أأذكر حاجتى. ثمّ قال فإنْ كان هذا كرم العبدِ عندما يثنَى عليه فما بالك بكرمِ الخالق.

٨٧٣- يغماناز:

أخت خان الصّين قديمًا، وكانت زوجة بهرام كور أحدِ شاهات الفرس القدامى. البرهان.

٨٧٤- يلقطلو:

هي ابنة آبغا بن هولاكو على حسب ما وردَ في أعيان الصفدي، وحفيدة الملعون هولاكو، كانت خالة غازان وخربندان من ملوك المغول، وكانت سيدةً صالحة، كانت سيرتها جيّدةً بين طائفة المغول، وكانت ماهرة في فن الفروسيّة والبسالة، ولمّا قُتل زوجها في المعركة ركبتْ جواده وقتلت بيدها مَن قتله، لم تتزوّج بعد زوجها، ذهبت إلى الحجّ عام ٧٢٣هـ ويقال إنّ عدد الأموال التي وزّعتها على الفقراء في الحرمين بلغ ٣٠ ألف دينار ذهبيًّا. ولمّا وصلت إلى دمشق خرج الأمير سيف الدين تنكز لاستقبالها بنفسه، كانت سيّدةً محترمة وبحر كرم.

٨٧٥- يمامة:

هي زرقاءُ المعروفة بحدّة بصرها والسّابقة الترجمة، يقال إنّها كانت ترى الفارس من على ثلاثة أميال. وهذا خارقٌ للطبيعة بعض الشّيء؛ لأنّه حتّى ولو كان بصرها حادًّا للدرجة التي يمكن أنْ ترى بها الفارس من تلك المسافة فإنّ كرويّة الأرض تمنع ذلك. ولا يمكن الرؤية من تلك المسافة إلّا من على جبل أو مكان مرتفع.

كان ذهنها حادًّا للغاية، وقد نظمت:

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه
إلى قطاة أهلنا إذا لنا قطا مائة

بدلًا من الأبيات التي ذكرناها في حرف الزاي:

ليــت الحــمام ليـــه إلى حمامتيــه
ونصــف قديـــه تــم الحــمام ميــه

وقد نظم النّابغة الذبياني بيتًا للنعمان بن المنذر أورد فيه تلك القصة فقال:

واحكــم كحكـــم فتــــاة الحــي
إذ نظــرت إلى حـــام سراع وارد الثمــد

وقد ورد البيت بكلمة شراع بدلًا من سراع، وهي رواية كمال الدين الدميري في كتاب حياة الحيوان. أمّا في الأغاني فذكر أنّ الرواية المذكورة نقلت عن الأصمعي في حقّ ابنة الخسّ سابقة الترجمة.

٨٧٦- يب الله الحبشية:

من المحدّثات المذكورات في كتاب المنجم في المعجم للإمام السيوطي، وهي من جملة أساتذته. أمّ ولد الإمام الحافظ تقي الدين بن فهد، وفدت إلى مكّة المكرمة من الحبشة وهي في العاشرة من عمرها عام ٨١٦هـ. ونشأت هناك وقرأت مسندَ الإمام أحمد وبعض الكتب الأخرى القيّمة على شمس الدين بن الجزار، وأخذت الإجازة من العديد من الأشخاص. وهي الشّخصيّة رقم ٩٩ التي أخذ عنها الإمام السّيوطي الحديث.

٨٧٧- يوهبذ:

أو يوخانذ التي ذكرنا في مواضع مختلفة من الكتاب أنّها أمّ موسى التي أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم (وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه) ولأنّ اسمها ورد في القرآن بين النّسوة المقدّسات فإنّ شرفها لم تنله امرأة غيرها سوى مريم والدة عيسى.

فصلٌ مخصوص

بعضُ مشاهير النّساء مجهولاتِ الأسماء

وردَ في كتاب المحاضرات أنّ أحد شعراء العرب كان له عدوًّا، وذات يوم صادف هذا الشّاعرُ عدوّه في مكان بعيد، وعلم أنّه لن ينجو من يدِه فقال له: يا هذا أعلم أنّك ستقتلني، ولي رجاء عندك بعد أن تقتلني تذهب إلى داري وتقف على بابي، وتقول (ألا أيّها البنتان إنّ أباكما)، ولمّا أتمّ الرّجل فعلته ذهب إلى دار الشّاعر ووقف بالباب ونادى ألا أيها البنتان، حقيقة الأمر كان لهذا الشّاعر ابنتان ذكيّتان، على دراية بنظم الشعر وكانا يعلمان أنّ تكملة المصراع الذي نظمه والده (قتيل فَخُذا بالثّار ممّن أتاكما)، ولمّا قرأ الرجل المصراع الأوّل نظمت البنتان في فم واحد المصراع الآخر فأمسكا بتلابيب الرجل وذهبا به إلى الحاكم، وعلمَ الحاكم بالأمر، وبذلك لم يهدرا دمَ والدهما.

وقد وردتْ تلك القصّة في المجلد الثّاني من كتاب ألف با عن الشّاعر

المهلهل، وذلك لأنّه لمّا أحسّ بأنّ عبيدَه سيقتلونه نظم:

مـــن مبلـــغ الفتيـــان أنّ مهلهـــلا
لله دركـــــما ودر أبيكـــــما

ولمّا قتلوه نظموا البيت لبنات المهلهل فأدرك البنات بقيّة البيت وهو:

مـــن مبلـــغ الفتيـــان أنّ مهلهـــلّا
أمســـى وأصبـــح في الـــتراب مجنـــدلا
لله درّكـــــما ودرّ أبيكـــــما
لا يـــبرح العبـــدان حتّـــى يُقتَـــلا

وبالتّالي ضيّقا على العبيد، وحصلا منهما على إقرار منهما بأنْ قتلوا المهلهل.

ومن المعروف أنّ الأندلس- خاصّة غرناطة- كانت أرضًا خصبة للعلماء، تربّى فيها الكثيرُ من العلماء الأجلّاء؛ رجالًا ونساءً، ومن هؤلاء زوجة قاضي قضاء لوشة التابعة لغرناطة. ذكر صاحب كتاب نفح الطيب أنّها كانت تتفوّق على الرجال في الإفتاء، وأشار إلى أنّها كانت تعلّم زوجها الصّورة الصحيحة للفتوى الشّرعية، وقد عرض لسان الدين بن الخطيب بها في البيتين التّاليين:

لوشـــة قـــاض لـــه زوجـــة
وأحكامهـــا في الـــورى ماضيـــة
فيـــا ليتـــه لـــم يكـــن قاضيـــا
ويـــا ليتهـــا كانـــت القاضيـــة

فأرسلت المذكورة إلى الشاعر المذكور ردًا على تعريضه بزوجها:

إنّ الإمام ابن الخطيب له شيوب عاصية
كلّا لئن لـــم ينته لنسفعًا بالنـــاصية

عُرضت جارية على أحد الخلفاء العباسيّين ليشتريها فلمّا رآها قال إنّ في وجهها نمشًا وأنفًا أفطس، فقالت له فلتنظر إذًا لقولي، ونظمت:

مـــا سـلّم الظبـــي علـى حسنـــه كلّا
ولا البـــدر الـــذي يوصـــف
الظّبـــي فيـــه خنـــس بـيّنٌ
والبـــدر فيـــه كلـــف يعـــرف

فأعجب الخليفة ببداهتها وذكائها واشتراها.

وردَ في ترجمة تحفة الأرب أنّ أبا فارس عبد العزيز- الذي جلس على حكم تونس بعد وفاة والده عام ٤٩٦هـ- وصلته شكاوى من أهالي مدينة فاس يشتكون فيها من حاكمهم أحمد المريني، فجمع أبو فارس جيوشَه وذهب إلى الحاكم المذكور، وحاصره في القلعة فخرجت أختُ أحمد المريني وقابلت أبا فارس، وقالت له: (إنّك ميّت وإنّهم ميتون) ففكّ حصار القلعة، وعفا عن أخيها وعاد إلى تونس.

ورد في المستطرف ونوادر الشهيلي أنّ عبد الله بن المبارك قال خرجتُ قاصدًا مكة المكرّمة لزيارة بيت الحرام والروضة النبويّة الشّريفة، وصادفت في الطريق ناقةً عليها عجوز عليها خرقةُ صوف، وعلى رأسها حجاب من صوفٍ أيضًا، فقلت لها السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالت سلامٌ قولًا من ربٍّ رحيم. فقلت لها يا أنتِ ماذا تفعلين هنا؟ فقالت ومَنْ يضلل الله فما له من هاد. ففهمت أنّها ضلّت الطريق. فقلت لها إلى أين تذهبين؟ فقالت (سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ففهمت أنّها أدّت الحجّ وذهبت إلى بيت المقدّس، فقلت لها ومنذ متى وأنت هنا؟ فقالت (ثلاث ليالٍ سويًّا)، فقلت لها ولكنّني لا أرى عندك طعامًا أو شرابًا! فقالت (هو يطعمني ويسقين) فقلت لها بماذا تتوضّئين؟ فقالت (فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيدًا طيبًا)، فقلت لها هل ترغبين في الطّعام؟ فقالت (ثمّ أتمّوا الصيام إلى اللّيل) ففهمت أنّها صائمة، فقلت لها إنّا لسنا في رمضان! فقالت (ومَن تطوّع خيرًا فإنّ الله شاكر عليم). فقلت لها لماذا لا تتكلّمين معي؟ فقالت (ما يلفظُ من قول إلّا لديه رقيب عتيد).

فحاولت أنْ أفهم مع مَنْ هي فقالت (ولا تقفُ ما ليس لك به علم)، فاعتذرت، فقالت (لا تثريبَ عليكم

اليوم يغفر الله لكم). فعرضت عليها أن تركبَ ناقتي وتلحق بقافلتها، فقالت (وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه الله). ولمّا أنختُ ناقتي قالت (قلْ للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم) ولمّا همّت بالرّكوب تمزّقت أثوابها فقالت (وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم) ثمّ قالت (سبحان الذي سخّر لنا هذا)، ولمّا أمسكت بزمام الناقة وصحت لتسرع قالت (واقصدْ في مشيك واغضض من صوتك) ولمّا بدأت أترنّم بالشّعر قالت (فاقرءوا ما تيسّر من القرآن)، فقلت لها (لقد أوتيت خيرًا كثيرًا)، فقالت (وما يتذكّر إلّا أولو الألباب)، وبعد أنْ سرنا قليلًا قلت لها هل لك زوج؟ فقالت (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تبد لكم تسؤكم)، فقرّرت ألّا أسألها عن شيء بعد الآن، ولمّا أدركنا القافلة قلت لها هل لك شيء فيها؟ قالت (المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا) فسألتها ما يفعلون في القافلة؟ وما أسماؤهم؟ فقالت (وعلاماتٍ وبالنّجم هم يهتدون) ففهمت أنّهم يعملون في إرشاد القافلة، وقالت (واتّخذ الله إبراهيم خليلًا) و(وكلّم الله موسى تكليمًا)، و(يا يحيى خذِ الكتاب بقوة) فناديت يا إبراهيم يا يحي يا موسى فجاء ثلاثةُ شبّان من القافلة فأعطَت واحدًا منهم نقودًا، وقالت له (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا فليأتكم برزقٍ منه) فذهب الابن إلى المدينة ليشتري الطعام، وأتى به ووضعه أمامها فقالت (كلوا واشربوا هنيئًا) وأرادت أنْ تعطيني من الطّعام إكرامًا على ما فعلته معها، فقلت لأولادها إنّ طعامكم حرام عليّ إن لم تخبروني بحالها ولماذا لا تتكلّم إلّا بالقرآن؟ فقالوا إنّها منذ ٤٠ سنة تقريبًا لا تتكلّم إلّا بالقرآن، فقلت أنا أيضًا (ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

كان للخليفة المأمون جارية جميلة يحبها كثيرًا أكثرَ من الجواري الأخريات الموجودات عنده، فبغضَنها الجواري، وكنّ يحسدنها على ذلك، وبأنّها لا حسب لها أي ليست شريفة من ناحية

الأمّ من كرههم لها، فأمرت الجارية بأنْ يُحك على خاتمها عبارة (حسبي حسني) أي أنّ جمالي يكفيني ولستُ في حاجة إلى الحسب، وعجب المأمون من ذكائها وبداهتها، ممّا زاد من بغض الجواري لها، فوضعوا لها السّم في الطّعام، وماتت فتأسّف عليها المأمون أشدّ الأسف، ونظم الأبيات التّالية في رثائها:

اختلست ريحانتي من يدي
أبكي عليها آخر الأبد
كانت هي الأنس إذا استوحشت
نفسي من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعي
ومنهلاً كان بها موردي
كانت يدي كان بها قوتي
فاختلس الدّهر يدي من يدي

صادف رجلٌ من جماعة بني سعد العربيّة فتاةً ظريفة وجميلة، فقال في نفسه ما أعظم أنْ يتزوّج الرجل فتاة كهذه، وأرسل مرسالاً من عنده يطلبها للزّواج فسألته الفتاة وماذا يعمل الرّجل؟ فعاد المرسال إليه وقال له تسألُ عن صنعتك، فأرسل إليها الرّجل البيتين التّاليين:

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي
مقارعة الأبطال في كلّ شارق
إذا عرضت خيل لخيل رأيتني
أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي

فأرسلت إليه الفتاة ردًّا:

إلا إنّما أبغي جوادًا بماله
كريماً محيّاه كثير الصدائق
فتى همّه مذ كان خود خريدة
يعانقها في الليل فوق النمارق

وسأل آخر عن مدى معرفة المرأة التي يطلبُها للزّواج بالكتابة والأدب فأرسلت إليه (يا ماص بظر أمّه ألدوان الرسائل أريدك).

كان عمران بن حطّان السدوسي الذي امتدح الشّقي مادح بن ملجم من طائفة الخوارج الباغية منظرُه كريهًا، وقد قالت له زوجته في يوم أنا وأنت في الجنة، فقال لها مِن أين عرفت؟ فقالت لقد وقعتَ عليّ فشكرت، وأنا صبرت

وجزاءُ الصّابر والشاكر الجنّة. وعندما قتل الشّقي مادح بن ملجم سيدنا علي امتدحه عمران المذكور بالأبيات التالية:

يـا ضربـة مـن تقـي مـا أراد بهـا
إلّا ليبلـغ مـن ذي العـرش رضوانـا
أنـى لأذكـره يومًـا فأحسـبه
أوفى البريّـة عنـد الله ميزانـا
أكـرم بقـوم بطـون الأرض أقبرهـم
لم يخلطـوا دينهـم بغيًـا وعدوانـا

ولمّا وصلت تلك الأبيات إلى القاضي أبي الطيب الطبري قال:

إنّـي لأبـرأ ممّـا أنـت قائلـه علـى
ابـن ملجـم الملعـون بهتانـا
إنّـي لأذكـره يومًـا فألعنـه دينًـا
وألعـن عمـرانًا وحطانـا
عليـك ثـمّ عليـه الدهـر
متصـلًا لعائـن الله إسرارًا وإعلانـا
فأنتـم مـن كلاب النـار جـاء بـه
نـصّ الشريـعـة تبيانًـا وبرهانـا

وقد ألمح في البيت الأخير إلى الحديث الشّريف الذي يقول (الخوارج كلابُ النار) من كتاب الأذكياء لابن الجوزي. وتوجد روايات في البخاري عن تحريم لبس الحرير بخصوص عمران المذكور.

وجد عمر الفاروق في خلافته أنّ أهل المدينة بدءوا يغالون في المهور، رغم أنّ زوجاتِ النبي وبناته تزوّجت كلّ واحدة منهنّ على ٤٠٠ درهم فقط، فخطب في الناس أنّه إن زاد المهر عن ٤٠٠ درهم سيأخذ الزّائد إلى بيت المال، ولم يتكلّم أحد من الحاضرين في المسجد، وقامت امرأةٌ في الخمسين من عمرها تقريبًا في آخرِ المسجد وقالت يا عمر لقد أغفلت قولَ الله تعالى (وآتيتم إحداهنّ قنطارًا) وهذا دليلٌ على إمكانيّة إعطاء الكثير، فكيف يحلّ لك أخذه، فقال عمر (أصابت امرأةٌ وأخطأ رجل) وقيل في شرح المقاصد (كلّ أفقهُ من عمر حتّى المخدّرات) دليلًا على تواضعه.

والاعترافُ بالنقصان من أدلة الكمال، خلافًا لزعم الرّوافض.

نُقل عن إمام الأدباء مولانا عبد الملك الأصمعي أنّه قال صادفت في الباديّ

ذات يوم امرأةً في غاية الزّينة، وفي يدها مسبحة تسبح وتهلّل بها، فقلت لها يا أنتِ هذا اللباس وهذه الزّينة لا تتّفق مع التسبيح، فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه
ولّلهو منّي والبطالة جانب

أي أنّها امرأة صالحة، وإنّما تزيّنت لزوجها، وهذا من الشرع.

ذات يوم كان أميران عباسيّان يسيحان في البادية فصادفا فتاةً أعرابيّة جميلة، فطلبا منها أنْ تسقيهما حتّى يقفا معها للحظاتٍ يشاهدان فيها جمالَها، فأحضرت الفتاة المياه وقالت:

هما استسقيا ماء على غير ظمأة
ليستشفيا باللحظ ممّنْ سقاهما

وفهما بذلك أنّها فهمت قصدهما.

أرسل عبد الملك بن مروان من ملوك بني أميّة خبرًا إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي أمرًا قال له فيه: لقد سمعت بعصيان أسلم بن عبد البكري، فاقتلْه وأرسل لي رأسَه، ولمّا جلب الحجّاج أسلم، وعلم أسلم بأمر الخليفة؛ قال للحجّاج يا أيّها الأمير أنت حاضرٌ وأمير المؤمنين غائب، وما قيل له عنّي باطل، وفي الوقت الحالي يعيش تحت كنفي ٢٤ امرأةً كبيرة وصغيرة، أنا الذي أجلب لهنّ أقواتهنّ اليوميّة، وهنّ كلهنّ واقفات على بابك الآن، فأمر الحجاج بإحضارهنّ، وكانوا فعلًا ٢٤ امرأة، أخذوا يبكون: منهنّ مَنْ تقول أنا خالته، ومنهنّ منْ تقول أنا عمّته، ومنهنّ مَنْ تقول أنا ابنته وأخته. وكانت مِن بينهم فتاةٌ في العاشرة فقال لها الحجّاج وأنت ماذا تكونين لأسلم؟ فقالت أنا ابنته، ثمّ ركعت على ركبتيْها وقالت:

أحجّاج لم تشهد مقام بناته
وعمّاته يندبنه الليل أجمعا
أحجّاج كم تقتل به إنْ قتلته
ثمان وعشرًا واثنين وأربعا
أحجّاج من هذا يقوم مقامه
علينا فهلّا إن تزدنا تضعضعا
أحجّاج إمّا أن تجود بنفسه
علينا وإمّا أن تقتلنا معا

ولمّا سمع الحجّاج ذلك بكى، وقال والله لقد زدتموني غمًا، وكتب ما قاله أسلم، وما قالته الفتاة، وأرسله إلى عبد الملك، فأشفق عبد الملك أيضًا، وأخلى سبيلَ أسلم، وأمر الحجّاجَ بأنْ ينعم على الفتاة الصغيرة.

ومحرّر في كتاب ثمرات الأوراق أنّ جارية مغنّية تغنّت في حضور الخليفة العباسي الواثق بالله بالبيتِ التّالي للشّاعر العرجي:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر
أظلوم إنّ مصابكم رجلًا
أهدى السلام تحيّة ظلم

فاختلف الحاضرون في إعراب (رجلًا) الموجودة في البيت الثّاني، فمنهم مَنْ قال إنّها منصوبة على أنّها اسم لأنّ، ومنهم مَنْ قال إنّها مرفوعةٌ على أنّها خبر، وكانت الجارية تصرّ على أنّها منصوبة وذلك على حسب ما تعلّمته من أستاذها أبي عثمان المازني، فأمر الخليفة بإحضار المازني، يقول المازني للإمام أبي العبّاس المبرد، ذهبت إلى الخليفة وسألني من أيّة قبيلة أنت؟ فقالت من مازن من ربيعة. وعندنا في قبيلتنا نبدل الميمَ الموجودة في أوّل الأسماء ياءً والياء ميمًا، ولأنّ اسمي بكر فإنّي كنت سأقول لكم اسمي مكر إذا تحدّثت بلسان قومي، ولكني خشيتُ من ذلك ولذا فاسْمي بكر، وقد أعجب الخليفة من ردّي واستحسنه، وقال لي ما رأيك في هذه الكلمة هل هي منصوبة أمْ مرفوعة، فقلت إنّها منصوبة يا مولاي، وذلك لأنّ لفظ مصابكم مصدرٌ بمعنى أصابتكم، فقام أحدُ الحضور ويُدعى اليزيدي وخالفني في ذلك، فقلت إنّها بمنزلة (إن ضربك زيدا ظلم) فلفظ رجل مفعول لمصدر أصاب ومنصوب به، وهو متعلق بلفظ ظلم الموجود في نهاية الكلام، ووقوعه خبر لأن يدلّ على تأكيد هذا الكلام. وقد أعجب الخليفة من ردّي وأمر بدفع ألف قطعة ذهبيّة لي.

وقبل تلك الواقعة كان أحد النّصارى أو اليهود قد ذهب إلى الإمام المازني

يطلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، وعرض عليه ١٠٠ ذهبيّة مقابل ذلك، ورغم شدّة فقر الإمام إلّا أنه امتنع عن ذلك لما يحتويه الكتاب من ٣٠٠ آية تقريبًا من القرآن الكريم استشهادات. وقد عابَ الإمامُ المبرّد على المازني في ذلك، ولما أخذ المازني الألف ذهبيّة ذهب إلى المبرّد وقال له لقد رفضنا المائة ذهبيّة فعوّضنا الله عنها بألف.

والبيت المذكور (أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا) للعرجي من الأبيات المشهور عند العرب التي تمثّل بها الكثير، وسداد الموجودة في المصراع الثّاني بكسر السين ما يسدّ به الشيء. وذكر في القاموس نقلًا عن درة الغواص أنّ نضر بن شميل المازني كان يتناظر في الأدب في حضور الخليفة المأمون، وبينما هم يتكلمون قال المأمون حدثنا هشين عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال النبي - صلّى الله عليه وسلّم - (إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجَمالها كان فيها سَداد من عوز) وقرأ سداد بالفتح، ولما سمع نضر ذلك، قال حدثنا عوف بن جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب قال: قال النبي - صلّى الله عليه وسلّم - (إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عوز) بكسر السّين، فاعتدل المأمون من جلسته وقال له: ما الفرقُ بين قراءتي وقراءتك؟ فقال نضر سداد بالفتح فيها لحنٌ يا مولاي، فقال المأمون وهل تقصد أنّني ألحن في الكلام، فقال نضر لم أقصد ذلك يا أميرَ المؤمنين حاشا لله، ولكنّ الخطأ صدر من هشيم فهُم الذي صدر عنهم اللّحن؛ لأنّ سَداد بالفتح معناها الاستقامة، وسِداد بالكسر معناها السّد، ولمّا وقف المأمون على أصل الموضوع قال (قبّح الله مَن لا أدب له) وكتب أمرًا إلى وزيره الفضل بن سهل بأنْ يدفع لنضر خمسين ألف درهم، وأرسله مع نضر ورجل آخر من بلاد الخليفة إلى الفضل، ولمّا علم الفضل بالقصة أنعم هو الآخر على نضر بثلاثين ألف درهم، وبذلك حصل نضر على ٨٠ ألف درهم من جُملة واحدة.

وردَ في تزيين الأسواق أنّ امرأة كانت تحبّ زوجها جدًّا، ولمّا مات حزنت حزنًا شديدًا، وكانت تذهب إلى قبره تجلس بجانبه بالساعات ولا تغادره، وذات يوم ذهبت وأنشدتِ الأبيات التّالية، ثمّ أسلمت روحها:

كفى حزنًا إنّني أروح بحسرة
وأغدو على قبر ومَن فيه لا يدري
فيا نفس شقّي جيب عمرك عنده
ولا تبخلي بالله يا نفسُ بالعمر
فما كان يأبى أن يجود بنفسه
لينقذني لو كنت صاحبة القبر

وقصّة أخرى مشابهة لها وهي أنّ فتاة كانت تحبّ شابًّا للغاية، ولمّا مات هذا الشاب، كانت ترثيه بالأشعار، وذاتَ يوم شوهدت وهي تقرأ بجوار قبره الأبيات التّالية، وتُوفّيت بعد أن نظمتها:

يقولون إن جاهرت قد عضّك الهوى
وإنْ لم أبح بالحبّ قالوا تصبرا
فما للذي يهوى ويكتم حبه
من الأمر إلّا أن يموت فيقبرا

وكان شخص من بني تميم قد ضاعت إبلُه فأخذ يبحث عنها في كلّ مكان وبينما هو يبحث عنها صادف امرأةً في غاية الحسن قالت له عمّ تبحث؟ فقال لها أبحث عن أبلي ضاعت منّي، فقالت له إنّ مَن أخذها منك هو مَن أعطاه لك، فاذهبْ إليه واطلبها منه عن يقين. فتعجّب الرّجل من قولها، وأخذ ينظر إلى وجهها، ثمّ عرضَ عليها أنْ تفعل معه الفاحشة، فقالت له أليسَ عندك من الحياء ما يمنعُك من هذا؟ فقال لها سآتيك باللّيل كيلا يرانا أحد، فقالت له ألن يرانا أحدٌ بالليل فقال لن يرانا سوى تلك النجوم، فقالت وخالقُ النّجوم والأكوان؟!، فسألها هل لك زوج، قالت كان لي، ثمّ وارى الثّرى. ثمّ نظمت الأبيات التالية:

غنى وإن عرضت أشياء تضحكني
لموجع القلب مطويّ على الحزن
إذا دجى الليل أعياني تذكره
وزادني الصبح أشجانًا على شجني
وكيف ترقد عين صار مؤنسها

بين التراب وبين القبر والكفن
أبلى الثرى وتراب الأرض جدته
كأنّ صورته الحسناء لم تكن
أبكي عليه حنينًا حين أذكره
حنينَ والهة حنت إلى وطن
أبكي على مَن حَنَت ظهري مصيبته
وطيّرَ النوم من عيني وأرّقني
والله لا أنس حبّي الدّهرَ ما سجعت
حمامة أو بكى طيرٌ على فنن

ثمّ أمالت المرأة رأسها قليلًا ثمّ قالت:

كنّا كغصنين في أصل غذائهما
ماء الجداول في روضات جنان
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه
دهر يكرّ بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمني
أنْ لا يضاع أنثى بعد مثواتي
وكنت عاهدتُه أيضًا فعاجله
ريبُ المنون قريبًا من سنيات
فاصرف عنك عمّن ليس يردعه
عن الوفاء خلافًا في التحيات

أتتِ امرأة إلى هارون الرشيد وقالت له (أتمّ الله أمرك وفرّحك بما آتاك وزادك رفعة، لقد عدلتْ فقسطت) فسأل هارون الرشيد الحاضرين ماذا فهموا من كلام المرأة فقالوا إنّها دعت لأمير المؤمنين، فقال لهم لا؛ إنّها دعت عليّ وليس لي، لأنّها قالت أتمّ الله أمرك وهذا من قبيل قول الشّاعر:

إذا تمّ أمر بدا نقصه ترقب زوالًا إذا قيل تمّ

وفرّحك الله بما آتاك من قبيل الآية الكريمة (حتّى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة) وزادك رفعة من قبيل قول الشاعر (ما طارَ طير وارتفع إلّا كما طار وقع) وأمّا قولها عدلت فقسطت فهو من باب قوله تعالى (وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا)، بعد ذلك سأل المرأة من أنت؟ وما الضّرر الذي رأيتِه منّي لكي تقولي ذلك؟ فقالت المرأة: أنا من آل برمك، وقد قتلت رجالي وأخذت أموالي. فأعجبَ بها، وقال الرّجال ذهبوا أمّا الأموال فباقية وسأعيدها إليك.

وقابل أحد الظّرفاء امرأة منتقبة فسألها مَن أنت؟ فقالت إنا السّادس في السّابع، وكانت تقصد بذلك قول ابن سكرة:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه
سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كنّ وكيس وكانون وكأس طلا
مع الكباب وكسّ ناعم وكسا

وحكى ابن الجوزي حكاية مماثلة فقال قابلَ رجلٌ امرأة على جسر بغداد، فقالت المرأة رحمَ الله ابن الجهم، فقال الرجل رحمَ الله أبا العلا، فذهبت امرأةٌ خلف المرأة واستحلفتها بالله أن تقول لها ماذا كانت تقصدُ من قولها هذا؟ فقالت إنّ هذا الرجل ذكّرني بقول ابن الجهمي:

عيونُ المها بين الرصافة والجسر جلبن
الهوى من حيث أدري ولا أدري

وسألت الرّجلَ فقال ذكّرتني المرأة بقول أبي العلا:

فيا دارها بالخيف إنّ مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

وقد ذكر داود الأنطاكي تلك القصّة في أواخر كتاب تزيين الأسواق، وبعد أن نقلها قال كان المتنبّي يمدح ملكًا، وفي يوم مدح أحد أعدائه، فغضب الملك وأمرَ بأنْ يُقتل المتنبي، ولمّا علم المتنبي بذلك فرّ هاربًا من البلدة، وبعد فترةٍ أراد الملك أنْ يجلب المتنبي بحيلة بأنْ يكتب إليه يقول له قد عفونا عنك، ليقتله بعد ذلك، ولأنّ الكاتب كان صديقًا محبًا للمتنبي زاد على جملة (قد عفونا إنّ شاء الله) تشديد النون، ولمّا وصلت الرّسالة إلى المتنبي فطن إلى ما يقصده الكاتب من أنّه أراد تذكيره بقوله تعالى (إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرجْ إنّي لك من النّاصحين) فزاد المتنبي ألفًا بعد النّون المشددة وأعاد الرسالة إلى الكتاب، وفهم الكاتب أنّه فهم وخرج من القرية، ولن يعود إلّا بعد أن يخرج هذا الملك منها مذكرًا إيّاه بقوله تعالى (إنّا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها). والقصّة منقولة من كتاب دقائق الإشارات.

ولو أنّ هذا صحيح لكان انتقالُ المتنبي هذا من قبيل التّعريض بالخطأ كما ذكر المرحوم عاصم هذه القصّة في مادّة سلم: وهي أنّ رجلًا كبيرَ الأنف كان يجلس مع أحد أصحابه فقال أصحابه إنّ الطقس اليوم سيّئ، فغضب الرجل كبيرُ الأنف وقام من المجلس، فسئل لماذا قمت من المجلس؟ فقال لقد عرّض الرجل بأنفي، لأنّ الطّقس مرتبط بالبحر، والقوارب في البحر كبيرة، فكأنه سخر منّي.

سبب قول الشّاعر علي بن الجهمي للبيت السّابق (عيون المها) أنّ هذا الشاعر كان بدويًّا، ودعيَ إلى الحضور أمام الخليفة المتوكّل لينظم فيه الشعر، فقال:

أنت كالكلب في حفظك للود
وكالتّيس في قروع الخطوب
أنت كالدّلو لا عدمناك دلوًا
من كبار الدّلاء كثير الذّنوب

والذّنوب هنا بمعنى النّصيب. ولم يغضب المتوكلُ من قول الشاعر لأنه كان يعلم أنّه بدويّ، عاش حياته كلّها في البادية، لم يرَ سوى الكلب والتيس والبئر والدلو، وبالتّالي استخدمَها في أبياته لأنّه لم يرَ غيرها، فخصّص الخليفة له بيتًا على ضفاف نهر دجلة بالقرب من الجسر، وبعد أن عاش ابن الجهمي ستّة أشهر في المدينة واطّلع على الحضارة استدعاه المتوكل:

فلمّا دخل نظم

عيون المها بين الرّصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ونقل أيضًا من كتاب الدقائق عن هذا الانتقال للشّعراء أنّ عدي بن أرطأة الفزاري طلبَ من عمر بن عبد العزيز أنْ يزوّجه هند بنت أسماء، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز العبارة التّالية وأرسلها إليه (أمّا بعد، فإنّ الفزاري لا ينفك والسلام) ولمّا قرأ عديّ الجملة لم يفهمْها؛ فأرسلها إلى أحد العامّة وهو أبو عيينة بن مهلبة، ولمّا قرأها قال له الأمير يرفض لأنّ هذه الجُملة المقصود بها قول الشاعر:

إنّ الفزاري لا يفك مختلمًا
من النواكه دهدار بدهدار

أي باطلًا باطلًا. وكانت هند المذكورة متزوّجة في أوّل الأمر عبيد الله بن زياد، ثمّ بشر بن مروان أمير الكوفة، ثمّ الحجّاج من بعده.

وقد ذكرها أبو الفضل الميداني في كتابه مجمع الأمثال في مثل (ده درين سعد القين). ورغم أنّ الكثير من تلك الحكايات كثيرة في كتب المحاضرات إلّا إنّا اكتفينا هنا بذكر هذا القدر حتّى لا نطيل.

أمّا بالنسبة للمثل السابق فكلمة ده درين أو دهدرين فتعني بطلًا، وسعد تعني صانع الحديد، والقين علم موصوف.

ومن الأمثال العربيّة أيضًا (إنّك خير من تفاريق العصا) وقائله جارية عربيّة اسمها غنيّة، وقصّة هذا المثل أنّها كان لها ابنٌ لا ينفع في أيّ شيء، وكان دائم الشّجار مع الجيران، وفي يوم قطع أحدُ شباب الجيران أنفَ هذا الابن، فطلبت الأمّ الدّية وقد فرحت بها جدًّا لأنّ الديّة أسعدتْهم لأنّ حالتهم كانت يرثى لها من شدّة الفقر، وذاتَ يوم آخر قطع أحدُ الجيران شفة الابن فطلبتِ الأمّ الدّية، فأخذتها فنظمت مخاطبة إيّاه:

أحلف بالمروة حقًّا والصفا
إنّك خير من تفاريق العصا

وقد ذكرت في القاموس في مادّة فرق.

إنّي أقول يا فتى فزارة
لا أبتغي الزوج ولا الدعارة
ولا فراق أهل هذه الحجارة
فارحل إلى أهلك باستخارة

نظمت تلك الأبيات أختُ الحارث ابنٌ لأمّ أخت أحدِ سادة أحياء بني طي نظمتها لسهل بن مالك الفزاري، وسببِ نظمها لها أنّ سهل نزل ضيفًا في خيمة أخيها، ولمّا رآها افتتن بها وعرضَ عليها فعل الفاحشة معه أو الزّواج به.

ولمّا تزوّجا مؤخّرًا أصبح المصراع الأخير من ضروب الأمثال في حقّ سهل.

وقيل إنّ جندب العنبر وهو من أشقياء العربان كان قد صادف جارية من بني تميم، وقال لها (لتمكّني مسرورة أو لتقهرنّ مجبورة) فقالت له (مهلًا فإنّ المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه)، ولم يتّعظ جندب من قولها ونزل من على فرسه، ولمّا هجم عليها أمسكت به جيّدًا وربطت يديه الاثنتين بإحكام وربطته في الجواد وجعلتِ الفرس يسير أمامَ الأغنام ونظمت:

لا تأمن بعدها الولائدا
سوف تلقى بواسلًا مواردا
وحيّة تضحّي لحي راصدا

وقد نقلها أبو الفضل الميداني في شرح مثل (انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا) وقد قاله جندب على سبيل الاستغاثة.

كان الحسن البصري يطوف بالكعبة فسمع امرأةً تقول:

لا يقبل الله من معشوقة عملًا يومًا
وعاشقها غضبان مهجور
وليس بأجرها في قتل عاشقها
لكنّ عاشقها في ذاك مأجور

فلامَها الحسنُ البصري قائلًا هل هذا مكانُ ذكرِ هذا الكلام، فقالت له أنتَ من الظرفاء وتتفهّم كلام العرب، ألم تسمع القول التّالي:

بيض غرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهنّ حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا
ويصدهنّ عن الخنا الإسلام

أمّا المثل القائل (كلام الليل يمحوه النّهار) فهو من قول سيدة أيضًا، وعلى حسب ما أوردَه كتاب تزيين الأسواق هي جارية من جواري هارون الرشيد، وسبب قولها هذا المثل أنّ هارون كان قد غضب عليها لفترةٍ فهجرها، ثمّ عاد إليها، ولمّا أراد أنْ يختلي بها ليلة أخّرته إلى اليوم التّالي، وفي الصباح قالت له المثل المذكور. وقد طلب هارون من أبي نواس أن يجيزَ المثلَ فقال أبو نواس:

وليلــة أقبلــت في القــصر ســكرى
ولكـــنّ زيـــن الســـكر الوقـــار
وقــد ســقط الــرّدى عــن منكبيهــا
مــن التخميــش وانحــلّ الإزار
وهــزّ الريــح أردافًــا ثقــالًا
وغصنًــا فيــه رمــانٌ صغــار
فقلــت الوعــدُ سـيّدتي فقالــت
كلام الليــل يمحــوه النهــار

فتعجّب هارون من قول أبي نواس وسأله هل كنت حاضرًا معنا، وأحسن عليه بعشرة آلاف درهم. وكان قول بشار بن برد (نظرت في القصر عيني) المذكور في ترجمة عبدة سابقًا من هذا القبيل.

وتوجد قصّة أخرى مشابهة لأبي نواس مع هارون الرشيد، جاء فيها أنّ هارون الرشيد أصابه الأرق ذاتَ ليلة فذهب إلى قصر المعلا، ولمّا نام هناك جاءت إحدى الجواري إليه فاستيقظ من نومه من أصوات أقدامها، وكانت جميلةً للغاية، وقالت لهارون يا أمينَ الله ما هذا الخبر؟ فقال لها: هو ضيف طارق حكيم يرتجي المأوى إلى وقت السحر

فقالت الجارية:

بسرور سيّدي أخدمه إن رضي بي وبسمعي والبصر

وفي اليوم التّالي قرأ هارون على أبي نواس قولها (يا أمين الله ما هذا الخبر) وطلب منه أن يجعله في بيت فقال أبو نواس مرتجلًا:

طـال ليـلي حـين وافـاني السـهر
فتفكّــرت فأحســنت الفكــر
قمــتُ أمــشي في مــكاني ســاعة
ثــمّ أخــرى في مقاصــير الحجــر
وإذا وجــهٌ جميــل حســن
زانــه الرحمــن مــن بــين البشر
فلمســت الرّجْــلَ منهــا موقظًــا
فدنــتْ نحــوي ومــدّت لي البصر
وأشــارت وهــي لي قائلــة
يــا أمــين الله مــا هــذا الخــبر
قلـت ضيفـي طـارق حكيـم يرتجـي
المــأوى إلى وقــت الســحر
فأجابــت بســرور ســيدي
أخــدم الضيــف بســمعي والبصــر

فقال هارون الرشيد هل كنت معنا يا أبا نواس؟ فقال لا يا أمير المؤمنين، فقال له ولكن كيف قلت هذا؟ فقال إنّها سليقتي الشعريّة هي التي ساقتني إلى ذلك. فأحسن عليه هارون بالأموال. وتوجد قصص أخرى كثيرة مشابهة لأخيه الخليفة الأمين.

وذاتَ يوم رأى الخليفة المأمون في الحديقة محملًا من ذهب تحمله الجواري الحسان، فأمر بالشّعراء ليأتوا وليشاهدوا هذا المنظر، وطلب من كلّ واحدٍ أن يعبّر عن هذا المنظر، ولمّا جاء الدور على أبي نواس قال (التابوت فيه سكينةٌ من ربكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة)، وقد كان قولُه أبلغَ ما قيل لأنه كان موافقًا أتمّ الموافقة لذلك؛ حيث إنّه قصد بموسى موسى الهادي عمّ المأمون، وهارون أي أخو المأمون.

كان الوزير العباسي جعفر بن يحيى البرمكي قد مرّ بوادي العقيق القريب من المدينة المنورة عندما كان يحجّ، فسمع امرأة تقول:

إنّني مررتُ على العقيق وأهله
يشكون من مطر الربيع نزورا
ما ضرّهم إذ جعفر قد جازهم
أنْ لا يكون ربيعهم ممطورا

فأحسن جعفر على المرأة، وأجذل لها العطاء.

وقد كان آلُ برمك مشهورين بالسخاء والجود في الدّولة العباسيّة كما كان آل مهلب مشهورين في الدّولة الأمويّة المروانيّة وقيل في حقّهم:

إذا كنت من بغداد في رأس فرسخ
أتاك نسيم الجواد من آل برمك

وقيل إنّ امرأة ذهبت إلى عمر بن الخطاب، وقالت له إنّ زوجي قائم بالليل صائم بالنّهار، فقال لها عمر ما أحسنه بزوج جزاكِ الله عنْه خير الجزاء، فكرّرت الكلام عليه فكرّر الرّد، فكرّرت الكلام للمرّة الثالثة فقال شخص يُدْعى كعب، وكان من بين الحاضرين: يا أمير المؤمنين إنّها تشتكي لكَ زوجها بأنّه لا يعطيها حقّ الفراش، فتعجّب عمر من

فهم الرجل لمرادِها، وقال له: طالما أنك فهمت قصدها لتفصل في مشكلتها. فأرسل كعب إلى زوج المرأة فأتى، وقال له: إنّ زوجتك تشتكي منك، فقال: لم أقصّر في شيء، فقالت المرأة لكعب:

يا أيها القاضي الحكيم أرشده
ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يرقده
فلست في حكم النساء أحمده
زهدُه في مضجعي تعبّده
فاق القضايا يا كعب لا تردّده

فردّ الرجل عليها:

زهدي في فرشها وفي الحجل
إنّني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطوال
وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب للرجل:

إنّ لها حقًّا عليك يا رجل
نصيبها في أربع لمن عقل
قضيّة من ربّنا عزّ وجل
فأعطها ذاك ودعْ عنك العلل
فإنّ خير القاضيين من عدل
وقد قضى بالحقّ جهرًا وفصل

ومعنى ذلك أنّ الله تعالى شرع للرجل أربعَ زوجات أي نصيب المرأة منهنّ يومًا على الأقلّ في الأسبوع، وبذلك يكون حقّ تلك المرأة مرّة كلّ أربعة أيام. تعجّب سيدنا عمر من إجابة الرّجل وفطنته فولّاه إمارة البصرة. من المستطرف.

ومن ذلك أيضًا ما ورد في البخاري في حديث العبادلة أنّ رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- قال لعبد الله بن عمرو بن العاص (يا عبد الله ألم أخبر أنّك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل؛ صمْ وأفطر وقمْ ونمْ؛ فإنّ لجسدك عليك حقًّا وإنّ لعينك عليك حقًّا وإنّ لزوجك عليك حقًّا).

ورويتْ أحاديثُ شريفة في النهي عن مشادّة الدين منها (لن يشادّ الدّينَ أحد إلّا غلبه) و(إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق) وقد نقل المرحوم عاصم

في القاموس في مادّة (ش د د) هذه الأحاديث.

وأثناء مجاورتنا لمكّة كان يرافقنا أحد المتسبين لمكتب الخواجان (المعلّمين) كان الرّجل يقضي ليله كلّه في الحرم الشريف جالسًا على حجر بقصد المجاهدة في الدّين، ورغم أنّا نهيناه عن ذلك وذكرنا له أحاديث المجاهدة إلّا أنّه كان يزداد في مجاهدته، وبمرور الوقت أصابتْه علّة في ركبتيه من جلوسه على هذا الحجر لفترةٍ طويلة، وحُرم من القيام والقعود.

تزوّجت امرأة برجلٍ يُدعى حمار فكرهتْ ذلك ونبّهت عليه بأن يغيّر اسمه، فسمى نفسَه بغلًا، فقالت له بالطّبع هذا أحسن من الأول ولكنّك مازلت لم تخرجْ من الحظيرة.

وبمناسبة الأسماء الكريهة نورد تلك الطّرفة؛ كان لعجل بن لجيم أبي قبيلة بني عجل فرسٌ صغير، وجرت العادةُ بأنْ يسمّي العرب فرسانهم بأسماء، فسأله واحد منهم ما اسمُ فرسك؟ فقال لم أسمّه حتّى الآن، وبعد فترة أسماه أعور. فتبيّنت حماقته من ذلك. وقد نظم في حقّ ذريّته الهجاء التالي:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وهل
أحدٌ في الناس أحمق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده فصارت
به الأمثال في الناس تضرب

اشترى الشاعر علي بن الجهم المارّ ذكرُه جاريةً ظريفة سألها هل أنت بكْر؟ فقالت يا سيدي لقد وقعت في عهد الواثق فتوحاتٌ كثيرة.

مرّ شاعر من جنبِ جماعة من النساء فقال:

إنّ النساء شياطين خلقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين

فقالت واحدة منهنّ له:

إنّ النساء رياحين خلقن لكم
وكلّكم يشتهي شم الرياحين

وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله الثعالبي:

ونحـــن بنـــو الدنيـا وهـــنّ بنـــاتها
وعيـش بنـي الـــدنيا لقـــاء بنـاتـــها

وذُكر الحديث الشريف (النساء حبائل الشّيطان) في مجمع الأمثال على أنه من كلام ابن المسعودي.

والمناسب هنا أن نذكر بعض المصطلحات الشّائعة بين العرب عن النساء. يُقال (كيد النسا) ويُقال (حكم النساء) و(رأي النساء). وحكم النّساء يعني عدم الاستعانة بهنّ في الحكم، لأنّ رأيهنّ غير صائب في معظم الأحوال، ويدلّ على ذلك (شاوروهنّ وخالفوهن) و(ذُلّ منْ أسند أمرَه إلى امرأة).

ولهذا يُقال على الرأي الفاسد (إطاعة النّسوان)، ورأي النساء من هذا القبيل أيضًا. وقد قال الشّاعر في ذلك:

ثلاثن يعجز ذو الصناعة عنها
رأي النساء وأزمة الصبيان
أمّا النساء فميلهنّ إلى الهوى
وأخو الصبي يجري بكلّ عنان

أمّا كيد النساء فمضروب به المثل في المكر والخديعة، وقد ذكر القرآنُ قصّة امرأة العزيز وما فعلته مع يوسف عليه السّلام، حتّى أنّ الله تعالى ذكر ذلك في القرآن فقال (إنّه من كيدكنّ). وقد نظم الشّاعر بيتًا يومئ فيه إلى المكر عند النساء لم يكن مخصّصًا لواحدة فقط بل هو شيمةُ كلّ النساء:

ولا تحـسبا هندًا لـــها الـغـدر وحـدها
سجيّة نفـــس كـــلّ غـــانية هند

وردتِ الأبياتُ التّالية في تاريخ الكامل لابن الأثير، وقد نظمتها جارية لسليمان بن عبد الملك:

أنـــت نعـم المتاع لو كـنـت تـبقـى
غيـــر أن لا بـقــــاء للإنســـان
ليــس فيما علمتــه فيــك عيبـًا
كـــان فـــي النـــاس غـير أنّـك فـان

وورَدَ في صحائف الأخبار أنّ سليمان بن عبد الملك في أواخر أيامه لبسَ أفضلَ الثياب وتطيّب، وتزيّن، ووقف أمام المرآة يزهو بنفسه، ونادى على الجارية، وقال لها كيف تريني؟ فنظمت الأبيات السابقة.

والبيت التّالي أيضًا نظمته جارية يوم وفاةِ الحجّاج:

اليوم يرحمنا مَنْ كان يغبطنا
واليوم نتبع مَنْ كانوا لنا تبعا

ومذكور في حديقة الأفراح أنّ أحد الخلفاء كان له جارية وغلام، كانت هناك قصة حبّ بينهما، وذات يوم سمع الخليفة الغلامَ يقول:

ولقد رأيتك في المنام كأنما
عاطيتني من ريق فيك البارد
وكأنّ كفك في يدي وكأنّنا
بتنا جميعًا في فراش واحد
فطفقت يومي كلّه متراقدا
لا أراك في نومي ولست براقد

فردّت عليه الجارية:

خيرًا رأيت وكلّ ما أبصرته
ستناله منّي برغم الحاسد
إنّي لأرجو أنْ تكون معانقي
فتبيتَ منّي فوق ثدي ناهد
وأراك بين خلاخلي ودمالجي
وأراك فوق ترائبي ومعاضدي

ولمّا علم الخليفة بذلك أمر بتزوجيهما لبعض.

اشتكى رجلٌ طولَ شعر وعانة زوجته، فتظّفت المرأة وقالت له:

فديتك سهلت السّبيل الذي اشتكى
جوادُك فيه للحفا وخشونته
فإنْ كنت تهوى أنْ تزور جنابنا
فلا تبطِ عنّا فالهلال ابنُ ليلته

والهلالُ هنا معناه فرج المرأة، وفيه استعارة، وهذا المعنى شائع بين النّساء، حتى أنّ السّحاقيات يقولون على السّراويل (أغلفة القمر).

وهذا رجلٌ اشتكى سعة فرج زوجته، وكانتِ المرأة ذات خبرة، فنظمت له البيتَ التّالي فأسكتته به:

إنّني تبدّلت من بعد الخليل
فتى مرزأ ما له قدرٌ ولا جاه
ما غرّني منه إلّا حسن طرقته
وقوله لنسا الحي هيهاه
يقول لمّا خلا بي أنت واسعة

وذاك مـن خجـلٍ منّـي تغشّـاه
فقلـت لّمـا أعـاد القـول منّـي ثانيـة
أنـت الفـداء لمـنْ قـد كـان يمـلاه

وقال رجل لامرأة (لأملأن بيتك خيرًا وحرّك إيرًا) وبعد الزّواج لم تجده المرأة كما قال فقالت:

قـد رأينـاك فـما أعجبتنـا
وبلونـاك فلـم نـرض الـخبر

وكان سليمان بن عبد الملك يجلس مع نُدَمائه ذاتَ يوم، وطلب منهم أن يسمعوه أحسن ما قيل من شعر النّسا. فقال واحدٌ من الموجودين يا أمير المؤمنين كان رجلٌ يقف تحت ظلّة بيت يحتمي من المطر، وإذا بفتاةٍ صغيرة قد ألقت بحجرٍ على رأسه فنظر إلى أعلى، وقال:

لـو بتفـاحـة رميـت رجونـا
ومـن الـرّمي بالحصـاه جـفاء

فقالت البنت:

ما جهلنـا الذي ذكـرت مـن الشـكّ
ولا بالـذي ذكـرت خفـاء

وكانت هناك مربيّة تقف بجوار الفتاة قالت:

قـد بـدا التيـه بالـذي ذكرتـه
ليـت شعـري فهـل لـه ذا ء فـاء

وكانت سائلة بالباب فقالت:

ولعمـري دعوتهـا فأجابـت هـي
داء وأنـت منـها الـدواء

فقال سليمان كلهنّ شاعرات، ولكن قول السّائلة أفضل منهنّ جميعًا.

كان أبو الأسود الدّؤلي وهو واضع أصولِ النّحو متزوجًا بامرأة على قدرٍ من العلم والبصيرة. وكان هو من التابعين وقد عاش في عهد معاوية، وكان معاوية يحبّه ويبجّله، ويجلسه إلى جواره في مجلسه، ولّما كانوا في المدينة المنوّرة أتت امرأة إلى معاوية وهو في مجلسه وقالت (أصلح الله أمير المؤمنين، وأمتع به المسلمين) ثمّ قالت (إنّ الله جعلك خليفة في البلاد ورقيبًا على العباد يستقّى بك المطر، ويستنبت بك الشّجر، ويؤمن بك الخائف، ويردع بك

الحائف، أنت الخليفة المصطفى، والأمير المرتضى، فنسأل الله لك النعمة من غير تغيير، والبركة من غير تقتير، فقد ألجاني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق بي عنه المخرج، مع أمر كرهتُ عاره، لمّا أردت إظهاره، فليكشف عنّي أميرُ المؤمنين، ولينصفني من الخصم، وليكن ذلك على يديه، فإنّني أعوذ بك ويحقويك من العارِ الوبيل، والأمر الجليل الذي يشتدّ على الحرائر ذوات البيوت الأخاير) فسألها معاوية عنْ هذا الأمر فقالت (أمر طلاق حائر، من بعل غادر، لا تأخذه من الله مخافة، ولا يجد بأحد رأفة) فقال لها معاوية: ومَن زوجك؟ فقالت أبو الأسود. فعاد معاوية إلى أبي الأسود وقال له هل ما قالته حقًّا؟ فقال (إنّها تقول من الحقّ بعضًا، وليس أحدٌ يطيق عليها نقضًا، أمّا ما ذكرت من أمرِ طلاقها فحقّ، وسأخبرك عن ذلك بصدق، أنا والله ما طلّقتها لريبة ظهرت، ولا من هفوة حضرت، ولكنْ كرهت شمائلها فقطعت حبائلها)، ثمّ قال إن أردت أنْ تسمع فسأقول فقال معاوية نعم، ولكنْ تحرَّ الصّدق. فقال (هي يا أميرَ المؤمنين كثيرة الصَّخب، دائمة الضرب مهينةٌ للأهل، ومؤذية للبعل، إن ذكر خيرًا دفنته، وإنْ ذكر شرًّا أذاعته، تخبر بالباطل وتطير مع الهازل، لا تنكل عن عتب، ولا يزال زوجها معها في تعب)، فقالت المرأة (أمّا والله لولا حضور أمير المؤمنين ومَنْ حضر من المسلمين لرددتُ عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كلّ سهامِك) فأذن لها معاوية فقالت (هو والله يا أمير المؤمنين سؤال جهول، ملحاحٌ بخيل، إن قال فشرّ قائل، وإن سكت فقدم غائل، ليث حين يأمن، ثعلبٌ حين يخاف، شحيح حين يستضاف، إن التمسَ الجود عنده انقمع لما يعلم من لؤم آبائه وقصر رشائه، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحمي زمارًا، ولا يضرم نارًا، ولا يرعى جوارًا، أهونُ الناس عليه مَن أكرمه، وأكرمهم عليه مَن أهانه) فقال معاوية لقد رأيت العجب اذهبوا وأتوا صباحًا. ولمّا حضرا ورآها أبو الأسود قال (اللّهم اكفني شرّها) فقالت المرأة ليكفني أنا

الله شرّك، وكان مع المرأة ولد. فأراد أبو الأسود أنْ يأخذه عنوةً منها، فقال له معاوية مهلًا يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود يا أمير المؤمنين حملته قبل أنْ تحمله ووضعته قبل أنْ تضعه وأنا أقوم عليه في أدبه أمنحه علمي وألهمه حلمي، حتّى يكمل عقله، ويستحكم قلبه) فقالت زوجته (كلّا أصلحك الله يا أمير المؤمنين حملَه خفًّا وحملته ثقلًا، ووضعته كرهًا، حجري فناؤه، وبطني وعاؤه، وثديي سقاؤه، أكلأه إذا نام، وأحفظه إذا قام). تعجّب معاوية من دهاء المرأة وفصاحتها، فقال له أبو الأسود إنّها تنظم الشّعر جيدًا يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية إنّ كان الأمرُ على ذلك فلتناظرْها، فقال أبو الأسود:

مرحبًا بالتي تجور علينا
ثمّ أهلًا بحامل محمول
أغلقت بابها علي وقالت
إنّ خير النساء ذوات البعول
شغلت قلبها على فراغًا
هل سمعتم بفارغ مشغول

فنظمت المرأة في مقابل ذلك:

ليس مَن قال بالصّواب وبالحقّ
كمَن حاد عن منار السّبيل
كان حجري فناءه حين يضحي
ثمّ ثديي سقاءه بالأصيل
لست أبغي بواحدى يا ابن حرب
بدلًا ما رأيته والجليل

فنظم معاوية هو الآخر:

ليس مَن قد غذاه طفلًا صغيرًا
وسقاه من ثديه بالجدول
هي أولى به وأقرب رحمًا من
أبيه وفي قضاء الرسول

من شرح المقامة الأربعين للشريشي.

أورد ابن الجوزي في كتابه (كتاب الأذكياء) أنّ ابن السّكّيت روى أنّ محمد بن عبد الله الطاهر نوى الحج وعندما استعد للذهاب خرجت عليه جارية شاعرة وقد بكت لأنّه استعد للرّحيل فقال محمد:

دمعة كاللؤلؤ الرّطب على الخد الأسيل
هطلت في ساعة البين من الطرف الكحيل

فنظمت الجارية تقابله:

حين همّ القمر الباهر عنا بالأفول
إنّما يفتح العشاق في وقت الرحيل

وذكر أيضًا في الكتاب المذكور نقلًا عن الأصمعي أنّه قال ذهبت إلى الحج مع هارون الرّشيد وإذا بفتاةٍ صغيرة قد خرجت علينا في الطّريق، ونظمت:

طحنتنا طواحن الأعوام
ورمتنا نوائب الأيام
فأتيناكم نمدّ أكفًّا
لفضالات زادكم والطعام
فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا
أيها الزائرون بين الحرام
من رآني فقد رآني ورحلي
فارحموا غربتي وذلّ مقامي

ولمّا قصصت على هارون حالَ تلك الفتاة أتى إلى الفتاة واستمعَ إليها وابتهج من فصاحتها، ملأ جعبتها ذهبًا.

وذكر أيضًا في الكتاب المذكور نقلًا عن ابنِ الشّيمي أنّه قال ذهبت إلى الحجّ في سنة قحط، ورأيت أثناءَ الطواف فتاةً تتمسّك بأستار الكعبة، وتقول (إلهي وسيدي، ها أنا أمتُك الغريبة وسائلتُك الفقيرة، حيث لا يخفى عليك مكاني، ولا يستتر عنك سوءُ حالي، قد هتكت الحاجةُ حجابي، وكشفت الفاقةُ نقابي، فكشفت وجهَها رقيقًا عند الذّلّ وذليلًا عند المسألة طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغناء، وصانه ماء الحياء، قد جهدت عنّي أكفّ المرزوقين، وضاقتْ بي صدور المخلوقين، فمَنْ حرمني لم ألُمْه، ومنْ وصلني وكلته إلى مكافأة رحمتك وأنتَ أرحم الراحمين. فذهبت إليها وأعطيتها بعضَ المال وسألتها مَنْ أنت؟ فقالت إليك عنّي مَن قلّ مالُه وذهب رجاله كيف يكون حالُه! ثمّ قالت:

بعض بنات الرجال أبرزها
الدّهر لما قد ترى وأخرجها
أبرزها من جليل نعمتها
فابتزّها ملكها وأحوجها

وطالما كانت العيون إذا
ما خرجت تستشفّ هودجها
إنْ كان قد ساءها وأحزنها
فطالما سرّها وأبهجها
الحمد لله ربّ معسرة
قد ضمن الله أن يفرجها

وذُكر في الكتاب المذكور نقلًا عن الإمام المبرد من أئمّة النّحو أنّه قال: كنّا نجلس ذات يوم عند الإمام أبي عثمان المازني فجاءت امرأة بدويّة، وقالت: أنعم الله صباحَك أبا عثمان. ثمّ قالت: هل بالرّمال أوشال؟ فردّ عليها المازنيّ يجيء الله بها، فقالت المرأة:

تعلمن أنني والذي حجّ القوم
لولا خيال طارق عند النوم
والشوق من ذكراك ما جئت اليوم

أوشال أي الماء القليل، وكانت تقصد هل في الرّمال أوشال أي هل يوجد في الرمال ماء أي هل عندك ما يرطّب الرأس. فقال: الله يجيء بها.

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنّ امرأة أتتْ إليه وقالت لي أيها الحاكم لقد زوّجني ابنُ عمّي من هذا الرجل من دون علمي، وأنا أرفضه، فقلت لها ومنذ متى وأنت ترفضينه؟ فقالت منذ اللحظة الذي تزوّجني فيها، فقلت: ومتى تزوّجك؟ فقالت في اللحظة التي كرهتُه فيها. فتعجّب الرجل من فطنة المرأة.

والأبيات التالية مذكورة في حياة الحيوان على لسان الأصمعي، نظمتها إحدى السيدات:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي
وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا
فمن أنباك أنّ أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء
فليس بنافع فيها الأديب

وقصّة تلك الأبيات أنها أخذت صغير ذئب وأرضعته من الشّاة، ولمّا كبر الذئب افترس الشّاة.

ذيل

بعد أنْ أتممْنا المجلّد الأوّل اطلعنا مؤخّرًا على الشّخصيات التّالية في الحماسة البصرية، وطبقات الإمام السبكي، والأثمار الجنيّة لعلي القاري، وتذكرة مستقيم زاده، وإنباء العمر لابن حجر العسقلاني، وفتوح الواقدي وعقد الفريد. ورتّبناها هنا على نفس الترتيب الأبجديّ السابق.

آمنة بنت أبان:

ابنةُ أبان بن كليب بن ربيعة، بفتح الهَمزة وتخفيف الباء. من النساء المذكورات في كتاب ابن قتيبة أنّها تزوّجت الابن بعد الأب، فقد كانت متزوّجة بأميّة بن عبد شمس، وأنجبت منه سبعةَ أبناء، وبعد وفاته تزوّجها ابنه أبو عمر بن أميّة، وأنجبت منه أبا معيط جدّ الصّحابي وليد بن عقبة. وهذا النّكاح محرّم في الإسلام بقوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم إلّا ما قد سلف إنّه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا)، ويسمّى نكاح المقتِ أي نكاح اللعنة.

آمنة بنت علي:

ابنةُ علي بن عبد العزيز الدمشقي. وهي من المحدّثات المذكورات في إنباء العمر لابن حجر. كانت تحضر دروسَ أسماء بنت صران سابقة الترجمة، والمحدّث عبد الله بن أبي التائب، كانت وفاتها عام ٧٩٨هـ.

آي ملك:

ابنةُ إبراهيم بن خليل بن محمود، وهي أخت الشّيخ جمال الدين بن الشريحي، محدثة. كانت من المعاصرات لابن حجر العسقلاني، فقد كانت بعلبكيّة الأصل، ثمّ أصبحت دمشقية. استمعت إلى المحدّث ابن أميلة وآخرين بهمّة وسعي أخيها المذكور. وقد درس ابن حجر الحديثَ معها، تُوفّيت في ربيع الآخر عام ٨١٥هـ.

أخت علي:

أختُ علي بن عدي من عائلة بني عبد شمس من قريش. كانت من المخالفين لعلي، وشهدت واقعةَ الجمل على ما هو مذكور في تاريخ الكامل، وقد قالت حين خروجها من المدينة:

لاهمّ فاعقر بعليّ جمله
ولا تبارك في بعير حمله
إلّا علي بن عدي ليس له

لاهمّ لفظ مخفّف من اللّهم، وعلي المذكور في آخر مصراعٍ أخوها.

أخت المزني:

أختُ الإمام أبي إبراهيم المُزني، من أصحاب الإمام الشّافعي، والمُزَني بضمّ الميم وفتح الزّاي. وهي مذكورة مع مجموعة من النّساء في مختصر طبقات السبكي على أنّها من الفقيهات. وهي المرأة التي لها قصّة معروفة مع الإمام الشّافعي بخصوص زكاة المعادن. فقيل إنّها كانت حاضرة في مجلس الإمام الشافعي، وكان أخوها لا يريد أنْ يعطي باسمها. هذا ما قاله السّبكي.

أروى:

على وزن دعوى، ابنة الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ووالدة المطلب بن أبي

وداعة السّهمي، وهي المشار إليها في المجلد الأوّل على أنّها من عمّات الرّسول ﷺ. ذكرها ابنُ سعد في باب بنات عمّ النبي ومن الصّحابيات. والدتها غزيّة بنت قيس بن طريف، من ذريّة الحارث بن فهر بن مالك. وقد أنجبت أروى من صلب أبي وداعة السّهمي المطلبَ وأبا سفيان وأمّ جميل وأمّ حكيم ورابعة. وهذا ما قاله ابنُ حجر في الإصابة.

أسما:

ابنةُ المحدّث الشّيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ووالدة الشيخ تقيّ الدين، من المحدّثات المذكورت في كتاب أنباء العمر لابن حجر. كانت ولادتُها في رجب عام ٨٤٧هـ تزوّجت أولًا رجلًا يُدْعى رملي، ومؤخرًا تزوّجت رجلًا يُدعى علاء الدين المقريزي، وذلك عام ٨٦٥.

كانت سيدة عاقلة وفاضلة، وبصرف النّظر عن المشاهير الكثيرات المذكورات في تاريخ بغداد وسائر الكتب الأخرى فإنّها كان لها أختٌ باسم أمة الرحيم.

أسما عبرت:

من استانبول، ابنةُ أحمد أغا رئيس الخاصكيّة الخاصّة. وزوجة الخطاط المشهور محمود جلال الدين، كان خطّها جميلًا، وقد تعلّمت من زوجها جودةَ الخطّ، وكانتْ تقلّد خطّه، لدرجة أنّه لم يكن يفرق بين خطّها وخطّه. حتّى أنّه يقال إنّ الخطّاط المذكور كان يكلفها بكتابة كلّ الكتابات التي قام بها، وكان يكتفي بوضع توقيعه فقط على اللّوحة.

ومن الآثار الجميلة التي كتبتها أسما عبرت اللّوحة الموجودة في قبر الحميديّة ومؤرّخة بتاريخ ١٢٢٢هـ ولأنّها كانت من المتأخّرين لم تذكر في تذكرة مستقيم زاده.

أمامة بنت نشبة بن مرّة:

هي السّيدة قائلة المثل التّالي (كسر وعوير وكلّ غير خير) قالت ذلك المثل لأنّها تزوّجت في بداية الأمر برجل رجْلُه مكسورة، ثمّ تزوّجت بعده برجُلٍ أعور. وهذا مذكور في مجمع الأمثال.

أمّ الخير:

ابنةُ القاضي موفّق الدين عبد الله الحنبلي، وهي بخلاف ما ذكرناهنّ في المجلد الأوّل بهذا الاسم، وقد اطّلعنا عليها مؤخّرًا في إنباء ابن حجر، توفّيت عام ٧٩٠هـ.

أمّ الذيال العباسية:

أثناءَ ترجمتي للباب الواحد والستين الخاصّ بفنّ الحرب من كتاب سراج الملوك للطّرطوشي رأيتُ تلك النّصيحة التي أعطتها هذه المرأة لابنها الذي كان محاربًا جسورًا (يا بني، لا تثقْ في قوّتك وتدخل المعركة طالما أنّك لا تعلم مكانَ الهروب؛ لأنّ النفس إذا كانت تعلم مكانَ الهروب والفرّ تكون قويّة، وإذا جهلت ذلك تكونُ يائسة ضعيفة، وأحسنُ الشّدّة والقوّة ما كانت مقرونةً بالتّدبير، وإن لم يأتِ المددُ من الله فاجتهدْ وكرّ وفرّ على عدوّك ومنه إذا ما سنحت لك الفرصة؛ لأنّ الحذر زمامُ الشّجاعة، والتهور عدوّ القوة).

أمّ سنان المذحجية:

ابنةُ جشمة بن خرشة من بني مذحج. ومن فصحاء النّساء التابعيات، وردت لها الأبياتُ التّالية في العقد الفريد:

عزب الرقاد فقلتِ لا ترقد
والليل يصدر بالهموم ويورد

يا آل مذحج لا مقام فشمروا
إنّ العدوّ لآل أحمد يقصد

هذا علي كالهلال تحفّه
وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عمّ محمد
إنْ يهدكم بالنور منه تهتدوا

مازال مذ شهد الحروب مظفّرًا
والنّصر فوق لوائه ما يفقد

كانَ حفيدُها في صفّ سيدنا علي ضدّ معاوية، فقام مروان بحبسه، ولمّا راجعت مروان من أجل إنقاذه من الحبس عاملها بغلظة، فراجعت معاوية فقال لها معاوية: أأنت من نظمتِ الأبيات السّابقة؟ فقال أحد الحاضرين: نعم يا أميرَ المؤمنين، ونظمت أيضًا:

أمــا هلكــت أبــا الحســين فلــم تــزل
بالحــقّ تعــرف هاديًــا مهديًــا
فاذهــب عليــك صــلاة ربــك
مــا دعــت فــوق الغصــون حمامــة قمريًــا
قــد كنــت بعــد محمــد خلفًــا
كــما أوصى إليــك بنــا فكنــت وفيًــا

ورغم أنّ معاوية سمع ذلك إلّا أنّه عفا عن حفيدها من دون شرطٍ أو سؤال.

أمة الرحيم:

ابنةُ الحافظ صلاح الدّين العلا، وكان يقال لها أيضًا أمة العزيز، استمعت بمساعدة والدِها إلى المحدّث المشهور الحجار، وغيره، ومؤخّرًا أصبحت من المحدثات، وكانت وفاتها في شوال ٧٩٤هـ، وقد تُوفّيت أختها في العشرين من نفس الشّهر. وهذا ما قاله ابن حجر.

أمة العزيز:

ابنةُ الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، من المحدّثات، اطّلعت عليها مؤخّرًا في كتاب ابن حجر، وهي غير أمة العزيز المذكورة في أوّل الكتاب. كانت تحضر دروسَ المحدّث عيسى المطعم وآخرين. وفاتها ٧٨٥هـ.

أمة الواحد:

ابنةُ القاضي حسين بن إسماعيل المحاملي، من فقيهات الشافعيّة المذكورات في مختصر السّبكي، حفظت القرآن الكريم والفرائض والفقه والنّحو، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة من مشاهير علماء الشّافعية، وهي والدة القاضي أبي الحسين المحاملي، تُوفّيت عام ٣٧٩هـ ويُقال إنّ اسمها أيضًا ستيتة.

باده شاه خاتون:

ابنةُ محمد بن حميد تابنكو السّلطان السّادس من سلاطين ديار كرمان، وهي من دول القره خطاي، كان والدُها السّلطان محمد يُعرف بالسّلطان قطب الدين. ورد في كتاب مرآة الأدوار والنّخبة أنّها كانت جميلة للغاية وحَسَنة الخطّ. كتبتْ نسخًا لا مثيلَ لها من

القرآن الكريم. كانت المُشار إليها زوجةَ لكيخاتو بن إيقا بن هلاكو الجنكيزي، وقتلت أخاها السلطان جلال الدين سبورغتمش، وأعلنت نفسَها ملكة، واستمرّت سلطتُها أربع سنوات، وبموجب القول القائل (بشّر القاتلَ بالقتل) قُتلت عام ٦٩٥هـ وتولّى مكانَها ابنُ عمّها محمد مظفر الدين. مستقيم زاده.

هذا ما ذكره المرحوم مستقيم زاده في كتابه تذكرة الخطّاطين، وذكر أيضًا في نخبة التّواريخ، إلّا أنّ منجم باشي أورد أنّها كانت زوجةَ السّلطان جلال الدين وليست أخته.

بدور:

على وزن قصور، كانت من جواري بغداد على حسب ما ذكر في تاريخ ابن ظافر. ومن مغنّيات العصر العباسي، وهي الجارية المعروفة باسم (جارية بنت الملك)، عشقها أبو جعفر مسعود بن الحسن البياضي من الأمراء العباسيّين، وقال فيها:

شكا القلب ظلمته في الحشا
إلي فأسكنت فيه بدورا

بكارة الهلالية:

من فصحاء التّابعيات، وهي قائلة:

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا
سيفًا حسامًا في التراب دفينا
قد كنت أدخره ليوم كريهة
فاليوم أبرزه الزّمان مصونا

تميمة بنت وهب:

مطلّقة الصّحابي رفاعة القرظي، كان زوجُها قد طلّقها ثلاثًا، وتزوّجت بعده عبد الرحمن القرظي، ولمّا وجدته عنّينًا أوضحت الأمرَ لرسول الله، وأنّها تريد أنْ تعود إلى زوجها، فهل يمكن لها ذلك، فقال لها الرّسول (لا، حتّى يذوق عسيلتَك وتذوقي عسيلتَه)، وهذا مشروحٌ في كتب الأصول والأحاديث.

تندو:

من المشاهير المذكورات في كتاب أنباء ابن حجر، ابنةُ حسين بن أويس أحد

أمراء التركمان، كانت بديعة الجمال، لمّا ذهبت إلى مصرَ مع عمّها أحمد بن أويس تزوّجت السّلطان الملك الظّاهر برقوق من الملوك الشراكسة في مصر، ثمّ طلّقها، وتزوّجت ابن عمّها شاه ولد بن شاهزاده بن أويس، ولمّا عادت إلى بغداد تُوفي عمّها أحمد، وجلس زوجُها شاه ولد على العرش، وقد دبّرت مكيدة لقتل زوجها، ثمّ جلست مكانه على العرش، بعدها أتى محمد شاه بن قره يوسف وحاصر مدينةَ بغداد لمدّة عام، فخرجت المذكورة إلى نهر دجلة حتّى وصلت إلى واسط، واستولتْ على تستر، وأعلن الأهالي ابنَها محمود بن شاه ولد حاكمًا عليهم، فدبّرت مكيدة لقتله، وأصبحت ملكة مستقلّة عام ٨١٩هـ وتحاربت مع العرب في البصرة، واستولت على الجزيرة وواسط، وكانت الخطبة تقرأ باسمها والنّقود تصكّ باسمها، تُوفّيت عام ٨٢٢هـ.

ثريا:

معشوقةُ عمر بن أبي ربيعة المخزومي، أحد الشّعراء الإسلاميّين المتقدّمين، وهي ثريا ابنةُ عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر، لمّا تزوّجت المذكورة من سهيل بن عبد العزيز بن مروان نظَمَ عمر بن أبي ربيعة الأبيات التالية:

أيّها الطارق الذي قد عنّ إنّني
بعدما نام سامر الركبان
زار من نازح بغير دليل
يتخطى إلي حتى أتاني
أيّها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هي شاميّة إذا ما استقلت
وسهيل إذا ما استقلّ يمان

ولمّا تزوّجت ثريا من سهيل نظم أيضًا:

من رسولي إلى ثريا فإنّي
ضاقني الهمّ واعترتني الهموم
يعلم الله أنّني مستهام
بهواكم وإنّني مرحوم

كما كتب عدّة أبيات على ورق هندي معطّر، وأرسلها إلى ثريا كان فيها:

كتبت إليك من بلدي كتاب موله كمد
كئيب وأكفّ العيني بالحسرات منفردا
يؤرّقه لهيب الشوق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيدٍ ويمسح عينه بيد

ولمّا قرأت ثريا الأبيات بكتْ بكاءً شديدًا، وقالت:

بنفسي مَن لا يستقلّ بنفسه
ومَن هو إن لم يحفظ الله ضائع
أتاني كتاب لم يرَ الناس مثله
أمد بكافور ومسك وعنبر
وقرطاسة قوهية ورباطة بعقد
من الياقوت صاف وجوهر
وفي صدري منّي إليك تحيّة
لقد طال تهيامي بكم وتذكّري

وقد قال عبد الرحمن السّهلي شارح سيرة ابن هشام أنّ ثريا المذكورة هي حفيدة قتيلة بنت النّضر السابقة الترجمة. وهناك مَنْ يعتقد بأنها قتيلة أخت النّضر، ولكنّ السّهيلي قال إنّ الصّحيح أنها ابنته.

جلبان خوند:

من المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر. كانت والدةَ الأمير يوسف أحد أمراء مصر الشّراكسة، ذكر ابن حجر أنها ذهبت إلى الحجّ عام ٨٣٤هـ بموكب عظيم، وتُوفّيت عام ٨٣٩هـ. وذُكر أنّ زوجة تيمور أيضًا كانت بهذا الاسم.

حذام بنت الريان:

رأينا في مجمع الأمثال مؤخّرًا أنها هي قائلة البيت التّالي، وذلك خلافًا لما ورد في المجلد الأوّل:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا
فلو ترك القطا ليلًا لنام

ويروى أنها ذات ليلة رأتْ طائر القطا قد طار عن أشجاره فرأت أنّ هذا نذيرٌ بقدوم الأعداء إليهم، فأخبرت أهلها وعشيرتها بذلك إلّا أنّهم لم يعيروها انتباهًا، وأغار الأعداء عليهم، فنظم واحدٌ يُدْعى دسيم بن طارق البيتَ التّالي:

إذا قالت حذام فصدّقوها
فإنّ القول ما قالت حذام

ومثله في حياة الحيوان.

حليمة بنت محمد صادق:

من استانبول، ومن المشاهير المذكورين في تذكرة الخطّاطين، كان والدها إمامًا للوزير يحيى باشا بن الخطيب، كما كان عالمًا فاضلًا. تعلّمت المذكورة الخطّ على يد سيد محمد حليم، وفي عام ١١٦٩هـ أصبحت من الكتّاب. والقطعة التّالية هي الإجازة التي أعطاها لها الخطاط محمد راسم أفندي، وقد نقلناها كما هي من تذكرة الخطّاطين لمستقيم زاده:

«تمّت نحلة وعطيّة من كريم مبين، وصدّقت بكلمات ربّها وكانت من القانتين. زهيراء زمانها وحميراء أوانها. ذات اثنتي عشرة سنة. تلك القطعة المليحة سميّة السعدية. أعني حليمة ابنة مَن أنبته الله نباتًا حسنًا. فتقبّلها ربّها وزيّنه بها سرًّا وعلنًا.

فلا غروَ للنّسوة اللاتي قطعنَ أقلامهنّ وكتبنَ. وللنّساء نصيب ممّا اكتسبن. غطّاها الستار بجلابيب القانتات العابدات السّائحات ما تليت بالعشي والأبكار. في الكتاب الأكرم. إذ يلقون أقلامَهم أيّهم يكفل مريم. قرّره وحرّره العبد الأثم، كاتب السّراي الخاصّة محمد راسم. عفا العفو عنه بحبيبه أبي القاسم في السّنة التاسعة والستين بعد المائة والألف من هجرة مَن عليه وعلى آله الصلاة والسّلام».

حمه طو:

من المشاهير المذكورات في وفيات عام ٧٨٤هـ في إنباء ابن حجر. والدةُ الملك الأشرف من ملوك الأتراك في مصر، كانت سيدة صاحبة عطاءٍ كثير وحُسنِ تدبير، كانت تشارك ابنَها في شئون الحكم لأنه كان حديثَ السّن عندما تولّى عرشَ مصر.

حنيفة:

قيل إنّ بعض فضلاء الفقهاء الحنيفيّين أمثال أحمد بن دواد الدّينوري وأحمد بن المصدق بن محمد النيسابوري والإمام جمال الدين عبيد الله المحبوبي وقبيس

الشيباني؛ كانوا يتكنون بكنية أبي حنيفة، وكانت بعضُ بناتهم أيضًا يتكنّون بهذه الكنْية، وقيل إنّ هذه الكنية وهي حنيفة كانت كنية الإمام الأعظم لأنّ ابنته كانت اسمُها حنيفة، إلّا أنّ معظم أصحاب المناقب كموفّق الخوارزمي ذكروا أنّ الإمام الأعظم لم يكنْ إلّا ولدًا واحدًا واسمُه حّاد. وحنيفة في لغة أهل العراق أي المحبرة، ولأنّ الإمام المشار إليه كان يلازمُه دائمًا أحدُ الكتبة الذين يُطلق عليهم حنيفة فقد أطلق عليه أبو حنيفة. وقد ذكر مستقيم زاده في تذكرته هذه النّادرة نقلًا عن محيي الدين الكافيه جي.

خديجة:

ابنةُ العالم أحمد بن الطنبا المعروف بابن الحنبليّة، مِن جملة المحدّثات المذكورات في إنباء ابن حجر. وهي والدة زين الدين عمر البالسي من أساتذة ابن حجر، تُوفّيت في رجب عام ٧٧٩هـ.

خديجة بنت محمد بن أحمد:

من خراسان، والدُها هو قاضي نيسابور الفقيه أبو رجا الجورجاني. ورد في تاريخ نيسابور وتاريخ تميم في ترجمة والدها أنّها كانت تشتهر بحُسنِ الخطّ، وقد نسخت الآف الكتب، كانت من الفاضلات القانتات، ورد في التاريخ أنّ عمرها تجاوزَ المائة. وقد ذكرها علي القاري في كتابه الأثمار الجنية، وقال عنها إنّها فقيهة فاضلة تلقت الفقه على يد والدها.

خديجة بنت الملك:

مِن المشاهير المذكورين في إنباء ابن حجر، ابنةُ الملك الأشرف شعبان بن حسين من ملوك مصر الأتراك، وزوجة قاسم البشتكي، وذكر ابن حجر أنّها آخرُ مَن تُوفّي من أبناء الملك الأشرف الإناث، اشتهرت بالعقل والدراية وحُسن الإدارة والرئاسة، تُوفيت عام ٨٢٦هـ.

ومن اللّطائف المذكورة في القاموس أنّ الملك الأشرف المذكور كان جالسًا ذات يوم ومعه شهاب القوصي من الأدباء، ودخل عليهم طبيبٌ يُدْعى سعد، فقال الملك الأشرف لشهاب القوصي: يا

شهاب، ماذا تقول في سعد؟ فقال يا مولاي إن كان سعد في مجلسكم فهو سعد السّعود، وإن كان على رأس حلة كان سعد بلع، وإنْ كان مهما في خيمتكم فيكون سعد أخبية، وإنْ كان طبيبًا على مريض مسلم كان سعد الذّابح.

خرّ ذاذ:

والدةُ أردشير شاه أحد ملوك إيران القدامى، وهي بانية قنطرة خر ذاذ المذكورة في القاموس على أنها إحدى عجائب الدنيا، والقنطرة المذكورة عبارة عن جسر يقع بين إيدج ورباط في سمرقند، طوله ١٠٠٠ ذراع، وارتفاعه ١٥٠ ذراعًا، وبُني بالرصاص والحديد.

خرنق بنت قحافة:

شاعرةٌ عربيّة رأيناها مؤخرًا في الحماسة البصرية، غير خرنق أخت طرفة بن العبد المذكورة في المجلد الأوّل. وهي ناظمة الأبيات التالية:

أعاذلتي على رزة أفيقي
فقد أشرقتني بالعذل ريقي
فلا وأبيك آسى بعده بشر على
حي يموت ولا صديق

خزانة:

ابنةُ خالد بن جعفر بن قرط على حسب ما ورد في فتوح الواقدي، كانت موجودة مع سعيد بن أبي وقاص في فتوحات العراق، وقد نظمت الأبيات التالية في أوّل شهيدٍ وقع من المسلمين:

فيا عين جودي بالدموع السواجم
فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم
حزنًا على عمرو وسعد ومالك
وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم
هم فتية غرّ الوجوه أعزة ليوث
لدى الهيجاء شعث الجماجم

خنساء:

رأينا في معاهد التّنصيص والأغاني مؤخرًا في ترجمة حال زهير بن أبي سلمى أنها أخته، وهي غير الخنساء بنت عمرو بن الشريد المذكورة في المجلد الأوّل، وقد نظمت الخنساء في رثاء أخيها زهير:

وما يغني توقي المرء شيئاً
ولا عقد التميم ولا الغضار
إذا لاقى ميته قامسي
يساق به وقد حق الحذار
ولاقاه من الأيام يوماً كما
من قبل لم يخلد قدار

الغضار على وزن السّحاب، وهي قطعة الخزف الخضراء، وقدر هو اسم الشّقي الذي عقر ناقة صالح، وهو قدار بن سالف، وقدار بن عمرو بن ضبيعة رئيس قبيلة ربيعة.

خولة بنت الأزور:

أختُ الصّحابي الجليل ضرار بن الأزور، من المشاهير المذكورين في فتوح الواقدي، كانت موجودة في فتوحات مصر والشّام، وقد أورد الواقدي الكثيرَ عن شجاعتها في الحروب، وقد كانت فصيحة بقدر ما كانت شجاعة، ولها أبياتٌ كثيرة عن الحروب، ولأنّ معظم تلك الأبيات قابلة للتّصحيح لأنّ بها أخطاء فقد نقلنا هنا الصّحيح منها فقط:

ألا مخبرٌ بعد الفراق يخبرنا
فمَن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنّا
فلو كنت أدري أنّه آخر اللقا
لكنّا وقفنا للوداع وودّعنا
ألا يا غراب البين هل أنت مخبري
فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
ولم أنس إذ قالوا ضرار مقيد
تركناه في دار العدو ويمّمنا
فما هذه الأيام إلّا معارة
وما نحن إلّا مثل لفظ بلا معنى

نظمت خولة الأبيات السابقة عندما أُسر أخوها ضرار في معركة أنطاكية، كما نظمت الأبيات التّالية في رثاء أخيها ضرار:

أبعد أخي يلذّ الغمض عيني
فكيف ينام مقروح العيون
سأبكي ما حييت على شقيقي
أعزّ علي من عيني اليمين

فلو إنتني لحقت به قتيلًا
لهان عليّ إذ غير المهين

ولمّا نظمت خولة الأبيات السابقة، نظمت مزروعة بنت عملوق الأبيات التّالية في أسر ابنها أيضًا وكان قد أسر مع ضرار:

أيا ولدي قد زاد قلبي تلهبًا
وقد أحرقت منّي الخدود والمدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة
وقد حيت منّي الحشا والأضالع
وأسأل عنك الرّكب يخبروني
بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يكُ فيهم مخبر عنك صادقًا
ولا منهم مَن قال إنك راجع
فإنْ تك حيًّا صمت لله حجة
وإنْ تكُ أخرى فما العبد صانع

وكنّ قرابة خمس أو عشر نسوة من الشّجعان حاربنَ في معارك اليرموك وأجنادين، وهنّ: عفيرة بنت غفار وسلمة بنت ذراع ولبنى بنت سوار وسلمى بنت النعمان وأمّ إبان وهند بنت عمرون وزينب الأنصارية وسليمة بنت سعد ابنة سعد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنّة. وقد قيل لخولة ومزروعة لما قيل الأبيات السّابقة «ألمْ تسمعا قول الله تعالى «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون» فكفّوا عن نظم مثل تلك الأبيات.

دلاشوب صالحة سلطان:

والدة السّلطان سليمان الثّاني، كانت من زوجات السّلطان إبراهيم. مدفونة في السليمانية.

رقية:

ابنةُ عفيف بن عبد السلام بن محمّد بن مزروع المضري، من المحدّثات المذكورات في وفيات عام ٨١٥هـ لأنباء ابن حجر. تعلّمت الحديث بإجازة الختني وابن المصري وابن سيد الناس والبنديجي والعزّى وغيرهم من مشايخ مصر والشّام. تُوفّيت عام ٨١٥هـ عن عمر يناهز ٨٩ عامًا، وهي أخت فاطمة بنت يحيى العفيف السّابقة الترجمة.

رويدة خانم:

هي رويدة خانم الحافظة، من عالمات عصرنا، كانت معلّمة أولى في مدرسة يوسف باشا الرّشديّة للبنات، وهي ابنة إسماعيل إلهامي أفندي من المتقاعدين من كتّاب المجلس العالي المنحل، تعلّمت المذكورة في دار المعلمات، وأثنت عليها فاطمة الزهراء خانم معلمة مدرسة السّلطان أحمد، وُلدت المذكورة في استانبول عام ١٢٧٨هـ.

ريا العقيلية:

من الشّاعرات المذكورات في الحماسة البصرية، وهي قائلة الأبيات التالية:

فما وجد مغلول بتيماء موثق
بساقية من ضرب القيون كبول
قليل الموالي مسلم بجريرة له
بعد نوامت العيون عويل
يقول له البواب أنت معذب
غداة غدا أو مسلم فقتيل

زرقاء بنت زهير:

كاهنةٌ معروفة من قبيلة قضاعة العربيّة القديمة، مذكورة في الطبقة الثّالثة من طبقات العرب في تاريخ ابن خلدون، ولها أيضًا أشعار مذكورة في الكتاب المذكور، وهي مأخوذة من أخبار حذيمة بن نهد المذكور في المجلد الحادي عشر من الأغاني.

زليخا:

ابنةُ القاضي إسماعيل بن يوسف الشّافعي، وزوجة الشيخ ملكداد بن علي، من الفقيهات الشّافعيات اللاتي اطّلعت عليهنّ مؤخّرًا في كتاب الطّبقات الصغرى للسبكي، كانت النّسوة ترجعنَ إليها في المسائل المتعلّقة بالحيض والأمور التي تخجل النّسوة من مراجعة الرجال فيها، وكانت تفتيهنّ بالوجه الشرعي.

زمرد:

هي غير زمرد بنت أيرق المذكورة في المجلد الأوّل، رأيتها مؤخّرًا في الأثمار الجنيّة لعلي القاري، وعالمة متفقّهة.

ذكرناها في ذيل عنوان نضار، وكان اسم ستّ الشام بنت أيوب المشار إليها في المجلد الأوّل أيضًا زمرد خاتون، وقد رأينا ذلك مؤخّرًا في ترجمة الفقيه ابن صلاح في تاريخ ابن خلكان.

زهراء الكلابية:

من شاعرات الحماسة البصرية، الأبيات التّالية نظمتها في رثاء زوجها وابن عمّها، وقد عثرنا عليها مؤخّرًا في ديوان الحماسة البصرية:

تأوّهت من ذكري ابن عمّي ودونه
نقا هائل جعد الثرى وصفيح
وكنت أنام الليل من ثقتي به
وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح فأصبحت
سالمت العدو ولم أجد
من السلم بدًّا والفؤاد جريح

سبيعة بنت الأحب:

ابنةُ أحبّ أو أجب من عرب الجاهلية، وزوجة عبد مناف بن كعب بن سعد، وقد رأينا في ذيل عنوان تتيلة في شرح سيرة ابن هشام المعروف بروض الأنف، قصيدة نظمتها لابنها من باب النّصح بأنْ يعظم الكعبة، فقد قيل إنّ أسعد الحميدي من التبابعة باليمن جاء إلى مكة وأقام بها ١٠ أشهر، وكسا الكعبة وطهّرها، وأمر بألّا تقرب الحائضات الكعبة، وذبح القرابين، وصنعَ مفاتيح للكعبة، والأبيات المذكورة بها إشارةٌ إلى ما آل إليه أصحاب الفيل:

ابني لا ظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظْ محارمها بنيّ ولا يغرنك الغرور
ابني مَن يظلم بمكّة يلقَ أطراف الشرور
ابنيّ يضرب وجهه ويلخ بخديه السعير
ابني قد جربتها فوجدت ظلامها يبور
والفيل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والجزير
فاسمع إذا حدثت وافْهم كيف عاقبة الأمور

ستّ الخطباء:

ابنةُ الشيخ تقيّ الدين السبكي. من المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر في وفيات عام ٧٧٣هـ من المحدثات،

أخذت عن المحدّث ابن الصوّاف وعليّ بن القيم، وكانت عمياء كما قال ابن حجر.

ستّ القضاة:

غير ستّ القضاة المذكورة في المجلد الأوّل، وهي ستّ القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بن كثير، محدّثة، ابنة عمّ المحدث الحافظ عماد الدين، أخذت الإجازة من القاسم بن العساكر وعلي الوابي ومشاهير مشايخ مصر والشّام، تُوفّيت في جمادى الآخرة عام ٨٠١هـ عن عمر يناهز ٨٠ عامًا.

ستّ الكل:

من المحدّثات المذكورات في وفيات عام ٨٠٣هـ في إنباء ابن حجر أيضًا، ستّ الكل بنت أحمد بن الزين القسطلانيّة ثمّ المكيّة، أخذت الحديثَ عن المحدّث يحيى بن فضل الله ويحيى بن المصري وابن الرّضي وغيرهم من المشاهير، كما أورد ابنُ حجر أنّه قرأ عليها جزءًا من الأحاديث الشّريفة في مكة.

ستّ الوزراء:

غيرُ ستّ الوزراء المذكورة في المجلد الأوّل، رأيته مؤخّرًا في الأثمار الجنيّة لعلي القاري، وفي تحفة الخطّاطين لمستقيم زاده. كانت من دمشق، والدُها مولانا محمد بن عبد الكريم عماد الدين المعروف بابن الشّماع من الفقهاء الحنيفية، وقد تفقّهت المذكورة على يديه، وكان خطّها حسنًا.

شمس الملوك:

ابنةُ ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن يعقوب بن الملك العادل، محدّثة شاميّة من المحدّثات المذكورات في وفيات عام ٨٠٣هـ في إنباء ابن حجر، كانت روايتها من زينب بنت الكمال، كما حصل ابن حجر على إجازةٍ منها أيضًا، كانت وفاتها في شعبان من السنة المذكورة.

صفيّة بنت مسافر:

ابنةُ مسافر بن عمرو بن أميّة بن عبد شمس، لها الكثير من المرثيات في

الحماسة البصريّة وفي سيرة ابن هشام في المقتولين من المشركين في بدر، ومنها:

يا مَن لعين قذاها عائر الرمد
صدر النهار وقرن الشمس لم يقد
أخبرت أنّ سراة الأكرمين معًا
قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد
وفرّ بالقوم أصحاب الركاب ولم
تعطف غداتئذٍ أمّ على ولد

ضاحية الهلالية:

مِن شاعرات العرب، رأيت في الحماسة البصريّة مؤخّرًا أنّها هي قائلة الأبيات الواردة في ترجمة ريا العقيلية.

ضباعة بنت عامر بن قرط:

هي ضباعةُ الصحابيّة من المؤمنات المهاجرات، حفيدة قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كانت من أجمل نساء العرب، وكانت ضخمةَ الجثّة، كانت زوجة هوزة بن علي الحنفي قبل الإسلام، وبعد وفاتِه تزوّجت عبد الله بن جدعان، ولمّا لم يحصل وفاقٌ بينهما طلّقها على أن تذبح مائة ناقة وتضرب على حبل يشدّ بين الأخشبين، وتطوف عريانة إنْ تزوّجت بعده هشام بن المغيرة المخزومي، ولمّا تزوّجت بهشام بعد ذلك أبرّت بقسمها وذبحت مائة ناقة، وأمرت نسوة قريش بأنْ يضربوها بين الأخشبين، وأنْ يخلوا لها الكعبة فتطوف بها عريانة. ورويَ عن مطلب بن أبي وداعة السّهمي أنّ ضباعة لمّا طافت بالكعبة وهي عارية كنّا نحن صغارًا ولم تنهنا عن رؤيتها وهي تطوف هكذا، وقالت:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه
وما بدا منه فلا أحلّه

وتجرّدت من ثيابها، وسترت بشعرها مؤخّرتها وصدرها، وطافت ولم يبدُ منها شيء قطّ. الزرقاني. ولمّا توفّي هشام وأسلمت ضباعة وهاجرت إلى المدينة مع المسلمين.

جدّها قرط، وقد ورد في المجلد الأوّل قرظ خطأ، كان ابنها سلمة بن هشام من الصحابة الكرام ومن

المعذّبين المستضعفين في مكة، ولما وفّق في الذهاب إلى المدينة بعد غزوة الخندق، نظمت أمّه الأبيات التّالية تدعو له:

لاهمّ ربّ الكعبة المحرمة
أظهر على كلّ عدو سلمة
له يدان في الأمور المبهمة
كفّ بها يعطي وكفّ منعمة

ظاهرة:

ابنةُ أحمد بن يوسف الأزرق بن يعقوب بن إسحاق التنوخي من فقهاء الحنيفيّة الأقدمين. كانت صاحبة علمٍ وفضيلة أبًا عن جَدّ، تفقّهت على يدِ والدها، تُوفي والدها عام ٣٧٦هـ. من الجواهر المضيئة، أمّا وفاتها فكانت في شوال عام ٤٣٦هـ. ذكرها البغدادي في تاريخه.

ططران:

من المشاهير المذكورات في إنباء ابن حجر، وهي ططران بنت عزّ الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخيّة الدّمشقية، أختها فاطمة بنت المنجا، وكانت أيضًا من المحدّثات، استمعت لأقوش التبلي، وأخذت الإجازة من الجزري وزينب بنت الكمال، كانت وفاتُها في شعبان ٨٠٣هـ.

ظفر خانم:

زوجةُ قبولي باشا من أسرة فؤاد باشا. كانت من أديبات استانبول، ومن النسوة المعاصرات لنا، صدر لها في أوائل ربيع الآخر عام ١٢٩٥هـ. كتابٌ باسم عشق وطن، ذكرتها أوراق حوادث على أنّها أجمل أديبة معاصرة، ورسالةُ عشق وطنٍ رسالةٌ جميلة عبارة عن حكاية لطيفة تصوّر رحلة في إسبانيا إلى استانبول، وهي رسالة جميلة لطيفة فاقت حدّ ما ننتظرُه من النساء.

وقد أدرجت المشار إليها في المقدمة التي كتبتها لرسالة عشق وطنٍ إفادةً عن الحثّ على الذّهاب للقتال وقتَ المعركة من أجل حب الوطن.

وقد رأيت أنْ أختم الكتاب بالتّمثيل بهذين البيتين وأنا مستشفعٌ في إصلاح أحوالي بصاحب القبلتين وهُما:

لئن ضاقت بيَ الأيام ذرعًا
فصبري مُذْهبٌ ما عشتُ كربي
خلصتُ من الأماني في حياتي
فأرجو في مماتي عفوَ ربّي

اللّهمّ اجعلني من التّوابين، واجعلني من المتطهّرين، واجعلني صبورًا شكورًا، واجعلني ممّنْ ذكرَكَ ذكرًا كثيرًا، وسبّحك بكرةً وأصيلًا. وصلّى اللهُ على سيّدنا محمد وآله، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والحمدُ لله ربّ العالمين.

المؤلّف في سطور:

وُلد محمّد ذهني في استانبول عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م. وتُوفّي عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١٣م بعد أن تلقّى تعليمَه في المدارس، عُيّن مدرسًا للّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة في مدارس رفيعة المستوى باستانبول.

وقد تفوّق محمد ذهني خاصّة في علم اللّغة العربيّة وآدابها، وأصبح من أقطاب هذا العلم في زمانه. في الحقيقة، إنّ محمد ذهني مدينٌ في تفوّقه هذا لأسفاره الكثيرة إلى الأقطار العربية، ولصداقته الحميمة مع عدّة أدباء عرب أمثال: عبد الرحمن ناجم ومحمد الشنقيطي وأحمد فارس الشّدياق.

دخل محمّد ذهني عالم الصّحافة في سن مبكّرة، وتابع عمله مدرّسًا في أرقى المدارس باستانبول. كان يعطي بجانب موادّ اللّغة العربيّة دروسًا في الفقه وسائر العلوم الإسلامية. قام بجولاتٍ عديدة إلى معظم الدّول العربية، وله عضويّة في عدّة لجان تابعة لوزارة التّربية والتعليم.

وقد ألّف محمد ذهني- مثل كثير من زملائه العثمانيين- كتبًا عديدةً في مجالات مختلفة.

له في الفقه:

١- تعليق على شرح المنار.

٢- اقتباس الأنوار في ترجمة المنار.

٣- أصول الفقه.

٤- الألغاز الفقهية.

٥- نعمة الإسلام.

وله في الحديث:

١- ترجمة كتاب سهام الإصابة في كنز الدعوات المستجابة إلى التركيّة العثمانية.

٢- تعليق على الجامع الصحيح للبخاري.

٣- تعليق على الجامع الصحيح لمسلم.

وله في علوم مختلفة:

١- ترجمة كتاب المنقذ من الضلال للغزالي.

٢- القول السديد في علم التجويد.

٣- ترجمة كتاب تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب.

٤- رسالة نعمة الإسلام.

أمّا مؤلّفاته عن اللغة العربيّة وآدابها فكالتّالي:

١- الصرف العربي.

٢- المنتخب في تعليم لغة العرب.

٣- المقتضب من المنتخب.

٤- المقتضب في نحو لسان العرب. (يتناول مواضيع علم النحو)

٥- المشذب في صرف ونحو لسان العرب. (يتناول مواضيع النحو والصرف)

٦- القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرح حاشية السيد.

٧- كتاب التراجم. (هذا هو الكتاب الوحيد من بين كتب محمد ذهني الذي كتب باللغة العربية، وهو عبارة عن ترجمة حياة أشهر أدباء العرب ونماذج من أشعارهم).

المترجمُ في سطور:

الدّكتور/ محمد حرب

- حصل على درجة الدكتوراه من قسم التاريخ بجامعة استانبول.
- تخصّص في الشئون التركيّة الشاملة: تركيا- آسيا الوسطى (أوراسيا)، انحصرت دراساتُه في: التاريخ والفكر والاستراتيجيّة في مجال تخصّصه.
- له مطبوعات في دائرة اختصاصه أكثرها انتشارًا:

- مذكرات السّلطان عبد الحميد.
- رحل جورجي زيدان إلى الآستانة ١٩٠٩
- تاريخ مصر العثمانيّة لجورجي زيدان (تحقيق ودراسة).
- الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر الماديّ في تركيا المعاصرة.
- المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان.
- البوسنة والهرسك من الفتح العثماني إلى الكارثة.
- المثقف وتغيير نظام الحكم نموذج أتاتورك.

* ترجَمَ من الأدب التركي إلى اللغة العربيّة أعمالًا أدبيّة كبرى، منها: ملحمة حرب الاستقلال، وملحمة الشيخ بدر الدين، والسّنوات الرهيبة، وصقور القوقاز.

* أشرف على رسائل ماجستير ودكتوراه في تخصّصه.

* حاضر في محافل عالميّة في كلّ من مصر والأردن والسعوديّة والكويت، كما حاضر في كلّ من: تركيا وهولندا والنمسا وروسيا والبوسنة والهرسك.

* عمل بالتدريس في جامعات: وهران (الجزائر) ومؤتة (الأردن) وفي روتردام (هولندا)، ويعمل حاليًا في جامعة البحرين.

* اشتغل بالإدارة العلميّة في عدّة أماكن، منها: مدير مركز بحوث العالم الإسلامي والغرب في هولندا (مديرًا مؤسّسًا)- مدير مركز بحوث العالم التركي في القاهرة- نائب رئيس جامعة روتردام في هولندا (مرحلة التأسيس).

فهرس الموضوعات

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء